



جامعة سيدي محمد بن عبد الله

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

ظهر المهرارز - فاس - المغرب

مركز دراسات الدكتوراه: الجماليات وعلوم الإنسان

تكوين الدكتوراه: التعبير والأشكال الرمزية

تخصص: اللغة العربية وآدابها

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان:

الشعر العربي عند الطوارق - كل إسوك - نموذجاً

جمعاً ودراسة

تحت إشراف الأستاذ
عبد الرحيم الرحموني

اسم الطالب: محمد أغ محمد
ر و ط: 6053101454

السنة الجامعية:

2017-2018

الإهداء

إلى والدي العزيزين حفظهما الله

أهدي هذا العمل

كلمة شكر وتقدير

الشكر أولاً لمولانا عزَّ وجلَّ، على نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

وأهدي ثانياً باقة شكر وتقدير لجامعة سيدي محمد بن عبد الله في المملكة المغربية، ممثلة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرارز - فاس أساتذة، وإداريين.

ونخص مركز دراسات الدكتوراه: (الجماليات وعلوم الإنسان)، بسائر مختبراته التي لا تفتأ تنقب في حفريات المعرفة، وبالذات المختبر الذي احتضن أطروحتي، (مختبر الأبحاث المصطلحية والدراسات النصية).

الشكر موصول لهؤلاء جميعاً على إتاحة الفرصة لي، كي أنجز مشروع الأطروحة بين أيديهم، وفي فنائهم الرحب!، وبالخصوص الأستاذ الدكتور / عبد الرحيم الرحموني، الذي تعجز لغتي عن وصف "رسوخه في العلم"، المزدان بـ "أخلاقه الراقية"، التي نهلت منها، كما عرفتُ كثيراً من معارفه الفياضة، لقد كان خيرَ مُشرفٍ عليّ، طيلة هذا العمل، ولم ييخل بتوجيهاته الصائبة، وبدعمه المعنوي المستمر، فنعم الوالد هو!

ولا يفوتني إهداء شكرٍ وتقديرٍ لكلِّ من وقف معي في تنفيذ هذا المشروع، وهم يشكلون الفريق المتكامل الذي بدونه بعد توفيق الله لا أتمكن من إنجاز البحث بالطريقة المرموقة، لأن هذا العمل مشروع يجب أن تتضافر الجهود الجماعية فيه من جميع النواحي:

- يتقدمهم والداي العزيزان، حفظهما الله، فدعمهما المادي والمعنوي لا حدود له.
- الجامعة الإسلامية بالنيجر، التي كنت فيها محاضراً طيلة هذه الفترة، وقبل ذلك كنت فيها طالباً، ممثلة برئيسها أ. د/ المنصف الجزار، ونائبه د/ بللو مانا، وعميد كلية اللغة العربية والعلوم الإنسانية، د/ كوني صواليحو، حفظهم الله، وأعانهم، وقد أتحفوني بتعاون خاص يستحق كل معاني الشكر والتقدير.

- رابطة التضامن العربي الإفريقي، هذه المنظمة الواعدة التي تعاونت معها في الآونة الأخيرة، ممثلة في رئيسها المؤسس معالي السفير/ حسن مبارك، ومديرها التنفيذي حمّادي مبارك، فلهما مني خالص الدعاء، وجزيل الشكر على وقفتهما الكريمة معي.
- زملائي، وأحبائي من الإخوة السوكيين، الذين لم يألوا جهدا في توفير أغلب النصوص الشعرية التي تُشكّل لبَّ البحث، وفي مراجعتها بطيب النفس، وعلى رأسهم الأخ/ حمزة عثمان، ثمَّ أحمد مُحمَّد الحاج، وعبد الحكيم بن المصطفى، ومُحمَّد أحمد الخرجي، وعلي سليمان، وأحمد منير، ومُحمَّدو البشير "أبو تراب"، و مُحمَّد الفاروق، وإبراهيم موسى، وينضم إلى هؤلاء الشيخ مُحمَّد إبراهيم السوكي، والدكتور علي الأنصاري، والمحمود مُحمَّد أحمد السوكي على وقفاتهم الكريمة معي خلال هذه المرحلة.
- ويمتد شكري الواجب ليصل بعض طلبتي في الجامعة الذي ساهموا بنقل أغلب النصوص الشعرية القديمة، من الأوراق البالية إلى الحاسوب الآلي، لتسنى لي عملية التحقيق، والمراجعة أولا، والدراسة لاحقا، وهم : جaro العتيق، المكرّم المهندي، أحمدو أبو اليسر.

المقدمة

لقد أنتج الطوارق تراثاً عربياً غزيراً، بشقيه اللغوي، والشرعي، ولم يزل ذلك التراث الغني مطموراً في رمال الصحراء الكبرى، لم تمسه أقلام الباحثين، ولم يستثمر في سوق المعرفة، ولما تفتأ يد الضياع تعبت به، رغم ما يحمله من قضايا تاريخية، واجتماعية، وفلسفية، وسياسية، ولغزاته يختار الواقف على كنوزه الثمينة فيما يختار، ويعد الشعر من أهم إبداعاتهم، التي لا تزال مهددةً بالنسيان، والغياب.

1. إشكالية البحث:

إن الشعر العربي عند الطوارق حلقة مفقودة في تاريخ الأدب العربي، والمفروض أن تكون هذه الأطروحة مكتوبة قبلي بأكثر من مائة سنة، ويكون عملي مراجعةً لإشكالية واحدة، أو إضافةً لنقطة غائبة، أو دراسةً لديوان شاعرٍ واحد، أو بسطَ القول في مرحلة من المراحل، أو منطقة من المناطق، أو مقارنةً ظاهرة من الظواهر الأدبية، أو تحليل مستوى من المستويات اللغوية، ليأتي بحثي واحداً من عشرات البحوث المماثلة، فيأخذ، ويرد، ويناقش، وذلك هو ما لم يكن! فكأنما أجريت وحدي في فلاة، مع ما في ذلك من مغامرات، إذ اخترت موضوع (الشعر العربي عند الطوارق - كل أسوك نموذجاً - جمعاً ودراسةً)، لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، بـ "مختبر الأبحاث المصطلحية والدراسات النصية"، التابع لمركز دراسات الدكتوراه "الجماليات وعلوم الإنسان"، في كلية الآداب والعلوم الإنسانية - ظهر المهرارز - فاس، بجامعة سيدي محمد بن عبد الله.

إنها المغامرة التي تُنسيها لذّة الكشف، ولحظات الذوق، إذ استحال البحث تجربةً سياحيةً ممتعة في روضة غناء، ريثما بعقب الأصالة يَضُوع، ويكاد الباحث السابح في أمواجه يَضِيع، ولذا فإن أسباب اختيار الموضوع كثيرة أهمها:

- (1) أن هذا التراث الأدبي ظل رديحاً من الزمان، ينتظر من يُخرجه من بين الرمال الصحراوية إلى المكتبات الأدبية، بمنهج علمي رصين.
 - (2) سدُّ ثغرةٍ من ثغرات تاريخ الشعر العربي، من جانب، ووصل هذا المتن الشعري بمنبعه الأصلي الذي هو الأدب العربي عموماً من جهة أخرى.
 - (3) مجال الشعر العربي عند الطوارق مجالٌ بكثُر، فهو فرصة ثمينة للإبداع، والابتكار.
 - (4) أرى أن الموضوع يعتبر مشروعاً استراتيجياً للبحث، فهو يفتح آفاق أبحاث أخرى يؤسس لها، ويدعو إليها بالتحاح.
- وتفاديا للضياع في متاهات البحث ، ومغاراته أصبح لزاماً أن أحدد موضوع الدراسة من سائر الأطراف:
- أ. من حيث الزمان:
- تاريخ الثقافة العربية الإسلامية عند الطوارق ممتد من وصول الإسلام إلى الصحراء الكبرى مع عقبة بن نافع، مروراً بالممالك الإسلامية كالمرابطين إلى اليوم، أما حدود بحثي الزمانية فأقل من ذلك، لأنه يبدأ من القرن الثاني عشر الهجري إلى الخامس عشر،¹
- (1100 هـ - 1438 هـ الموافق 1679 - 2017م).

¹ مستنبت من أرجوزة لأنلبش يرثي بها أحد أقاربه من المشايخ، وذكر فيها تاريخ وفاته سنة 1113هـ، وهو ما ترمز إليه كلمة "شقيج" في قوله :

"شَقِيْجٌ" في قوله:

سَنَّةٌ "شَقِيْجٌ" مضتْ مِنْ هِجْرَةٍ وعاشَ "جَمٌ" سنةً في السَّنَةِ

ب. من حيث المكان:

الطوارق موزعون كما هو معروف بين الدول الآتية: (مالي/ النيجر/ الجزائر/ ليبيا/ بوركينا فاسو)¹، والأطروحة تشتغل حصراً على (طوارق مالي) الذين يقطنون "الشمال"، ذلك الإقليم المتنازع عليه بين الحكومة المالية، والانفصاليين الطوارق منذ الاستقلال إلى اليوم، ويدعى "أزواد"، وهذا الإقليم بحد ذاته واسع، يمتدُّ عبر ثلاث ولايات كبرى: (غاو/ كيدال/ تمبكتو)، والبحث معنيّ ب(ولاية غاو) فقط، لأنها أكبر سائر الولايات من حيث التراث، وخاصة الشعر كمّاً، وكيفاً، وفيها تسكن غالبية القبائل الطارقية المهمة بالثقافة العربية الإسلامية، لدرجة أن أغلبها تنتمي للعرب فيما تقول عرقاً، وإن كانت من الطوارق ثقافةً، ولغةً.

ج. من جهة الشعراء:

ليس بوسع الأطروحة أن تتناول جميع الشعراء من الطوارق، إذ توجد عدة تجمعات قبلية²، في صحراء الطوارق لكل تجمع قبلي ديوان شعري عظيم مستقل، أهم تلك التجمعات: (كَلْ اسُوكْ / الكُنْتَهْ / كَلْ انْصَرْ / إَجْلَادْ)، واقتصر البحث على شعر (كَلْ اسُوكْ)، لأنهم باعتراف الجميع يعتبرون مُودَجاً رائعاً إن لم يكون هو الأروع، في قرض الشعر، وفي سائر العلوم العربية، فتقدّمهم في هذا المجال يشهد به أقرانهم من القبائل المذكورة، التي تشاركهم في التخصص، هذا أحد كبار علماء، وشعراء كَلْ انْصَرْ يحيل مخاطبيه من "الكنته" إلى ب(بني أَكْلُو) وهم فرع كبير من فروع السوكيين³،:

رَضِينَا أَنْ تَكُونَ "بنو أَكْلُو" شُهوداً في الحُصومةِ عادِلينا

¹ انظر: كتاب الطوارق الشعب والقضية، هاشم الألوسي، ص 30

² قلت: "تجمعات قبلية" لأن كل تجمع يحتوي على قبائل فرعية، كما سنرى عند الحديث حول "تجمع كل أسوك"

³ الشعر الأنصاري، أحمد الأنصاري، وصديق الأنصاري، ص 412

رضينا أن تكون بُؤ أكلو قضاة في البرية حاكمينَا

.....

جَهَابَةٌ أَسَانَدَةٌ ثِقَاةٌ وَأَثْبَاتٌ أَحَادِثٌ يَحْفَظُونَا

أما شيخ الكنتين سيدي مُحَمَّد بن الشيخ الكبير فيقول في قصيدة طويلة يمدحهم بها:

جزى الله (أَهْلَ السُّوقِ) عَنَّا بِفَضْلِهِ فَمَا حَسَدُوا فَضْلًا وَلَا نَطَقُوا هُجْرًا
فإنَّهُمْ ذَاقُوا عَسِيلَةَ عِلْمِهِمْ فَأَوْرَثَهُمْ فَضْلًا وَأَعَقَبَهُمْ ذُخْرًا
يَضْمُون عِلْمَ الْغَيْرِ عَقُّوا لِعِلْمِهِمْ فَفَازُوا بِقَصَبِ السَّبْقِ وَاسْتَحْدَثُوا فُحْرًا

وبما أن (كَلَّ اسُوك) مِنْ أئمة الشعر في المنطقة، نوعاً، وعدداً، ولتاريخ شعرهم ثلاث مراحل ستوضحها الدراسة، اختصرت الأطروحة من ناحية "الجمع" على المرحلتين الأوليين، ووقع الاختيار على (22) اثنين وعشرين شاعراً، (4) منهم للمرحلة الأولى، والبقية للثانية، وجمع الباحث لهم زهاء 3234 بيتاً، لتسعين قصيدة، معترفاً بأنه لم يحص لهؤلاء كل شعرهم، فهم ما بين مُكثِرٍ تم اختيار النماذج اللامعة من شعره، ومُقلٍ ذَكِرَ له شعره الذي وجده الباحث كاملاً، فعلى هؤلاء جرت الدراسة من خلال الخطة التالية.

ب . خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، ومدخل، وثلاثة أبواب تحت كل باب فصلان، ثم الخاتمة، والفهارس، وتفصيل ذلك ما يلي:

يتناول المدخل بإيجاز (علاقة الطوارق بالثقافة العربية الإسلامية)، فيعطي أولاً لمحة سيرة عن "الطوارق"، ويشرح ثانياً تفاعل الطوارق إيجابياً مع "التراث العربي الإسلامي"، بذكر نماذج مقتضبة.

ويتحدث الباب الأول عن (كلُّ أسوْكٍ والشعر العربي)، من خلال فصلين، يقدم الفصل الأول (نبذة تعريفية بالمجتمع السوكي)، من "الامتداد التاريخي"، و"التنوع القبلي"، إلى "الحياة العلمية، ثم يلقي الفصل الثاني (نظرة تاريخية إلى الشعر العربي عندهم)، كي يرصد بمباحثه الثلاثة "المراحل التاريخية" التي مر بها هذا الشعر، والمؤثرات، والاتجاهات الفنية، مع "قضية التدوين"، وسؤال النقد، ويختم بالإشارة إلى "علاقة الشعر السوكي بحركة الأدب العربي".

أما الباب الثاني المعنون ب (الشعر العربي السوكي: دراسة تحليلية) فيحلل المتن الشعري العربي لدى السوكيين، ويقف فصله الأول متأنياً على (القيم الفنية)، بدءاً ب "المعجم الشعري"، و"حضور التراث العربي الإسلامي"، مروراً ب "الصورة الشعرية"، ودلالاتها، إلى "الجانب الموسيقي"، بينما يتطرق الفصل الثاني إلى (المضامين الشعرية)، إحصاءً وعرضاً، وتحليلاً، مع الاختصار على المرحلتين الأوليين، يعرض الأغراض الشعرية المركزية كالإخوانيات، والمدح، والمديح، والثناء والفخر ... إلخ، والموضوعات الثانوية التي ترد على شكل مقطع في قصيدة طويلة، كالوصف، والغزل، وينتهي الفصل بمبحث "المنظومات العلمية" عند كلِّ أسوْكٍ.

وبعد ما تمَّت الدراسة بجانبها التاريخي، والتحليلي، جاء الباب الثالث ليسرد (المتن المختار) محققاً، مرتباً حسب الأعلام، ترتيباً أبجدياً، مقسماً قسمين يتضمن الأول شعر المرحلة الأولى، ويحتوي الثاني على شعر الثانية.

وتأتي (الخاتمة) بعرض النتائج، والتوصيات، ثم يكتمل العمل بوضع (الفهارس الفنية) للأعلام، والقصائد، والمصادر، والموضوعات.

ج . أعمال سابقة حول الشعر العربي عند الطوارق في شمال مالي/ إقليم أزواد:

حركة الشعر العربي في المنطقة للأسف لم تصاحبها الحركة النقدية¹، وقد ظل ذلك التراث الشعري مهملاً، مشتتاً كشتات أهله بين القرى في الخيام، ولم يفلح بباحث يُخلصه من التلف، ويبرزه للقراء، بطريقة منهجية علمية، ورؤية نقدية، تسهم في تطويره، والدفع به إلى الأمام، فلا توجد أية "دراسة نقدية" لهذا المتن الشعري، والأعمال القليلة المنجزة لا تستهدف سوى "الجمع"، وهو جمعٌ بحد ذاته يفتقر إلى كثيرٍ من المراجعة، والتصحيح، خاصة المتعلق بشعر "السوكيين".

إن كل المحاولات السابقة التي تناولت التراث الشعري بنية الجمع والدراسة في المنطقة . حسب علمي . لا تتعدى أربعة أعمال²، اثنان في شعر كل أسوك، والآخران في شعر غيرهم:

¹ سيتم توضيح هذه النقطة في مكانها المناسب بالباب الأول.

² هناك أعمال تتعلق بشيخ أو شاعر واحد في المنطقة، ويجمع بينها جميعاً كونها مخطوطة، لم تر النور بعد منها:

- ✓ التبر التالذ في مناقب الشيخ الوالد، للشيخ الخضر حمادو
 - ✓ ترجمة الشيخ إنلبش، للشيخ المبارك محمد
 - ✓ الإمتاع والإبهاج في ترجمة الشيخ العلامة الحاج، لنجله أحمد محمد.
 - ✓ الشاعر النسقي قراءة وتحقيق لديوان الشاعر محبو يوسف، محمد أغ محمد، رسالة مقدمة لنيل درجة الماستر في شعبة اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرارز - فاس، عام 2012م.
 - ✓ ديوان أحمد الإمام محمد إكنن، لعلي سليمان، بحث لنيل درجة الماستر في الأدب العربي، الجامعة الإسلامية بالنيجر، عام 2016م.
 - ✓ ديوان الشيخ عبد القادر، أحمد الفهري، بحث لنيل درجة الماستر في الأدب العربي، الجامعة الإسلامية بالنيجر، عام 2016م.
- وفي مرحلة المتريز أنجز العديد من الطلاب السوكيين بحوث تخرج تمرينية حول المواضيع المتعلقة بالشعر العربي السوكي.

أ. في شعر غير السوكيين من الطوارق:

نجد كتابين في هذه الفئة، أحدهما حول الديوان الكنتي، والثاني يتعلق بشعر "كل أنصر":

1. ديوان الصحراء . المدرسة الكُنتِيَّة جمع وتحقيق وتقديم يحيى ولد سيد أحمد*:

وهذا الكتاب طبع 2009م بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية، ويستهدف صاحبه كما في العنوان جمع الشعر الكنتي، أو المدرسة الكنتية كما يسميها!، ويذكر في المقدمة أنه جمع أكثر من 7 آلاف بيت لأكثر من 100 شاعر، وقسمه على بابين، وعَنَوْنَ للباب الأول ب"البيئة الكنتية"، وللثاني ب"القصائد والمقطعات"، ورتب الشعر حسب الأغراض¹.

وفي تقديم الباحث لكتابه كما في المتن المجموع تتراكم عدة ملاحظات منهجية أهمها:

(1) التقديم . إجمالاً . باهتٌ جداً من حيث الكمّ فضلاً عن الكيف، فالمتن الذي غطّى مساحة أكثر من 500 صفحة، لأكثر من 100 شاعر لا يتجاوز التقديم له (45) صفحة، بما في ذلك تراجم الأعلام!²

(2) لم يوضّح الباحث مقصوده فنياً، ومعرفياً ب"المدرسة"!، في قوله "المدرسة الكنتية"، فهو يعني بها (شعر الكنتيين، أو شعراءهم)، مما يسجل عليه ملاحظة أخرى، وهو ذكره لشعراء غير كنتيين، من السوكيين، وبقية الطوارق، وحتى الفلانيين³.

* هذا الكتاب ذكرته ضمن الدراسات حول الشعر العربي عند الطوارق، وإن كان موضوعه متعلقاً بقبيلة عربية، ذلك لأمر عديده منها:

- ارتباطه المكاني والزمني بمجال بحثي، فهو كما في العنوان جزء من ديوان الصحراء.
- كون الكنتية محسوبين ثقافياً، وسياسياً في الطوارق، فهم من أئمة ومشايخ الطوارق.
- أن الكتاب نفسه يتناول عدداً من شعراء الطوارق، و"كل أسوك" خاصة، انظر الصفحات: 114، 115، 127، 140.....

¹ انظر: ديوان الصحراء المدرس الكنتية، جمع وتحقيق وتقديم يحيى ولد سيدي أحمد، ص 19

² ينظر من الصفحة من 87 إلى 143

³ انظر الصفحات : 140، 127، ج 1، 51، 138، 193 .

(3) أغرب مثال على ذلك حديثه عن الأغراض الشعرية لما يسميه المؤلف بـ "المدرسة الكُنتِيَّة"، فيمثل لغرض الرثاء، الذي يصفه بغلبة الصنعة، والبديع، بثلاثة شعراء من "كل أسوك" كمحمدو يوسف، وحمداً محمد حادي السوكي، وآخر يغلط في اسمه يسميه فقط "مهامه السوقي"¹، والصحيح أن قائل تلك الأبيات التي أوردها هو أحمد موسى السوكي².

(4) كان حديثه عن هذه الأغراض فقيراً جداً، فهو لم يعرف بها، لا من مصادرها الأدبية، ولا من خارجها!، ولم يشير إلى أية خصوصية للقوم، ولم يتجاوز في التعليق أن يشير إلى أن الغرض الفلاني مما قالوا فيه الشعر، ويمثل بيت أو بيتين.

(5) أما الملامح الفنية فقد أجملها في سبعة عناوين عامة، في صفحة واحدة دون أدنى شرح، وبدون أي مثال³!

(6) كما يُجمل ما يدعوه بـ "الاتجاهات الشعرية" في ثلاث اتجاهات يسمي الأول والثاني بأسماء قبلية!: (المدرسة الرقادية/ المدرسة المختارية)، ثم يصف الاتجاه الثالث بـ (مدرسة بين المدرستين)، ويتحدث عن كل هذه الاتجاهات في صفحة واحدة!، دون تقديم ولو مثال واحد⁴

(7) على أنه في قسم المتن المجموع لم يلتزم في الترتيب بأي معيار منهجي، سوى سرد القصائد تحت الأغراض، فلا يهتم بالترتيب الأبجدي للقصائد داخل الفصل، بل إنه لا يرتب القصائد في الفصل ولو لشاعر واحد ففي الفصل الأول (الشعر الصوفي) نرى أول قصيدة للشيخ سدي المختار الكبير ورويتها "دال"، ويتبعها بقصيدة لسدي علي بن سيد الحاج الرقادي، التي رويتها "الفاء"، ثم يعود

¹ انظر الصفحة 99، ج 1

² انظر: المدارس الأدبية في صحراء الطوارق، محمد أحمد الخرجي، ص 210

³ ديوان الصحراء - المدرسة الكنتية - يحيى ولد سيدي احمد، ص 105، ج 1 !

⁴ انظر المرجع السابق : ص 106، ج 1

ليلحقها بقصيدة أخرى للشيخ سيدي المختار الكبير!¹، وكذلك يفعل مع قصائد سيدي محمد الخليفة في نفس الفصل، يفرق بينها بقصائد شاعر آخر! مما يظهر أن المؤلف لا يحترم أي ترتيب .

هذا عن الكتاب الجامع للشعر الكنتي، فلنتقل إلى العمل الثاني، الذي لا يقل عنه في الهنات، إن لم يكن أكثر.

2. الشعر الأنصاري وتاريخه في مراحل الثلاث، لمؤلفيه: أحمد الأنصاري، وصديق الأنصاري:

اشترك في تأليف الكتاب شابان من شباب "كل أنصر" بالسعودية، وطبع بالرياض في نفس الفترة التي نشر فيها الكتاب السابق عام 2008م

يقصد المؤلفان بالمراحل الثلاث كما شرحوها "مرحلة غرناطة"، و"تمكبتو"، و"الهجرة إلى بلاد الحجاز"، وأطنبا في ذكر الجوانب التاريخية، والاجتماعية، والسياسية أكثر من الدراسة النقدية بكثير، وهما يكتبان على الغلاف الثاني بعد العنوان الطويل كلمتي (جمع ودراسة)، والقراءة الخاطفة لعملهما تسجل الملاحظات التالية²:

تبدأ الإشكالات بالعنوان، حيث إن "الأنصار" مسمى تاريخي عظيم، يبدأ من الأوس، والخزرج إلى الأنصار المنتشرين في بقاع الدنيا، وفي تسمية "شعر كل أنصر" في مالي بهذا الاسم مجازفة كبيرة، فضلا عن الربط التعسفي بين هذه القبيلة في تمكبتو - شمال مالي - وبين "بني نصر" في غرناطة!! دون سرد المحطات التاريخية التي مر بها هؤلاء حتى وصلوا "الصحراء الكبرى".

¹ انظر الصفحات: 147، 150، 151، ج 1

² أخبرني أحد مشايخ "كل أنصر" الموثوق برجاحة عقلهم، وقوة اطلاعهم الشيخ محمد أكتي المجنس بالجنسية المغربية، أخبرني عن استيائه من هذا الكتاب، وما يحويه من مغالطات تاريخية، وإشكالات معرفية، وقال: (سمع بأن مؤلفيه تراجعوا عن القسم الأول فيه، ويستعدان لإعداد نسخة جديدة، منقحة، ملخصة) وكان حديثنا بتاريخ 2017/05/02 م مساء في بيته بالصخيرات - المغرب. ويبدو أن تلك الطبعة لم تخرج بعد.

لذلك كان القسم الأول من الكتاب منفصلاً عن البقية، بدون روابط، فلننتقل إلى القسم الثاني المتعلق بـ "تمبكتو"، وهو قسمٌ عدة مآخذ منهجية:

أولاً: الدراسة الفنية:

يعالج الكاتبان هذا الموضوع عبر مستويين: الخصائص اللفظية، والخصائص المعنوية، ونلاحظ في محور "الخصائص اللفظية" ما يلي:

- (1) ذكر خاصية دون أي استشهاد لها، كالخاصية الأولى "الفصاحة والجزالة"¹.
- (2) بعدها ترد سمة ثالثة يصعب ربطها باللفظ، وعنوانها "التأثير بموضوع النص"²
- (3) وبهاتين الخاصيتين مع ما يسميه الكتاب "التأثير بألفاظ التراث الإسلامي"، ينتهي المحور الأول من الدراسة، في حدود ورقتين! لنتقل إلى "الخصائص المعنوية"، ونصطدم بالآتي:
- (4) ذكر سمات غريبة عن المعنى، وهي: (القصص السردية)³، و (الصور البيانية)!.⁴
- (5) إن الأدهى والأمرُّ هو كيفية تناول "الصور البيانية"، بغض النظر عن كونها راجعة إلى "اللفظ أو المعنى"، أو مستقلة، وبغض النظر عن تقديم أي تصور، أو تنظير للصورة، والتصوير، فإن الإشكال يأتي في التطبيق، لنقرأ هذا التحليل للنموذج الثاني:

يُطَلِّفُهُ الْأَسَى طَوْرًا فَطَوْرًا يُمَارِجُ مِنْ ثَلَاثَتِهِ الْعِظَامَا

¹ انظر: الشعر الأنصاري وتاريخه في مراحل الثلاث، أحمد الأنصاري، وصديق الأنصاري، ص 338

² المصدر السابق، ص 340

³ المرجع السابق، ص 345

يقول الكاتبان: (كما شبه في الشطر الثاني الحزن الذي يعاوده بعض الأحيان فتتأثر به نفسه بالإنسان الذي يمزج بين شيئين، والجامع هو الهيئة الحاصلة من تلبس شيء بشيء آخر، وذلك على سبيل تناسي التشبيه، والمجاز بالاستعارة)¹!!!

فهذا الكلام لا يوضح للقارئ أية صورة، ولا يقدم أي تحليل بياني، معرفي، مؤسس على قواعد البلاغة المعروفة، ولكن سوء التطبيق لأدوات التشبيه سيأتي في النموذج الثاني:

والبرْدُ آبٌ لنا بُرْدًا فليسَ لنا
دَوْنَ السماءِ ستورَ الغَيِّمِ نَسْتَتِرُ*

يقولان عفا الله عنهما: (في البيت السابق ثلاث استعارات وكناية، فقد تصور الشاعر البرد إنساناً له تصرف على سبيل تناسي التشبيه، والقرينة قوله: "آب" ... وفي قوله: "آب" ايضاً استعارة حيث شبه البرد ولأوائه المانع من نفع أي لباس بـ "الإباء"، وهو المنع الذي يكون من البشر في العادة، وذلك بجامع عدم اجتلاب النفع من الطرفين على سبيل المجاز بالاستعارة)².

في هذا الكلام الغامض مأخذان، أولهما أن الكاتب أجرى الاستعارة في "قرينتها" (آب)، والمعلوم أن الاستعارة المكنية دوماً يحتمل إجراء الاستعارة التبعية في قرينتها، لكن يجب على المحلل اتباع استعارة واحدة، فعندما تكون مكنية فاللفظة الأخرى تكون قرينة، والعكس، فلا يمكن اعتبارهما معاً استعارتين³! والواقع أن المؤلفين لا يشيران من بعيد أو قريب إلى أنواع الاستعارة في تحليلهما، والمأخذ الثاني لغوي فالكاتب توهم أن "آب" هي "أبي إباء" التي بمعنى المنع، بينما هي "آب إياباً" بمعنى "رجع"، أو صار.

¹المرجع السابق، ص 350

* ضبط الأبيات بالشكل مني، فالباحثان لا يقومان بذلك على طول الدراسة.

²المرجع السابق، ص 351

³أنظر: جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص 280

وهكذا تنتهي الدراسة الفنية" في الكتاب، ولا تتجاوز ستة عشر ورقة، مهمة للجوانب المهمة الأخرى، ولا تعطىها حتى الإيجاء الخاطف كالموسيقى، والأوزان، والقوافي.

ثانيا: سرد المتن:

(1) لم يذكر من معايير الترتيب غير الإشارة إلى إيراد الشعراء حسب الأسبقية التاريخية،¹ أما القصائد فتوضع للشاعر دون أي اعتبار، إذ وردت أولى قصيدة للشاعر الأول الشيخ هَمَّ مُحَمَّد الطاهر الأنصاري، وهي دالية: (ما زال طعن الكماة السادة الصيد)، وروي الثانية له "ياء"²، لتليها قصيدة أخرى "لامية": (لاحت لرياً بسفح الطود أطلال....)³.

(2) من غرائب هذا القسم عدم اعتماد تقويم زمني واحد، ف الشاعر الاول "هَمَّ"، يصفه الكتاب بأنه (من القرن الثالث عشر الهجري)⁴، أما الشيخ الثاني (ففي العقد الأول من القرن العشرين الميلادي)⁵! بينما نجد تاريخاً طريفاً لوفاة شاعر آخر هو مُحَمَّد الطاهر الملقب "حماتاً": (تاريخ وفاته مزامن لقيام الحرب العالمية الثانية)⁶!

(3) ويظهر عدم اتباع أية منهجية - ولو كانت من المعلن عنها - في أن الكتاب صرح سابقاً بترتيب الشعراء حسب الأسبقية التاريخية، ولكن نرى الشيخ مُحَمَّد المختار حَوِّد الأنصاري المتوفى حسب الباحثين سنة 1402هـ⁷، يسبق في الباب كثيراً الشيخ عبد الله بن حودتي الأنصاري، المتوفى سنة 1380هـ⁸

¹الشعر الأنصاري، أحمد الأنصاري، صديق الأنصاري، ص 353

²المرجع السابق، ص 360، 361

³المرجع السابق، ص 363

⁴المرجع السابق، ص 356

⁵المرجع السابق، 368

⁶المرجع السابق، ص 423

⁷المرجع السابق، 386

⁸المرجع السابق، ص 427

4) أما أزمة التعامل مع المصادر، ومسألة التوثيق فلا نطيل فيهما، فتكفي الإشارة إلى عدم ذكر بيانات الكتب، والاقتصار على العنوان، والمؤلف حتى في سرد قائمة المصادر والمراجع¹، والأشد من ذلك دمج القرآن الكريم وسط المراجع حتى أخذ رقم "55"² !.

إن العاملين المذكورين هما الوحيدان حول الشعر العربي الذي أبدعه غير السوكيين في صحراء الطوارق، ولم أسمع بغيرهما، فما ذا عن العاملين الآخرين المتعلقين أساساً بـ "كل أسوك"؟

ب. حول شعر السوكيين:

لا وجود لأي عملٍ حاول تناول الشعر العربي السوكي بشكلٍ عام غير هذين الكتابين:

- ترغيب المشوق في ذكر أشعار آل السوق، للشيخ زين الدين الميمون.
- المدارس الأدبية في صحراء الطوارق، لمحمد أحمد الخرجي.

1. ترغيب المشوق في ذكر أشعار آل السوق، للشيخ زين الدين محمد الصالح:

هذا الكتاب أول جهد في محاولة جمع الشعر السوكي، وما زال مخطوطاً، بالخط المغربي السوكي، وتوفي مؤلفه عام 2002م عن عمر يناهز مائة سنة!، (وكان الشيخ جامع هذا الديوان قد اطلع على كتاب "الوسيط في أدباء شنقيط"، فراودته فكرة مقابلته بديوان يطلع القراء على جزء من الشعر السوقي الذي طمرت منه رمال الصحراء درراً)³.

همُّ المؤلف إذن جمع ديوان السوكيين، وإن اعترف في مقدمته المختصرة بعدم استقصائه لمجمل الشعر، والشعراء، قائلاً: (ولكن ما لا يُدرَكُ كلُّه، لا يُتركُ كلُّه، وسميَّته "ترغيب

¹المرجع السابق، ص 799

²انظر الصفحة 801

³هذه العبارة مكتوبة على غلاف النسخة الخاصة بي من الكتاب، ولست أدري هل هي من المؤلف، أو من الناسخ.

المشوق في ذكر أشعار آل السُّوق¹، ورَتَّبَهُ على مقدمة، وثلاثة أبواب، وخاتمة، أما المقدمة فقد تَضَمَّنَتْ حكم الشعر، وإنشائه، والباب الأول في ذكر شعراء "كُلْ تَبَوَّرَقْ"، والثاني في ذكر أشعار "كُلْ تَحَلَّلْتُ"، والثالث في ذكر أشعار "كُلْ تَكَيَّرْتُ"، وأفراد القبائل من السوقيين، وغيرهم¹.

وقد بذل الشيخ جهداً مشكوراً فيما خطَّطَ له، من جمع أشعار هؤلاء في ديوان واحد، وأورد أكثر من 25 شاعراً، وقراءة 6000 آلاف بيت، فهي مدوَّنة شعرية غزيرة، ولكن يلاحظ عليه التالي:

2. ترتيب الشعراء في الكتاب غير منهجي، فليس ترتيباً تاريخياً، ولا أبجدياً، ولعلَّه يرتبهم حسب مكانتهم الاجتماعية، فقد بدأ الديوان بالشيخ "حمَّادو مُحمَّدو، فنجله الشيخ الحَضِرُ، ثم نجل الشيخ الحَضِرُ ... بينما ذَكَرَ أَحْمَدُ الإمام، الذي كان قبلهم بقرْنٍ أو يزيد بعد صفحة 159!

3. قَسَمَ الكتاب من خلال أبوابه الثلاثة تقسيماً قليلاً، ومن أجل تقييده لنفسه بإعلان اقتصاره على "ثلاث قبائل سوكية"، فقد اضطر لذكر شعراء آخرين تحت قبائل ليست لهم، مثل إيرادهِ للشيخ مُحمَّدُ إِنْلَبُشُ ضِمْنَ "باب قبيلة كُلْ تَبَوَّرَقْ"، وهو جدُّ قبيلة أخرى تسمَّى "كُلْ اسْكَنْ"²، وبين شعراء "كُلْ تَحَلَّلْتُ" ورد ذكر الشيخ مُحمَّدُ بن دَانِيَالُ، وأحمد بن مُحمَّدُ هارونَ، وهما من "إجدش"، أبناء عمومة إِنْلَبُشُ المذكور.³

4. تحتاج النصوص الواردة فيه إلى ضبط الشكل، وشرح الغريب.

5. الكتاب مفتقر إلى الفهارس بأكملها.

¹ترغيب المشوق في ذكر أشعار آل السوق، زين الدين محمد الصالح، الأنصاري، السوكي، ص 1 (مخطوط) بحوزة الباحث.

²انظر: صفحة 221 من الكتاب، ج 1

³انظر الصفحة 360 آخر قصائد الشاعر مُضَلِّ الكرمانى، يليه محمد دانيال في صفحة 365، ثم يرجع لعبد القادر مثالي صفحة 379، كي يعود بعد ذلك للشاعر سيبويه صفحة 382

مما يعني أنه كي يخرج إلى النور، لا بد له من خدمة ثانية، تنوب مناب التحقيق.

• المدارس الأدبية في صحراء الطوارق، لمحمد أحمد الخرجي.

هو الكتاب الوحيد المطبوع حول الشعر العربي السوكي، وقد طبع في الأردن عام 2010م على نفقة مؤلفه المقيم في السعودية، وقد تحدث بالإطنا ب عن السوكيين جغرافيا، واجتماعيا، وعلميا، خاتما بتعريف كل قبيلة على حدة في مبحث مستقل، وبعد سرد سائر القبائل "السوكية" ألحق بها "الكنته"، و"إجلاد"، و"كل انتصر"، ثم تناول ما أسماه "الحركة الأدبية" عند القوم، فعرض "الخصائص الفنية"، التي لا يحددها المؤلف تقريبا بغير الإشارة إلى "محاكاة النموذج الشعري القديم"، مثلها في ذلك "الأغراض الشعرية"، التي يسردها غرضاً، غرضاً، قبل أن ينهي كتابه ب"النثر الفني"، فيعترف بقلته، ولكن يلاحظ حضوراً مهماً ل"فن الرسائل"، و"الخطب".

لقد حاول المؤلف حقاً كما قال أن يقوم: (بانتقاء نتف من عيون شعرهم واختيار قطع في أغراض محددة، قصدي منها: التعريف بجهود أدباء صحراء التوارق، وبعث أدبهم من مرقده، ونفض الغبار عن أديمه، وضخ روح جديدة فيه، وأنه لم يتخلف يوما عن القافلة الإبداعية، ولم يتردد في اللجوء بركب الأدباء والشعراء في الوطن العربي..... من هنا كان لزاما علينا تسليط الأضواء على ما تمثله مدارس السوقيين التي قامت في كل من (تادمكة) و(تين بكتو) من القدرة على استيعاب جزء عظيم من الحضارة الإسلامية)¹.

هذا النص هو ملخص خطة الكتاب، ومنهجه، وأهدافه، ورؤيته، ويبدو أنها محاولة أملت بها الرغبة العاطفية. لا "النقدية". في تسليط الأضواء على بعض جهود أدباء الصحراء، شمال مالي/ أزواد، و تبدأ الملاحظات من هذه الأهداف والمقاصد المعلنة، حيث إن المؤلف حدّد هدفا لم يحققه، ولا يطبق تحقيقه، وهو إثبات أن الأدب الصحراوي (لم يتخلف يوما

¹ المدارس الأدبية في صحراء التوارق، محمد أحمد الإدريسي السوكي، ص 8

عن القافلة الإبداعية، ولم يتردد في اللحوق بركب الأدباء والشعراء في الوطن العربي)، ففي هذا مبالغة كبيرة جداً، لأن الشعر الذي يتحدث عنه منقطع انقطاعاً كلياً عن ركب الشعراء في الوطن العربي المعاصر، وليس ذلك عيباً في الطوارق، بل لأن الأدب كما يقولون: "ابن بيئته"، و"انعكاس للواقع الاجتماعي"¹، ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمتلقي²، فهو ينتج حسب تطلعات، وآفاق المتلقي، المستهلك، كما ستوضحه الأطروحة بالتفصيل، لا حقاً.

إن هذا الكتاب مع المجهود البارز الذي قام به مؤلفه يعاني من عدة إشكالات، بعضها تتعلق بمنهجية البحث، وأخرى بالجانب التحليلي نفسه، إلى إشكالية مفاهيم، ومصطلحات، نلخص عرضها في التالي:

أ. منهجية البحث:

على مستوى منهجية البحث تعثر الكتاب في أكثر من ناحية، وتارة تكون العثرة مما لا يغتفر:

1. تبدأ الإشكالات من العنوان: (المدارس الأدبية في صحراء الطوارق)، فالكتاب حقيقة حول تاريخ "كل أسوك"، من جميع النواحي، ثم عرض مناهجهم التعليمية، وإلقاء الضوء على أدبهم المنظوم، والمنثور، لذلك اضطر المؤلف إلى ارتكاب خطأ منهجي آخر:

2. هو ذكر "مدارس كُنتة"، و"كل أنصر"، و"إجلاد" ضمن الفصل الذي عنوانه: (المدارس السوقية في الجهة الغربية)³، وهنا ملاحظتان أولاهما أن هذه القبائل ليست "سوكية"، والثانية أنها ليست في الجهة الغربية وحدها، بل في الشرق، والغرب معاً، خصوصاً "الكنتين" الذي توجد غالبيتهم شرق الإقليم⁴.

¹ انظر: النقد الثقافي، عبد الله الغزامي، ص 78

² للتفصيل ينظر: قراءة النص وجمالية التلقي، محمود عباس عبد الواحد، ص 6، وص 53

³ انظر: المدارس الأدبية في صحراء الطوارق، محمد أحمد الخرجي، ص 95، و 136، 149

⁴ انظر مواقع تواجد الكنتيين من كتاب: المختار الشيخ الكبير- التصوف والعلم بأزواد، للدكتور أحمد الحمدي ص 81

3. تقسيم الأبواب، والفصول، والمباحث لم ينطلق من أي معيار منهجي، فالباب الأول (المجتمع السوكي) يتكون من "خمس فصول"، والفصل الأول تحته خمسة مباحث، بينما بقية الفصول الأربعة لا مباحث لها¹، وأغلبها أقل حجماً من أي مبحث! والغريب أن (الباب الثالث : أسماء المدارس)² يتكون من فصلين، للفصل الثاني وحده أربعة وعشرون مبحثاً!!، وهي مباحث تحتفي نهائياً في (الباب الرابع : المناهج التعليمية)، إذ يتكون من ستة فصول لا مباحث لها إطلاقاً³ !

4. توزيع عناوين المباحث تارة غير مفهوم، مثل مباحث الفصل الأول من الباب الرابع: وفي الفصل الأول من هذا الباب المتحدث عن (الخصائص الفنية)، نجد المبحث الأول بعنوان: (الطابع البدوي) والثاني: (أهم الأغراض الشعرية)، والثالث: (النقائض)، والرابع: (الشعر العلمي)، والخامس: (الشعر التعليمي) !!! فالمباحث الثلاثة الأخيرة لا أظنها تنفصل عن مضمون المبحث الثاني.

5. لم يرتّب القبائل في الكتاب أبجدياً، مما أوقعه في حرج من البعض، إذ ستم مساءلته هكذا: "لما ذا قدّمت هؤلاء، وأخرت هؤلاء!"

6. طغيانُ الأسلوب التبجيلي عكس العلمي، وهذا الأسلوب فرضَ عليه عدم التوازن بشكل كبير في التعامل مع القبائل، فالبعض يطنب في الثناء عليه كثيراً، وينضب معين شعره لدى الآخرين،⁴ الأمر الذي يمكن أن يتفاداه لو كان عرضه عرضاً علمياً، خالياً من أية عاطفية، شعرية.

¹ انظر : المدارس الأدبية، محمد أحمد الخرجي، ص من: 29 إلى 75

² المرجع السابق: ص 76 – 149

³ المرجع السابق: ص 155 – 176

⁴ انظر حديثه عن قبيلتي "إجدش" ص 71، و"فامبلجو" ص 101 ثم تناوله المختصر جداً لقبائل مثل: "كل ينقّسا"، ص ، 124 و"كل جنّشسي" ص 125

7. التعامل مع المصادر والمراجع هو المؤسف، فأحيانا يرد اسم الكتاب بدون المؤلف¹، وبقية البيانات، وتارة يقتصر على اسم الكتاب، والناشر دون المؤلف²، وفي قائمة المصادر والمراجع تمّ سرد الكتب بدون بيانات الطبع، والنشر، وبدون أي ترتيب³!
- 8.

ب. على مستوى الدراسة التحليلية :

هذا هو المحور الذي يهمنى كثيراً، لأنه المرتبط حقيقة بالأطروحة، وهو مستوى خصص له المؤلف باباً الرابع كاملاً، والباب مقسم إلى فصلين، ولا يعنينا كثيراً غير الفصل الأول الذي يتحدث عن الخصائص الفنية، والأغراض الشعرية.

1. الفصل الأول يلخص **الخصائص الفنية** للشعر السوكي في ثلاث محاور فقط، ليس منها ما يتعلق بـ "الألفاظ"، ولا "المعاني"، ولا "الصور البيانية"، فضلاً عن "الإيقاع" و"الأوزان والقوافي"، فالخصائص المذكورة في هذا الفصل عناوين عامة غير مترابطة كثيراً، هي: (محاكاة الشعر العربي القديم/ الإطار المكاني للسوكيين/ الطابع البدوي في الشعر السوكي)⁴ .!

2. يجب التنبيه إلى أن في مناقشته لهذه الخصائص إشكالاتٍ أخرى، كقوله وهو يدافع عن ظاهرة التقليد لدى السوكيين، ومعلقاً على الدعوة التجديدية للأدب: (يرون أن هذه الدعوات التي ظهرت تنادي بتجديد، وتحديث الشعر قد أظهرت فشلها، وكشفت عن وجهها المزيف)⁵، وكلام المؤلف هنا يثير تساؤلين أو تساؤلات: أحدهما متى، وكيف، وأين ظهرت دعوات تجديد الأدب لـ "كلّ أسوك"، حتى يكون لهم أي رأيٍ فيها معها، أو ضدها؟؟ أين تلك المجالات،

¹ على سبيل المثال انظر الهامش من الكتاب ص: 31، 32، 34، ،

² انظر الصفحات: 24، 48.

³ انظر المرجع السابق: 335

⁴ انظر المرجع السابق : ص 182 - 184

⁵ انظر المرجع السابق: ص 182

والكتابات، وأين المجددون السوكيون، والطوارق الذين حاولوا إيصال دعوة التحديث، والتجديد إلى تلك البيئة؟؟

والسؤال الثاني: كيف، ومتى ظهر لهم وجهها المزيف؟ ومن الذي حكم بالفشل على تلك الدعوات التي أصبحت أصلاً هي السائدة منذ مدرسة الإحياء البارودية، ومدرسة الديوان إلى اليوم؟ وإذا كان الأدب غير مُجَدِّدٍ، وغير خاضع لعملية التطوير وحده من الكائنات فكيف وصل الشعر العربي إلى ما وصل إليه اليوم لفظاً، ومعنىً، وخيلاً، وتصويراً أم أنه ما زال قديماً؟؟

إن مناقشة المصنف لهذه الظاهرة لم تكن مؤسسة فيما يبدو على أية منطلقات علمية، لهذا يناقض الرجل نفسه في ذات الصفحة، حين يقول قبل ذلك الدفاع المستميت عن ظاهرة التقليد في الصفحة نفسها: (ولا لوم على من قال: إن هذه الظاهرة حالت فعلاً دون استقلالية شعرائنا، حيث إن بعضهم لم يقدر على صياغة المعاني في قوالبهم الخاصة، أو يضربوا المعاني والخواطر الجاهلية القديمة في عملة سوقية صحراوية جديدة، وأدى ذلك إلى عجزه عن القيام ككيان أدبي قائم بذاته)، ولا ننسى أن عجز هذا الأدب عن القيام ككيان قائم بذاته، يتناقض مع المقدمة الشعرية السالفة، التي تؤكد عدم تخلفه عن قافلة الإبداع!

3. يستغرب القارئ من إدماج فقرة "الإطار المكاني للسوكيين" في هذا الفصل الذي يتحدث عن "الخصائص الفنية"، دون ربط هذا المحور بالفصل، ، ومحل هذا المحور في الباب الأول حيث الحديث عن المجتمع السوكي، وبعده يأتي "الطابع البدوي"¹ الذي سيناقش في صفحتين لا غير، وتنتهي الجوانب التي يظهر من

¹ انظر المرجع السابق: 184

الكتاب أنها المقصودة بـ "الخصائص الفنية" غير "المضمونية"، لأن بقية الفصل كله ستكون في "الأغراض الشعرية".

4. ولا يخلو طبعاً موضوع (الأغراض الشعرية) من ملاحظات عديدة أهمها:

. عدم تعريف تلك الأغراض الشعرية من مصادرها¹.

. بعض النقول المتفرقة هنا وهناك أحياناً في هذا المبحث غير موثقة².

. النصوص الشعرية الواردة في الباب غير مضبوطة بالشكل، ولم يشرح غريبها رغم

الحاجة الملحة إلى الشكل، والشرح.

5. ينتهي هذا الباب المخصص للحركة الأدبية دون الإشارة إلى أي نص خارج

أشعار "كُلُّ اسْوُكْ" على عكس ما يوحي به العنوان.

ج. إشكالية مفاهيم ومصطلحات:

نود أن نختم الحديث حول الكتاب بإشارة مقتضبة إلى أنه يحتوي على مصطلحات غريبة، وتحتاج إلى تأصيل، وتحقيق، قد يتكرر بعضها في ثنايا الكتاب، ومنها:

1. "المدرسة الأدبية": وهذه المفردة هي فاتحة الكتاب، وعنوانه، فهو يخترع من عند

نفسه هذا المصطلح باعترافه، فيقول: (قبل الحديث عن هذه المدارس لابد من بيان

أن المدرسة في اصطلاحنا تعني مؤسسة قبلية، ذات اهتمامات دينية وتعليمية)³.

فمن أين يطلق على "القبيلة" وصف "المدرسة"؟، وقارئ العنوان يتوقع أن يتم الحديث

عن اتجاهات فنية، وأدبية في صحراء الطوارق، فإذا به يفاجأ بـ "القبائل الطارقية"، موصوفة

بمركب "المدارس الأدبية"!

لم أر من وصف القبيلة بـ "المدرسة" غير المؤلف السابق يحيى ولد سيدي أحمد، في كتابه

المذكور، "ديوان الصحراء - المدرسة الكنتية"، ولست أدري هل أخذ الأخ / مُجَّد أحمد الخرجي

¹ انظر المرجع السابق: من ص 203 - 226

² انظر المرجع السابق: ص 180، 188، 214، 229

³ انظر المرجع السابق: ص 13

الفكرة من هذا الكتاب أم لا؟ ولا نعرف سوى أن "ديوان الصحراء" طبع قبل "المدارس الأدبية" بأكثر من سنة، لأن المؤلف الأخير لا يشير إلى الأول بتاتا.

2. "النهضة الأدبية عبر تاريخ الإسلام": يرد هذا المصطلح في سياق الهجوم على المؤلفات التاريخية التي أهملت الأدب العربي السوكي، فيقول: (ولا تهتم كثيرا بالنهضة الأدبية التي قادها أدباء وشعراء السوقين عبر تاريخ الإسلام في المنطقة)¹ !

في هذا الكلام نقطتان غريبتان، أولاهما تلك "النهضة الأدبية" التي قادها السوكيون، فما هي؟ وما ملامحها؟ والثانية كلمة "عبر تاريخ الإسلام"! فتاريخ الإسلام بالمنطقة قبل السوكيين، وشعرائهم كثيرا، وكثيرا.

3. "العافية": وردت كلمة "العافية" في سياق الحديث عما يسميه "الحركة الأدبية لدى السوكيين"، قائلا بعد الإشارة إلى اهتمامهم باللغة العربية: (وهذا يعكس مدى العافية التي يحظى بها الشعر السوقي)²، فكلية "العافية" هنا لا أستوعب دلالتها الأدبية!

4. "الشعر العلمي" و "الشعر التعليمي": في الكتاب بعد مبحث "الأغراض" مبحثان يحملان هذين العنوانين³، وأورد في الأول القصائد، والأراجيز التي تناقش بعض المسائل الفقهية، والعقدية، وفي الثاني ركز على المنظومات، وبغض النظر عن كون المبحثين منفصلين عن مبحث "الأغراض" الذي ينبغي أن يندجما فيه فإن القارئ لا يلمس أية فروق حقيقية لا من الكتاب، ولا من خارجه بين المصطلحين: (الشعر العلمي)، و(الشعر التعليمي)، ولما ذا جيء بالمصطلحين معا، ولا يغني أحدهما عن الآخر؟ وقد سعى المؤلف لتقديم الأدلة التي تجيز له أن يسمي "الرجز التعليمي" بالشعر، وكأنه أول من اخترع ذلك الاسم، يقول: (والثاني تلك الأراجيز التي نظم فيها السوقيون العلوم كغيرهم، ولكنهم ألبسوه من الألفاظ الزاهية ما يتسم برونق

¹ انظر المرجع السابق: ص 19

² انظر المرجع السابق: ص 180

³ انظر المرجع السابق: ص 272، 289

يجعلني أستجيز إطلاق اسم الشعر عليه بما له من معنى، وسميته الشعر التعليمي¹،
وكان الأستاذ نسي أن إدماج هذا النوع في قسم الشعر، وتسميته بـ "الشعر
التعليمي" ليست من فضيلته، بل أمر متعارف عليه من الجاحظ²، وابن قتيبة، إلى
مصطفى صادق الرافعي³، وشوقي ضيف⁴.

هذه المصطلحات تكفي دليلاً على حاجة الكتاب أيضاً إلى ضبط مصطلحاته،
ومفاهيمه، قبل اتباع منهجية البحث المتعارف عليها عالمياً، وقبل ممارسة التحليل النقدي
بأدوات معرفية واضحة، إلى آخر تلك التقاليد العلمية المتفق عليها لكتابة أي بحث، وهي
يفتقر إليها كتاب "المدارس الأدبية في صحراء الطوارق" على الشكل الذي أبرزته مناقشتي
المقتضبة.

إن عرض الدراسات السابقة مع المناقشة لم يكن استعراضاً، ولا قدحاً، ولا نسفاً لها، من
أجل غرض غير علمي، إنما هو أمر تفرضه المعرفة، وتستوجبه الرغبة الجامحة في خدمة هذا
التراث المنسي، كي نوضح كم كان محتاجاً إلى مشاريع بحث عديدة، تنفض عنه الغبار، برؤى
نقدية هادئة، ومنهجية علمية.

ولست معتقداً فيما سأكتبه الكمال، ولن يكون عملي سحراً يعالج كل الإشكالات
التي ينبغي أن تعالج، إن هو إلا عمل بشري، فردي، محاط بمحدود زمانية ضيقة، وفي ظروف
قاهرة، ولذا يكفي أن أقدم صورة عامة عن الشعر العربي لدى الطوارق ممثلة بما أبدعه شعراء
"كل أسوك"، راجياً أن يكون عملي مدخلاً أميناً إلى تلك البيئة الأدبية المجهولة، وفتحاً
للطريق أمامي أنا أولاً، وزملائي من الباحثين ثانياً لننجز أبحاثاً أخرى في الموضوع، وذلك
بتطبيق بعض المنهجيات العلمية السائدة حسب الطاقة.

¹ انظر المرجع السابق: ص 272

² أورد الجاحظ في كتابه الحيوان أرجوز بشر بن المعتمر، وعندما ينقل منها يقول: (قال بشر بن المعتمر في

شعره المزاج)، انظر: الحيوان: ص 155، ج 5

³ تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ص 116، ج 3

⁴ انظر: العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص 246 وما بعدها

وفيما مضى غنى عن سرد الصعوبات التي تكتنف هذا البحث، فمع انعدام الدراسات الأكاديمية حول الموضوع، يعاني الباحث من جمع المادة الشعرية¹ المشتتة بين القرى، بل وبين الدول!، في مخطوطات بعضها غير مرتب، وبعضها مطموس، إضافة إلى التعقيدات المادية التي كابدها الباحث وهو ينتقل بين المغرب، ومالي، والنيجر، وبوركينا، وموريتانيا!

د. المنهج المتبع في الأطروحة:

على مستوى الدراسة: استفدت في دراستي من عدة مناهج: نقدية لسانية، وبلاغية، وتاريخية، واجتماعية، فتاريخيا حاولت تلمس المراحل التي مرّت بها رحلة الشعر العربي عند السوكيين، وهو يتطور كمّاً، وكيفاً، رابطاً تحليلي لسائر الظواهر دوماً بـ "الواقع الاجتماعي" للطوارق، والمؤثرات البيئية عموماً، ولم تشغلي هذه الوقفة الاجتماعية التاريخية عن الأبعاد الفنية، اللسانية، والجمالية، فقد تناولت الجانب المعجمي، والبياني، والموسيقي والتفاعل مع التراث العربي الإسلامي، معتمداً في كل زاوية من هذه الزوايا على المصادر الأصلية لها.

على مستوى جمع المتن الشعري: يتضح عملي اختصاراً على النقاط التالية:

أثمرت هذه الرحلة المضنية جمع أشعار ما يتجاوز 22 شاعراً، ما بين مجيد، ومتوسط، ومبدع، وصاحب مطولات، ومقطعات، ومكثّر، ومقل، في مختلف المراحل الزمنية التي عاشها الشعر العربي لدى القوم، وبما أن الغالبية الساحقة لكل اسوك لا تتجاوز إقليم غاو فقد اقتصرْتُ على ذلك الإقليم، فهم يحيطون بمدينة غاو من كل جانب، وبما أن الدراسة التاريخية للشعر السوكي وجدتُ أن تاريخه المعروف لدينا يمكن تقسيمه إلى ثلاث مراحل، ولكون شعر المرحلتين الأولى، والثانية أحق بالجمع، ولقدمه، ولكون أصحابه جميعاً من الأموات، من أجل ذلك اقتصر الباب على ذلك الشعر.

¹ مصادر الشعر السوكي التي استقيت منها المتن المجموع المحقق تحدثت عنها في موضوع آخر بالباب الأول تحت عنوان "تدوين الشعر لدى السوكيين"، انظر الصفحة 119

وفي المرحلة الأولى حاول الباحث الاستقصاء، فالأربعة شعراء المذكورون في الفصل لم أعتز على غيرهم، أما المرحلة الثانية فبما أنها هي مرحلة الازدهار، والنضج، وتتميز بكثرة الشعر، و الشعراء، وكان الشعراء فيها متفاوتين كل التفاوت، فقد اقتصرت فيها على 18 شاعرا، ممن تتوفر فيهم الشروط التالية:

1. أن يكون قديما ما أمكن، وألا يكون حياً
 2. أن يكون مكثرا في الشعر، لا مقلا، وصاحب مطولات.
 3. إذا كان قد تناوله أحد قبلي بأدنى تناول فإني أقتصر على 3 نماذج من شعره غالبا.
 4. إذا لم يتم تناوله فإني أحاول ذكر كامل شعره الذي وصلني.
- وأختصر الإجراءات التي قمت بها في هذا الباب على ما يلي:

1. ترتيب الشعراء ترتيبا أبجديا لا زمانيا، ولا مكانيا، وترتيب شعر الشاعر الواحد كذلك أبجديا.
2. جمع كل الشعر الذي عثرت عليه لأي شاعر غير مدروس قبلي، واختيار ثلاثة نماذج على الأقل للمدروس. (ولم يدرس قبلي غير ثلاثة من الشعراء، وهذه الدراسات الثلاث أيضا غير منشورة، واثنان لم يمض عليهما أكثر من سنة!).
3. ضبط الشعر بالشكل، وتصحيح الأخطاء التي أجدها في النسخ كلما أمكن، تارة أشير في الهوامش إلى الكلمة الأصلية، وتارة لا أرى حاجة في ذلك.
4. شرح الكلمات الغريبة باختصار، وتوضيح المعاني الغامضة أحيانا إن استدعى الأمر ذلك.
5. ذكر اسم البحر، لكل قصيدة.
6. توضيح المناسبة التي قيلت فيها القصيدة، أو ذكر الموضوع العام لها.

على مستوى التعامل مع المصادر والمراجع: كان منهجي هو التالي:

1. أختصر البيانات في الهوامش على العنوان، واسم المؤلف، والصفحة، والجزء إن كان

موجودا.

2. سردت سائر البيانات الأخرى في قائمة المصادر والمراجع.

3. في شرح الغريب داخل الباب الأخير المتعلق بالمتن المدروس اعتمدت حصرا على

"القاموس المحيط" للفيروزبادي، و"الصحاح" للجوهري، ولكثرة الغريب في تلك

النصوص اكتفيت فقط بشرح الكلمة في الهامش دون توثيق، كما تعمل عليه الكتب

التي تحقق الدواوين الشعرية، فمن المرهق جدا توثيق شرح أية كلمة في متن شعري

تجاوزت أبياته أربعة آلاف بيت، وقد يكون في كل بيت كلمة أو كلمات غريبة.

وبما سبق كله تتضح إشكالية البحث، والخطة العامة له، مروراً بالأعمال السابقة، ما لها،

وما عليها، إلى المنهج الذي سرت عليه خلال الرحلة الاستكشافية التي تحكي الفصول

القادمة تفصيلها.

مدخل: الطوارق وعلاقتهم بالثقافة العربية الإسلامية:

قبل الشروع في عمق الأطروحة تنبغي الإشارة سريعا إلى "الطوارق"، من حيث التعريف بهم، وتبسيط الضوء على علاقتهم عموما بالثقافة العربية الإسلامية.

أ. نبذة عن الطوارق:

1. التسمية وأصل كلمة "الطوارق":

تعددت الأسماء التي أطلقت على هذا الشعب الصحراوي، بدرجة كبيرة، إذ يطلق عليهم: (الطوارق/ التوارق/ كل تماشق/ كل تماشك/ إيموهاغ/ إمازيغن/ الرجال الزرق/ الملتئمون)، وأهم الأسباب التي أدت إلى هذا التعدد في الأسماء أن الآخرين سموهم "الطوارق"، وهم يسمون أنفسهم باسم مشتق من لغتهم "تمازيغت"، (كل تماشق/ كل تمازيغت)، الذي يعني "أهل تمازيغت"، والكلمة يختلف النطق بها من أجل اختلاف اللهجات، فالبعض يقول: (تماجق)، والآخر (تماشق)، أو (تماشك)¹.

أما كلمة (الطوارق أو التوارق)، التي اعتمدها الغربيون خاصة الفرنسيين في خطابهم الأكاديمي، والسياسي LE TOUQREG²، واكتسبت انتشارا إعلاميا أكثر من التسمية المحلية، فقد اختلف الباحثون كثيرا في أصلها، هل هي من "تازقه" بليبيا، أو "تازكا" بالمغرب، أو من وادٍ بالصحراء في اللغة الأمازيغية "تارجا"، أو نسبة إلى "طارق بن زياد"³، والأخير أبعد الاحتمالات، فالقوم قبل طارق بن زياد بقرون.

والظاهر أن أصل التسمية جغرافي، يعود إلى منطقة "تازقة" بليبيا، أو سكان "تارجة" التي تعني باللغة الطارقية "الوادي"، أو "الواحة"، أي: سكان الواحات.

¹ انظر: الطوارق عرب الصحراء الكبرى، د سعيد القشاط، ص 32

² انظر: TOUAREG la Tragedie, Mano Dayak, 2, 159

Les Touaregs Kel Adagh, Biley, Pierre. Paris, 1999, p. 43.

³ انظر للتفصيل: الطوارق الشعب والقضية، هاشم الألوسي، ص 65

ولم يكن الاختلاف في أصل التسمية أقل من الاختلاف في الأصل العرقي للقوم.

2. الأصل العرقي:

لقد احتدّ واحتدم الخلاف بين الكتاب المعاصرين حول أصول الطوارق كما يلي:

أ. الأصل الفرعوني المصري القديم:

يرد هذا الرأي في دراسة للكاتب الفرنسي، بوفيل¹، ويبدو أن الكاتب العالمي الطارقي ابراهيم الكوني يرجح هذا الرأي بأدلة لسانية، أو لا ينكره على الأقل، من خلال موسوعته الكبيرة (ملحمة المفاهيم) بمجلداتها السبع، إذ يسرد عدة مفردات يجد لها أصولاً في اللغة المصرية القديمة².

ب. الأصل اليميني الحميري:

أشار الدكتور سعيد القشاط إلى هذا الرأي، وإن لم يؤيده كثيراً، وذكره هاشم الألوسي، موضعاً أن بعض الباحثين لاحظ تشابهاً كبيراً بين بعض المفردات الطارقية، وإحدى اللهجات اليمنية الحالية، كما أن هناك تقارباً في العادات، والزي³.

ج. الأصل العربي البائد:

هذا الرأي هو الذي جاهد الباحث الليبي سعيد القشاط في سبيل إثباته بكل ما أوتي من حجج، وألف في ذلك كتابه المشهور (الطوارق عرب الصحراء الكبرى)، وأكد أن العرب البائدة الذين نزحوا من الجزيرة العربية هم الذين انتقلوا إلى شمال إفريقيا، ويدعم رأيه بمقارنة لغوية، ونقل بعض الآراء التاريخية⁴، إلا أن الآثار والحفريات كل ذلك يؤكد وجود هذا

¹ انظر : تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، د بوفيل، ص 100

² انظر: ملحمة المفاهيم - بيان لغة اللاهوت، ابراهيم الكوني، ص 30، ج 2

³ انظر: الطوارق الشعب والقضية، هاشم الألوسي، ص 53

⁴ الطوارق عرب الصحراء الكبرى، سعيد القشاط، ص 43 وما بعدها.

الشعب قبل آلاف السنوات، وقبل الميلاد بكثير، والاكتشافات مؤخرا توضح أن الأرجح وجود الهجرة البشرية من شمال إفريقيا إلى آسيا لا العكس¹.

د. الأصل الهكسوسي:

يذكر الباحث الليبي علي خشيم هذا الرأي، ويقول: إنهم قد يكونون بقايا الهكسوس² الذين طردهم الأقباط من مصر، فوصلوا ليبيا، ومنها إلى دول الساحل²، ولم يدعم الباحث رأيه بأية حجة كافية، فهو يورده بصيغة تخمين، وتقدير!

ه. الأصل الأطلنّيدي:

يرى البعض أن الطوارق بقايا امبراطورية "أطلنّيدا" التي ازدهرت في قلب الصحراء الكبرى، وأقامت حضارة عظيمة، محاطة بالأهوار، والرياض، والعمران الكبير، إلا أنها انهارت فجأة بسبب زلازل طبيعية، بتحويلات فلكية مفاجئة، فأصبحت الامبراطورية بجفاف خلف ما يسمّى أخيرا بـ "الصحراء الكبرى"³!

ويبدو أن هذا الرأي يعتبره الروائي الكبير ابراهيم الكوني، إذ استلهم منه روايته التاريخية الرائعة "البئر" ضمن "رباعية الخسوف"، وهو رأي يجد له سنداً أسطورياً ضمن القصص الطارقي الشعبي، إذ ترتبط تلك الامبراطورية بالبطلة الأسطورية "تائس"، التي بنّت مدينة "أطلنّيدا"، مشتقة اسمها من شقيقه التي تحبه كثيرا "أطلنّيس"، وهو يُرجع الجفاف بغياب وجه "تائس" الذي وجد الفلكيون حينها علاقة وطيدة بينه وبين "القمر"، ولما اختفى حدث نزاع ما بين النجوم، ما أدى إلى تغيير في المنظومة الفلكية!، فاندلعت العواصف الرملية، والأعاصير الشديدة التي غطّت المدينة بأهوارها، وقصورها!⁴

¹ انظر: الطوارق الشعب والقضية، هاشم الألوسي، ص 88

² انظر: سفر العرب الأمازيغ، علي فهمي خشيم، ص 5 - 17

³ انظر: الطوارق الشعب والقضية، هاشم الألوسي، ص 89

⁴ للاطلاع على كيف صاغ ابراهيم الكوني هذه الأسطورة في قلبه السردى الممتع ينظر رواية: البئر، ص 70

و. الأصل الأمازيغي:

القول بأن الطوارق جزء لا يتجزأ من الشعب الأمازيغي هو الرأي الذي عليه أغلب الباحثين من الطوارق، وغيرهم، وأقوى دليل لهؤلاء هو "اللغة"، فالطارقية لهجة أصيلة من لهجات الأمازيغية، ولا تنفك عنها، كما أنهم يستندون كذلك بعد اللغة على "الجغرافيا" فهم من السكان الأصليين لما يسمّى "تَمَازَغًا"، ويطلق قديما عليهم "البربر".

ويقول فضل الله العمري في كتابه "مسالك الأبصار": (وفي شمال مالي قبائل من البربر بيض تحت حكم سلطانها....)¹

على أنّ الطوارق بتشكيلتهم الجديدة لا شكّ أنهم يكادون يمثلون "هويّة جديدة"، تنصهر في بوتقتها أجناس، وأعراق مختلفة، من أصول عديدة، ولذلك يمكن دعم السفير العراقي السابق في جمهورية مالي هاشم الألوسي، حين يرجح أخيرا أنه "مسّمى" عام يطلق على هذا الشعب المثلث الذي يقطن الصحراء الكبرى، والذي ترجع أصوله إلى تشكيلة عرقية عديدة: (المصريون القدامى، الليبيون القدامى، الهنود، المهاجرون الجرمن، العرب القدامى، والدعاة، الأمازيغ، الزنوج)، فمن بين الطوارق إلى اليوم قبائل ترجع أصولها إلى هؤلاء جميعا.²

إن "الطوارق" إذن هويّة عامة مشتركة، لا ترجع في حقيقة الأمر إلى "عرق واحد"، أو "لون واحد"، إنما تعود إلى "البعدين: الثقافي أولا، والجغرافي ثانيا"، يتمثل الثقافي في اللغة، والعادات، والزي .. والجغرافي بالصحراء الكبرى، الممتدة بين شمال مالي، وجنوب الجزائر، إلى شمال وشرق النيجر، وجنوب ليبيا، مع جزء من شمال بوركينا في المثلث الحدودي بين بوركينا، والنيجر، ومالي، ولذا يصحّ إطلاق التسمية على كلّ من تتوفر فيه هذه الأبعاد اللغوية، والثقافية بغض النظر عن لونه، أو عرقه الأصلي.

¹ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، فضل الله العمري، ص 76.

² انظر: الطوارق الشعب والقضية، هاشم الألوسي، ص 95

3. الموقع الجغرافي:

استوطن الطوارق أقاليم متجاورة في الصحراء الكبرى، تشكّل سلطنات تابعة لهم هي: "آجر - زوارة"، بليبيا، و"أهجار"، في الجزائر، و"أضغ"، و"أزواد" شمال مالي، و"آير - أزواغ" في النيجر،¹ وعلى هذا أدركهم الاستعمار الفرنسي، فوزّعهم بين الدول التالية: (الجزائر، مالي، النيجر، بوركينا)، وبقي الجزء الآخر في ليبيا.²

4. الوضع الاجتماعي:

أ. التركيبة الاجتماعية للطوارق:

للمجتمع الطارقي تركيبة اجتماعية قبلية لافتة للنظر، فقبايله موزعة توزيعا وظيفيا، بحيث لكل قبيلة وظيفة محددة، لا تتعدها سابقا، وبالذات في عهد سلطنة إولمّدن³، ولذلك يمكن وصفه بأنه "مجتمع طبقي"، وطبقيته مؤسسة على القبيلة، والوظيفة، كما يلي:

- طبقة السلاطين: وتمثل هذه الطبقة مثلا قبل الاستعمار الفرنسي قبائل "إموشاغ" في إقليم أزواد، وآير.

- طبقة المعلمين، والقضاة: وتمثلها قبائل "كل أسوك"، و"الكنتة"، و"كل أنصر"، و"إجلاد"...

- طبقة الجنود، والمقاتلين: وهم "إمغاد"، ... ونحوهم في ذلك الوقت.

- طبقة الحدّادين أصحاب الحرف اليدوية:، ويدعون "إنهضن".

- طبقة العبيد: وهم "إكلان"، يمارسون مختلف الأعمال حينها لأسيادهم.¹

¹ انظر: الطوارق الشعب والقضية، هاشم الألوسي، ص 100 وما بعدها، 30، و المختار الكبير التصوف والعلم بأزواد أحمد الحمدي، ص 46

² انظر: الطوارق ومقاومة الاستعمار، محفوظ عدنان، ص 25

³ انظر: الطوارق عرب الصحراء الكبرى، سعيد القشاط، ص 38

وفي ذلك العهد يوجد احترام كبير جدا لهذه الطبقية، ولهذه الوظائف، بحيث لا يجوز للقبيلة الأخرى تقريبا أن تمارس مهنة خارج تخصصها المعروف، وعرف يومها "عرب أزواد" بالتجارة!، إلا أنه قبيل الاستعمار الفرنسي بدأ هذا النظام الاجتماعي يتغير قليلا قليلا، فاستقلّ العديد من الإمارات أكثر، حتى إنّ كلَّ اسُوك أنفسهم كَوَّنَ بعضهم إمارات مستقلة، فضلا عن "إمغاذ"، و"كلَّ أنصَر"....، وازدادت وتيرة التغير الاجتماعي مع الثورات الطارقية المتزامنة مع استقلال دولة مالي، حتى حدث نوع من التداخل في المواقع، فلم تعد وظائف التعليم، والتعلم، والجيش، والرعي، والتجارة مختصة بقبيلة دون أخرى!

ب. من العادات والأعراف:

لأي مجتمع تقاليد وأعراف راسخة تميزه عن باقي المجتمعات، خصوصا المجتمع القبلي، ويحتاج تناول التقاليد الطارقية إلى بحث مستقلّ، فهي من أعراف صارمة في "التواصل الاجتماعي"، إلى "الزواج"، و"المناسبات المختلفة" كـ "الولادة" والعقيقة"، و"التأبين"،... و"الزِّي"، وتكفي الإشارة المقتضبة على سبيل المثال إلى ما يتعلق بالزِّي واللباس.

فالزِّي عند الطوارق يكاد يكون تقليدا مقدّساً، وعزفاً حاسماً، ولكلِّ مرحلة من مراحل العمر طريقة معينة في اللباس، إذ يعلن عن بلوغ الرشد لدى الشاب بـ "تعميمه"، ويتم ذلك خلال طقوس محترمة: يؤخذ الشاب إلى زعيم القبيلة، أو إلى الشيخ، فيضع العمامة على رأسه، والثناء على فمه، مقدماً له توجيهات صارمة، جادّة، تشعره بتحمّل المسؤولية اليوم!، ويفسر له اللثام بأنه سترٌ لأكبر عورة، وهي "اللسان"!، فعليه أن يحتفظ به، وعليه.. إلى آخر الدروس الاجتماعية التي يتلقاها الشاب بتلك المناسبة، وما الفتاة ببعيدة عن ذلك، فهي الأخرى "تُعَمَّم" بالمعنى الطقسي، عند بلوغها، لأنها قبلُ تمشي حافية الرأس، بقميص واحد، ولا يجوز لها أن تتزين بأية زينة، وعندما تبلغ الحلم يفرض عليها "الخمار"، و"الإزار"! و

¹ انظر: الطوارق: الشعب والقضية، هاشم الألوسي، ص 175

"الزينة"، وتعطى نفس الدروس الاجتماعية تقريباً¹ ويحدث الفرق الغريب بالنسبة للثقافة العربية، إذ يستر الشاب وجهه، بينما تكشفه الفتاة! فالمرأة لها وضعٌ اجتماعي خاص لدى القوم.

ج. المرأة ومكانتها في المجتمع الطارقي:

تحتلُّ المرأة مرتبة عظيمة داخل المجتمع الطارقي الحديث، ويبدو أن ذلك بقايا المعتقدات الأسطورية الدينية القديمة لديهم، لأنهم ضمن البيئات التي ظهرت فيها "عبادة الأنثى" التي كانت هي السائدة في الحضارات البشرية القديمة، إذ كانت الأصنام "إنانا" قبل الأديان التوحيدية مثل "اللات" و "العزى" و "مناة" و "شمس"، و "النار"، و "البقرة"²، وهذا الارتباط الحتمي قديماً بين "الأنوثة" و "الألوهية"، وتمثيل "المرأة" أصلاً لـ "الطبيعة"، في نظري هو الذي ما زالت آثاره باقية عند الطوارق.

إن اللغة الطارقية نفسها تحتفظ بمفاجأة عجيبة، لأنَّ علماء الأديان القديمة يعرفون أن فكرة "الاله" ارتبطت بامرأة حبلى، عرفت بـ "الإلهة الأم"، وقد سميت بعدة أسماء، من أهمها "إنانا Innana" في سومر، و "أنات Anat" في أرض كنعان، والمفاجأة الطريفة أن هذه الكلمة ما زالت في التارقية تستخدم للأم، فكل ولد تارقي يسمى أمه "آنا Anna"، حتى اللحظة، ومن الواضح جداً أنها هي "أَنَّا" الكنعانية بدون "تاء"، المتقاربة مع "إنانا" السومرية، وأقرب إلى ما ذكر "آن An" إله السماء، أو "نانا Nanna" إله القمر، لكن المفاجأة الأكبر أن المرأة التارقية "غير الأم أيضاً تسمى باسم "إلهة" حتى الآن، فهي "تَامَات"، إذ يوجد أكبر ثلاثة من الآلهة، يهمنها منها "تيمات Tiamat"، إلهة المياه المالحة زوجة كبير الآلهة "أبسو" إله المياه العذبة، "بل إنَّ" "تَامَات" هي "الأم البدئية للآلهة" التي

¹ مقابلة مع أحد الشيوخ الطوارق، في غاو، بتاريخ 2017/06/14

² انظر: ديوان الأساطير، الآلهة والبشر، قاسم شواف، الجزء الأول، ص 10

انشقت نصفين، النصف الأعلى تكونت منه السماء، ومن السفلى الأرض¹، وكلمة "تامات" تدعى بها المرأة لحد الساعة عند كل تارقي، وأمازيغي².

هذا الإرث الميثولوجي القديم منح المرأة الطارقية . حتى بعد الإسلام . حقوقا عديدة، لا تتمتع بها المرأة في الثقافة العربية، مثل حقّ الطلاق، والزواج، ومزيد من الحرية في الحركة، والتنقل، والقيادة، ولها في المؤسسة الأسرية رأيٌّ ماضٍ، لا يكاد ينازع، وإليها يتم الانتماء سابقا، وينتقل الملك بالوراثة أيضا عن طريق الأخوات، والأمهات.³

5. الوضع السياسي:

يتسم الوضع السياسي عند الطوارق بالتوتر المستمر، منذ بدء الاستعمار الفرنسي، ولعل السياسة التي خلّفتها فرنسا لمنطقة الطوارق هي أكبر لعنة حلّت بهم، ومن البديهي أن الاستقرار السياسي شرط أساسي لتقدم أيّ مجتمعٍ، وأخطر المآسي التي جلبها التوتر السياسي إلى الطوارق هو عدم الإحساس الكبير بـ "الوطنية" في "الدول الحديثة" التي أصبحوا "مواطنيها"، إذ طالما شعروا أنهم "مواطنون من درجة ثانية"، أو بعبارة أخرى "أقلية إثنية مستضعفة"، ويرون أن تلك مؤامرة فرنسا الكبرى في حقّهم، بعدما أنهكوها بمقاومة شرسة في الجزائر، ومالي، والنيجر⁴، وفي مالي بالذات ما زال وضعهم السياسي عالقا دون أن يجد حلاّ نهائيا كما سيأتي، وفي تناول الحياة السياسية لدى الطوارق نقتصر على الإشارة إلى ثلاث محاور: الإمارات الطارقية القديمة قبل الاستعمار الفرنسي، الثورات ضد النظامين النيجري، والمالي، ثم الأزمة المالية الأزدادية الحالية وظهور تيار من الطوارق ضد الثورة.

¹ انظر: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 25

² وجدت بعد كتابة هذا الكلام نفس التحليل مفصلا أكثر عند إبراهيم الكوني في كتابه "ملحمة المفاهيم"، الجزء الأول، ص 36

³ للتفصيل: انظر " الطوارق الشعب والقضية، هاشم الألوسي، ص 104

⁴ للاطلاع على تاريخ مقاومة الطوارق لفرنسا انظر بحث الزميل عدنان محفوظ: الطوارق ومقاومة الاستعمار الفرنسي، ص 50 وما بعدها.

أ. الإمارات القديمة قبل الاستعمار الفرنسي:

أدركت فرنسا إمارات أو سلطنات للطوارق، وهي: سلطنة أزجر بليبيا، وآهجار بالجزائر، و"أضعاغ" بين مالي والجزائر، وإولمدن في أزواد، وآزواغ بين مالي والنيجر، ومن أهم إماراتهم في دولة مالي/ إقليم أزواد: إمارة إموشاغ، وكل انتصر، و "الكنتة"، و "البرايش"، و "إمددغن"، و "كل اسكن"، و "إمارة إفنغن"، و "الشريفن"...¹

ونظام الحكم في هذه السلطنات والإمارات غير معقد كثيرا فهو وراثي أولا، ومرجعيتيه الإسلام، ويتكون من المناصب الكبرى التالية: (السلطان أو الأمير/ القضاء، والتعليم/ الجند/ الحدادون والعبيد/ عاقمة الشعب)².

إنها السلطنات المستقرة التي داهمتها فرنسا بجيشها الاحتلالي، فتلقّتها بمقاومة عظيمة، وقد استطاعت فرنسا بإمكاناتها المتطورة، وخططها التدميرية القاسية، امتصاص القوة الشعبية الصحراوية، وتمزيق اللحمة أولا، ثم شراء الولاءات بأكاذيب ثانيا، وتدبير مذابح جماعية ثالثا، وأخيرا إجراء تجربة نووية خطيرة في الصحراء الكبرى قضت على الأخضر، واليابس، ولولا رحمة الله لاختمت الجنس الطارقي القاطن تلك المنطقة الموبوءة³!

لقد حافظت فرنسا مع ذلك على الإمارات المنزوعة القوى، والروح، وغادرت وهي موجودة إلى أن ألغتها جمهورية مالي فور الاستقلال، وأبقت على "القبائل" فقط!⁴، والطوارق بأنفسهم لم يعترف الكثير منهم بالانضمام إلى "جمهورية النيجر ومالي"، ما أثار موجات متعاقبة من التمرد على النظام المركزي في نيامي، وبامكو.

¹ للاطلاع على الإمارات، والسلطنات ينظر كتاب: المختار الكبير الكنتي - التصوف والعلم بأزواد، أحمد الحمدي، ص 26

² الطوارق الشعب والقضية، هاشم الألوسي، ص 239

³ المرجع السابق، ص 243

⁴ المرجع السابق، ص 265

ب. الثورات الطارقية ضد النظامين النيجري، ومالي:

فور إعلان الاستقلال لكل من النيجر، ومالي 1960م، توالى أصوات اعتراض من غالبية الطوارق، حول الترسيم الحدودي الذي وضعه الفرنسيون، وسريعاً احتضن الزعيم الليبي معمر القذافي طوارق النيجر ومالي، فأنشأ لهم معسكرات تدريب خاصة، وأملى لهم وعوداً برّاقة، خلّبت ألبابهم فترةً كبيرة من الزمن، ولم يكونوا في البداية واعين نوايا الرجل، وأنه يستغلهم لأهدافه الشخصية، إلا بعدما اكتشفت ثلّة منهم أنفسهم في ساحة معركة بين لبنان وإسرائيل¹، وقد أهداهم القذافي ككبش فداء للمعركة العربية الإسرائيلية، وحينها بدأت الشكوك تساورهم، لولا أن الغريق يتعلق ولو بخيوط الشمس!

لقد انتهى آخر تمرد لطوارق النيجر عام 2008م، بينما مرّت الثورات الطارقية في مالي بمراحل عديدة، وأصبحت "قضية الطوارق بمالي" عنواناً لكتب، وأخبار، واستراتيجيات محلية، وإقليمية، ودولية، حتى كتب عنها السفير العراقي السابق في بامكو همام هاشم الألوسي كتابه المعنون "الطوارق الشعب والقضية . تاريخاً منسياً، وحاضراً مقهوراً، ومستقبلاً مجهولاً"، وهي قضية تجاوزت كتاب الألوسي، إذ اندلعت أكثر بعد طبع الكتاب بأقل من سنتين، وتستوجب الوقوف المتأنّي، لما تثيره من أبعاد تاريخية، وثقافية، وإنسانية، وسياسية، واقتصادية، ولذا أرى من المفيد ولو تاريخياً محاولة تلخيص المراحل التي مرت بها حتى تتضح المرحلة السياسية الجديدة، بشكل مختصر، ويعنى الكاتب بالقراءة، والتحليل، أكثر من الدخول في تفاصيل التاريخ، فذلك يخرج المحور من حجمه الطبيعي، الذي يهمني أنا والقارئ المستعجل، فالهدف هو استخلاص السمات التي تتميز بها كل مرحلة من مراحل هذا الصراع الطويل، كما أعترف كذلك بأنّي . أمام "هذا الخطاب" المهمين بسلطته السياسية، والعسكرية، وجبروته الرمزي المكتسب بالطغيان "الرقمي" . بأنّي أمارس "خطاباً" آخر هو "خطاب التفسير"، وخطاب التفسير كما يقول المفكر علي حرب هو نفسه يحاول

¹ المرجع السابق، ص 266

إنتاج الحقيقة، والمعرفة¹، إلا أنني أعتبر هذا الاعتراف نفسه بداية التزامي بـ "الموضوعية"، ومحاولة التخلص من أية أيديولوجية.

المرحلة الأولى: مقاومة فرنسا:

تمتد هذه المرحلة من بداية الاستعمار الفرنسي لغرب إفريقيا إلى 1958م، حيث انتهت المقاومة باتفاقية غامضة، وغير حضارية، وخداعية، حيث وقع بعض سلاطين أزواد مع فرنسا على "السلم" لا على "ضم أرضهم" إلى أية دولة، وطلبت فرنسا منهم . كما يقول هاشم الألوسي . (أن يوافقوا على جعل منطقة أزواد محمية فرنسية إلى ان يتم تأطير أهلها، إلا أن أهل أزواد رفضوا العرض الفرنسي، لاعتقادهم أنه يستهدف الثورة الجزائرية الفتية آنذاك)²

تتسم هذه المرحلة بجملة من الملامح: نزعة دينية عارمة ضد النصارى، رفض مطلق للمستعمر بألوانه الثقافية، واللغوية، والسياسية، والاستيطانية... تضامن منقطع النظر مع الجزائر، رفض الأغلبية من السلاطين للتخطيط الحدودي الذي صنعه فرنسا، يضاف إلى هذه عدم تقديرهم لما يمكن أن تعمله فرنسا في حال تجاهل كل مطالبها، وعدم التعامل معها بشكل مطلق، فكانت النتائج مأساوية: توزيع الطوارق بين البلدان التي تشترك في الصحراء، أمية مؤسفة لعدم التحاقهم بمدارس المستعمر، كشكل من أشكال المقاومة، تخلف علمي، فثقافي، فاقتصادي، فظلوا يتنقلون عبر مضاربهم الصحراوية، رغم تضيق هذا التنقل نفسه عليهم بداعي الحدود المرسومة بينهم وبين أهاليهم المشتتين، فلم يكن بد من هجرات جماعية إلى بوركينا، وليبيا، والنيجر، والجزائر، والسعودية، وموريتانيا.

إن هذه الهجرات نفسها تعتبر نوعا من أنواع الرفض المطلق لخطة فرنسا التي تريد لهم الدوبان في الدول التي وزعتهم فيها، وفي هذا السياق ظهرت أولى ثورة شبه منظمة ضد

¹ أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر مقاربات نقدية، وسجالية، علي حرب، ص 7.

² الطوارق الشعب والقضية، هاشم الألوسي، ص 239.

الحكومة المالية 1963م، سبقها رفض لضم الشمال إلى الجنوب 1958م، فجاءت المرحلة الثانية من الصراع.

المرحلة الثانية: رفض الاندماج مع مالي واستغلال القذافي للأوضاع السيئة:

ما إن مضت 3 سنوات على استقلال الدولة المالية الشكلي حتى اندلعت أولى مقاومة لخطّة الإدماج، 1963م، فبالإضافة لرفض الخطط الفرنسية، لم يكن الرئيس الأول موديبو كيتا بأحسن حالا من فرنسا لشيوعيته المرفوضة من الجميع، وقطعه الصلة بين هؤلاء الصحراويين، وبين الجنوب، ومن ثم العالم كله، فاندلع الصراع هذه المرة من أجل "الحياة"، المهتدة سياسيا، وطبيعيا، فالجفاف يضرب المنطقة، مشفوعا بانعدام أبسط مقومات الحياة المدنية، وامتد هذا الصراع من ذلك العام إلى 1990م، حيث ارتفعت وتيرته، ضد حكومي النيجر، ومالي معا، وانتهت باتفاقية تامنرست 1991م بوعود من أهمها إعطاء الحكم الذاتي للمنطقة.¹

تميزت هذه المرحلة بما يلي: عودة الفوج الأول من المتدربين في ليبيا إلى مالي والنيجر، وغلبة "الكفاءة العسكرية" على الكفاءات الأخرى: السياسية، والفكرية، والاقتصادية، والإعلامية، وهي كفاءة تدريبية، غير مدعمة بأدوات القتال المتطورة، واستغلال القذافي للمقاتلين الطوارق في تدخلاته الأجنبية لفرض نفوذه الشخصي، بلبنان، وفلسطين، وتشاد، وللضغط على النيجر، ومالي لتمرير سياساته بإفريقيا، وليكون محوريا في القارة الإفريقية، ثم انحصار الثورة الأزوازية في البيض، مما أظهر حركة عنصرية مواجهة لهم، هي حركة جانودوكي، وقد دعمتها الحكومة المالية للحد من خطر التمرد، يضاف إلى هذه السمات تجاهل العالم للأزمة، وترك القذافي وحده في الساحة، ثم تعدد الجبهات الثورية، (الجيش الثوري لتحرير أزواد، الجبهة الشعبية لتحرير أزواد، الجبهة العربية الإسلامية بأزواد)².

¹ الأحرار المثلثون الطوارق بين الإرهاب والثورة، والحب، مصطفى الأنصاري، ص 57.

² انظر: الطوارق الساحل المخيف، علي الأنصاري، ص 40

ولقد كانت نتائج هذا الصراع أفضل حالا من المرحلة الأولى، فرغم التهميش المتواصل، وعدم تطبيق بنود الاتفاقية، حدثت نقلة نوعية في المنطقة، إذ تكاد الأمور تعود إلى الاستقرار السياسي، وانتشار الأمن مقارنة بالماضي، والتحاق البعض بالمدارس في الداخل، والخارج، ونشاط الآخرين في المجال السياسي بمالي، واستثمار الآخرين في مختلف مجالات التجارة، إلا أن مظاهر أخرى انضافت إلى عدم التنمية الجادة أعادت هاجس التحرر مرة ثالثة، فالحكومة المالية تركز جهودها في نشر جيشها بالشمال، بينما تقلصت المؤسسات المدنية، فلا يكاد مواطن شمالي يرى مظهرا من مظاهر الدولة إلا الجمركي، والجندي، والشرطي، أما "المدرس، والطبيب، والصحفي، والمسؤول الحكومي" فلا يظهرون في الساحة كثيرا، فينشأ آلاف الأطفال بالإقليم لم يشاهدوا قناة، ولم ينشدوا نشيدا وطنيا في المدرسة، وكانوا يسمعون بمدينة بامكو كما تصلهم أخبار موسكو، ولا يعرفون هل هي دولة، أم مدينة...؟! وهكذا انعدمت كل أسباب التواصل التي تزرع الوطنية في الوجدان، وتنمي الإحساس بالترابط، والاندماج، فيضاف إلى هذا الواقع خلو الصحراء من أية أجهزة أمنية جادة، الأمر الذي شجع على "التجارة السوداء"، فتحوّلت البلاد إلى فضاء يسبح فيه الفساد، بكل أشكاله، ولم يجد الشباب حاضنة وطنية تأويهم إلى دفعه فاتجه غير المهاجرين منهم إلى المخدرات، وتهريب الأسلحة، كي يضمنوا حياتهم، فخلا الجو أخيرا لأية خلية من خلايا التهريب، والإرهاب على المستويين الديموغرافي، والجغرافي، فالأرض صافية من المراقبة، والشعب غير مشغل بأية أعمال وطنية شريفة، تؤمن لهم حياة الكرامة.

إن التواجد العسكري المالي بإقليم أزواد يهتم بإطفاء نار التمرد لا غير، كما ارتكبت الحكومة المركزية خطأ جسيما لم يكن محسوبا بالدقة في التعيينات العسكرية، إذ وسّعت صلاحيات بعض القبائل على حساب البعض، وهو أمر لا تقبله نفوس الصحراويين، مهما استضعفوا، فقد عينت مثلا الرجل المنتمي إلى قبيلة إمغاد، ومن ولاية "غاؤ"، وبالضبط منطقة "مينكا" أَلْجِي أَعْ أُمُو عَيْنْتَه حاكما عسكريا على "كيدال" التي يقطنها "منافسوه

من "إفوغاس" !، رغم معرفة الجميع أن سُكَّان "كيدال" غير راضين عن ذلك القرار، فهم يهتمون الضابط الطارقي بأنه يمارس عليهم نوعاً من الاستعلاء، والإهانة، للحساسية الموجودة بينه وبين زملائه من قبيلة "إفوغاس"، وبين هذه القبيلة عموماً وقبيلة "ألهجي" إغغاد ثارات قديمة.

المرحلة الثالثة: الصراع التمهيدي للمرحلة الكبرى:

إن كل هذه المظاهر دعت بالضرورة سُكَّان كيدال وما جاورها للثورة ضد ذلك الواقع عام 2006م، فكانت شرارة المرحلة التمهيديّة ساعة استولى الشعب مع ضباطه على مدينة كيدال بين عشية وضحاها، فعادت هواجس الثورة إلى كل قلب خمدت فيه شظايا الحرية، فتوافدوا من كل الجهات، شرقاً، وغرباً، وجنوباً للانضمام إلى جماعة "إبراهيم أغ بهانجا"، فخرج لأول مرة من يمكن تسميته بـ "الزعيم الثوري"، وذلك من المستجدات، التي تفقدها التحركات السالفة، فقائد تلتف حوله الجموع المتطلعة للحرية، والقادمة من مختلف المناطق، والقبائل هو أمر سيشكل ثقلاً على عطاء الحراك، تزامن مع "حصار فترة الراحة" التي بدأ فيها السكان يستعيدون بعض قواهم النفسية، والاقتصادية، وازدادت الخبرات، والخبرات، بشكل لم يكن في السابق علمياً، وعسكرياً، ولذا أحسَّ الخارج بخطورة المرحلة فتسارعوا إلى إخماد هذا الحريق الجارف، الذي قد يفوق أفقه توقعاتهم، فحضرت الجزائر مرة أخرى مع دول الجوار لتوقيع اتفاقية 2006م، مع نفس البنود، ولم يتغير الواقع كثيراً، خصوصاً مع بروز الجماعات الإسلامية، ومنظمات التهريب... إلى أن تفاجأ الكون بالزلزال السياسي الذي ضرب العالم العربي، وحمل اسم "ثورات الربيع العربي 2010 - 2011م، كفتح باب جديد عن عهد جديد للعالم العربي، والإسلامي معاً، فجاءت المرحلة الكبرى¹.

¹ انظر: تقرير الجزيرة نت، بعنوان: "طوارق مالي تمرد طويل أثمر أزواد"، بتاريخ 2012/04/06 الرابط:

www.aljazeera.net/reportsandinterviews

المرحلة الثالثة: المرحلة الكبرى وإعلان الدولة الأزوادية:

السياق التاريخي العام، والظرف السوسولوجي الخاص أنتجا متغيرات حاسمة في الساحل الصحراوي، وبالأخص منطقة أزواد إذا سهلت تلك المتغيرات عملية التخطيط لثورة سلمية، يقودها شباب الشمال المثقفون في الداخل والخارج، معلنة أهدافا سلمية جوبهت برفض مطلق من الحكومة المالية، عبر عن نفسه باعتقال أصحاب الفكرة، وما إن مضت سنة حتى عاد المقاتلون الطوارق المنشقون عن ليبيا، فاتفقت النخبة السياسية مع الجبهة العسكرية لتشكيل أكبر قوة في تاريخ المنطقة، اجتاحت الإقليم، وطردت الجيش المالي بسرعة مفاجئة، وأعلن عن دولة أزواد 6 أبريل 2012م¹.

لقد تسابق العالم إلى إعلان رفضها، هو والجماعات الجهادية ذات الأغلبية الأجنبية، والتي اندست في جموع التحرير تحمل أهدافا مضمرة، ورأت أنها لن تحققها مع سيطرة أهل الأرض على الأرض، فأعلنت الحرب ضد الحركة الوطنية لتحرير أزواد، وطردتها في أغلب الأماكن، وتجاوزت الشمال إلى الجنوب، فجاء الرد الفرنسي سريعا بالعودة إلى مستعمراتها، وطرد خطر الإرهاب الديني في نظرها، وتم التوقيع على إيقاف الحرب بوغادغو 2013م.

تتسم هذه المرحلة الكبرى بجملة من الخصائص الجديدة:

عسكريا: امتلأت المنطقة بالأسلحة، وعاد أصحاب الخبرات العسكرية، العالية من ليبيا، وانشق الكثير من الجيش المالي، وبرزت الحركات المتنوعة أيديولوجيا، وسياسيا: الحركة الوطنية لتحرير أزواد، وأنصار الدين، وتنظيم القاعدة بفروعه المختلفة.

سياسيا: ظهرت على السطح كفاءات سياسية لم يحظ بها الإقليم من قبل: مخضرمون من المؤسسات المالية، مثقفون تخرجوا من جامعات أجنبية، أداء سياسي حاول تقديم خطاب

¹ انظر ويكيبيديا، بعنوان: الحركة الوطنية لتحرير أزواد، آخر تحديث : 2012/08/10

www.wikipedia.org

الوحدة، والحرية بشكل إيجابي، وصول القضية إلى أروقة المنظمات الدولية: (الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، والاتحاد الأوروبي، والاتحاد الإفريقي، ومنظمة التعاون الإسلامي...)، واهتمام العديد من الدول في إفريقيا، وأوروبا بالقضية، ولم تعد بين الجزائر، وليبيا، ومالي حصراً.

اجتماعيا: ارتقى الوعي الشعبي مقارنة بالماضي، وتطور المستوى المعرفي كثيرا، والتحقت فئات المجتمع المتنوعة بركب الثورة: طوارق، عرب، بعض السنغالي، بعض الفلانية، الأمر الذي أعطى الحراك الجديد ثقلا شعبيا، لافتا للنظر.

إعلاميا: طلع جيش إعلامي منقطع النظير، لم تحظ به كل المراحل السابقة، فأوصلوا القضية إلى العالم كله، وكان " الفيس بوك " أكبر ظاهرة إعلامية ساهمت في خدمة القضية، إضافة إلى اهتمام بعض الوسائل الإعلامية الكبرى بها كالجزيرة، وقناة فرنس 24، و الإذاعة الفرنسية الدولية، وروسيا اليوم، والمؤسسات الإعلامية الأمازيغية، إلى أن وصل النشاط الإعلامي مرحلة إنشاء قناة طارقية هي "قناة توماسْت".

أيديولوجيا: برز على السطح صراع أيديولوجي جديد، برزت فيه الاتجاهات الدينية، كالسلفية العلمية، والسلفية الجهادية، والتصوف، مع ظهور الاتجاه العلماني والتيارات القومية، كالأمازيغية، والعربية.

هذه المستجدات تعتبر توطئة للمرحلة الجديدة والمحطة الأخيرة، وهي:

المرحلة الرابعة الحالية: مرحلة الصراع المركّب:

ما إن أعلنت "الحركة الوطنية لتحرير أزواد" استقلال دولة "أزواد" حتى ازداد تناسل الحركات الدولية، والمحلية في المنطقة، بشكل يفوق التوقع، ويندهش المتابع حين يشاهد ذلك الجراد المنتشر من الحركات التي تتوالد، وتتوالى في مساحة واحدة، ضيقة، وبين سكان لا يتجاوزون ثلاثة ملايين نسمة.

نقصد بالحركات المحلية تلك التي أسسها مواطنون من الشمال المالي "أزواد"، بدون هدف جهادي، وهي نوعان:

- حركات ذات توجه انفصالي: (الحركة الوطنية لتحرير أزواد/ الحركة العربية الأزوادية/ المجلس الإسلامي الأعلى لدولة أزواد/ الحركة الشعبية لإنقاذ أزواد).

- حركات موالية لحكومة مالي: (حركة الدفاع الذاتي عن إمغاد وحلفائهم/ حركة جانديوكي/ الحركة العربية الأزوادية المالية/ حركة جانديزو/).

أما التنظيمات الدولية، فهي التي تحمل الفكر الجهادي، وتستهدف الجميع وأهمها: (حركة نصرة الإسلام والمسلمين/ حركة المرابطين/ حركة التوحيد والجهاد في بلاد المغرب الإسلامي/ القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي/ الموقعون بالدماء/ جماعة تنظيم الدولة الإسلامية).

إنها قرابة 15 حركة مسلحة في منطقة واحدة ما بين الانفصاليين، والمكافحين للانفصال، والمجاهدين المواليين للقاعدة، والمبايعين لتنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، وهي تتصارع فيما بينها داخل مساحة إقليم واحد، وتتصارع من جانب آخر مع الجيش المالي، والقوات الفرنسية، وقوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة!

بنية الحراك إذن أصبحت مركبة تركيبيا قويا، في دوائر من الصراع، كل صراع يحتدم تحته صراع آخر إلى ما لا نهاية من الصراعات، صراع الطوارق مع حكومة مالي، وصراع الإثنيات، فصراع الأيديولوجيات، وصراع الطوائف، واحتوى صراع الدول كل ذلك، ففي الوقت الذي يتم التنسيق الكامل بين الجماعات الدولية المذكورة ضد الحراك المحلي التاريخي تشتعل حروب وأحقاد قاتلة بين الحركات المحلية الوطنية نفسها، في الوقت الذي يواجه الجميع الجيش المالي، والقوات الدولية، فبنية الصراع في المنطقة تحكي "نارا تلتهب وتحرق نفسها ومن حولها"، ولهذا تعقدت الأزمة، وصعب إطفائها، لأن الأشباح تكاثرت، واختلط الحابل بالنابل، وتضاربت

الأهداف، وتنوعت من هدف سياسي، واجتماعي، وحقوقى إلى هدف عرقي، وديني، واقتصادي، وتنافس المحلي بالإقليمي، والدولي، وتكاد المطالب المشروعة تختفي تحت الدخيلة، وتعذر الإمساك بخيوط القضية. فطبيعة الصراع المالي الأزوادي تتسم فعلا بالتعقيد الكبير.

يعود الباعث الرئيسي لهذا التعدد الحركي، والتناحر الطائفي، إلى عاملين أساسيين: عامل سوسيولوجي، وعامل أيديولوجي، فالمجتمع فسيفسائي، مركب من عدة ألوان، وقبائل، وأعراق، وأفكار، ومن ثم عدة أيديولوجيات، فهناك الأبيض، والأسود، والطوارق، والسنغاي، والعرب، والفلان، والسلفية، والصوفية، والمتفرنس العلماني، والمستعرب الإسلامي، كما تتنافس القومية العربية مع الأمازيغية من جهة، والإسلاموية، والعلمانية من جهة أخرى أيديولوجيا، فاجتمعت كل أسباب الفتن في التاريخ لحظة واحدة، في مساحة واحدة "العصبية القبلية/ الطائفية الدينية/ المآرب السياسية/ المطامع الاقتصادية.

6. الوضع الاقتصادي:

تشير العديد من التقارير إلى أن إقليم "ازواد" شمال مالي من أغنى المناطق في الثروات المعدنية، والطاقة، من النفط، والفسفات، إلى الذهب، والحديد، إضافة إلى ثروة حيوانية ضخمة، ويرجع العديد من الخبراء اهتمام الدول العظمى به إلى ما ينعم به من حقول النفط، ومناجم الذهب،¹ ولئن كانت تلك المناجم توقعات، فإنه ما لا شك فيه سوء الأوضاع الاقتصادية حاليا عند الطوارق، وتعتمد حياتهم الاقتصادية اليوم على ثلاث مصادر:

أ. رعي المواشي: من الإبل، والأبقار، والأغنام.

¹ انظر: الطوارق الشعب والقضية، هاشم الألوسي، ص 213

ب. التجارة: كانت التجارة العامّة مهنة قديمة لهم، ومنطقتهم ظلّت فترة كبيرة من الزمن ممراً للقوافل التجارية بين الشمال الإفريقي، والجنوب، وبين الجزيرة العربية، وإفريقيا¹.

ج. الحرف اليدوية: ينتج الطوارق صناعات تقليدية، ما زالت تحتاج للتطوير، والتسويق، وتستحق أن تنشأ لها مشاريع بهدف الاستثمار تجارياً، وسياسياً، وبهدف الحفاظ كذلك على ثقافة كبيرة، مهددة بالضياع.

¹ انظر: المختار الكبير الكنتي، أحمد الحمدي، ص 45

ب. علاقة الطوارق بالثقافة العربية الإسلامية:

1. وصول الإسلام، واستلام راية الدعوة إلى بناء الدولة:

وصل الإسلام إفريقيا في وقت مبكر، بل قبل أن يصل المدينة، أما صحراء الطوارق فقد وصلها كما تقول الروايات عن طريق عقبة بن نافع الفهري، وأمثاله من الفاتحين¹، ولا ينفي الباحث الجزائري أحمد الحمدي دور التجار العرب المسلمين في إيصال الإسلام إلى القارة السمراء عموماً، والصحراء الكبرى خصوصاً²، كما يشير هو معتمداً على آراء المؤرخين قبله إلى سلسلة انتقال الطوارق إلى "الديانة الإسلامية"، والأمازيغ عموماً، فهم لم يدخلوا الإسلام كرهاً، بل طوعاً، وذلك مما يدعم به الكاتب الليبي الطارقي إبراهيم الكوني أطروحته التي ترى "تجذر الروح الدينية" في المجتمع الطارقي منذ قرون قبل الميلاد، الأمر الذي جعلهم يتقبلون المسيحية بسهولة، والإسلام بعد بـكلٍ أريحية، واطمئنان³.

ما إن لبث الطوارق حتى قادوا الدعوة، والجهاد بأنفسهم إلى غرب إفريقيا، وما جاورها، من خلال امبراطوريتهم الدعوية، المشهورة، الملقبة بـ "المرابطين"، فلا بأس من الوقوف سريعاً مع المؤرخ الكبير ابن الأثير كي يصف لنا قليلاً هذه الدولة التي يسميها في كتابه "الكامل" (دولة الملتئمين سنة 448 هـ)⁴.

يستهلُّ بن الأثير حديثه عن هذه الدولة بأنها بقايا الدعاة الذي آثروا الصحراء بعدما وصلوا الأندلس، والمغرب مع طارق بن زياد، الذي انطلق إلى الجهاد في زمن الخليفة أبي بكر:

¹ انظر: المختار الكبير الكنتي، التصوف والعلم بأزواد، أحمد الحمدي، ص 20

² المرجع السابق، ص 22

³ تلك الأطروحة هي التي فرض إثباته عليه تأليف 7 مجلدات تحلل اللغة الطارقية، في مقارنة لسانية بينها وبين اللغات البدئية، خاصة ما يتعلق بالمصطلحات الدينية، الوثنية، والسموية، وهو يرجع الكثير من تلك المصطلحات إلى المعجم الطارقي الأمازيغي.

انظر حديثه عن كلمات مثل "إيمان" - الله في كتابه: ملحمة المفاهيم، الجزء الأول، ص

⁴ الكامل في التاريخ، لأبي الحسن عز الدين بن الأثير، ج 8، 136

(لَمَّا كَانَ هَذِهِ السَّنَةُ - سنة 448 هـ - تَوَجَّهَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، اسْمُهُ الْجَوْهَرُ، مِنْ قَبِيلَةِ جَدَّالَةَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ، طَالِبًا لِلْحَجِّ، وَكَانَ مُحِبًّا لِلدِّينِ وَأَهْلِهِ، فَمَرَّ بِفَقِيهِ بِالْقَيْرَوَانِ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ يَتَفَقَّهُونَ، قِيلَ: هُوَ أَبُو عِمْرَانَ الْقَاسِي فِي غَالِبِ الظَّنِّ، فَأَصْعَى الْجَوْهَرُ إِلَيْهِ، وَأَعْجَبَهُ حَاهُمْ.

فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الْحَجِّ قَالَ لِلْفَقِيهِ: مَا عِنْدَنَا فِي الصَّحَرَاءِ مِنْ هَذَا شَيْءٍ غَيْرِ الشَّهَادَتَيْنِ، وَالصَّلَاةِ فِي بَعْضِ الْخَاصَّةِ، فَأَبْعَثَ مَعِيَ مَنْ يُعَلِّمُهُمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ الْكُرُوبِيُّ، وَكَانَ فَقِيهًا، صَالِحًا، شَهْمًا، فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى أَتَيَا قَبِيلَةَ لَمْتُونَةَ، فَنَزَلَ الْجَوْهَرُ عَنْ جَمَلِهِ، وَأَخَذَ بِرِمَامِ جَمَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَاسِينَ، تَعْظِيمًا لِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ، فَأَقْبَلُوا إِلَى الْجَوْهَرِ يُهَنِّئُونَهُ بِالسَّلَامَةِ، وَسَأَلُوهُ عَنِ لَفْقِيهِ فَقَالَ: هَذَا حَامِلٌ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ جَاءَ يُعَلِّمُكُمْ مَا يَلْزَمُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ. فَرَحَّبُوا بِهِمَا وَأَنْزَلُوهُمَا، وَقَالُوا: تَذَكُّرُ لَنَا شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ. فَعَرَّفَهُمْ عَقَائِدَ الْإِسْلَامِ وَفَرَائِضَهُ، فَقَالُوا: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَهُوَ قَرِيبٌ، وَأَمَّا قَوْلُكَ: مَنْ قَتَلَ يُقْتَلُ، وَمَنْ سَرَقَ يُقْطَعُ، وَمَنْ زَنَى يُجْلَدُ أَوْ يُرْجَمُ - فَأَمْرٌ لَا نَلْتَزِمُهُ، أَذْهَبَ إِلَى غَيْرِنَا.

فَرَحَلَا عَنْهُمْ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَقَالَ: لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ لِهَذَا الْجَمَلِ فِي هَذِهِ الصَّحَرَاءِ شَأْنٌ يُذَكِّرُ فِي الْعَالَمِ. فَانْتَهَى الْجَوْهَرُ وَالْفَقِيهُ إِلَى جَدَّالَةَ، قَبِيلِ الْجَوْهَرِ، فَدَعَاهُمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ وَالْقَبَائِلُ الَّذِينَ يُجَاوِرُونَهُمْ إِلَى حُكْمِ الشَّرِيعَةِ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَطَاعَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَضَ وَعَصَى¹.

ومن هنا تأسست النواة الأولى لدولة المرابطين من قبائل صنهاجة، جدالة، لمتونة، مسوفة .. وبعد فترة تقوّت شوكتهم، ويتفوقون على تولية زعيم "لمتونة" أبي بكر عمر أمر الإمارة، ويطلق عليه لقب "أمير المسلمين"، بعدما تنازل عن الإمارة الجوهر شيخ جدالة، برضاه، ولأن قبيلته لم تُسلم كلها².

تمضي الأيام، والدولة تزداد انتشاراً، وقوة، فإذا بمؤسسها الأول الجدالي الجوهر يشعر بحقد، وحسد على زميله الفقيه عبد الله بن ياسين، والأمير أبي بكر، وشاع أنه يفكر في نوع من التمرد على الإمارة، أو الانقلاب، واتخذ القرار فوراً بإعدامه بعد القبض عليه، وينفذ الحكم عليه بعدما صلى ركعتين!، (فاجتمعت القبائل على طاعتهم، ومن خالفهم قتلوه)³!

¹ المرجع السابق، ص 137

² المرجع السابق، ص 138

³ المرجع السابق، ص 139

ثم ضاقت الصحراء عليهم كما يقول ابن الأثير، واتجهوا "أهل سوس"، بالدعوة والجهاد، ويفاجئون بقوة كبيرة، ومقاومة عنيفة، تنتهي بهزيمة ساحقة لجيشهم، وفي تلك المعركة قتل عبد الله بن ياسين، ويعود أبو بكر عمر أدراجه ليستعد أكثر لمعركة أخرى حاسمة، ضد السوسيين، تكللت بالانتصار، والسيطرة الكاملة على "أرض سوس"، ليتجهوا مباشرة إلى "سجلماسة"، ودخلوها، وولّى عليها أبو بكر ابن عمه القائد الشيخ يوسف بن تاشفين.¹

إن يوسف بن تاشفين هو القائد المرابطي الصحراوي الذي نال الشهرة الواسعة في حياته، ومماته، فلم يمكث ابن عمّه أبو بكر أن توفي، وتتحّد جميع الطوائف، والقبائل على تسليم زمام القيادة إلى يوسف، لما عرف عنه من العلم، والحكمة، والرشد، والأخلاق القيادية التي لم تُحِبَّ آمال المنتخبين له، فسرعان ما اتجه صوب المغرب التي يحكمها "الزناتة" الذين يصف ابن الأثير دولته بأنها (دَوْلَةٌ رَدِيَّةٌ مَذْمُومَةٌ، سَيِّئَةُ السَّيْرِ، لَا سِيَاسَةَ وَلَا دِيَانَةَ)، الوضع السيء الذي دعا أهل المغرب للاستغاثة بـ "يوسف بن تاشفين" فيستجيب لندائهم ليحرر المغرب حصنا حصنا، بلدا بلدا²، ويزداد اتساع رقعة المرابطين، حتى يصلوا الأندلس بنفس السبب، إذ جاءها مستجيبا لنداء العلماء، والأئمة في عهد المعتمد بن عباد، لما اشتدّ وقع الفونسو عليهم، ولم يعد هناك رادع يحول بينه وبين السيطرة على الأندلس كاملة، فيتدخل جيش ابن تاشفين منقذا، ومسعفاً، ويعود بعد الانتصار، وصد الهجوم الأوروبي المسيحي على المسلمين، ولكن ما إن يلبث حتى يقتنع الجميع بأنه إن لم يمكس المرابطون الأندلس بأنفسهم فستسقط الدولة الإسلامية هناك لا محالة، ليعود أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مرة ثانية، ويضم الأندلس إلى امبراطوريته الممتدة من غرناطة مرورا بمراكش، وموريتانيا، وسجلماسة، والصحراء الكبرى إلى غانا³.

وهكذا إلى أن اعتراها بعد أكثر من قرنٍ ما يعتري أية دولة بلغت منتهاها، وانتقلت إلى مرحلة الشيخوخة، ما يصدق نظرية ابن خلدون في قيام الدول، وانحيارها، إذ مال سادتها إلى الترف، والاستبداد، وابتعد الخلف عن تعاليم الدين، وأخلاقيات القيادة، ويقول مؤلف

¹ المرجع السابق، ص 141

² المرجع السابق، ص نفسها

³ انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد بن علي التميمي، محيي الدين، ج 1، ص 123

"المعرب": (واختلَّتْ حالُ أميرِ المسلمين -رحمه الله- بعد الخمسمائة اختلالاً شديداً، فظهرتْ في بلاده مَنَاكِرُ كثيرة؛ وذلك لاستيلاء أكابرِ المرابطين على البلاد، ودعواهم الاستبداد)¹.

ويذكر المؤلف سببا آخر طريفاً، من أسباب انخيار دولة المرابطين، هو (استيلاء النساء على الأحوال، وإسناد الأمور إليهن)²، بينما يتغافل أمير المسلمين عن ذلك، منقطعاً انقطاعاً كلياً عن الرعية، فيقوم الليل، ويصوم النهار، مقتنعاً باسم "إمرة المسلمين"، مكتفياً بـ"الخراج" الذي يصله، وتزامن ذلك مع تأسيس ابن تومرت دولته في "السوس"، واجتمع العديد من عوامل الانخيار، والموت الحتمي لأية دولة، ولم تمض سنوات بعدها حتى قضى ابن تومرت على آخر رمق لتلك الإمارة الإسلامية الممتدة تاريخياً، وجغرافياً.³

2. الزوايا الصوفية:

لقد بقي الطوارق منذ ذلك العهد في الصحراء الكبرى حاملين راية الدعوة الإسلامية، وبعدما انتهت إمارتهم تلك انتقل الأسلوب الدعوي والتعليمي إلى "الزوايا الصوفية"، فأصبحت الزاوية هي المدرسة التي يتم فيها تكوين العلماء، كما تربى المريدين السالكين.

والطريقة الصوفية المتبعة في أغلب الزوايا الصوفية بالصحراء الكبرى هي الطريقة "القادرية/ الشاذلية"، وفي برنامجها التعليمي تركز على التكوين اللغوي كثيراً، ثم مقررات المذهب المالكي في الفقه، والأصول الشافعية، والعقيدة الأشعرية، وفي جانب تربية المريدين على الطريقة يتم الاعتماد على السلوك القويم، وتقديم الأوراد.⁴

¹ المرجع السابق، ص 135

² المرجع السابق، الصفحة نفسها.

³ انظر المرجع السابق، ص 136، وما بعدها.

⁴ انظر: المختار الكبير العلم والتصوف بأزواد، أحمد الحمدي، ص 22

وأهم الزوايات التي نالت صيتاً، وشهرة كبيرة هي "الزاوية الكنتية" زاوية الشيخ المختار باي الكنتي، و"الزاوية السوكية": زاوية الشيخ حمّادو مُحمّدو¹.

3. من إسهاماتهم في التراث العربي الإسلامي:

خَلَفَ الطوارق تراثاً عربياً كبيراً كما سبق التنويه به في المقدمة، واحتوى التراث العربي المنتج بأقلام الطوارق على العلوم اللغوية، والشرعية، إضافة إلى الدواوين الشعرية، وإن لم يكن إنتاجهم في أغلبه "إبداعاً". بل "عبارة عن شرح"، أو "نظم"، أو "تلخيص"، والقدامى منهم معذورون في ذلك، لأن عصرهم كان فترة جمود، وركود للثقافة العربية الإسلامية عموماً،².

لقد أنجبت صحراء الطوارق علماء أجلاء، أسهموا في حفظ التراث العربي الإسلامي، تعلموا، وتعلّموا، وفي إعادة إنتاجه شرحاً، ونظماً، وتكفي نظرة سريعة إلى كتاب "فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور"، للبرتلي الولاتي، كي يكتشف الإنسان كم أفرزت صحراء الطوارق من علماء أجلاء، أسهموا في التراث العربي الإسلامي، وأورد المؤلف زهاء (215) عالماً من علماء "التكرور"، وغالبيتهم العظمى من الطوارق، ونذكر من بينهم على سبيل المثال: أحمد بن عمر أقيث، الصنهاجي التمبكتي، جدُّ أحمد بابا التمبكتي، يقول البرتلي عنه: (اعتنى بالعلم طوال عمره، فكتب كتباً عديدة بخطه، مع فوائد كثيرة، وترك نحو سبعمائة مجلد)³، والشيخ أحمد بن هكّ الجلادي، (كان رحمه الله يُدرِّس الفقه، والعربية، والتفسير، والحديث، ومقامات الحريري درساً حسناً...)⁴.

ومن علماء السوكيين القدامى⁵ الذين أوردتهم البرتلي (الشيخ الدَّرْفَقُ بن الفقه مُحمّد بن مُحمّد أطمَت السوقي قبيلة، الأقدري منشأ وموطنا ... وكان رحمه الله حيّاً حتى سنة إحدى عشر،

¹ انظر: الطوارق الشعب والقضية، هاشم الألوسي، ص وفي هذه الصفحة يوجد خطأ عند المؤلف، فهو زاوية الشيخ حمّادو ب"زاوية المحمود السوقي"، والواقع أن المحمود المذكور هو خليفة والد حمّادو في المشيخة، والزعامة الروحية ..

² انظر تعليق محقق كتاب فتح الشكور للبرتلي، ص 7

³ فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، للبرتلي الولاتي، ص 96

⁴ المرجع السابق، ص 70

⁵ في الباب الأول من هذه الأطروحة، تناولت بالإحصاء سائر المؤلفات المكتوبة بالأقلام السوكية.

ومائة وألف،¹، ويذكر له كتاب "هبة المالك على خلاصة ابن مالك"، ثم يعلق على هذا الكتاب: (جمع فيه ما تشتت في غيره من الشروح مما يعسر استحضاره غالباً في آن واحد، وتلقاه الناس بالقبول، وحصل به النفع)²، ويعاصره الشيخ العلامة إنلبش محمد، من بدايات القرن الثاني عشر الهجري، فقد عاش ما بين 1113 هـ . 1140 هـ وكان من أساتذة الشيخ العلامة الشيخ الكبير المختار الكنتي، أثناء تعلمه لدى السوكيين³، ومن مؤلفاته المنتشرة في المنطقة كمقرر دراسي: منظومة عدة الحافظ في علم الفراض⁴، والشيخ القاضي سلّهو، وحفيده أحمد مؤلف كتاب "الفوائد الأنيسة في نظم القواعد النفيسة"، وهو نظم لكتاب العكبري المعروف بـ "المعرب"، والشيخ أحمد الإمام محمد إكنن، من كبار علماء زمانه، له مؤلفات منها نظم رائع لـ "نوازل سحنون"، كما أن له ديواناً شعرياً⁵.

وفي مرحلة لاحقة، تعود النهضة التعليمية لدى السوكيين، بشكل أقوى، وتوضع العشرات أو المئات من المؤلفات، التي سيتم سردها إن شاء الله في الباب الأول من الأطروحة، ففي هذه الفترة يطلع أمثال الشيخ حمّادو محمدو، الذي يربي جيلاً عظيماً من العلماء، والأدباء، والشعراء، ويصنع مجتمعاً جديداً، يجمع التربية الروحية، والعلمية المتينة⁶، ومنهم نجله الشيخ الخضر بن الشيخ حمّادو، وخليفته على الطريقة، وقد قاد نهضة تعليمية عظيمة، وخلف آثاراً علمية، منها "الجوهر اللامع في نظم جمع الجوامع"، وشرح رسالة الوضع للعضد الإيجي، وديوان شعري كبير، وله معاصرون من كبار العلماء، والمؤلفين كالشيخ حمّاد بن محمد حادي، والشيخ إغلس اليماني، إلى الشيخ الطيب إسحاق، وغيرهم من الذين سيأتي سرد أعمالهم كاملة إن شاء الله.

¹ المرجع السابق، ص 96

² المرجع السابق، الصفحة نفسها.

³ أشار إليه الشيخ هارون باب بن الشيخ سيدي بن الشيخ سيدي الكبير، في كتابه "المدون في إخبار الموريتانيين ومن جاورهم من النواحي المحيطة بهم"، أشار إليه باعتباره "قبيلة كاملة"! حين ذكر أن الشيخ سيدي المختار أخذ بعض العلوم على معلم من السوكيين، وبالتحديد (طائفة تدعى "كلّ أنلبوش")، ص 225، ج 1.

⁴ انظر: أخبار موريتانيا،

⁵ هذا الديوان حقّقه ودرسه حفيده علي سليمان، لنيل درجة الماجستير في الجامعة الإسلامية بالنيجر، العام الماضي 2016م.

⁶ تحدث نجله الشيخ الخضر عن مناقبه، وأثاره، وكراماته، في كتاب ضخّم يقع في مجلدين، تحت عنوان: "التبر التالذ في مناقب الشيخ الوالد"، وما زال الكتاب مخطوطاً.

وفي هذه الفترة لا تقلُّ قبائل "كلّ أنصَر"، و"إجلاد" فضلاً عن "الكننة" في الإنتاج المعرفي عن السوكيين، وما في الكتابين المذكورين داخل المقدمة حول "الشعر الأنصاري" و"المدرسة الكنتية" يكفي دليلاً ساطعاً على إبداع الكنتيين، و"كلّ أنصَر" في التراث العربي الإسلامي بالصحراء الكبرى.

4. الطابع الثقافي المغربي على التراث العربي عند الطوارق:

يلخص المحققان لكتاب "فتح الشكور" الطابع الثقافي المغربي على التراث العربي عند التكروريين، بالآتي¹:

1. كتابة التكروريين بالخطّ المغربي.

2. العقيدة الأشعرية، والمذهب المالكي، والتصوف عن الجنيد.

3. المقررات الدراسية مغربية في الغالب، من الآجرومية، وألفية ابن مالك، إلى "الشفاء" للقاضي عياض، و"إضاءة الدجنة" للمقري، وكتب المذهب المالكي.

4. وفي مجال الأسانيد، والإجازات كذلك.

أزيد لهما تَغْيِي العديد من العلماء والشعراء السوكيين بأنهم من المغرب أصلاً، وإلى الأدارسة ينتسبون بالتحديد، عن طريق إبراهيم الضغوي كما يقول الشيخ الحضّر حمّادو في مقدمة إحدى منظوماته²:

دُوْح انتسايِ إِنْ تَرْمُ مغارسةً فاعدِلْ إلى بَحْبُوحَةِ الأدارسة
أيضاً قبيلي مِنْ يُلاقِيهِمْ أَبِي عند "ابنِ يَحْيَى بنِ الدَّغُوغِي" الأبي

¹ انظر: فتح الشكور البرتلي الولاتي، ص 13

² نظمته المسمى: الجوهر اللامع في نظم جمع الجوامع للسبكي، (مخطوطة بحوزة الكاتب)

لعلّ ما سبق يلقي ضوءًا يسيرًا على "الطوارق"، موضحاً العلاقة الوثيقة بينهم وبين الثقافة العربية الإسلامية، قديماً، وحديثاً، و "الشعر العربي" من أهم ما ورّثوه، وبما أن الشعر الذي أبدعه "السوكيون" هو موضوع الحديث فستكون أبواب الأطروحة كلها حوله، كما أنّ ذلك يفرض التعريف خصوصاً بـ "المجتمع السُّوكي" المنتج لذلك الشعر، وهذا مهمة الفصل الأول من الباب الأول، فإليه وبالله التوفيق.

الباب الأول: كَلَّ اسُوكُ والشعر العربي

الفصل الأول: قبائل كل اسوك:

الفصل الثاني: نشأة الشعر العربي والمراحل التي مر بها لدى السوكيين

الفصل الأول: عن قبائل كل أسوك:

بما أن الأدب كما يقوله السوسيولوجيون: "انعكاس مباشر لصورة المجتمع"، أو أن "المجتمع هو المبدع لا الفرد"،¹ بما أن الأدب كذلك فمن الواجب تقديم نبذة ولو يسيرة عن مجتمع "كل أسوك" الذي أبدع الشعر المدروس، ويعرف المجتمع بدءاً بـ "الكلمة" نفسها، مع الإشارة إلى الامتداد التاريخي لهذه القبائل، ثم سرد القبائل التي تنضوي تحت هذا المسمى، ويعرج المبحث الثاني إلى إبراز العلاقة، أو بعبارة أخرى قيمة هذا المجتمع كما يراها الجيران، مع الإشادة بدورهم الإصلاحي، والقيادي.

ويختتم الفصل جولته بالتوقف طويلاً عند المنهج التعليمي لدى السوكيين، وكيف يتعلمون، وما ذا يعلمون، وهل هناك إنتاج علمي غير الشعر عند القوم؟

تلك الأسئلة وغيرها هي محاور الفصل

¹ البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، لوسيان غولدمان، وآخرون، ترجمة ونشر مؤسسة الأبحاث العربية ص 75

المبحث الأول: نبذة عامة عن كل أسوك:

1. التعريف بالكلمة : (كَلْ أسوك):

الكلمة مركبة من لفظتين طارقتين: "كَلْ"، وتعني بالطارقة "أهل"، و "أسوك": السوق، و"أسوك" حسب أهلها السوكيين: لقب لمدينة عريقة مشهورة بالعلم، تسمى في الكتابات العالمية ب"تادَمَكْت"، في بلاد "التكرور"، وهي حسب الكتابات التاريخية أنشأت حضارة مزدهرة اقتصاديا، وعلميا، وحضنت كبار العلماء، في شمال "السودان الغربي"، . مالي حاليا . وليس هذا البحث مجالا للتوسع في شأن هذه المدينة، أو "الدولة"، وقد فصل الشيخ العتيق بن الشيخ سعد الدين الحديث حولها، فليرجع إليه¹، ما يهمنا هو أن القوم ينتمون إلى تلك المدينة، "الخيالية أو الحقيقية".

وقد جرى التباس كبير، أدى الى اختلاف في وجهات النظر بالنسبة لطريقة "النسبة" إلى هذه الكلمة، فقد اقترحت عدة صياغات: "آل السُوقُ/ السُّوقِيونَ/ السُّوكِيونَ، الأُسُوكِيونَ، الكَلْسُوكِيُونُ".

لقد سجلت عدة ملاحظات على صيغة "السوقي/ السوقيين" في بحثي لنيل درجة الماجستير، ملخصها أولا: أن كلمة "السوقي" تدل على معنى السقوط، والدون معجميا، وثقافيا، في أساس البلاغة للزمخشري: {وهو من السوق، وهم غير الملوك}²، وفي المعجم الوسيط: {السوقي: المنسوب إلى السوق، والسوقة، ويقال: هذا الشيء سوقي: غير جيد الصنعة، وهي سوقية}³، وأشد من كل هذا انتشارها بشكل واسع لتدل على كل هزيل رزيل، كما يفيد المعجم الوسيط.

¹ الجواهر الثمين، للشيخ العتيق، "مخطوط". من صفحة 25 وما بعدها

² أساس البلاغة، للزمخشري، مادة (س و ق).

³ المعجم الوسيط، مادة (سوق).

ثانيا: إضافة إلى هذا الإيهام الدلالي هناك تحريف صرفي في الكلمة، إذ هي كما رأينا نسبة إلى قبيلة "كَلْ أسوك"، فلم يكتب بحذف "كل"، بل أبدلت "الكاف" أيضا قافا، فذلك التغيير الصرفي المحذف هو المسبب لهذا التحريف الدلالي المفرع.

ولذا فإني أرجح مصطلح "السوكي"، الذي احتفظ بالمعنى بدون تحريف، مع مراعاة لقواعد الاشتقاق العربي، فقد حذفت "كَلْ"، كما تحذف "أهل"، ويقال لأهل نجد، النجديون، وهكذا، أي: هذه الصيغة احتفظت بأصل الكلمة الطارقي، مع احترامها لقوانين التعريب، فكان ولا بد من الأخذ بها، وهي التي سألتزم بها على طول هذا البحث، وغيره من البحوث حول المنطقة.

يستقر السوكيون في شمال مالي منذ قرون أقل ما نعرف هو أربعة قرون، وغالبيتهم تقطن "مدينة غاو" شرقا وغربا، وبعد الهجرات المتتالية جراء الحروب، والقحط، وبعد كل الزلازل الطبيعية والسياسية التي بدأت بعام 1960م انتقل بعض الأسر منهم إلى النيجر، فبوركينا، والسعودية، ثم الجزائر، وليبيا بهذا الترتيب من حيث الكثرة.

2. التنوع القبلي لِكَلْ أسوك:

مسمى "كَلْ أسوك"، مفهوم واسع، وقد يكون فضفاضاً، فهو انتساب جغرافي فوظيفي، ليس في أغلبه "عرقياً"، أي: ليسوا كلهم أبناء جد واحد جامع، كالقبائل العربية، فهم قبائل متنوعة تجمعهم السمات التالية:

1. ينحدرون من تلك المدينة المنهارة التي تسمى "أسوك".
2. هم من بين الطوارق الذين ينسبون أنفسهم إلى العرب، فهم إما منتسب إلى "الأشراف" الادارسة، والأدارعة"، أو إلى "الأنصار الخزرج، والأوس"، أو إلى "الفهريين" مع كونهم طوارق في اللغة، والثقافة.
3. قبائل تهتم في المنطقة بالثقافة العربية الإسلامية، فأنجبت العلماء الكبار في الشريعة، واللغة، والشعراء الأفذاذ، والخطاطين الماهرين.

4. قبائل متدينة، ومعروفة بالزهد، والغالبية منها تعتمد المذهب المالكي في الفقه، والأشعرية في العقيدة، والتصوف في السلوك، وجل علمائها الكبار في التاريخ صوفيون، ومرجعيات في القضاء وفق المذهب المالكي، وفي الآونة الأخيرة وصلت دعوة مُحمَّد بن عبد الوهاب، وبدأت تستقطب العديد من المناطق، والقبائل رغم ما تواجهه من مقاومة في أوساط المجتمع الصوفي.

5. أنهم لاهتمامهم بالتعلم امتلكوا نوعا ما زعامة القضاء، والتعليم، والترأس على الطرق الصوفية...

6. أنهم معروفون بـ"السلم"، وعدم العجلة إلى "الحرب"، والترفع عن كثير من الأعمال الحديثة، فشبابهم يمنعون من التسليح، ومن مزاوله كل الأعمال التي يرونها لا تليق بمكانتهم التعليمية، والصوفية.

وهكذا إذن أصبحت قبائل كل اسوك "منظومة فكرية"، قبل أن تكون تجمعاً قبلياً، لها تقاليدها الموروثة، وطبيعتها القبلية، ووظيفتها العملية، لهذا قد تكون كلمة "أُسُوك" "مفهوما مفتوحا" يدخله كل من يشاء، ويخرج منه من لا يريده! وظل مقترنا أكثر بمهنة التعلم، لدجة أنه تكاد كلمة "أُسُوك" لا تدل إلا على المتعلم من أية قبيلة كان!

أما القبائل التي تنضوي تحت هذا المسمى فهي كالتالي مرتبة ترتيباً أبجدياً:

- (1. إِجْدَشْ، 2. إِشْرَمْنْ، 3. الشَّيْوَخْنْ، 4. غَيْرْغُو، 5. كَلْ بِنْقُو، 6. كَلْ أَسْكَنْ، 7. كَلْ آصَاغْ، 8. كَلْ أَعَشْرْ، 9. كَلْ بَارَا، 10. كَلْ بَقُو، 11. كَلْ بَكَلْ، 12. كَلْ تَبُورْقْ، 13. كَلْ تَجِدِثْ، 14. كَلْ تَجْشِي، 15. كَلْ تَجَلَلْتْ، 16. كَلْ تَكْرَنْكَتْ، 17. كَلْ تَكُوْفْتْ، 18. كَلْ تَكِيرْتَنْ، 19. كَلْ تَمُوكِسِنْ، 20. كَلْ تَغَاكْلِي، 21. كَلْ تَنْقَسَا، 22. كَلْ تَيْسِي، 23. كَلْ جَرْتْ، 24. كَلْ جَنْشَشِي، 25. كَلْ جُنْهَانْ، 26. كَلْ فَاَنْبَلْجُو، 27. كَلْ وَامِي، 28. مَلْحِيَا).¹

3. علاقتهم بالحيط:

تتماز قبائل السوكيين بعلاقات نموذجية مع جميع الجيران من السنغاي، والعرب، والفلانيين، إلى بقية قبائل الطوارق، فهم مشايخ الكثير من هذه الطوائف، والمجموعات

¹ تم استقاء أسماء هذه القبائل من كتاب "الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملمين" للشيخ العتيق سعد الدين، من صفحة 40 إلى 380 (مخطوطة)

العرقية، إضافة إلى علاقات الصداقة، القوية، والعهود الغليظة، ومن أهم القبائل الطارقية التي يمتزج معها السوكيون امتزاجاً يبدأ بالمصاهرة إلى المشاركة في السراء، والضراء هم "إموشاغ" سلاطين سلطنة "إولدن"، فهؤلاء هم الذين انطلقت دولتهم بالصحراء مع تسليم كل اسوك زمام القيادة العلمية، والدينية، ثم "إمغاد"، ودوسهاك، وإشضمنهن، وكل غزاف، و "إهيون"، إلى "إفوغاس"، "وكل انصر"، وتكاد قبائل كل اسوك تتوزع من حيث شدة الارتباط بين هذه القبائل الطارقية، وإلى وقت قصير يجعلهم كثير من هؤلاء، إجلالاً يصل درجة التقديس، ويكادون يقدمونهم أحياناً على أنفسهم! ولا ييخلون عليهم بأي غال ونفيس لديهم.

ومن بين عرب الصحراء الكبرى نجد "الكتيين" الذين يمثلون القبيلة التي تجمع بين العروبة، والطارقية، مثل السوكيين، وهي من أهم قبائل العلم والدعوة الدينية في المنطقة، وقد توثقت العلاقة العلمية بينهم وبين كل أسوك بدأت بالأخذ العلمي المتبادل، إلى المراسلات العلمية، ولذلك خلّد ذكرهم شيخ الكتيين الكبير، سيدي المختار بقصيدته الرائعة¹:

جزى الله (أهل السوق) عنا بفضلِهِ	فَمَا حَسَدُوا فَضْلاً وَلَا نَطَقُوا هُجْراً
فإنَّهم ذاقوا عَسِيلَةَ عِلْمِهِمْ	فَأَوْرَثَهُمْ فَضْلاً وَأَعَقَبَهُمْ دُخْراً
يَضْمُون عِلْمَ الْغَيْرِ عَقُّوا لِعِلْمِهِمْ	فَفَازُوا بِقُصْبِ السَّبْقِ وَاسْتَحْدَثُوا فَخْراً
إذا طابَ أَصْلُ الْمَرْءِ طَابَتْ فُرُوعُهُ	وإنَّ حُبْنَتْ صَارَتْ نَتَائِجُهُ عُشْراً
ولا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ غَدَوْا	هُدَاةً لِأَهْلِ الْخَيْرِ تَجْبِرُهُمْ جَبْراً
حوَّوا كُلَّ فَضْلٍ عَنْ كِرَامٍ أَجَلَّةٍ	رَوَّوْهُ عَنْ آبَاءٍ مُدَاوِلَةٍ دَهْراً

¹ ديوان الصحراء الكبرى المدرسة الكتنية، يحيى سيدي أحمد ص 35 ج 1

هُمْ "عُقْبَةُ" (1) جَدُّ تَهَدَّوْا بِحَدِيدِهِ و"يَحْيَى" (2) وَلَمْ تَلْبَسْ أَعَارِقُهُمْ حُسْرًا

ومن القبائل التي تشاركهم الاشتغال بالتعلم، والتعليم في المنطقة "كل أنصر"، وهذه شهادة أحد علمائهم الأفاضل، يقول في قصيدة طويلة يفتخر بقومه، ويهجو "الكتيين" المذكورين، ويحيلهم إلى "السوكيين" الذين يمنحهم زمام القيادة، وتقبل شهادتهم، وحكمهم بين المتخاصمين (كل أنصر والكتيه)³:

رَضِينَا أَنْ تَكُونَ "بَنُو أَكْلُو" (4)	شُهُودًا فِي الْخُصُومَةِ عَادِلِينَا
رَضِينَا أَنْ تَكُونَ بَنُو أَكْلُو	فُضَاءَ فِي الْبَرِيَّةِ حَاكِمِينَا
فَهُمْ آلُ النَّبِيِّ وَهُمْ قَدِيمًا	أَثْمَتُنَا وَنَحْنُ مُؤَاوِزُونَا
نَصَرْنَا جَدَّهُمْ فَلَهُمْ عَلَيْنَا	وِرَاثَتُهُ وَنِعَمَ الْوَارِثُونَا
سَلُّوا "حَمَادُ" (5) إِنْ حَفِيتْ عَلَيْكُمْ	مَنَاقِبُنَا وَإِنْ لَمْ تَعْرِفُونَا
إِذَا يُخْبِرُكُمْ أَنَّا شِعَارُ	وَأَنَّا التَّابِعُونَ الْمُؤَثِّرُونَا
وَإِنْ شِئْتُمْ ف"آلُ إِدَّ" (6) فِيهِمْ	أَسَاةٌ بِالْعَنَاصِرِ عَالِمُونَا
جَهَابَةٌ أَسَاتِدَةٌ ثِقَاةٌ	وَأَثْبَاتٌ أَحَادِثٌ يَحْفَظُونَا

1 - عقبة بن نافع الفهري فاتح إفريقيا.

2 - يعني به يحيى بن هاشم بن المصطفى الدغوي.

3 - الشعر الأنصاري، أحمد الأنصاري، وصديق الأنصاري، ص 412

4 - "بنو أكلو" تسمية تجمع الكثير من قبائل اسوك، منهم كل تورق، وكل تجلث، وكل أسكن، وغيرهم.

5 - هو الشيخ حماد بن محمد شيخ الطريقة الصوفية التي انقاد لها الكثير من قبائل الطوارق..

6 - "آل إد" أعتقد - والله أعلم - أنهم أحفاد "إد إنتكرنت" جد النصف الأكبر من قبيلة "إجدش"، وكأن الكلمة التبتست على صاحب "المدارس الأدبية في صحراء الطوارق" محمد أحمد الخرجي، ص 43.

وفي كتاب الأنصاري الذي نقلت القصيدة منه أيضا شرح مؤسف ومحزن لهذه المفردات، فهو خلف لم يكن مثل سلفه! فهو لاء الذين يعرفهم الجد الأنصاري بأنهم "أثمتة" لا يشرحهم حفيده المؤلف إلا ب"واحد من علماء المنطقة" ! ولم يوضح أساسا أن الرجل يعدد طوائف من "كل أسوك".

4. عن حياة السوكيين السياسية:

الوظيفة الدينية التعليمية هي التي عُرفَ بها السوكيون في المجتمع الطارقي قديماً، إلا أنهم في عهد مملكة "إولَمَدَن" كما سبقت الإشارة كانوا في عُمقِ نظام الحكم، وعلى رأس هرم السلطة، ومنحتهم دولة "إموشاغ" صلاحيات "السلطة الدينية"، وكانوا هم أهل القضاء، والتعليم، والإرشاد¹، وبعد تَفَكُّكِ مملكة إولَمَدَن استقل العديد من قبائل الطوارق بـ "إمارات" عديدة، منها إمارة "إمَدَدَغَن"، و إمارة "كَلْ أَنْتَصَر"، ويشير الشيخ العتيق سعد الدين إلى أن السوكيين لم يؤسسوا أية إمارة باستثناء "إمارة كَلْ بُكُو"، تحت قيادة إِفَنَقَن"، ويقول: (أما اسم الإمارة فجعل أحياء السوقيين لا يسمون به واحدا منهم لكرهتهم ما يعمله الأمراء من تعدي الحدود وأنواع الظلم، فكان اسم الأمير عندهم لقباً سيئاً يأنف منه كثير من ساداتهم فيما قبل احتلال فرنسا لبلادهم وكانوا تابعين لأمارة إولَمَدَن مستغنين بتبعيتهم عن اتخاذ الأمراء من أنفسهم إلا ما كان من أهل بُكُو)²، وفي سياق الحديث عن هذه القبيلة السوكية التي أسست إمارة قوية، يذكر الشيخ العتيق أن هناك قبائل طارقية، وسوكية كانت تابعة سياسياً لهذه الإمارة، ومن تلك القبائل السوكية التابعة لـ "إِفَنَقَن" في نظر الشيخ: (فَانْبَلَجُو، وَمَلْحِيَا، وَكَلْ أَسَكَن، وَتَنْغَاكْلِي، وَكَلْ بَجِيدْت ...)³.

وللباحث ملاحظات تاريخية على آراء الشيخ في هذه النقطة، أهمها ما يلي:

أولاً: إِنَّ نَفْيَ تأسيس الإمارات عن سائر السوكيين، وتعليل ذلك بأن الإمارة مقترنة بالفساد، وسوء الأخلاق يتناقض مع التاريخ، والواقع، بل يتناقض مع ما قاله الشيخ نفسه في ذات الصفحة!: (فكان في كل قبيلة من قبائلهم أمير، بعضهم يتأمر على قومه وعلى كثير من القبائل غيرهم، ويدعى باسم أمير الأمراء، يعني ما يقال له بلغة فرنسا "كَنْتُ" وبعضهم لا

¹ انظر المختار الكبير العلم والتصوف بزواد، أحمد الحمدي، ص 26

² الجواهر الثمين في أخبار صحراء الملتمين، العتيق سعد الدين، ص 160 (مطبوع على الحاسوب).

³ المرجع السابق، ص 132

يتأمر إلا على قومه خاصةً ويحكم عليه غيره من السلاطين الذين يطلق عليهم اسم أمير الأمراء وما زالوا على تلك الحالة الجديدة إلى الآن عام 1392هـ¹

ثانياً: ما يشير إليه الشيخ هنا، ويسميه "الحالة الجديدة" حتى عام 1392هـ: (وجود منصب "أمير الأمراء/ كُنْتُو بالفرنسية")، هو وضعٌ سياسي ألغاه النظام المالي بعد سنتين فقط من الاستقلال، وأبقى على صفة "شيخ القبيلة"².

ثالثاً: عدّم الشيخ لإمارة سوكية أخرى غير التي ذكرها، ويشهد لها كل سكان المنطقة، ويعرف عنها الشيخ الشيء الكثير، وهي "إمارة كلّ اسكن"، وهي إمارة تجاور إمارة "إفَنَقْن"، وتنافسها في النفوذ الجغرافي، والديموغرافي، وقد أدركها الاستعمار الفرنسي، وتعامل مع زعمائها، وتتكون من قبائل سوكية³، وطارقة⁴.

رابعاً: تجاوز الشيخ مستوى التجاهل، إلى تحكّم غريب في التاريخ لم نسمع له مستنداً، ولا نعرف له مبرراً، وهو التصريح بأن هذه القبيلة (كلّ اسكن) هي من القبائل التي تحكم عليها سياسياً أو بعبارته (دنيويا) إمارة "كلّ بُك" !!!! مع أنّها كوّنت مع جيرانها، وأهل عهدها "إمارة" واسعة الأطراف وراء نهر النيجر بإقليم غاو - وهذا ما لم أفهم له تفسيراً، ولا مُسوّغاً بعد! متى تمّ؟، وكيف؟، وما مصدره؟

خلاصة القول أن السوكيين كانوا سابقاً يمارسون نوعاً مهماً من السياسة في سلطنة "إولَمَدَن"، هو السياسة الشرعية، والتشريعية، فهم داخل تلك الدولة قضاة، ومعلمون، ومستشارون، ومرشدون، وأن بعضهم قاموا بتشكيل "إمارات" تتمتع بالاستقلالية، وبقدر ما من التنظيم، بعد انحلال سلطنة "إولَمَدَن"، وفي عهد الحكومة المالية ابتعدوا أكثر عن

¹ المرجع السابق، ص 160

² مقابلة مع مخضرم سياسي من السنغالي، اسمه "موسى توري"، في غاو، بتاريخ 2016/03/07م، وانظر: الطوارق الشعب

والقضية، هاشم الألوسي، ص 250

³ الطريف أن بعض القبائل السوكية التي ذكر الشيخ تبعيتها لإمارة "إفَنَقْن" مثل "ملَخِيَا"، و "كلّ تَجِيدُثْ..." هي جزء لا يتجزأ سابقاً مما يعرف ب "إمارة كلّ اسكن".

⁴ شرحها لي زعيم القبيلة الحالي الشيخ المبارك محمد، في مقابلة أجريتها معه في قريته "دوغَي"، إقليم غاو - شمال مالي، بتاريخ 2017/04/03م، وما زالت تلك القبيلة، تحظى بمكانة خاصة بين أتباعها القدامى من الطوارق، وعهدها مع السنغالي، والعرب في "أَرَبْنْدَا".

وقد تحدث عن تلك الإمارة جدي محمد بن محمد الأمين في رسالة تاريخية وجهها إلى ابن عم الشيخ العتيق مؤلف "الجوهر" ! والرسالة بحوزة الباحث.

السياسة، ومشاكلها، وحاولوا اتخاذ موقف "الحياة" بين الثوار الطوارق، وحكومة "مالي"، واحتفظ مشايخ القبائل بمنصبهم المعتمد رسمياً "شيخ قبيلة"، وظلّ حضورهم في الساحة السياسية ضعيفاً جداً !

ولقد اختبرَ حيادهم كثيراً بعد الثورة الجديدة التي عصفت بالمنطقة حين تمَّ إعلان "دولة أزواد" شمال مالي من قبل الانفصاليين عام 2012م، إذ أفصح الكثير من زعمائهم عن "الانضمام" إلى الثوار الطوارق، حيث لم يعودوا حينها يتوقعون عودة مالي مرة أخرى، كما أنَّ بعضهم حكايات مأساوية يتهمون من خلالها الجيش المالي، إذ يقولون: (إنهم ليسوا من أهل السلاح، والكل على علم بذلك، لكن طالما وقعوا ضحية المطاردات بين الجيش المالي والطوارق، فنتنقم منهم دوريات المالىين!)¹، على أنَّهم مع ذلك التوتر في المواقف السياسية كانوا أقرب إلى "اعتزال السياسة" على مستوى شيوخ القبائل.

5. أصل السوكيين:

ينسب السوكيون قطعاً أنفسهم للعرب، مع اعترافهم جميعاً بأنهم "تَطَرَّقُوا" لغة، وثقافة، وأعرافاً، وقد كتب بعضهم كتابات تؤيد ذلك الرأي، أهم تلك الكتابات رسالة للشيخ الخضر حمادو، وكتاب للشيخ الحاج مُحمَّد أحمد، وأيدهما الشيخ العتيق سعد الدين في كتابه "الجوهر الثمين"²، وبذلك الانتماء العربي قسموا أنفسهم إلى "أشراف" ينحدرون من آل البيت الشريف، وإلى "أنصار" : الأوس، والخزرج، ويرى الشرفاء منهم أنَّهم من "إبراهيم الضغوي" المنحدر فيما يروونه من إدريس الأكبر مؤسس مدينة فاس.

¹ عبارة قالها لي أحد شيوخهم في مقابلة حول موقف السوكيين من الثورة والحكومة المالية، أجريتها معه، وكان من ضمن اللاجئين في مخيم جَدَبو بدولة بوكرينا، بتاريخ: 2016/11/18م، وهو الشيخ موسى إبراهيم.

² المرجع السابق، ص. 178.

نجد ذلك الانتماء في كتاباتهم القديمة، ومنها ما يبدأ به إنلبش مُحمَّد (عاش حتى سنة 1113 هـ) منظوماته، إذ يبدأ بمثل البيت التالي¹:

قال مُحمَّد هو الدغوي جَدُ تَكَرُّرُ إِقْلِيمِ وَسُوقِي الْبَلَدِ

وفي آثار أحمد الإمام مُحمَّد أكنن (عاش حتى سنة 1226 هـ) انتماءه للدغوي.

وبجانب هؤلاء غنى الشعراء بتلك النسبة، مثل قصيدة الشاعر الحاج مُحمَّد في إثبات ذلك الانتماء العربي²:

سائلاً عَنْ أَصْلِنَا وَهُوَ جَهْلٌ	إِنَّنَا مَا رَابِنَا عَنْهُ دُهْلٌ
إِنَّنَا مِنْ دَوْحَةِ الْعِزِّ، وَمِنْ	هَامَةِ الْعُرْبِ مِنْ ابْنَاءِ الْبَتْلِ
سَادَةُ السَّادَةِ أَرْبَابُ الْحِجَا	صَفْوَةُ الصَّفْوَةِ مِنْ سِبْطِ الرَّسُولِ
وَسِوَاهُمْ فِتْيَةٌ مِنْ آلِ مَنْ	نَصَرُوا الْمُخْتَارَ، فَخَرُّ لَا يَزُولُ
مِنْ بَنِي الْخُزْجِ إِخْوَانِ الصَّفَا	وَالْوَفَا فِيهِمْ قَدِيمًا لَا يَحُولُ
زِدْ عَلَى ذَيْنِكَ قَوْمًا شَارَكُوا	آلَ فَهْرٍ فِي اعْتِرَازٍ بِأُصُولِ
نَصَرُوا أَحْمَدَ، أَوْوَا صَحْبَهُ	نَافَحُوا عَنْهُمْ، وَعَنْهُمْ مَنْ يَصُولُ
وَهُمْ مِنْ عُقْبَةِ جَدِّ لَهُمْ	فَاتِحِ الْعُرْبِ جِبَالٍ وَسُهُولِ
وَالْقَوَائِي شَاهِدَاتُ أَنَّنَا	عَرَبٌ نَنْحُتُهَا كَيْفَ نَجُولُ
مَا اشْتَكَى الْلُكْنَةُ مِنَّا مُشْتَكِ	لَا، وَلَا عِيَّ بِهِ حِينَ يَقُولُ
إِنْ تَكُنْ فِي رِبِيَّةٍ فَاسْتَفْتِ مَنْ	سَاجَلُونَا فِي مَجَالَاتِ الْعُقُولِ
وَاسْأَلِ اللُّسْنَ مِنْ أَرْبَابِ اللُّغَى	هَلْ رَأَوْا مِنْ حَدِنَا أَدْنَى قُلُولِ؟
أَوْ رَأَوْا مِنْ شَمْسِنَا إِذْ أَشْرَقَتْ	فَوْقَ جَوِّ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى أَفُولِ
قَدْ وَرَثْنَاهَا وَعُذِينَا بِهَا	وَارْتَضَعْنَاهَا، وَكَالْأُضْلِ الْفُصُولِ
مَنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلُ مَا جَدًّا	مَنْ بَنَى الْأَدْرَعَ أَبْنَاءَ الْفُحُولِ
جَعْفَرِي حَسَنِي	لَمْ يَكُنْ يَخْفَى عَلَى غَيْرِ جَهْلٍ

¹ القصيدة مخطوطة مع الباحث.

² الإمتاع والإبهاج، أحمد محمد الحاج، ص 254

والسَّخَا فِيهِمْ قَدِيمًا سُنَّةٌ قَدْ رَوَّوْهَا عَنْ أَصُولٍ عَنْ أَصُولٍ
 وَلَهُمْ فِي نَشْرِ دِينِ اللَّهِ فِي قُطِرِهِمْ دَوْرٌ إِذَا عُدَّ يَطُولُ
 وَحَدِيثُ الْفَضْلِ عَنْ أَجْدَادِنَا بِرَوَايَاتِ عُدُولٍ عَنْ عُدُولٍ
 وَخِصَالُ الْخَيْرِ طَرًّا مَا لَهَا عَنْهُمْ مَيْلٌ وَلَا أَدْنَى عُدُولٍ
 لَمْ أَقُلْ فَخْرًا، وَلَمْ أَبْغِ بِمَا قُلْتُ جَاهًا، لَا، وَلَا أَرْضَى الْفُضُولُ
 بَلْ دُرُوسٌ هَكَذَا لُقِّنْتُهَا فَلِمَنْ بَعْدِي مِنْ ابْنَائِي أَقُولُ
 فَدَعَانِي مَا دَعَانِي مَنْ دَعَا فَادَّعَى وَصَفَ أَصُولِي بِالْحُمُولُ
 عَلَيْهِ يَحْسَبُ أَنَّا تُبْعَ هَمَجٌ يَغْتَالُنَا كُلُّ مَقُولُ
 فَلَعَمْرِي إِنَّا إِنْ لَمْ نَقْدُ لَمْ نَقْدُ، وَالْمُرْدُ مِنَّا كَالْكُھُولُ

ومناقشة هذا الانتماء يطول فيها الكلام، وفيما مضى داخل المدخل تلخيص
 للمسألة، وما لا شكَّ منه هو انتماء السوكيين إلى "الطَّوارق" عموماً من حيث "الهويَّة"
 بمظاهرها الثقافية، واللغوية، ثم "الأرض"، و"المصالح".
 وإن شكَّ أحدٌ في انتماء كلِّ اسْوَكٍ إلى العرب عرقاً فيستحيل أن يشكَّ في تشربهم
 عصارة العربية، وإتقانهم لعلومها، وبروزهم النادر في فنونها، والاشتغال بها إجمالاً، وتفصيلاً،
 فكيف تعلموها، ثم علموها؟ وما ذا يتعلمون؟ وإلى أين وصل بهم الاهتمام الكبير بلغة
 الضاد؟

المبحث الثالث: مكانتهم العلمية: البرنامج البيداغوجي والتأليف:

بزغت نجوم مضيئة في قلب تلك الصحراء الكبرى بأزواد/ شمال مالي، قاوموا القحط العلمي، وشح الإمكانات، فكان لهم الفضل الكبير في الحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية بغرب إفريقيا منذ عهد المرابطين إلى اليوم، ولم تلتفت إليهم أية دولة للرعاية من دولة مالي التي لا تهتم أصلاً بالعربية كثيراً، إلى الدول العربية التي قد لا تعرف ما مر به هؤلاء من تضحيات في سبيل اللسان العربي، وقد حملوه على جمالمهم وهم فارون من هيب الحروب، أو نازحون من مكان إلى مكان هروبا من ويلات الطبيعة، وتقلباتها التي تدهمهم فجأة... فأسسوا مدارس متنقلة بين المضارب، لا ينقص الترحال من نشاطها، بل صنعوها من المستحيل، حتى تخرج من بينهم عباقرة الشريعة الإسلامية، وفطاحلة اللغة العربية، فكيف يتم ذلك التكوين؟ تلك قصة من الاجتهاد، والصمود، سنلخصها في الآتي.

أ. البرنامج البيداغوجي¹:

إن عملية التكوين العلمي لدى السوكيين، أو البرنامج التعليمي "البيداغوجي" يمر بمراحل، أهمها ثلاثة، لكل مرحلة، طبيعتها، وعمرها، ومقرراتها:

المرحلة الأولى: مرحلة القرآن والعقيدة:

يلتحق الطفل في عمر 4 سنوات على الأقل، و5 سنوات على الأكثر بهذه المرحلة، وكانوا يحددون ذلك في بعض المناطق بسقوط السن!، فيذهب الطفل إلى الشيخ معلم القرآن، الذي يكتب له على اللوح، فيبدأ بالأبجدية، حتى يتقنها بكل أشكالها، ثم يبدأ في عملية حفظ القرآن الكريم، يجب على التلميذ أن يحفظ الجزء الذي يكتب له على اللوح يوميا، وكانوا يبدؤون القرآن للأطفال بالفاتحة ثم الأحزاب الدنيا عكسا من حزب سبح، وعم إلى سورة الأحقاف، بعد ذلك يمكن أن يرتقي إلى سورة البقرة، ويرجع من هناك، أو ينتقل بالحرية داخل الحقل القرآني، حتى ينهي بالحفظ، والحضور يومي، إلا الخميس، والجمعة، ويبدأ الأسبوع يوم السبت لديهم!، واللافت للنظر شدة القسوة التي يظهرها المعلمون على

¹ هذا البرنامج تم تلخيصه من ثلاثة مصادر:

- مشاهدتي الشخصية لتطبيقاته، لأنني من الذين عاشوه

- رسالة اللؤلؤ المنسوق في كيفية تعليم آل السوق، للشيخ الحاج محمد أحمد.

- مقابلات مع شيوخ المنطقة منهم الأستاذ محمد إبراهيم مدرس في محاضرة الشيخ زين الدين.

هؤلاء الأطفال حيث يبرحونهم ضربا دون أية رحمة تارة، إذا لم يحفظ آية، أو قرأ وراء ظهره فتلعثم! إنهم يمارسون أشكال التعذيب على هذه الأجسام الصغيرة بحجة أن حفظ القرآن يستدعي ذلك، وأن النتيجة ستكون طيبة لا محالة.

طقوس ختم القرآن:

الفرحة تعم أرجاء القبيلة، وتخص الأسرة، صاحب الطفل الذي ختم القرآن، فلا بد من إعلان "وليمة" كبيرة، يجتمع الرجال، والنساء، ويحدد الناس ملابسهم، خاصة المعلم والطفل الحافظ، ويحلق رأسه جيدا، فيكتب على اللوح خطاط ماهر بخط رائع جدا آخر السورة التي ختم عندها القرآن، فتقام الوليمة لدى أسرة الطفل، وهي وليمة تذبح فيها البقرة، وتحضر سائر المأكولات الخاصة المتوفرة، ويتفاوت مستوى الوليمة حسب قدرة الأسرة، وقبل وجبة الغداء، يختار المرتلون من الحفاظ الذين يمتازون بحلاوة الصوت فيتناوبون على قراءة تلك الآيات المكتوبة على اللوح، في أجواء تعطرها الأفراح العظيمة، وتتعالى البهجة مع العطور المنتشرة في المكان.

وبتلک الوليمة يعلن عن هذه المناسبة العظيمة، فيتوج الطفل بلقب "الحافظ"، وينال الاحترام، كما يعتبر ذلك تنويجا لجهود المعلم نفسه ! وهكذا ينتهي الجزء الأول من هذه المرحلة، والطفل ما زال لم يكمل عشر سنوات، فيحفظ عقيدة أبي زيد القيرواني، مع الترجمة الطارقية لها، ويرددها وراء ظهره كما يفعل مع كتاب الله.

المرحلة الثانية: دراسة علوم الآلة:

علوم الآلة عموما تنال اهتماما زائدا في المحاضرة السوكية، وإتقانها لم يعد ضرورة، بل صار لديهم "عادة اجتماعية"، بها يتم تقييم الفرد انخفاضاً وارتفاعاً، وهي مرحلة يلتحق بها الطفل بعد العقيدة مباشرة في أي عمر ولو دون العشر.

1. النحو:

متن "الآجرومية"، أول متن يتم تعليمه للطفل، ويدرسه على ثلاث مراحل: (مرحلة الحفظ / الشرح باللغة الطارقية/ حفظ إعراب كل الأمثلة والشواهد الموجودة)، ليستطيع الانتقال إلى "ملحة الإعراب" للحريري، أو "قطر الندى لابن هشام"، ليكون ذلك تمهيدا وتسهيلا

للطريق إلى "ألفية ابن مالك بشرح السيوطي" في الغالب..، فيحفظ المتن حفظه للقرآن الكريم، وكان التلميذ يرتل متن الألفية ترتيباً بأعذب الأصوات في الليل وراء الخيمة، مستقبلاً القبلة !

إذا تمكن جيداً في الألفية حفظاً، وفهماً يحتم ما تبقى من مباحث الصرف بـ "لامية الأفعال لابن مالك"، ومن النحو بـ "قواعد الإعراب" لابن هشام، ففيهما ما ليس في متن الألفية، بعضهم يستمر إلى "الكافية" لابن مالك للتعلم أكثر في النحو.

2. اللغة:

وإن علم الأستاذ أن التلميذ أصبح له القدرة على إعراب أي شاهد عربي الآن فإنه ينقله إلى "مقامات الحريري" فيحفظ 9 مقامات عادة، يقويها بالمعلقات السبع.

3. البلاغة:

تجعله هذه الكتب متشوقاً بنفسه إلى البلاغة، ويصل إليها محملاً بكثير من المفاهيم اللغوية، فيدرس أكبر موسوعة بلاغية، المتمثلة في "تلخيص المفتاح" للقزويني، وبشرح التفتازاني أيضاً.

4. المنطق:

يعتبرون علم المنطق من مكملات علوم الآلة، التي تساعد على فتح ذهن الطالب، وعلى استعداده لاستيعاب أية قضية معقدة، فتكون له آلية سجل قوية، ويقتصرون في التعليم على "السلم المرونق في علم المنطق" للأخضري.

5. أصول الفقه:

بعد هذه الأدوات كلها يكون مجهزاً تمام التجهيز لفهم أصول الفقه، فيدرس لزماً كتابين أساسيين، الأول: "الورقات" لإمام الحرمين الجويني، ثم يحيط بالمسائل في "جمع الجوامع" للسبكي، رغم كونهم مالكيين في الفقه إلا أنهم يدرسون أصول الفقه لدى الشافعية.

6. مصطلح الحديث:

هذا العلم ليس منتشرًا انتشاراً كبيراً في المنطقة، فالفقه المالكي يغني في كثير من مناطق شمال إفريقيا عن الحديث، وغيره، واستمر فترة ليست بالقليلة هو السائد، ولا يحتاج العالم إلا إلى علوم الآلة، ثم يتعمق في الفقه المالكي بعد ذلك، إلا أن بعض المحاضر تدرس "نخبة الفكر"

لابن حجر، و"ألفية العراقي"، و"تدريب الراوي" للسيوطي عند التخصص في مصطلح الحديث.

وبهذه المحطات تنتهي المرحلة الثانية، ويتفاوت الطلاب طبعاً هنا، ويتناقض إقبالهم بعد ذلك فهذه المرحلة ينهيها الواحد تارة وهو تراوده أفكار الزواج، والمجتمع، أو البحث عن مصدر رزق، أو نحو ذلك، إلا أن الذين يريدون التعلم من هنا يبدؤون ! فيرتقون إلى المرحلة الأخيرة.

المرحلة الثالثة: مرحلة التعمق في الشريعة الإسلامية:

تبدأ هذه المرحلة رسمياً بتدريس "مختصر خليل" شرح الدسوقي، ويجب حفظ متنه لمن يريد التصدر للإفتاء، ثم بعد ذلك يطالع المتعلم في أمهات كتب الشريعة بلا حدود، فيبدأ بأخذ "الإجازات" من المشايخ، التي تسمح له بقراءة، ونقل مختلف المصادر الشرعية، فيطالع تفسير الجلالين، والقرطبي، وابن كثير، ثم الصحاح، والسنن في الحديث، ولديهم عادة قراءة صحيح البخاري بإحضار شروحه المتوفرة خصوصاً فتح الباري لابن حجر في شهري رجب وشعبان سنوياً، ويتعمق المتعلم كذلك في هذه المرحلة بكتب القواعد الفقهية، وكتب الجمع بين المذاهب، والسيرة النبوية، ويهتمون كثيراً بكتاب "الشفاء" للقاضي عياض، بحيث يقرؤونه سنوياً في شهر رمضان الكريم على شكل حلقات، وتكون له مطالعات ترفيهية في مصادر الأدب كالبيان والتبيين للجاحظ، والأمالي لأبي علي القالي، وبعض الدواوين الموجودة لديهم كالحماسة لأبي تمام، ونحوها.

ويظهر في هذه المرحلة قلة التدخل من قبل المعلم، فهم يرون المتعلم الآن بإمكانه فهم الكتب دون مساعدة أحد باستثناء تدريس مختصر خليل، فسيكون حاضراً في حلقات كبار المشايخ حيث تطرح الأسئلة، والنكت، وتناقش المسائل العويصة، ويصبح مشاركاً في هذه الفنون بقول الشعر والتأليف، أو بأحدهما.

ب. عن التأليف والمؤلفات لدى كل أسوك¹:

التأليف عموماً أمر مخيف للصحراويين، من شدة قداسته، وأهميته، ولذا كان لا يتصدى له غير الكبار، الذين أوتوا جميع الأدوات، والإمكانات، التي تمنحهم المكانة المرموقة، حتى يصبحوا مؤهلين اجتماعياً، ونفسياً لـ "التأليف"، فله لغة فنية خاصة حسب عقيدة القوم، كما أن له آداباً غليظة، يجب احترامها، ولذا يمكن القول إجمالاً: إن المؤلفات السوكية ليست بكثرة علمائهم، لعوامل طبيعية:

1. التشدد الكبير في الشروط التي يجب توفرها في الشخص قبل التصدي للتأليف، واحترامهم الكبير لهذه المهمة العظيمة.

2. قلة المراجع والمصادر لديهم فهم منقطعون عن العالم العربي، ونادراً ما يصلهم كتاب واحد، فيستنسخونه، وتروى قصص في مغامراتهم للحصول على "كتاب معين"، وذهابهم إلى "فلان" للاطلاع على الكتاب الذي أهدي له من دولة عربية بعيدة !

3. ضعف الأدوات نفسها، مثل الأقلام، والورق، فلا حديث عن كمبيوتر، ولا طابعة، فتأليف أي كتاب في ظل هذه الظروف أمر يستنزف جهوداً مضنية، وهذا هو ما يفسر قلة المطولات لديهم، فالغالب من أشكال التأليف: "رسائل"، و"مختصرات"، و"نظم متون".

إن المؤلف منهم يستحق أن يحتفل به يوم تأليفه للكتاب، ويجب أن يتم تقريظه من قبل أصدقائه، وهذا أنتج سيلاً كبيراً من "شعر التقاريط"، والانتهاه من تأليف أي كتاب عبارة عن مناسبة شعرية احتفالية جميلة، على غرار الاحتفال الكبير بانتهاء كتاب "التبر التالد"

¹ هذا مبحث، ألخص به مشروعاً كنت أشتغل عليه هو الآخر، وهو أفراد عمل مستقل، يتحدث بالتفصيل، والتأصيل حول "التأليف"، وطبيعته، ولغته، وفلسفته، وأهدافه، ومجالاته لدى كل أسوك، ثم يعرض بالتوضيح الكافي سائر المؤلفات التي أبدعها السوكيون على مدى 3 قرون، وأرجو من الله أن يوفقني لإنهاء ذلك المشروع قريباً

للشيخ الخضر حمادو، فانحال عليه وابل من التقاريط البديعة كهذه المذهبة الغراء للشاعر/
الفتى محمد أحمد التي يقول فيها¹:

رَأَى نُورًا جَلَا وَأَضَاءَ فَاقًا	أَفَاقَ الْقَلْبُ؟ لَا، مَا إِنَّ أَفَاقًا
مَطِيَّاتِ الْحَقَائِقِ لَا حِقَاقًا	مَتَى مَا رُمْتَ تُدْرِكُهُ فَهِيَا
يُوضِّحُ فَنَّ مَعْرِفَةٍ فَرَاقًا	وَهَبُهُ مُصَنَّفًا وَشَاءَ دَارٍ
وَفِي الْمَقْصُودِ حَرَّرَهَا انْطِبَاقًا	فَأَعْرَبَ عَنِ عُلُومِ الْقَوْمِ ضِمْنًا
فَقَدْ نَالَ اطِّلَاعًا وَاعْتِلَاقًا	لَنْ يَظْهَرُوا طَوَالِغَ فِي عُلُومِ
مِنَ الْمَعْنَى يُرَوِّقُهَا رَوَاقًا	بِ"تَبْرِ تَالِدٍ" يَبْنِي قُصُورًا
وَكَانَ بِهِ الْخَبِيرَ فَلَا اخْتِلَاقًا	وَفِي بِحُقُوقِ وَالِدِهِ ثَنَاءً
تَلَا الْمَرْجَانَ لَوْلُؤُهُ انْتِسَاقًا	فَيَا لَكَ مِنْ عُبَابٍ مَوْهِيٍّ
لِفِكْرَةٍ حَازِقٍ كَأَسَا دِهَاقًا	يَمْدُ بِرَاحَتِي صِدْقٍ وَعَدْلٍ
فَهَامَ الْفِكْرُ حُبًّا وَاشْتِيَاقًا	وَعُنُوتُ الْمَصْنَفِ أَلَّ بَرْقٍ
وَلِلْأَفْكَارِ مَعْنَاهُ اسْتِيقَاقًا	فَلِلْأَبْصَارِ مَبْنَاهُ اكْتِحَالًا
وَدُونَكَ مِنْ مَسَالِكِهِ ارْتِفَاقًا	فَدُونَكَ مِنْ مَدَارِكِهِ اقْتِبَاسًا
وَدُونَكَ مِنْ تَلَايِدِهِ اغْتِيَابًا	وَدُونَكَ مِنْ طَرَائِفِهِ اصْطِبَاحًا
وَدُونَكَ فِي مَسَائِلِهِ ارْتِوَاءً	لِحَبْرِ فِي التَّصَوُّفِ غَيْرِ آلٍ
فَهَنَّا الْمَسَامِعَ وَ الْحِدَاقَا	وَعَبَّرَ عَنْ طَرِيقِ الْقَوْمِ أَصْلًا
وَفَرَعًا وَاجْتِمَاعًا وَافْتِرَاقًا	وَشَخَّصَ مَسْلَكَ الشَّيْخِ الْمَرْقِي
بِلَحْظَتِهِ الْمُبَارَكَةِ الرِّفَاقَا	تَرَى قَلَمَ الْبَرَاعَةِ وَهُوَ حَاسٍ
وَيُرْوِي مِنْ مُسْلَسَلٍ مَا أَرَاقَا	فَأَصْبَحَتْ الدَّوَاةُ دَوَاءَ صَادٍ
مَتَى لَاقَتْ أَمَدَتَهَا رِفَاقَا	فَمَا كَانَتْ سَحَابَتُهُ جَهَامًا
وَلَا كَانَتْ فَصَاحَتُهُ اسْتِرَاقَا	فَأَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيهَا وَأَسْكِنِ
عَقَلْتَ الدَّارَ بَانِيهَا وَفَاقَا	

¹ التبر التالذ للشيخ الوالد، الخضر حمادو، ص 575، (مخطوط)

ومجالات التأليف يغلب فيها الفقه، واللغة، والردود، والتاريخ ثم بقية الفنون بنسب قليلة، وهذه أهم ما وجدته (وما لم أعثر عليه من العناوين قد يكون كثيراً):

أولاً: القرآن وعلومه:

1. تجبير التحرير في اختصار تفسير ابن جرير للطيب إسحاق
2. ردع الأقران عن التحكم في أحكام القرآن مُحمَّد دانيال
3. مصباح الدجا ومفتاح النجا آداب القرآن لمحمد أحمد اللادي
4. تعليقات على الدرر اللوامع نظم مقرأ الإمام نافع للمحمود بن مُحمَّد ألاغ

ثانياً: العقيدة:

1. تربية الطالب في أول الواجب، مُحمَّد بن إنلبش.
2. تفتيش الجيوب عن محبّات هادية القلوب لأحمد عرفة
3. الجواهر السنية في العقائد السنية للحاج مُحمَّد أحمد
4. رفع العتاب عن المتمسكين بالسنة والكتاب لأعالي مُحمَّد
5. شفاء الأسقام في قواعد الإسلام مُحمَّد بن أحمد اللادي
6. الصدف الحاوي نظم عقيدة الطحاوي لحمزة عثمان
7. فتح الودود في الرد على مدعي الرؤية ووحدة الوجود للخضر حمادو
8. نظم مقدمة أبي زيد القيرواني لمبارك خضر

9. هادية القلوب، في العقيدة الأشعرية لإنلبش مُجَدِّ
10. واسطة الفريدة نظم واسطة العقيدة لأحمد مُجَدِّ الحاج
11. ظلال الجنة في نظم أصول السنة لصالح عثمان
12. نظم العقيدة الطحاوية، لمنير بن محمد زَدَّ
13. تنميق الطروز في إباحة الرقى وتعليق الحروز، لمحمد يحيى حمدا

ثالثا: الحديث وعلومه:

1. تبيان النقض في تعليل أحاديث القبض للمهتدي ابراهيم
2. الدرر نظم نخبة الفكر للحاج مُجَدِّ أحمد
3. السراج الوهاج في اختصار صحيح مسلم بن الحجاج للطبيب إسحاق
4. شرح الدرر نظم نخبة الفكر للحاج مُجَدِّ أحمد
5. شرح الدرر نظم نخبة الفكر، للمحمود بن مُجَدِّ أَلَاغ
6. شرح الدرر لعبد الكريم الكرمانى.
7. تحفة الخليل في ضوابط الجرح والتعديل لنافع عثمان
8. الطرفة لنافع عثمان أيضا
9. الغيث السحاح في تخريج أحاديث مختار الصحاح ليحيى عثمان

رابعا: الفقه وأصوله:

1. أنظام تتضمن مسائل فقهية لزين الدين بن عبد الفتاح

2. ترقية الأفهام للفتى محمد أحمد
3. تقريب البعيد في الفرق بين التأويل القريب والبعيد، (في أحكام الصوم ويتضمن مع ذلك موجبات الكفارة وأنواع الكفارات) لزين الدين عبد الفتاح.
4. تنقية الأوهام في شرح ترقية الأفهام { في ذات الوليين ونظائرها } لزين الدين بن عبد الفتاح.
5. الجمان المشرقات في نظم الورقات لحمدًا محمد
6. الجواهر اللامع في نظم جمع الجوامع للخضر حمادو
7. رسالة في البيوع المنهي عنها لمحمود بن تان
8. رسالة في تنوية الحالف بالأيمان اللازمة، لإسماعيل بن محمد ظلع.
9. رسائل في مسائل فقهية مهمة لزين عبد الفتاح
10. رسائل نافعة في حل مسائل فقهية للمبارك محمد
11. زاد الغائب في التطليق على الغائب لمحمد "زد" بن حميد
12. شرح أرجوزة الشيخ { ملو } في الفرائض. لزين الدين بن عبد الفتاح
13. شرح أرجوزة الشيخ أحمد بن عبد الله في مسائل العبيد. لزين الدين بن عبد الفتاح.
14. شرح الجواهر اللامع نظم جمع الجوامع للمحمود بن محمد الأغ
15. شرح عدة الحافظ لمحمد أحنى
16. شروط صلاة الجمعة. لزين الدين بن عبد الفتاح.

17. شوارق الداراري للرد على علي الأنصاري هماهما سلهو
18. عدة الحافظ إنلبش مُجَّد
19. عدة اللاحظ شرح عمدة الحافظ في الفرائض لزين الدين بن عبد الفتاح.
20. العقل والرشد شرح نظم مقدمة ابن رشد، شرح لأرجوزة الشيخ العلامة عبد الرّحْمَن الرقعي، في فقه العبادات على مذهب الإمام مالك. لزين الدين بن عبد الفتاح.
21. فتاوى فقهية متفرقة، لزين الدين بن عبد الفتاح.
22. فتح الرب بنظم أصول الفقه من اللب لحمزة عثمان.
23. الفوائد البينات فيما ورد في البيوع من المنهيات. لزين الدين بن عبد الفتاح.
24. القول الأسبع الأشبع في المسائل الأربع لمحمد بن حمد الأمين.
25. القول السديد في تحرير العبيد، أحمد عبد
26. القول الوافر، في جواب مسألة المهاجر، (في أحكام الزكاة). لزين الدين بن عبد الفتاح.
27. اللآلي الكمينية شرح الدرة الثمينة للطيب إسحاق
28. مسالك الترقية في حكم تزكية الحبوب قبل التنقية للحاج مُجَّد أحمد
29. المنتصر في إبطال صلاة المنتظر لزين الدين المنير
30. المنهج الميمون في نظم نوازل سحنون لأحمد الإمام مُجَّد إكنن
31. نظم جمع الجوامع لمحمود مُجَّد الصالح

32. نظم جمع الجوامع لأعالي مُحمَّد
33. نظم كتاب الأخضري لمحمد أحنى
34. نوازل أبي الهدى لمحمد أبو الهدى
35. نيل الوطر نظم الأخضري أحمد بن هماهما
36. هدية اللبيب (أرجوزة في تراجع الحملاء) لمحمد "زَدَّ" بن حميد
37. ينع اليوانع نظم جمع الجوامع لمحمد معاوية

خامسا: النحو والصرف واللغة:

1. إرشاد الغلام إلى مثلثات الأسماء لأحمد الأحمدى
2. تجبير المقال شرح منية الأمال لحمدًا مُحمَّد
3. التحفة البكرية في نظم الشافية للطيب إسحاق
4. ترقية السالك إلى ألفية ابن مالك لأعالي مُحمَّد
5. شوارد نحوية، لحمزة عثمان
6. الصبابة في النحو، لحمزة عثمان
7. علامة الرفع نظم رسالة الوضع، لمحمد الولي حمدا.
8. عون العلي المالك شرح كافية ابن مالك لمحمد حمدا
9. عون المتعال في نظم معاني الأفعال، لمحمد الولي حمدا
10. غيث الجدوى في نظم قطر الندى لسعد الدين عمار

11. غيث النفع شرح رسالة الوضع للخضر حمادو
12. فتح الأقفال عن لامية الأفعال لمحمد عال
13. قواعد المعرب منظومة لمحمد الأمين بن هماهما سلهو
14. القول المحرر في فردية ادرج المكرر لمحمد "زد" بن حميد
15. مواعد الإطراب نظم قواعد الإعراب لمحمد مُجَد
16. نظم الفرق بين الصفة الكاشفة واللازمة لمنير بن محمد زَد.
17. نظم مثلث ابن حبيب لمنير بن محمد زَد
18. نظم معاني حروف الهجاء لمنير بن محمد زَد

سادسا: الأدب والنقد:

1. ترغيب المشوق في ذكر أشعار آل السوق لزين الدين عبد الفتاح
2. تزيين المقالات شرح المقامات لزين الدين عبد الفتاح
3. ديوان أحمد الإمام مُجَد إكنن دراسة وتحقيق لعلي سليمان
4. الشاعر النسقي قراءة وتحقيق لديوان مُجَدو يوسف لمحمد أغ مُجَد
5. شرح الواردات للخضر حمادو
6. شرح ديوان ذي الكفل لأمد بن نوح .
7. شرح قصيدة مُجَد بن تان في الجواب لإغلس لمنير بن محمد زَد
8. المدارس الأدبية في صحراء الطوارق مُجَد أحمد الخرجي

سابعا: البلاغة:

1. قوالب التخليص لحمدًا مُجَّد
2. كواكب التمهيد شرح قوالب التخليص لمحمد يحيى حمدا
3. محرض الحريص نظم التخليص لمحمود مُجَّد الصالح

ثامنا: التاريخ والتراجم:

1. إتحاف المودود في الجواب عن أسئلة الابن محمود للحاج مُجَّد أحمد
2. أخبار وتراجم علماء كل تكيراتين اليعقوبيين لمحمد بن تان
3. الإمتاع والإبهاج في ترجمة العلامة الشيخ الحاج أحمد مُجَّد، لابنه أحمد مُجَّد
4. تاريخ الطوارق مُجَّد الأمين بن هماها سَلْهُو
5. التبر التالذ في مناقب الشيخ الوالد للخضر حمادو
6. تيسير الفتاح في الذب عن أهل الصلاح مُجَّد إكنن وانفدسن
7. الجوهر الثمين في أخبار صحراء المثلثين العتيق سعد الدين
8. الدرر الثمان في شرافة الثمان اسماعيل مُجَّد الصالح
9. الرد على أهل دنك مُجَّد الأمين بن هماها سَلْهُو
10. الفيض الفراتي في أخبار الحي التكراتي لحمزة عثمان
11. لسان الترجمان عما في الدرر الثمان للحاج مُجَّد أحمد
12. المجموع لحب مُجَّد

13. معرفة بعض قبائل آهير مُجَّد دانيال

تاسعا: أخلاقيات واجتماعيات:

1. إتحاف الطلبة بوسائل السبق في الحلبة، لحمزة عثمان

2. الحجالة محمد دانيال

3. الدرة اليتيمة في آثار الغيبة والنميمة لمحمد منير

4. الدُرر المحتلّبة، والدّرر المحتلّبة شرح إتحاف الطلبة بوسائل السبق في الحلبة، لمنير بن محمد زدّ.

5. دعوة شباب المسلمين إلى التمسك بدين رب العالمين، لمحمد حمّدا

6. رسالة التحذير من التبذير للخضر حمادو

7. قاصمة الظهر لشاتم النبي الفهري لحمزة عثمان

8. لوائح النصائح، منظومة مبارك خضر

9. نصيحة الأمة مُجَّد ابن الهادي

10. نصيحة المتوسط والغالي من طراف جمهورية مالي للعتيق سعد الدين

11. هدي الخلف إلى طريقة السلف للحاج مُجَّد أحمد.

تلك هي الآثار العلمية القديمة والحديثة للسوكيين حسب اطلاعي، وكثير منها نفيس، و99% من هذه الأعمال العلمية المذكورة ما زال مخطوطا لم يطبع، ولم يطبع منه إلا قرابة 4 أعمال للشباب المعاصر، ومنه ما يعود لأكثر من قرنين اثنين! فهو تراث عربي إسلامي غزير، بحاله يدعو الضمائر الحية لالتفاتة إليه، ورعايته.

ولكن لعل الشعر بدواوينه يكون وحده منافسا لهذا التراث العلمي، وبما أنه هو موضوع البحث فسيكون هو الشغل الشاغل لما يلي من البحث.

الفصل الثاني: نشأة الشعر العربي، والمراحل التي مر بها عند كل أسوك:

المبحث الأول: رصد المراحل التاريخية التي مر بها الشعر السوكي، وأهم الاتجاهات والمؤثرات.

يحزن القول بأني أمام "كائن أدبي عربي أصيل"، ولكنه مطمور في رمال الصحراء الكبرى منذ أكثر من ثلاثة قرون، ولم يؤرخ لميلاده، ونشأته أحد، ولذا فإن حديثي في هذا المبحث سيكون محفوفًا بالمخاطر، حيث لا أكاد أجد وثائق تساعد على ذلك أكبر من النصوص نفسها، فحتى أخبار المجتمع السوكي بصفة عامة لم تكن معروفة بالدقة، والتفاصيل قبل القرن الثالث عشر الهجري، هذا إذا كان لهم مجتمع متكون أصلاً خلال تلك الفترة، وكل ما يمكن أن نقوله: إن تلك الفترة مظلمة، وأخبارها منقطعة عنا انقطاعاً كلياً،¹ إضافة إلى أن ثقافة التدوين ضعيفة جداً في بلاد المغرب الكبير إلى جنوب الصحراء الكبرى.

ولذا فالحديث عن نشأة الشعر - أو أول من بدأ بقول الشعر، أو الجزم بأولى قصيدة لدى السوكيين - كل ذلك يكاد يكون رجماً بالغيب، فصفوة القول في المسألة أن أول نص عربي منظوم وصلنا يعود إلى بداية القرن الثاني عشر الهجري، سنة 1113 بال ضبط، وأن المدون من الشعر العربي لدى القوم ممكن تقسيمه زمنياً، وفنياً إلى ثلاث مراحل، عبر ثلاثة قرون، وهذه المراحل مرّت بها الحياة البشرية إلى تطورات مذهلة جداً على كل المستويات، باستثناء هذا المجتمع الذي نتحدث عنه!

وتلك المراحل الثلاثة بالإجمال ممكن التعبير عنها بالشكل التالي:

(1) مرحلة ما قبل الاستعمار الفرنسي لدولة مالي، والإرهاصات الأولى للتغيرات

العظمى: (1100 هـ 1679 م إلى 1314 هـ الموافق 1893 م).

(2) مرحلة الاستعمار الفرنسي، وبداية الاستقلال المالي، وانفجار الثورات الطارقية،

(1314 هـ الموافق 1893 م إلى 1400 هـ الموافق 1979 م).

¹ يعترف أول من حاول كتابة تاريخ المنطقة العتيق سعد الدين بهذا الانقطاع، انظر: الجواهر الثمين، ص

(3) مرحلة ما بعد توقيع اتفاقية تامنراست بالجزائر بين الطوارق، ومالي¹، (1991م إلى اليوم).

إن التطورات التي طرأت على البنية الاجتماعية للطوارق خلال هذه المراحل المتباعدة هي تطورات ضئيلة جدا مقارنة بالعالم الآخر، ذلك لأنهم ما زالوا - تقريبا - عند المربع الأول في كل شيء أيام استعدادات فرنسا للمغادرة لعدم استقرارهم السياسي حتى اللحظة!، بما أنه لم تكن هناك فوارق كبيرة بين هذه المراحل اجتماعيا فكذلك الأدب العربي عند الطوارق لم يكن بأحسن حالا من أهله!، إلا أنه من شدة الارتباط الوثيق بين الأدب والمجتمع فإنه حتما تحمل كل مرحلة شعرية ملامح زمانها بنسب متفاوتة، ويمكن إجمال المراحل الشعرية كذلك (فنيا) بالطريقة التالية بموازاة المراحل التاريخية الاجتماعية السالفة طبعا:

(1) المرحلة الأولى : اتجاه "الطبع" (شبه الواقعية)

(2) المرحلة الثانية: اتجاه "الصنع"، (شبه الشكلائية)

(3) المرحلة الأخيرة: اتجاه "التصنيع ومحاولة التحديث"

وبما أننا خصصنا بابا كاملا يهتم بالدراسة التحليلية للمتن الشعري السوكي كله، فإننا سنلخص الحديث الفني في هذا الباب الذي لا يهمه إلا إلقاء نظرة تاريخية حول الشعر العربي لدى السوكيين.

¹ لتفصيل أكثر حول هذه الاتفاقية، وتاريخها يرجع إلى كتاب : الطوارق الشعب والقضية، همام هاشم الألوسي، ص 303

المرحلة الأولى: اتجاه الطبع (شبه الواقعية):

(1100 هـ 1679 م إلى 1314 هـ الموافق 1893 م).

هذه الفترة هي آخر العصر الذهبي للطوارق، فهي فترة الزلازل الكبرى في العالم كله، والثورات العظمى، والفتن السوداء، ولم تكن الأوضاع على الطوارق - رغم امتلاكهم لسلطنات بين أجَر، وأهَجَار، وأَضْعَغ، وأزواذ إلى آييز - رغم ذلك لم تكن أوضاعهم مستقرة في تلك الأيام حيث يحيط بهم الخطر من كل جانب، فالرومان بدأت استطلاعات رأيهم إلى الصحراء الكبرى، وسقطت قرطاجنة¹، ودب الضعف في الامبراطورية العثمانية² ودخول الجيش المغربي، تحت إمرة المنصور الذهبي³،

هذا ويعتقد الباحث أن أول نص منظوم وصل إلينا على يد السوكيين، هو للشيخ مُحمَّد إنلبش، من علماء القرن 12 الهجري، ومع منظوماته في العقيدة والفقه، وجدنا له قصيدة رثاء في بحر الرجز، تعتبر أطول قصيدة وصلتنا عند السوكيين، وهي تحمل تاريخها، حيث ذكر فيها سنة وفاة المرثي 1113 هـ:⁴

سَنَةَ "شَقِيحٍ"⁵ مَضَتْ مِنْ هِجْرَةِ وَعَاشَ "جَمَّ" سَنَةً فِي السَّنَةِ

ويبدو أنه تعتمد فيها الإغراب، بحشد المفردات العربية العويصة جدا، ولا يكاد القارئ يفهم منها شيئا إلا باستصحاب القواميس، وقد قالها في رثاء شيخ كبير، عظيم الشأن، يدعى خالد من أسرة القطب سليمان، ولا نعرف من هذا الشيخ الكبير شيئا سوى ما ورد في هذه القصيدة:⁶

¹ المسالك والممالك، البكري، ص 700

² الدولة العثمانية، يلمازا أوزتونا، ص 436

³ تاريخ المسعودي،

⁴ من قصيدة مخطوط بخط مغربي قديم بحوزة الباحث، وانظر أيضا ترغيب المشوق في ذكر أشعار آل السوق، زين الدين محمد

الصالح، ص 290

⁵ شقيج: رمز للأرقام، : ش: ألف، ق: مائة، ي: عشرة، ج: ثلاث، أي: 1113 هـ

⁶ المرجع السابق، والصفحة 250

أَلَا تَسْلِي يَا طُحَا الْجَاشِ عَلِي
 فَلَا عَدَاً لِدِي سِوَى مَنْ انْخَنَاثُ
 وَفَيْحُ السَّرْبِ لِعُمَى دَهْمَا
 فَاسْ بِتَسْلِيَطِ الْأَسَى عَلَى الْأَسَى
 وَقَدْكَ أَنَّ كُلَّ جُلَى حَزْبَا
 كَمْ عَبْرَةٍ أَجْدَى رَأَى مِمَّا بَنَى
 أَلَا تَرَى أَنَّ بِالْقُرُونِ أَجْحَفَا
 عَنْ فُوتٍ يَعْسُوبٍ لِدَاتِهِ مَطْعُ
 إِلَى أَنْ قَالَ: (وهي طويلة)

أَغْنِي بِهِ "خَالِدًا" النَّحْرِ
 لَا طَفَهُ اللَّهُ لَهُ وَسَاعِدَا
 وَلَا يَلُوثُ الْخَيْرَ مِنْ بَرَكْتِهِ
 فِي سَرَرِ الشَّوَالِ فَاطَ إِنَّا
 سَنَةَ "شَقِيحٍ" مَضَتْ مِنْ هِجْرِهِ
 مَضَى وَلَمْ نَحْذَ لَهُ حَاطِرَا⁹
 وَأَخْلَفَ الْيَدَ لَنَا تَعْمُدَا
 عَنَّا وَعَنْ أَوْلَادِهِ وَحَامَتِهِ
 لِلَّهِ عَزَّ وَلَهُ رَجَعْنَا¹⁰
 وَعَاشَ "جَمَّ" سَنَةً فِي السُّنَّةِ¹¹

¹ طحى الجاش: كروب النفس، بائقة الدواهي: مصيبة من المصائب. باق وابتلى: باقت، وابتلت، حذفت التاء للضرورة.

² لا عدأ: لا بد، الانخناث: الموت، الإمة بالكسر: الحالة، الانكراث: الاغتمام.

³ فَيْحُ: وسع، السرب: الصدر، دهمهم الأمر: غشيه.

⁴ الأسى بالضم: جمع أسوة، وجمع أس في الشطر الثاني من البيت، من أسوت الرجل إذا داويته، فأنأ أس، الأسى بالفتح: الحزن، في الشطر الأول، وفي الثاني الطب.

⁵ قَدْكَ: حسبك، جُلَى: أمر جَلَّ، الأربى: الداهية.

⁶ رَأَى: المنظر إليه، رنى إليه: نظر إليه.

⁷ أجحف بهم الدهر: استأصلهم، انجحف: انقلع.

⁸ يعسوب: في الأصل الغصن، والمقصود هنا كما في الحديث: (هذا يعسوب قريش في الباطل أي: سيدهم) // اللدات: الإقران، مطع: سبق، لم يكن كسبلعه: كمثل.

⁹ خالد: هو الشيخ المتوفى، الذي تراثه الأرجوزة، النحرير: الحاقق، الخطير: النظير.

¹⁰ سرر الشوال: آخره، فاط: مات.

¹¹ شقيح: رموز إلى تاريخ وفاة الشيخ خالد: ش: ألف، ق: مائة، ي: عشرة، ج: ثلاثة، أي سنة ألف ومائة، وثلاثة عشر للهجرة. "جم" أيضا رمز لعمر المتوفى، وهو ثلاث وأربعون سنة.

الملامح العامة للاتجاه الشعري في هذه المرحلة:

تتلخص الملامح اختصاراً في ثلاث سمات، إحداها شكلية "عدم التكلف"، والأخرى "مضمونية"، "شبه الواقعية"، وأخيراً سمة عامة هي "غلبة النزعة الدينية"، وفيما يلي تفصيل موجز:

أ. الطبع أو الصنعة:

هذا مصطلح نقدي مائع، احتدم حوله نقاش واسع، تبدأ الإشارة إلى معناه مع الجاحظ حين يقول: (وكل شيء للعرب، إنما هو ارتجال، وبديهة، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة، ولا مكابدة، ولا إجمالة فكر، ولا استعانة....)¹، وبعده جاءت فكرة تقسيم الشعراء إلى "مطبوع"، لا يمارس جهداً كبيراً في تزيين الشعر، ولا يكثر من المحسنات المعنوية، واللفظية، و"متكلف" يبالغ في التنقيح، والترتيب، والتزيين، حتى ليكاد يريك أوله آخره²، وهو تقسيم يتضح أكثر عند ابن قتيبة حين يقول: (ومن الشعراء المتكلف، والمطبوع، فالمتكلف هو الذي قوّم شعره بالثقاف، ونقّحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النظر كزهير، والحطيئة)³، على أننا نجد دارساً في العصر الحديث يفند فهم ابن قتيبة للطبع، والصنع، ويبين كم كان الناقد القديم مخطئاً حين يفسر الطبع بـ"الارتجال"، في آخر محددات الشاعر المطبوع لديه: (والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر، واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع، ووشي الغريزة، وإذا امتحن لم يتلعثم)⁴، خصوصاً وهو استشهد بحالة ارتجال، إلا أن الدكتور محمد بن مندور كانت ملاحظاته حول تصور ابن قتيبة لثنائية الطبع، والصنع شديدة⁵، أما الدارس الآخر الدكتور شوقي ضيف فهو ينكر مصطلح "الطبع" من أساسه، ويفضل مصطلح "الصنع" ليمثل ما يراه هؤلاء طبعاً، ومصطلح

¹ البيان والتبيين، الجاحظ، 28، ج 2

² الشعر والشعراء، لابن قتيبة ص 20

³ المرجع السابق، ص 17

⁴ المرجع، والصفحة نفسها.

⁵ النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، ص 43

"التصنع" لما يروونه "تكلفا"، ويطلق على المرحلة الأخيرة المبالغة في الزخارف، ونحوها "التصنيع"، ويؤكد أنه لا يوجد شعر غير مصنوع، "فالشعر صناعة"¹ - قبل كل شيء - وجهه، وإتقان قل ذلك، أو أكثر.

ويبدو من المتون التي وصلتنا في المرحلة الأولى أن الشعر كان خاليا من التعقيدات، والمحسنات، والتنقيح الكبير، كما أنه لا يعنى بالمقدمات الغزلية، ونجد استعادة يتيمة للقصيدة الجاهلية عند شاعر واحد في هذه المرحلة هو آخر شعراء المرحلة زمنيا: هارون مجاهد، وأكبرهم تصنعا، فلنقرأ هذه المقطوعة من قصيدة لأحمد الإمام مجاهد إكنن في الاعتذار²:

وَمَا حَدَّثَانُ الدَّهْرَ أَصْلًا بِصَارِمٍ	وَلَا قَاصِمٌ حَبْلًا مِنَ الْحُبِّ قَدْ مُدَّا
رَسَى فِي رُبَى الْأَحْشَاءِ قَدَمًا أَسَاسُهُ	وَأَغْصَانُهُ لَمْ تَشْكُ حَرًّا وَلَا بَرْدًا
بِقُنَّةٍ سَدَّ الْوَدَّ نَحْنُ وَأَنْتُمْ	فَلَمْ يَرْقَهُ وَاشٍ وَلَا رَامَهُ هَدَا
بِفِيهِ الرَّمَادُ وَالرَّغَامُ، وَفِي الْحَشَا	لَهُ النَّارُ لَا تُبْقِي طِحَالًا وَلَا كِبْدَا
نَرَى سُبَّةً أَنْ نَسْتَقِيلَ أَحَبَّةَ	حَبُونَاهُمْ مِنْ صَفْوِ طَيِّ الْحَشَا زُبْدَا
لَكُمْ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ أَعْنَةً	تَجُرُّ لَكُمْ مَنْ لَمْ يَلِدْ وَمَنْ لَدَّا ³
أَعُوذُ بِرَبِّ الْبَيْتِ مِنْ كُلِّ قَاصِفٍ	يَهْبُ بِأَسْبَابٍ مُنَاقِضَةٍ عَهْدَا

فهذه ألفاظ جزلة، بمعان قريبة، بدون تصنع، ولا تكديس للمحسنات كما سنرى في شعر المرحلة الثانية، ولا ينفي ذلك طبعاً عدم وجود صور فنية، وتشبيهات، كما هو الحال في الشعر الجاهلي، فالفارق الوحيد أصلاً بين أصحاب الاتجاه البديعي، والقدامى عند ابن المعتز هو أن المحدثين أكثروا في تلك الأمور⁴ فالبيت قبل الأخير من المقطوعة "لكم بمجامع القلوب أعنة..." يحمل استعارة بديعة، وكناية رائعة عن المودة العميقة، وانتهى بجناس اشتقاقي، وطباق، وذلك مثله يأتي في الشعر الجاهلي، فلولا هذه اللفات الفنية لما كان الشعر شعراً.

¹ الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، ص 19

² القصيدة مخطوطة بحوزة الباحث، وانظر أيضاً: ديوان الشيخ أحمد الإمام مجاهد إكنن دراسة وتحقيق علي سليمان، ص 74

³ لئلا أشدت خصومته، أي الخصيم وغيره

⁴ البديع لابن المعتز، ص 10، ينظر أيضاً الفن ومذاهبه في الشعر العربي لشوقي ضيف ص 16

أَجَلَ للشيخ هارون مُحَمَّد قصيدة من شدة انتمائها إلى مذهب أهل البديع "التصنع" نراها وكأنها معارضة لقصيدة رئيس المذهب أبي تمام (فتح عمورية)، وهو أيضا يقولها في قائد مجاهد أمير دولة كانم وبرنو الإسلامية الحاج عمر الفوتي، فيقول فيها هارون¹:

يا ثائراً ثارَ للعليا بهمتَه	يرجُو بذلك أجراً غيرَ ممنونٍ
عدلتَ والناسُ في شُؤمٍ ودَبْدَبَةٍ	عن المشائمِ قصداً للمَيَّامينِ
جددتَ للناسِ دينَ الله جهُداً إذْ	نُضِضَتْ نُضْضَةً محي الدِّينِ مأمونٍ
جرّدتَ سيقاً على الأعداءِ مجتهداً	من النصارى ومن "سيعُو" الفراعينِ
لقيتَهُم وشياطينَ تَأْزُهُمُ	بكيدِ ذي همةٍ في الحربِ ميمونٍ
و جدُّ معتصمٍ باللهٍ متبعٍ	فيما يحاولُه ، ما في الدَّواوينِ
وجدُّ أغلمةٍ من "فُوت" مقدمةٍ	يومَ التذاُمِرِ أشباهَ السلاطينِ ²
في جحفلٍ كهزيعِ اللَّيلِ مرَّكَمٍ	يغشاهُمُ بالعذابِ الموجعِ الهونِ
وينزلُ العصمَ من أعلى معاقِلِها	ويجعلُ الباسلَ المرهوبَ كالدُّونِ
أصلحتَ أسلحةَ الإسلامِ محتسباً	أغمدتَ بالجدِّ أسيافَ السلاطينِ
حتى استكانتَ لك الأيامُ واتصلتْ	بك البشائرُ من "فُوتاً" إلى "فُونِ"

فهذا المقطع لا يخفى عليه نفسُ رائعة أبي تمام وإن اختلفتا في الروي، فهي حاضرة جدا في الشكل، والمضمون، خلال إشارات كثيرة، أوضحها التلميح إلى "اسم المعتصم" نفسه الذي قال فيه أبو تمام قصيدته، وصياغة البيت بنفس إيقاع الطائي:

تَدْبِيرُ "مَعْتَصِمٍ لِلَّهِ مُنْتَقِمٍ بِاللَّهِ مَرْتَقِبٍ فِي اللَّهِ مَرْتَغِبٍ³

وكذا التصريح بهدم دار الكفار، وتعزيز المسلمين، وتقويتهم الوارد عند هارون في قوله: (جددت للناس دين الله.... / أصلحت أسلحة الإسلام...)، فأبو تمام:

¹ الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملثمين، العتيق سعد الدين، ص 390

² فوتاً: المدينة التي ينتمي إليها الممدوح

³ ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، ص 41 ج 1

أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صَعْدٍ وَالْمُسْلِمِينَ وَدَارَ الشَّرِّكَ فِي صَبَبٍ

ب. الواقعية:

إطلاق لفظة الواقعية على هذا الشعر فيه نوع من التجاوز، إلا أنه لا مشاحة في الاصطلاح، فالواقعية كاتجاه أدبي يتم تطبيقه بوعي، وقصد لم تصل أصداؤها صحراءنا حتى اللحظة فضلا عن أن يمثلها شعراء المرحلة الأولى من السوكيين قبل قرنين، مع أنها تطورت في الغرب منتصف القرن التاسع عشر الذي عاش فيه آخر هؤلاء الشعراء، وهي في تربتها الغربية كما يؤكد د صلاح فضل مرت بعدة مراحل، وهي تحاول وراثة الرومانتيكية، من كونها (ترادف المادية، وتعني الوصف الدقيق للملابسات والعادات)¹، إلى إن أصبحت (مجرد تمثيل للطبيعة) في ذلك الشعر الذي كان يرفعه أقطابها أوان ازدهارها مثل "ستندال"، و الروائي الفرنسي "بلزاك"، الذي يصرح في كلمته الشهيرة: (إن المجتمع الفرنسي سيكون هو المؤرخ، وأنا مجرد سكرتير له)²، ويطورها نقديا أمثال لوكاش الذي قرأ أعمال بلزاك، مستندا في تحليله أحيانا كثيرة إلى (منهج اجتماعي، تاريخي يربط الظاهرة الأدبية بحركة الواقع)³.

إن الواقعية إذن - وإن كانت تيارا فلسفيا، ونقديا حدثيا - فهي باعتبارها (الانعكاس الموضوعي للأدب، وتمثل الأدب للواقع - أي كان موقعه وزمانه - فهي تتجاوز الحدود الإقليمية، والتاريخية...) ⁴ إنها ممكن - إذن - أن توجد في أي عمل أدبي، بوعي، أو بدون وعي، فمترجم الواقعية إلى النقد الأدبي العربي الدكتور صلاح فضل - إذ يرثي حالة التأخر الكبير للواقعية عن الساحة النقدية العربية - يؤكد وجودها على المستوى الإبداعي بكثير قبل أن تنتقل شرارتها النقدية إلى الأوساط الأكاديمية ، وبما أنها بالخلاصة: انعكاس الواقع على مرآة الأدب، أو تسجيل الأدب للقلق الواقعي، ولأنها يمثلها أي ادب اشتغل بقضايا المجتمع،

¹ منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، صلاح فضل، ص 13

² المرجع السابق، ص 16

³ التكوينية والنقد الأدبي، لوسيان غولدمان، وآخرون، ترجمة ونشر مؤسسة الأبحاث العربية، ص 156 ط

⁴ منهج الواقعية في الإبداع العربي، صلاح فضل، ص 3

ولم يتعال عليها في غنائية رومانسية ذاتية، وبما أنها هي كذلك فإني ممكن أن أصف إجمالاً المتن الشعري الأول الذي وجدناه بـ "أنه شعر واقعي"، أخذ على عاتقه في أغلبه التدخل بشكل مباشر أو غير مباشر في رثاء حالة الواقع المعيش، وتارة المبادرة بحل بعض إشكالاته باللجوء إلى "الله" عز وجل، أو باستخدام ما يمكن تسميته "الدبلوماسية الشعرية" !

وتجدر الإشارة إلى أن السوكيين والكتيين في هذه المرحلة بالذات كان لهم دور قيادي مؤثر جداً في المنطقة، حيث إنهم هم القائمون على سائر الشؤون الدينية، والتعليمية، والقضائية في مملكة "إَوْلَمَدَن" شرق البلاد¹، فشعرهم سيكون معنياً بالواقع السياسي، والاجتماعي، عكس المرحلة الثانية التي سينغزلون عن السياسة قليلاً قليلاً حتى يختفوا نهائياً.

وعلى الرغم من قلة المنتج الشعري وكذا الشعراء إذ لا يتجاوزون أربعة، (إنلبش مُجَّد، أحمد الإمام، هارون مُجَّد، مُجَّد دانيال) ولا تتجاوز قصائدهم جميعاً (11) قصيدة، فإن شعرهم ليس غنائياً ذاتياً، بل هو موجه لخدمة الواقع، وهذا ما أعنيه بـ "الواقعية" في المرحلة الأولى، والنصوص الشعرية التي ترد من دانيال، وهارون وأحمد الإمام تضعنا أمام صور من المعاناة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية التي يزرح تحت نيرانها هؤلاء.

تصور الواقع البائس / أحمد الإمام مُجَّد إكنن:²

حَلَّتْ دِمْنُ اِهْنَّا مِنْ كُلِّ نَادٍ	فَأُمْسَتْ لَا مُجِيبَ وَلَا مُنَادٍ
وَعَقَى رَسْمَهَا بَعْدَ اشْتِهَارِ	مُلَاعَبَةُ الرِّوَايحِ وَالْعَوَادِي
فَأَيْنَ الْمُنْزِلُونَ بِهَا قَدِيمًا	وَأَيْنَ النَّارِلُونَ مِنْ الْبِعَادِ
وَأَيْنَ الْمُلتَقَى الْمَأْلُوفُ قَدَمًا	خِلَالَ السُّوقِ فِي زَمَنِ الْحَصَادِ
رَمَتْهُمْ لِلشَّتَاتِ وَهُمْ زَيَّوفٌ	جِنَايَاتُ الْجَوَارِحِ وَالْفُؤَادِ
جِنَايَاتُ بِهَا جَنَّتْ عَلَيْهِمْ	لِيَالِي الشَّرِّ حَالِكَةُ السَّوَادِ

¹ العلم والتصوف بأزواد الشيخ الكبير الكنتي، أحمد الحمدي، ص 75، وانظر: الجوهر الثمين، العتيق سعد الدين، ص 138.
² ديوان الشيخ أحمد الإمام دراسة وتحقيق، الطالب الباحث/ علي سليمان، بحث لنيل درجة الماجستير في الجامعة الإسلامية بالنيجر عام 2016م، ص 16

يُنَادِينَا لِسَانُ الشَّرْعِ تُوبُوا
مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ نُكْبٍ دَوَاهِ
ضَرَبْنَا الْأَرْضَ وَالْأَقْدَارُ تَجْرِي
وَعَادٍ رَائِحٍ صَفِرَتْ يَدَاهُ
فَمَا أَرْضَتْهُ أَرْضُ السَّعْرِ كَيْلًا
أَحَالَتْ حَاهُمْ سَنَهَاتُ مَحَلٍ
وَلَا عَجَبٌ فَقَدْ مُلِئَتْ فَسَادًا
تَرَى أَغْيَى مُنَى جُلٍّ الْبَرَايَا
وَشَيْكَأً قَبْلَ قَاصِمَةِ التَّنَادِ
أَبَادَتْنَا وَحَلَّتْنَا بَدَادِ
فَمَا أَغْنَى التَّطَوُّفُ فِي الْوَهَادِ
وَحَالَتْ دُونَ بُعْيَتِهِ الْعَوَادِي
وَلَا جَادَتْ عَلَيْهِ يَدُ الْجَوَادِ
كَسَتْ بُلْدَانَهُمْ بُرْدَ الْكَسَادِ
وَلَا يَرْضَى الْمُهَيِّمُ بِالْفُسَادِ
وُعُولًا فِي الْجِدَالِ وَفِي الْجِلَادِ

فالنص أماننا لخص بأسلوب ممتع، مطبوع لا تكلف فيه، ولا تقعر، ولا تصنع صورة المجتمع الذي عاشه الشاعر، وهو مجتمع مطحون، مسحوق، تتقاذفه أمواج الفتن من كل جانب، وللأسف غابت عنا تلك الأحداث التاريخية الوخيمة بسبب عدم التدوين، وبسبب ما يصفه الشيخ الشاعر نفسه من الأهوال التي غيرت كل شيء، وكسدت الأرض، بسبب الفساد كما يفسر الشاعر الأزمة، ويظهر أن مدينة "أُسُوك" التي ينتمي إليها هؤلاء كانت فعلا حاضرة ثقافية عظيمة، ليست فقط عاصمة الاقتصاد، بل هي كذلك وجهة العلم، والدين، والشعر، إلا أن كل ذلك المجد اختفى، وعفى رسمه، ولم يبق للشاعر غير البكاء والرتاء.

ويبدو الشعر - وهذا هو المهم - كأنه يتدخل بقوته السحرية، والمادية لعلاج هذه القضايا، فكل القصائد التي عثرنا عليها في هذه المرحلة كانت مسكونة بهموم الواقع، ونطالع فيها الألم بارزا، لم لا، ونحن نعلم أن السياق التاريخي العام للمسلمين كان في أسوأ حاله، وفي هذه الفترة دب الضعف الشديد في جسم الخلافة العثمانية، وتفشى الجهل، والبغي، والتخلف الفكري، واللغوي، والأدبي، والسياسي¹، كما أنه من جانب آخر تهاوت

¹ ينظر كتاب تاريخ الدولة العثمانية، يلمازا أوزتونا، ترجمة عدنان محمود سلمان، ص 621

مملكة سونغاي الإسلامية في غاو حيث يوجد أغلب السوكيين¹، ولم ييسط الطوارق حكمهم في الصحراء الكبرى كما يرام.

1. الدفاع عن مملكة الطوارق بكلمة الشعر/ هارون مُجَد:

لقد استشعر الشيخ الشاعر هارون المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقه وهو يرى أخطر تهديد موجه إلى "مملكة الطوارق إوَلَمَدَن" من قبل امبراطورية أقوى بكثير منهم، هي تلك الامبراطورية التي أسسها عثمان بن فوديو الممتدة من نيجريا مرورا بتشاد إلى النيجر، فترك ذلك الإمام الفولاني إرثا عظيما في الموارد البشرية، وغيرها، جهزت قوتهم كلها لتوجيه أقسى ضربة للطوارق في الصحراء الكبرى بغزوهم، والسيطرة عليهم،² أمر لو وقع لكان كارثة للرجال الزرق، فهم مشتتون تلك الفترة بين السلطنات المذكورة، فلا يمكن أن يصمدوا.

إذن خطر محقق كبير، ولم يكن من الشيخ هارون إلا إرسال قصيدة بديعة إلى الحاج عمر الفوتي، توضح تلك القصيدة في رسالة شعرية بليغة أن في المنطقة علماء أجلاء، إنها رسالة شعرية سياسية بليغة، بلغت، وحققت الهدف منها، إذ أرضت القائد المجاهد عمر الفوتي، وطيبت خاطره، فتحول بسحر الكلمة من عدو إلى صديق أخذ يتراسل مع علماء اسوك بعد ذلك، والقصيدة مطلعها³:

إلى الأمير العظيم الشأن في الدين مَنِّي سلامٌ يفوخ كالرياحين

ومنها :

يا نائراً ثارَ للعليا بهمتِه
عَدَلتِ والناسُ في شُومٍ وذبذبةٍ
يَرْجُو بِذلكَ أَجْراً غيرَ مَمْنونٍ
عنِ المشائمِ قَصْداً لِلْمِيامينِ

¹ الجوهري الثمين في أخبار صحراء الملثمين، العيتق سعد الدين، ص 40 (مطبوع على الحاسوب).

² المرجع السابق، ص 350

³ المرجع السابق، والصفحة نفسها

وهي طويلة وسنوردها بتمامها لاحقا إن شاء الله .

وهكذا يثبت التاريخ الدور العظيم الذي يضطلع به السوكيون في المنطقة، وكيف كانوا يستخدمون "سلطتهم الدينية والمعرفية" للشأن العام، والدفاع عن المصالح الكبرى لمجتمعاتهم، ووطنهم عندما كان لهم وطن يبجلهم، ويقدرهم، وكانت لهم الكلمة المسموعة لدى القيادات، على أنهم يمارسون نوعا من الدفاع الكبير خلال هذا الشعر أيضا ب"الدعاء، والابتهاال" إلى الله قبل وبعد، الأمر الذي يظهر شدة اهتمامهم بمآسي الحياة، ومحاولتهم إيجاد حلول لتلك الأزمات.

2. أدعية وابتهاالات إلى الله من أجل السلطان/ دانيال مُحمَّد:

في قصيدة شبه "رقية شرعية"، أو نوع من الشحن النفسي للزعيم "الإنصار" سلطان مملكة إوَلَمَدَن في حروبه، ومواجهة العراقيين المتنوعة يقول له مُحمَّد دانيال¹:

باسم الإله على (الإنصار) إِنْ طَلَبَا	"سورة الفتح" عَوْثُهُ إِذَا طَلَبَا ²
و"قُلْ هُوَ اللَّهُ" فَوْقَهُ و"فَاتِحَةُ ال	كِتَابٍ" فُدَّامُهُ إِنْ حَلَّ أَوْ رَكِبَا
أَدْخَلْتُهُ فِي جَوَارِ اللَّهِ خَالِقِهِ	وَمَنْ غَدَا فِي جَوَارِ الْخَالِقِ احْتَسَبَا

ونختتم هذا العرض السريع بالتأكيد الآتي : إن المحاولات الشعرية التي وصلتنا لا يمكن أن تكون الأولى مطلقا - (وإن كانت أول ما وصل إلينا) - بل يجب أن تسبقها أشعار مماثلة، فالأرجوزة الأولى نفسها لمحمد إنلبش يمدح فيها المرثي بأنه مرتجل للخطب، والشعر³:

وَمَنْ يَكُونُ لِارْتِحَالِ الْخُطْبِ وَالشَّعْرِ كَمْ مَجَلَّةٍ مِنْهُ حُجِي

¹ مخطوطة بحوزة الباحث، وفي مجموعة شعرية مطبوعة على الحاسوب أرسلها الأخ حفيد الشاعر عبد الحكيم مصطفى.
² "الإنصار": الزعيم الأكبر لسلطنة إولمدن، والد الزعيم فهرون الذي قاوم الاستعمار الفرنسي، ثم تفاوض معه، حتى الصلح، حفيده "بَجَن" نائب في البرلمان المالي حاليا.
³ ترغيب المشوق لزين الدين محمد الصالح، ص 250

كما يشرح العرض أن هؤلاء كانوا في بيئة شعرية ناضجة حسب معطيات ذلك الزمن، مع غلبة النزعة الدينية، وأن شعرهم رغم ضعف اللغة العربية حينها في أقطار كمصر، وسوريا فإنه شعر أقوى فنياً، ولغوياً، وأعمق أصالة من شعر ما قبل النهضة التي قادها البارودي، وأن المرحلة التالية تمثل في الصحراء فترة ازدهار الشعر العربي في العصر العباسي، فقد تمت استعادة تلك الفترة كما هي في المرحلة الثانية للشعر العربي عند الطوارق عمومًا، وكل اسوك خصوصًا، وتكاد تكون المرحلة التالية من جهة أخرى مثل "مدرسة البعث والإحياء"، في إحياء النموذج العربي القديم للقصيدة.

المرحلة الثانية: اتجاه : "التصنع" (استعادة القصيدة العباسية):

تمتد هذه المرحلة زمنيًا ما بين القرنين 13 و14 الهجريين، أوائل القرن 19 و20 الميلاديين.

أهم الأحداث التاريخية المؤثرة في هذه المرحلة كالتالي:

1. استعمار فرنسا للمنطقة، وما جره ذلك من كوارث، وفتن.
2. جلاء المستعمر، وبداية الدولة الحديثة، وانفجار الصراع بين الطوارق ودولة مالي.
3. استقرار نسبي في القرى لقبائل الطوارق عمومًا، وكل اسوك خصوصًا.
4. ظهور طريقة صوفية جديدة بقيادة الشيخ العلامة حمادو مُجْدُو.
5. انقسام كل اسوك وبعض الطوارق ما بين مبايعين للشيخ، ورافضين لولايته، وبروز الصراع الأيديولوجي بين الصوفية والسلفية في المنطقة.
6. تكوين تجمع ثلاثي لقبائل كل اسوك في قرية ضاحية إقليم غاو (وادي الشرف)، وتأسيس مدرسة علمية مزدهرة جدا تحت قيادة الشيخ العلامة الخضر حمادو، قادت نهضة علمية كبيرة في الصحراء.

7. هذا التجمع والاستقرار فرصة استيراد أهم المراجع والمصادر اللغوية، والأدبية، والشرعية إلى المنطقة من الخارج عن طريق السعودية، ومطابع نيجريا.
8. عودة النازحين إلى السعودية الذين أجلاهم الجفاف والحروب إذ هاجر الكثير من الطوارق إلى دول الجوار، وليبيا، والسعودية.
9. كما بدأ البعض يواصل الدراسة النظامية في الخارج، وأولى بعثة رجعت هي بعثة طلبة المعهد السعودي في موريتانيا.
10. قيادة الجيش المالي لمجزرة مؤلمة جدا ضد علماء القرية، وتهجير قسري لتلك القبائل إلى النيجر 1991، ولا تعود إلى مالي حتى عام 2000 م.

هذه الأحداث مجتمعة تعتبر عوامل انبعاث للشعر العربي في المنطقة، وتعيد حياة الاستقرار والتمدن، وتوقد مشعل البحث، والتأليف عموماً، ويعتبر الصراع الصوفي السلفي لدى السوكيين أهم المحركات التاريخية لعجلة الحياة عموماً عندهم بما في ذلك الشعر، ولذلك انشغل شعر هذه المرحلة في أغلبه بمؤيدي الشيخ، وإثبات الإرادة، من جانب، ومناقضة هذا النسق الفكري من طرف النسق السلفي القادم من السعودية.

لقد ازدهر الشعر العربي عموماً، وتناول سائر الأغراض التقليدية في هذه المرحلة، من مدح، ومديح، وفخر، ووصف، وإخوانيات، ونقائض، وهجاء، إضافة إلى التقارير، والتهاني، فضلاً عن كثرة نظم المتون المختلفة.

ولم يكن ازدهاره إلى الأمام نحو التجديد، والابتكار، بل نحو التقليد، والمحاكاة، حيث اهتموا بالتعمق في التراث العربي القديم، واستعادة النموذج الكامل للقصيدة العباسية، والأندلسية، فكل إناء بما فيه يرشح، إذ لم يطلع هؤلاء على مصادر شعرية غير المعلقات، وأشعار المتنبي، والبحتري، وأبي نواس، وبعض أشعار الأندلس، فمصادر ثقافتهم الأدبية لا تتعدى الكتب التالية: الكامل للمبرد، والأمازي للقيالي، والبيان والتبيين للجاحظ، والشعر

والشعراء لابن قتيبة، ولم يتجاوزوا في الاطلاع شعراء الجاهلية، والعصر الأندلسي، فكان قصارى جهدهم استعادة ذلك النموذج الشعري، ومحاكاته بأفضل طريقة.

أ. الاتجاه الفني السائد في المرحلة "مذهب البديع":

إن أكبر مذهب لفت انتباههم هو اتجاه أهل البديع، ملك ذوقهم، فلا يشبع غريزتهم الفنية إلا الجناس، والسجع، ورقص الكلمات، والتشبيهات، والاستعارات، والتوريات،¹ كما سيظهر عندما نصل إلى الدراسة الفنية لهذا الشعر.

يشرح شوقي ضيف ملابسات ظهور هذا المذهب في العصر العباسي، إذ أقبل المجتمع على تطور كبير في المرافق الحضارية، والمعارف المتنوعة، والروافد الثقافية، فأصبح أمام الشاعر مادة الشعر العربي القديم، إضافة إلى مختلف العلوم المستحدثة، والمظاهر المادية الجديدة فكان لزاماً أن ينتقل الشعر من بساطة البداوة إلى تعقيد الحياة، هو تعقيد يبدأ قليلاً قليلاً من بشار بن برد وأبي نواس حتى يصل النهاية مع أبي تمام والمنتبي.²

بما أن البحث يعد بتفصيل الكلام مع التحليل حول القيم الفنية للشعر السوكي، فإني أقتصر الكلام هنا بقول: إن هذه المرحلة شهدت ازدهاراً كبيراً للشعر من حيث الكمية، والكيفية، إلا أنها تغلب عليها "النزعة المعرفية" أكثر من أي شيء آخر، هذه النزعة التي جعلت القصيدة كقطعة هندسية تتم صناعتها صنعا حقيقيا، وتزويدها بمختلف المكونات الجمالية تارة بشكل مسرف، هذا عن المستوى الفني، أما الجانب المضموني فشعر هذه المرحلة كان في فترة شائكة فعلا، بقضايا مؤرقة سياسيا، واجتماعيا، واقتصاديا، ويلاحظ عليه غياب شبه كلي عن تلك الوقائع، فالشاعر السوكي انكفأ على نفسه، وكانوا يقولون الشعر أكثر فيما بينهم على "شكل إخوانيات" يبدعون في صياغتها لغويا، ويستمتعون بذلك الفن "شبه الخاص"، دون الانفتاح على الواقع للمشاركة في تصوير آلامه، ومعاناته، كما

¹ لتوصيف مذهب البديع ينظر كتاب البديع لابن المعتز، من ص 5 إلى آخر الكتاب.

² الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، ص 142، و 188 - 218

سنشرح بالتفصيل أكثر في المبحث الذي سيناقش المضامين الشعرية، فيمكن وصف شعر المرحلة الثانية إجمالاً بأنه "غنائي ذاتي، شكلائي"، أكثر منه "اجتماعيا واقعيا".

يبقى أن نقول: لئن كان شعراء هذه المرحلة قد استعادوا بنجاح نموذج القصيدة العباسية، خاصة مذهب أبي نواس، وأبي تمام، فإنهم خالفوا الاثنين، والمتنبّي في المقدمات الطللية، فإذا كان أبو نواس يرفضها علنا¹:

صِفَةُ الطُّلُولِ بِلاغة القَدَمِ فاجعل صفاتك لابنة الكَرَمِ

وكان المتنبّي مقلا جدا في التشبيب بالمرأة، ولا يقف على الأطلال إلا نادرا جدا،

فإن الشعراء السوكيين خلال هذه المرحلة لا يكادون يفتتحون قصائدهم إلا بالوقوف على الأطلال، والتغزل بالمعشوقات في تقليد ظاهر للقصيدة الجاهلية مثل هذه البداية لقصيدة الشيخ حمادو محمد²:

أوطأنُ زينبَ حينَ هاجَرَ جارُها	ذهبتَ وغودَرَ في القِفارِ جدارُها
جيداءَ تُثعِبُ خِدَها أعذارُها	أكرمَ بها من ذاتِ صَبَرٍ والحيا
غيداءَ تُفسِدُ سَهْلَها أوعارُها	أكرمَ بها من طَفَلَةٍ ميمونةٍ
عذراءَ يُحِبُّ حَقْدَها أسرارُها	أكرمَ بها من ذاتِ عَقْلٍ كاملٍ
أشهى اللذائِدِ قُرْبُها وجوارُها	أكرمَ بها من ذاتِ دَلٍّ والهنا
وقتَ الضحى أَقْطارنا أنوارُها	أنورَ بها من شمسٍ صَحوٍ نَوَّرتْ

لولا أنهم يخالفون الجاهليين كذلك على مستوى الإكثار الالفت للنظر في البديع، والبيان، فهذا هو شاعرنا محمدو يوسف بعد وقوفه على الأطلال كما الجاهلي، يقول مثل أبي تمام³:

¹ انظر: العمدة في محاسن الشعروأدابه، لابن رشيق، ص 92، ج 1

² التبر التالذ في مناقب الشيخ الوالد، الخضر حمادو، ص 258

³ ديوان الشاعر محمد يوسف، مخطوط بحوزة الباحث

فَتَّى لَفَّ نَشَرَ الدِّينِ شَرْحًا وَلَمَّهُ
وَنَوَاهُ مَا نَوَاهُ طَرْفٌ وَجِبْهَةٌ
يَجْزِي بَيْنَ اثْنَيْنِ آنَاءٌ لَيْلِهِ
يُظَلُّ وَيُمْسِي رَاقِيًا وَمُزْقِعًا
ضَرِيًّا عَلَى لَحْمِ الْعِدَى مُتَضَرِّعًا
وَتَحْتَ مَطَاوِي دِرْعِهِ لَيْثٌ غَابِئٌ
يُعْرِي وَيَكْسُو أَنْفُسًا وَنَفَائِسًا
فَلَمْ يُلَفَّ إِلَّا وَهُوَ خَاشٍ وَخَاشِعٌ
مِنْ الذِّكْرِ وَالتَّسْجَادِ دَامٍ وَدَامِعٌ
رَقِيَ وَرَكَوعٌ فَهُوَ رَاكٍ وَرَاكِعٌ¹
فَتَوْفًا وَغَايَا فَهُوَ رَاقٍ وَرَاقِعٌ
صَبَاحَ مَسَاءٍ فَهُوَ ضَارٍ وَضَارِعٌ
تَهَابُ لِقَاءَهُ فِي الْمَدَارِي الْمَدَارِعُ
وَدِيدًا وَضْدًا فَهُوَ كَاسٍ وَكَاسِعٌ

يطبق الجنس اللاحق في آخر كل بيت على طول 7 أبيات: (خاش، خاشع/ دام، دامع/
راك، راكع/ راق، راقع.....).

وأوضح نموذج تظهر فيه ملامح هذا الاتجاه قصيدة الشيخ إغلس اليماني، التي التزم
فيها بتجنيس غريب، ورد عجز على الصدر بشكل عجيب، فجاءت فاتحة كل بيت مشابهة
لفظًا، للقافية، ومختلفة معنى²:

¹ راك: من إبدال الكاف قافا.....أي راق.

² مجموعة شعرية بحوزة الباحث، قدمها لي حفيد الشيخ الشاعر نافع أحمد

أَفِيكَ حُقُوقًا كُنْتُ أَزُقُّبُ إِهْمَا	مَخَافَةً أَنْ تَحْجَى الْعُهُودَ أَفِيكَ ¹
فَتِيكَ قَدِيمًا سُنَّةً فُرْشِيَّةً	تُقَامُ لَدَيَّ أَوْ أُدَاسُ فَتِيكَ ²
عَرِيكَهَ مِنْ لَوْ أَلْقَى الْعَلَقَ لَهْوَةً	لِقُطْبٍ رَحَاهُ لاسْتَحَالَ عَرِيكَ ³
فَرِيكَ لَدَى مَنْ لَمْ يَجِدْ فَرَكَ دَرَسِهِ	وَحَبُّ دُرُوسِي كَانَ قَبْلُ فَرِيكَ ⁴
شَرِيكَكَ كَانَ فِي رَحَاءٍ وَشِدَّةٍ	سَوَى أَنَّهُ لَمْ يَعْتَقِدْكَ شَرِيكَ ⁵
أَلِيكُوا أَوَانَ اصْطَفَى فِي بَهْنَسِ الْوَعَى	فَوَارِسُ أَلِي تُسْتَبَاحُ أَلِيكَ ⁵
سَبِيكَهَ غَوَاصٍ مِنَ الْيَمِّ لُجَّةً	بَدْرِكَهَا السُّفْلَى الْبَدِيعِ سَبِيكَ ⁶
دَكِيكَ خَرَارِيْتُ الْبَيَانِ نَحَلْتَهُ	وَحَضْحَضَتْ مِنْهُ مَا تَرَاهُ دَكِيكَ ⁶

على أننا - إذ نؤكد غنائية هذا الشعر، وذاتيته بشكل مجمل - لا ننفي بتاتا اشتغاله ببعض القضايا الاجتماعية الثقافية الضاغطة، ذلك لأن الشعر مهما ابتعد عن الواقع السياسي، والاجتماعي، ومهما أراد فإنه يستحيل خلاصه النهائي من التلبس بمشاكل بيئته، ففيما يلي نموذج لبعض الإشكالات الاجتماعية الواقعية التي كانت تؤرق السوكيين على طول هذه المرحلة أكثر من "الأزمات السياسية"، والمرحلة كانت مكتظة بأحداث جسام، كما سبق، لذلك نسجل الانطباع العام عن الشعر السوكي، والذي يفيد "أنه شعر معتزل لتلك الأحداث غالبا"، مقارنة بالدور الذي ينبغي أن يتكفل به.

¹ "أفيك" الأولى من الوفاء، والكاف للخطاب، والثانية: من "أفك" الإفك .
² "فتيك" الأولى: الفاء للسببية، و "تي" للإشارة، و"الكاف حرف خطاب"، والثانية من فعيل بمعنى مفعول من "الفتك".
³ "عريكة": طبيعة، أو حالة، "عريك": رمل متداخل بعضه ببعض.
⁴ "فريك": المفروك من الحب: المنقى، "فريك" البر أو الذرة هو ما يشوى لأول النضج حين يصلح للأكل، ويقصد بكلمتي "فريك" كلا المعنيين في البيت.
⁵ أليكو" من الألوكة: الرسالة، وتقول العرب: "ألكني إليه"، "أليك" الثانية، إما من ولاه يليه فهو تاليه، أي لاحقه، أو من الولاء، والكاف للخطاب. بهنس الوعى: وسط الحرب حين تشتد.
⁶ بحثت في القاموس المحيط، وتاج العروس، والصاحح، والمعجم الوسيط عن معاني "دكيك" فلم أرى الصيغة أصلا من المشتقات، بل وجدت أنه يقال "عام دكيك" أي تام، و"دك دكا" دقه، وطحنه، فهو مدكوك، وربما الدكيك في المرة الأخيرة هي استخدام للوزن من باب الاجتهاد، كما أنه ممكن أن يكون في المرة الأولى: "من إبدال القاف كافا"، وهو "الدقيق" المعروف في الأطعمة، بدليل كلمة "نَحَلْتُهُ"، ويكون "الدكيك" الثاني بمعنى المدكوك.

ج. الصراع الصوفي السلفي كمحرك للشعر في هذه المرحلة!

لا يحرك التاريخ في الواقع سوى وجود صراع معين، فالتناقض قانون طبيعي، يجعل الحياة تمضي قدما إلى الأمام: "الذكر/ الأنثى، الليل/ النهار، الحرارة/ البرودة، الظالم/ المظلوم القديم/الجديد، الحق/ الباطل..... إلى آخر تلك الثنائيات الضدية التي تدفع بالتاريخ الطبيعي إلى الأمام أثناء صراعتها، وتحولاتها ولو ببطء، وتزداد وتيرة التطور بفعل وجود قادة مغيرين كالأنبياء، والمفكرين¹.

لقد كان المجتمع الطارقي راكدا، وراقدا بكل اطمئنان لمدة قرون على مسلمات أيديولوجية معينة، وخاصة المجتمع السوكي الذي نبحت في شعره، فقد كان منذ تكوينه بالصحراء الكبرى مؤسسا أيديولوجيا على جملة من المفاهيم والأفكار، السابقة الذكر، والتي تلخصها "الأشعرية" عقيدة، و"الصوفية" سلوكا، و"المالكية" فقها، فبهذا المثلث قادوا حركة العلم، والتعليم، والدعوة، والإفتاء، والقضاء على مدار قرون، حتى هجمت الأزمات المتنوعة (الطبيعية، السياسية، الاقتصادية) على أزواد/ شمال مالي، بعد جلاء المستعمر الفرنسي، فاندلعت ظاهرة النزوح إلى دول الجوار بحثا عن مكان آمن يؤمن الغذاء والروح معا، وهكذا وجد الطارقي فرصة اكتشاف أفكار مغايرة، ومجتمعات مختلفة، وعقائد متنوعة، ولغات أخرى .

وعندما وصل المهاجر إلى السعودية لا بد أن يصطدم منذ أول قدومه إلى الحجاز بمجتمع جديد، بأيديولوجية جديدة، تؤسسها "دعوة محمد ابن عبد الوهاب" عقيدة وسلوكا، و"الحنبلية" فقها، فيعجب النفير الأول بهذه الدعوة أيما إعجاب، ويرجع حاملا البشارة، والندارة، ولا شك أنه سيصطدم مرة أخرى بمجتمع واثق ومرتاح بمعتقداته، مجتمع المريد والشيخ، لأفراده حق التوسل، والاستغاثة بالأنبياء، والصالحين، وإقامة المولد النبوي، وتأويل

¹ ينظر في هذه النقطة كلام أجمل من الجميل لعبد الله العروي، في كتابه: مفهوم التاريخ، ص 404

الصفات والأسماء... إلى آخر تلك الأمور التي يعتبرها العائدون من السعودية "محض شرك"، وأن فاعلها "مارس الكفر"، في أحسن تعبير، إذ يوجد من يصرح بأن فاعلها "كافر"!

لقد كانت الفجوة إذن بعيدة جدا بين الطرفين، فاحتدم الصراع، الذي تداخلت فيه العوامل السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية مع الدينية في المنطقة، وانقسم المجتمع الطارقي قسمين بعد فترة قليلة من عودة المهاجرين:

الجدد	القدامى
الصوفية: بدعة وخرافة	الصوفية: أحسن طريقة إلى الله
الشيخ: مسلك الضلال	يجب اتخاذ الشيخ لوصول السالك
يجب الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات	يجب تأويل الصفات تنزيها لرب العباد
هذه التصرفات تعتبر شركا	جواز التوسل، بالأنبياء والصالحين والاستغاثة، والنداء
هذا الاحتفال بدعة	الاحتفال بالمولد النبوي الشريف عادة ضرورية
تعليق التمايم كفر	تعليق الحروز المكتوبة بالقرآن الكريم
الفقه الحنبلي، وبالذات آراء ابن تيمية مرجع الفتوى	الفقه المالكي ممثلا بمختصر خليل مرجع الفتوى
اعتماد النظام المدرسي	المحضرة هي طريقة التعلم القويم

هذا توضيح موجز لما طرأ على المجتمع في هذه المرحلة من متغيرات، أثرت في المجتمع كله، بما في ذلك الشعر، وقد أفرز هذا الصراع نوعا جديدا من الشعر، أنتج غرضا مستقلا هو "النقاش العقدي"، فلم يتم هذا النقاش على صفحات كتب تقليدية، بل جرى جله من خلال قصائد تبرز فيها كل المقومات الشعرية، وكان استعراض الحجج في هذا الشعر بمثابة استعراض المفاخر في القصيدة العربية القديمة، فكان لكلا الفريقين شعراء، والواقع أن فريق القدامى هو الأكثر شعرا، وشعراء.

وكمثال على ذلك السجل الذي يرتفع أحيانا إلى هجاء مباشر¹، نروي نموذجا واحدا من مناوشة شعرية جرت بين قائدي الفريقين، فقد اطلع الشيخ عبد الله المحمود على مديح نبوي للشيخ شاعر التيار الصوفي محمود مُحمَّد الصالح، أضاف اللام على "مُحمَّد" في قوله:

من غاظه فضلُ "المِحمَّد" فليمتَّ سُبْحانَ مَنْ أولاهُ ما أولاهُ

فانتهاز مساجله عبد الله المحمود الفرصة وقال له قصيدة طويلة منها²:

قَدْ زِدْتَ فِي دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ	سَقَّهًا كَمَا قَدْ زِدْتَ فِي اسْمِ مُحَمَّدٍ
فَانْظُرْ إِلَى الْخُضْرِيِّ تَعْلَمُ أَنَّ أَلْ	مَا إِنَّ تُرَاوِدُ بِهِ وَلَا فِي أَحْمَدٍ
أَوْ مَا عَلِمْتَ وَجْهَهُ مِثْلَكَ وَاضِحٌ	أَنَّ النُّحَاةَ لِلْإِلاَحِ بِالْمُرْصَدِ

فرد عليه الشيخ محمود مُحمَّد الصالح قائلا³:

يَا ظالِمَ الْخُضْرِيِّ غَيْرِي أَرْشِدِ	فِي النَّحْوِ إِنِّي فِيهِ غَيْرُ مُقْلِدِ
أَوْ مَا عَلِمْتَ وَجْهَهُ مِثْلَكَ عَذْرُهُ	أَنْ "المُحمَّدَ" وَصَفْتُ ذَاكَ الْأَمْجِدِ
أَنْسَيْتَ قَوْلَ زَهِيرِ الْخَنْدِيدِ فِي	هَرَمِ ثَمَالٍ فِي السَّنِينَ مُحَمَّدِ
فَحَبِيبِنَا أَوَّلَى بِذَاكَ الْوَصْفِ مِنْ	هَرَمِ فَجْئٍ بِاللَّامِ أَوْ لِمَجْدِ
فَدْخُولِ لَامٍ فِيهِ وَصَفْتُ سَائِعُ	كَقَرِينَةِ الْمَعْطُوفِ ثُمَّ وَأَحْمَدِ
عَمْدًا أَزِيدُ اللَّامَ فِيهِ لِيَعْلَمَ الـ	مُتَبَادِرُونَ مِثَالَهُ مِنْ مَوْتِدِ

¹ هذا النموذج مأخوذ من كتاب "المدارس الأدبية في صحراء الطوارق، محمد أحمد السوقي، ص 201، فينبغي الرجوع إليه لمعرفة مدى السخونة بين الفريقين.

² مجموعة شعرية متفرقة، بحوزة الباحث.

³ المرجع السابق، وانظر أيضا: المدارس الأدبية في صحراء الطوارق، محمد أحمد الخرجي، ص 201

لقد ارتفعت وتيرة الصراع الأيديولوجي في هذه المرحلة بعدما عاد ما يسمى في المجتمع آنذاك بـ "أهل المدارس"، ففي المرة الأولى لم يعد سوى الذين هاجروا إلى الحجاز تحت وطأة الظروف القاسية، وخضعوا في البداية لتعليم شبه تقليدي بالمعاهد العلمية السعودية، وبعد ذلك بفترة وجيزة بدأ البعض يلتحق بالمدارس العربية السلفية داخل المنطقة وخارجها، رغم الحصار المفروض عليها، فقد رفض علماء كل أسوك مدارس النصارى (كما يسمونها)، كرفض قاطع للمستعمر، ثم رفضوا معها "مدارس الوهابية" أيضا كما يسمونها، إلا أن هناك من كسر الطوق، فالتحق بها، وأول جيل شبه رسمي يشبه البعثات هو الجيل الملتحق بالمعهد السعودي في موريتانيا، في حدود 1993م.

وقد استقبل ذلك الفوج بريية، وتخوف من الأفكار الجديدة التي قد يحملونها، فهم تلقوا العلم من معهد سعودي، يستهدف تكوين الدعاة، وتلقاهم بعض المشايخ بقصائد شديدة اللهجة كهذه التي يعبر عن فحواها عنوانها (سهام الفوارس في نخور أهل المدارس)، للشيخ الشاعر المهدي آياد، يستهلها بالغزل كعادة القوم¹:

مَنَعَ الكَرَى تَذْكَارُهَا وَهَوَاها	وَهَيْبُ أَشْوَاقٍ إِلَى لُقْيَاها
تِلْكَ الَّتِي هِيَ مُنَيَّتِي دُونَ الْوَرَى	وَبُحْبُهَا شُغْفَ الْفُؤَادِ وَتَاها
مَنْ لَا أُرَائِي نَاسِيًا لِعُهْودِهَا	كَلَّا وَمَنْ قَدْ زَانَهَا بِلَمَاها
فَالْقَلْبُ مَنْزِلُهَا الَّذِي أُولَى بِها	وَالرُّوحُ إِنَّ لَمْ يَأُوهَا مَأْوَاها
أَهْلًا بَطَلَعَتْهَا عَشِيَّةً أَدْنَتْ	بِرَحِيلِهَا وَتَزَيَّنَتْ بِخَلَاها

إلى أن قال:

بَلْ فاعْجَبْنِي لِنَبِيِّ الْمَدَارِسِ) مَا لَهُمْ	عَادُوا تَلَامِيذَ فِرْقَةٍ نَقَلَاها
فَاهُوا بِتَضْلِيلِ الْأَثَمَةِ لَيْتَهُمْ	لَمْ يَفْعَلُوا فَلْيَعْسِلُوا الْأَفْوَاهَا
وَتَنَوَّرُوا ظُلُمَاتِ نَجْدٍ حِينَمَا	أَصْعَوْا إِلَى مُتَشَيِّطِينَ أَمَلَاها
عَفُّوا الشَّرِيعَةَ إِذْ رَمَوْا آبَاءَهُمْ	بِنَقِيصَةٍ فِي الشَّرِّعِ مَا أَسَوَاها

¹ ديوان الشاعر الشيخ المهدي آياد، بحوزة الباحث (مخطوط)

لَا أُلْفَيَنَّ أَخَا الْمَرْوَةِ سَالِكًا
 أَعْظُ الْأَقَارِبَ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ أَنْ
 هَذَا وَسَوْفَ أَصُولُ صَوْلَةٍ ضَيَّعَ
 وَلَسَوْفَ أَفْرُغُ لِلَّذِينَ تَغَيَّظُوا
 وَتَحَالَفُوا بَطَرًا عَلَى أَنْ يُطْفِئُوا
 قَالُوا إِذَا مَا قَالَ ذُو التَّوْحِيدِ يَا
 أَوْ يَا فَلَانُ لِيَبْغُضَ سَادَتَنَا الْأُولَى
 غَالِي وَأَشْرَكَ بِالْإِلَهِ وَهَذِهِ
 تِلْكَ الْمَسَالِكُ هَالِكًا بِدَجَاهَا
 يَنْفُوا عَنْ أَصْلِ الْعَالَمِينَ الْجَاهَا
 صَلَيْتُ أَجَارِيهِ جَحِيمَ طَوَاهَا
 بُغِيًّا عَلَى مَنْ بِالْتَّوَسُّلِ فَاهَا
 نُورَ التُّبُوءِ بَازْغًا وَهَدَاهَا
 حَيْرَ الْأَنَامِ لِحَاجَةِ يَهْوَاهَا
 حَازُوا الْوِلَايَةَ حَامِلِينَ لِوَاهَا
 إِنَّ أَنْسَ مِنْ شَيْءٍ فَلَا أَنْسَاهَا

بعد سرد آرائهم، وبعض الأخطاء في نظره، لا يفوته أن ينظم براهينهم بكل اعتزاز:

وَلَنَا تَجَاهَ جِدَالِهِمْ وَنِضَالِهِمْ
 وَلَنَا بِأَسْبَابِ الْحَيَاةِ تَعَلُّقُ
 فَأَبُو الْإِنْسَانِ دَعَا بِحَقِّ مُحَمَّدٍ
 وَدَعَا بِعَمِّ نَبِيِّنَا الْفَارُوقُ فِي
 وَلَنَا حَدِيثُ أَخِي الْعَمَى وَدَعَاؤُهُ
 وَحَدِيثُ فَاطِمَةَ الَّتِي جَادَتْ عَلَى
 فَدَعَا لَهَا يَوْمَ الْوَفَاةِ بِحَقِّهِ
 تِلْكَ الْأَحَادِيثُ بِالْقَبُولِ تُلْقِيَتْ
 ثُمَّ الْغَرِيقُ مِنَ السَّفِينَةِ هَلْ تُرَى
 وَالنَّارُ تَحْرَقُ لَا بِذَاتِ أَجِيحِهَا
 وَالْمَاءُ يَذْهَبُ بِالصَّدَى لَكِنَّهُ
 حُجَجٌ يَفُوقُ ضِيَاؤُهَا وَسَنَاهَا
 وَذَوُو الْإِنَابَةِ وَالتُّقَى أَفْوَاهَا
 لِقَضِيَّةٍ فِي الذِّكْرِ مَا أَجْلَاهَا
 جَهْدِ الرَّعِيَّةِ يَتَغَيُّ سُقْيَاهَا
 وَجَلَاءُ كُرْبَتِهِ غَدَاةَ شَكَاها
 خَيْرِ الْوُجُودِ بِوُدِّهَا وَنِدَاهَا
 وَالْأَنْبِيَا لَتَنَالَ فَوْقَ مُنَاهَا
 وَعَنِ الْقِدَى الْإِتْبَاتِ رُؤْيَاهَا
 يُنْجِيهِ ثُمَّ سِوَى الَّذِي أَرَادَهَا
 لَكِنْ بِإِذْنِ اللَّهِ مَنْ أَدْكَاهَا
 بِمَشِيئَةٍ وَبِعَادَةٍ أَجْرَاهَا

بعرض المرحلتين، الأولى والثانية، وإلقاء الضوء على طبيعة كل مرحلة، ومحاولة تحديد

الاتجاه الفني السائد، وتلخيص أهم الموضوعات الشائكة، والمؤثرات، أصبح القارئ لا شك

يتلهف إلى ما آل إليه أمر هذا الشعر، وإلى رحلته هل استمرت، أم توقفت؟، هل أضافت المرحلة الأخيرة المعاصرة جديدا؟

3. المرحلة الأخيرة: مرحلة الشباب المعاصر:

هذه مرحلة أواخر القرن العشرين، و21 الميلايين، ويؤسفني أن أقول: إن الشعر العربي لدى كل اسوك إن لم يتراجع مع المتأخرين فهو لم يتقدم إلى الأمام نحو التجديد، ومواكبة العصر، وذلك ينبئ عن "أزمة التخلف" الكبيرة التي يعيشها سكان شمال مالي "أزواد"، على كل المستويات، فهؤلاء . رغم الانفجار الحضاري . ما زالوا غائبين، مغيبين، فالأدب بحاجة إلى دولة ترعاه، كما أن المجتمع نفسه لكي يتطور يحتاج إلى برامج تنموية جادة، فالدولة المالية أولا لا تعترف بالعربية كلغة رسمية، فضلا عن أن ترعى آدابها، وتراثها، كما أن منطقة القوم تعيش توترات سياسية، وعدم استقرار منذ ذهاب فرنسا إلى اليوم، فسائر الثورات الأدبية، والعلمية التي بدأت من مصر إلى المغرب لم تمر بهم، ولا يكادون يسمعون بها، وقد توقف ذلك التواصل العلمي بينهم وبين مراكز العلم في المغرب منذ نهاية التواجد المغربي في المنطقة، ولذا ترى منهم شاعرا شابا معاصرا، في القرن 21، يقول قصائد تحكي لغة البحري، مثل هذه المساجلة الشعرية الإخوانية بين شابين معاصرين، في قصيدتين يشفع لهما فقط ما ترشحان به من أصالة لغوية بهيجة، وطبيعة بدوية ناصعة، تغمر بكجلال البراءة، وتنقل المثقف العربي إلى أحقاب زمنية أسطورية رائعة في ذاكرة الإنسان العربي، والشابان حمزة عثمان، وعلي سليمان.

قصيدة الشاعر / حمزة عثمان¹ إلى أخيه وزميله علي سليمان²:

أَوْهَى عُرَى صَبْرِي وَشَوْشَ بَالِي
قَرَبًا "هَنِي" ف "إِنَانَسٍ" فَأَعْيِي إِلَى
أَعْيِي عَلَى الدَّارِي وَحَسْبُكَ أَنِّي
فَوَقَفْتُ فِيهَا إِذْ بَدَتْ شَمْسُ الضُّحَى
وَجَدًا أَسْأَلُهَا عَنْ أَطْعَانِ الْمَهَا
فَسَقَيْتُهَا مِنْ نَوَى طَرَفِي ثَرَّةً
دُورَ لَعْمَرِكَ لَوْ تُبَيِّنُ مَنَازِلُ
أَيَّامَ إِذْ أَمَشِي التَّيْبَهُسَ لَاهِيًا
خَوْدَ حَكَّتْهَا نَضْرَةُ شَمْسِ الضُّحَى
مَهْمَا مَشَتْ فَسَحَابَةٌ ، وَإِذَا رَنْتَ
تَعْطُو إِلَى شَيْخِ النَّقَا ، وَيَرُوعُهَا
وَنَزِيدُ عَنْهَا الْخَوْدَ أَنْ لَوْ فَاجَأَتْ
لَاقْتَادُهُ ذَاكَ الْجَمَالَ مُطَاوَعًا
فَلَنْ غَدَتْ تِلْكَ الْمَنَازِلُ بَعْدَنَا
لَيْمًا أَقْصِي قَبْلُ فِي عَرَصَاتِهَا
يُقْشِي بَنَانِي مَا تَبَيَّنَتْ خَوَاطِرِي
نَدْبٍ حَوَى حَسْبًا عَلَى نَسَبِ سَمَا
نَظَرُهُ وَالْأَصْحَابَ إِذْ حَقُّوا بِهِ
إِنْ صُبِّحُوا فَمِجْنُهُمْ أَوْ سَابَقُوا
لَمَّا عَلَتْ فِي عَيْنِهِ طَرْفُ الْعُلَى

طَلَّلَ بِأَعْلَى ذِي أَفَاعٍ⁽³⁾ بَالٍ
ذَاتِ الْهَزَبِ مِنَ الْكَوَاعِبِ خَالٍ⁴
لَأَيَّا عَرَفْتُ مَعَاهِدَ الْأَطْلَالِ
نِضْوِي إِلَى أَنْ آذَنْتَ بِزَوَالِ
أَيْنَ اتَّجَهْنَ ؟ وَمَا تُجِيبُ سُؤْلِي
وَطَفًا تَوَلَّتْ مَرِيهَا أَوْجَالِي
بَاحَتْ بِلَهْوِي بِضَعَةَ الْأَحْوَالِ
فِي قَاعِهَا بِحَرِيدَةٍ مِكَسَالٍ
لَوْ زُبَيْتَ شَمْسُ الضُّحَى بِمَحَالٍ⁵
فَعَزَّالَةٌ تَنْسَابُ بَيْنَ رِمَالِ
صَحْوًا بُعَامَ شَوَيْدِنِ بِالضَّالِ
حَبْرًا يَعَافُ سَفَاسِفَ الْأَعْمَالِ
بُبْرَى الصَّبَا لِمَنَاهِجِ الضُّلَالِ
مَأْوَى الظَّبَاءِ وَحِجْرًا الْأَجَالِ
لَيْلِي أَنَاغِي مِصْقَعًا ذَا بَالٍ
تُمْلِي عَلَيْهِ إِلَى "عَلِيٍّ" خَالِي
فَعَدَا عَلَى صَرَحِ الْمَعَالِي عَالِي
بِثَوَاقِبِ حَقَّتْ بِبَدْرِ كَمَالِ
فَجَوَادُهُ الْمَثَلُ لَيْسَ التَّالِي
هَانَتْ عَلَيْهِ طَرَائِفُ الْأَمْوَالِ

¹ حمزة عثمان ليس مجرد شاب، وإن كان من مواليد 1982م بل هو بحر زاخر في اللغة العربية القديمة، عالم لغوي، وشاعر مجيد، بطابع كلاسيكي، وقد كانت مرتبته اللغوية ترتقي إلى أن يكون عضو مجمع اللغة العربية في الأزهر، درس علوم الآلة في قبيلته "كل تكيران"، وله عدة مؤلفات، ومنظومات في اللغة، والعقيدة، والفقه، والأصول، منها الصدف الحاوي لنظم عقيدة الطحاوي، وهو مطبوع في السعودية، ويقدم حاليا في المملكة العربية السعودية.

² القصيدة أرسلها لي الشاعر مكتوبة على الحاسوب بصيغة وورد

(3) "ذو أفاع" ترجمة لـ إناثلن موضع قريب من إناثس.

⁴ "هني، إناثس" موضوعان من أماكن الشاعر التي يتجول فيها حقيقة كأي شاعر بدوي.

⁵ محال: من الحلي

وَنَكَايَةَ الْعَادِي وَدَحْضَ مُعَالٍ
جَوْفِ الْفِرَا " مِنْ سَائِرِ الْأَمْثَالِ
أُسْدِ الْوَعَى وَمَحْطَةِ التُّزَالِ وَمِنْ

اصْطَفَاهُمْ — عَلَيْهِ الْأَجْيَالِ
إِلَّا وَغَضَّ الطَّرْفَ كُلُّ مُعَالٍ
كَهْفُ الْعُقَاةِ وَآفَةُ الْأَبْطَالِ
مَهْمَا ظَفِرَتْ لَهُمْ بِأَيِّ مِثَالِ
لَا تُرْهَقَنَّكَ كَثْرَةُ التَّرَحَالِ
لَبَيْكَ مَهْمَا قَالَ أَحْمَدُ : آيِ
أَشْهَى بِفِيٍّ مِنْ أَبْيَضِ الْأَعْسَالِ
مَازِيَةِ شَجَّتْ بِكُلِّ زُلَالِ
حَلَّلَ الْبَلَاغَةَ أَيْمًا أَذْيَالِ
مَيَّاسَةً عَذْرَاءَ ذَاتِ جَمَالِ
عَقَدَتْ عُمُومَتُهُ مَعَ الْأَحْوَالِ
فِي آلِهِ وَصِحَابِهِ الْمُتَعَالِي
لِمُحَاوِرٍ ، أَوْ لَاحَ بَدْرُ كَمَالِ

تَعْتَادُ رَاحَتُهُ إِرَاحَةً أَرْمَلِ
لَا غَرَوْ مِنْ فَعَلَاتِهِ فَ " الصَّيْدُ فِي
أَوْ لَيْسَ فَرَعًا مِنْ أَرْوَمَةِ هَاشِمِ

بِالْفَضْلِ صِفَهُمْ مَا اسْتَطَعَتْ فَإِنَّهُمْ
مَا إِنْ يُعَدُّ فِعَالُهُمْ فِي مَجْلِسِ
هُمْ مُسْتَمَدُّ الْمَجْدِ حُمَالُ اللُّوَا
سِرِّ فِي الْقَبَائِلِ كُلِّهَا وَلَكَ الْمُنَى
حَاشَاكَ تَظْفُرُ بِالْمُمَائِلِ فَاتَّعَدُ
أَوْ مَا كَفَاهُمْ مَفْحَرًا تَرْجِيْعُهُمْ
بِالصَّدْرِ حَاكَ وَدَادُهُمْ، وَمَدِيحُهُمْ
خُذَهَا كَمَا دَارَتْ عَلَى رَقْرَاقَةٍ
وَأَفْتِكَ فِي زِيِّ الْعُرُوسِ بَجُرٍّ مِنْ
فَاضْمُمْ إِلَيْكَ مَلِيحَةً وَضَاحَةً
وَأَقْبَلْ هَدِيَّةً وَامِقٍ لَمْ يَنْسَ مَا
صَلَّى عَلَى خَيْرِ الْأَنْامِ مُسْلِمًا
مَا فُضَّ حَتْمُ الْمِسْكِ مِنْكَ تَحِيَّةً

رد الشاعر/ علي سليمان عليه¹:

أَعْلَى هُمُوعِ الدَّمْعِ بِالْأَطْلَالِ
يَا لَيْتَهُمْ تَرَكُوا الْمَلَامَةَ جَانِبًا
بَلْ كُلُّ مَنْ فَقَدَ الْحَبِيبَ عَزَى لَهُ
يَتَبَادَرُ الْعُدَّالُ بِالْعُدَّالِ
إِذْ لَا يُطَاوِعُ مِثْلَهُمْ أَمْثَالِي
عُدَّالُهُ مِثْلُ الَّذِي يُعْزَى لِي

¹ علي سليمان: شاعر كلاسيكي موهوب، من مواليد 1984م، تلقى تعليمه الأول في المحاضر لدى قبيلته "كل تيورق"، وأخذ المتريز، والماجستير تخصص الأدب في الجامعة الإسلامية بالنيجر، ويعمل حاليا في منظمة خيرية ببوركينا فاسو، من أعماله: رسالته لنيل درجة الماجستير حول دراسة وتحقيق ديوان الشيخ أحمد الإمام، وهو من أرسل لي القصيدة بصيغة وورد.

أَطِيعُهُمْ وَرُبُوعُ عَزَّةَ أَيُّهَا
وَنَهَدَّمْتُ وَعَقْتُ رُسُومَ دِيَارِهَا
مَا إِنَّ بِهَا مِنْ مُعَرَّبٍ لِمَسَائِلِ
حَاشَا الْوُحُوشَ نَوَافِرًا وَخَلَا الطَّبَا
لَكِنِّي مِنْ فَرَطٍ وَجَدِي سَائِلٌ
أَيْنَ الطَّعَائِنُ أَيْنَ عَزَّةُ إِنْ تَكُنْ
قَدْ خَلَقْنِي فِي الرُّبُوعِ دَوَارِسًا
كَمْ بَتُّ أَنْظُرَ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّمَا
فِي لَيْلَةٍ طَالَتْ بِنَا هُمُومُهَا
وَذَكَرْتُ عَصْرًا شَاقِي إِنْ فَاتَنِي
إِذْ لَمْ أَرَلْ مُتَبَخِّرًا بِمَنَازِلِ
أَهُوَ بِهَا مِنْ بَيْنِ أَكْرَمِ فِتْنَةٍ
نَعْدُو عَلَى جُرْدِ الْجِيَادِ وَهَوِجِهَا
تُلْفَى إِذَا مَا مَجْلَسٌ قَدْ ضَمَّنَا
وَالْخِلَّ (حَمَزَةٌ) لَمْ تَزَلْ أَشْعَارُهُ
فَكَأَنَّ (أَوْهَى) إِذْ بَدَتْ يَاقُوتَةٌ
أَمَعْنَتْ فِيهَا نَظْرَةً فَوَجَدْتُهَا
وَيَزِيدُهَا حُسْنًا بَعِيْنِي كَوْثُهَا
نَدَبٌ إِذَا مَا لِلْعُلَى سَابِقَتُهُ
جَمَعَ الْمَكَارِمَ وَالْمَثَاثِرَ جَمَعُهُ
يَأْتِي إِلَيْهِ لِحَاجَةٍ دُوْ حَاجَةٍ
وَتَرَى التَّبَسُّمَ دَائِمًا فِي وَجْهِهِ
وَعَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ هُوَ نَاشِئٌ
لَا تَعْجَبَنَّ مِنْ فِعْلِهِ فَلِخَرْجِ

بَلَيْتُ لَطُولِ الْعَهْدِ بِالنِّزَالِ
مِنْ سَحٍّ مَا تُسْقَاهُ مِنْ هَطَّالٍ
فَاللَّغُوْ عِنْدِي إِنْ سَأَلْتُ سُؤْلِي
وَكَلَامُ تَيْكَ مُحَالٌ أَيُّ مُحَالٍ
مَنْ لَا أَرَاهُ يُجِيبُنِي بِمَقَالٍ
سَلَّتِ الْعُهُودَ فَمَا أَنَا بِالسَّالِي
وَتَعَلَّقْتُ بَعْدَ الْفِرَاقِ بِبَالِي
سَكَنَ الطَّعَائِنُ فِي جَوَارِ هَلَالٍ
وَسُهَاذِهَا فَهَمْتُ بِالْتَرَحَالِ
فَازْدَادَ مِنْ تَذْكَارِهِ بَلْبَالِي
مَا خِلْتُهَا سَتْرًا وَهِيَ حَوَالِي
وَأَعَزَّهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأَجْيَالِ
تَعْدُو بِنَا بِسَبَاسِبِ وَتِلَالِ
نَتَجَاذِبُ الْأَشْعَارَ مِثْلَ نِضَالِ
تُهْدَى إِلَيَّ مَلِيحَةً فِي الْخَالِ
بَلْ جَوْهَرُ تَرْصِيْعُهُ بِلَالٍ¹
سَحَّارَةً فَتَانَةً بِجَمَالِ
مِنْ حَافِظٍ لِلوَدِّ غَيْرِ الْقَالِي
تُسَبِّقُ كَأَنَّكَ عَاطِفٌ أَوْ تَالِ
لِتَخْزُجَ وَشَرَافَةِ الْأَحْوَالِ
فَيُرِيحُهُ وَيَجُودُ قَبْلَ سُؤَالِ
وَمَعَ التَّبَسُّمِ آفَةُ الْأَبْطَالِ
مَا مَالٌ مِنْذُ صِبَاهُ لِلْإِهْمَالِ
فَضْلٌ حَوَّوْهُ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ

¹ أوهى: اسم قصيدة زميله حمزة.

مَنْ حُبُّهُمْ أَمَرَ النَّبِيَّ بِهِ الْوَرَى	بَلْ سَنَّهُ بِالْقَوْلِ وَالْأَفْعَالِ
قَوْمٌ يَهُمُّ نَصَرَ الْإِلَهِ رَسُولُهُ	فَحَمَوُهُ بِالْأَسْيَافِ وَالْأَمْوَالِ
قَوْمٌ إِذَا حَمِيَ الْوَعْيُ فَلْيُوْثُهُ	وَإِذَا ذَكَرْتَ مَعَالِيًا فَأَعَالِي
لَمْ أَحْصِ عَدًّا هَاهُنَا حَسَنَاتِهِمْ	وَلَوْ انْتَدَبْتُ لَذَاكَ طَالَ مَقَالِي
خُذْهَا كَمَا أُوهَتْ عُرَى صَبْرِي لَدَى	إِقْبَالِهَا (أَوْهَى) كَبَدْرِ كَمَالِ
فَاضْمُمْ إِلَيْكَ غَرِيبَةً عَلَوِيَّةً	وَضَّاحَةً كَالشَّمْسِ قَبْلَ زَوَالِ
وَاقْبَلْ هَدِيَّةَ حَافِظٍ مَا فِيكُمْ	قَالَ الرَّسُولُ لِصَحْبِهِ وَالْآلِ
صَلَى عَلَيْهِ مُسْلِمًا فِي آلِهِ	وَصَحَابِهِ مَعْبُودُنَا الْمُتَعَالِي
مَا تَمَّ شَعْرٌ بِخُرَّةٍ مِنْ كَامِلٍ	أَوْ مَالٌ ذُو الْإِنْشَادِ لِلْإِكْمَالِ

نقلت النصين كاملين، دون تدخل، لأنهما يشرحان الصورة العامة، ويدلان دلالة واضحة على ما وصفت به المرحلة الأخيرة "مرحة الشباب المعاصر" من عدم إضافة تعديلات جديدة على نمط القصيدة العربية القديمة، فلم يزل المعاصرون منهم "يبدعون في ظل المحاكاة"، مع تراجع ملحوظ في الإنتاج مقارنة بالمرحلة السابقة كما وكيفا، ولم تنزل الموضوعات التقليدية هي السائدة، مع البحور الخليلية، ولم يظهر من بينهم شاعر يلتزم بقضية يدافع عنها، أو رسالة يريد إيصالها وحدها بالتحديد، ولم نجد رمزا مستخدما، ولا انزياحا شديدا كما في لغة الشعر الحديث، ولا "مواضيع إنسانية كونية عامة" تناجي الوجدان، وتواسي الجراح النفسية المشتركة... فظل شعر المناسبات الطارئة هو الأغلب، "قصيدة الملتقيات"، و"الإخوانيات"، و"المراثي".

إن السوكيين لما ينفتحوا على العالم الآخر بعد، وهم مثل الموريتانيين، لديهم ملكة شعرية عظيمة، لا شك أنها وراثية، ولو وجدت بيئة حاضنة لأنتجت تلك الصحراء أدبا عالميا، لا يقل عن أية تجربة شعرية أخرى، إلا أن اليد قاصرة، فلم يحظوا بما أتيح لنظرائهم الموريتانيين، حيث وجدوا دولة، تربط بينهم وبين الإشعاع الثقافي القادم من الدول العربية

الأخرى، فدولتهم . إن كانت لهم دولة أصلا . ضد الأدب العربي الإسلامي بسبب تغيير المستعمر الفرنسي لهويتها الثقافية من زمان.

محاولات للإبداع:

على الرغم من ذلك ممكن التمثيل ببضعة شعراء شباب، تحمل قصائدهم إضافة جديدة بالنسبة للشعر التقليدي بين الطوارق إما بشكلها الهندسي، أو بلغتها التصويرية، أو بمضمونها الحدائي.

1. محمد توحه محمد¹ شاعر القصيدة الهندسية:

يعرف الباحث/ فاضل يونس القصيدة الهندسية بالتالي: (هي التي تتخذ أشكالا هندسية كالمثلث، والمربع، والمخمس، والدائرة، والبيضة، وقد تجمع أكثر من شكل هندسي، بل قد تأخذ شكل بعض الطيور، والحيوانات)²

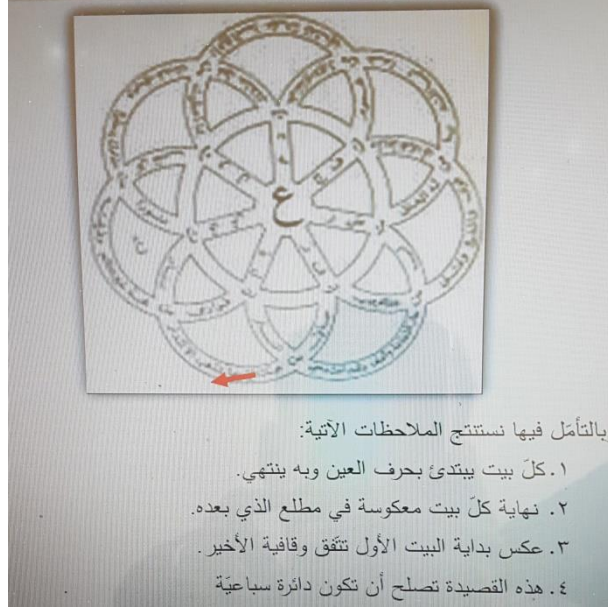
ثم يسرد أنواع الشعر الهندسي، فيذكر المهمل، والمعطل، والمقطع، والمشرع، والمردود، والمطرز ... إلى آخر تلك الأشكال العديدة التي آل إليها الشعر العربي في آخر العصر العباسي ابتداء من عهد الحريري إلى آخر العصر المملوكي³ ، وظهرت العناية الشديدة بهندسة القصيدة العربية أكثر مع صفى الدين الحلبي، حين ضعف المضمون، وماتت الروح الفنية، ولم يبق للشاعر معنى مؤثر في القلوب يقوله، ولم يعد أمامه خيار سوى أن يكون مهندسا، يؤثر في العين إن لم يؤثر في الضمير.

¹ هو شاعر مبدع، رائد الجيل الجديد، كلاسيكي، متحكم في قول الشعر أي وقت يريد، تلقى تكوينه في قبيلته كل تجللت، شرق غاو، ثم ذهب إلى ليبيا والتحق بجامعة الفاتح تخصص القانون، ولم ينه الدراسة الجامعية، ويقوم حاليا في نيامي. له ديوان شعري غير مطبوع، ويهتم بتاريخ المنطقة، وتراثها كثيرا.

² جمالية القصيدة الهندسية بين الواقع والطموح دراسة استقرائية تطبيقية، فاضل يونس، ص 6، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد السادس، العدد 12، عام 2012م.

³ عصر الدول والطوائف، شوقي ضيف، ص 128، ط2، دار المعارف، 1990م.

فأصبحنا نرى مثل هذه التشكيلات الهندسية المختلفة التي كتب عنها فاضل يونس حسين بحثاً كاملاً، ومن أمثلته نورد النموذج التالي، ويسميه نموذج "الدائرة المركبة"¹:



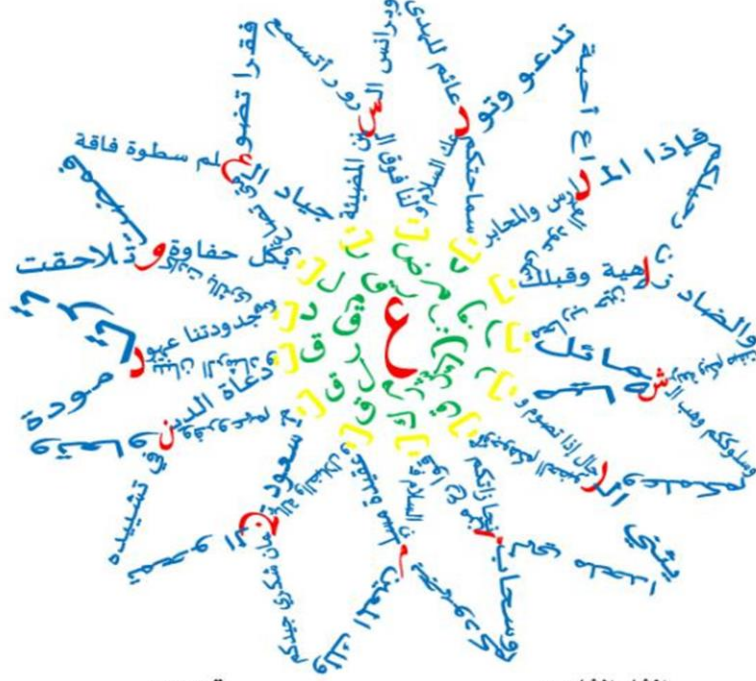
هذه القصيدة الهندسية العربية العراقية تشبه كثيرا القصيدة الطارقية السوكية الآتية، وكل ما قاله الباحث عنها يقال في قصيدتنا، حتى إنها تشبهها في الروي (العين) لكن يزيد عليها شاعرنا الصحراوي مُحمَّد توحه أمورا عديدة منها أن عنوان قصيدته "د. سعود نجم إرشاد" تشكل حروفه تقاطع الأبيات، ففي لقاء كل بيتين يوجد حرف من حروف ذلك العنوان، إضافة إلى اندفاق المعاني في القصيدة رغم تعقيدات الصنعة الكبيرة، ثم اختلاف التشكيل الهندسي نفسه، فهذا "دائري"، وشكل مُحمَّدو توحه "متشابك تشابك الزهرة"، وهو يعكس بذلك للكويتي الزائر د/ سعود مُحمَّد الربيعة جمال الصحراء، من خلال رمزية "الزهرة"، مع قوة الإبداع الشعري لدى الجماعة، فإلى النموذج²:

¹ جمالية القصيدة الهندسية، فاضل يونس، ص 36

² القصيدة سلمها لي الشاعر مخطوطة باليد، وبخط مغربي سوكي.

زهرة الصحراء

د. سعود نجم إرشاد



تصميم:

جار العتيق

إنشاء الشاعر:

محمد بن محمد الأدرعي

نص القصيدة بالطريقة العادية

عَرَضْتُ لَنَا فِرْقُ السَّرُورِ أَتَسْمَعُ
عَمِلْتُ بِكُلِّ خَفَاوَةٍ وَتَلَاخَقْتُ
عَرَفْتُ دُعَاءَ الدِّينِ فِي تَشْيِيدِهِ
عَمَّقْتُ عَقِيدَةَ مُسْلِمٍ بِجَهْدِكُمْ
عَشِيقْتُ وَجْهَكُمْ الحُضُورَ وَعَلَّمَكُمُ
عَبَّرْتُ مُحَارِبَ حَيْنَ حَانَ رَحِيلُكُمْ
عَمَدْتُ سَمَائِكُمْ دَعَائِمَ لِلْهَدَى
عَقَرْتُ جِيَادَ الْعِلْمِ سَطْوَةَ فَاقَةٍ
عَقَدْتُ لُجُودُنَا عُهْدَ مَوَدَّةٍ
عَلَّقْتُ سُعُودَ جُمَانٍ شُكْرِي جِيدَكُمْ
عَرَكْتُ قَوَارِعُ مِنْ إِلَهِي مُلْحَدًا
عَكَرْتُ مِيَاءَ شَرِيعَةٍ وَبِكُمْ صَفَتْ
عَزَفْتُ عَلَى عُودِ الْوِدَادِ أَحَبَّةً

فَقَرًّا تَضُوعُ مَتَى تُصَاعُ وَتَلْمَعُ
تَرْتَادُ بَيَانَ الرِّشَادِ وَتُفْرَعُ
تَمَحُو الْجَهَالََةَ وَالضَّلَالَ وَتَقْمَعُ
وَسَحَابَ إِنْجَازِكُمْ لَا تَفْشَعُ
وَسُلُوكَكُمْ وَهَبَ الشَّمَالِ تَرْبَعُ
فَإِذَا الْمَدَارِسُ وَالْمَحَارِبُ تَدْمَعُ
وَتِرَانِسُ السُّنَنِ الْمُضِيئَةِ تَرْفَعُ
فَمَضَتْ وَكَادَتْ بِاللَّيْلِ هِيَ تَذْفَعُ
وَتَعَاوُنُ وَفُرُوعُهُمْ لَا تُفْلَعُ
وَلَكِ الْمَعِينُ مِنَ السَّلَامِ فَتُكْرَعُ
يُثْنِي الرِّجَالُ إِذَا تَصُومُ وَتَرْكَعُ
وَالضَّادُ زَاهِيَةً وَقَبْلَكَ تَفْرَعُ
تَدْعُو وَتُودِعُكَ السَّلَامَ وَتَضْرَعُ

والشاعر مُجَّد مُجَّدو السوكي أول من طبق هذه القصيدة الهندسية بهذا المستوى في المنطقة، ويجدر التأكيد بأن النموذج الوارد أعلاه هو أول نموذج من هذا النوع لدى السوكيين، وبعده تسابق زملاؤه بمحاكاته، وكتبوا العديد من القصائد، ويتميز عنهم مُجَّدو توحه بأن تشكيلاته الهندسية لم تقض على قوة المعنى، وقد أكد لي شخصيا أنه لم ير نماذج سابقة، لولا معرفته بالتشكيلات الهندسية للقصيدة العربية عموما، فهو عنده عدة أشكال، بعضها يعتبر جديدا على الباحث فاضل يونس الذي يؤكد أنه لم يترك شكلا هندسيا للقصيدة إلا وجمعه¹، مثل شكل "قرص الشمس"، وشكل "النجمة":

¹ انظر كلامه ص 43، جمالية القصيدة الهندسية بين الواقع والطموح، مصدر سابق.



جار العتيق

محمد بن محمد الأدرعي

رمزية النجمة تكسي كذلك ثراء دلاليا استخدمه الشاعر هندسيا، وشعريا، حيث إن الأبيات ترحيب بأحد الدعاة الخليجيين إلى الصحراء، فبيئة الصحراء تكتسي فيها النجمة دلالة الاهتداء في الليل، والخليجي الزائر كذلك يهتدى به ! وبما أنه كذلك رمز السلام فقد التزم الشاعر بكلمة "السلام" في آخر كل بيت مع اختلاف المعنى، وعنوان النص "بوسام الشكر نكرمك" موزع بين الأبيات، فكل كلمة توجد مقطعة بين الأبيات: "بوسام" لون أخضر، به يبدأ كل بيت في التشكيلة، "الشكر" لون أرجواني، تمثل حروفه تقاطع كل بيتين، "نكرمك": بلون برتقالي، بحروفه على التوالي يبدأ المصراع الثاني من كل بيت:

بِقَوَافٍ تُهْدِي لِبَاحِ الْكَرَامِ	رَقَشُوا الرِّقَّ وَأُبْدِعُوا	بِالسَّلَامِ
سَوْفَ تَزْهَوُ بِكَ الْمَنَارُ كَشْهَمِ	كَانَ رَفْزاً لِنَشْرِ دِينِ	السَّلَامِ
مَرْحَباً مَرْحَباً أَيَا "فَضْلُ" أَهْلَا	كَمْ لَكَ اشْتِاقَ أَهْلِ دَارِ	السَّلَامِ
وَتَقَلَّدَ وَسَامَ شُكْرِ بِحَيَّا	مِنْ بَيْنَكُمْ وَدُمَ بِحِفْظِ	السَّلَامِ
الرَّجَاءِ دُعَا الْكَرِيمِ لَنَا كُنْ	نَتَلَقَى غَداً	بِدَارِ السَّلَامِ

السلام : في البيت الأول: من الأمن والسلامة، وفي البيت 2 "الإسلام"، وفي 3 "حارة بنيامي"، وفي 4 اسم من أسماء الله، و الأخير "الأخرة/ الجنة".

2. نافع عثمان : تحديث اللغة الشعرية:

هو من أوائل شعراء كل أسوك الذين تخرجوا من الجامعة، إذ كان ضمن الأفواج الأولى التي تخرجت من المعهد السعودي بموريتانيا، ثم ارتحل إلى السعودية حيث يقيم حالياً، فلا عجب في أن تتغير لغته الشعرية، على أنه متخصص أصلاً في الشريعة الإسلامية، ولم يتفرغ لقول الشعر، ومتابعة جديده، على الرغم من ذلك تتسم قصائده . مع قصرها، وقلتها . برونق بهيج، وحلاوة خاصة، باستخدامه لصور جديدة، نابعة من واقعنا المعيش، ولا يشك المرء في انتماء نصه إلى عصره عكس الكثير من الشعر الذي ندرسه، مثل قصيدته التالية بعنوان¹:

السوق: تمثال المجد

السوق في ساحة الأُمجاد تَمثالُ	مَرَّاهُ في شاشَةِ الصَّحراءِ أَطْلالُ
ثَمَّ القصورُ تَخالُها الصَّخورُ وَلَا	رَمَلٌ هُنالكُ إِلَّا المَسْكُ يَنْهالُ
مَعْنَاهُ مُعْتَبَرٌ لِلعينِ مُنْتَزَعٌ	مَعْنَاهُ فَيَضُّ من الإلهامِ هَطَّالُ
وِلْأَصالةٍ مِنْ أَحْضانهِ انْبَجَسَتْ	عُيُونُ عَزَّ بِها التاريخُ يَخْتالُ
بُرْدُ المحاسنِ غَضُّ الوُشْيِ فيه وَإِنْ	شَيْبَ الزَّمانُ بِهِ الفِضِّي أسْمالُ
ما لِلثقافةِ إِذْ تُجلى مَراكِزُها	جَمالُها من الجُيْنِ السوقِ مِعْطالُ
أَلَمْ يُعَرِّبْ بِنحوِ السوقِ مُعْجُمُها	أَلَمْ تُنمِّقْ بِحِطِّ السوقِ أَشْكالُ
إِنْ لَمْ يَكُنْ مَدْرَجٌ لِلطَّائِراتِ بِهِ	وَمَا بِهِ لِقِناةٍ البَثِّ إِرْسالُ
فَكَمْ أَواخٍ كَشاماتٍ تُنِيطُ بِها	أَعَنَّةُ الصَّافِناتِ فيه أَبْطالُ
وَكَمْ صَدْرَنَ يُصَدِّرْنَ العِلومَ بِلا	ضَرائِبٍ من جِياذِ السوقِ أُرْسالُ
وَكَمْ وَرَدَنَ حِياضَ السوقِ مَاردَةً	نَوازلُ لَمْ يَمَسَّ فَقْهَها البالُ
ثُمَّ انْتَشَتْ زُلْلاً يَروي لِموَرِدِها	عَنّا المَسائِلَ تَفْصِيلُ وإِجمالُ
وحسبنا الفَخْرُ آلَ السوقِ أَنَّ بَنا	في العِلْمِ تُضَرِّبُ والأَخلاقِ أُمثالُ
ماثِرٌ ما عَفَّتْ مِنْهِنَّ أَطْلالُ	وَمُلْتَقَى السوقِ لِلأُمجادِ تَمثالُ

¹ القصيدة ضمن مجموعة شعرية متفرقة، جمعت قصائد الملتقى الأول لقيائل كل أسوك

دَعَتْ لَهُ نُحْبَ لِبَتَّهِمْ نُحْبَ
توافدوا ليشيدوا بُرْجَ مَكْرَمَةٍ
قومٌ كَفِيلٌ بِجَمْعِ الشَّمْلِ جَمْعُهُمْ
وَعَبَّ غَيْثَ اللِّقَا وادي التَّوَاصلِ فِي
فَاعْشَوْشَبَتْ صِلَةُ الْأَرْحَامِ وَازْدَهَرَتْ
وَأَسْدَلَتْ ذَاتُ الْأَقْرَبِينَ ضَفَا
فَهَكَذَا شَامَ غَيْثَ الْمَلْتَقَى أَمَلِي
وَمَا مَنَى النَّفْسِ إِلَّا مَلَأَ بِاصْرِقِي
أَمَّا وَلِي زُحْلٍ عَزْمُ نَأَى بِي فِي أَنْتَ
فَهَذِهِ الشَّمْسُ تَأْتِيكُمْ عَلَى مَهَلٍ
أَبْجَى وَأَفْخَمُ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ قَمَرٍ
فِي كُلِّ نُقْطَةٍ حَرْفٍ مِنْهُ نَاطِحَةٌ
جَادَتْ بِهِ مِنْ سَلِيلِ الْأَزْدِ عَارِضَةٌ

لَهُمْ عَلَى النُّجْبِ لِلْعِلْيَاءِ إِرْقَالُ
وَهُمْ بَنُو وَئِنَاءُ الْمَجْدِ لَنْ يَأْلُوا
وَأَنْ تَكُونَ جَنَى الْأَقْوَالِ أَفْعَالُ
بَادِي وَحَاضِرِنَا حَصْبٌ وَسَيَّالُ
فَفَاحَ مِنْ عَبَقِ الْإِصْلَاحِ إِقْبَالُ
ثَرًّا يُعَانِقُ مِنْهَا النَّجْمَ عِنْكَالُ
وَالْبَرْقُ يَيْسُمُ لِي مِنْ ثَغْرِ الْقَالُ
مَرَأًى إِذَا حَانَ مِنْ ذَا الْجَمْعِ إِهْلَالُ
جَاعِ مَجْدٍ بِهِ فِي الشَّرْقِ تَرِحَالُ
تَتَوَدُّهَا مِنْ تَحَايَا الْوَدِّ أَحْمَالُ
شِعْرٌ لَهُ مُنْتَهَى الْإِبْدَاعِ إِكْمَالُ
بِالْحُسْنِ نَاطِقَةٌ لِلْمَجْدِ تِمْنَالُ
بِالسُّوقِ فِي سَاحَةِ الْأَمْجَادِ تَحْتَالُ

القصيدية من عنوانها . (وكل اسوكت نادرا ما يضعون عنوانا أصلا لقصائدهم) . ترشح بعطر
(الحداثة) كفترة زمنية تاريخية على الأقل، إن لم تكن رؤية واتجاهها، فذلك يظهر على مستوى
(المفردات) مثل: التمثال/ الشاشة/ الناطحات .. إلخ، وعلى مستوى الأساليب أيضا مثل:
انجست عيون عز / بها التاريخ معطال/ ليشيدو برج مكرمة/ فاعشوشبت صلة/ وأسدلت
ذات الأقربين ضفائرا إلخ)، وفي اختياره للكلمات القريبة عموما بخلاف أغلب شعر
السوكيين، الذي يعني بالكلمات المستخدمة أيام ابن حجر الكندي.

3. أبو عمر أحمد محمد السوكي: قصيدة الثورة:

أبو عمر من الشعراء الشباب الكثيرين، وله موهبة ارتجال عجيبة، ويميل طبعا إلى الشعر
الكلاسيكي، إلا أنه لا يقف على الأطلال، ونختار له قصيدة واقعية في قضية قومية شائكة،

وتبدو فيها ملامح الصدق، وحرارة العاطفة، إذ أنشدها يوم إعلان الحركة الوطنية لتحرير أزواد سيطرتها الكاملة على "شمال مالي"، وإعلانها "دولة أزواد" يوم 6 أبريل، 2012م، ففي هذا اليوم انهمر الكثير من حماس الطوارق في كل مكان، إذ عاينوا بأعينهم الحلم الذي يداعب أعماقهم سنين، رأوه تحقق فعلاً، ولو لحظات ! فتغنى الكثير منهم بالطارقة، والعربية معا أناشيد حماسية، وأغاني أفراح، ومنهم أبو عمر السوكي بقصيدته الآتية، وهي تتشظى ثورة، وانتقاماً من الذين يراهم دمروا قريته "وادي الشرف فلم يتمالك نفسه فقال هذه المعلقة البديعة، التي تقارن حقاً بقصائد أحمد شوقي الثورية الوطنية، وتشبه رائعة "فتح عمورية" لأبي تمام، لفظاً ومضموناً، ومناسبة، بل يظهر فيها نفس أبي تمام كأريج العطر، وشذا النسيم، فها هي ذي¹:

هن الخيول!

صدورها تتقي سهم العدى، وتقي	هَنَّ الخيول ذواتُ اليمن والعتي
فتخ من الله، والرايات في حَقِّ	تختال في "آزواد" الخير، يقدمها
ليلٌ وصبحٌ تجلّى في دُجى العسق	كأنها، وكأنَّ حسنَ غُرَّتْها
عقدُ اللئالي في حُسنٍ وفي نسق	أوفي انتظام الصفوفِ قبل غارتها
نجوم ليلٍ تراءت في سما الأفق	أو في انتشارٍ تراها بعد هبَّتْها
قتلاً وجرحاً إلى مجامع الحق	والرعبُ جنديُّ نصرٍ، كم يسابقتها
إما تجلّ قبل أن تبتلّ بالعرق	وحيثما أقدمت فالنصرُ سائقها
إلا وغُصَّت حلوقُ الغدرِ بالشرق	تغزو مدائنَ ظلمٍ، لا تطوّقها
قامت قيامةً جندِها من الفرق	إن قيل: يومُ غدٍ إصباحُ ثانية
فالقلب في حَقِّ، والطرف في أرق	أ يحسبون الخيالَ بعضَ غارتنا؟!
كفيلق الجرنّ ذاتِ الهول أو فلق	لله أسدٌ على تلك الخيول هم
باهونٍ تُذبح، هل في آخرِ الرمي؟!	من قبلِ مقدمهم كادت كرامتنا

¹ من ديوان الشاعر مكتوب على الحاسوب، ص 15

والجُدُّ ما كتبوا بالعزِّ أسطوره
وبدّدوا كلّ وهمٍ ذو يسوّفه
وألهموا الحرّ ما معنى الإباء، فإذ
فالوسم في وجهه حرّ لو تكبده
يا كم دفعنا الجزى أن لا تُهان، وكم
كأننا حيّ قومٍ من مجوس . بلا
وقبضةً من رمادٍ كم تساومها
فلا تسلنا عن الأنعام، يجمعها
والسفر ما رحلوا، فهم على خطرٍ
كم قيل إنّنا مواطنون مثلهم
ف(كارت دند) بلا إرفاق رشوتها
كنا كذلك في خمسين عاماً على
وحيثما عجب قضيت، لاعجب
ها قد أفقنا، وهذا العزّ نحمله
يحفه الورْدُ والزهر الرطيب، وكم
فاشخص إلى (أزواد) الشهم في أنفٍ
ونحن طراً إلى استقلال دولتنا
فذاك مطلبنا، إنا نطارده
فكل صعب إذا ما صار مُعتقاً
وإن تك الأرض قد ضاقت بمطلبنا
وكم عراقيل ألغام لنا زُرعت
وربّ حُبلى بغدرٍ سوف يُجهض ما
وكم تهدّنا، وهل تبدّدنا؟
ولتعتبر بالتي كانت تغار لها
فلن تُوقّنا تلك الهراءات عن

على صحائف خلد، لا على ورقٍ
من ظنّ أن الرجال الشاء في الرّيق
قد تمّ في خلقه، فليسّم في خلقٍ
وذاق من حرّ دُلا، فلم يُطق
بِتنا تظللنا غيابة القلق
عهد . يؤدّون حقّ الله في حق
فكيف يسلم ملئ الكفّ من نبق؟!
يختار جايهم ما شاء من حقيقٍ
يحدو إلى فرقٍ يسطو على فرقٍ
لكن نخاف كخوف قاطع الطُرق
كأنها ورقٌ من ساقط الورق
إغماض عالمنا لسائر الحديق
فالحرّ إن يُغم عنه ساعة يُفق
فوق الرؤوس إلى الأجيال في طبقٍ
تغشاك نسمات ياسمين ذي العبق
واشمخ، وطيب غوالي المسك فانتشيق
نسعى . ولانثنى . لفتح منغلقٍ
فليرق في سلّم، وليشو في نفق
بهمة عظمت ينقاد إن يُسقى
فعزّمتنا لم يضق، والنفس لم تضيق
مرّ السنين، بشحد العزم لم تغق
أجنت العام قبل شدة الطلق
أزعومة ككساء جدّ مُترقٍ
أو تنتظر وبَل نبل النار في دفعٍ
مرامنا، فهي تصنّع لمختلق

فَنَحْنُ نَحْنُ صَقُورُ الحَرْبِ جَرَيْنَا
 دَعْنِي أَعَشْ سَاعَةً مِنْ الشُّعُورِ بِهَا
 فَقَدْ تَذَكَّرْتُ "دَارَ الظُّلْمِ"¹ صَاحِبَةً
 أَقْدَامَهُمْ مِنْ عَلَى أَقْفَائِهِمْ هَرْبًا
 قَدْ فَرَقُوا جِسْمَنَا قَتْلًا وَمِرْزَاةً
 فَلَا الشَّجَاعَةَ تَحْمِي الْجَنْدَ، عَرَضَهُمْ
 قَدْ غَادُورًا فِي بَسَاطِ الْمَكْرِ حَائِكُهَا
 لِلَّهِ يَوْمٌ بِهِ سَكْرَتٌ مِنْ فَرَحٍ
 حَقًّا، أَرَى أَنِّي لَوْ كُنْتُ حَاضِرَهُ
 فَقَدْ تَذَكَّرْتُ إِذْ هَبُوا لِقَرِينَتِنَا
 فَوَزَعُوا كَأْسَ سُمٍّ بَيْنَ شَيْخَتَيْنَا
 فَلَتَنَ سَاقِيَهُمْ عَقْبَى الْوَبَالِ هُنَا
 بِالنَّارِ قَدْ فَتَنَّتُنَا "جَارَةٌ"² عَلِمْتُ
 فَرَبَ يَوْمَ رَأَيْنَا مِنْ عِدَائِهِمْ
 لَوْ كَانَ بِالسَّلَامِ أَوْ بِحَسَنِ طَلْعَتِهِ
 هِيَ الْإِبَادَةُ، وَالْهَفْيُ وَيَا حَزَنِي
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ مَنَا الصَّدُورَ شَفَى
 فَبَعْدَ حُزْنِ أَيْتِ اللَّيْلِ أَزْجَرُهُ
 يَا ابْنَ الشَّرِيفِ بِلَالِ الْمَجْدِ، هَاءَكَ ذِي
 يَسْقِيكَ مِنْهَا هُنَا وَالْيَمْنَ مَتْرَعَةً
 وَكُلُّ أَبْطَالِنَا أَهْلٌ لِنُكْرِمَهُمْ
 عَمْدًا خَتَمْتُ بِذِكْرِ هَؤُلَاءِ، فَفِي

بِجَيْشِنَا إِنْ نَزَمَ غَزْوَ الْعِدَى نَنَقِ
 أَقْضِي دِيُونَ الصَّبَا ذِي الزَّهْوِ وَالْوَلَقِ
 وَجَنْدُهَا السَّيْلُ فِي شَدٍّ وَفِي عَنَقِ
 فِي بَحْرِ ظَلَمِهِمْ ذَاقُوا مِنْ الْعَرَقِ
 فَفَرَّقَ اللَّهُ مِنْهُمْ شَمْلًا مَتَفَقِ
 مِنْ وَصْمَةِ الْعَارِ مِثْلَ الْمَلْبَسِ الْخَلِيقِ
 فَكَمْ تَوَسَّدَهَا رَأْسٌ بِلَا عُتْقِ
 يَا عَزَّيْ، إِنِّي بَغِيْبِي لَشَقِي
 أَغْمَدْتُ سَيْفِي . لَوْلَا الدِّينُ . مِنْ عَلَقِ
 كَأَنَّهُمْ حَمَرٌ تَبَاعُ لِلنَّهَقِ
 مَا بَيْنَ مَصْطَبِحٍ مِنْهُ وَمُغْتَبِقِ
 وَهَذَا هُنَاكَ، فَعِنْدَ اللَّهِ غَيْرُ تَقِي
 أَنَا مِنْ الذَّهَبِ الْإِبْرِيْ لَا الْوَرَقِ
 وَرَبِّ حُرٍّ بِكَاسَاتِ الْمُنُونِ سُقِي
 يُحْمَى امْرُؤٌ مِنْ أَذَى جِيرَانِهِ لَوْ قِي
 فَالْعَيْنُ فِي غَرَقٍ، وَالْقَلْبُ فِي حَرَقِ
 حَمْدًا إِذَا مَا ذَهَبْنَا أَوْ فَنِيْتُ بَقِي
 هَذَا السَّرُورُ، أَلَا تَرَاهُ مَعْتَنَقِي
 كَأْسَ احْتِرَامٍ، فَأَنْتِ النُّجْمُ ذُو الْأَلْقِ
 فَإِنَّا مِنْ زَلَالٍ طَيْبٍ غَدِقِ
 فَلْيَرْكَبُوا طَبَقَ التَّقْدِيمِ عَنْ طَبَقِ
 ذَكَرَاهُمْ مَسْكٌ خَتَمٌ فَائِحِ الْعَبَقِ

¹ دار الظلم: يقصد مدينة غاو، فهي التي تُلقت منها قرية تلك الصفعة السوداء التي لا يمحوها التاريخ مدى الحياة !
² "جارية" يقصد بها غاو مرة أخرى

تلك هي نماذج المحاولات الشبابية التي وقفت عليها، وهي تكسر النمط التقليدي، بشكل أو بآخر.

المبحث الثاني: تدوين الشعر وسؤال النقد:

أهل الصحراء معروفون بضعف ثقافة التدوين، وبالخصوص الطوارق الرحل الذين يخشون الكلام أصلاً، فضلاً عن ترسيخه في أوراق محفوظة، ولديهم معتقدات قديمة أسطورية حول عضلة اللسان، كما يحكي عنهم ابراهيم الكوني في بعض رواياته¹، إضافة إلى عامل طبيعي هو انعدام المطابع، وقلة الأوراق.

لقد مضى ربح من الزمن والسوكيون يتناقلون أشعارهم كعرب الجاهلية مشافهة، وذلك ضيع الكثير من تاريخ القرون الماضية، ولا شك أن هناك كمًّا هائلاً من الشعر قبل المرحلة الأولى التي ذكرناها آنفاً، ولكن لم يصلنا منه شيء، جراء عدم التدوين، ولم تنشط حركة التدوين إلا في أواسط القرن العشرين وأواخره، عندما استقرت 3 قبائل سوكية فيما يشبه "بناء مدينة كاملة"، هي "وادي الشرف . شرق مدينة غاو".

وادي الشرف: مركز إشعاع ثقافي مؤوود !

شرق مدينة غاو شمال مالي، في حدود سنة 1983م، اتفقت 3 قبائل من كل أسوك (كل تبورك / كل تجللت / كل تكيرتن) أن يوقفوا حياة الترحال، ويستقروا، فبنوا مدينة كاملة، وتحولت تلك الأطلال بفضل قيادة الشيخ العلامة الخضر حماد بالتعاون مع زعماء بقية القبائل إلى خضرة، ومياه، ومبان، وحلقات تعليمية، ومدرسة ناجحة، ونشاط تجاري رائج، وحركة سريعة نحو التقدم الحضاري، فأصبحت القرية قبلة الطلاب من كل جهات مالي تقريباً، وبدأت المحاضرة تنافس الأزهر قديماً في برنامجها، وخريجها، وبدأت المصادر العلمية الجديدة تغد على القرية، بين ما يأتي به الحجاج، وما يهدى إلى الشيخ، إضافة إلى توفر

¹ واو الصغرى، ابراهيم الكوني، ص 17

الورق، وهو عملة شحيحة جدا لديهم قبل ذلك، وعندما يأتي أي كتاب فإنه يستنسخ باليد مباشرة، فازدهرت ظاهرة استنساخ الكتب باليد، خصوصا المتون، حتى ليكاد بعض الخطاطين يصبحون "مطابع"، يمشي إليهم كل من يريد الحصول على نسخة، فيكتبون له، مثل النساخين القدامى ببغداد، والكوفة، غير أنهم لا يأخذون الأجرة مقابل عملهم!.

وهم في تلك الحال من الاجتهاد في التعلم، والتعليم، إذ صَبَّحَتْ ميليشيات¹ محسوبة على الجيش المالي قريتهم الوليدة، والعامرة بالثقافة الإسلامية، الواعدة بحاضرة علمية زاهرة، فتحولت في يوم واحد كقرية ثمود، لا ترى لها من باقية، فأزهقت أرواح علمائها، مع مكاتبهم، وحلقاتهم، ومدارسهم، وتم تهجير الناجين من المجزرة التي تقشعر لها الجلود إلى النيجر، وهي مجزرة سوداء خلدها الشعراء السوكيون بقصائدهم، إذ هي نكبة للثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة، فلنستمع لشاعر سوكي عاش ذلك اليوم وهو المرتضى مُجَّد يقول في قصيدة سنوردها بعد كاملة²:

لَأْمُرٍ مَا بَكَى الشَّيْخُ الدِّيَارَا	لَأْمُرٍ صَيَّرَ الْعُقْلَا حُيَارَا
رَثِينَاهَا مَنَازِلَ دَارِسَاتٍ	لَنَا سَحَتَ الْعَدُوِّ بِهَا الْخِيَارَا
تَرَى الْعُقْلَا وَتَحْسِبُهُمْ سَكَارَى	لِمَا يَهْمُو وَهُمْ لَيْسُوا سُكَارَى
وَلَكِنْ حَلَّ سَاحَتَهُمْ لِنَاثَمٍ	عُصَاةٌ فَسَقُوا بِلَهُ التَّنَارَا

.....

.....

فَكَمْ مِنْ عَالِمٍ تَرَكُوا صَرِيْعًا	يُخَالِطُ وَجْهَهُ ثُمَّ الْعُبَارَا

¹ تسمى هذه الميليشيات بـ "حركة جاندوكوي" بمعنى "أهل الأرض"، والمعلومات أخذتها من شاهد عيان، الأستاذ/ أحمد إبراهيم

² من مجموعة شعرية متفرقة مخطوطة لدى الباحث، وانظر: ترغيب المشوق في ذكر أشعار آل السوق، ص 190

أ. تدوين الشعر :

في تلك الفترة بهاته القرية المدمّرة أُلِّفت جل المؤلفات المذكورة سلفاً، وقرضت الأشعار، ودُوِّن فيها ما دُوِّن، على أن القصائد تدون منفردة في الغالب، بحيث لم يجمع أحد ديوان شاعر من الشعراء، على شكل كتاب يوزع، اللهم إلا واردات الشيخ حماد مُجَدِّو، وديوان الشاعر مُجَدِّو يوسف، فكما قلت في رسالة الماجستير: (حظي شعر مُجَدِّو باهتمام لافت للنظر، من حيث جمعه في ديوان واحد، وكذا تسجيله صوتياً في أشرطة)¹، مما يعني نيل إقبال اجتماعي خاص، وقلما حظي شعر عادي سوكي بمثل تلك الخدمات.

وفيما يلي نستعرض محاولات التدوين التي وقفنا عليها، أو بعبارة أصح "المصادر التي يوجد فيها الشعر العربي السوكي"، وهي التي استقيت منها المادة الشعرية المدروسة:

1. مجموعات شعرية:

أ. ترغيب المشوق في ذكر أشعار آل السوق للشيخ زين الدين مُجَدِّو الميمون السوكي:

ولعل هذا الكتاب غير المطبوع إلى الآن، أول مجموع شعري حاول جمع الشعر السوكي الذي يعرفه في زمانه، وربما آخر محاولة من نوعها أيضاً، وكان مؤلفه يعرض الشاعر في ترجمه بشكل موجز، وبعبارة أصح: يثني عليه بسجع، واختصار، ولا يعلق على طبيعة شعره، ثم يسرد له نماذج من قصائده، دون شرح، ولو للغريب اللغوي، ولم يلتزم في ترتيب الشعراء بأي معيار تاريخي كان أو موضوعياً، أو هجائياً، بل ربما رتبهم حسب مكانتهم الاجتماعية والقبلية لديه.

¹ الشاعر النسقي، قراءة وتحقيق لديوان الشاعر مجدو يوسف، للباحث/ مجد أغ محمد، ص 115.

ب. مجموع شعري غير مرتب دون مؤلف¹:

يبدو أن الطلاب السوكيين بالمعهد السعودي في موريتانيا هم الذين كتبوا منه ما كتبوا، وصوروا من بعض الأفراد ما صوروا، بدليل أنه مكتوب بأكثر من يد، وبخط الرقعة الحديث أيضاً، وبالخط السوكي أيضاً، ولم ينو من جمعه بذلك الجمع أنه يؤلف "كتاباً"، ويشتمل على شعر شعراء القبائل التي قطنت وادي الشرف فقط، وبعض القصائد تكتب دون ذكر قائلها، وبدون ذكر المناسبة.

ج. مجموع شعري مرتب قليلاً دون مؤلف:

وجدت في مكتبة الشيخ اسماعيل الملقب "إمّا" مجموعاً شعرياً أكثر ترتيباً، وأكثر جمالاً، ويبدو أنه ضاع آخره!، والمتوفر فيه هو شعر مُجَدِّد يوسف، والمرتضى، والحاج، وبعض قصائد ملحقة بالمجموع، والمجموع مكتوب على "كراسة مدرسية"، ومخطوط بخط مغربي قديم، ومكتوبة بعناية، وبأسلوب جميل، والتزم جامعهم بذكر البحور لكل قصيدة، وبضبط الكلمات، ولم يرتب القصائد ترتيباً أبجدياً.

2. دواوين شعرية منفردة:

كما قلت سابقاً، لم تكن فكرة إنشاء ديوان فكرة منتشرة، ولذا رغم وجود شعراء أنتجوا شعراً يمكن أن يكون ديواناً. رغم ذلك لم تزل قصائدهم مشتتة، عند فلان، وفلان، وحسب اطلاعي لم أر ديواناً مجموعاً لشاعر واحد بشكل مستقل، ومخطوط مثل النماذج التالية:

¹ هذا المجموع أهده لي الأخ الأستاذ أحمد محمد الحاج عن طريق الأخ أحمد محمد الأنصاري.

أ. الواردات للشيخ العارف/ حمادو مُجدو:

هو عبارة عن قصائد صوفية، وتأملات ذاتية قالها الشيخ، الولي العارف حمادو مُجدو، وهو طبعاً مؤسس الطريقة الصوفية الكبيرة التي انتشرت في ربوع الصحراء الكبرى، وأصبح شيخاً لمئات القبائل بالمنطقة بين مالي، والنيجر، وبوركينا، وجنوب الجزائر كما سيأتي في ترجمته، والقصائد مدونة في التبر التالد، مع شروحها، والكتاب كله مخطوط بخط مغربي سوكي مطوّر، ولا تخفى العناية الشديدة التي حظيت بها عملية الكتابة، فقد كان الخط متقناً، سهر عليه أكبر السوكيين مهارة في الخط!، وتقع النسخة المتوفرة لدي في ورق بحجم A4، وبالحرير التقليدي، ولم تكن القصائد مضبوطة بالشكل.

ب. المدد الرباني في إرادة من رباني، ديوان الشاعر مُجدو يوسف:

وهو ديوان مجموع ولم يذكر من قام بالجمع، وتتوفر له نسخ في أماكن متفرقة بالمنطقة، وهو الذي أجريت عليه دراستي من أجل نيل درجة الماجستير في جامعة سيدي مُجد بن عبد الله بالمملكة المغربية عام 2012م، والنسخة التي اعتمدها تقع في ورق صغير الحجم جدّاً، مكتوبة بخط مغربي سوكي، وبالحرير التقليدي، وتلك النسخة خاصة بوالدي حفظه الله.

ج. ديوان الشيخ أحنى:

وهذا رغم قلة قصائده التي لا تبلغ 10 قصائد فإنه مجموع في دفتر واحد باسم "ديوان الشيخ أحنى"، وعلى ورق متوسط الحجم، ومكتوب بالقلم العصري، وبالخط المغربي القديم، والنسخة الموجودة عندي قدمها لي أحد أقاربه الأخ الكريم "مهمّ السوكي".

3. كتب خارج تخصص الأدب لكن توجد فيها أشعار :

توجد كذلك بعض الكتب القليلة، التي تحتفظ بقصائد غالية، وإن لم تكن تلك الكتب في مجال الأدب، من أهمها كتابان:

أ. التبر التالد في مناقب الشيخ الوالد للشيخ الخضر بن حمادو:

ترجمة الشيخ المذكور آنفا حمادو، وتوجد فيه أشعار سوكية نفيسة، تبدأ بأشعار الشيخ المترجم له، وما قاله مريدوه فيه، إضافة إلى تقارير الكتاب نفسه مدرجة بعد الخاتمة. وتتوفر لديّ نسخة لوالدي حفظه الله.

ب. الجوهر الثمين في أخبار صحراء المثلثين" للشيخ العتيق سعد الدين:

الجوهر الثمين يحتوي على عيون من الشعر العربي في صحراء المثلثين، وأحاديث مهمة تاريخياً، عن أصحاب القصائد، وتوجد فيه أبيات لم أرها في غيره. والكتاب مخطوط بخط مغربي سوكي، وبالقلم العصري، روعلى ورق بحجم متوسط، ولدينا نسخة مصورة من النسخة الأصلية للكتاب، كما تتوفر له نسخة إلكترونية بصيغة "PDF" لدينا.

4. قصاصات متفرقة في البيوتات:

هذا هو شكل التدوين الرسمي، والشائع، أن تكون القصيدة في قصاصة، أو قطعة ورق بالية، وأغلب الشعر السوكي مدون بهذه الطريقة، وتوجد بأنواع، ومستويات مختلفة، منها قصاصات بالية جداً، غارقة في القدم، متأكلة، وقصاصات من الورق الجديد، وقد تكون تارة مجمعة في مكان واحد كأنها ديوان غير مرتب، وفي الغالب تقطن داخل كتاب ما !

5. محاولات متأخرة لدراسة هذا التراث الشعري:

تمت الإشارة إلى هذه المحاولات في المقدمة، وكل ما يهمنا هنا أن تلك الأعمال كذلك تسهم في "تدوين الشعر العربي" لدى كل اسوك، وإعادة التذكير بأن كل ما ذكر لم يطبع منها سوى عمل واحد، وهو "المدارس الأدبية" لمحمد احمد الخرجي.

إذا كانت هذه هي حالة التدوين فهل يمكن السؤال عن النقد الأدبي لهذا المنتج الشعري لدى القوم؟

ب. سؤال النقد !

تحت ظروف طبيعية، وعوامل اجتماعية لم يصاحب النقد حركة الشعر لدى السوكيين، فلئن كان شعرهم امتدادا طبيعيا لأواخر الشعر العباسي، وأدبهم عموما ابنا شرعيا لذلك الأدب، أو استعادة قوية له، فإن النقد الأدبي لم نجد له أثراً في الصحراء، - والواقع أن النقد المبدع الأصيل احتضر على يد أمثال أبي هلال العسكري، وتوفي في أحضان السكاكي من البلاغيين الصناعيين، يقول الدكتور مُجَّد مندور: (فأبو هلال فيما نحسب هو نقطة البدء في فساد الذوق في النقد، كما هو بدء تحول النقد إلى بلاغة، وفي هذا أوضح تفسير لإعجابه بسجع صاحب ازدواجه، وترفقه بأبي تمام...)¹، ولا يفوتنا التذكير هنا بما تقدم من كون بلاغة السكاكي الملخصة عند القزويني هي المقرر النقدي، والبلاغي الوحيد الذي أولاه السوكيون والطوارق عموماً عناية شديدة، لدرجة نظمه أكثر من مرة، ويفرض على المتعلم حفظه وراء ظهره، ولم تكن بلاغة الجرجاني حاضرة في تلك البيئة، ولم يكونوا مطلعين كثيراً على موازنة الأمدي، فضلاً أن يطلعوا على حركة النقد الأدبي الحديث، الذي لم يسمعو ولو بمقال واحد مما يقوله طه حسين، والعقاد إلى مُجَّد مفتاح.

لئن كانوا قلدوا الشعر العربي القديم، وأفلحوا كثيراً مبدعين في تمثله، وتمثيله، فإنهم لم يقلدوا النقد القديم، ولم نجد أية محاولة نقدية مكتوبة في رسالة كرسالة الحاتمي، ولا في كتاب ككتاب القرطاجني، بل إننا لم نعثر حتى على "شرح ديوان" من الدواوين السوكية، وغير السوكية، على يد أحدهم، مع أن "ثقافة الشرح" منتشرة لدى القوم، إذا استثنينا عملاً واحداً لا أعرف له نظيراً، هو شرح الشيخ الخضر لديوان والده الشيخ حمادو، السابق الذكر.

¹ النقد المنهجي عند العرب، مجَّد مندور، ص 239.

أما جملة العوامل التي أضعفت روح النقد في هذه البيئة، بل وأخفّته، فهي تضيف إلى العوامل المعروفة التي أوقفت عجلة النقد الأدبي في أواخر العصر العباسي، تضيف لتلك العوامل المشتركة ما يلي:

1. قلة المصادر النقدية، أو انعدامها، فالقوم رحل، يحصلون على كتاب واحد بواسطة مغامرات تكتب، فالكتب التي تدرب على النقد، وتقدم نماذج نقدية رائعة غير متوفرة.

2. ضعف التواصل الثقافي مع العالم العربي، قنوات التواصل منعدمة، فكل ما جرى من ثورات، وحركات نقدية، وفنية، ومذاهب، واتجاهات لم يسمعوا به حتى في الإذاعات.

3. العامل الاجتماعي، المتمثل في القبليّة، والعادات الصحراوية، حيث إنهم يفسرون "النقد" نقضا، وقدحا، وذما، ولا يحق لأحد أيا كان أن يقدح في عمل الآخر، فعمله يوازي عِرضه تماما، والوقوع فيه بغير الثناء هو جرح مباشر للشخص، فمن هنا لا يطيق ابن العم في العرف أن ينقد أعمال ابن عمه، ولا يحق لأجنبي بعيد كذلك أن يسجل أية ملاحظة على عمل واحد من قبيلة أخرى... وهكذا أحيط النقد بمختلف المكبات، والظروف القاسية، فلم يستطع أن يرافق الشعر.

أجل، لقد كانوا يعرفون - بما يشبه السليقة - كل ما هو مذموم، وممدوح في الشعر، ويظهر للباحث أنهم على مذهب أبي هلال العسكري السابق، فهم غالبا مع الصنعة اللفظية، يهتمون بوشي الكلمة - ليس الجملة - سجعاً، وجناساً، وتورية، ولغزاً، وإغراباً... حتى يكون لها رونق يوحى إليها، ويشير إلى مكانها مثل اللؤلؤة، كما سنوضح إن شاء الله في دراسة شعرهم من الجانب الفني، ويتناولون هذه الآراء النقدية مشافهة، وتارة بالشعر، في صدد

حديث أحدهم عن قصيدته، أو قصيدة أخيه، مثل ثناء الشيخ الخضر على قصيدة زميله محمود الذي يتراسل معه بالشعر¹:

وَأَفْتِ عَلَى ضَامِرٍ مِنَ الْقَرَاطِيسِ لَا يَعْجَى وَإِنْ جَدَّ فِي التَّسْيَارِ قَائِدُهُ
تَرَى الْقِلَامَ تَعْلُهُ وَتُنْهَلُهُ مِنْ الْمَدَادِ لَا ظَمًا يُكَابِدُهُ
مُوشِيَةً لَوْ رَأَى "الرَّاعِي" مُحَاسِنَهَا لَاخْتَارَ وَاخْتَارَ أَنْ تُمَحَى قَصَائِدُهُ
فَاللَّفْظُ سَهْلٌ وَلَكِنْ يَسْتَكْبِرُ بِهِ شَنْخُوبٌ مَعْنَى حَدِيدُ الْفَهْمِ صَائِدُهُ

على مثل هذا النحو ترد آراء السوكيين عادة في أشعار غيرهم، عبارة عن كيل مدح بكل ما تمدح به القصيدة العربية سابقا، في آخر أية قصيدة إخوانية سوكية، فينوهون بالزخرفة البديعية، التي تجعل الشاعر القديم/ الرَّاعِي يختار في الاحتفاظ بقصائده، فقصيدته محمود في نظر الشيخ تمتاز بسهولة اللفظ، وقوة المعنى، وهي القوة التي يشرحها "شنخوب معنى"، مع أن "الشنخوب"، ليس سهلا معنى، ولا نطقا !

يتضح من العرض السريع أن هذا التراث الشعري الغزير كان ينمو، ويتضخم، ولم يخرج أي عمل ينقده، لأن النقد هو الموجه الوحيد للأدب، إذ لا يتطور أي حقل معرفي ما لم يتعرض للتمحيص، والتدقيق، والغربة، فكان تراث السوكيين الشعري متنا لم يدرس بعد كما سبقت الإشارة في المقدمة، ولم تقدم عنه دراسة سوى الأعمال المعروضة سابقا أثناء ذكر الدراسات السابقة، وهي دراسات على ما فيها، وقلتها، وحادثة عمرها لا تكاد تتجاوز شاعرا واحدا.

لكنهم رغم ذلك تكون لديهم فيما يشبه العرف، والعادة مفهوم خاص للشعر، والشاعر دون أن يقيد أحدهم تلك الأفكار شبه الفطرية!

¹ من قصائد مخطوطة للشيخ معي

مفهوم الشعر والشاعر لدى كل أسوك:

قول الشعر إجمالاً شهادة على تجاوز مرحلة الحفظ، والإتيقان في مختلف العلوم العربية والشرعية، إلى مرحلة الإنتاج، ومقام العلماء، فمفهوم الشاعر عندهم يختلف عن مفهومه العام، حيث يكتسب قيمة مضافة، فالقصيدة من الشهادة الموثوقة، والبراهين الكبرى على التخرج!

إن مرتبة "الشاعر" في عرف هؤلاء فوق مرتبة العالم العادي، وهذا المفهوم الطوارقي - السوكي لا شك قد انسحب كذلك على "مفهوم الشعر" نفسه، فقد تحول الشعر من كونه تجربة شعورية عفوية، خالصة، نابعة من مشاعر صادقة إلى ممارسة واختبار للقدرات اللغوية، والمهارات المكتسبة خلال التحصيل المعرفي، ومن ثم إظهار المخزون العلمي عبر النظم، ويشحن الشعر بأغلب الفنون، والمعارف بواسطة "التورية"، و"التديج"، من نحو، وعروض، ومصطلح، وحديث، وأمثال، واقتباسات ... إلخ، وهذا بحد ذاته تغيير آخر في "لغة الشعر"، كما يفسر لنا غلبة المحسنات البديعية عموماً على شعر "كل أسوك"، مع استخدام الغريب من العربية، وذلك بطبيعة الحال سيغير "وظيفة الشعر"، فلن تكون سياسية، ولا اجتماعية إصلاحية، فضلاً عن أن تكون اقتصادية بالتكسب مثلاً، وهكذا ستغيب الأغراض المنسجمة مع هذه الوظائف، فتطغى الإخوانيات، والمديح النبوي، وشعر الإرادة، والفخر، والنقاش العلمي، ونظم المتون، وهذه هي لا شك ناطقة بكنه المشتغل بها، الذي هو "الشيخ العالم"، وسنرى الهجاء قليلاً ... بسبب التنافس المعروف بين العلماء، إضافة إلى "الغزل" الذي يظهر عليه أنه مجرد تقليد بحت، إذ لم يغيروا حتى أسماء النساء اللائي يتشيب بهن الجاهليون كهند، وفاطمة، ودعد، وأم مالك ... إلخ، أي نسخ "المقدمة الطللية"، بكل ما تشتمل عليه من

"وقوف، وتحسر، وبكاء، ووصف للرحلة، والناقة، والبيداء ..."، وهذا كله يخدم مفهوم الشاعر الذي تقدم، إذ يكشف عن مدى اطلاع الشاعر على المكتبة الأدبية القديمة، من جهة، وعلى قدرته على المحاكاة، والنظم من جهة أخرى، وهكذا أحدثت الثقافة، أو التربية تغييرات جذرية في الإبداع الأدبي من "مفهوم الشاعر"، ف"لغة الشعر"، ف"وظيفته"، و"أغراضه"، ومن ثم "الشعر" نفسه.

ولذلك يجب أن لا نسقط على شعرهم خلفياتنا، ومفاهيمنا نحن، فالقوم أنتجوا لمجتمعهم ما يريد، ولو كانوا في مصر لأنتجوا مثل شعر البارودي، وشوقي، والمازني .. فلا ينبغي أن نطلب منهم أكثر مما أملت الثقافة عليهم.

إنه ليكيفهم إبداعاً، وفخراً أنهم لم يرضعوا العربية "الدارجة" فضلاً عن الفصحى، مع ذا نطقوا بلغة الضاد كأن قد ترعرعوا بين بكر وتغلب في أيام داحس والغبراء، ولن نفرق بين شعرهم والشعر الأندلسي الذي دونه صاحب "نفح الطيب"، فجمعوا بين جزالة اللغة الأصيلة، والمحسنات البديعية الجميلة، كما سوف أبسطه في الفصول القادمة.

كل ما ذكر، وغيره مما سيذكر يبين بوضوح أنه لا يمكن أن ندرس الشاعر ومجتمعه بخلفية زمانية، تعاقبية، لأنهم في حالة سكون، وركود أصلاً.

فهل لنا أن نتساءل عن حركة هذا الشعر، وعلاقته بحياة الأدب العربي في مرابعه الأصلية؟

هذه قضية المبحث الأخير من هذا الباب الذي يحاول التغلغل في أعماق تاريخ الشعر العربي المظمور في رمال الصحراء، ويبحث جاهداً في سيرته الذاتية، والعوامل الداخلية المؤثرة فيه منذ أن كان جنينا إلى أن كبر، واستوى.

المبحث الثالث: علاقة الشعر السوكي بحركة الشعر العربي:

اللافت للنظر تاريخياً أن بداية انبلاج صبح الشعر العربي لدى الطوارق تتزامن مع عصر النهضة الأدبية في العالم العربي، بل أدركوا ازدهارها، إلا أنهم لم يتمثلوها، باتجاهاتها، وهمومها، وأسئلتها، إذ لم يسمعوها بها، يجدر بنا هنا أن نستشهد بما قاله الدكتور مُجَّد المختار ولد باه، وهو يتحدث عن الشعر الموريتاني، وهو الشعر المماثل تماماً في تلك الفترة لشعر السوكيين، حتى لكأنه هو !، بل هو جزء منه لا يتجزأ، يقول ولد اباه: (أما الشعراء في موريتانيا فلم يتأثروا بعصر النهضة تأثراً كافياً في هذه المرحلة من تاريخنا... فإننا إلى الآن لم نعرف المسرحية الشعرية، ولم تكتب الملحمة ولا القصة، وأن أشهر شعرائنا لا يزالون متمسكين بالشعر الأصيل)¹، ونؤكد مع الدكتور أن شعر الطوارق - ومثله - شعر الموريتانيين، لأنه من بيئة واحدة - كان مزدهراً مثل ازدهار الشعر، ومتانته في آخر العصر العباسي حين ضعف، واختفى بريقه في مصر، وبقية الأقطار العربية فكأنني بالشعر العربي انطلق قويا من الصحاري إلى المدن فضعف، ثم عاد إلى الصحراء الكبرى ليستعيد طبيعته القديمة، والسؤال هو كيف يفسر أن يكون هؤلاء يعيشون في زمن بدر شاكر السياب، ونازك الملائكة ولكن كأهم في فترة الأخطل، وجريز، بل أشبه تارة بزمان عمرو بن كلثوم، والراعي....

أما القرن العشرون الذي عاش فيه هؤلاء، بل يصل بعضهم إلى القرن الواحد والعشرين فيلقي لنا الأب لُويس شَيْخُو نظرة موجزة حوله، مفادها أنه كان جيل انتباه، ويقظة للشرق الذي طالت سنته، فكثر المدارس، والجامعات، والبعثيات، وتوافد الطلاب العرب الذين حملوا علوم الغرب، ولغاتهم، وحدث التلاقح الثقافي... إلخ.²

¹ الشعر والشعراء في موريتانيا، محمد المختار ولد اباه، ص 75، ط
² انظر تاريخ الآداب العربية، الأب لويس شيخو، ص 310 وما بعدها.

لو سألنا عن مميزات الشعر العربي الذي عاشوها تاريخيا فلن نجد لها أثرا، لا لغة، ولا أسلوبا، ولا مضمونا، ولا أوزانا، فالقصيدة التالية تكاد تكون أرقى نموذج من نماذج الشعر العربي لدى السوكيين، وهي مقدمة قصيدة طويلة للشيخ الشاعر/ أحمد موسى¹:

قِفْ بِي عَلَى طَلَلٍ لِعَبْلَةٍ بَالٍ	أَشْفِي بِرُؤْيَةٍ رَسْمِهِ بَلْبَالِي ²
وَأَمْرِ الشُّؤُونِ، وَلِ الشُّجُونِ لِمَحْوِهِ	وَحُلُوهِ مِنْ عِبْلَةٍ وَأَهَالِي ³
وَاسْتَنْهَمَ عَيْنَكَ مِثْلَ مَا هَمَّتِ السَّمَاءُ	عَنْ دُورِهِ بِالْوَابِلِ الْهَطَّالِ
دُورٍ عَهْدَتْ بِهَا بُدُورٌ كَوَاكِبِ	مِنْ بَيْنِهَا بَدْرُ الدُّجَى مُتَلَالِ
فِي هَالَةٍ مِنْ قُبَّةٍ مَرْفُوعَةٍ	تُعْشَى بِدُرِّيِّ النَّسَا وَهَلَالِ
وَاسْتَبَدَلْتُ مِنْ ذَاكَ خَيْطَ نَعَائِمِ	وَالْمُطْفَلَاتِ مِنْ الْمَهَا وَمَتَالِ ⁴
مَا إِنْ تَنِي مَجْنُوبَةٌ مَدْبُورَةٌ	مَشْمُولَةٌ مَصْبُوءَةٌ بِتَوَالِ
قِفْ بِالْدِيَارِ، وَسَلِّ عَنْ الشَّمْسِ الَّتِي	أَفَلْتُ، وَقَدْ أَزْرَتْ بِشَمْسِ زَوَالِ
أَعْجَبَ بِشَمْسٍ تَسْتَظِلُّ، وَلَا تُرَى	أَنْوَارُهَا مَسْتُورَةٌ بِظَلَالِ
أَعْجَبَ بِعِبْلَةٍ مِنْ رَزَانٍ، طَفَلَةٍ	لَيْسَتْ بِمِجْبَالٍ وَلَا مِتْقَالِ ⁵
بِهِنَانَةٍ، فَيَنَانَةٍ، هَيَالَةٍ	مِيَّاسَةٍ فِي الْمَشِيِّ كَالْعِثْكَالِ ⁶
صَفْرَاءَ كَالسَّيْرَاءِ، هَلٍّ، هَوْلَةٍ	وَبَهِيرَةٍ، وَبَهِيلَةٍ، مِكَسَالِ ⁷
رُغْبُوبَةٍ، خُرْعُوبَةٍ، وَهْنَانَةٍ	بِهِنَانَةٍ، عَجَبَاءَ كَالْتِمَثَالِ ⁸
مِلْءِ الْقَمِيصِ، خَرِيدَةٍ، عَجْزَاءَ فِي	إِدْبَارِهَا، هَيْفَاءَ فِي الْإِقْبَالِ

¹ قصيدة للشيخ أرسلها لي ابن عمه الأستاذ أحمد إبراهيم السوكي.

² - بلبال: وسواس الهموم في الصدور.

³ - امر: تمرى الريح السحاب وتمتريه وتستمره: تستدره، والشؤون: ج شأن: مجرى الدمع من العين.

⁴ - الخيط: الجماعة من النعام.

⁵ - مجبال: غليظة، ومتقال: تفل: تغيرت رائحته.

⁶ - البهانة: الطيبة النفس والريح، وفيهانة: كثيرة الشعر.

⁷ - السيراء: نوع من البرود فيه خطوط صفراء، ويخالطه حرير، وهولة: التي تهول بحسنها، وبهيرة وبهيلة: ثقيلة الأرداف.

⁸ - وهنانة: فيها فتور عند القيام.

رَوْضَ الْخَلِيلِ، مُجَاجُهَا بَعْدَ الْكَرَى
 حَوْرَاءَ، حَوَاءَ اللَّثَاتِ، مُنِيفَةً
 مَهْمَا يُنْشِطُهَا الشَّبَابُ لَوْثَبَةً
 وَمَيَّ يَسْمُمُهَا بَذَلٌ وَصِلٌ سَاعَةً
 تَزْهُوْ عَلَى أَثَرِهَا بِتَرَائِبِ
 وَبَوَافِرِ، رَجُلٍ، مَدِيدٍ، كَامِلٍ
 مُعْلَنَكِسٍ، مُحْلُولِكٍ، كَمْ تَاهَ فِي
 وَمِنْطَقٍ مُتَرَتَّبٍ، مُتَرَسِّلٍ
 وَبِبَارِدٍ يَنْفِي عَذَابَ صَبَابَةٍ
 لَوْ أَنَّهَا تَقَلَّتْ بِيَحْرِ مَالِحٍ
 وَمِثْنَةٍ مَخْطُوءَةٍ، مَخْطُوءَةٍ
 وَمِقْلَةٍ مَا شَانَهَا شَتْرٌ، وَلَا
 وَبِقِيهِلٍ مَتَهَلٍّ، كَالشَّمْسِ لَوْ
 وَبِيسْمَةٍ تَبْدُو كَبْرَقٍ حُلْبٍ
 لَوْ أَنَّهَا سَمَحَتْ بِهَا لَصُرُورَةٍ
 لَدَنَا هَا، وَرَنَى هَا، لِينَاهَا
 شَطَّتْ، فَلَنْ يَخْطِي بَزُورَتَهَا سَوَى
 مُقْوَرَةٍ كَالنَّوْنِ، بَلْ سَبَّاحَةٍ
 جَدَّاءَ، يَعْمَلَةٌ، أَمُونٍ، عِنْدَلٍ
 جَلْدِيَّةٍ، شَدْيِيَّةٍ، وَحَادَةٍ

أَحْلَى مِنَ الظَّيَّانِ وَالْجُرْيَالِ¹
 بِتَلِيلِ رِئِمٍ لَيْسَ بِالْمَعْطَالِ
 جَنَحَتْ رَوَادِفُهَا إِلَى الْإِثْقَالِ
 كَرَّمٌ وَجُودٌ عَوْرَضًا بِدَلَالِ
 كَسَجَنْجَلٍ أَوْ بَاتِرٍ مِصْقَالِ
 مُتَقَارِبٍ، مُتَسَرِّحٍ، طَوَالِ
 ظُلُمَاتِهِ مِشْطٌ لَدَى الْإِرْسَالِ²
 مُتَرَتِّلٍ، مُتَسَاقِطٍ كَالَّالِ
 بِعُدُوبَةٍ أَنْقَى كَشُوكَ سِيَالِ³
 لَا زَنْدٌ أَعَذَبَ مِنْ صَفِيٍّ زُلَالِ
 فَكَأَنَّمَا هِيَ بُرْدَةٌ مِنْ خَالِ
 خَزْرٌ، وَلَا حَوْلٌ، كَعَيْنِ غَزَالِ
 لَا مَا بِهَا لِلطَّرْفِ مِنْ إِكْلَالِ⁴
 فَتَكُنُّهَا شَفَتَانِ مِثْلُ الْخَالِ
 مَتَبَتِّلٍ ذِي مَدَمَعٍ سِيَالِ
 وَلِصَارَ بَائِعٌ رُشْدِهِ بِضَلَالِ
 رَاءٍ بِحَرْفٍ لَمْ يَكُنْ بِالذَّالِ⁵
 كَالنَّوْنِ، بَلْ سَبَّاقَةٍ كَالرَّالِ
 تَنْضُو إِذَا رَتَكْتَ عِتَاقَ جِمَالِ⁶
 زِيَافَةٍ غَبَّ السُّرَى، مِرْسَالِ

¹ - الظيان: العسل، والجريال: الخمر.

² - معلنكس: اعلنكس الشعر: كثر والتف.

³ - السيال: نبات له شوك أبيض طويل.

⁴ - قيهل: وجه.

⁵ - راء: اسم فاعل من (رأى) بمعنى: ضرب الرئة، وحرف: ناقة ضامرة.

⁶ - أمون: وثيقة الخلق، وعندل: عظيمة الرأس.

عَيْرَانَةٍ، وَجْنَا، دَفَاقٍ، عَيْطِلٍ خَطَّارَةٍ، خَطَّاءَةٍ، شِمْلَالٍ¹
 جِيدَانَةٍ، مَقْدُوفَةٍ بِالنَّحْضِ عَنْ غُرْضٍ، جَمُوحٍ فِي الشَّرَى، مِرْقَالٍ²
 فَكَأَنَّمَا هَيْئُ تَذَكَّرَ بَيَّضَهُ فَعَدَى يَعُودُ لَهُ كَمَرٍ شَمَالٍ
 أَوْ قَارِخٍ يَرعى الضَّرَائِرَ فِي الْفَلَا مُتَوَجِّسًا، مُتَعَوِّدٍ الْأَوْجَالِ
 مَا رَاعَهُ إِلَّا كَلَابٌ أَشْلِيَتْ فَهَوَى كَدْلُو إِثْرٍ قَطَعَ حِبَالِ
 قَدْ عُرِّيَتْ وَاسْتَرَسَلَتْ فِي بَلَدَةٍ مُحْضَرَّةٍ الْقِيَعَانِ وَالْأَتَالِ
 أَوْحَى السَّمَاءَ لِلْسَّحْبِ أَنْ زَيَّنَّهَا فَسَحَتْ بِهَتَّانٍ لَهَا هَتَّالِ
 فَتَعَمَّمَتْ هَضْبَانُهَا بِعِمَائِمٍ مِنْ نَبْتِهِ الْمِيَادِ وَالْمِيَالِ
 وَخَبَا بِنُورِ الزَّهْرِ نُورُ دُكَايْنِهَا وَغَدَا النَّهَارُ كَمُقْمِرَاتِ لَيَالِ
 فَتَمَايَلَتْ أَشْجَارُهَا، وَتَسَاجَلَتْ أَطْيَارُهَا، فَرَحًا كَذِي الْإِثْمَالِ
 فَتَرَبَّعَتْ فِيهَا شُهُورًا مَا تَرَى شَخْصًا، وَلَا تُصْغِي لِصَفْقِ نِعَالِ
 تَحْتَالُ بَيْنَ رِيَاضِهَا، تَغْدُو إِلَى رَبَوَاتِهَا، وَتَرْوُحُ لِلْأَوْشَالِ
 حَتَّى إِذَا طَلَعَ السَّمَاءُ وَأَكْنَزَتْ وَتَاهَلَّتْ لِلرَّحْلِ وَالتَّرْحَالِ³
 انْتَابَهَا السِّفْسِيرُ فِي أَعْوَانِهِ فَتَعَفَّقُوا بِالْدَّوْحِ أَوْ بِالضَّالِ⁴
 فَتَوَحَّشَتْ، وَتَوَجَّسَتْ، وَتَسَمَّعَتْ لَهُمْ، وَهُمْ مِنْهَا عَلَى أُمِّيَالِ
 حَتَّى إِذَا قَرَّبُوا لَهَا هَضْبَتَ وَمَا إِنْ أَنْظَرْتُ لَتَحْيُلَ الْمُحْتَالِ

إن هذه القصيدة . وهي نموذج مشابه لكل شعر القوم في أرقى تجلياته . لا ينتمي قائلها فنيا إلا لفترة البحري، وهو بحري أيضا معاصر لزمن امرئ القيس !، وهذا فعلا إشكال معرفي، ولا لوم على الشاعر، ولا يتهم بالتقصير بتاتا، ولا يمكن فهمه إلا عبر مصطلح "الزمن الثقافي"، فالشاعر عاش زمنين متوازيين، زمن ثقافي منقطع عنه، وزمنه

¹ - دفاق: سريعة.

² - النحض: اللحم.

³ - السماك: نجم.

⁴ - السفسير: كلمة فارسية بمعنى الخادم والتابع والقيم بالأمر، وتعفَّقوا: لاذوا، والضال: شجر معروف.

الواقعي الاجتماعي الحقيقي، ففي واقعه المعيش تكون المعاني التي يقولها مطابقة بحد بعيد لما يعيشه حقيقة، فلا توجد فروق دقيقة بين نمط حياته وحياة أي عربي في البادية!

أثار المفكر المغربي محمد عابد الجابري قضية "الزمن الثقافي" في سياق ليس ببعيد عن السياق الذي أنا أتحدث فيه خلال هذا الفصل، إذ يناقش هو "مسألة التقدم" العربي، ضمن مشروعه "نقد العقل العربي"¹، لكنه إذا كان يركز على هذا المفهوم الإجرائي كثيرا، كي يناقش في ضوئه "أزمة تداخل الأزمنة الثقافية العربية"، فإنني لن أركز عليه، فسأمر بهذه الأزمة سريعا، ويخلص إلى أن الزمن الثقافي: "مثله مثل زمن اللاشعور المعرفي، زمن متموج، يمتد على شكل لولبي، الشيء الذي يجعل مراحل ثقافية مختلفة تتعايش في نفس الفكر، وبالتالي في نفس البنية العقلية، كما تتعايش في غياهب اللاشعور النفسي الرغبات المكبوتة المختلفة الراجعة إلى أزمنة نفسية، وعقلية، وبيولوجية مختلفة"².

هذا الإجراء قاد الباحث إلى ما يسميه بـ "ظاهرة تداخل الأزمنة الثقافية"، التي تجعل العصور الثقافية في الفكر العربي "زمننا ثقافيا واحدا" يعيشه المثقف العربي في أي مكان من الوطن العربي..... والسمة البارزة فيه "حضور القديم لا في جوف الجديد يغنيه، ويوصله، بل حضوره معه جنبا إلى جنب، ينافس، ويكبله"³، كما لاحظ من جهة أخرى: انفصالا بين الزمان والمكان في التاريخ الثقافي العربي انفصالا جعل بعض البلاد العربية تعيش بعديا على صعيد الفكر، والثقافة، والوعي ما عاشه بعضها الآخر من قبل، الشيء الذي يعني غياب التزامن الثقافي على صعيد الوطن العربي، أو على الأقل عدم تحقيقه في أية فترة من فترات التاريخ العربي إلى اليوم"⁴.

¹ تكوين العقل العربي "نقد العقل العربي"، د. محمد عابد الجابري، 37 - 45.

² نفسه، الصفحة نفسها.

³ نفسه، 51.

⁴ نفسه، والصفحة نفسها.

لعل غياب التزامن الثقافي الذي فسر به الجابري هذه الأزمة هو مما يفسر لنا الإشكال الذي يطرحه شعر السوكيين، وإخوانهم الموريتانيين، فيمنحنا هذا التحليل أن نقول: إن هذا الشعر ينتمي تاريخيا إلى القرن العشرين، وثقافيا إلى عدة أزمنة ثقافية، وخاصة ما يعرف في كتب تاريخ الأدب بـ "العصر العباسي".

نماذج للتفاعل مع الواقع العربي الحديث:

لا يعني هذا الغياب الذي أشرنا إليه أن القوم مغيبون كليا، بحيث لا يتفاعلون مع أية قضية عربية إسلامية، ولا أنه لا توجد أية إشارات **عصرية** في شعرهم، ففيما يلي عرض سريع جدا لنماذج تكشف التفاعل. ولو كان قليلا. مع حركة التاريخ الحديث:

1. صدام حسين كبطل عربي

2. وصف الطائفة

1. صدام حسين بطل العروبة:

لعل صدام حسين أهم زعيم عربي أعجب المجتمع الطارقي في زمانه، ذلك لأنه يظهر لهم كالمقاوم الوحيد للقوة الأمريكية، والطغيان الإسرائيلي، فقد وقفوا معه في الغزو الأمريكي للعراق في المرة الأولى، وكذا الأخيرة، والنص التالي واحد من النصوص الرائعة التي قدمت له من السوكيين في المرة الأولى يقول الشاعر المرتضى في قصيدة طويلة (ويبدو أنه بهذه القصيدة يقدم "صدام بغداد على فهد السعوية")¹:

سَمَّوْهُ فِهْدَاً وَفِي "بَغْدَادَ" ضِرْعَاً	تَمْشِي الْفَهُودُ وَرَاهُ وَهُوَ قُدَّامُ
يَمْشِي زُوَيْدَاً وَلَيْسَ الْاَلْتِحَاقُ بِهِ	هَيْنَاً فَاسْبُوعُهُ فِي السَّيْرِ أَعْوَامُ
جَاءَتْ تُعَارِضُهُ "آمريكا" زاعمةً	أَنْ لَيْسَ بِالْعَازِمِ الْيَقْظَانِ "صَدَّامُ"
فَاسْتَنْهَضُوا نَكَرَاتٍ لَا تُعْرِفُهَا	إِضَافَةً وَالْحُسَيْنِيُّونَ أَعْلَامُ
فَلْيَضْرِبُوهُ فَإِنْ جَوًّا فَفِيهِ وَإِنْ	بَرًّا فَفِيهِ وَإِنْ بَحْرًا فَالْعَامُ
اللَّهُ يَنْصُرُ "صَدَّامًا" وَشِيعَتَهُ	فَنَصْرُهُمْ لِمُشِمِّ الشَّرِكِ إِرْعَامُ
إِنَّ "العراقَ" تَهْدُ مَنْ يُهْدِيهَا	هَدَاً وَلِلْعَرَبِ قَبْلَ الْيَوْمِ أَيَّامُ
فَتَى يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ وَلَا	يُخْفَى إِذَا رُفِعَتْ لِلْمَجْدِ أَعْلَامُ
كَأَنَّ آرَاءَهُ إِبَّانَ فِكْرَتِهِ	تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْهَامُ
يَقُودُ مَا شَاءَ مِنْ أَسَدٍ مُدْرِيَّةٍ	سِيْمَاهُمْ فِي مِثَارِ النَّفْعِ إِقْدَامُ
إِنْ ضَمَرْتَهُمْ حُرُوبٌ يَصْطَلُونَ بِهَا	فَالْغَمْدُ يَصْدَأُ وَالصَّمْصَامُ صَمْصَامُ
فَالطَّاعِنُونَ هُمْ وَالضَّارِبُونَ هُمْ	وَالنَّاسُ فِي أَزْمَاتِ الْحَرْبِ أَقْسَامُ
أَمَّا الْيَهُودُ فَهَذَا الْعَامُ عُطِلْتُهُمْ	مَاتَ الْمُقَاتِلُ وَالْبَاقُونَ أَيْتَامُ
فَ"تَلَأْيِبُ" وَ"حَيْفَا" صَارَتَا هَدَفًا	بَلْ صَارَتَا حُمَمًا وَالْجُؤُ أَضْرَامُ
تَنْقُضُ صَاعِقَةً بِإِثْرِ صَاعِقَةٍ	عَلَيْهِمَا حَيْثُ لَا غَازَ وَلَا خَامُ
فَلَا تَرَى غَيْرَ أَنْقَاضٍ عَلَى جُثَثٍ	مَحْرُوقَةٍ ضَدَّ مَا ظَنُّوا وَمَا رَامُوا

¹ من مجموع شعري مخطوط، غير مرتب.

1. وصف الطائرة:

سنتوقف عند الوصف عموماً فيما سيأتي، لكن نود الإشارة فحسب إلى بعض المستجدات العصرية التي ألهمت شعراء السوكيين، فأبدعوا في رسمها إبداعاً باهراً، بوصف لم تجد به - ربما - قرائح أهل المدينة¹:

ما تَنَقِمُونَ مِنَ الطَّيَّارِ إِنَّ لَهُ	عِنْدِي مُحَاسِنٌ تَرَبُّو عَنْ حَصَى الْكُثْبِ
ظِلٌّ ظَلِيلٌ كَرَّاسٍ صُقِّقَتْ دَعَةٌ	نَوْمٌ عَلَى لَدَّةٍ فِي مَضْجَعٍ رَجَبِ
وَاهًا لَهُ سَمَكًا يعلو بأجنحةٍ	فَوْقَ السَّحَابِ أَوْ طَيْرًا بِلا زَعَبِ
سَبَرْتُهَا فَإِذَا صُنْعٌ قَدْ أَتَقَنَهُ	ذُو فِطْنَةٍ حَازِقٌ فِيمَا سِوَى الْقُرْبِ
شَدَّ الْمَسَامِرِ سَدَدَ الْمَنَافِدِ عَنْ	تَدْقِيقِ فِكْرٍ فَلَمْ يَفْتَحْ سِوَى ثُقْبِ
كَأَنَّ أَلْوَحَهَا مِنْ حُسْنِ مَا التَّأَمَّتْ	لَوْحٌ وَتَحْسِبُهَا شُقَّتْ مِنْ الْهَضْبِ

في قصيدة طويلة، للشيخ المحمود حمادو، ويصفها الشيخ إغلس اليماني بأبيات رائعة أخرى²:

¹ ترغيب المشوق في ذكر أشعار آل السوق، زين مجد الصالح، ص 47، وانظر أيضاً: المدارس الأدبية في صحراء الطوارق، ص

215

² المدارس الأدبية في صحراء الطوارق، محمد أحمد الخرجي، ص 215

طَوَيْنَا جَبَابِيرَ الْهُوَ طَرْفَ طَارِفِ	طَوَى جَامِعَ بَيْنَ التَّلِيدِ وَطَارِفِ
طَعْنَنَا عَلَى طَاغِيهِ حَتَّى كَأَنَّنا	إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى لِدَرْكِ الْمَعَارِفِ
عَلَى جَهْوَريٍّ مِنْ حَدِيدٍ مُحَرِّكِ	بِأَرْبَعَةٍ مُكْهَرَّبَاتِ الْمِطَارِفِ
فَعَمَّ قَلِيلٌ مَمْتَطِي كَاهِلِ الْمُنَى	فَنَصَرَفُ فِيهِ مَا نَشَأَ جَدَّ صَارِفِ
يَشْقُ الْعِنَانُ جَاحِماً بِعِنَانِهِ	مُصِيخاً لَوَاشٍ لِلْإِذَاعَةِ عَارِفِ
إِذَا حَثَّحْتُ خِلْتُ الْهَزِيرَ أَرَاظِمًا	فَيَشْكُو النَّوَى التَّطْفِيفَ مِنْ غَيْرِ قَارِفِ
فَكَمْ فَدَفِدَ حُزْنًا وَكَمْ مِنْ مَهَامِهِ	بِدُونِ عَنَا بَلْ فِي الْهَنَاءِ وَالْمَتَارِفِ
كَأَنَّ مَنَاكِبَ الْمِهَادِ بِأَسْرِهَا	عَلَى قَدْرِهَا الْمُرْمُوزِ وَسَطَ الْجَعَارِفِ
نَتَائِجُ أَفْكَارٍ أَثَرْنَ بَدَائِعًا	مَنْ الْكَوْنِ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا فِكْرُ عَارِفِ

بهذا العرض السريع أتمنى أني ألقيت نظرة تاريخية - بمسح شامل، وسريع - على هذا الشعر العربي المنسي وراء الرمال، في الصحراء الكبرى شمال مالي، وحاولت كشف اللثام عنه، وأوقفت القارئ الكريم على المراحل التي مر بها، متلمسا بخطى حثيثة ما تضيفه أية مرحلة، رابطا النمو الداخلي لهذا الوليد بالمشورات الداخلية، والخارجية، وموضحا أهم الهموم التي تحرك أية فترة زمنية، رابطا كل ذلك بحركة الواقع الاجتماعي العام، ولئن كنت أزعم أني أول باحث يكتب مثل (هذا الباب التاريخي) عن ذلك الكنز الأدبي العربي الثمين بالرؤية المنهجية، لأنني لم أجد من حاول أن يؤرخ له هكذا، - إن كنت أزعم ذلك فأني من جهة أخرى لا أدعي أني أعطيت الباب حقه، فليس بوسعي الإحاطة مرة واحدة بكل الزوايا، والمناطق، والأزمان المفقودة، والوقائع الضائعة، والشغرات الكثيرة الغائبة عنا، والمغيبية، ولم أدع هنا أني أنجزت غير وضع النواة الأولى، فأ مهد الطريق لباحثين آخرين يكشفون ثغورا مظلمة لم أمر بها، تكمل الحلقات التاريخية للشعر العربي الطارقي ككل.

وما مضى كله، ينبئ عن القيمة الفنية، والثقافية للشعر العربي عند الطوارق عموماً،
والسوكي خصوصاً، ويحمل هذا المتن عمقا استراتيجيا وثقافيا للدارس العربي، ويستحق العودة
مرة أخرى في رحلة استكشافية متأنية أكثر !

ولعل الإفاضة السالفة تفتح شهية البحث نحو دراسته، والسؤال عن قيمه الفنية،
والموضوعية، وهو السؤال العويص الذي ستكون الإجابة عنه موضوعنا القادم.

الباب الثاني: الشعر السوكي دراسة تحليلية

الفصل الأول: القيم الفنية:

الفصل الثاني: القيم الموضوعية:

الفصل الأول: القيم الفنية للشعر العربي عند كل أسوك

المبحث الأول: عن المعجم الشعري:

لعل المعجم يعتبر المدخل الأول نحو دراسة أي شعر، فهو الذي يعطينا انطبعا دقيقا عن "لغة الشعر المعين"، التي نستوعب من خلالها مغزى النصوص الظاهر، والمضمر، "فإن النظر إلى المعجم من الزاوية الدلالية، أو فنقل: إن تناوله ب"الطريقة الأدبية" يصبح أمرا وجيها يستمد مشروعيته من المنهاجية التي تتحكم فيه، ومن الغايات التي يتوخاها..."¹، كما يقول مُجدِّ مفتاح، واللغة هي المادة الأساسية للخطاب الأدبي، واستهلال تحليل النص الأدبي بمساءلتها أداء لواجب، خصوصا إذا علمنا أن اللغة في العمل الأدبي تتحول في النهاية من كونها وسيلة إلى كونها "غاية لذاتها" كما يقول تودوروف² !.

وهذا المبحث يروم تحديد السمات الأساسية لتلك المادة اللغوية التي يصدر السوكيون منها، وينحتون بواسطتها قصائدهم، ما هي؟، وإلى أي زمن تنتمي؟، وما موقعها الجغرافي؟، وما دلالتها الأيديولوجية؟،

إن الإفاضة في هذا المبحث ، ومحاولة الإجابة الشافية عن تساؤلاته يمكن أن تخرج الفصل كله من حجمه، فالدراسة المعجمية - أو بعبارة أوضح - اللغوية لما يناهز ثلاثة آلاف بيت من الشعر لا شك أنها تستوجب مجلدا مستقلا، ولأن المبحث لا يستهدف الإحاطة بكل إشكالات المعجم، وإنما ينوي وصف السمات العامة له عند القوم، فقد رأى الباحث الاختصار في هذا المبحث على التيمات التي رسَّختها ثقافة الحفظ، واحترام التقاليد الشعرية القديمة بما فيها لغة الجاهليين، والنزعة الدينية، فكل هذه الأمور كان لها الدور الأكبر في خلق أو إعادة معجم شعري يتميز عموما ب"كثرة الغريب اللغوي: "لغة، ونحو، وصرفا، والألفاظ الدينية، والمعرفية"، وغلبة الحيز الجاهلي، واستعادة الأسماء المكونة لشخصيات الشعر العربي

¹ تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص"، د. محمد مفتاح، ص 58.

² : المضمون والشكل في العمل الأدبي، هشام الدجاني، ص 55

القديم، سواء كانت بشراً، أو حيواناً، أو جبلاً، أو بلداً"، على أن الفصل كله في النهاية يعالج اللغة الشعرية عند السوكيين، وبعبارة أخرى يدرس "الجانب الشكلي" للشعر السوكي.

وفيما يلي نماذج موضحة لهذه الظواهر المعجمية داخل الشعر السوكي:

1. الغريب اللغوي:

الغريب لغة: مشتقة من مادة "غرب"، والغرب، والمغرب بمعنى واحد خلاف الشرق، وغرب القوم: ذهبوا، والغربة البعد، ويقال: غريب لكل متباعد، والبعيد عن أهله، أغرب فلان: أتى بالأمر الغريب،¹ وفي الاصطلاح النقدي: (اللفظ الذي غمضت دلالاته، وخفي معناه، وهو أيضاً غير المؤلف، والنادر، والمهجور في الأدب)²، تتجلى ظاهرة الغريب اللغوي في الشعر السوكي على ثلاث مستويات: (مفردات موعلة في الغرابة/ اشتقاقات غريبة/ استعمالات نحوية نادرة أو شاذة).

أ. مفردات موعلة في الغرابة:

نعني بها تلك المفردات التي يستحيل تقريباً معرفة معانيها اليوم دون العودة إلى المعاجم، والشاعر السوكي سواء في المرحلة القديمة، أو المتوسطة لا يستغني عن ذلك الغريب، فكأنه مكمل لقصيدته، ومبرز لفحولته، وأرجوزة الشيخ إِنْلُبْشْ خير مثال على هذه النقطة، لأنها تلتزم بذلك الغريب من البيت الأول إلى الأخير، فلنقرأ الأبيات التالية منها وهو يصف المرثي/ خالد³:

وَهُوَ إِذَا التَّرْتَاؤُ كَانَ بَقْبَقَا وَبِذَرَابَةِ اللِّسَانِ فَيَهَقَا⁴
قَلْبٌ يُلْطُ الْقَلْبَ عِنْدَ الْقَلْبِ فَالسَّبْبُ دَالَّةٌ لِدُخْلِ الْحَبِّ¹

¹ الصحاح للجوهري، مادة "غرب".

² معجم المصطلحات العربية في اللغة، والأدب، وهبه مجدي، وكامل المهندس، ص 264.

³ من قصيدة مخطوط بخط مغربي قديم بحوزة الباحث، وانظر أيضاً ترغيب المشوق في ذكر أشعار آل السوق، زين الدين محمد

الصالح، ص 250

⁴ بقيق: الرجل البقباقي: ذرب اللسان، فيهق: توسع في الكلام، وتقعّر.

بُنْدٌ عَلَى فَحٍّ بِكُلِّ وَضْمٍ وَأَفْيَحُ الْجَأْشِ بَطِيطُ الشَّيْمِ²
 وَسَبَقَ الْحُدَّاقَ بِالْمَعُونِ فَثَقُّ لَدَى الْجِرَاءِ بِالْعُنُونِ³
 وَمَنْ يُخَالِجُهُ فَإِنَّهُ اخْتَلَجَ وَغَالَةً الْمُخَالِبِينَ قَدْ خَدَجَ⁴
 وَعَنْبَسُ أَحَجَنْ حَيْثُ بَصَبَصَا تَرَى الْمَوَارِبَ لَهُ إِنْ وَقَصَا⁵

ونقرأ نموذجاً من قصيدة طويلة لواحد من شعراء المرحلة الثانية هو الشيخ الخضر حمادو ولا يصل لهذه الدرجة من الغموض، إلا أنه يمثل ديوانه الحد المتوسط في الغرابة للشعر السوكي، ها هو يصف المسافات التي قطعها الظعائن، ثم يستطرد بنعت النوق أو "اليعملات" كما يسميها⁶:

وَكَمْ دُونَهَا مِنْ فَيَّهَقٍ وَلَهَالِهِ عَوَارِي الرُّبَى مُسْحَنَفَرَاتِ الْمَسَالِكِ⁷
 كَأَنَّ ضَجِيجَ الْجِنِّ فِيهَا عَشِيَّةٌ جَلَّاجِلُ رَعْدٍ أَوْ قَهَاقُهُ ضَاحِكِ⁸
 وَمِنْ بَحْرِ آلِ زَاخِرٍ زَمَلِ الرُّبَى وَعَرَقَ فُنَاتِ الْهَضَابِ النَّوَابِكِ⁹
 تَرَانَا نَحْوُضُ يَمَّةً وَعُبابُهُ عَلَى يَعْمَلَاتِ مُشْرِفَاتِ الْحَوَارِكِ¹⁰
 تَعَرَّقَهَا التَّغْلِيسُ فِي كُلِّ بُكْرَةٍ فَهَنَّ خِمَاصُ لَاطِقَاتِ الْعَرَائِكِ¹¹
 إِذَا مَا مَضَى هِنًى مِنَ اللَّيْلِ أَقْبَلَتْ نَحْنُ إِلَى فُصَّالَهَا وَالْمَبَارِكِ¹²

¹ القلب الأول: المحض من كل شيء، الثاني: تقليب الشيء، الثالث: القلب المعروف، يبط: يلصق، الدالة: ما يدل الرجل به على حميمه، وهي بالتخفيف، دخل بالتسكين: العيب، الخب: الفاجر.
² 'ند بضم الباء: العلم الكبير في الفارسية، فح: الخالص من كل شيء، الوضم: العيب، أي: الخالص من كل عيب. أفيح الجأش: واسع النفس، بطيط: عجيب.
³ المعون: معن الفرس: إذا تباعد في عدوه، الجراء: المجارة، العنون: الظهور على القرين المتسابق.
⁴ يخالج: ينازع، اختلج: اقتطع عنه، خدج: يقول: خدجت الناقة ولدها قبل تمام الأيام.
⁵ العنيس: الأسد، أحجن: أحجم، بصيص: حرك ذنبه، وقص: كسر.
⁶ من قصائد مخطوطة للشيخ عندي.
⁷ الفيهق: الواسع من كل شيء، واللله: الأرض الواسعة يطرد فيها السراب، ومسحنفرت: الواسعة أيضاً.
⁸ الجلجلة: صوت الرعد.
⁹ النوابك: المرتفعة.
¹⁰ الحوارك: ج حارك: أعلى الكاهل.
¹¹ تعرقها: أزال لحمها عن العظام، والعرائك ج عريكة: سنام البعير إذا عركه الحمل.
¹² هنى: طائفة من الليل.

ونماذج هذه الظاهرة غزيرة، يكفي الاطلاع سريعا على الباب الثالث لاكتشافها.

ب. اشتقاقات غريبة:

السوكيون متمكنون في علمي الصرف، والنحو حتى وصلوا درجة قريبة من الاجتهاد في الاشتقاق الصرفي، والاستعمال النحوي، ويبدو أنهم يجدون ذوقا خاصا جدا في الاستعمال النادر، أو اتباع اللغة الشاذة التي لا يقاس عليها، أو المذهب المخالف للجمهور على الأقل، ويوردون تلك الأمور عمدا لا بدافع الضرورة، بل لاستعراض العضلات على الأقران، وتظهر تلك التصرفات غالبا في الإخوانيات، كما يلي:

1. في الإبدال غير القياسي:

أحرف الإبدال المشهورة عند النحاة هي "الهاء، والذال، والطاء، والتاء، والميم، والطاء، والواو، والياء، والألف"، وقد جمعها ابن مالك في قوله: "أحرف الإبدال هدأت موطيا"¹، واقتصر عليها، ولو اعتمدنا على ألفية ابن مالك لما وجدنا مخرجا لبعض الشعر السوكي في إبداله لحروف مع أخرى لم تذكر، وهي التي يستطرد بها صاحب "الممتع الكبير في التصريف" ابن عصفور، فبعد ذكر المشهورة، عقد فصلا تحت عنوان: "ما لم يذكره سيبويه من حروف الإبدال"، وهي "السين، والصاد، والزاي، والعين، والكاف، والفاء، والشين"²

¹ شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، ص 327، ج 4

² الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور، ص 273.

وقد علل ابن عصفور إهمال سيبويه لهذه الحروف لأسباب منها أن جلها "الإبدال بها قليل، أو في لغة بعض العرب، فلم يعتبره"¹، ولكن السوكيين اعتبروه، وطبقوه في "السين، والصاد، والكاف، والقاف"، وهذه من النماذج:

من قلب الصاد سينا قول مُجْدُو يوسف²:

وَمِنْ قَائِلِهَا تِي وَهَاتِ وَهَاتِفٍ يُرَجِّعُهَا رَجْعاً وَجَذْلَانِ رَاقِسٍ

ومن قلب القاف كافا قول الخضر في القصيدة السالفة:

تَبَصَّرْتُهُ بِالْقَلْبِ حَتَّى كَأَنَّهُ وَإِنْ غَابَ ثَاوٍ عِنْدَنَا لَمْ يُفَارِكِ

وإبدال القاف كافا هنا وقفت عليه في تاج العروس، إذ أشار الزبيدي إلى أن "فاركه": فارقه من الإبدال المسموع³، ويطبقه محمود مُجْدُ الصالح تطبيقاً مبتكراً في "الطوارق"، خلال القصيدة التي يجب بها على قصيدة الخضر المذكورة⁴:

قَلَائِدُ مَا تَنَفَّكُ فِينَا مُضِيَّةٌ كَنَارِ قِرَاهُ لِلضُّيُوفِ الطَّوَارِكِ!

أي: الضيوف الطوارق، ومنها قول إغْلَسْ⁵:

دَكِيكَ خَرَارِيَتِ الْبَيَانِ نَحْلَتَهُ وَخَضْخَضَتْ مِنْهُ مَا تَرَاهُ دَكِيكَا

بحث في القاموس المحيط، وتاج العروس، والصحاح، والمعجم الوسيط عن معاني "دكيك" فلم أر الصيغة أصلاً من صنف المشتقات، بل وجدت أنه يقال: "عام دكيك" أي تام، و"دك دكا" دقه، وطحنه، فهو مدكوك، وربما الدكيك في المرة الأخيرة هي استخدام للوزن من باب

¹ المصدر السابق، ص 276.

² ديوان الشاعر مجدو يوسف، مخطوط ص 20، وانظر: الشاعر النسقي قراءة وتحقيق لديوان الشاعر مجدو يوسف، محمد أغ محمد، ص 166

³ تاج العروس، الزبيدي، "فرك".

⁴ ترغيب المشوق في ذكر أشعار آل السوق، زين الدين محمد الصالح، ص 310، وتوجد القصيدة أيضاً في مجموع شعري مخطوط لدى الباحث.

⁵ من مجموعة شعرية أرسلها لي حفيد الشيخ نافع أحمد

الاجتهاد، كما أنه ممكن أن يكون في المرة الأولى : "من إبدال القاف كافا"، وهو "الدقيق" المعروف في الأطعمة، بدليل كلمة "تَحْلَتُهُ"، ويكون "الدكيك" الثاني بمعنى التام.

2. اشتقاق غريب المعنى في السياق:

تارة تجد في بعض قصائدهم مشتقات يصعب إيجاد معنى مناسب لها في السياق، يشك القارئ في صحة الاستعارة، أو المجاز، أو يختار في توجيهها مثل كلمة "تَفُوتًا" في قول المحمود يحيى¹:

لولا التُّقى سميْتُ كلَّ قصيدةٍ في المدح لم تُنسج عليك "تَفُوتًا"

إلى الآن متوقف في معناها، ولم أجده، إن لم تكن كلمة طارقة تعني "خاسرة"، لولا أن الطارقة هنا ليس بليغة، ولعلها من باب التسمية بالمضارع، "العلم المنقول من الفعل" : تفوت، مثل "يزيد"، و"يعيش"، و"يعوق"، ومن الاشتقاق غير الشائع الذي قد يوقع الغريب في متاهة من الغموض قول الشاعر المرتضى مُجدو في قصيدة له²:

صلاةُ الله يتبعها سلامٌ على النُّور الذي بين الورأ رأ

لفظ "رأ" هنا يبدو لي أنه قلب مكاني من "رأى"، فهو "راء" ثم قصرها من أجل الضرورة الشعرية، إضافة إلى حذف، فيجب تقدير لفظة الجلال لاكتمال المعنى، المقصود: (سلام على النور مُجد الذي رأى الله وحده دون الوري)، إشارة إلى قوله تعالى: {أفتمارونه على ما يرى}.³

فهذه الكلمة أجرى الشاعر عليها عدة تحويلات جعلتها غريبة، وغامضة: "القلب المكاني/ قصر الممدود/ الحذف"، ولأياً وصلت إلى ذلك التخريج.

¹ المرجع السابق، ص 214

² مجموعة شعرية متوفرة لدى الباحث.

ومن الذين يستخدمون الغريب اللغوي بوعي، وقصد الشاعر/ مُجَدِّو تانا، ها هو يستخدم كلمة "ديبوبة" في مقطع من قصيدة طويلة¹:

دَيْبُوبَةُ الْأَدْبَاءِ لَا دَيْبَ لَهُ	إِلَّا إِلَى أَدَبٍ مُذْ كَانَ دَيْبُوبًا
وَهَضْبَةٌ مِنْ أَثَافِي الْمَجْدِ ثَالِثَةٌ	طَالَتْ، فَلَيْسَ تَنَاهَا الْأَهَاضِيَا
تَعْجَابَةٌ لَمْ تَزَلْ آثَارُ سِيرَتِهِ	يَقْضُهَا كُلُّ مَنْ يَرُوي التَّعَاجِيَا
وَسَمْحَةٌ أَسْمَحَتْ لَهُ عَرِيكَتُهُ	قَوْدَاءَ، فَاغْتَادَ يَفْرَعُ الظَّنَّابِيَا ²

فالمقطع يحتوي على كتلة من الغريب، ووجدت مخرجا للجميع، إلا أن كلمة "ديبوبة" يعقدها في سياق المدح الذي وردت فيه أنني في المعاجم المتوفرة كالتاج، والمقاييس، والصحاح، لم أجد لها إلا معنيين غير لائقين هنا ولو على سبيل المجاز: "النمام بين الناس للإفساد، أو الجامع بين الرجال والنساء"، وبكلا المعنيين فسر قوله عليه السلام: (لا يدخل الجنة ديبوب ولا قلاع)³، و"تعجابه" ذاتها وزن غريب "تفعالة"، ليس كثير الاستعمال، وعلى الأقل لا يوجد في لامية الأفعال لابن مالك، فضلا عن الألفية.

ولا يغيب الشاعر مُجَدِّو يوسف كثيرا عن هذا الجو، فمع الإكثار من الكلمات الموغلة في القدم، توجد لديه بعض الاشتقاقات الغريبة، غير الجارية مجرى المسموع، كجمع "رواق أو راووق" على "روق" والقياس: "أروقة"، في قوله⁴:

بُدُورٌ بِدُورٍ أَمْ رِثَاءُ تَوَالُحٍ بُرُوقٌ بِرُوقٍ أَمْ شَمُوسٌ طَوَالُحٍ

والرغبة الجامحة في الصنعة اللفظية واضحة في هذا البيت، وهو مطلع قصيدة إخوانية تكاد تدخل في قائمة النقائص، بعنوان: "إنجاز المنتضى في إعجاز المرتضى"!

¹ ترغيب المشوق في ذكر أشعار آل السوق، زين الدين محمد الصالح، ص 478

² الظنابيب: جمع ظنوب: السيف.

³ انظر: تاج العروس مادة "د ب ب". (هذا الحديث مذكور في المعاجم، ولم أر لها أثراً في أي كتاب من كتب الحديث بعد بحث طويل !)

⁴ ديوان الشاعر مجدو يوسف، ص 2، وانظر بحثي لنيل درجة الماجستير: الشاعر النسقي قراءة وتحقيق لديوان الشاعر مجدو يوسف، ص 176

3. استعمالات نحوية غير مشهورة:

يُزَيِّن السوكي - خصوصاً المتمكن منهم في اللغة - قصيدته بِنُكْتٍ نحوية نادرة، لا توجد في المقرر الرسمي المعتاد، وإن وجدت فمع عناوين استثنائية كالتنبيهات، والحواشي، والطرر، ونحو ذلك، ولا تكاد قصيدة من قصائد فحولهم تخلو من النادر غير المقيس، أو المقيس النادر الاستعمال كما يلي:

أ. عدم إعمال "أن" الناصبة في المضارع:

ومعروف أن "أن" المصدرية من أهم أدوات نصب المضارع، ورفع المضارع بعدها شاذ، يقول ابن مالك في نص الكافية¹:

وَشَدَّ رَفْعَ بَعْدَ "أَنْ" حَيْثُ اسْتَحَقَّ نَصْبُ بِهَا فَاعْرِفْ شُدُودَهُ وَثِقْ

لكن نجدها غير ناصبة للمضارع في قول الشيخ الخضر²:

أَمَّا يَنْهَاكِ حُسْنُكَ حُسْنُ أَلْمَى مِنْ الْغَزْلَانِ (أَلَا تُحَسِّنَانِ)

ف"ألا تحسنان" توجد هناك "أن" المدغمة في "لا"، والفعل من الأفعال الخمسة التي تنصب بحذف النون، فلو نصبها لقال: "ألا تحسني"، لكن القافية لها الأولوية لدى القوم أكثر من القياس.

ومثله قول مُجَدُّو يوسف³:

أَبُوهُ عَلَيَّ النَّاسُ أَنْ يَشْتَرُونَهُ وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلَّةٍ بِصَحِيحٍ

¹ الشافية شرح الكافية لابن مالك، ص 514، ج 3

² من قصائد مخطوطة للشيخ مع الباحث.

³ الشاعر النسقي قراءة وتحقيق لديوان الشاعر مجدو يوسف، مجدو يوسف، ص 123

والبيت احتوى على المسألة السالفة، وعلى استخدام اللغة غير مشهورة، تلك اللغة التي لا تجرد الفعل المسند إلى التثنية أو الجمع، فقد قال: "أَبُوهُ النَّاسُ" بدلا من "أَبِي النَّاسِ عَلِيٌّ"، فابن مالك يقول في ألفيته¹:

وَجَرَّدَ الْفِعْلَ إِذَا مَا أُسْنِدَا لِاثْنَيْنِ أَوْ جَمْعٍ كَفَارَ الشُّهَدَا

ثم قال:

وَقَدْ يُقَالُ سَعِدَا وَسَعِدُوا وَالْفِعْلُ لِلظَّاهِرِ بَعْدَ مُسْنَدُ

أي قد يقال: سعدوا الشهداء، وابن مالك عبّر عن ذلك بـ"قد" المفيدة هنا للتقليل.

ب. إدخال "أل" الموصلية على المضارع:

"أل" الموصولية تدخل قياسا على الصفة، ويقول ابن عقيل²: (وقد شذ وصل الألف واللام بالفعل المضارع وإليه أشار بقوله: وَكُونَهَا بِمُعَرِّبِ الْأَفْعَالِ قُلْ)، وهذا الشاذ أصبح مثل القياس في شعر المنطقة من باب التندر، والاستعراض، يقول محمود مُجَدِّ الصالح:

أَمْ كَيْفَ جَرَّدَ سَيْفَ الصَّدِّ يُوعِدُهُ صِدْقًا وَمَا أَنْجَزَ الْوَعْدَ "أَل" يُوَاعِدُهُ

ج. إعرابُ المثنى بالألف مطلقا:

المشهور المقيس عليه أن المثنى يرفع بالألف، وينصب، ويجر بالياء، وهناك لغة لا يقاس كثيرا عليها، تعرب المثنى على الألف مطلقا رفعا، ونصبا، وجرا³، واستخدم الشاعر مُجَدُّو تانا هذه اللغة أكثر من مرة في قصيدة واحدة كقوله⁴:

وَتَوَسَّلَ بِالنَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَبِآلٍ، لَيْتَ لِي مِنْهُمْ (يَدَانُ)

¹ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 79، ج 2

²، المرجع نفسه ص 79، ج 2

³ همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي، ص 145، ج 1

⁴ ترغيب المشوق لزين الدين، ص 849

ف"اليدان" اسم مؤخر ل"ليت"، وليت تنصب الاسم، وترفع الخبر، وهذان بيتان آخران جر التثنية فيهما بالألف:

وَبِمَنْ تَابَعَهُمْ فِي سَنٍ سَنَهُ خَيْرُ الْوَرَى (لِلثَّقَلَانِ)

وقال مرة ثالثة في نفس القصيدة:

وَإِذَا سَرَّحَ طَرْفَ الْفِكْرِ فِي بَدَنِ شَرَّحَهُ (لِلْقَدَمَانِ)

فلعل ما سبق يبرهن على وجود ظاهرة الغريب اللغوي كإحدى السمات الأساسية للمعجم الشعري عند السوكيين، "صوتا، وكلمة، وصرفا، ونحوا"، وتكون بذلك ميزة من مميزاته الواضحة، التي تؤكد انتماءه للشعر الكلاسيكي، وحينه الدائم إلى البيئة العربية القديمة، التي يرى هؤلاء أنهم كانوا فيها يوما ما، ونزحوا!، ولذلك فإن الحيز الجاهلي هو السائد مقارنة بالأمكنة الواقعية بصحراء مالي/ أزواد التي ترعرع بين منتجعاتها سائر السوكيين كما سيبينه المحور القادم.

2. الحيز الجاهلي:

إن الشعر السوكي يكشف عن مفارقة عجيبة، ليس من الموضوعية تفسيرها بمجرد التقليد، والمحاكاة¹، هي أن حضور "المكان" الحجازي، و"الأسماء" التي يتغنى بها الجاهلي أكثر بكثير من حضور "الأماكن" التي درج فيها هؤلاء الشعراء، مما يعني أنهم "مكانيا" يعيشون نوعا من القلق في الانتماء بين مكانين: واقعي غير مرغوب فيه، و"خيالي" يتم العيش فيه بالشعر، والحلم.

كما أنهم يحفظون الرواية التي تقول: إنهم كانوا من الحجاز أولا، ثم استقروا في المغرب قبل أن يقدموا إلى غرب إفريقيا دعاة!، وبالتالي فعدم وجود الوطن الواقعي، ومتعلقاته في شعرهم

¹ كنت سابقا من الذين يظنون ذلك "مجرد تقليد بحت" لا معنى له، ولا دافع، إلا أنني بعد التأمل أكثر تراجعت عن ذلك الرأي.

بينما يزخر بالحيز العربي القديم ليس لمجرد التقليد، كما أن هناك عاملاً فنياً آخر يعضد هذه العوامل، فالقوم - فيما يبدو - يرون هذه المفردات من عمق هوية الشعر العربي، وأهم محسناته، وكأن الإعراض عنها، أو تغييرها كتغيير مقوم من مقومات الشعرية العربية كالوزن، ونحوه!، ولقد أوضح عبد الملك مرتاض أهمية الحيز في الشعر الجاهلي، تحت عنوان "جماليات الحيز في المعلقات"، ويفضل مصطلح "الحيز" على "الفضاء"، معللاً: (ذلك بأننا نعد كل جسم ناتئ، كأن يكون شجرة، أو نبتة، أو كرسيًا، أو سيارة، أو حيوانًا متحركًا، أو إنسانًا ماشيًا، أو هيئة للحركة في أيّ من مظاهرها، أو نهرًا جاريًا، أو واديًا متخدّدًا، أو ربوة عالية، أو كثيبًا باديا، أو نخلة باسقة، أو خيوط مطر هاتنة، أو حبات ثلج هاطلة، أو طريقًا مستقيماً أو ملتويًا: حيزاً)¹، ولكثرة ظاهرة الحيز العربي القديم في الشعر السوكي يمكن أن نعالجه هنا بطريقة شبه إحصائية مختصرة، ونحيل القارئ إلى الباب الثالث حيث يتم سرد المتن المدروس كله، فتكفي الإشارة إلى أنه يغلب في ثلاث فئات: "الأماكن/ الجبال والأشجار/ الأشخاص والحيوانات":

أ. الأماكن:

حشدُ الأماكن الحجازية في الشعر الطارقي أهم ما يلفت النظر، حيث تكثر هذه الكلمات: " أم القرى/ المدينة/ العراق/ المغرب/ الطائف/ بيشة/ بدر/ تثليث/ تضارع/ ترعى/ حنين / دارة صندل/ دار هند/ ذات الطلح/ ذات الأواعس/ عبقر/ صنعاء/ بغداد/ البصرة/ نجد".

¹ السبع المعلقات مقارنة أنثروبولوجية لنصوصها، د. عبد الملك مرتاض، ص 89.

على هذه الأماكن ومثلها يقفون، ويبيكون، وهي التي يترددون عليها في قصائدهم، ويحيلون إليها كأهم فيها¹:

حَجَبُوكِ عَنِّي أَمَّا الطَّائِفَا أَلَا أَرَاكِ خَلَا الْخَيَالَ الطَّائِفَا
أَنِّي اهْتَدَيْتِ لِسَاحَتِي وَهَنًا وَلَمْ مَا تَلَقَّ دُونِي مَا يَصُدُّكَ صَارِفَا²
وَلَقَدْ شَفَعْتَ أَوَانَ إِذْ نَبَّهْتَنِي وَتَرَا أَخَا شَعَفٍ وَكُنْتَ الشَّاعِفَا
بَلْ كَانَهُ الرَّشَاءُ الْأَعْنُ وَإِنَّهُ لِمَتَّيْمِي حُبًّا فَكُنْتُ الْوَاصِفَا³
فَارْبَعُ لَعَلَّكَ أَنْ تُبَرِّدَ غُلَّةً حُمَّ الْفِرَاقُ وَلَمْ تُصَادِفْ كَاشِفَا⁴

ويقول محمدو تانا بشكل أكبر صراحة في الحنين⁵:

وَسَلَّ عَنْ "سَلَعٍ" وَاحْذُ بِذِكْرِ "أُحْدٍ" وَبَالِغٍ فِي الْحَنِينِ إِلَى "حُنَيْنٍ"
وَزَمَزِمَ بِاسْمِ "زَمَزَمٍ" وَارْوِ مِنْ مَّاءٍ عَيْنِي بِرِيهِ النَّصَّاحَتَيْنِ

ولا يعني ذلك أنه لا توجد إشارات يتيمة إلى أرض مالي، وبعض منتجات القوم في الشمال، كقول الحاج في قصيدة له:

لَقَدْ فَازَتْ قِدَاحُكَ أَرْضَ (مَالِي) بِمَا أَسَدَى لَكَ الْبَلَدُ الْحَرَامُ

ولئن كان الشيخ الحاج يذكر "دولة مالي" هنا في معرض الشناء، والتهنئة، فإن شيخا آخر يذكرها متمعضا منها، ومن التعلق بها هو الشيخ إغلسن اليماني⁶:

¹ من ديوان للشاعر المرتضى مخطوط لدى الباحث.

2 - وهنا: الْوَهْنُ وَالْمَوْهِنُ : نحو من نصف الليل ، و قيل: هو بعد ساعة منه . وَأَوْهَنَ الرَّجُلُ: صار في ذلك الوقت. والخطاب في هذا البيت والذي بعده للخيال الطائف ، وعليه فتاء الفاعل مفتوحة في (اهتديت، وشغفت، وكنت)، وكذلك كاف الخطاب في (يصدق).

3 - الرشأ: ولد الطيبة إذا قوي وتحرك ومشى مع أمه.. الأغن: الذي يخرج كلامه في لهاته وقال غيره من خياشيمه.

4- أربع: انتظر. حم: حُمَّ هذا الأمرُ وأُحِمَّ: مضى قضاؤه.

⁵ من مجموعة شعرية مبثورة لدى الباحث.

⁶ المدارس الأدبية في صحراء الطوارق محمد أحمد الخرجي، ص

مَا لِلْمَرِيِّ يُسَيِّغُ الْمَاءَ بَلْ مَا لِي؟ أَرْجُو الْقَرَارَ وَفِي عُنْقِي عُرى (مالي)¹
أَمْ كَيْفَ يَنْجَحُ سَاعٍ فِي وَظَائِفِهِ وَأَرْشُ قَطْعِكَ عُصْنًا أَلْفُ مِثْقَالٍ²

ب. الجبال والأشجار:

الجبال المعروفة في الحجاز كأنها هي الملائمة للشعر في نظر السوكيين، ولذلك فعندما يمثلون بالجبل لوصف الشموخ، أو القوة، أو الارتفاع فلا يذكرون غيرها، والحال كذلك في الأشجار، ومن أهم الجبال والسهول، والمرتفعات التي تتردد في شعرهم كالتالي: "النوابك، الشنائك، الأرعن، أحد، رضوى، صفاصف، سبب، تهامة، فيهق"، ومن الأشجار والنباتات: بهمي، الغضا، السعدان، الربل، الأقحوان نقرأ مع مُحَمَّدو يوسف تصويره الفاتن لهذا الحيز المعشوشب الذي رعت فيه ناقته بعد الإشارة إلى المنتجعات التي تفد إليها المعشوقة³:

فلما أَتَتْ تُرْعَى وموزنَ دونهُم فسلى فسليرى حُرَى فتضارع⁴
حَسَرْتُ قِنَاعَ الهَمِّ عني بدعلِبٍ وشيكة أوب الكف وهي ممالع⁵
تَحُبُّ كما حَبَّ السراب بقية وتزني كما قد زَفَّ أجناً خاضع⁶
تَرَبَّعتُ اليَعْفورَ ثُمَّ تَتَبَّعتُ مواقع واعشوشبن عنها المناقع⁷
فشادت تعاشيب اليعاصيد تامكا على جوزها مستوفدا وهو فارغ⁸
فإذْ غِيَضَ المستنقعات وغورت وعُري من بُهَمَى التلاع الدوافع⁹
وغودرت العُدران مرعى سمائم كأن لا تُغادِيها الغوادي الهوامع

¹ (المريء): مجرى الطعام والشراب من الحلق (مالي) في الشطر الأول: مركبة من "ما" الاستفهامية، وجار ومجرور، وفي

الشطر الثاني: جمهورية مالي وطن الشاعر

² (الأرش): دية الجراحة، وأطلق هنا - مجازاً - على الرسوم التي كان رجال الغابة يأخذونها ممن قطع شجرة، أو غصنا منها.

³ ديوان الشاعر محمدو يوسف، ص 3، وانظر بحثي لنيل درجة الماجستير: الشاعر النسقي قراءة وتحقيق لديوان الشاعر محمدو يوسف،

ص 178

⁴ ترعى، موزن، سلى، سليرى، تضارع: أسماء أماكن.

⁵ الذعلب: الناقة السريعة، أم النعامة، الممالع: السريعة أيضا.

⁶ تخب، تزني: تسرع بمعنى واحد، جنأ كفرح: أشرف كاهله على ظهره، أي احديب في الظهر.

⁷ اليعفرور: جزء من الليل.

⁸ في "ب"، و"ج": مستوفرا بالزاي.

أتمك الكلا الحيوان: سمته، اليعاصيد: جمع عضد، نوع من النباتات.

⁹ بهمي: نبت ترعاه الإبل في الصحراء

ج. أسماء الأشخاص والحيوانات:

في التغزل أو الثناء ما زال السوكيون يوظفون الأسماء المكررة في الشعر العربي القديم، كأنها رموز غنية بالدلالة لديهم، دلالة مطلقة غير متوقفة في زمن معين، كـ "أم مالك/ دعد/ عبلة/ عزة/ عيينة/ سعاد/ مغن/ إياس/ حاتم/ الراعي/ قس بن ساعدة/ قضاة/ رفاعه/ ابن مامة..."

وفي فئة الحيوانات تحتل الناقة، والظبية والأسد المكانة المركزية في الديوان السوكي، حيث توجد عشرات الأسماء لهذه المخلوقات:

من أسماء الأسد الواردة بكثرة: "الأسد/ الضرغام/ الكميت/ شرعب/ ذو اللبدة/ الليث/ الضيغم/ الشبل..."

أسماء الظبية الغالبة: الظبي/ الظباء/ الآرام/ الغزال....

من أسماء الناقة الكثيرة التردد لديهم: الطمرة/ السلهب/ النضو/ ذعلب/ الضامر/ زلح/ قوداء/ عفاهمة...

بعد هذه تأتي حيوانات صحراوية أخرى: النعام/ الظليم/ الهقلة/ الضباع/ الذئب/ الحرباء/ أم تولب/ المها/ الربرب.

نكتفي بهذه المقطوعة التي تحكي صورة القصيدة الجاهلية بمواها، وهوايتها، وحيزها، وذوقها، وأصالتها، للشيخ هارون مجاهد¹:

أَلَمَّا عَلَى رَنْعٍ تَعَاوَرَهُ الْوَيْلُ وَجَادَ عَلَيْهِ كُلُّ غَادٍ لَهُ هَطْلُ²
وَجَرَّتْ عَلَيْهِ الرَّامِسَاتُ ذِيوَهَا وَتَسْفِي عَلَيْهِ الثُّرْبُ آوَنَةُ شَمْلُ¹

¹ مخطوط بحوزة الباحث، وانظر: الجواهر الثمين في أخبار صحراء المثلثين، العتيق سعد الدين، ص 249
² غاد: مطر يأتي في الغدو.

تَوَهَّتُ آيَهُ، فَلَأْيَا عَرَفْتُهُ
 أَلَبْتُ بِهِ الْأَرَامَ يَمْشِينَ أُمْنًا
 يُهَيِّجُ مَيَّ الْوَجْدُ لَمَّا اسْتَنْبَنَتْهُ
 لَهَا وَارِدٌ مُفْحَوْحَمٌ مُتَعَثِّكِلٌ
 وَأَنْفٌ مَسْرُجٌ، وَتَغْرٌ مُفْلَجٌ
 فَهَالٌ كَرِيمَتِيكَ وَالْقَلْبَ طَعْنُهَا
 فَهَلْ تَسْلِيَنَّ الِهِمَّ عَنْكَ زَلْخَلْجٌ
 لَهَا سَنَةٌ قَدْ عَرِيتْ بِمَفَازَةٍ
 وَزَهْرٌ فَلَمَّا أَنْ تَظَاهَرَ نَيْيُهَا
 عَلاهَا كَكِيرِ الْقَيْنِ كَثُرَ مُلَمَلَمٌ
 أُؤُوبٌ نَعُوبٌ لَا بُجَارَى وَلَا تَنِي
 أُلُوفُ السُّرَى تَقْرُو اللَّصَابَ بِحُفِّهَا
 وَتَنْشِطُ عَنْ غَبِّ السُّرَى وَكَأَنَّهَا
 فَيَرْتَلُّ مِمَّا نَابَهُ مِنْ نَطِيَّةٍ
 لِسَبْعِ سَنِينَ فَاسْتَبَانَ لِي الْقَلُّ²
 وَمَا إِنْ خَشِينَ أَنْ يُصَادَ لَهَا طِفْلٌ³
 لِذِكْرِ حَبِيبَةٍ أَرَبْتُ بِهِ قَبْلُ⁴
 أَثَيْتُ جُفَالًا مَرَسَلًا سَبِطًا جُثْلُ⁵
 وَسَائِرُهَا قَدْ زَانَهُ الْعَنْجُ وَالْدَّلُّ⁶
 فَدَمَعْتُ تَوَكَّافًا، وَقَلْبِي مَا يَسْلُو⁷
 عُفَاهِمَةً قَوْدَاءُ مَا عَاسَهَا فَحُلُ⁸
 وَأَجَنِي لَهَا السَّعْدَانُ وَالْبَانُ وَالرَّيْلُ⁹
 وَلَمَلَمَ نَحْضُهَا وَفَارَقَهَا الْأَزْلُ¹⁰
 عَرِيضٌ طَوَالٌ مَا يُخَوِّفُهُ جِمْلُ¹¹
 بِسِيرِ الْهَجِيرِ مَا يَعْرِجُهَا طِفْلُ¹²
 فَلَا نَقَبٌ يُخْشَى عَلَيْهَا وَلَا دَخْلُ¹³
 ظَلِيمٌ لَذِكْرِ الْقَيْضِ جُؤْجُؤُهُ يَخْلُو¹⁴
 لَفَيْحَاءَ مَرَّتٍ لَا يَكُونُ بِهَا ظِلُّ¹⁵

فهذا النص بما يحمله من مفردات بعضها موغل في الغرابة، والبداءة " أَلَبْتُ / جُثْلُ / اللصَاب / القَيْضُ / المَرَّتْ /"، وأسماء الناقة: زَلْخَلْجُ: عُفَاهِمَةُ / قَوْدَاءُ . والحنين الذين يثبه هنا إلى البيئة

¹ الرامسات: تثير التراب كعاصفة، تسفي التراب عليه: تهيل عليه التراب، شمل: ربح الشمال.

² آيه: معلمه

³ الأرام: الظباء.

⁴ أَرَبٌ بِالْمَكَانِ: أقام به طويلا

⁵ واران: شعراً، مفحوم: شديد السواد كالفحم، متعكل: كثيف كالغصن المنعم، أثيت: منظم لا فجوة داخله، جُفال: كثير جدا، مرسل: غير مقيد، سبط: وصف آخر للشعر، جُثْل: طويل.

⁶ أنف مسرَّج: تقليد لذلك البيت المشكل على البلاغيين "وفاحما ومرسنا مسرجا"، هل المشبه به السراج في النور، أم السيف السريجي في الاستواء، والدقة، انظر أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص 64، ثغر مفلج: مستقيم مع تباعد الأسنان،

⁷ كريمتيك: يقصد بهما العينين.

⁸ زلخج: ناقة قوية، عفاهمة: صلية، قوداء: مدربة على الانقياد ...

⁹ عَرَبَتْ: أقيمت، المفازة: الصحراء، السعدان: نبات بري ذو شوك ترعاه الإبل كثيرا، الريل: كذلك من النباتات الصحراوية.

¹⁰ الكثر: السنام المرتفع

¹¹ أُلُوفُ السُّرَى: تألف السير ليلا، اللصاب: جمع لصب: كل مضيق في الجبل، والوادي،

¹² الظليم: ذكر النعام. جؤجؤه: صدره. القَيْض: قبضة البيضاء: قشرتها البايضة.

¹³ يرتل: يسرع في السير، نطية: أرض بعيدة، فيحاء: دار فيحاء: واسعة، مرَّتْ: مفازة لا أحد فيها، والشاعر هنا في البيتين

يستحضر قول امرئ القيس:

تَرَوِّحَ مِنْ أَرْضٍ لِأَرْضٍ نَطِيَّةٍ لَذِكْرَةِ قَيْضٍ حَوْلَ بَيْضٍ مَقْلَقٍ

البدوية المشابهة للبيئة العربية، بيئة تستوطنها الآرام... بكل ذلك يظهر معجمه متوغلا في التربة العربية القديمة ذوقا، ولسانا، وهواية.

3. ألفاظ دينية:

نختم المبحث بالإشارة إلى آخر نقطة تتعلق بمميزات المعجم الشعري لدى كل أسوك، وهي حضور "الألفاظ الدينية الإسلامية"، بإزاء تلك الألفاظ الجاهلية، فلا غرو، لأن المجتمع متمسك بالدين تمسكا كبيرا، ولا مصدر عز له سواه، وليس له من تربية غير التعاليم الدينية، ولا يفتخر بشيء كافتخاره بالأخلاق الإسلامية، ولذلك لا يمكن مدح شخص صديق، ولا عالم إلا بأخلاقيات الإسلام على غرار ثناء الشيخ/ أعالي اليماني على عبد الله أغ الحمود¹:

يَرْجُو بِذَلِكَ رِضْوَانًا وَمَغْفِرَةً	وَأَنْ يَفُوزَ بِأَجْرِ غَيْرِ مَمْنُونٍ
الْجَوْهَرُ الْقَرْدُ مَحْمُودُ الْمَقَاصِدِ بَلْ	كُلُّوْلٍ كَانَ فِي الْأَصْدَافِ مَكْنُونٍ
يَنْهَى وَلَا يَأْتِ أَمْرًا وَيَسْبِقُنَا	لِكُلِّ رُشْدٍ وَخَمُودٍ وَمَيْمُونٍ

الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ فِي سِرِّي وَفِي عَلَنِي لِمَنْ عَطَايَاهُ بَيَّنَّ الْكَافِ وَالنُّونِ²

فالنزعة الدينية أبرز خاصية في الشعر السوكي، لم لا وهو شعر العلماء! فالنص أمامنا مقتبس كله من الألفاظ الإسلامية، لدرجة الاستنارة بنص القرآن الكريم مباشرة {أجر غير ممنون}، (الآية 6 سورة التين)، والديوان السوكي ينغمس في الحقل الديني كلما تجاوز المقدمات التي يقضي بها دين الأصالة الجاهلية للقصيدة العربية، ألفاظا، ومعاني، وتوريات، وإيجاءات، فمع اقتباس ألفاظ القرآن الكريم، وحديث جامع الكلم عليه السلام تراهم - بغض النظر عن النقاش الفقهي الذي سنخصص له محورا - يستخدمون اللغة الفقهية، استخداما ينبئ عن احترام، وإعجاب، واهتمام، واستيعاب للحديث، والفقه، لدرجة أن القارئ عليه أن يكون

¹ من مجموعة شعرية أرسلها الأخ نافع أحمد
² إشارة إلى الكاف والنون في "كن فيكون".

ملما بالفقه أو يبحث في كتبه كي يعرف المغزى، مثل النص الآتي للخضر حمادو في مدح الشيخ والده الشيخ حمادو¹:

وَيَا "زُفَرَ" الْفَقِيهَ اِرْحَلْ اِلَيْهِ	لِتَفْهَمَ عِنْدَهُ "أُمَّ الْبَنِينَا"
وَيَا "ذَا عَسْقَلَانَ" هَلُمَّ وَاقْرَأْ	عَلَيْهِ حَدِيثَ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَا
فَقَدْ أَحْصَى فُنُونَ الْقَوْمِ عِلْمًا	وَزَادَ عَلَى فُنُونِهِمْ فُنُونَنَا

ففي هذه الأبيات الثلاثة إشارة إلى الفقيه "زفر"، والمحدث: ابن حجر العسقلاني، وتخصص كل واحد منهما: "الفقه، والحديث"، والشاهد الأكبر هنا هو الإحالة إلى مسألة فقهية من مسائل الفرائض "أم البنين"، ويقصد بها المسألة الفرضية الملقبة بـ "أم الفروخ"، لكثرة العول فيها²، وهي طبعاً كناية كذلك عن الفقه كله، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل.

إذن يتحدد المعجم الشعري السوكي بتوزيعه بين ألفاظ جاهلية، توضع تارة في استعمالات نادرة، مع غلبة الحيز العربي القديم مقارنة بالمعيش، وبين ألفاظ إسلامية كانت من القرآن، أو الحديث، أو كتب الفقه، تصريحاً أو تلميحاً، فيكون معجمهم بذلك عربياً، جاهلياً، إسلامياً بامتياز.

مما يعني بوضوح أن هذا الشعر يصدر برمته من التراث العربي الإسلامي عبر عصوره الأولى، وأن ذلك التراث هو الملهم الأول لشعراء السوك، ومنبعهم الإبداعي الغني، وأن شعرهم ابن شرعي لتلك الثقافة الأصيلة، وهو ما سنوضحه مرة أخرى بطريقة مغايرة تتجاوز مستوى الألفاظ إلى التراكيب في المبحث التالي.

¹ ترغيب المشوق لزين الدين، ص 42

² ينظر: شرح الدردير لمختصر خليل، ص 472، ج 4

المبحث الثاني: حضور التراث العربي الإسلامي:

يحتاج الشاعر عند ابن طباطبا إلى حفظ الشعر، والرسائل، والأمثال ... (حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها)¹، فيستهلك الشاعر حملته التراثية عبر ما عرف قديماً بـ"الاقتباس" فيما يخص القرآن، والحديث، و"التضمين"، أو "السراقات الشعرية" بالنسبة للموروث الأدبي المشاع، وتحتزل كل هذه المفاهيم وغيرها تحت مصطلح "التناص" حديثاً.

وما يضيفه مفهوم التناص على تلك المفاهيم أنه يعتبر كل نص "تناصاً"، "فكل نص ليس إلا نسيجاً من استشهادات سابقة"².

تلك النظرية هي التي حاول النقاد القدامى كابن رشيق، وابن قتيبة معالجتها مبكراً بتقسيمات، وتفريعات، ومصطلحات متداخلة، وغير متفق علي معانيها أحياناً، مثل "الاصطراف، والأخذ، والمسح، والسلخ، والانتهاك، والإغارة.. بجانب الاقتباس، والتضمين ... إلخ"³.

إن مصادر الثقافة العلمية لدى السوكيين - بتنوعها - فجَّرتها الموهبة الشعرية، فأهم مجهود لدى الشاعر هناك هو نَظْمُ تلك الحمولة الثقافية بكل مكوناتها، ولذلك يكشف المعجم عن حضور مختلف معارفهم من القرآن، واللغة، والنحو، والبلاغة، والشعر القديم، والأمثال، والأخبار، والفقه، والأصول، والحديث، والتاريخ، والقصص، والحساب، والمنطق ...

لقد وظف السوكيون تلك الذاكرة الممتلئة بالمتون التي سبقت الإشارة إليها، وليس العيب في "التناص" لأنه ضروري كالروح للجسد بالنسبة للنص، وإنما المشكل في عدم انتباه

¹ عيار الشاعر، ابن طباطبا، ص 23.

² دراسات في النص والتناصية، محد خير السباعي، ص 30.

³ يستحسن الرجوع إلى ابن رشيق في العمدة.

البعض إلى أن (الإبداع ليس تذكراً، وإنما هو حساسية خاصة للتعامل مع الذاكرة، في ظل مناخ إنساني جديد)¹.

1. الاقتباس من القرآن والحديث:

المجتمع السوكي مجتمع متدين كما تكرر وتقرر، وكان مؤسساً على قيم صوفية، صارمة، فهم مندمجون مع القرآن، من الصغر إلى الكبر حفظاً، وقراءة، وتعلقاً، وتعليقاً في الأعناق، والممتلكات، فهذا الهيام بالقرآن سيترك آثاره طبعاً على سائر الأنماط الحياتية، بما فيها الشعر، لغة، ومضمونا، والأمر نفسه مع محمد ﷺ، فمكانته في المجتمع الصوفي لا حدود لها، ولذا سيكون هو وكلامه حاضرين في أشعارهم ذكراً، واقتباساً، مع قلة الإشارة الصريحة إلى "الآية"، لأنهم يتهربون من ذلك غالباً من شدة احترام القرآن، ولكيلا يطرأ عليه أي تغيير من طرفهم، ويمكن القول: إن شعرهم عموماً يتفياً بظلال القرآن، ولا يحاول الأخذ منه بطريقة قد تؤدي إلى الصدام الدلالي ولكن هنا سنختار بعض الأمثلة التي تبين ذلك الحضور:

أ. اقتباس صريح لألفاظ الآية:

نشهد هذا النوع - في أبدع صوره - مع قطعة من قصيدة صوفية، تأملية، وإن كانت أصلاً في رثاء الشيخ الولي حمادو، والقصيدة للشاعر المفلح ذو الكفل²:

وَأَنِّي ذَاهِبٌ عَلَى مَطِيَّتِهِ	مِنَ الرَّجَاءِ {إِلَى رَيِّ سَيِّهَدِينَ}
وَقَاصِدٌ مُتَمَسِّكاً بِذَيْلِهِمْ	مَعْنَاهُمْ صَائِحاً وَالصِّدْقُ يَخْدُونِ
يَا كَعْبَةً كَانَ لِلْأَرْوَاحِ مُزْدَحَمٌ	فِيهَا وَتَعَكَّفُ مَا بَيْنَ الْأَسَاطِينِ
وَقَفَّ عَلَيْكَ نُفُوسُنَا وَنَاطِرُهُ	مُدْبِراً أَمْرُهُ خَلِيقَةُ الْحِينِ
اثنانِ وَاللَّهُ ثَالِثٌ لِيُبرِمَهَا	حِينَ التَّنَاجِي، وَضَامِنٌ لِتَبْيِينِ
سَرَتْ بِهِ هِمَمٌ لِمُنْتَهَى شَيْمٍ	فَكَانَ مِنْكَ كَقَابِ الْقَوْسِ أَوْ دُونِ

¹ التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات، د. مصطفى السعدني، ص 68.

² من مجموعة شعرية مخطوطة مبعثرة لدى الباحث.

البيت الأول من المقطوعة يحتوي طبعا على شطر من الآية الكريمة {إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِي} الآية 63 سورة الشعراء، بينما البيت الأخير يقتبس اقتباسا غير مباشر آية 10 من سورة النجم: {ثُمَّ دَنَىٰ فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ}، وهو الشكل الثاني من أشكال الاستضاءة بالقرآن الكريم.

ب. اقتباس غير مباشر باستثمار عام:

أعني بهذا أن يكون النص محيلا إلى قصة قرآنية، أو يستثمر لفظة معينة في كتاب الله، مثل استلهام الشيخ حمادو لرمزية عصا موسى في حوار صوفي شيق بينه وبين عصاه، ها هو يفحمها بحجج قوية قائلا:

انْظُرِي وَاذْكُرِي عَصَا قَدْ تُدَاوِي	جوعَ صَاحِبِهَا لِمُوسَى الرَّسُولِ
وَإِذَا ظَهَرَ الْعَدُوُّ تَرَاءَتْ	وَهِيَ تَهْزُمُهُمْ إِلَى نَحْوِ مِيلِ
وَإِذَا عَطَشَ الْكَلِيمُ وَحَاطَتْ	بِغُيُوثٍ هَا كَأَنْجَرٍ نِيلِ

ج. الحديث وعلومه:

ألفاظ الحديث منفردة تزدان بها قصائد السوكيين، كلما وجدوا إليها سبيلا، وأقرب مثال هي بداية قصيدة مُجَدِّ دانيال التالية¹:

يَا رَبِّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا	وَالرَّشْدَ أَنْتَ وَلِيُّهَا مَوْلَاهَا
وَاسْتَرْ لَهَا كُلَّ الْغُيُوبِ وَرَكَّهَا	أَنْتَ الْكَرِيمُ وَخَيْرُ مَنْ ذَكَاهَا
وَتَوَلَّهَا مِمَّا تَخَافُ وَتَرْجِي	وَتَرِيدُ وَاجْعَلْ هَمَّهَا أَخْرَاهَا

¹ من مجموعة شعرية، أرسلها لي حفيد الشيخ عبد الحكيم مصطفى.

فالأبيات عبارة عن نظم مباشر لدعاء النبي ﷺ: (اللهم آتِ نَفْسَهَا تَقْوَاهَا، وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا)¹.

ومن أشكال استخدام مفردات تنتمي لحقل علوم الحديث، قول المحدث الشاعر/ الحاج محمد أحمد:

تَرَاهُمْ وَقَدْ غَصَّتْ مَجَالِسُهُمْ بِهِمْ	لُيُوثًا كَسَاهُمْ لَبُوسًا مِنَ الْبِشْرِ
رَوَتْ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ رَبَاحٍ عَنِ الْعَلَا	أَحَادِيثَ مَجْدِهِ ثِقَاتٌ مِنَ الْعُرِّ
وَعَنْ خَالِدٍ عَنِ الرَّبَابِ وَأَسْنَدَتْ	أَحَادِيثَهَا إِلَى النَّدَى الثَّقَةِ الْخَبْرِ

فعطاء، ورباح، وأحاديث، وثقات، وإسناد، ورواية ... كل أولئك مصطلحات لعلم الحديث، تم استخدامها هنا في الثناء على الممدوح، عن طريق تورية جميلة، وتدييح رشيق.

2. التفاعل مع الشعر العربي القديم:

لا يخفى تأثير الشعراء السوكيين بالشعر الجاهلي، ولا يتأثرون فنيا بأدب غير ذلك الأدب القديم الأصيل، وهم يخلقون تناسبا بديعا في أغلب الأحيان مع النصوص العتيقة، سواء حين يعارضون قصيدة قديمة، أو يحيلون القارئ إلى بعض الوقائع الشعرية، أو حين يأخذون المعنى، ويعدلونه قليلا، أو عندما يضمنون شطرا من البيت، ولذلك سنقدم ثلاثة نماذج تبرهن على مدى التمازج الحميم بين الشعرين: الطارقي السوكي، والعربي القديم:

أ. نموذج معارضة لإحدى القصائد القديمة:

معارضة القصيدة بشكل مباشر ليس كثيرا، إلا أن قصيدة كعب بن زهير المشهورة "بانت سعاد" عارضها شيخان جليلان، الخضر حمادو، وحمدا محمد، ولا شك أن المعارضة تتجاوز

¹ صحيح مسلم، رقم الحديث : (2722)

مجرد التناس إلى التعانق الشديد، خصوصا إذا كانت في نفس الموضوع، فتكون في نفس القافية، والروي، والبحر فيكفي أن نشير إلى بدايتي القصيدتين:

. بداية قصيدة حمدا¹:

إِيَّايَ وَالسَّعْيَ فِي صَدْي فَتَطْوِيلُ صَرَفٍ مِثْلِي عَلَى التَّسْوِيلِ تَعْوِيلُ
صَمَّمْتُ فِي شَعْفِي حَتَّى صَمِمْتُ، فَمِنْ مَصَّمِ الصَّمِ أَنِّي يُسْمَعُ الْقِيلُ؟

. بداية قصيدة الخضر:

مَهْ، مَا خِطَابُكَ مَهْمَا لُمْتُ مَقْبُولُ سَمِعِي أَصَمُّ وَقَلِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ
بَلْ مَا تَشَاءُ فَأَلْحِجْ مَا عَلَيَّ إِذَا لَمْ تَسْتَمْلِي أَنْ تُمْلَى الْأَبَاطِيلُ

على أنه توجد أحيانا حالات استدعاء للقصيدة الجاهلية وكأنها معارضة غير معلنة، وذلك مثل قصيدة الشاعر القدير محمدو يوسف، في الرد على مساجله المرتضى محمدو، والمعنونة "إنجاز المنتضى في إعجاز المرتضى"، وهي تصدر بحرا، وجوا، وقافية، ورويا، وحركة، ومعاني من قصيدة النابغة التي مطلعها²:

عَفَا ذُو حُسا مِنْ فَرْتَنِي فَالْفَوَارُغُ فَجَنَّا أَرِيكَ فَالْبَلَاغُ الدَّوَافُغُ

فعلى منوالها كتب محمدو معلقته الرائعة التي وصلت مائة بيت، ضعف أضعاف قصيدة النابغة، إلا أنه من شدة الاستنارة بها في الانطلاق لا يتورع في نقل كامل للنابغة حين يقول³:

فَقَالَ عَيْيْ أَخْرَسَ وَمُسَوِّدُ (وَتَلَّكَ الَّتِي تَسَنُّكَ مِنْهَا الْمَسَامِغُ)

¹ ترغيب المشوق، زين الدين محمد الصالح، ص 307

² ديوان النابغة، ص 76

³ ديوان الشاعر محمدو يوسف، ص 2، وانظر بحثي لنيل درجة الماجستير: الشاعر النسقي قراءة وتحقيق لديوان الشاعر محمدو يوسف،

فالشطر للنابعة حين يقول:

أَتَانِي أَيْتَ اللَّعْنِ أَنْكَ لُمْتَنِي وَتِلْكَ الَّتِي تَسْتَكُّ مِنْهَا الْمَسَامِعُ¹

وتارة يغير التركيب فقط قليلا، فنظم بيتا كاملا من شطر النابعة:

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعٌ

فالشطر الأخير للنابعة أخذه مُجَدِّدٌ وصنع منه بيتا كاملا نع تغيير طفيف ! :

وَلِلرُّقْشِ تَعْدُو لَيِّنَاتٌ وَإِهَّا عَلَى اللَّيِّنِ فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعٌ

ب. أخذ المعنى، وحسن التصرف فيه:

يتجلى أهمية التناص قديما وحديثا في هذا النوع، ويعقد النقاد البلاغيون في كتبهم باب "حسن الأخذ"، ويستشهدون بتجاذب الشعراء لمعنى واحد عبر المراحل المتعاقبة، ويقارنون بين إجادة الأخذ من الأول، وإخفاقه، تحت باب "حسن الأخذ وحل النظم" يقول أبو هلال العسكري: (ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممّن تقدّمهم، والصبّ على قوالب من سبقهم؛ ولكن عليهم - إذا أخذوها - أن يكسوها ألفاظا من عندهم، ويبرزوها في معارض من تأليفهم، ويوردوها في غير حليتها الأولى، ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها، وكمال حليتها ومعرضها؛ فإذا فعلوا ذلك فهم أحقّ بها ممّن سبق إليها)²، ويعني ذلك في نظر العسكري أن هناك صورا شعرية مشاعة للجميع، ولا تختصّ بها شاعر، بل تنسب إلى من أجاد صياغتها، وأحسن في نظمها، فهل السوكيون يحسنون الأخذ عندما يأخذون؟

¹ المرجع السابق ص 78

² كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص 260

لا شك أنهم يأخذون المعاني القديمة، أما اختبار مدى إحسانهم في الأخذ فيحتاج
لعرض النماذج أولاً، لعلنا بذلك نكون على بينة من الأمر، والنماذج كثيرة، يكفي أن
نختار ثلاثة من المعاني المطروقة قديماً، والمعادة لاحقاً بأقلام سوكية:

1. معنى : "تشبيه الناقة أو الفرس في السرعة بظليم/ نعامة ذكرت بيضها":

هذا من بين المعاني البدوية المطروقة بكثرة في الشعر الجاهلي، وكذا الشعر المحاكي له، فهم
يرون أن النعامة بطبعها سريعة جداً، فكيف إذا تذكرت أدحيها خصوصاً في المساء! ومن
أوائل من طرق هذا المعنى زعيم الشعراء امرؤ القيس¹:

تَرَوِّحَ مِنْ أَرْضٍ لِأَرْضٍ نَطِيَّةٍ لَذِكْرَةِ قَيْضٍ فَوْقَ بَيْضٍ مُفْلَقٍ

وهو يصف الظليم الذي يعدو بين الفياقي من أرض بعيدة/ نطية إلى أخرى بعيدة، لأنه تذكر
اقتراب موعد انفلاق البيض، وهو ما يعني طقوس الولادة للنعام، ولا بد من حضور الفروخ
التي ستفقس البيض عنها، إنه شعور عاطفي سيدفع بالظليم كي يجري بسرعة جنونية !

الخلاصة أن هذه السرعة الخيالية التي يشبه بها امرؤ القيس سرعة فرسه، أصبحت
متداولة بين الشعراء بعده، وشاعرنا هارون ممن أخذوا هذا المعنى، لنستمع له وهو يصف
سرعة ناقته القوداء²:

وتنشطُ عَنْ غَبِّ السَّرَى وكأَنَّهَا ظَلِيمٌ لَذِكْرِ الْقَيْضِ جَوْجُؤُهُ يَخْلُو³
فَيَرْتَلُّ مِمَّا نَابَهُ مِنْ نَطِيَّةٍ لَفَيْحَاءَ مَرَّتٍ لَا يَكُونُ بِهَا ظِلُّ⁴

¹ أشعار الشعراء الستة الجاهليين، أبو الحجاج الشنتمري الأعلم، ص 21، ج 1

² الجوهري الثمين في أخبار صحراء الملثمين، العتيق سعد الدين، ص 241

³ الظليم: ذكر النعام. جَوْجُؤُهُ: صدره. الْقَيْضُ: قَيْضَةُ الْبَيْضَةِ: قَشْرَتِهَا الْبَاسِةُ.

⁴ يَرْتَلُّ: يسرع في السير، نَطِيَّةٌ: أرض بعيدة، فَيْحَاءُ: دار فيحاء: واسعة، مَرَّتٌ: مفازة لا أحد فيها، والشاعر هنا في البيتين

يستحضر قول امرئ القيس:

تَرَوِّحَ مِنْ أَرْضٍ لِأَرْضٍ نَطِيَّةٍ لَذِكْرَةِ قَيْضٍ حَوْلَ بَيْضٍ مُفْلَقٍ

يبدو أن الصورة التي رسمها الشاعر هنا أكبر اختزالاً، وإبداعاً من الأولى وإن كانت لامرئ القيس نفسه، بدءاً من الألفاظ إلى المعنى الإجمالي، فكلمة "يَرْتَلُّ" بإيقاعها الدال على السرعة بدون راحة، أوقع من كلمة "تَرَوِّح" التي تحمل في مادتها اللغوية "الراحة"، و"الرواح"، ونحو ذلك، وأكبر من ذلك تكرار كلمة "أرض" في بيت امرئ القيس، "من أرض لأرض نطية"، بينما يوجد اختصار بديع في بيت هارون، إذ حذف الموصوف "الأرض"، وأبقى على الصفة "النطية" التي تعني الأرض البعيدة جداً، وبدلاً من أن يقول فقط: (من أرض بعيدة إلى أخرى بعيدة) - كما قال امرؤ القيس - بدلاً من ذلك أضاف الشاعر هارون دلالة الاغتراب، والضياح، وعدم وجود ظل أصلاً "فيحاء مرّت لا يكون بها ظلٌّ" ! فكل وسائل التوقف منعقدة أمام هذا الظلم من الدافع النفسي العميق الذي تكرسه حالة "البیض وقد بیست القشرة، واقترب الانفلاق"، إلى الضياح اللاهوائي في هذه النطية، مع انعدام أية وسيلة للراحة، والتوقف حتى الظل غير متوفر في تلك الفيحاء، فلن يكون سوى العَدْوِ ثم العَدْوِ ...

ولهذا فأنا أعتقد أن الشيخ هارون وإن أخذ هذا المعنى من امرئ القيس فقد أحسن، وأجاد.

2. معنى : فتنة الجمال الأنثوي الذي يغوي حتى الراهب المتبتل في الديّر:

هو معنى آخر من أكثر المعاني تداولاً بين الشعراء أثناء وصف المعشوقة بشدة الجمال، لدرجة الفتنة التي لا يقاومها الراهب المتنسك في صومعته، ومن أوائل الشعراء الذين طرّقوا هذا المعنى النابغة الذبياني حين يقول¹:

¹ ديوان النابغة الذبياني، ص 42

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ عَبْدُ الْإِلَهِ صَرُورَةٌ مُتَعَبِدٌ
لَرْنَا لَرُؤُوتَهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا وَلِحَالَهُ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدْ

وهذا المعنى استعمله أكثر من سوكي، لكن نختار هنا أخذ الشاعر ظلُّعا عبد الرحمن له في قوله¹:

وَالْتَعَرُّ! لَوْ بَرَزَتْ لِفَانٍ عَابِدٍ لَحَجَا التَّنْسُكَ لَثَمَ بَسْمَةٍ فِيهَا

في النموذج أعلاه يبدو للوهلة الأولى أن النابغة كان أجاد في التعبير عن المقصود أفضل من شاعرنا، إلا أنه أكثر في الشرح، والتكرار "راهب/ عبد الإله/ متعبد"، واللغة الشعرية يجب أن تكون مكتظة بالدلالة مع الاختزال الشديد، فكلمة "متعبد" عند النابغة مجرد تنمة بيت، وكذا قوله في البيت الثاني "وإن لم يرشد"، لم تضيف شيئا، وظلُّعا أفلح في الإيجاز، والمجاز، والإيغال في تصوير مدى افتتان "العابد" بثغر المعشوقة، حيث إنه سيفقد الوعي، والرشاد، ويتغير عنده مفهوم "التنسك"، فيصبح وهو يخاله عبارة عن "لثم ذلك الثغر الفاتن"، والمعنى قد استوفاه الشاعر السوكي في بيت واحد!، بينما لم يأت به الشاعر الجاهلي إلا في بيتين كاملين، فيظهر أخيرا أنه صدق القائل: "كم ترك الأول للآخر"!

2. معنى : تخليق أسراب الطير فوق الجيش :

هذا المعنى طرقه القدامى، ومن أبدع الشعراء الذين صاغوه أكثر من مرة في قالب شعري فاتن هو شاعر العربية أبو الطيب، فهو هنا يمدح سيف الدول²:

يُفْلَدِي أَمُّ الطَّيْرِ غُمْرًا سِلَاحَهُ نُسُورُ الْمَلَا أَخْدَانُهَا وَالْقُشَاعِمُ
وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِبٍ وَقَدْ حُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ

ويبدع المتنبي إبداعا غريبا في الرسم في قصيدة أخرى¹:

¹ من قصائد للشيخ الشاعر أرسلها لي ابن عمه الأخ/ حمزة عثمان المقيم في السعودية.

² معجز أحمد، أبو العلاء المعري، ص 321، ج 1

تَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ تُطَالِعُهُ مَنْ بَيْنَ رِيشِ الْقَشَاعِمِ

فمن شدة اعتياد الطير القشاعم أكل لحم العدى بفضل سيوف سيف الدولة فهي تحفهم، وتظللهم دوماً، حتى لا تكاد الشمس تطلع!، فلا تلمع إلا من بين ريش القشاعم!، رسم كاريكاتوري ساهر بلسان العرب !

أخذ كل أسو ك هذا المعنى كثيراً بألفاظ مختلفة، ويكفي للاختصار أن نمثل بقول الشيخ الحاج في قصيدة إخوانية، وإن لم يبلغ شأو المتنبي²:

تَرَى فَوْقَهُ إِذَا عَلَا فَوْقَ سَابِحٍ وَسَارَ إِمَامَ الْمَجَرِّ رَايَاً مِنَ الطَّيْرِ

لم لا، والمتنبي استلهم الصورة من مشهد حي أمامه، مع بطل حقيقي هو سيف الدولة، والشيخ الحاج يعيد نظم البيت في إخوانية إلى أخيه الشاعر مُجَدُّو الذي لم تمسك يده سيفاً قط ! ولذا فلا يستغرب أن يكون هناك تفاوت في استعادة الصورة، والتماهي معها، لكن جاء هو الآخر بصورة لطيفة، سلسلة، تحيل إلى ذلك المعنى المطروق.

ت. تضمين بيت أو شطر:

التضمين هو نقل الشاعر لبيت غيره كله، أو نصفه دون أي تغيير في التشكيلة الفنية، وينبه عليه إن لم يكن مشهوراً³، ويجيزه النقاد، والبلاغيون، ولا يعدونه من السرقة المذمومة، ولا يستخدمه السوكيون بكثرة، وإن كان موجوداً، وفيما يلي نموذجان اثنان فقط:

المرتضى مُجَدُّو⁴:

(فَمَا آبَاؤُنَا بِأَمْرٍ مِنْهُ عَلَيْنَا اللَّاءِ رَبُّونَا صِعَارًا)

¹ المرجع السابق، ص 180، ج 1

² الإمتاع والإبهاج في ترجمة الشيخ الحاج، أحمد محمد الحاج، ص 247

³ التلخيص في علوم البلاغة، القزويني، ص 424

⁴ مجموعة شعرية مخطوطة بحوزة الباحث.

فالببت إلى ما قبل الجملة الأخيرة من شواهد ابن مالك وغير، لقائل مجهول¹:

(فَمَا آبَاؤُنَا بِأَمْرٍ مِنْهُ عَلَيْنَا اللَّاءُ مَهْدُوا الْحُجُورَا)

ومثال أخذ شطر واحد فقط قول الحمود يحيى²:

نَبِيُّنَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ سَيِّدُنَا (مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ)

والشطر الأخير للبوصيري³:

(مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ مُضَرٍ مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ)

لعل هاته النماذج المنشورة هنا تلقي الضوء على علاقة الانصهار بين الشعر السوكي، والشعر العربي القديم، على أن الشعر الطارقي السوكي لا يفوته استدعاء النثر الفني العربي القديم أيضا، وذلك النثر الذي يتجلى بأبهى صوره في "الأمثال"، وبها نختتم المبحث.

3. الأمثال:

يقول صاحب "كتاب الأمثال"، أبو عبيد القاسم بن سلام عن الأمثال: إنها (حكمة العرب في الجاهلية، والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق... فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه)⁴، والأمثال أدب عربي شعبي، أصيل، لم يشك فيه حتى رائد الشك في الأدب العربي طه حسين، يقول: (إن طائفة غير قليلة من الأمثال يجب أن تكون جاهلية)⁵، ويصرح في هذا السياق بأنها نقلت فلسفة العرب، وحكمتهم كما هي، يعلق على المثل دارس معاصر: (فإن عكس الصورة فلا يأتيك إلا بالبكر منها، وإذا وجّه فلا يلامس إلا الوجدان)⁶، فالمثل إذن

¹ شرح التسهيل، ابن مالك، ص 32، ج 1

² ترغيب المشوق في ذكر أشعار آل السوق، زين الدين محمد الصالح، ص 118

³ ديوان البوصيري ص 90

⁴ كتاب الأمثال، لأبي عبيد بن القاسم بن سلام، ص 34

⁵ في الأدب الجاهلي، طه حسين، ص 331

⁶ الأمثال والعصر الجاهلي دراسة تحليلية، محمد توفيق أبو علي، ص 7،

حكمة تنير العقل بقوة المنطق، وعبرة تبهج النفس بجمالية اللغة، فلا غنى للشعراء عن تضمين الأمثال، وتزيين أشعارهم بها، وهي من النصوص الفنية الحاضرة في الشعر السوكي، بكلتا الطريقتين: مثل منقول بالنص، ومنقول بالمعنى.

1. المثل المنقول بالنص:

المثل العربي من الكلام الفني المشاع بين الناس، ويجوز حكيه في مناسبتة دون إسناذه إلى قائله، لكن يجذون نقله دون تغيير حرف منه،¹ وفي الشعر يصعب احترام هذه القاعدة، إذا لم يكن المثل في أصله بيتا، ولكن يوفق الشاعر أحيانا لإدماج المثل المنثور في بيته، كما قال أعالي اليماني²:

فَصِرْتُ (أَحْيَرُ مِنْ ضَبٍّ) وَأَذْهَلُ مِنْ ضَبٍّ وَلَمْ أَدْرِ بَيْنَ التَّبَنِ وَالتَّيْنِ

ف(أَحْيَرُ مِنْ ضَبٍّ)، مثل عربي قديم، يضرب للحائر، (لأن الضب إذا فارق جحره لم يهتد للرجوع)³.

ومثله قول الشيخ هارون⁴ :

(على نفسها بَحْنِي بَرَقِشُ)، فَالْحَزْمُ تَأَيَّيَ اللَّيْبِ حَيْثُ لَمْ يَسْتَقِمَّ عَزْمُ

فالشطر الأول مثل قديم، له قصة طويلة، وبراقش اسم كلبة، يدعي بعضهم أنها بنت لقمان، والصحيح أنها اسم كلبة، وتلك الكلبة أهلكت أهلها بنباحها، حين أغار عليهم الأعداء فاختفوا، وبعد ذلك نبحت فرجعوا ووجدوا مكنهم، فقصوا عليهم، وعليها، فيضرب لكل من تسبب إلى قومه أو نفسه بالأذى.⁵

¹ المرجع السابق ص 25

² مجموعة شعرية سوكية أرسلها الأخ نافع أحمد

³ مجمع الأمثال، الميداني، ص 227، ج 1

⁴ الجواهر الثمين ف أخبار صحراء الملثمين، العتيق سعد الدين، ص 393

⁵ جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي، مادة "برقش".

2. مثل منقول بالمعنى:

هذا النوع كثير، في الشعر السوكي، فهم يحيلون إلى الأمثال، ويغيرون ألفاظها، ويأتون بها في مناسبات جديدة، كقول محمد أحنى¹:

مُتَيِّقًا أَنْ الظَّلِيلَ وَإِنْ رَجَا دَرَكَ الضَّلِيلَ فَشَأْؤُهُ مُتَقَلِّلٌ

فالييت في تناص حميم مع المثل القائل: (لا يدرك الظالع شأو الضليع)²، فقد أحال إليه الشاعر كحجة قوية، ومقولة فلسفية لا تقبل النقاش، والظالع كلب ضعيف، عكس الضليع، يضرب فيه مثل قديم بصيغة (إذا نام ظالع الكلاب)³!

وهكذا فإن الشاعر السوكي يتجول داخل حديقة التراث العربي الإسلامي مستنشقا لأريجها، متماهيا مع أنوارها، وأزهارها، فيقتبس، ويقتطف ما يزين به مقاطعه الشعرية حتى تخرج بأبهى حلة، وتشفي في القارئ المتذوق كل غلة، ولكنه لا يكتفي بذلك وحده كي يتقن إبداع الصورة الفنية البهية، ما لم يزخرها بمختلف القيم الجمالية، البلاغية، ذلك سؤال المبحث التالي.

¹ ديوان الشيخ محمد أحنى، مخطوط غير مرقم بحوزة الباحث.

² مقامات الحريري، ص 13

³ جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، ص 97، ج 1

المبحث الثالث: الصورة الشعرية

أ. المفهوم:

يستهل الدكتور خالد الزواوي كلامه عن الصورة الشعرية" بقوله: (الصورة مصطلح نقدي حديث)¹ وكأنه يجهل أو يتجاهل مدى اهتمام النقاد القدامى بـ"الصورة"، والذين يتزعمهم الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابيه "الأسرار"، و"الدلائل"، وقبله الجاحظ الذي يرى بكل صراحة أن (الشعر جنس من التصوير)²، ويعني ذلك أن (التصوير ليس جانباً من جوانب الصورة فقط، ولكنه الشعر كله)³، ويحلل أستاذنا الرحمني تركيز الجاحظ على البعد التصويري للشعر قائلاً: (ويبدو من خلال هذا التركيز أن أبا عثمان لا يقصد من ذلك الصورة الشعرية فقط، ولكن أيضاً ما تحمله هذه الصورة من أبعاد تخيلية في الشعر)⁴، وها هو الجرجاني يقدم أكثر من تعريف للصورة متجاوزاً بذلك الفهم التقليدي، إلى وعي فلسفي متقدم، ويقول: (واعلم أن قولنا: "الصورة" إنما هو تمثيل لما نعلم بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين أجناس الآحاد تكون من جهة الصورة، فكان تبين إنسان من إنسان، وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا ولا تكون في صورة ذاك، وكذلك الأمر في المصنوعات، فكان تبين خاتم من خاتم، وسوار من سوار بذلك، ثم وجدنا في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقاً، عبرنا عن ذلك الفرق، وتلك البينونة أن قلنا: للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذاك)⁵، ويفصل الإمام مفهومه للصورة أكثر بالخلاصة التالية، التي توضح كيف يتم التصوير في المصنوعات وفي الكلام، ففي الأولى يتم بنحت "صورة"، وفي القول يتم بـ"النظم": (جملة الأمر أنه كما لا تكون الفضة أو الذهب خاتماً أو سواراً، أو غيرهما من أصناف الحلبي بأنفسهما، ولكن يحدث فيهما من الصورة كذلك لا تكون الكلمة المفردة التي

¹تطور الصورة الشعرية في الشعر الجاهلي، خالد الزواوي، ص 27

² الحيوان، الجاحظ، ص 3/131

³ من عناصر نظرية الشعر عند الجاحظ، د عبد الرحيم الرحمني، ص 26

⁴ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

⁵دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاکر، ص 80

هي أسماء، و أفعال، و حروف كلاماً أو شعراً من غير أن يحدث فيها النظم الذي حقيقته توخي معاني النحو، وأحكامه¹.

وبهذا يثبت الجرجاني تطابقاً بين مفهومي "الصورة" والنظم، كما يوضح المعنى الفلسفي، والنقدي معاً للصورة، وهو المعنى الذي لن يزيد عليه د خالد بشيء سوى تغيير الحروف دون أن يشير إلى الإمام ! وها هو يقول: (لكي نحدد الصورة علينا أن نضع أمامنا شيئين مهمين: الأول الوجود الحاضر المائل أمام بصري، ووجوده غائباً متمثلاً أمام بصيرتي، فالأول وجود الشيء، والثاني وجود صورته، ويمكن أن أنمي الوجود الثاني، وأضمه في سلك صور أخرى متشابهة، أو مخالفة لعلاقة بينهما، كما يمكنني تفتيت الصور الجزئية، وتشكيلها على نحو جديد فيه من الواقع، وفيه من الخيال أيضاً)²، على أننا مقتنعون بأن الاهتمام الكبير والمحوري الذي حظيت به "الصورة" في النقد الحديث لا يقارن بما لدى القدامى الذين شغلهم "المصطلحات البيانية الأخرى" كالنظم، والتشبيه، والاستعارة، والكناية، فالمحدثون بلغ بهم الاهتمام بـ "الصورة" أن فكوا ارتباطها المطلق بالمجاز، فبدلاً من ذلك ربطوها أكثر بـ "العاطفة والعالم النفسي عموماً"! (إن قيمة الصورة لا تبدو في قدرتها على عقد التماثل الخارجي بين الأشياء، وإيجاد الصلات المنطقية بينها، وإنما قدرتها في الكشف عن العالم النفسي، والمزج بين عاطفته والطبيعة)³.

ويظهر لي أن النقد القدامى انشغلوا بـ "أدوات الصورة" كثيراً، فلم ينتبهوا للتركيز عليها باعتبارها "الكلي"، بينما المحدثون ينطلقون في تحليلهم من "الصورة" نفسها ليحللوا أجزائها، وآلياتها، وأبعادها اللغوية، والخيالية، والنفسية، وإلا فكلهم يعون البعد التمثيلي، والتصويري للأدب، والشعر، والفن عموماً، وإن اختلفت طرائق التناول، والمعالجة، وتلك النظرة الشمولية للمحدثين حررت "الصورة" من الارتباط الحتمي بـ "المجاز" فليست بالضرورة

¹المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

²تطور الصورة الشعرية في الشعر الجاهلي، خالد الزواوي، ص 28

³المصدر السابق، ص 30

مقصورة على النواحي البيانية المعروفة من تشبيه، واستعارة، وكناية كما لدى القدامى، (بل قد تطلق على أساليب من الحقيقة)¹.

لكني في تحليتي هنا سأحفظ أكثر بالاتجاه الذي يربط الصورة بـ "المجاز"، "والتشبيه"، دون تجاهل البعد "النفسي"، فما يهم المبحث هو تقديم نماذج من الصور الفنية الرائعة في الشعر السوكي، تشويقاً وإغراءً إلى هذا الديوان العربي المنسي وراء الصحراء الكبرى، وذلك من خلال المحورين التاليين:

أ. آليات التصوير الشعري لدى السوكيين:

ب. تحليل نماذج مختارة للصورة الشعرية.

¹ انظر: التعبير البياني، السيد شفيق، ص 175، نقلاً عن: الصورة الشعرية عند العميان في العصر العباسي، محمد أحمد الدوغان (رسالة لنيل الدرجة الماجستير في الأدب العربي - جامعة أم القرى، 1988م، ص 14)

أ. آليات التصوير الشعري لدى السوكيين:

تعتمد اللغة الشعرية في التصوير على وسائل رسم معينة، أهمها "التشبيه"، و"الاستعارة"، و"الكناية"، وهي آليات لها وظائفها، التي ترجع كلها إلى "التوضيح، والإبانة"، يقول العسكري: (إن التشبيه يزيد المعنى وضوحاً، ويكسبه تأكيداً، ولهذا أطبق عليه جميع المتكلمين من العرب، والعجم، ولم يستغن عنه أحد)¹، ويرى ابن سنان في الاستعارة ما يراه في التشبيه من توضيح المعنى: (رفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى لا العكس)²

تلك هي الأبواب الرئيسة لـ "علم البيان"، وفي الواقع ترجع كلها إلى "التشبيه" الذي يعني لغة "التمثيل"، والتمثيل في النهاية هو التصوير، لأن "الاستعارة" ليست سوى تشبيه حذف أحد طرفيه، و"الكناية" كذلك تشبيه ليس صريحاً، وتفصيل ذلك مع التطبيق هو الآتي باختصار.

1. التشبيه:

التشبيه هو "(الدلالة على أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بواسطة أداة من أدوات التشبيه)³، ويقسم عبد القاهر الجرجاني التشبيه إلى نوعين: تشبيه لا يحتاج لبعد نظر من أجل وضوح وجه الشبه، وآخر يحتاج لتأول لبعد العلاقة بين المشبه والمشبّه به⁴، ويحتل التشبيه مكانة عظيمة جداً لدى الإمام، ويبدو أنه جعله منطلقاً أساسياً لكتابه "أسرار البلاغة"، واستهل به تحليله، وتنظيره، ويكاد الكتاب كله يكون تفرعات للتشبيه!، إلا أنه يفرق بينه وبين "التمثيل" علماً بأن الأخير جزء من الأول، فما يحتاج للتأمل، والتأول هو "التمثيل"، وغيره هو التشبيه⁵، على أن البلاغيين المتأخرين سيسمون بعده النوع الأول

¹الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص 243

²سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تحقيق عبد المعالي الصعيدي، ص 108

³بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في البلاغة، عبد المتعالي الصعيدي، ص 384

⁴انظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص 95

⁵المرجع نفسه، ص 98

ب"التشبيه التمثيلي"، ويدرجونه ضمن أنواع التشبيه، وهو الذي يكون فيه وجه الشبه منتزعا من عدة صور¹! وهو أبلغ التشبيهات.

تبعا لتقسيم البلاغيين القدامى للتشبيه نعرض نماذج مختارة في الشعر السوكي، للاطلاع على أبداع الصور التي رسمها السوكيون عن طريق التشبيه على مستوى الأنواع الثلاثة: (التشبيه غير التمثيلي/ التمثيلي/ الدائري).

أ. التشبيه غير التمثيلي:

هذا النوع - بكل أشكاله التي شرحها البلاغيون مؤخرا من "التشبيه المفصل، والمجمل، والمؤكد، والبلغ، والضمني" - متوفر بكثرة لافتة في المتن الشعري السوكي، وهذه أمثلة لكل واحد²:

1. التشبيه المفصل:

وهو الذي ذكر فيه وجه الشبه³، كقول الشاعر عبد القادر⁴:

سَيَّانٍ دُرِّيُّ الْعُقُودِ وَثَغْرُهُ فِي النَّظْمِ، لَا فِي كُلِّ مَا هَيَّاتِهِ
كَالْغُصْنِ قَدًّا⁵، كَالْغَزَالِ تَلَقُّنَا كَالْبَرْقِ فِي الظُّلُمَاءِ فِي بَسْمَاتِهِ

ففي البيت الأول بالغ في التصريح بوجه الشبه، لمزيد من التركيز على ذلك الوجه بعينه، فشبه "ثغر الظبي" الذي يعني به "المعشوقة" ب(دري العقود)، مؤكدا أن ذلك الشبه في (النظم) فقط، لا في كل الجوانب، لأن الثغر في بقية الزوايا أجمل بكثير من دري العقود، وفي البيت الثاني عدة تشبيهات صرح فيه بوجه الشبه، فالظبي مثل الغصن في القامة، والغزال في

¹ انظر: مفتاح العلوم للسكاكي، ص 349، ج 1، وجواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص 233

² توجد النماذج المختلفة بسائر هذه التشبيهات عند أي شاعر من الشعراء، لذلك سنعمد للتنوع، والاختلاف بين الشعراء.

³ انظر: جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص 235

⁴ الشيخ عبد القادر وشعره دراسة وصفية تحليلية، أحمد محمد، ص 66

⁵ - القد هو القامة

حسن التلفت، والبرق في الابتسام من خلال الظلمات، وأحيانا يعتمد الشاعر إلى إخفاء وجه الشبه لغرض ما!

2. التشبيه المجمل:

وهو ما لم يصرح فيه بوجه الشبه¹، فقد يخفي الشاعر تارة وجه الشبه، ولا يصرح، بل يكتفي بالتلميح لإعطاء القارئ فسحة التأويل، وأحيانا من شدة وضوح وجه الشبه، وهذا النوع كثير جدا في الشعر السوكي، كالبيتين التاليين للشاعر الحاج²:

مَهَاءٌ لَهَا جَيْدُ الْمَهَاءِ، وَحَاجِبٌ كُنُونٌ، وَفَوْقَ نُونِهِ غُرَّةُ الْبَدْرِ³
وَطَرْفٌ سَقِيمٌ كَالسِّنَانِ لِعَاشِقٍ لَهُ فَتَكَاتٌ كَالْهَزْبِ أَيْ أَجْرٍ⁴

فالبيتان غنيان بالصور البيانية، والشرط الأول منه يبدأ باستعارة فتشبيهه، ويبدأ شرطه الآخر بالتشبيه ثم الاستعارة، دون التصريح بوجه الشبه في كل، فجيدها استعار له جيد المهامة في الطول، والجمال، والحاجب بالنون في التقوس، ثم شبه جبهتها بغرة البدر عن طريق الاستعارة التصريحية المجردة!

ثم دبج البيت الثاني بهذا التشبيه المركب التمثيلي، الرائع، فطرفها رغم سقمه! يشبه الرمح للعاشق، إذ يفتك به كفتك الأسد المدافع عن جزوه!

وفي بعض الأحيان يحذف الشاعر أداة التشبيه نفسه من شدة الشبه الذي يتخيله بين الطرفين، فيكون المشبه هو المشبه به عينه!.

¹ جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص 235

² الإمتاع والإبهاج، أحمد محمد الحاج، ص 247

³ (المهامة): بقرة الوحش، (الجيد): العنق، (الحاجب): العظم الذي فوق العين بما عليها من لحم، والشعر النابت عليها اللحم. (نونه): حرف النون على شكل القوس، والشعراء يشبهون الحاجب بالنون إذا كان مقوسا، وذلك جمال فيه.

⁴ (السنان): الرمح، (الفتكات): جمع فتكة، والفتك: أن يقتل الرجل الرجل مجاهرة، وقيل: أن يأتيه على حين غرة فيقتله، (الهزبر): الأسد، (أجر): جمع جرو، وهو الصغير من ولد الكلاب والسباع، وأصله: أجرو، على وزن أفعل.

3. التشبيه المؤكد:

و المؤكد هو الذي حذفت فيه أداة التشبيه¹، كما يقول هارون وهو يمدح الزعيم الفلاني المدعو "بلو"²:

هو الوَبْلُ فِي الْمَعْنَى فَوَافَقَ لَفْظَهُ فجاءَ عَلَى وَفْقِ اتِّفَاقِهِمَا الْبَلُّ

فبإيجاء بديع، واستدعاء دلالي لغوي يشبهه ب"الوبل" معنى ولظفا، فمنهما "البلُّ" معا، والمطول، كناية عن مدى جوده، وقد حذف أداة التشبيه من شدة التشابه الكبير الذي يعتقد بين "الوابل" و"بلو"، ومثله تشبيه قوم الممدوح ب"الأقمار" والنجوم" لاشتراكهم معها في "إنارة الطريق"، و"اهتداء الناس" بنورهم، كما في قول أعالي اليماني³:

وَبِصَحْبِهِ فِي كُلِّ خَيْرٍ يَهْتَدَى مَا فِيهِمْ إِلَّا أَبْرُ مُوَانِسِ
أَقْمَارُ لَيْلٍ جِهَالَةٍ وَنُجُومُهَا مِنْ هَاشِمٍ أَوْ خَزْرَجِيٍّ كَائِسِ

ويبلغ التشبيه ذروته تارة حين يحذف كل من أداة التشبيه، ووجه الشبيه، فيحتد إيهام أن المشبه به هو عين المشبه، ولذلك يسميه البلاغيون:

4. التشبيه البليغ:

يعرفونه بأنه ما حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه معا⁴، كما في المثال السابق، وفي قول الشاعر المرتضى⁵:

هُوَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ وَمَنْ إِذَا مَا كَسَا الْغَيْمُ السَّمَاءَ الظَّلْمَا أَنْارًا

¹ جواهر البلاغة، الهاشمي، ص 236

² الجواهر الثمين، العتيق سعد الدين، ص 392

³ مجموعة شعرية أرسلها الأخ نافع أحمد

⁴ جواهر البلاغة، الهاشمي، ص 236

⁵ مجموعة شعرية مخطوطة مبعثرة لدى الباحث.

فهو يجعله قمرا مباشرة دون تحديد وجه الشبه بصورة مشتركة، وإن شرح الأمر في الشطر الثاني بطريقة استثنائية، كما أنه لم يصرح بأي أداة من أدوات التشبيه.

5. التشبيه الضمني

لأنه الذي يرد ضمنا، من غير أن يصرح به من خلال الطرق المعهودة¹، فيترك أمر عقد التشبيه للقارئ نفسه، وهدفه غالبا توضيح أن الصفة المثبتة ممكنة، وكأنه "حجة بلاغية"، ومثاله في الشعر السوكي قول أحمد الإمام محمد إكنن²:

لَا تُنْكِرُوا دَمْعَ الْمُحِبِّ إِذَا انْهَمَى لَا غَرَوَ إِنَّ جَادَ السَّحَابُ بِقَطْرِهِ

فهناك قضيتان في شطري البيت، الأولى: "انهمار دموع المحب"، وتم إيراد الثانية "جود السحاب بقطره"، باعتبارها حجة على إمكانية الأولى، فكأنه قال: "دمع المحب ينهمي كما يجود السحاب بقطره"، لكن عدل عن ذلك الأسلوب الصريح في التشبيه إلى طريقة تشبيهية أخرى ضمنا! ومن صورته الجميلة قول الشيخ ذو الكفل:

لَا تُنْكِرُوا شَرَفِي عَلَى بُلْغَائِهِمْ عَلَتِ الصُّدُورُ وَفَوْقَهُنَّ الْهَامُ

فيريد أن يقول: "كما لا يستغرب أن الصدور عالية، ومع ذلك فوقهن الهام، فكذلك لا ينبغي استنكار تفوقه على البلغاء رغم بلاغتهم"، فهو تشبيه مركب ضمنا، فهو يشبه نفسه ب"الهام"، والبلغاء ب"الصدور"، وهو نفسه يقول في رثاء الشيخ حمّادو، متحدثا عن كونه لم تتغير مكانته بعد الموت، فهو يكاد يزداد علوا، وسموّاً في لحدّه³:

لَا تَعْجَبُوا أَنَّ عَلَا فِي اللَّحْدِ جَوْهَرُهُ فَلَمْ تَرَوْا جَوْهَرًا يَغْلُو كَمَكُونٍ⁴

¹المصدر السابق، ص 239

² القصيدة مخطوطة بحوزة الباحث، وانظر أيضا: ديوان الشاعر أحمد الإمام دراسة وتحقيق علي سليمان، ص 84

³ من أوراق متفرقة لدى الباحث، وانظر أيضا: ترغيب المشوق لزين الدين محمد الصالح، ص 93

⁴ لا تعجبوا: تشبيه ضمني مثل به حال الشيخ على نفاسة جوهرة وطيب طينته، وهو في اللحد، بالجوهرة الذي يكون أنفاس ما يرى إذا كان مكثونا.

فكما أن أغلى الجواهر هي المكنونة، فكذلك الشيخ بعد اللحد أيضا غال معناه، وجوهره!
فقيمته المعنوية الروحانية لم تتأثر بالموت!

وهكذا ظل السوكيون يبدعون الصور البيانية مستخدمين آلية التشبيه بأنواعه المختلفة، وتلك نماذج سريعة للنوع الأول القريب من "التشبيه"، وها هو القسم الثاني الذي يحتاج إلى تأول، واستخدام نظر لدى الجرجاني.

ب. صورة من النوع الثاني: التمثيل:

فقد تقدم تعريف كلا النوعين، ويبقى التذكير بأن هذا النوع أشد عمقا، وأكبر تأثيرا في التصوير، باعتزاف النقاد القدامى، ولذلك خصوه باسم "التمثيل"، وحده رغم أن الصور السالفة لا تخلو من البعد التصويري، التمثيلي، نقرأ هذه الصورة المدهشة بواسطة التشبيه التمثيلي لمحمدو يوسف في وصف روضة¹:

كَأَنَّ ضَاحِيَّ حَصْبَاهَا إِذَا انْحَسَرَتْ خَيْطَانُ عَوْسَجِهَا عَنْ شَمْسٍ ضَاحِيَّةٍ²
دُرٌّ تَنَاطَرُ أَوْ لَوْلٌ مَنْضُدَةٌ مِنْ لَوْلٍ لَافِظَةٍ أَوْ مِنْ زَبْرَجْدَةٍ

فوجه الشبه بين حصبا الروضة، ورمالها في جنباتها، وبين الدر المتناثر ليس مفردا، بل هي صورة مشبهة بصورة!، فهناك صورة الرمل المتناثر جنب الروضة تحت أنوار الشمس، شبهت صورة درّ تنأثر، أو لآلى منضدة، منظمة!

ومن الصور الرائعة في هذا التشبيه قول أحمد موسى وهو يشبه ناقتة في سرعتها بـ "نعام" تذكر بيضه، فأصبح يعدو مثل الريح!³:

فَكَأَنَّهَا هَيِّئُ تَذَكَّرَ بَيْضَهُ فَعَدَى يَعُودُ لَهُ كَمَرٍ شَمَالٍ

¹ ديوان الشاعر مجهو يوسف المخطوط: المدد الرباني في إرادة من رباني، ص 5 وانظر أيضا بحثي لنيل الماستر: الشاعر النسقي دراسة وتحقيق لديوان الشاعر مجهو يوسف، ص 119

² العوسج: معدن باليمن، وشنوك.

³ في قصيدة مخطوطة بحوزة الباحث.

وبجانبه نوع آخر من التشبيهات المعقدة، والمركبة أكثر، هو نوع يجمع بين التشبيه العادي، والتمثيلي، كما يحمل عنصر المفاجأة الأسلوبية، عن طريق المقارنة، ويسمى:

ج. التشبيه الدائري:

ويعرفه أحد الباحثين: (بأنه المشابهة التي يحدثها الشاعر بين شيئين أو أشياء في تركيب فاتحته نفي بحرف "ما"، وخاتمة إثبات بحرف "الباء"، واسم التفضيل الذي على وزن "أفعل")¹، وهو من آليات التصوير الفني القديمة، التي تجمع بين جمالية البديع، وقوة البيان، حيث يتمكن الشاعر من رسم صورة بليغة، في منتهى الإقناع والتأثير ثم يفاجئنا بأنها أقل مكانة، أو مثل الصورة التي يتحدث عنها، في مقارنة شديدة بين المشبه، والمشبه به، حيث يكشف الشاعر عن مساواة حقيقية بين طرفي التشبيه، إن لم يكن المشبه أصلاً أقوى في وجه الشبه، ويتنافس الشعراء في ذلك التركيب، ها هو الشيخ الخضر متحدثاً عن وجدته، وشوقه²:

فَمَا أَبُو وَاحِدٍ حَانَ أُتِيحَ لَهُ	أَنْ حَانَ فِي غُلُوِّ اللَّهْوِ وَاحِدُهُ
فَظَلَّ يَشْرُطُ بِالْمِشْرَاطِ لَمَّتَهُ	وَيَلْطِمُ الْحَدَّ حَتَّى كُلَّ سَاعِدُهُ
يَوْمًا بِأَحْزَنَ مِنْ وَلَهَانَ أَخْبَرَهُ	وَشَكُّ الصَّرِيمَةِ أَنَّ الْوَجْدَ فَائِدُهُ ³

وأبدع من هذه الصورة تصويره لجلالة ذكر أخيه، وحببيه محمود مُجَّد الصالح في بعض إخوانياته⁴:

وَمَا الضَّحْكُ الْمَازِي دَارَتْ كُؤُوسُهُ	عَلَى الرَّاحِ وَاحْلَوْلَى لِيَكْرِ وَمَالِكُ ⁵
وَلَا خَمْرٌ مِنْ خَمْرِ عَانَةٍ زُوِّجَتْ	بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءِ صَدَاءِ عَاتِكِ ¹

¹الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً، عفيف عبد الرحمن، ص 312

² من قصائد مخطوطة للشيخ بحوزة الباحث.

³فائده: مصيب فؤاده.

⁴ المرجع السابق.

⁵الضحك: العسل

بَأَعَذَبَ فِي الْأَفْوَهِ مِنْ ذِكْرِهِ، وَلَا
رُضَابٍ مَهَاةٍ مِنْ مَهَا الْأُنْسِ فَالِكِ

فالشاعر في هذه الأبيات الثلاثة رسم ثلاث صور (المشبه به) هي:

أ. عسل ماذي، ممزوجا بالراح، وصار حلوا باعتراف قبيلتي بكر ومالك المعروفتين
بخرتقهما الطويلة في العسل.

ب. خمرة من خمر "عانة" وهي جهة أخرى خبيرة في صنع الخمر، ويوثق بمنتوجها
السلافي، وتلك الخمرة مزجت بماء صداء ...

ت. رضاب فتاة جميلة، فالِكِ، مثل بقر الوحش.

هذه أقوى نماذج الحلاوة التي تخلق الألباب، وتسكر أولي النهى ثم يؤكد الشاعر أن هذه
"المسكرات" ليست بأعذب في الأفواه من ذكر "محمود"!!

فهو إبداع في التصوير، وتقريب كبير للصورة، عبر تشبيه ضمني، بأسلوب مقارنة ومفاجأة!
وبهذا تتبين معالم التصوير والرسم على يد الفنانين من شعراء "اسْوَكَ" بواسطة "التشبيه"،
مستخدمين سائر الأساليب التشبيهية المعروفة في الشعر العربي القديم، وليست التشبيهات
أكبر لديهم من "الاستعارة" التي يعتبرها البلاغيون أبداع من التشبيه.

2. الاستعارة:

الاستعارة: مجاز علاقته المشابهة، أو بعبارة أخرى: تشبيه حذف منه أحد طرفيه (المشبه
أو المشبه به)²، والاستعارة أقوى أدوات التصوير، حيث يظهر المصوّر متشابها، مختلطا

1 عانة: قرية على الفرات تنسب إليها الخمر، وزوجت: خلطت، والشيم: البرد، والصداء: ركية، أو عين ما
عندهم أعذب منها، ومنه: "ماء ولا كصداء"، وعاتك: أحمر حمرة زائدة.
² التلخيص في علوم البلاغة، القزويني، 296 و 330

ب"المشبه به"، وكأنه هو أو أعلى منه في خصوصيته المعنية، وتزدان القصائد السوكية كثيرا بهذا الأسلوب العربي المبين، وفيما يلي نماذج مختارة لروعتها:

نموذج 1

يتحدث حمداً مُجّد حادي عن دعوته عليه الصلاة والسلام¹:

تَنَفَّسْتُ فِي دِيَاغِي الْجَهْلِ دَعْوَتُهُ صُبْحاً مَبَادِيهِ تَدْثِيرٌ وَتَزْمِيلٌ
فَدَوَّخَ الْغَيِّ فِي أَيَّامٍ عَزَّتْهُ إِذْ تُعْرِفُ اللَّاتُ وَالْإِيمَانُ مَجْهُولُ

في تلميح خفي إلى الآية الكريمة (وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ) "سورة التكوير، آية 18"، يشبه "دعوته" عليه السلام ب"فجرٍ" أو ب"نور" تَنَفَّسَ ب"الصبح" بين "ظلمات" الجهل"، فانزاحت، واستحالت إلى أنوار عمّت الكون كله، وكانت الصورة هنا مركبة من استعارات متنوعة، من استعارة مكنية إذا أُجريت في "الدعوة" أو "تبعية تصريحية" إن أُجريت في "تنفست"، مروراً ب"دياجي الجهل"، وهي استعارة تصريحية مجردة، على أن الصورة القوية المدوّية تأتي مع البيت التالي، حيث يظهر "الغي" متأثراً بفعل هذه "الدعوة"، واختار الشاعر كلمة "دَوَّخَ" تعبيراً عن حالة الهزيمة النكراء التي لحقت ب"الضلال"، بعدما كان في "عزّ وقوة"، فهذه الاستعارة المزدوجة، والمزاوجة مع "مقابلات" تحدد - بشكل حاسم - فترتين زمنيتين تاريخيتين تمت الإشارة إichاء إلى انتمائهما الزماني باستخدام كلمة "الدياجي" والصبح" و "الأيام"، والحال أن المقصود تصوير:

ما بعد الدعوة المحمدية

انتشار صبح الدعوة
انحزام الضلال والباطل
تكسر اللات، ويعرف الإيمان

ما قبل الدعوة المحمدية

سيادة ليل الجهل
عزة الغي والضلال
تعرف اللات، ويجهل الإيمان

¹ ترغيب المشوق لزين الدين، ص 303

وبضدها تتميز الأشياء، فقد تمكن الشاعر حقا من رسم الصورتين المتقابلتين أعلاه،
عبر استعارات بديعة.

نموذج 2: يقول هارون مُجَدِّد مفتخرا بقومه السوكيين¹:

ففاضَ عليهمَ علمٌ موهبةٍ على علومٍ اكتسابٍ كلُّ أمرِهِمُ يعلُو
إذا ما تصدَّى المرأُ للغَضِّ مِنْهُمْ تموجُ قوامسُ يُحسُّ لها زجلُ

فقد استعار كلمة "فاض" لوجود "العلم الموهبي" مع "العلوم المكتسبة" فيهم، بجامع الانتشار، عن طريق الاستعارة التبعية، ولللمظة "فاض" دلالة بيانية شديدة هنا فهم في "فيض معرفي وعرفاني"، فعلومهم فائضة!، لذلك ستأتي الاستعارة الأخرى معقولة، ومناسبة قد هيئت لها الأجواء في البيت الثاني عبر كلمة "القوامس"!!، فقد استعار لـ "القوامس" اللغوية معناها اللغوي الأصلي "البحار"، بتورية واستعارة معا، ويذكر شيء من لوازم البحار: لفظة (تموج)، وهي ردة الفعل التي تأتي تلقائيا كلما حاول أي إنسان أن يسيء إلى "آل اسؤك"، وهو تعبير في النهاية كناية بليغة عن شدة علاقتهم الوطيدة مع اللغة العربية، التي كني عنها بـ "القوامس"!!، فهي تدافع عنهم مباشرة!

- نموذج 3

يقول ذو الكفل مُجَدِّد: من قصيدة في رثاء سيدي مُجَدِّد باي الكنتي، فيمدحه قائلا²:

وَيُنْبِتُ فِي أَرْضِ الْقُلُوبِ إِنَابَةً فَتَحِيَّ كَمَا يُحْيِي مُوَاتَ السَّفَا الْقَطْرُ

¹ الجواهر الثمين للعتيق سعد الدين، ص 251

² ترغيب المشوق، زين الدين، ص 117

عبر كلمات استعارية فاتنة فنيا صوّر ذو الكفل أفعال الشيخ المتوفى، بأفعال مجازية في أرض مبتكرة (أرض القلوب)!: (إنبات الإنابة)، (حياة القلوب بالشيخ)، فاللافت للنظر هنا تصريحه في النهاية بالمشبه به، بعدما أخفاه، فأنتهى البيت بالتشبيه الذي أضمره، مؤكداً بذلك قوة الشبه بين أثر الشيخ في القلوب، وأثر المطر في الأرض.

كناية عن مدى تقواه، وعظمة كرامته، ومقدار تربيته لمريديه، والناس أجمعين، و"الكناية" إحدى الأساليب التصويرية التقليدية للشعر العربي، واستثمرها السوكيون في رسم الصور الفنية الجميلة.

3. الكناية:

الكناية كما يعرفها القزويني نقلاً عن السكاكي: (لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه)¹، وهي من أطف أساليب البلاغة باتفاق أهل الفن²، وممن يستخدمون في صورهم هذا التمثيل الشيخ الخضر كقوله في إحدى إخوانياته إلى محمود مُجَدِّ الصالح³:

وَذُو بُرْمَةٍ رَحْرَاحَةِ الْقَعْرِ لَمْ تَزَلْ تَفُورُ بِلُحْمَانِ النَّيَاقِ الضَّنَائِكِ⁴

فيمدحه بأنه صاحب قدر واسعة القاع، والقعر، وعادتها أن تفور بلحوم النوق العظام، فالملقود هنا هو لازم المعنى الذي هو "الكرم، وحسن الضيافة" كما يقولون: "كثير الرماد" للدلالة على نفس المعنى بواسطة الكناية، ويقول في بيت آخر يشكو الوجد والهيام⁵:

وَهَبَّ إِعْصَارُهُمْ فِي جَوَانِحِنَا لَوْ هَبَّ فِي أَجَا رُضَّتْ جَلَامِدُهُ

¹المصدر السابق، ص 337

²جواهر البلاغة، السيد الهاشمي، ص 290

³من قصائد للشيخ مخطوطة بحوزة الباحث.

⁴الضنائك: ج صنوك كجندب: الناقة العظيمة.

⁵من قصائد للشيخ مخطوطة.

فمع الاستعارة الواضحة في "إعصار همّ" الذي هبّ بقوة في جوانحه، والذي وصلت درجة قوته أنه لو دهم الجبل المعروف بـ "أجأ" لاندك اندكاً، وذلك كناية عن شدة مكابדתه للشوق، وتعرضه لرياحه العاتية، في تصوير مؤثر للمعاناة التي يخلفها الوجد، وتباريحه. وكما قال الشاعر مُجَدُّو تانا¹:

تَغْلِي مَرَاجِيلُ حَرْبٍ فِي صَدُورِهِمْ إِنَّ الْمَرَاجِلَ يَصْلَوْنَ الْمَرَاجِيلَا

فغليان المراجيل في صدورهم كناية عن شدة هيجانهم، وغضبهم المهلك للأعداء، فهم ينفثون النيران عليهم، ويصلى أعداؤهم بها.

بعد استعراض هذه الصور الجزئية انطلاقاً من آليات التصوير التقليدية عند السوكيين، يجدر بنا الوقوف سريعاً مع "الصور المركبة" في هذا المتن الغني بملامح الإبداع.

ب. نماذج من الصور الشعرية المركبة:

لتحليل هذا المحور اخترت أربع نماذج مختلفة: صورة طبيعية، وأخرى بدوية، وثالثة صورة المرأة لديهم ونختم الكلام بصورة حضارية.

1. صورة طبيعية: الروضة:

يقول الشاعر محمّدو يوسف واصفاً روضة من محض خياله المتدفق²:

في روضةٍ قد زهتْ أنوارُها ونمتْ أزهارُها وحكتْ مسكاً بأصورتِها
فيحاءً طيبةً الأنفاسِ قنّعها فصلُ الربيعِ قناعاً من سفرجلتِها³

¹ ترغيب المشوق، زين الدين، ص 468

² ديوان الشاعر محمّدو يوسف المخطوط: المدد الرباني في إرادة من رباني، ص 5 وانظر أيضاً بحثي لنيل الماستر: الشاعر النسقي

دراسة وتحقيق لديوان الشاعر محمّدو يوسف، ص 155

³ البيت ساقط من "ب"، السفرجل: نبت.

مُخَضَّرَةٌ طالما احمرَّتْ شقائقُها
والنخلُ ما بينَ باسِقٍ مُهْدَبَةٍ
وكارعٍ أَثَّةٍ قِيدًا مُوَبَّرَةٍ
يشدو بها بينَ جناتٍ مزخرفَةٍ
كَأَنَّ ضاحِيَّ حَصْبَاهَا إِذَا انحسرتْ
دُرٌّ تَنَاطَرُ أَوْ لَوْلُ منضدةٌ
يبيتُ كلُّ مُلثٍ وادِقٍ زجلٍ
تنتابُ سقَفَ السماءِ الأيُّ تحسبنا
تري الغصونَ نشاوى من نداوتها
يَدُبُ فيه من الأعلى لسافلةٍ
كالروحِ في الجسمِ أَوْ كالراحٍ يُحسبُ في
تخالُ سقَفَ السَّمَا عَ الماءِ مُنْبَسِطًا
وتحسبُ الشهبَ سُحْبًا والسما لججًا
تري به تُحَفَ الثُّفاحِ ناميةٌ

وافترَ نُوارِها في وجهِ نَرْجِسَةٍ¹
صنوا مُهْلِبَةٍ قَنَوا مَهْدَلَةٍ²
أَبْرًا موكِتَةٍ بُسْرًا مُكَمَّمَةٍ³
ما بينَ أودَعٍ غَرِيدٍ وَعِكرِمَةٍ
خيطانُ عَوْسَجِها عن شمسٍ ضاحِيَّةٍ⁴
من لولٍ لافِظَةٍ أَوْ من زبرجدَةٍ
يَشِي فينشرُ عنها الرِيطَ من شِيَّةٍ⁵
بحافَةِ الروضِ ضربًا من بنفِستَةٍ⁶
يُراوِدُ الغصنُ غصنًا من مُعانِقَتِها
ماءُ النعيمِ وَمِن سَفلى لعالِيَّةٍ
لا شيءَ متقدًّا في كَفِ ساقِيَّةٍ
من تحتِ ذا السَقَفِ مَمْهُودًا لَأَنْدِيَّةٍ⁷
والطيرُ غاصَّةٌ مصرٍ فوقَ مسبَحَتِها
والسوسنُ الغضُّ منبثًا بحافِيَّةِها

يستحضر مُجَمِّدو في رسمه الفاتن لهذه الصورة جميع "المكونات الساحرة" لسائر الحواس، ويبدع لكل حاسة صورة خاصة بها، فأحضر الألوان، والرائحة، والغناء، والنعومة، ليشبع "العين"، بتلك (الأزهار) الزاهية، مع (أنوارها) الزاهرة، وخضرتها، واحمرار شقائقها، ويغرق "الأنف"

¹النجس: نبت من الرياحين.

²هذب: أصل واحد يدل على طرة شيء، أو أغصان، هلب: أصل واحد يدل على سبوغ شيء، وسعته. "م".

³أث النبات يبتأثا، وأثاته، وأثوثا، وأثاثا: كثر والتف، ولم أر: أثَّة" كما قالها الشاعر، البسر: مرحلة عليا من مراحل طلع النخل، في "ق": (أوله طلع، فإذا انعقد فسياب، فإذا اخضر واستدار فجدا، وخلال، وإذا كبر شيئاً بغو، فإذا عظم فبسر، ثم مخطم، ثم موكت، ثم تنوب (...). "ق".

⁴العوسج: معدن باليمن، وشوك.

⁵الثلث: الندى، ولث الشجر: أصابه، ودق المطر يدق ودقا: قطر. الریط: الملاء إذا كانت قطعة واحدة.

⁶البنفسج: نبت من الرياحين، له منافع صحية سردها صاحب القاموس، كالتنويم، والسعال، والصداع.... "ق".

⁷في "أ" و "ب" [سقف السماع] هكذا موصولا، وهذا سهو من الناسخ، مما يبعد القارئ عن المعنى أكثر، والأفضل هو ما عمله في "ج" إذا كتبها هكذا: [السماء ع الماء]، فالشاعر يريد أن يقول: تخال سقف السماء على الماء منبسطة... فقصر الممدود "السماء"، ثم حذف من حرف الجر "على"، ثانيها، لاستقامة الوزن، وهذا جائز في نحو للضرورة، إلخ.

بطيب (أنفاسها الندية)، و يفتن "الأذن"، بذلك (الغريد) الذي يسجع بين جناحتها، ويوحي إلى مبادلة الأغاني بين "الغريد" وعكرمته" !، لمزيد من حفلة الموسيقى المشتركة، ولا يفوته بعد "اللمس" الذي سيتمناه "اليد" حين يرى صورة (الغصون الناعمة) التي بلغت من النداءة أن يسحر الغصن غصنا، فيراوده، ويتمنى معانقته !!، كما لا ينسى حتى بعد الذوق المادي، ليثير شهية "الفم" حين يقدم له صورة تفصيلية عن (النخل الباسق، وغيره)، وصورة (تحف التفاح النامية) مع (السوسن الغض) آخر المقطع، ثم يجعل (الوادق/ المطر) يبيت عليها بقطراته فتبقى نداوة غصونها، ونضارة أزهارها على الدوام.

تتكرر "الصورة الملونة" أكثر من مرة، لأهمية "العين" لدى الشاعر، فمع تصوير "الأنوار" و"الأزهار" في المقدمة يعود الشاعر إلى حاسة النظر مرة أخرى ناثرا لها على جنبات الروضة رملا من "الدر المنثور"! لا من التراب، كما يدمج نفسه وأصحابه داخل شاشة الصورة الكلية للروضة، فهم عن كذب يبدون (ضربا من ورودها/بنفسجها)! في حالة توحيد صوفي، وشعري، والواقع أن الصورة في النهاية تتوحد مع جمال الكون كله، إذ إنك ستحسب (سقف السماء) واقعا تحت (ماء الروضة)، وتنعكس صورة السماء على السطح وكأنها (لجج البحر)، وتبصر (النجوم) مختلطة (بالطيور) في سباحة عجيبة وسط الروضة!.

إنها لوحة فنان بارع يتقن صنع الصور الملونة، والشهية، والمقروءة، كما يتقن تركيبها في صورة فسيفسائية واحدة، لا يملك الفنان المبدع نفسه خيارا سوى الانغماس فيها، والتوحد معها هو وجمال الكون كله في النهاية، لحظة شعرية شعورية غارقة في فهم وتصوير الجمال الطبيعي.

والعجب أن يبدع هذه اللوحة الفنية شاعر عاش، وتوفي في الصحراء الكبرى، وله في مجال التصوير باللغة العربية هناك زملاء، فلنختر نموذجا آخر أصيلا، ينتمي للبداءة، وعناصرها، "صورة الناقة".

2. صورة الناقة:

يقول الشيخ محمود مُجَدِّد الصالح¹:

وإلا فَبالنُّجْبِ العِتَاقِ نَحَاها	إذا جُلْنَ شَوْطاً مِنْ ذَوَاتِ الوَكَايِكِ ²
رَوَاتِكُ ما أَبْصَرْتَ شَخْصاً أَمَامَها	فَسَلَمْتَ إِلَّا وَهُوَ خَلْفَ الرَّوَاتِكِ ³
مِنْ النَّوْقِ إِلَّا أَنَّ أَقْصَى رَوَاحِها	مَسَافَةً شَهْرٍ وَالْفَتَى غَيْرُ نَاهِكِ
تَحَوَّها الإِسَادُ حَتَّى أَصَارَها	خَنَيا لَها مِنَّا سِهَامُ الفَوَاتِكِ
خَنَيا تَرى بَحْرَ السَّرَابِ شَرَابَها	وَتَحَسُّ سَوْفَ البِيدِ سَفَّ الأَرَائِكِ
وَقَدْ أَخَذَتْ مِنَّا وَمِنْها الشُّرى فما	تَرى غَيْرَ نِضْوٍ فَوْقَ نِضْوِ الحَوَارِكِ ⁴

يتحدث قبل البيت الأول عن وسائل النقل السريعة التي توصله ظعائن الأحبة، ووصف الفرس، ثم انتقل إلى الخيار التالي وهي "النوق"، التي اختار لها صفتين أساسيتين: (النجب/ العتاق)، النجاسة، والعتق، ثم إنها تصدر هديرا كهدير الحمام عند قطع الشوط الأول، مما يعني تجدد نشاطها، واستعدادها للشوط الثاني، فبعد تحديد الصفات الثلاث الأولى: "النجابة/ العتق/ النشاط"، تأتي الصفة المركزية للناقة، ولأية وسيلة نقل، وهي (السرعة)، إنها سرعة خيالية، تتحدد بمفردة أصيلة في معجم "الناقة"، وهي (رواتك)، لكن التعبير البالغ عن السرعة هو الذي تجسده الصورة المفصلة، (ما أبصرت شخصا أمامها وسلمت إلا وهو خلف الرواتك)؛، سرعة لا تقاس إلا بطرفة عين، فكل ما تراه أمامك أيا كان شخصه فلا تسلم عليه إلا ورأيت في الحال وراءك؛، فلا يستغرب أن يقدر (رواحها الواحد) ب (مسافة شهر)، لكنها مميزة بمعجزة، هي (توفير الراحة) رغم تلك السرعة العجيبة، كما تشرحه تنمة البيت (والفتى غير ناهك).

¹ ضمن مجموعة شعرية مخطوطة لدى الباحث

² الوكاوك: جمع وكوك: هدير الحمام.

³ رواتك: جمع راتكة، ورتك البعير: عدا، سلّم: نحت من "السلام عليكم"، من شدة سرعتهم لن تبصر أمامك شخصا وسلمت عليه،

إلا وتدركه في نفسه الوقت وهو خلف !

⁴ الحوارك: جمع حارك: الرجل، نضو: نحيل.

ومع ذلك كله انطلاقاً من مبدأ التوحد السابق في الصورة الأولى لمحمدو يهيم محمود في تصويره لنوقه، والتعبير عن طول الرحلة، وكأنه أشفق عليها في لحظة شعرية مؤقتة!، من شدة ما أنهكت ب(السرى) هم أيضاً أنهكوا، وأخذ منهم السفر جميعاً، بحيث يندمجون هم أيضاً مع صورة (النوق)، فيحدث نوع من التماهي، والتماثل في كل شيء حتى إنك لن تفرق بين "الراكب" و"المركوب"، فلن ترى (غير نضو) فوق (نضو)!

3. من عالم الإنس: صورة المرأة:

رغم النزعة الدينية الصوفية المسيطرة على المجتمع السوكي، ورغم أن الشعراء هناك هم العلماء، رغم ذلك كله أبت التقاليد الشعرية إلا أن يبيحوا لأنفسهم هذا النوع من القول بالشعر، ولذلك نلاحظ أنهم . في النسب . لا يتورعون عن "التصوير الحسي"، للمرأة، وإن كانوا لا يصرحون ب"الممارسات المحظورة" نثائياً، وإن وصف بعضهم مدى افتتانه بجمال "المعشوقة الافتراضية" تلك، فهو يبقى على كل حال غزل عفيف في مصطلح النقاد، ويهمننا هنا شرح الصورة التي يرسمون بها المرأة، ولعل النموذج الآتي للشيخ الحاج محمد أحمد من أهم النماذج المعبرة عن الشكل العام لصورة المرأة بين شعراء كل أسوك¹:

مَهَاءٌ هَآ جِيْدُ الْمَهَاءِ، وَحَاجِبٌ	كُنُونِ، وَفَوْقَ نُونِهِ غُرَّةُ الْبَدْرِ ²
وَطَرْفٌ سَقِيمٌ كَالسِّنَانِ لِعَاشِقٍ	لَهُ فَتَكَاتٌ كَالْهَزْبِ أَيْ أَجْرٍ ³
وَفَرْعٌ أَثِيْتُ فَاحِمٌ مُتْرَاسِلٌ	كَأَنَّ الدُّجَى تَكْسُوهُ بُرْدًا إِلَى الْفَجْرِ ⁴
وَنَعْرٌ شَتِيْتُ أَشْنَبُ إِنَّ لَمَحَّتْهُ	حَسِبْتُ وَمِیْضَ الْبَرْقِ مِنْ ذَلِكَ الشَّعْرِ ⁵

¹ الإمتاع والإبهاج، أحمد محمد الحاج، ص 247

² (المهاة): بقرة الوحش، (الجيد): العنق، (الحاجب): العظام الذي فوق العينين ما عليهن لحم، والشعر النابت على هذا اللحم. (نونه): حرف النون على شكل القوس، والشعراء يشبهون الحاجب بالنون إذا كان مقوساً، وذلك جمال فيه.

³ (السنان): الرمح، (الفتكات): جمع فتكة، والفتك: أن يقتل الرجل الرجل مجاهرة، وقيل: أن يأتيه على حين غرة فيقتله، (الهزبر): الأسد، (أجر): جمع جرو، وهو الصغير من ولد الكلاب والسباع، وأصله: أجرو، على وزن أفع.

⁴ (فرع) الفرع: الشَّعْرُ التَّامُّ الَّذِي لَا نَقْصِيَهُ، (أثيث): طويل، كثير الأصول، ملتف، (فاحم): شديد السواد (متراسل): مسترسل، وهو المنسدل الطويل. (الدجى): جمع دجية، وهي الظلمة، (البرد): جمع بردة، وهي كساء معروف.

⁵ (نعر) هو: ما تقدم من الأسنان، (شيتيت) متفرق غير متراس (أشنب): فيه برد وعذوبة، (وميض البرق): لمعانه الخفيف.

وَمَا الشَّهْدُ إِلَّا رِيْقَةٌ مِنْ لَنَاتِهَا وَمَا الْمِسْكُ إِلَّا مِنْ مَعَاطِسِهَا يَجْرِي¹
 مُنْعَمَةٌ يَحْكِي الْحَرِيرُ أَدِيمَهَا وَكَمْ أَثَرْتُ فِي كَشْحِهَا مِشْيَةُ الذَّرِّ²
 تَزِيدُ عَلَى كُلِّ الْمَهَا حُلَّةَ الْبَهَا وَسَلَبَ التُّهَى وَأَنَّثَا رَبَّةُ الْخَدْرِ³
 تَرَى زُمَرَ الْعُشَّاقِ صَرَعَى بِيَاهَا كَأَنَّهُمْ صَرَعَى الْكُمَيْتِ مِنْ السُّكْرِ⁴

صورة المرأة هنا حسية كلها تقريبا، فقد عمد الشاعر إلى رسمها من "العنق" نازلا إلى "الكشح"؛!، فيجسد جمالها عبر كتلة من التشبيهات، فكل جزء من أجزائها المثيرة يقارن بصورة "أمر آخر" تبيّن وجه الشبه القوي بين طرفي التشبيه، وأغلب التشبيهات الواردة هي ذاتها التشبيهات التقليدية السائدة في الشعر العربي القديم، و يبدأ رسم ملامح "المرأة" بهذا التشبيه التقليدي وهو تشبيه "المرأة" بـ "المهاة" بقر الوحش، مع احتمال أن تكون كلمة (مهاة) الأولى بمعنى الشمس، أي: هي في الحسن مثل شمس، لها جيد كجيد بقر الوحش، وأهم مظهر يثير شعراء الجاهلية هنا هو (العنق/ الجيد)، وطول "العنق" بحد ذاته يعتبر مدخلا شيقا إلى "عالم المرأة"، ثم (الوجه) الذي انتقى الشاعر منه الجوانب "اللامعة" في نظره، وأولها (الحاجب)، فهو مقوس كـ "النون" في الخط العربي، ثم "لمعان" (الجبهة) وصفاءها حتى كأنها (غرة البدر)، وثالث المكونات المركزية في الوجه هو (الطرف)، وإن كان الطرف بحد ذاته يكتسي أهمية عظيمة في جمال المرأة إلا أنه يشير من خلاله إلى (العين) كاملة، من باب إطلاق الجزء، وإرادة الكل، فهو (سقيم)، ورمح فاتك بالعشاق، مثل الأسد تماما رغم سقمه!، فيرسم الشاعر فوق تلك الغرة البهيجة، المستنيرة صورة بديعة لـ "الشعر"، الفاحم المتراسل، فيحكي ذلك المظهر منظرا "ليليا" تلمح في نهايته "فجرا" قائما، مستخدما تشبيها

¹ (الشهد): العسل في شمعها، (لثاتها): جمع لثة - بالكسر والتخفيف، وهي: مغارز الأسنان، (معاطسها): جمع معطس، وهو: الأنف.

² (الأديم): البشرة، (الكشح): الخصر، (الذر): جمع ذرة، وهي أصغر النمل.

³ (المها): بقر الوحش، (البهاء): جهارة المنظر، (النهى): جمع نهية، وهي العقل، (الخدر): بالكسر: يتزيمت للجارية في ناحية البيت.

⁴ (الكُميت): الخمر.

مركبا جليلا، إذ شبه سواد الشعر بدجى الليل، وبياض الوجه بالفجر، فجعل الليل والنهار عاكفين معا في آن واحد!.

ومن تلك الصورة الملونة بالأبيض، والأسود ينتقل إلى صورة ذوقية عذبة، تجسد جمال (الثغر) المفلج، الأشنب، الذي يشبه لمعان أسنانه (وميض البرق)، وبتشبيهه مقلوب يصف عذوبة (الريق)، ونكهة (معاطسها) فالأول يستمد منه الشهد حلاوته، و(شذا المسك) يوضع من معاطسها لا غير!

ثم ينزل الرسم الفني إلى (الجسم) عموما فينحت له صورا، تحكي نعومته، فأديمها يحكيه (الحرير) في اللطف، واللين، بعدها تأتي المفاجأة الأسلوبية، فتلك (المهاة) الموصوفة بهذه الأوصاف تتميز عن بقية "المها" بعدة مميزات أهمها ثلاثة : **مادية**: (حلة البهاء)، و**فعلية**: (سلب العقول)، و**أخلاقية**: (ربة الخدر) أي مصونة، متسترة، ليست ساقطة، ولا متبرجة في الشوارع!.

تَزِيدُ عَلَى كُلِّ الْمَهَا حُلَّةَ الْبَهَا وَسَلَبَ النُّهَى وَأَنَّهَا رَبَّةُ الْخَدْرِ

لذلك فهي صومعة، وأيقونة، وشمس في الخدر، تتوالى عليها زمر العشاق الذين ترديهم بسحرها المادي، والمعنوي، وتفعل بهم ما تصنع الخمر بشاريها لولا أنها تفتك بهم عن طريق (طرفها السقيم)!.

ونلاحظ أنه فصّل في الأوصاف الحسية، وأجمل في الجوانب المعنوية، مكتفيا بـ"الستر" الذي كنى عنه بـ(ربة الخدر)، فهي تبقى دوما تلك الشمس التي تغري الناظرين، ولا يقربون منها، ولذلك فالشاعر نفسه ليس مجرد رسام بعيد عن الدخول في الصورة كعاشقٍ مستهام، فقد استهل المقطع بعشق وصل الاعتراف بأنه (حكم قضائي) من (قاضي الوجد)، فهي تشغل فكره، وتملأ صدره، وهواها مثل (الجمر) في جوانحه:

لَمَعْنَاكِ فِي فِكْرِي، وَمَعْنَاكِ فِي صَدْرِي
قَضَى لِي قَاضِي الْوُجْدِ أَنِّي مُتَيَّمٌ
وَسِرُّ هَوَاكِ فِي الْجَوَانِحِ كَالْجَمْرِ¹
فَلِلْغَرْبِ إِرْسَالُ الْغُرُوبِ إِلَى النَّحْرِ²

وهذا النموذج هو ملخص الصورة الشعرية للمرأة في الشعر السوكي، إلا أنهم في بعض الأحيان ينطلقون من أوصاف "المذكر" إذا بدأ التشبيه بـ "الظبي"، ويتفاوت تصوير غرامهم بعد ذلك ما بين مملح، ومؤكد للهوى، والهيام مثل المقطع التالي للشيخ عبد القادر³:

طَبِيٍّ أَقَامَ الْحُسْنَ فِي أُمَمَاتِهِ	مَا جَارَهَا إِلَّا إِلَى عَمَّاتِهِ
فَانْشَقَّتِ الْأَصْدَافُ ⁴ أَصْدَافُ الْبَهَا	عَنْهُ فَضَاعَ الدُّرُّ بَعْدَ نَشَاتِهِ
مَا إِنْ تَرَى خَمْرًا كَحَمْرِ رُضَابِهِ	كَلَّا، وَلَا تَمَرًّا كَتَمْرِ لِفَاتِهِ
سَيَّانٍ دُرِّيٍّ الْعُقُودِ وَشَعْرُهُ	فِي النِّظْمِ، لَا فِي كُلِّ مَاهِيَاتِهِ
كَالْعُصْنِ قَدًّا ⁵ ، كَالْغَزَالِ تَلْقُتًا	كَالْبَرْقِ فِي الظُّلُمَاءِ فِي بَسَمَاتِهِ
وَيُرِيكَ مُحَمَّرَ الشَّقِيقِ إِذَا بَدَا	قَبْسٌ ⁶ تَوَقَّدَ مِنْ عَلَى وَجَنَاتِهِ
السِّحْرِ مِنْ كَلِمَاتِهِ، وَالْعُودِ مِنْ	نَعَمَاتِهِ، وَالْمِسْكِ مِنْ نَفَحَاتِهِ
وَالْقُوسِ مِنْ نُونَاتِهِ، وَاللَّيْلِ مِنْ	حَدَقَاتِهِ، وَالْحُورِ مِنْ أَحْوَاتِهِ

بعد هذه التجسيد الفاتن للجمال يعترف بالهوى صراحة:

وَدَعَا الْهُوَى قَلْبِي إِلَيْهِ فَمَا ائْتَدَعَى
يُضْمِيكَ قَبْلَ الرَّمْيِ، إِلَّا أَنَّهُ
فِي الْحَالِ وَالْآتِي لِعَيْرِ دُعَاتِهِ
بِلِحَاطِهِ يُضْمِيكَ لَا بِقَنَاتِهِ

¹ (المغنى): المنزل الذي غني به أهله، ثم ظعنوا عنه.

² (الغرب): عرق في مجرى الدمع، (الغروب): جمع غرب، وهو: الدلو العظيمة، ومعنى قوله: (فللغرب إرسال الغروب إلى النحر): يحق لمجرى الدمع من عيني أن يفيض الدموع بغزارة على صدري.

³ الشيخ عبد القادر متال وشعره دراسة وصفية، أحمد محمد، ص 66

⁴ الأصداغ جمع صدف وهو غشاء الدر

⁵ - القد هو القامة

⁶ القيس هو النار أو شعلة منها

فَاعْجَبْ لَهُ يُدْمِي الْقُلُوبَ وَلَمْ يَكُنْ
يَسْطُو عَلَى رُوحِي عَلَى كَلْفِي بِهِ
فَصَرِيْعُ كَاسَاتِ الْغَرَامِ حَيَاتُهُ
إِذْمَاؤُهُ الْأَجْسَادَ مِنْ آفَاتِهِ
رُوحِي الْفِدَاءُ لِرُوحِهِ وَلِدَاتِهِ
كَمَمَاتِهِ، وَمَمَاتُهُ كَحَيَاتِهِ

ونختم المبحث بصورة حضارية، للمستحدثات التي شاهدها الصحراويون، وأثارت فضولهم
الشعري مع أن شعرهم لم يتعوّد الخروج من الموضوعات التقليدية:

2. صورة حضارية: الطائرة:

لم يعن الشعر السوكي لحد الآن بالنظر إلى العالم الحديث، ومعامله المتنوعة، فيقل جدا تناولهم للموضوعات الجديدة، ولكن بمناسبة إثارة مسألة فقهية سبق الحديث عنها حول "الحج على الطائرة" اضطر بعضهم إلى "إبداع تصوير" مبتكر للطائرة، فهم تعودوا إطلاق الأوصاف المعروفة شعريا عن الفرس، أو الناقة، وإن كان لهم الفضل في إعادة تركيبها بصيغ جديدة، وهو ما لم يكن مع الطائرة، ولذا فقد جاءت أوصافهم لهذا "المعلم الحضاري الجديد" . جاءت أوصافا فقيرة، لكن اللوحة التالية جسّد فيها الشيخ الخضر صورة الطائرة كما رآها، وأعجب بها، وقد خلق أجمل صورة شعرية للطائرة، إذ شبهها ب(سمك يطير بأجنحة) فوق السحائب، أو (طيرا بلا زغب)! فهما صورتان عجائبيتان، أليقتان بأن يشبه بهما هذا المخلوق العجيب الذي يقطع المسافات الجوية بشكل رهيب، فهي (صنغ) لا شك أنه من حاذق، ماهر في فنه، فيندهش الشاعر من تماسكها الشديد وكأنها (لوح) واحد، كما يضع لهيكلها العام صورة أخرى تنبئ عن الضخامة، والفخامة، مع القوة، فهي (صورة الهضاب)، ويؤكد الشاعر أنه سبرها جيدا، وتحوّل فيها ولم يجد لها عيبا سوى ذلك (الارتجاج/ الاهتزاز) الذي يشتد عند الهبوط، أو (اللهب) الشديد الذي يتخيله الشاعر وإن لم يره، ولكن يسمع (ضجيجها)، وما سوى ذلك كله فراحة كبيرة، على (كراس مصففة)¹:

عندي محاسن تَرَبُّو عَن حَصَى الكَثْبِ	ما تَنَقِّمُونَ مِنَ الطَّيَّارِ إِنَّ لَهُ
نُومًا عَلَى لَذَّةٍ فِي مَضْجَعٍ رَحْبِ	ظِلٌّ ظَلِيلٌ كَرَّاسٍ صُقِّفَتْ دَعَةً
فَوْقَ السَّحَائِبِ أَوْ طَيْرًا بِلا زَغَبِ	وَاهًا لَهُ سَمَكًا يَغْلُو بِأَجْنَحَةٍ
ذُو فِطْنَةٍ حَازِقٍ مِمَّا سِوَى الْقُرْبِ	سَبَرْتُهَا فَإِذَا صُنْعٌ قَدْ أَتَقَنَهُ
تَدْقِيقِ فِكْرٍ فَلَمْ يَفْتَحْ سِوَى ثَقْبِ	شَدَّ الْمَسَامِرَ سَدَّدَ الْمَنَافِذَ عَنْ
لَوْحٍ وَتَحْسِبُهَا شُقَّتْ مِنَ الْهَضْبِ	كَأَنَّ أَلْوَاحَهُ مِنْ شِدِّ مَا التَّأَمَّتْ
عند الهبوطِ وَإِلَّا ضَجَّةُ اللَّهَبِ	مَا ثَمَّ مِنْ وَضْمَةٍ إِلَّا ارْتِجَاجُهَا

¹ من قصائد للشيخ مخطوطة لدى الباحث.

المبحث الرابع: الموسيقى الشعرية في شعر "كَلْ اسُوكْ":

تعتبر الموسيقى عموماً السمة الأساسية المجمع قديماً وحديثاً على أنها تميز الشعر عن النثر، فالقدماء يعرفون الشعر بأنه "كلام موزون مقفى يدل على معنى"¹، وكأن "الوزن" في هذا التعريف يقابل "الشعر"، ويعتبر الناقد الكبير الجاحظ "الوزن" معجزة الشعر العربي بين أشعار الأمم²، ويقول في سياق التأكيد على إفساد الترجمة للشعر العربي، لأن ذلك يسقط عنه جلابه المقدس "الوزن"، فيقول: "لو حولت حكمة العرب لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن"³، وتأكيد الأصل الغنائي للشعر العربي سبق إليه الشعراء العرب أنفسهم⁴:

تَعَنَّ بِالشَّعْرِ إِمَّا أَنْتَ قَائِلُهُ إِنَّ الغناءَ لهذا الشَّعْرِ مضمائرُ

هذا أحد الدارسين المعاصرين يشيد بدور الموسيقى في تكوين ماهية الشعر قائلاً: هذه الخصوصية التي تنتج عن الإيقاع هي الروح التي تسري في الشعر، أو هي السر الذي بدونها يصبح الشعر جسداً هامداً، ليس فيه إلا العوج والأمت⁵، على أنه تجب الإشارة إلى تفريق المحدثين بين "الوزن" والإيقاع، من أجل الالتباس الكبير بين المفهومين، فإذا كان "الوزن" قديماً يحتل الصدارة لدى النقاد فإن "الإيقاع" اليوم هو الذي يكتسب أهمية تفوق مكانة الوزن سلفاً، لدرجة أن يصفه دارس معاصر بأنه (إلهي، أو سماوي، أو هابط من السماء كالوحي.... كما توحى به كلمة "إيقاع لغويا بنفس المعنى حيث وقع الشيء وقوعاً، وأوقعته إيقاعاً)⁶، ويفرق الباحث مُحمَّد بنيس بين الإيقاع والعروض: (الإيقاع يوجد بالخطاب، وفي الخطاب، فيما العروض نسق سابق على الخطاب، شبيه في وضعيته بالنحو السابق على الخطاب كذلك)، وألف الدكتور مُحمَّد المتقن كتابه "الإيقاع في الشعر العربي المعاصر" لأجل

¹ نقد الشعر، قدامة، ص 215

² انظر كتاب: من عناصر نظرية الشعر عند الجاحظ، لأسناذنا عبد الرحيم الرحموني، ص 45

³ الحيوان، الجاحظ، ص 75 ج 1

⁴ للتفصيل في هذه النقطة يرجع إلى كتاب: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، ص 25

⁵ الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، مُحمَّد المتقن، ص 24

⁶ قراءة نقدية في قصيدة حياة، علوي الهاشمي، ص 154 (الهامش)

تحديد خصوصية الإيقاع، وتوضيح استقلاليتها، مع مكانته، وفرادته كما يقول: (لقد ظل الخلط بين الإيقاع والوزن مسيطرا على كثير من المهتمين المتخصصين في دراسة الشعر العربي المعاصر، وهذا كان أحد العوامل التي دفعتني إلى الوقوف بأناة أمام هذا الركام من التعاريف، في محاولة لاستجلاء صورة الإيقاع، ونفض ما تراكم عليه من غبار الإهمال على سبيل تخلص المفهوم مما علق به)¹، ومن أجل كل هذا الجدل، والسجال، الذي يضمّر فعلا صراع اتجاهين أصولي، وحدائي، اخترت للمبحث عنوان "**الموسيقى الشعرية**"، لأن الموسيقى يرجع إليها الجميع، ويعترف الكل بأن "الوزن" وحدة موسيقية، كما أن "الإيقاع" عبارة عن تجلي الموسيقى في اللغة، وتخرجها من جنس النثر إلى جنس الشعر، ويتضح من العرض السريع السابق أن حديث دارس الشعر المعين عن الموسيقى هو ليس من نافلة القول، بل فرض عين، لم لا والموسيقى هي هوية الشعر المعترف بها عالميا!.

وتبقى الإشارة في هذا التمهيد إلى أن الشعر العربي عند الطوارق عموما، وكل اسوُك خصوصاً ما زال يحترم بكل خضوع تقاليد الموسيقى الشعرية القديمة، وبذلك فإن شعرهم تراثي الانتماء، ومحاكاة للشعر القديم لدرجة مطابقة الأصل، والطريف أن "السوكيين" لا يدرسون العروض في أغلب حلقاتهم التعليمية، بل ينسجون القصائد على منوال الدواوين المتوفرة لديهم بشكل أشبه ما يكون بالسليقة!، ولم يسمعوا بثورة نازك الملائكة، وبدر شاكر السياب، ولا إخالهم سيلتحقون بتلك الثورة لو وصلتهم فالشعر عندهم لا يحدده الإيقاع الذي يشرحه الدكتور المتقن متأثرا بأمثال طوماتشيفسكي، حين يصرح: (ويمكن أن نفيد من طوماتشيفسكي في رصد هذا المجال فيكون الاندفاع مختلفا عن الوزن لأنه أولا أخف بكثير من صرامة الوزن، فهو لا يحدد الاختيار المطلق للأشكال الخاصة "التفاعيل وتفرعاتها"، ولكن تفضيل أشكال على أخرى)²، فما زالوا يصرحون بأن أحكام الشعر العربي تؤخذ من أمثال الجاحظ الذي بلغ به الاعتزاز بالوزن، الدرجة القصوى، وربط مفهوم الشعر به كما

¹ الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، محمد المتقن، ص 11

² المرجع السابق، ص 56

سبق، على أنه للإِنصاف يجب التذكير بأن مؤلف البيان والتبيين لا يعتبر كل موزون شعرا كما يقول قدامة، (فلقد اشترط بالإضافة إليه النية، والمقدار، والشعرية)¹.

ومن ثم فمبحثنا هذا سيتساءل عن مظاهر الموسيقى الشعرية لدى السوكيين، وهي مظاهر لا تتجاوز ثلاثة أنواع من الإيقاع: "إيقاع الوزن/ إيقاع القافية/ إيقاع داخلي"، وفيما يلي جرّد للأوزان والقوافي في شعر المرحلة الأولى:

إحصاء الأوزان والقوافي للمرحلة الأولى

البحر	الشطر الأول من مطلع القصيدة	اسم الشاعر	صفة القافية	القصائد في البحر
الكامل	خَلُّوا لِحَنَسَاءِ الزَّمَانِ وَصَحْرِهِ	أحمد الإمام	مطلقة	5
	لَبَّيْكَ تَلْبِيَةَ الثَّقِيلِ الْكَاهِلِ	-	مؤسسة مطلقة	
	أَبْلِغْ لَدَيْكَ مُحَمَّدَ بْنَ الْهَادِي	مُحَمَّد دانيال	مردوفة مطلقة	
	يَا رَبِّ يَا ذَا الْبَطْشِ يَا قَهَّارُ	هارون مُحَمَّد	مردوفة مطلقة	
	يَا رَبِّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا	مُحَمَّد دانيال	مردوفة مطلقة	
الطويل	بِاسْمِ الْإِلَهِ عَلَى (الْإِنْصَارِ) إِنْ طَلَبَا	مُحَمَّد دانيال	مطلقة	4
	إِلَى سَيِّدٍ سَادَتْ جُدُودُهُ قَبْلُ	هارون مُحَمَّد	مطلقة	
	أَلِمَّا عَلَى رَنْعٍ تَعَاوَرَهُ الْوَيْلُ	-	مطلقة	
	عَلَى نَفْسِهَا تَجَنِّي بَرَاقِشُ، فَالْحَزْمُ	-	مطلقة	
البسيط	كِتَابَانِ شَوْشَا بِمَا اشْتَمَلَا جَلْدَا	أحمد الإمام	مطلقة	3
	مَا شَاءَ رَبِّي لَا حَوْلَ وَلَا حِيلُ	مُحَمَّد دانيال	مطلقة	
	إِلَى الْأَمِيرِ الْعَظِيمِ الشَّانِ فِي الدِّينِ	هارون مُحَمَّد	مردوفة	
الرجز	أَلَا تَسْلِي يَا طُحَا الْجَأْشِ عَلِي	مُحَمَّد إنلبش	كل بيت بقافيته	1

وهكذا نرى أن شعر المرحلة الأولى لا يتجاوز في الأوزان (4) بتفاوت كبير، (الكامل درجة أولى، والطويل في المرتبة الثانية، والبسيط في الثالثة بثلاث قصائد بينما يتأخر الرجز

¹ من عناصر نظرية الشعر لدى الجاحظ، عبد الرحيم الحموني، ص 63.

بقصيدة واحدة)، وهذه الأوزان الكبرى هي التي نقابلها في المرحلة الأولى بأغلبية ساحقة، إلا أن الشاعر أحمد الإمام وحده توجد في ديوانه قصيدة قصيدة في كل من "الوافر، والخفيف، والمتقارب":

في الوافر نجد قصيدته السالفة معنا في الباب الأول:

خَلْتُ دِمْنُ الهنأ من كلِّ نادٍ فَأَمْسَتْ لَا مُجِيبَ وَلَا مُنَادِي

وفي المتقارب يبدع وعظه المؤثر لما اشتدت عليه الحمى فيقول¹:

نَذِيرٌ	مِنْ	النُّذْرِ	الْمُنْدِرَةِ	بِقُرْبِ	الْجَلَاءِ	إِلَى	الْمَقْبَرَةِ
وَطُولِ	التَّعَرُّبِ	عَنْ	وَطَنِ	أَنِيسٍ	إِلَى	نَقْرَةٍ ⁽²⁾	مُقْفِرِهِ
وَحَرَمِ	الشَّبَابِ	وَهْدَمِ	الْقُوَى	وَهَزَمِ	اللَّدَائِدِ	بَعْدَ	الشَّرِّهِ

وينظم الأماكن التي تلتقي فيها الراء مع اللام بواسطة وزن "الخفيف"، في سابقة نادرة إذ الغالب في المنظومات أن تكون على وزن الرجز، أو البسيط نادراً²:

هَآكَ	مُخْتَارٌ ⁽³⁾	لِلَّذِي	كُنْتُ	عَنْهُ	سَائِلًا	سَيِّدِي ⁽⁴⁾	جَوَابًا	سَدِيدًا
فَالْحُرُوفُ	الَّتِي	تَلَاَقَتْ	بِهَا	الرَّاءُ	عُ	مَعَ	الْلَامِ	أَزْيَعٌ لَا مَزِيدًا
جَرَلٌ ⁽⁵⁾	أُزِلُّ ⁽⁶⁾	كَذَلِكَ	غُرْلَةٌ ⁽⁷⁾	وَكَذَا	وَرَلٌ ⁽⁸⁾	عَلَيْهِنَّ	زَيْدًا	

وما سوى ذلك كله من قصائده الطويلة، ففي الطويل، والبسيط، والكامل، والرجز كزملائه في مرحلته، فلم يكن خروجه من تلك الأوزان كبيراً.

أما القوافي في هذه المرحلة فكلها مطلقة، ولم نعثر على قافية مقيدة ولو واحدة!، يبدو أنهم لا يستملحون إسكان الروي، فكأن إسكانه يوقف المد الغنائي، كما أنهم لا

¹ ديوان الشاعر أحمد الإمام محمد إكثُن، علي سليمان، ص 82

² المصدر نفسه، ص 81

يعتبرون "الهاء" روياء، بل يرونها مجرد "وصل"، والعبرة بالحرف الذي قبلها، وذلك أمر اتفق عليه سائر شعراء كل اسوكة، كما أنهم يختارون "أحرفاً" معينة ذات الانتشار لـ "الروي"، فلا يوجد استخدام لـ "الشين" - إلا في نص واحد حسب اطلاعي - و"الطاء"، و"الضاد"، و"الصاد"، و"الحاء"، و"الغين"، بينما توجد البقية بتفاوت كبير، وأغلب الحروف التي اختاروها روياء في المرحلتين معا هي: (الباء/ الميم/ اللام/ الدال/ الراء/ الكاف/ الفاء/ القاف/ العين/ الحاء/ الجيم/ التاء/ السين/ الياء).

هذا ويستمر التطور الشعري في المرحلة الثانية على عدة مستويات بما فيها التنوع في أشكال القوافي، ونظم القصائد على أوزان أخرى كالوافر، والرمل، ومجزؤه، والمتقارب، والخفيف، على أنه ستبقى تلك البحور الطويلة هي المهيمنة، وذلك يلقي الضوء على مدى التزام القوم بتقاليد القصيدة الجاهلية، لفظاً، ومضموناً، وموسيقى، كما أن القافية ستظل مطلقة، بردف أو بتأسيس، ولا تكاد توجد للقافية المقيدة غير 7 نماذج حسب المتن المجموع في الباب الثالث، مثل قصيدة الخضر حمادو ذات المطلع: (شَجَايَ النَّوَى فَهِيَ أُمُّ الْحَرْقِ)

وقول محمود مُجَدِّ الصالح ضمن نقائضه مع عبد الله أغ المحمود¹:

سائلاً عنَّا الذي يعرفُنَا مِنْ قُرَانَا يَوْمَ تَفْسِيرِ الْكُتُبِ

ويرد عليه عبد الله بنفس الروي، والقافية²:

قُلْ لِإِزْبِ الْعِصْرِ مَا ذَا تَبْتَغِي مِنْ صِدَامِ اللَّيْثِ وَاللَّيْثِ حَرْبِ

وفي نفس السياق يقول الحاج مُجَدِّ أحمد³:

سَائِلاً عَنْ أَصْلِنَا وَهُوَ جَهْلُ إِنَّا مَا رَابْنَا عَنْهُ ذَهْلُ

¹ مجموعة شعرية سوكية مخطوطة لدى الباحث.

² مجموعة نافع أحمد الشعرية: غير مرقمة

³ الإمتاع والإبهاج، أحمد مجد الحاج، ص 254

وأخرى لمحمدو تانا¹:

قِيلَ لِي عَنْ أُمِّ رُومَانَ وَمَانَ أَنْجَبَا بِالْمَرْتَضَى بَدْرِ الزَّمَانِ

وآخرها قصيدة للمرتضى محمدو²:

حَيِّ صَحْبِي فِي رُبِّي (إِنْعَوِي) وَأَحْصُصْنِ بِالذِّكْرِ تَاجَ الدِّينِ "زَيْ"

هذه هي النماذج التي وقفت فيها على قافية مقيدة ضمن المتن المختار للدراسة، من أصل متن شعري يتجاوز 70 قصيدة، واللافت للنظر أن هذه كلها في بحر "الرمل" ! فكأنني بهم يحسون بتراطيب ما بين تقييد القافية، وإيقاع الرمل، وأن سائر النماذج كانت فيها القافية مقيدة ومجردة إلا نموذجين، أحدهما مذكور، والثاني للشيخ ذو الكفل الذي جاء على وزن مخالف للرمل، هو المتقارب، وكانت القافية أيضا مقيدة ومردوفة³:

وشيكاً قبيلَ أفولِ الهلالِ على فكري جُزْتُ تَيْهًا "إِلَال"

إن المرحلة الثانية كما تقرر سلفا ازدهر فيها الشعر شكلا، ومضمونا، كمّا وكيفاً، وفيما يلي جرد للقصائد كلها، مع الأوزان مرتبة حسب الكثرة، ورتبت الأبيات في الذكر حسب ورودها في الباب الثالث:

إحصاء الأوزان والقوافي في المرحلة الثانية:

البحر	الشرط الأول من مطلع القصيدة	اسم الشاعر	صفة القافية	عدد القصائد في البحر
	بَآثَتْ بُنَاةٌ بُنَاةُ الْمَجْدِ وَالِدَيْنِ	أعالي اليماني	مطلقة مردوفة	
	مَا لِلْمَرِيءِ يُسْبِغُ الْمَاءَ بَلْ مَا لِي	إغلس اليماني	مطلقة مردوفة	

¹ ترغيب المشوق، زين الدين، ص 470

² مجموعة شعرية مخطوطة لدى الباحث.

³ القصيدة مخطوطة لدى الباحث، وأنظر أيضا: ترغيب المشوق، زين الدين، ص 93

18	مطلقة مجردة	حمداً مُحمَّد حادي	لَا بَأْسَ بِالطَّائِرِ الْجَوِّيِّ لَا وَلَيْتَ
	مطلقة مردوفة	-	إِيَّايَ وَالسَّعْيَ فِي صَدِّي فَتَطْوِيلُ
	مطلقة مجردة	الخضر حمادو	ضُعْفِي شَفِيعِي وَفَقْرِي عَيْنُ مُفْتَحَرِي
	مطلقة مردوفة	-	حَقًّا أَقُولُ وَنَوْرَ الذِّكْرِ مِقْبَاسِي
	مطلقة مردوفة	-	مَهْ مَا خِطَابُكَ مَهْمَا لُئِمْتَ مَقْبُولُ
	مطلقة مجردة	-	هُوَ الْفِرَاقُ بِحَدِّ سَيْفِهِ جَزْمًا
	مطلقة مردوفة	ذو الكفل مُحمَّد	يَا رُوحَ لَا تَزْهَقِي وَجَدًّا إِلَى حِينِ
	مطلقة مجردة	مُحمَّد أحمد عبد الرحمن	يَا حُسْنَ وَجْهِ بَدَا لِي غَفْوَةً فَسَبَا
	مطلقة مجردة	مُحمَّد أحني	أَيَا أَهْلَ ذَاتِ الْخَيْرِ مَا لَكُمْ بَعْدِي
	مطلقة مردوفة	مُحمَّدو تانا	هِيَ الَّتِي سَلَكَتْ بِالذَّهْرِ أُسْلُوبًا
	مطلقة مردوفة	-	عُوجًا بِعُوجِ مِنَ الْأُلُوحِ تَأْمِيلًا
	مؤسسة موصولة بالهاء	محمود مُحمَّد الصالح	ظَبِّي عَلَى الْبُعْدِ بِالذِّكْرِ أَشَاهِدُهُ
	مطلقة مجردة	المحمود يحيى	مَا ذِكْرُ لَيْلَى وَلَا سُعْدَى اعْتَرَى
	مطلقة مردوفة	-	خَلْدِي
	مطلقة مردوفة	-	مَهْمِيمٌ فَمِنْ أَيْنَ أَوْ عَنْ مَنْ تَبَاكِيكَ
	مطلقة مجردة	-	أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا قُلْتُهُ بِقَمِي
	مطلقة مردوفة	المرتضى مُحمَّدو	سَمَوُهُ "فَهْدًا" وَفِي "بَعْدَادَ" ضِرْعَامَ
	مطلقة مردوفة	أعالي اليماني	كَلَامُ الْإِلَهِ لَا سَبِيلَ إِلَى الْهَدَى
	مطلقة مؤسسة	إغلس	طَوَيْنَا جَبَائِرَ الْهَوَا طَرْفَ طَارِفِ
	مطلقة موصولة بالهاء		أَفِيكَ حُقُوقًا كُنْتُ أَرْقُبُ إِلَهًا
	مطلقة مجردة	الحاج مُحمَّد أحمد	لَمَعْنَاكَ فِي فِكْرِي، وَمَعْنَاكَ فِي صَدْرِي
	مطلقة موصولة بالهاء	حمادو مُحمَّدو	فَطِنْتُ وَأُلْهِمْتُ الْمَحَامِدَ كُلَّهُ
	مطلقة مؤسسة		أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ فَتَى كَانَ نَائِيَا
	مطلقة موصولة بالهاء	الخضر حمادو	عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالْخَمْسِ أَذِّهَا

البسيط

16	مطلقة مؤسسة موصولة بالهاء	-	سَلِّمْ عَلَى مَرْبِعٍ أَقْعَتِ قَوَاعِدُهُ	الطويل
	مطلقة مؤسسة	-	أَشْوَقًا وَلَمَّا تَظَعْنَ أُمُّ مَالِكٍ	
	مطلقة مجردة	ذو الكفل	أَعْيَيْتِي مَا هَذَا التَّسَاهُلُ وَالْعَدْرُ	
	مطلقة مردوفة	مُحَمَّدُ أَحْمَدُ عَبْد الرحمن	أَسِرْبَ الظَّبِّ لَمْ لَا تَرُدُّ سَلَامًا	
	مطلقة مجردة	مُحَمَّدُ أَحْنَى	عَفَا الرِّسْمُ مِنْ أَطْلَالِ مِيَّةٍ وَانْحَا	
	مطلقة مجردة	-	يَا رَبِّ سَلِّمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْجُدْرِي	
	مطلقة مؤسسة	مُحَمَّدُ يَوْسُفَ	أَمَّا وَاحْوَارِ الْبَيْضِ الْفَرَاتِ	
	مطلقة مؤسسة	-	بُدُورٌ بِدُورٍ أَمْ رِثَاءُ تَوَالِغُ	
14	مطلقة مؤسسة	اعالي اليماني	صَارَتْ لِأُظْبِ وَالْوَحُوشِ مَنَازِلًا	الكامل
	مطلقة مردوفة موصولة بالهاء	حمادو مُحَمَّدو	ذَهَبَتْ وَغُودِرَ فِي الْقِفَارِ جِدَارُهَا	
	مطلقة مردوفة	حمدا مُحَمَّد حادي	مَرَرْتُ عَلَى الْأَجْدَاثِ تِلْكَ الدَّاثُ	
	مطلقة مجردة	-	خَافَ الضَّلَالِ وَحَقُّهُ أَنْ يَجَارَا	
	مطلقة مردوفة	ذو الكفل مُحَمَّد	مَاذَا الْهَيْأُ امْضُوا بِنَا قُدَّامُ	
	مطلقة مردوفة موصولة بالهاء	ظلعابا عبد الرحمن	لَمَنَازِلُ أَفْوَيْنَ مِنْ أَهْلِيهَا	
	مطلقة مجردة	مُحَمَّدُ أَحْنَى	سَبَقَ الرِّعِيلُ إِلَى الْمَدِيحِ الْأَوَّلِ	
	مطلقة مؤسسة	-	هَلْ مِنْ مَدِّ مُسْعَدٍ بَرَسَائِلِ	
	مطلقة مردوفة	مُحَمَّدُ يَوْسُفَ	حَسَرَ الشَّبَابُ قِنَاعَهُ عَنْ رَاسِي	
	مطلقة مردوفة	المحمود يحيى	لَا زِلْتِ فِي كُلِّ الْجَوَانِبِ تُوتَى	
	مطلقة مردوفة	-	قِفْ نَسْتَمِعْ نَجْوَى "أَبِي دَاوُدَا"	
	مطلقة مردوفة	المرتضى مُحَمَّدو	يَا طَيْفُ أَرَقَ مُقْلَتِي أَتَدُوْدُ	
	مطلقة مؤسسة	-	حَجَبُوكَ عَنِّي حِينَ أَمَّوَا الطَّائِفَا	

	مطلقة مردوفة	--	يَا ظَبِيَّةً كُحِلَتْ لَهَا الْأَجْفَانُ	
6	مطلقة مردوفة	الحاج مُحمَّد أحمد	سَائِلًا عَنْ أَصْلِنَا وَهُوَ جَهُولٌ	الرمْل
	مقيدة مردوفة	مُحمَّدو تانا	قِيلَ لِي عَنْ أُمِّ رُومَانَ وَمَانَ	
	مقيدة مجردة	الفتي مُحمَّد أحمد	رَبِّيَ اللَّهُ عَزَّ جَلَّ الْمَوْحَدُ	
	مقيدة مجردة	محمود مُحمَّد الصالح	سَائِلِنَ عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا	
	مقيدة مجردة	عبد الله أغ المحمود	قُلْ لِإِزْبِ الْعَصْرِ مَاذَا تَبْتَغِي	
	مقيدة مجردة	المرتضى مُحمَّدو	حَيِّ صَحْبِي فِي رُبِّي (إِنْعَوِي)	
6	مطلقة مردوفة	الحاج مُحمَّد أحمد	أَرِقْتُ؛ صَبَابَةً، أُنَى يُلَامُ	الوافر
	مطلقة مردوفة	-	أَمِنْ طَرَبٍ سَكِرْتُ غَدَاةً قِيلاً	
	مطلقة مردوفة	الخضر حمادو	مَتَى يَا جَمْلُ وَيَحْكُ ثُجْمِلِينَا	
	مطلقة مردوفة	الفتي مُحمَّد أحمد	أَفَاقَ الْقَلْبِ؟ لَا، مَا إِنَّ أَفَاقَا	
	مطلقة مردوفة	مُحمَّدو تانا	دُؤَيْنَكَ هَاتِ بِالْقَمِ وَالْيَدَيْنِ	
	مطلقة مردوفة	المرتضى مُحمَّدو	لِأَمْرِ مَا بَكَى الشَّيْخُ الدِّيَارَا	
4	مطلقة موصولة بالهاء	حمادو مُحمَّدو	يَا رَفِيعَ الصَّيِّتِ عِنْدَ الْمَشْوَرةِ	المتقارب
	مقيدة مجردة	الخضر حمادو	شَجَايَ النَّوَى فَهِيَ أُمُّ الْخُرْقِ	
	مقيدة مردوفة	ذو الكفل	وَشَيْكَاً قُبِيلَ أَقُولِ الْهِلَالِ	
	مطلقة مؤسسة	ظلعاب عبد الرحمن	حَيَّالٌ تَوَالَى عَلَى خَاطِرِي	
4	مطلقة مردوفة	-	حَلَّ عَنِّي وَحَلَّ حَلِّ سَبِيلِي	الخفيف
	مطلقة مردوفة	-	لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَدَا لَكَ دَائِي	
	مطلقة مردوفة	مُحمَّد أحمد عبد الرحمن	إِنَّ جِسْمِي وَأَضْلُعِي وَفُؤَادِي	
	مطلقة مردوفة موصولة بالهاء	المحمود يحيى	فَاجَأَتْكُمْ إِحْدَى بَنَاتِ فُضَاعَةَ	
2	مطلقة مجردة	حمادو مُحمَّدو	سَكِرَ الْقَوْمُ بِصَحْنٍ	مجزوء
	مطلقة مردوفة	مُحمَّدو تانا	يَا حَلِيلِي دَعَانِي	الرمْل

يحتل "البسيط" إذن الصدارة بـ 18 قصيدة، يليه الطويل (16) ثم "الكامل"، (14)، بينما يتعادل بعد الثلاثة الأولى، "الوافر" و "الرمل" (6/6)، ومن الصدف الطريفة التي كشفها الإحصاء تعادل "المتقارب والخفيف" كذلك على الرتبة الرابعة بـ (4/4)، ويأتي "مجزوء الرمل" في ذيل القائمة بنموذجين اثنين، في ظل غياب مطلق لبقية البحور الخليلية، باستثناء الرجز الذي قصره شعراء المرحلة الثانية على "نظم المتن"، إلا أن الشاعر المبدع محمد يوسف قرض به قصيدة بديعة، وطويلة، مطلعها¹:

عَلَيَّ لَا عَلَيَّ إِن أُوتِبَ نَجَلُ الحَصَا سَعِيًّا إِلَى نَجَلِ النَّبِيِّ

وأقرب تفسير لالتزامهم بهذه البحور دون غيرها هو محاكاة الشعر الجاهلي، الذي وصلهم، فالبحور الخفيفة، والسريعة المتلائمة أكثر مع الأغاني قد كثر استخدامها في العصر العباسي بدءاً بأبي نواس وأبي العتاهية إلى الشمقمق، وفرضتها الحاجة الملحة إلى الغناء في بلاط الأمراء، وتفضيل المغنيات لها².

وبالنظر السريع إلى زاوية القوافي، يلحظ القارئ أن "شكل القافية المطلقة المردوفة" كذلك أكبر تواجداً من "المقيدة، والمطلقة المجردة، والمطلقة المؤسسة" وأن المطلقة "المجردة" أكثر من "المؤسسة".

وختاماً تنبغي الإشارة إلى شدة احترام السوكيين لآداب الوزن، والقافية معاً، بحيث لا يكادون يخلون بشيء من ذلك، فهم يعتنون بشروطها عناية خاصة جداً، ولا يجذون الالتجاء إلى الضرورات الشعرية المباحة، فضلاً عن العيوب الظاهرة، فلا وجود للإقواء في

¹ ديوان الشاعر محمد يوسف: المدد الرباني، ص 1، وانظر أيضاً بحثي: الشاعر النسقي قراءة وتحقيق لديوان الشاعر محمد يوسف، ص 218

² انظر: تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، ص 38، ج 2

قصائدهم، كما أن حركات القافية لديهم يتبعونها بصرامة، حتى لو طالت القصيدة في ظل اختيار شكل معقد من القافية كالذي نراه في قصيدة الخضر حمادو، بمطلع:

سَلِّمْ عَلَى مَرْبَعٍ أَقْوَتْ قَوَاعِدُهُ وَغُيِّبَتْ عَنْ هُنُودِهِ مَهَادِدُهُ

فالقصيدة . على طولها . تلتزم بهذه القافية هكذا: "الرَّسُّ/ التأسيس/ حرف الدال الذي هو الروي/ حركة الضمة للروي/ الوصل بالهاء مع الإشباع بالضمة.

ويظهر للباحث أن اختيارهم للقافية المردوفة ليس إلا لكونها تمد الشاعر بطاقة مندفعة من الغناء، وبمدِّ الصوت بشكل لا متناهي قبل الروي، ثم ينتهي الإيقاع بالروي المطلق أيضاً، وهذا من أهم ما قلل القافية المقيدة التي توقف ذلك النفس الموسيقي.

إن السوكيين خصوصاً في المرحلة الثانية مرحلة ازدهار الشعر لديهم قد أولوا الإيقاع الداخلي عناية كبيرة، بدءاً باختيار الأصوات الراقصة، والمنسجمة، إلى أشكال من التشطير، والترصيع، والتصدير، والسجع، والموازنة، والتجنيس، والتكرار، ونحو ذلك، مما توضحه الأمثلة التالية، لم لا وهم خريجو بلاغة أبي هلال العسكري وأمثاله؟!:

ب. مظاهر الإيقاع الداخلي:

جمالية الإيقاع الداخلي للقصيدة استحوذت على ألباب شعراء السوك، وتكاد تكون أهم ميزة فنية لشعرهم، وكما سبق أول ما يدرسونه في البلاغة هو "فصاحة الكلمة!"، ويستنهجن لهم القزويني قول زعيم الشعراء الضليل¹:

عَدَائِرُهُ مُسْتَشْزَرَاتٌ إِلَى الْعُلَى يَضِلُّ الْعَقَاصُ فِي مُثَنَّى وَمُرْسَلٍ

من أجل كلمة واحدة، هي "مستشزرات"،¹ فبعدها يعرفون أن تنافر الحروف أهم ما يخل بالبلاغة يدرسون في آخر الكتاب كمًّا هائلاً من المحسنات اللفظية التي تجعل الكلمة راقصة،

¹ ديوان امرئ القيس، ص 28

ذات صدى مثير، ومؤثر بذاتها دون معناها! وبما أن شعرهم أصلا يغلب عليه طابع الاستعراض فلا بد من تطبيق كل تلك المحسنات قاطبة، وفيما يلي أمثلة قليلة، مستعجلة لبعضها:

1. السجع والتشطير:

السجع كمعناه اللغوي يمنح اللغة رقصا ذاتيا جميلا، وكان سابقا فنا من فنون القول، مستقلا عن الشعر، والنثر العادي، فيما يسمى "أسجاع الكهان"، ثم تمت استعارته للنثر الفني، وحتى العلمي تارة في العصر العباسي، وأصبح سمة أساسية للنثر الفني، كأنه الروي في الشعر، لكن حدث نوع من تبادل الخصائص في أواسط وأواخر العصر العباسي بين الشعر والنثر، فاستعار كل واحد منهما بعض المقومات الخاصة بالآخر، من ذلك تشطير البيت، وسجعه كفقرة من النثر الفني على غرار نصوص مقامات الحريري، كقول أبي تمام²:

تَدْبِيرُ مَعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مَنْتَقِمٍ لِلَّهِ مُرْتَغِبٍ فِي اللَّهِ مُرْتَقِبٍ

وهذا النوع كثير في الشعر السوكي، ونرى له حضورا في أغلب القصائد الإخوانية، لإظهار المقدرة اللغوية، والشعرية، كما يقول محمود محمد الصالح في إحدى إخوانياته³:

دَلَّتْ فَوَائِدُهُ	دَلَّتْ شَوَارِدُهُ	جَلَّتْ عَوَائِدُهُ	عَلَّتْ مَوَائِدُهُ
بِيضٌ حَقَائِقُهُ	خُضْرٌ شَقَائِقُهُ	حُمْرٌ رَفَائِقُهُ	سُودٌ مَقَاصِدُهُ
غُرٌّ مَنَاقِبُهُ	زُهْرٌ كَوَاكِبُهُ	حُرٌّ مَعَاهِدُهُ	عُمَرُ مَعَانِدُهُ

¹ الإيضاح، شرح تلخيص المفتاح للقزويني، ص 30

² تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع، ص 308

³ مجموعة شعرية مخطوطة غير مرتبة لدى الباحث.

فإذا كان أبو تمام قد شطّر وسجّع في بيت واحد، ثم مضى، فشاعرنا محمود أظهر شطارة في التشطير عبر ثلاثة أبيات متتالية، فقد شطّر، ورصّع، وسجّع، وقسم، ووازن، وقابل في سائر الأبيات المذكورة أعلاه !.

2. التجنيس:

التجنيس هو أحد الأبواب الرئيسية التي يتأسس عليها مذهب البديع في الشعر العربي القديم لدى ابن المعتز، وأثبت أنه كغيره من مميزات اتجاه المحدثين هو موجود قديماً إلا أن المحدثين أكثرها¹، وهو عند البلاغيين: تشابه الكلمتين في اللفظ، لا المعنى، وهذا التشابه قد يكون تاماً، وناقصاً، ومركباً، ولاحقاً، ومطرفاً... حسب اتحاد واختلاف الحروف هيئة، ووضعاً، وحركة²، وأوضح مثال للجناس التام قول رائد البديع أبو تمام³:

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكُتُبِ في حَدِّهِ الحُدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ

حيث جانس بين "الحد" الأول الذي هو السيف، وبين "الحد" الثاني الذي يعني الفرق، والحاجز، والشعر السوكي متأثر إلى حد بعيد بهذا التيار البديعي، ولعل النص الذي سبق معنا لإغلس اليماني هو نموذج صارخ بشكل مبالغ لهذا الباب، حيث التزم بذلك التجنيس في كل بيت، مع التصدير:

1. من الشعر الهندسي، "المدورة"، حيث تكون القافية في كل بيت مشبهة لفظاً

مختلفة معنى للكلمة الأولى في الشطر الأول، وهي أهداها الى الشيخ الحاج محمد

أحمد:

{الطويل}

¹ البديع لابن المعتز، ص 2

² انظر : المرجع السابق، ص 25، التلخيص في وجوه البلاغة للزرويني، ص 388 وما بعدها

³ ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، ص 40 ج 1

أَفِيكَ حُتُوقًا كُنْتُ أَرْقُبُ إِهَّا مَخَافَةً أَنْ تَحْجَى الْعُهُودَ أَفِيكَ¹
فَتِيكَ قَدِيمًا سُنَّةً فُرْشِيَّةً ثِقَامٌ لَدَيَّ أَوْ أَدَّاسُ فَتِيكَ²
عَرِيكة من لو ألقى العلق لهوة لِقُطْبٍ رَحَاهُ لاسْتَحَالَ عَرِيكَ³
فَرِيكٌ لَدَى مَنْ لَمْ يَجِدْ فَرَكَ دَرَسِهِ وَحُبُّ دُرُوسِي كَانَ قَبْلُ فَرِيكَ⁴
شَرِيكَكَ كَانَ فِي رَحَاءٍ وَشِدَّةٍ سَوَى أَنَّهُ لَمْ يَعْتَقِدْكَ شَرِيكَ⁵
أَلِيكُوا أَوَّانَ اصْطَفَى فِي بَهْنَسِ الْوَعَى فَوَارِسُ أَنَّى تُسْتَبَاحُ أَلِيكَ⁶
سَبِيكَةَ غَوَاصٍ مِنَ الْيَمِّ لُجَّةً بِدَرَكْتِهَا السُّفْلَى الْبَدِيعِ سَبِيكَ⁷
دَكِيكَ خَرَارِيْتُ الْبَيَانِ نَحْلَتَهُ وَخَضَخَضَتْ مِنْهُ مَا تَرَاهُ دَكِيكَ⁸

وإذا كان هذا المقطع يحجب بالتشدد الكبير في التصنع طلاوته، وجماله، وضاع القارئ في متاهته بحثاً عن تخريج المقاصد، فسرى مع الشيخ ذو الكفل قصيدة بديعية بديعة معاً، يظهر فيها مقدرته في محاكاة شعر المحدثين بقيادة أبي تمام، وقد أفلح في ذلك، ولم يتبع اللفظ لدرجة إهمال المعنى، بل زواج بين الحسنيين، فأبدع وأجاد⁷:

مَا ذَا الْهَيْئَامُ امْضُوا بِنَا قُدَامُ هَذَا اللَّوَى وَعَلَى الْحِمَى إِقْدَامُ
عَجَلَ الْهَوَى قَبْلَ التَّفَرُّقِ فَانْفِرُوا إِنْ نَحْنُ إِلَّا لِلْهَوَى خَدَامُ
لَوْ كَانَ مَا وَعَدْتَ عَيْنِيَّةً صَبَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ انْزَاخَتْ الْأَوْهَامُ
أَوْمَتْ إِلَيَّ بِحَاجِبٍ أَنْ هَهُنَا رُقْبَا، وَدُوْنِي حَاجِبٌ نَمَامُ⁸
فَاسْتَبْطَأْتُ فَهْمِي فَقُلْتُ هَا: اعْذِرِي صَحَّ الْهَوَى فَاعْتَلَّتِ الْأَفْهَامُ

¹ "أفيك" الأولى من الوفاء، والكاف للخطاب، والثانية: من "أفك" الإفك .

² "فتيك" الأولى: الفاء للسببية، و "تي" للإشارة، و"الكفاف حرف خطاب، والثانية من فعيل بمعنى مفعول من "الفتك".

³ "عريكة": طبيعة، أو حالة، "عريك": رمل متداخل بعضه ببعض.

⁴ "فريك": المفروك من الحب: المنقى، "فريك" البر أو الذرة هو ما يشوى لأول النضج حين يصلح للأكل، ويقصد بكلمتي "فريك" كلا المعنيين في البيت.

⁵ أليكو" من الألوكة: الرسالة، وتقول العرب: "ألكني إليه"، "أليك" الثانية: إما من ولاه يليه فهو تاليه، أي للاحقه، أو من الولاء، والكاف للخطاب. بهنس الوعى: وسط الحرب حين تشتد.

⁶ بحثت في القاموس المحيط، وتاج العروس، والصاحح، والمعجم الوسيط عن معاني "دكيك" فلم أرى الصيغة أصلاً من المشتقات، بل وجدت أنه يقال "عام دكيك" أي تام، و"دك دكا" دقه، وطحنه، فهو مدكوك، وربما الدكيك في المرة الأخيرة هي استخدام للوزن من باب الاجتهاد، كما أنه ممكن أن يكون في المرة الأولى: "من إبدال القاف كافاً"، وهو "الدقيق" المعروف في الأطعمة، بدليل كلمة "نَخْلَتُهُ"، ويكون "الدكيك" الثاني بمعنى المدكوك.

⁷ القصيدة مخطوطة لدى الباحث، وانظر أيضاً: ترغيب المشوق، زين الدين، ص 95

⁸ الحاجب الأول حاجب العين، والثاني بمعنى الحارس، وفيه جناس تام.

⁹ فيه طباق بين صح واعتلت، ويمكن أن يجعل مقابلة باعتبار أن بين الهوى والفهم نوع تقابل؛ لأن من شأن من استحكم الهوى في مجاميع قلبه أن يعزب عنه فهمه، فبين الهوى الراسخ وبين الفهم نوع تضاد في عرف العشاق.

لَمَّا حَطَوْتُ بُعِيدَ ذَلِكَ أَرْبَعًا وَاسْتَيْقَنْتُ أَنْ لَيْسَ لِي إِحْجَامٌ
 رَفَعْتُ بَنَانًا مَا عَدَا إِبْهَامَهَا أَيْكُونُ بَعْدَ بَيَانِهَا إِبْهَامٌ¹
 قَالَتْ: مَكَانَكَ، أَنْ حِينَ رَحِيلِنَا فَتَشَاجِرُ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ⁽²⁾
 يَا لِلْفِرَاقِ لَذَا الْفِرَاقِ فَإِنْ يَطُلُ يَا وَيْحَنَا هَجَرَ الْجُفُونِ مَنَامٌ
 فَبِنَا تَأَسَّوْا تَسْعُدُوا لَا تَسْأَمُوا بَعْدَ الْعَنَا نَالَ الْمُنَى الْأَقْوَامُ
 مَا الرَّأْيُ إِلَّا أَنْ تُزِمَّ رِكَابُكُمْ وَبِذَمِّ بَعْدَ أَوْلَيْكَ اللُّؤَامُ
 فَرَسِيمُهَا فِي تِي الرُّسُومِ شَجَاهُمْ وَنَقِيرُنَا لِنُقُورِهِمْ إِيْمَامُ
 وَشَرَابُ رَكْبِي مِنْ مَعِينِ دُمُوعِنَا وَدِمَا الْمَدَامِ إِنَّ دَمِينَ مُدَامٌ

إذ لا يكاد بيت من أبيات المقطع المقتبس يخلو من زخرف لفظي رائع، يبرز مدى عظمة العربية، وقدرة الشاعر على الخلق، والابتكار، فيكاد المقطع يتحول إلى فتنة من زخرف القول! إضافة إلى المحسنات المعنوية كالطباق، والمقابلة، والتورية، وأبعاد بيانية أخرى إضافة إلى تلك الأضواء، يحضر التجنيس في النص كظاهرة دلالية، موسيقية مسيطرة، فتلمع سائر أشكال الجناس على سطح النص كالنور، وتكسو نضارته ديباجة النص كمثل كرائم تنفتق عن أزهار مختلف ألوانها، ما بين تامّ كما في "حاجب العين/ وحاجب القصر النمام"، وجناس اشتقاق حلّو بين "عُيَيْنَةَ" المعشوقة المخلفة للوعد، و "عَيْنَ اليقين"، ويداعب الشاعر قراءه بتجنيس لطيف آخر مرتين في البيت السابع، بين "بنان/ بيان"، و "إبهام اليد/ إبهام ضد البيان" !، مستخدما مع كل هذا الخلق اللغوي الفاتن أسلوب تجاهل العارف !، فاتحا فضاء واسعا من الدلالات المتناسلة، إذ يمكن أن يكون المقصود بالتي رفعت بنانها الجميل، وأطلقت بيانها الجليل، هو قصيدة الشاعر المتحدث ذاتها!، ويتقدّم هذا كله ذلك اللعب اللفظي، والمعنوي، ببراعة استهلال مناسبة بين "قُدَامٌ" و "إِقْدَامٌ"، فهو ابتداع يستحق أن يكون فعلا مقدمة جريئة لمنافسة أصحاب البديع في مذهبهم البديع.

1 بين الإبهام والإبهام جناس تام.

2 فيه استعارة تبعية، شبه مقارنة الأرواح أن تفارق الأجسام وجلا من الفراق بمقاربة المتشاجرين التزايل، فجرت الاستعارة أولا في المصدر ثم سرت إلى فعله.

ونُختم الفقرة بالمقطوعة الراقصة التالية، التي تجمع تقريبا بين كل ما ذكر، وهي من تَهانيء الشاعر مُحمَّدو تانا لأحد الأقارب في مولود، وهي مقطوعة تكاد تفرض على قارئها أن يرقص، ويطرب¹:

مَا دَعَانِي مِنْ دَعَانِي	يَا خَلِيلِي دَعَانِي
لِلْعَوَانِي فِي الْمَعَانِي	خَلِيلَانِي وَالْأَعَانِي
فِي سُورِي قَدْ رَجَانِي	إِنَّ يَوْمَ الْمَهْرَجَانِ
فَاحْ رَوْحُ كَالْجِنَانِ	بَيْنَ رُوحِي وَالْجِنَانِ
أُمُّ هَانِي مَا نَهَانِي	مَنْ نَهَانِي عَنْ تَهَانِي
وَهِي فِي ظِلِّ الْأَمَانِ	فُلِدْتُ نَيْلَ الْأَمَانِي
وَكُدُورَاتِ الْأَمَانِي	مَنْ صُرُوفَاتِ الزَّمَانِ
بَيْنَ رَجَعَاتِ الْقِيَانِ	فَاسَقَهَا سِحْرَ الْبَيَانِ
بَيْنَ رَقْصِ الْبَنَانِ	وَاسَقَهَا صَفْوَ الدَّيَانِ
وَأكْسُهَا إِيَّاهُ وَإِنْ	وَشِ وَشِيًّا حُسْرُوَانِ ²
وَنَحِييًّا فِي الْمَعَانِي	يَا عَجِيبَ اللَّمَعَانِ
فِيكَ بُدَا لِلْمَعَانِ	هَلْ تَرَى مِمَّا أُعَانِي
مَا تَأَخَى الْفَتَيَانِ	لَا وَلَا مِنْ هَذَيَانِ
وَاحِكِ هَدْيِ "الطَّبَّرَانِي" ³	تِهْ فُوقِ الدَّيْرَانِ
وَارَقَ مَرْقَى غَيْرِ وَإِنْ	وَافَرَ مَقَرَّ "الْقَيْرَوَانِي"
وَالْمَثَالِي بِالْمَثَانِ	وَاعْنَ عَنْ أَهْلِ الْمَثَانِي
وَتُلُوْ بَعْدَ ثَانِ	فِي تُلُوْ دُونِ ثَانِي
وَالْيَوَانِيعِ الدَّوَانِي	سَائِحًا بَيْنَ الْأَوَانِ

¹ ضمن مجموعة شعرية مخطوطة لدى الباحث، وانظر أيضا: ترغيب المشوق، زين الدين، ص 466 (2) توب خسرواني وخسروي، منسوب إلى خسرو شاه من الأكاسرة، أساس البلاغة (1/ 246).

³ الدبران: نجم من النجوم القريبة للثريا، ويقصد هنا كناية عن العلو، والمرتبة الرفيعة.

الفصل الثاني: المَضامين الشَّعْرِيَّة

توطئة:

المتن الشعري هو شكل ومضمون، وقد حاول البحث مقارنة الشكل، أو المستوى الفني في الفصل الأول من هذا الباب، ولكن الشكل للمضمون، كالجسد للروح، والسجل القديم والجديد بين اللفظ والمعنى، مثل الجدال حول البيض والدجاج أيهما أسبق، فإن الجمال مرتبط بالشكل والمضمون معا¹.

إن النظر إلى الشعر من الناحية الموضوعية، أو الموضوعاتية كان قديما في الأدب العربي، وإن لم يكن بالشكل الحديث الموجود لدى كل من سعيد علوش، وحيد حمداني، وعبد الكريم حسن، وجوزيف كريم، فلعل المبادرات المبكرة جدا في هذا المجال يمثلها مؤلف أبي تمام المشهور "الحماسة"، فقد صنفه على أساس موضوعاتي، مطورا بذلك أشكال التأليف في الشعر التي قام بها اللغويون قبله، كما أن نظرية النظم عند الإمام الجرجاني التي تهتم بـ "العلاقات" النحوية"، و"أثر المضمون" العام للجملة، معلنا بذلك الخروج من الجدال العقيم بين اللفظ، والمعنى، هي التي تؤسس للنقد الموضوعاتي، الذي يقول عنه الدكتور سعيد علوش: (كان اصطلاح الموضوعاتي انطباعيا، إلى حد بعيد، استعمله ج. ب. وير في معنى خاص، مطلقا إياه على الصورة الملحة، والمتفردة، والمتواجدة في عمل كاتب ما"، وهذا تعبير آخر عن جمالية "النظم" كما يشرحها الجرجاني².

لئن كانت المقاربة الموضوعاتية للعمل الأدبي (تبحث في أغواص النص لاستكناه بؤرة الرسالة مع التنقيب عن الجذور المولدة لأفكار النص قصد الوصول إلى الفكرة المهيمنة في النص)³. ولئن كانت الحالة هذه وأنا أمام أكثر من 70 نصا - فإني لا أعد بتطبيق مقاربة موضوعاتية كما يفسرها علوش، فمهمة هذا الفصل هي دراسة المضمون العام للشعر السوكي بشكل عام، وبما أن

¹ قضية اللفظ والمعنى في التفكير النقدي الأخضرى جمعي، ص 199

² ينظر استفاضة الإمام الجرجاني حول النظم في دلائل الإعجاز، ص 81

³ المقاربة النقدية الموضوعاتية، جميل حمداوي، ص 11

هذه المقاربة تتطلب الإحصاء، والنماذج، والتحليل فإني سأعتبر ذلك المتن الغزير بمثابة "نص واحد"، مقسماً إياه إلى قسمين حسب الجدول الزمني الذي وزعت عليه سلفا الشعر السوكي، بغية التوصل إلى الموضوعات التي تهيم على شعر السوكيين، والنادرة، ومحاولة تفسير ذلك التفاوت، مع لفت الانتباه إلى مدى التطور الذي حصل على المستوى المضموني بين المرحلتين، وبالتالي فسيشتغل الفصل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المضمون الشعري في المرحلة الأولى.

المبحث الثاني: المضمون الشعري في المرحلة الثانية.

المبحث الثالث: الشعر التعليمي لدى السوكيين.

إن الشعر العربي عند السوكيين لم يتجاوز الموضوعات التقليدية للشعر العربي القديم عبر مرحلتيه كالحال في شقيقه الشعر الموريتاني قبل فترة التحديث الشعري التي مرت بها البيئة الثقافية الموريتانية وما زالت البيئة الطارقية تعيش ما قبل النهضة "ثقافياً"، فإذا كانت الأرضية الثقافية بموريتانيا تأخرت عن الحداثة عموماً والشعرية خصوصاً إلى الثمانينيات فإن المجتمع الذي أدرسه أنا لم يلتحق بعد بهذا الركب، حتى يهتم شعراؤهم بتطوير المضمون الشعري كما سبقت الإشارة إليه، فتصوير المعاناة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والأمل، والحلم، والحديث الوجداني... إلى آخر ذلك من الموضوعات الشعرية لا وجود له بشكل مباشر في هذا المتن، إضافة للعوامل المذكورة في الباب الأول فإن العوامل التي أوردتها باحثة موريتانية، وفسّرت بها تأخر الشعر الحديث عن موريتانيا متوفرة أكثر في بيئتنا، وتتلخص تلك العوامل في الآتي¹:

1. عدم تجاوب القارئ المستهلك "أي المجتمع" مع هذه التجربة.
2. أن النموذج الشعري القديم ظل مسيطراً ثاوياً في الذاكرة وتقبل بديل له يتطلب بعض الوقت.

¹ انظر كتاب الشعر الموريتاني الحديث، مباركة بنت البراء ص 24

3. أن ظهور الشكل الجديد لم يصحبه تنظير نقدي كما وقع في البلاد العربية الأخرى لانعدام النشر وضعف وسائل الإعلام وعدم استيعاب آليات النقد الجديد.

أزيد للباحثة بالنسبة للسوكيين:

4. انقطاع تام عن التجربة الشعرية الجديدة، فلم يسمعو بالبارودي فضلا عن عبد الصبور.
5. عدم وجود دولة راعية لإنتاجهم الأدبي، وإهمال المؤسسات العربية، بل حتى الدول لذلك الإرث الثقافي الغزير في تلك المنطقة.

إن الشعر السوكي خصوصا في مرحلته الثانية التي تعتبر فترة الازدهار والنضج فنيا كان متعاليا عن مفردات الوطن، والتعمق في معانيه، وصوره، ويلاحظ قارئه غياب القضايا السياسية، والاجتماعية، والإنسانية عموما.

إلا أننا نلاحظ مفارقة مفاجئة، هي كون المرحلة الأولى ملتزمة أكثر من الثانية بقضايا المجتمع، والدولة، كما سلفت الإشارة في الباب السابق، وهي المرحلة التي لم يكن فيها الشعر مزدهرا كَمَا، وكيف على المستوى الفني، فنلاحظ تراجعا كبيرا في الاهتمام بالواقع المعيش كلما تقدم به العمر!! كما ستوضحه الدراسة الإحصائية.

وأقرب تفسير لتلك المفارقة في نظري أن السوكيين في المرحلة الأولى يحسون بالمسؤولية العلمية، والسياسية الملقة على أكتافهم بصفتهم "مثلي شؤون الدين، والقضاء، والتعليم" في مملكة إَوْلَمَدَن" ، وكلما تقدم بهم الزمن تراجع دورهم القيادي في المنطقة حتى أشرفوا مؤخرا على أن يكونوا في الهامش بسبب السياسة القائمة، والتطورات المتسارعة، وعدم مبادرتهم بتحديث أوضاعهم العلمية، والسياسية، وبالتالي لم يبق أمام شاعرهم سوى التغني "مضمونيا" بما يتغنى به الشاعر العربي الذي كان النموذج الأعلى في نظرهم، كما لم يعد لهم "مكان" يحلمون به غير تلك الأمكنة العربية، ولا "زمان" يعيشونه غير ذلك الزمن العربي المنصرم، فتداولهم للأغراض الشعرية القديمة نوع من النزوع النفسي إلى ما تهواه أفئدتهم، وإحساس شديد بغربة حتى من الواقع، أكثر من كونه "تقليدا"، بل هي حالة اغتراب قاهرة يعلن عنها الشاعر مُجْدُو يوسف بوضوح حين يقول¹:

¹ ديوان الشاعر: المدد الرباني، ص 10، وانظر أيضا بحثي: الشاعر النسقي، ص 166

كذلك لو لم نَغْتَرِبْ لم تَدُرْ على
 ولم تَدُرْ أنا لم نكنْ من جَلامِدِ
 فما إن تَغَرَّبْنَا لنَشْري بضاعةً
 لنا أُسُوَّةً في الماءِ يَأْسُنْ راكداً
 حِمانا دوائِزُ الدُّهورِ الدَّهَارِ¹
 جوامدَ لأواءِ السنينِ الحرامِ²
 ولكنْ لنَشْرِ الحمدِ بالمتنافسِ
 ويَصِفُو ويصفو جارياً في القَلا، قِسْ

فمحمّدو بكل صراحة، يوضح أن سبب بلائهم هو اغتربهم عن وطنهم الأصيل، (الحجاز/المغرب)، ولا يفوته أن يذكر بالمهمة الجليلة التي قادتهم إلى تلك البقاع البعيدة حتى تغربوا، وهي "الدعوة إلى الإسلام"، ويمثل حالهم في تشبيه تمثيلي رائع بـ"الماء"، الذي يفسد بالتوقف، والانحباس في مكان ما ضيق، ويزداد صفاء، وجمالاً إذا جرى في المساحات المتباعدة (القلا).

بعد ذلك يلخص رحلتهم التاريخية التي ما نسوها قط، فهم نشأوا في أم القرى، ومن هناك جهزوا الكتاب لنشر الدين، فلما استكان الشمال الإفريقي للإسلام استقروا معززين، مبجلين، إلا أن الشاعر من شدة احتفائه بـ"ماضيه" مكاناً وإنساناً لدرجة متطرفة، اعتبر الجيران "نسانس": همل، و المكان الجديد: "أواعس" كالقفار!:

أَلَمْ يَكْ مَنْشَانَا وَمَنْشَا جُدودَنَا
 نُقَاتِلُهُمْ فِي اللَّهِ وَاللَّهُ نَاصِرٌ
 فَإِذْ أَسْلَمُوا لِلَّهِ وَاسْتَسْلَمُوا لَهُ
 جَمَعْنَا جُمُوعًا وَاكْتَتَبْنَا كِتَابًا
 فَلَمَّا اسْتِكَانَ الْغَرْبُ لِلْحَقِّ وَارْعَوَى
 فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ انْتِسَابٌ لِبَلَدَةٍ
 بِأَمِّ الْقُرَى نَقَرِي الْعِدَا بِالْتَرَامِ³
 فَنَخْتِطُ الْهَامَاتِ تَحْتَ الْقَلَانِ
 وَنُكْسِتُ الْأَنْصَابُ بَيْنَ الْكُنَائِ⁴
 إِلَى الْغَرْبِ بُسْلاً لَمْ تَكُنْ بِالْقَنَاعِ⁵
 أَقْمَنَا عَزِينَ بَيْنَ هَاتِي النَّسَانِ⁵
 لَنَا فَلْتِلْكَ لَا لَهْذِي الْأَوَاعِ

¹ الدهارس: الدواهي.

² الحرامس: سنون حرامس: شداد.

³ الترمس: شجر له حب، مضلع، محرز، جمعه ترامس، والترمسة: الحفرة، "العين للخليل، رمس".

⁴ القناعس: قد تكون جمع مقعنسس: متأخر، متراجع.

⁵ النسانس: خلق يثب أحدهم على رجل واحدة، وقيل: قوم عاد، أو ياجوج، ومأجوج. "ق".

لقد تبدلت الحال فعلا في وقت سابق للاستعمار الفرنسي قليلا، لكي ينهي الاستعمار آخر ما تبقى من رمق الحياة في مجد حَمَلَة الثقافة العربية الإسلامية بالصحراء الكبرى، وذلك هو ما يظهر في شعر المرحلة الأولى التي يعتبر آخرها إنذارا لما آلت إليه الأوضاع لاحقا.

المبحث الأول: المضمون الشعري في المرحلة الأولى:

تقدمت الإشارة في الباب الأول إلى أن المضمون الشعري في هذه المرحلة كان مسكوناً بمحوم الواقع الراهن حينه، وشارك في قضاياها حسب إمكانياته، المتاحة، لكن فلننظر إلى المعطيات التي سيقدمها لنا الإحصاء:

أ. إحصاء شعر المرحلة الأولى بحسب الموضوعات

م	الغرض	الشرط الأول للمطلع	الشاعر	عدد القصائد
1	الدعاء	يا ربِّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا	مُحَمَّدُ دَانِيَالُ	4 قصائد وشاعران
		باسمِ الإِلَهِ عَلَى (الْإِنْصَارِ) إِنْ طَلَبَا	-	
		مَا شَاءَ رَبِّي لَا حَوْلَ وَلَا حِيلُ	-	
		يا ربِّ يَا ذَا الْبَطْشِ يَا قَهَّارُ	هَارُونُ مُحَمَّدُ	
2	إخوانيات	أَبْلِغْ لَدَيْكَ مُحَمَّدَ بْنَ الْهَادِي	مُحَمَّدُ دَانِيَالُ	قصيدتان وشاعران
		كِتَابَانِ شَوْشَا بِمَا اشْتَمَلَا جَلْدًا	أحمد الإمام	
3	الثناء	خَلُّوا لِحَنَسَاءِ الزَّمانِ وَصَحْرِهِ	أحمد الإمام	قصيدتان شاعران
		أَلَا تَسْلِي يَا طُحَا الْجَاشِ عَلِي	مُحَمَّدُ إِنْغِلِشُ	
4	المدح	إِلَى سَيِّدٍ سَادَتْ جُدُودُهُ قَبْلُ	هارون محمد	قصيدتان لشاعر
		إِلَى الْأَمِيرِ الْعَظِيمِ الشَّانِ فِي الدِّينِ	هارون محمد	
5	المديح النبوي	لَبَّيْكَ تَلْبِيَةَ الثَّقِيلِ الْكَاهِلِ	أحمد الإمام	1
6	الفخر	أَلَمَّا عَلَى رُبْعٍ تَعَاوَرَهُ الْوَبْلُ	هارون محمد	1
7	الهجاء	عَلَى نَفْسِهَا بَخْنِي بَرَاقِشُ، فَالْحَزْمُ	هارون محمد	1

لم يتجاوز المتن الشعري المجموع لهذه المرحلة سبعة أغراض، واللافت للنظر تربع "الدعاء" على المرتبة الأولى، ويتعادل كل من "الإخوانيات"، و "المدح" والثناء" في الدرجة الثانية، بنموذجين

لكل، ولا ننسى أن المدح الوارد هنا ليس مدحا عاديا بقدر ما هو "خطاب سياسي دبلوماسي"، ثم تتوزع الأغراض الثلاثة المتبقية ثلاث قصائد (3/3).

ب. نماذج:

1. الدعاء:

الدعاء من أهم الأغراض الشعرية التي لم يكن يعرفها الشعر العربي القديم، خاصة الفترة الجاهلية، وأنه تطور في المجتمعات الصوفية أكثر، وللدعاء في الشعر السوكي عموما خصوصية مميزة، ومكانة جلييلة، سنرى شعر الدعاء أكبر إيقاعا وفنية في المرحلة الثانية، ويبقى أن نقول: إن الشاعر السوكي استطاع أن يصنع من الدعاء غرضا شعريا يجمع بين الفن والإيمان، حيث يذوب في اتصال إيماني مع ربه، عبر كلمات يظهر عليها الانكسار، والخضوع، ويكون بذلك معبرا في أقوى بؤح عن إكراهات واقعه المأزوم الذي يحاول الخلاص منه عبر هذه الأدعية، ويكتسب شعر الدعاء "وقعه" الخاص في المجتمع الصوفي إذا استحضرننا اعتقاد القوم في استجابة الله للشيخ الذي يدعو، وكأن "كلماته" تلك تحمل على الدوام قوة الاستجابة، لذلك يحق للجميع أن يردد تلك الكلمات ويكون لها أثرها، فهي "دوما دعاء الشيخ" وإن قرأه غيره !

إنَّ جَلَ أدعية الشعراء السوكيين لا تكون ذاتية، فردية، بل للمجتمع، وشاعر الدعاء في هذه المرحلة هو الشيخ دانيال مُحمَّد، وتتميز أدعيته بحضور القائد السلطان "الإنصار" غالبا فيها، والدعوة لرد "أعداء سلطنته"، وقهرهم، وأن ينصر عليهم نصرا مبينا كما في هذه القصيدة¹:

يا ربِّ يا ذا البَطْشِ يا قَهَّارُ	سجدتُ لكَّ الأحجارُ والأشجارُ
يا ذا العزيزُ المالكُ المُلْكِ الذي	خَشَعْتُ لِعِزَّةِ عِزِّهِ الأبصارُ
أنتَ الكريمُ عن أن تُردَّ مسائلُ المَـ	لهوفٍ قد ضاقتُ عليه الدَّارُ

¹ مجموعة شعرية أهداها حفيد الشيخ عبد الحكيم مصطفى.

أَنْتَ الْمُعِينُ الْمُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى
 إِنَّا أَحَاطَ بِنَا عَدُوُّ جِهَاتِنَا
 بِكَ نَسْتَعِينُ عَلَيْهِمْ فَارْدُدْهُمْ
 وَبِكَ اسْتَجِرْنَا مِنْ جَمِيعِ شُرُورِهِمْ
 قَدِّرْ عَلَيْهِمْ دَائِرَةَ السُّوءِ لَا
 مَا كَلَبْنَا جَهْدَهُمْ أَغْيَارُ
 وَلَطَالَمَا وَقَعُوا بِنَا وَأَغَارُوا
 عَنَّا إِلَى أَنْ تَأْمَنَ الْأَقْطَارُ
 يَا مَنْ يُجِيرُ وَلَا عَلَيْهِ يُجَارُ
 تَنْفِكُ بَعْدُ عَلَيْهِمْ تَنْدَارُ

إلى أن قال:

وَانصُرْ وُلَاتِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعَهُمْ
 وَأَمِدَّهُ بِدَقَائِقِ الْأَسْمِ الَّذِي
 وَاخْلَعْ عَلَيْهِ لِبَاسَ عِزِّكَ وَاكْسِهِ
 وَقِهِ غَوَائِلَ كُلِّ مَارٍ مَارِدٍ
 بِمَكَانِ أَحْمَدَ مِنْكَ يَا رَبَّ الْوَرَى
 هُمْ أَنْبِيَائُكَ وَالْمَلَائِكُ كُلُّهُمْ
 بِقَوَاكٍ مِنْهُمْ عَبْدُكَ (الإنصار)¹
 حَفَظَ الْوُجُودَ بِهِ فَكَانَ قَرَارُ
 أَبَدًا دُرُوعَ الْقَهْرِ يَا قَهَّارُ
 وَمِنْ الْعَدُوِّ اسْتُرَّهُ يَا سَتَّارُ
 وَصَحَابَهُ وَمَنْ إِلَيْهِ سَارُوا
 وَمَكَانٍ مَنْ هُمْ سَادَاتُ أَبْرَارُ

تبدأ قصيدة الدعاء كما نرى في هذا النموذج بحشد زمرة من أسماء الله تعالى، ثم يتوجه إليه بالدعاء العام، ويخصص المشكل المقصود، ولا تخلو سائر النصوص التي عثرنا عليها من التوسل بالنبي عليه السلام، والصالحين من أمته، وتحمل قصيدة الدعاء بعض المميزات الفنية وإن لم تكن كثيرة، مثل قوله: (واخلع عليه لباس عِزِّكَ واكسُهُ أبدا دروع القهر يا قهَّار).

¹ "وَقِيَهُمْ". هكذا وجدتها مكتوبة، وهكذا يدعم الوزن، إلا أن الكلمة نحويًا لم تجر على السنن المعروفة، ف"فعل الأمر من" وقي" يجزم بحذف الياء، ولا يبقى إلا "ق"، مثل قوله تعالى: {...قوا أنفسهم وأهليكم نارا...}، وهنا أثبتت القصيدة الياء في الكلمة.

2. المدح:

المدح هو ذكر محاسن المرء، وتصوير مناقبه وقد صرح النقاد بأن أمدح الشعراء في الجاهلية زهير، والنابعة، والأعشى، وفي الإسلاميين كثيّر، والأخطل،¹ ، وقد بدأه زهير بشكل خافت لا يقصد فيه التكسب، ثم استغله النابعة أشد استغلال في مدح المناذرة، ولحق به الأعشى الذي كان لا يمدح أحدا إلا رفعه، ولا يهجو عربيا إلا وضعه،² حتى جاء العصر العباسي فتطور شعر المدح وأصبح على رأس قائمة الأغراض الشعرية، فخلعوا على الممدوحين مختلف الصفات الحميدة المعروفة في التقاليد العربية، ورسوموا تلك الخصال في قالب شعري فني بديع، جعل من غرض المدح أروع موضوع يستحوذ على الذائقة الجماعية رغم المبالغات الشديدة التي قد يستهجنها العقل،³ ، لئن كان الدكتور شوقي ضيف يرى أن المدحة ظلت (تبث في الأمة التربية الخلقية، حافزة لها على الفضائل، والمكارم الرشيدة)⁴ فإن ناقدا معاصرا آخر هو الدكتور الغدامي يرى أن غرض المدح زرع المشكلة الثقافية الأخلاقية الأولى، وصنع "الطاغية" في الثقافة العربية، فعبر البلاغة سرّب شاعر المدح أخطر الأدواء، والعيوب الفكرية، والاجتماعية⁵ ، وبالمدح عند الناقد الثقافي ظهر تحول خطير جدا على الثقافة العربية، (فتحولت "النحن" إلى "الأنا"، مثلما تحولت القيم من بعدها الإنساني إلى بعد ذاتي، أناني، نفعي، وتحول الخطاب الثقافي إلى خطاب منافق، وكاذب)⁶ ، وهكذا ظهرت في نظره "شخصية" الممدوح الذي يتم تأليهه، فضلا عن ترسيخه، ويتم معه تزيف الوعي، ونشر ثقافة التملق، والرغبة، والرغبة، ويكون الإبداع الفني مرتبطا بذلك إلى اليوم لدى الغدامي!

¹ العمدة في محاسن الشعر لابن رشيد، ص 104، ج 2

² تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ص 72، ج 3

³ تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، ص 159

⁴ المرجع نفسه، ص 160

⁵ النقد الثقافي، عبد الله الغدامي، ص 149

⁶ المرجع نفسه، ص 155

هذا عن المدح في الأدب العربي القديم، أما المدح عند السوكيين فقد يكون مختلفا قليلا - رغم استعادة كامل الأوصاف التي يصف بها المداحون العرب ممدوحهم - ذلك أن المدح لم يخرج من طابعه الفني الخالص إلا ما اقترن به من التكسب، والتكسب يكون عند الأمراء، والزعماء، والسوكيون غالبا ما ينصرف مدحهم إلى العلماء، والمشايخ، باستثناء أعمال قليلة، لذلك يلاحظ قلة شعر المدح لديهم، وفي هذه المرحلة الأولى لم أقف إلا على قصيدتين للمدح، سبق الحديث عن إحداها للشيخ هارون، وكان الغرض منها نبيلًا، إذ هو شبه دفاع عن دولة كاملة، وليس الهدف نيل "دراهم معدودة"، والخصال التي دارت عليها القصيدة - وهي الأغلب في مدائح السوكيين - هي "الشجاعة، والنبيل، والتدين، ونصرة الدين، وإحياء السنة"، كما في قصيدته الثانية إلى الحاج محمد بللو أمير دولة كانم الإسلامية، وفي هذه يجدد الشيخ بيعته هو ومن معه، والقصيدة كما يبدو - رغم ما فيها من مدح لقائد - إلا أنها "رسالة سياسية دبلوماسية" أكثر منها قصيدة مدح للتكسب¹:

إلى سيّدٍ سادتْ جُودُهُ قَبْلُ	كذاك يسودُ بالجُودِ له النّسْلُ
إلى الشّيحِ نَجَلِ الشّيحِ والعِلْمِ الذي	له اخضُوضَعَتْ في عِزِّها البيضُ والكُحْلُ ²
إلى فاضلٍ تُعْني فضائلُ فضله	إلى من يَبْلُ دَا السقامِ به "بَلُو" ³
هو الوَبْلُ في المَعْنَى فوافَقَ لفظَه	فجاءَ على وَفْقِ اتِّفاقِهما البَلُّ
سلامٌ كما لاحَتْ مِنَ العَيمِ بَرْقَةٌ	يفوخُ فُواحَ الزَّهرِ باكرَه الطَّلُّ
سلامٌ يعمُ النّشرُ منه مَن انطوى	له ، وخُصُوصًا مَن له العَقْدُ والحُلُّ
وأبْلَغُ إكرامٍ وأزكى نَحِيَّةٍ	يضيقُ عن استيعابِها الوعرُ والسَّهْلُ
حمْدنا إليك اللهُ جلَّ جلاله	بما اتَّضَحَتْ مِنْ نُورِ مصباحِ السُّبُلِ
وأحييتَ سنَّةً أُميتتْ وأحييتَ	شرائعَ لا يَرْضَى بها العقلُ والنَّقلُ
وشامَ أولُو الحاجاتِ بَرَقًا فالتَّقَتْ	لدى بابِكَ المستمطرُ السُّفُنُ والإبُلُ
فأويّتَ مطرودًا وأكسيتَ مُعَدِمًا	وأطلعتَ مغلولًا أضَرَ به الغلُّ

¹ الجوهر الثمين، العتيق سعد الدين، ص 251
² اخضوضعت: افعل من "خضع"، الكل: يقصد بهم الزنوج
³ "بللو" يقصد به أمير دولة كانم الإسلامية في زمانه.

على غِرَّة أنياب قَسُورَةٍ عُضْلُ
مصاعِب لا تنقادُ إِلَّا إِذَا كُتِلُوا
سلوكِ طريقِ الحقِّ مِنْ بعدِ مَا ضَلُّوا¹
حيارى فلا شَمْسٌ تنيرُ ولا زُحُلُ
ولم يبقَ إِلَّا العُمى والصُّم والشكْلُ
كساكِ كساءها وَيَنْتَظِمُ الشَّمْلُ
تقومُ بما قامتَ به اليدُ والرجلُ
مشوَّشَةٍ فالطَّلُ يعقبُه الوَبْلُ
على قدرِ مُهديها مقاديرُها تَعْلُو
بفاعِلِها يَسْمُو ، وأنتَ لَهُ أَهْلُ
إلى سيِّدٍ سادتْ جدودُهُ قبلُ

وأنجيتَ مفروسًا وقد ضببتَ به
كما قَدَّتْ لِلدِّينِ الحنيفِ فَأَحْبَبُوا
وأبرأتَ كُفَّهَا وأرشدتهم إلى
طلعتَ وأهلُ الأرضِ مِنْ غَبَشِ الدُّجَى
وأحلَكَ وجهُ الأرضِ مِنْ ذي بصيرةٍ
وإن زدتَ زادَ اللهُ فِي النِّعَةِ التي
بعثنا بها تي "بَيْعَةً" مستمرةً
فلا تستقلَّ اليومَ ذَا مِنْ عُجَالَةٍ
فإنَّ الهدايا والعوائقَ جَمَّةٌ
وإنَّ قبولَ العُدْرِ للناسِ حِرْفَةٌ
كما أننا نلقِي بأصْفَى مودَّةٍ

3. الرثاء:

الرثاء مديح من نوع آخر، إذ هو تأبين الميت، وتدوين محاسنه، وقد تطور على يد الخنساء في الجاهلية،² ولا يستغرب أن يكون برز على لسان امرأة، لارتباطه بالبكاء، وعدم الصبر على جرح القلب بفقد الحبيب، على أنه انحرف به المثار كذلك في العصر العباسي إذ أصبح هو الآخر للتكسب، فيرثي الشاعر الأمير المتوفى بحضرة خليفته، لم يمت خليفة، ولا وزير إلا وتسابق الشعراء إلى رثائه،³ وإن كنا نوافق شوقي ضيف في تأكيد إبداع الشعراء العباسيين في تصوير اللوعة، والحزن، واختراع المعاني الجميلة في التأبين، والعزاء، لا نوافقه كثيرا في قوله: (وحقا رثاؤهم لهم يفيض بالحزن، واللوعة)⁴ ! لأن رثاء الزعيم لا يوجد فرق كبير بينه وبين مدحه خاصة وأن ذلك الرثاء

¹ الكُفَّة: يعني بهم هنا الضالين عن الطريق المستقيم.

² تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ،

³ تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، 170

⁴ المرجع والصفحة نفسهما.

غالبا ما ينتهي بالهناء، ويكون التبشير بأن هناك خليفة جديدا سينوب مناب الفقيد من أساليب العزاء التي يقدمها الشاعر لابن المتوفى وللمصابين بالحزن!

على أن الرثاء في الشعر السوكي يمكن وصفه باحتواء الحزن الحقيقي، ففي الغالب يكون المرثي قريبا في النسب، وأستاذنا في العلم، أو أحد الأمرين، وفي مثل هذه المواقف يحق للقلب أن يلتهب ألما، وللنفس أن تعتصر كمدا، وللرثاء حضور بارز جدا في الشعر السوكي إذ لم يمت عالم تقريبا إلا ورثاه أحدهم أو أكثرهم، وفي المرحلة الأولى نجد نموذجين للرثاء، كلاهما لتأبين عالين جليلين، الأول هو أرجوزة الشيخ إنلُبش في رثاء الشيخ الولي الصالح حسب تعبيره/ خالد، والثانية رثاء الشيخ أحمد الإمام مُجَّد إكنن لشيخه، ومربيه الشيخ قاضي القضاة في زمانه مُجَّد الصالح سَلْهُو، وهي قصيدة باهرة في بثها للشجن، وتعبيرها عن الألم، وحرقة الفقد، وتصوير مدى خسارة أهل العلم، والدين حين غاب ذلك البدر المنير، ويبدأ الندبة الكبيرة كما يسميها بقوله¹:

خُلُوا لِحَنَسَاءِ الزَّمَانِ وَصَحْرِهِ	مَيْدَانِ حُلُو جَنَى النَّحِيبِ وَمُرِّهِ
وَمَدِيدِهِ وَبَسِيطِهِ وَطَوِيلِهِ	وَكَرِيهِ ثَيِّبِهِ وَفَاجِعِ بَكْرِهِ
وَأَسْلُوا بِتَسْلِيَةٍ يَمَّا عَزَّيْتُمْ	مَنْ رَبَّكُمْ فِي نَصِّ مُحْكَمِ ذِكْرِهِ
وَذَرُوا أَسِيفاً فِي قَمِيصِ هَيَامِهِ	وَهَيْبِ وَحَشْتِهِ وَلَفْحَةِ حَرِّهِ
فَلَكُنْ سَلَا السَّالِي لِطُولِ نَشِيجِهِ	وَفَرَاغِ أَدْمُعِهِ وَسَلْوَةِ صَدْرِهِ
لَوَجَدْتَنِي وَمَعِيَ مِنَ الْأَشْجَانِ مَا	يُزْرِي الدُّهُورَ بِنَظْمِهِ وَبَنْثَرِهِ
لَمْ لَا وَقَدْ كُنْتُ اسْتَبَنْتُ هُنَيْهَةً	حَالَ الْكِرَامِ مِنَ اللَّثَامِ بِسَرِّهِ
فَوَجَدْتُ مَنْ نَبَكِيهِ فَوْقَ بُكَائِنَا	بِالدَّمْعِ وَالدَّمِ مِنْ عِلَامَةِ خَطَرِهِ
مَنْ لَمْ يَزَلْ مُذْ شَبَّ يَحْمِلُ كُلَّنَا	مُسْتَسْهَلاً لِلْسَّهْلِ مِنْهُ وَوَعْرِهِ
مَنْ لَا يُجَوِّجُ لِلِسُّؤَالِ وَلَمْ يَكُنْ	يَحْتَاجُ إِظْهَارَ الْفَقِيرِ لِفَقْرِهِ
حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ مُتَزَوِّداً	مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ بُلْعَةً قَبْرِهِ
مِنْ نُصْحِهِ لِإِلَهِهِ وَكِتَابِهِ	وَرَسُولِهِ وَجَمِيعِ شَامِلِ أَمْرِهِ

¹ القصيدة مخطوطة بحوزة الباحث، وانظر أيضاً: ديوان الشاعر أحمد الإمام دراسة وتحقيق، علي سليمان، ص 84

وَأَقَامَةً لِصَلَاتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي حَالَتِي يُسْرِ الزَّمَانِ وَعُسْرِهِ

4. المديح النبوي:

مدح النبي عليه السلام أهم الأغراض التي ظهرت في العصر الإسلامي، وأصبح المديح النبوي بعد أولئك الرواد بمثابة فرض عين على كل شاعر مكثراً، وبالذات في المجتمعات الصوفية، وفي المرحلة الأولى من الشعر السوكي لم أر في المديح النبوي إلا قصيدة واحدة للشيخ أحمد الإمام، وهي ليست في المستوى الراقي الذي سنراه في المرحلة الثانية كمّاً، ولا كيفاً، فهي لا تعدو أن تكون مجرد صلاة على النبي مُجَدِّ عليه السلام، وقد لا تعد من المديح، فهي دعاء، وصلاة، لأنها أصلاً أنشأها تلبية لنداء ابن عمه مُجَدِّ بن سيدي بوبكر القاري⁽⁴⁾، حيث قال في قصيدة له:

بالله يا متمسكين بدينه صلوا على الحق الشفيع الكامل¹:

فأجب أحمد الإمام²:

لَبَّيْكَ تَلْبِيَةً الثَّقِيلِ الْكَاهِلِ	بَصْنِيْعِهِ الْمُعْرِى بِحُبِّ الْعَاجِلِ
لَأُصَلِّىَنَّ رِضِيَّ بِأَمْرِكَ بَادِلًا	لِلنُّصْحِ مُلْتَمِسًا ثَوَابَ الْأَجَلِ
وَأَقُولُ مُنْتَظِرًا لَوَعْدِ صَادِقِ	مِنْ عَالِمِ اللَّعِيبِ لَيْسَ بِعَافِلِ
كَيْمَا يُعَامِلَنِي بِمَا هُوَ أَهْلُهُ	مِنْ فَضْلِ رَحْمَتِهِ وَلُطْفِ شَامِلِ
وَيَحْطُ أَوْزَارِي الَّتِي أَسْلَفْتُهَا	إِذْ كُنْتُ مُنْطَاعًا لِأَمْرِ الْبَاطِلِ
بَلْ وَالَّتِي أَحْرَثُ غَيْرَ مُرَاقِبِ	لِأَكِيدِ حَقِّي فِي الْوُظَيْفَةِ حَاصِلِ
وَيُنَبِّتَ الْقَلْبَ الْمُقْلَبَ رِيْشَةً	أَبْدًا عَلَى سَنَنِ النَّبِيِّ الْعَادِلِ
وَيُسَدِّدَ اللَّفْظَاتِ وَالْحَرَكَاتِ مِنْ	كُلِّ امْرئٍ وَاعِي الْوَصِيَّةِ قَابِلِ
وَيُحَوِّلَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُشَوِّشِ	أَغْنَى مُنَاهُ بُدُو سَوْءَةٍ عَامِلِ

¹ ديوان أحمد الإمام دراسة وتحقيق، علي سليمان، ص 111

² المرجع السابق، ص 111

وَيُتَمِّمَ الْعُمْرَ الَّذِي ضَيَّعْتُهُ
وَيُهَوِّنَ السَّكَرَاتِ حَيْثُ الرُّوحُ مِنْ
وَيُبَيِّنِي فِي الْقَبْرِ قَوْلًا ثَابِتًا
وَيُقِيمَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمِنًا
وَيَمُدُّ مِيمَنِي لِأَخَذِ صَحِيفَتِي
وَيُجَيِّزَنِي كَالْبَرْقِ فَوْقَ صِرَاطِهِ
وَيُعَلِّنَا مِنْ صَفْوِ سَبْعِ حَوْضِهِ
وَيَجُودَ بِالْحُسْنَى لَنَا وَزِيَادَةَ
يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
بِحَوَاتِمِ اللَّسْعِدِ مِنْهُ دَلَائِلِ
بَدَنِ لِعَالٍ تَنْتَهِي أَوْ سَافِلِ
عِنْدَ السُّؤَالِ وَزَجْرَةٍ مِنْ سَائِلِ
مِنْ هَوْلِ يَوْمِ قَمْطَرِيرِ فَاصِلِ
فَرَحًا بِمِيزَانِ عَلا مُتَثَاقِلِ
كَيْمَا نُعَدَّ مِنَ الرَّعِيلِ الْوَاصِلِ
وَيُقَرَّرَ بِالرِّضْوَانِ عَيْنَ الْأَمَلِ
هِيَ غَايَةُ النُّعْمَى لِكُلِّ مُؤَامِلِ
فِي كُلِّ حِينٍ حَاضِرٍ أَوْ قَابِلِ

6. الإخوانيات:

الإخوانيات فن من فنون الأدب الذي ازدهر في العصر العباسي، ويعنى به كل تصوير لمشاعر الفرد تجاه أخيه، أو صديقه نثرا، أو شعرا،¹ وقد تطور هذا الفن مع النثر حتى لا يكاد يفارقه، وفي كتاب "سحر البلاغة وسر البراعة" المتخصص في سرد الفنون النثرية القديمة يعقد أبو منصور الثعالبي بابا سَمَاه "كتاب الإخوانيات" ولم يورد غير الرسائل البليغة التي تصور صنوف المودة، والإخاء، والاعتذار، والاسترضاء، وتصوير الشوق، واللوعة،²، إلا أنه لم يلبث الشعراء أن أدركوا الجانب الفني المؤثر، من خلال تصوير ألوان العاطفة الناصعة بعبارات بديعة، وألفاظ منمقة فأصبحوا يتنافسون هم أيضا في طرق هذا الموضوع نثرا، وشعرا³، أما كلُّ اسوِّك فقد وجدوا في هذا الغرض بغيتهم الأدبية، ومضمار تنافسهم، ومجال إبداعهم الشعري كما سنرى في المرحلة الثانية أكثر حيث شغل المركز الأول بين الموضوعات الشعرية، وفي المرحلة الأولى كان شبه منعدم، لولا هذه الإخوانية من مُحمَّد دانيال إلى أخيه مُحمَّد بن الهادي، يعتذر له عن سوء تفاهم وقع بينهما حول تعليق - كأنه صدر من مُحمَّد دانيال حول كتاب ما - والقصيدة تشرح الموضوع شرحا وافيا، تبدأ

¹ لتعريف الإخوانيات ينظر : العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، ص 591

² سحر البلاغة وسر البراعة، ابن سنان ص 127، ج 1

³ العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص 562

باعذار عظيم، مدعوم بقسم طويل، ومقرون بثناء جليل على الشيخ، كحال الرسائل الإخوانية العباسية¹:

أَبْلَغُ لَدَيْكَ مُحَمَّدَ بْنَ الْهَادِي	مَيِّ سَلَامًا فَائِحًا كَالْجَادِي ²
وَتَحِيَّةٌ تَشْفِي عَقَابِيلَ عِلَّةٍ	مِنْ رَائِحٍ مِنْ تُهْمَةٍ أَوْ غَادٍ ³
وَمَوَدَّةٌ مَا شَأْنُهَا مِنْ شَائِنٍ	مِنْ غَائِبٍ عَنْ أَعْيُنٍ أَوْ بَادٍ
أَقْسَمْتُ جُهْدًا بِالشَّعَائِرِ وَالْمَشَا	عِرِّ وَالْمَعَاشِرِ أَوْ "عَبُوءًا" لِجِهَادٍ ⁴
مِنْ كُلِّ أَرْوَغٍ بَاسِلٍ لَا يَدْرِي	بِقَرِينَةٍ عِنْدَ اقْتِحَامِ مَبَادٍ
فَوْقَ الْحَنَايَا الضَّمَامَاتِ تَرَاهُمْ	صُبْرًا لَدَى تَسْعِيرِ نَارِ جِلَادٍ
مُسْتَشْعِرِينَ وَلَا الْوَنَى يَنْبُو بِهِمْ	كَأَنَّ وَلَا يَخْشَوْنَ كَيْدَ الْغَادِ
أَوْ صَافِنَاتٍ يَسْتَبِخُنَ حِمَى امْرِئٍ	ضَلَّتْ بِهِ الْحَوْبَا سَبِيلَ رِشَادٍ ⁵
صَبَّحْنَهُ فَاسْتَوْصَلَتْ مَا عِنْدَهُ	قُبُ الْبَطُونِ نَوَاشِزُ الْأَلْبَادِ ⁶
فَأَتَوْا عَلَى قَدَرٍ وَكُلُّ رَاحِلٍ	أَوْ رَاكِبٍ فِي قَصْدِهِمْ مُتِمَادٍ
مِنْ كُلِّ فَجٍّ يَشْهَدُونَ مَنَافِعًا	لَهُمْ مِنْ أَمْرِ مَعَاشِهِمْ وَمَعَادٍ
أَمْ بِالْمَسَاجِدِ بِالْمَحَافِلِ عُصْرَتْ	مِنْ عَاكِفٍ فِيهِنَّ أُمٌّ مِنْ بَادٍ
مَا قُلْتُ ذَاكَ الْيَوْمَ مَا قَدْ قُلْتُهُ	فِي مَعْرُضِ التَّعْبِيرِ وَالْإِفْنَادِ
بَلْ نَصُّ مَدْحٍ ، وَالتَّأَوُّلُ ضَيِّقُ	فَالرَّيْبُ مِنْكَ أَحَقُّ بِاسْتِبْعَادِ
مَا خِلْتُهُ يَخْفَى عَلَى بَادٍ دَوَى	فَضْلًا عَلَى فِطْنٍ بَصِيرٍ شَادٍ
شَهْمِ الْجَنَانِ مَدْرَسٍ ذِي مَسَكَةٍ	بِالْعِلْمِ وَالتَّقْوَى طُلُوعِ نَجَادٍ
إِنَّ الْكِتَابَ أَرَدْتُهُ فَأَعْرَضْتُ	فَأَفْدْتُ بُورِكَ فَيْكَ أَيَّ مَقَادٍ

¹ مجموعة شعرية أهداها لي حفيد الشيخ عبد الحكيم مصطفى

² الجادي: الزعفران.

³ عقابيل: بقية المرض، وتقال: للداهية أيضا.

⁴ "عبوا" هكذا وجدتها، والظاهر أن الصحيح: "هَبُوا لجهاد" أي ذهبوا مجيبين لنداء الجهاد، وأعتقد أنه من تصحيف النساخ.

⁵ الحوباء: النفس.

⁶ قُبُ البطون: وصف يستحسن لطن الخيل، وهو الضمور، نواشذ الألباد: بارزة الألباد، والألباد جمع لبد، والشاعر أخذ البيت من الشاعر القديم

القائل: جلب الجياد من العراق شوازا قُبُ البطون بجلن بالألباد

وقال آخر: قُبُ البطون من التعداد قد علمت أن كل عام عليها عام إلجام

انظر كتاب أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام، لأبي المنذر بن بشر الكلبي، ص 62

والنموذج الثاني من الإخوانيات هو الآخر نوع من الاعتذارات التي تجري بين الإخوان، ولذلك جاء به دارسه/ علي سليمان في شكل مستقل تحت "غرض الاعتذار"¹، ولعله خفي عنه أن الاعتذار اقترن في الأدب العربي باعتذار الإنسان لمن هو فوقه كثيرا بسلطة سياسية، أو دينية، كاعتذارات النابغة للنعمان، واعتذارات شعراء العصر العباسي للأمرء، أما الاعتذار الذي يكون بين الإخوان، أو الزملاء، فهو مثل تصويرهم للشوق، أو شكائهم من البعد، كل ذلك يدخل ضمن "الإخوانيات" كما مر في التعريف بهذا الغرض.

والنص واضح في ذلك الجو الأخوي المليء بالمودة، والمحبة الصافية،، وكان أصلا نتيجة لرسالة "إخوانية" أرسلها للشيخ سيدي محمد بن الشيخ الكبير الكنتي، لأمته الأخير في عدم ذكر اسمه ضمن الرسالة!، فرد عليه بقصيدة إخوانية رائعة يقول فيها²:

نَرَى سُبَّةً أَنْ نَسْتَقِيلَ أَحِبَّةً	حَبَوْنَاهُمْ مِنْ صَفْوِ طَيِّ الْحِشَا زُنْدًا
لَكُمْ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ أَعِنَّةً	تَجَرُّ لَكُمْ مَنْ لَمْ يَلِدْ وَمَنْ لَدَّا ³
أَعُوذُ بِرَبِّ الْبَيْتِ مِنْ كُلِّ قَاصِفٍ	يَهْتُبُ بِأَسْبَابِ مُنَاقِضَةٍ عَهْدًا
أَقُولُ عَلَى بَدْرِ الزَّمَانِ مُسَلِّمًا	سَلَامًا لَهُ لَمْ أَحْصِ عَدًّا وَلَا حَدًّا
أَلَا لَا يَرِنُكَ أَثَرُ النَّدْبِ مَا جَرَى	مِنْ التَّرَكِّ لِاسْمِكَ الَّذِي ضَمَّنَا الْحَمْدَا
لَعَلَّ الْيَرَاعَ قَدْ أَحَلَّ بِرِسْمِهِ	وَمَا كَانَ إِحْلَالُ بِذَاكَ السُّمَى عَمْدَا
عَلَى أَنَّهُ لَوْ غَادَرَ اسْمُكَ نَاسِخٌ	لَمَا كَانَ لِلْمَجْدِ الَّذِي حُزِنَتْهُ جَحْدَا
أَعَادَكَ - أَنْ يَسْتَهْجِنَ اسْمُكَ فَاضِلٌ	مِنْ النَّاسِ - رَبُّ كَانَ فِي مُلْكِهِ فَرْدَا

والشاعر أحمد الإمام شرح المقصود، بعد تأكيد أواصر المودة، والإخاء، دون التصريح بطلب العفو، والسماح، ذلك لأنه لا يخاف على شيء سوى خسارة "الأخوة"، عكس الشاعر أمام الأمير.

¹ ديوان الشاعر أحمد الإمام محمد إكثن، علي سليمان، ص 55

² المرجع السابق، ص 74، و 55

³ لَدَّا: اشدت خصومته، أي الخصيم وغيره

7. الهجاء:

الهجاء عند العرب قسمان: هجو الأشراف: وهو ما لم يبلغ أن يكون سبا، وفحشا، وقسم هو السباب¹، وكان العرب قديما يخافون الهجاء كثيرا، بل يتهيبون الشعراء من أجل ألا يسلبوهم عرضهم²، فكأنهم يعتقدون اعتقادا جازما أن الشاعر بإمكانه أن يضع قبيلة كاملة، كما يرفع أخرى، ويروون في ذلك قصصا، كما يروون أن قبيلة نمير أهلكتها جرير بقوله³:

فغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ تُمَيْرٍ فلا كُغْباً بَلَغَتْ ولا كِلَاباً

وليس الهجاء من الأغراض المركزية في البيئة السوكية، وإذا كان الأدب العربي القديم عرف شعراء تخصصوا في الهجاء كالحطيئة، والفرزدق، والأحوص، وجرير، وقبلهم الأعشى، والنابغة فإن الشعر السوكي يكاد يكون خاليا من هذا الغرض، ولم يطلع منهم شاعر واحد امتهن الهجاء، ولعل للتربية الدينية الصوفية دورا بالغا في ذلك، إضافة إلى أن أغلب الشعراء السوكيين علماء ينظر إليهم نظرة القادة، فلا يعجبهم أن يقولوا قصيدة هجاء تروى عنهم.

وتوجد نماذج معدودة في المرحلتين، لا تتجاوز أربعة، موزعة بين المرحلتين، وتلك النماذج تتميز بأنها من "قسم هجو الأشراف"، لا سباب فيها، ولا فحش، ويستثمر الشاعر السوكي مقام الهجاء لكي يشيد بالأخلاق الحميدة التي ينبغي أن تتبع، ويحذر من الدناءة، والوضاعة، وعدم الكرم، وفي المرحلة الأولى نطالع قصيدتين إحداهما لأحمد الإمام مُجَّد إكنن، والأخرى لهارون.

أ. مقطع من قصيدة أحمد الإمام :

¹ انظر تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ص 73، ج 2

² الكامل للمبرد، ص 377، ج 1

³ الحيوان للجاحظ، ص 170، ج 1

القصيدة سببها أن الشيخ نزل عند رجل من الصحراء ضيفاً لم يكرمه،¹ فانتهاز الشيخ الفرصة للتحذير من هذا الانهيار الشديد لأخلاق الصحراويين الكرماء، ويروى قصة تعريسه بالحي، عبر أسلوب سردي شيق²:

لَا تَلْخُني إِنْ نَأَتْ عَنْ "مَازٍ"⁽²⁾ بِي الْعِيسُ
مَهْلًا فَلَيْسَ عَلَى دُنْيَاكَ مِنْ أَحَدٍ
مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ دَهْرًا سَاقَنَّا زُمْرًا
وَدِدْتُ لَمَّا أَبِي رَبُّ الصَّنِيعِ لَنَا
لِلْفَقْرِ أَبْرُكُ مِنْ غِنَى مُحَاوِلُهُ
حَتَّى ازْدَرَيْنَا عُيُونُ الْحَيِّ نَاطِرَةً
سَمَا بَنَّا الظَّهْرَ تَحْثِيثًا يُزَحْزِحُنَا
كُلُّ ابْنِ أَنْثَى لَهُ سِيمَا مُمَيِّزُهُ
وَالْمَرْءُ عَمَّا قَلِيلٍ صَائِرٌ قِصَصًا
مَا كَانَ بِدَعَا طُرُوقِ الصَّيْفِ مُنْتَجِعًا
بِجَرِي السَّمُومِ عَلَى طَوْدٍ فَتَتَرَكُهُ
حَتَّى إِذَا جَاءَ يَوْمٌ حَقِّ مَوْعِدِهِ
لَوْلَا أَخُو الْعَارِ جَاءَنَا يُظَلِّلُنَا
فَلَا يَكُنْ لَكَ مِنْ جَارٍ ثَلَاصِفُهُ
لِلزَّوْرِ حَقٌّ جَسِيمٌ لَا يُنَابِذُهُ

فَالْحُرُّ حُرٌّ وَإِنْ حَلَا لَهُ الْكِيسُ
إِلَّا تُقَارِنُهُ الضَّرَاءُ وَالْبُوسُ
حَتَّى أَتِيحَ لَنَا بِالْعَارِ تَعْرِيسُ
يَكُونُ مِنْهُ لَنَا بَسْطٌ وَتَأْنِيسُ
مَا لَمْ يَكُنْ بِالْغِنَى لِلْمَجْدِ تَأْسِيسُ
شَدْرًا وَنَاكَرَ رَأْسٍ وَمَرْؤُسُ
عَنْ مَرْكَزِ الْهُونِ إِذْلَاجٌ وَتَغْلِيسُ
وَالْوَسْمُ ضَرْبَانِ مَعْقُولٌ وَمَحْسُوسُ
وَمِنْهُ لَا بُدَّ مُحَمَّدٌ وَمَعْكُوسُ
وَإِنَّمَا الْبِدْعُ لِلطَّرَاقِ تَنْكِيسُ
عَلَى التَّعَاقُبِ لَا يَعْرِوُهُ تَدْسِيسُ
أَلْفَيْتَ كُلَّ شَمْوُخٍ وَهُوَ مَبْسُوسُ
فَلَنَا وَكُلُّ بِحَرِّ الشَّمْسِ مَمْسُوسُ
إِلَّا أَخُو الْعَارِ فَهُوَ أَسْلُكُ السُّوسُ
إِلَّا لَيْتِمُ حَفِيفُ النَّجْمِ مَنَحُوسُ

ب. قصيدة الشيخ هارون

النموذج الآخر هو قصيدة للشيخ هارون مُجَدِّ، وإن كانت في جو من الهجاء إلا أنها دفاع عن عرض الطوارق أكثر مما هي هجاء مباشر، فقد أرسل شاعر فلاقي قصيدة يهجو فيها

¹ ديوان الشاعر أحمد الإمام محمد إككن، علي سليمان، ص 56
² المرجع السابق ص 87

الطوارق، فلم يكن من شاعر "إوَلَمَدَن" سوى الدفاع، وكان منزلها ألفاظه من الفحش، والسباب، بل كان نصه ردا رفيع المستوى، يغلب عليه طابع التوجيه، ثم الفخر¹:

على نَفْسِهَا بَجَنِي بَرَاقِشْ، فَالْحَزْمُ	تَأَيِّي اللَّيْبِ حَيْثُ لَمْ يَسْتَقِمَّ عَزْمُ ²
خَلَا الْجُوُّ مِنْ وَالٍ فَأَصْبَحَ مُهَبَّةً	لِمُسْتَأْسَدِ الذِّئْبَانِ وَاسْتَنْسَرَ الرَّحْمُ
شَمَّتْ " مُضِيفِي " وَالشَّمَاتَةُ فَلْتَةً	بِمَنْ شَمَتَكَ قَبْلَ مَا اسْتَأْسَدَ الْعَجْمُ
أَثَرَتْ غِبَارَ الشَّعْرِ بِالْهَجْوِ وَانْتَحَتْ	بِكَ النَّفْسُ إِنْ خَلَا لَكَ الْهَدْمُ وَالرَّمُ
وَرَفَعَتْ قَوْمًا لَنْ يَعْدُوكَ مِنْهُمْ	وَلَا لَكَ فِيهِمْ قَبْلُ خَالٍ وَلَا عُمُ
تُعَدُّ بـ "بِي" وَلَا تُعَدُّ بـ "مِنْ" إِذَا	تَقَاطَعَتْ الْأَقْوَامُ أَوْ وُصِلَ الرَّحْمُ
أَبِي الشَّعْرِ ، أَمَّا أَنْتَ مُلْصِقُ قَوْمِهِ	نَبَغْتَ بِهَجْوٍ مِنْ هُمْ السَّادَةُ الشَّمُ
فَخَلَّ سَبِيلَ الشَّتْمِ وَازْهَبْ إِلَيْكَ يَا	" مُضِيفِي " وَحَاذِرْ مَا بِهِ الدَّهْرُ تَعْتُمُ
وَحَلَّ شَقَاقَ الْبَيْضِ وَيَحْكُ ، عَلَّهِمْ	يُنَالُكَ مِنْ إِيْعَادِهِمْ مَا بِهِ تَأْمُ
وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا دَوْلَةٌ مَنْ أُدِيلَهَا	يُهَنَّا وَمَنْ زَلَّتْ بِهِ نَالُهُ الْغَمُ
أُدِلْنَا عَلَيْكُمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ	وَيُوشِكُ أَنْ نَحْظَى بِأُخْرَى وَتَعْتُمُوا
هَذَاذَيْكُمْ هَلَّا رَجَعْتُمْ لـ "تَوْسَ" أَوْ	عَبَرْتُمْ لـ "هُوَصَ" كَيْ يَفِيضَ لَكُمْ غَنَمُ
أَثَرْتُمْ وَهَجَّتُمْ فَتَنَةً جَلُّ شُؤْمِهِ	عَلَيْكُمْ وَلَا يَبْقَى بِهِ لَكُمْ الرَّسْمُ

ذلك هو المضمون الشعري العام للمرحلة الأولى في شعر كل أسوك، واتضح أنه ينحصر في الاهتمام بالواقع المعيش، الذي يدعو بعضهم ربه عز وجل لتغييره إلى حال أفضل، ويتدخل آخر في الدفاع عن الدولة بالشعر لدى الجهات المهددة سياسيا، واجتماعيا، كما لا يتجاوز

¹ الجوهر الثمين، العتيق، ص 393

² عل نفسها جنت براقش: مثل يضرب لمن تسبب في إيذاء نفسه، وقومه، سبقت القصة مفصلة، والرواية التي وجدت عليها البيت هي (على أصلها جنت ..)، وبما أن الأصل في الأمثال أنها لا تغير، ولا توجد ضرورة شعرية لتغيير نص المثل فقد أثبت نص المثل، وبراقش اسم كلبية، يدعي بعضهم أنها بنت لقمان، والصحيح أنها اسم كلبية، وتلك الكلبة أهلكت أهلها بنجاحها، حين أغار عليهم الأعداء فاخفوا، وبعد ذلك نبحت فرجعوا ووجدوا مكنهم، فقصوا عليهم، وعليها.

المضمون الباقي الداخل الاجتماعي الخاص ما بين رثاء لعزیز توفی، أو ارسال كلمات ودية إلى حبيب أساء الظن، فيتم الاعتذار له، بعد تأكيد أواصر المودة والإخاء.

ولم يخرج شعرهم الذي وصل إلینا من هذه الأجواء الاجتماعية الواقعية، أما المرحلة التي ستغلب عليها النزعة الفنية، والمعرفية، ويتم الاعتناء أكثر بالقصيدة لذاتها ! فهي المرحلة الثانية التالية.

المبحث الثاني: المضمون الشعري في المرحلة الثانية

يروم هذا المبحث نظرة عامة حول المضمون الشعري في المرحلة الثانية لشعر "كل أسوك" من خلال ثلاثة محاور:

- أ. إحصاء شامل للموضوعات المركزية والثانوية لشعراء المرحلة.
- ب. عرض نماذج للأغراض الأساسية التي ترد فيها قصائد مستقلة
- ج. عرض نماذج للموضوعات التي تأتي في مقاطع لقصائد طويلة.

أ. إحصاء الموضوعات الشعرية للمرحلة الثانية:

م	الغرض	الشرط الأول لمطلع القصيدة	الشاعر	عدد القصائد
1	الإخوانيات	بَانَتْ بُنَاةُ بَنَاتِ الْمَجْدِ وَالِدَيْنِ	أَعَالِي الْيَمَانِي	18 قصيدة و 12 شاعرا
		أَفِيكَ حُقُوقًا كُنْتُ أَزُقُّبُ إِلَهَا	إِغْلَسَ	
		لَمَعْنَاكِ فِي فِكْرِي، وَمَعْنَاكِ فِي صَدْرِي	الحاج محمد احمد	
		أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ فَتَى كَانَ نَائِيَا	حمدا محمد حادي	
		سَلِّمْ عَلَى مَرْبَعٍ أَقْعَتِ قَوَاعِدُهُ	الخضِر حمادو	
		أَشَوْقًا وَلِمَا تَطْعُنُ أُمُّ مَالِكِ	-	
		شَجَايِ النَّوَى فَهِيَ أُمُّ الْحَرْقِ	-	
		مَهْمِيمَ فَمِنْ أَيْنَ أَوْ عَنْ مَنْ تَبَاكِيكِ	المحمود يحيى	
		فَاجَأَتْكُمْ إِحْدَى بَنَاتِ قُضَاعَةَ	-	
		ظَبِّي عَلَى الْبُعْدِ بِالذِّكْرِى أَشَاهِدُهُ	محمود محمد الصالح	
		لَمَنَازِلُ أَقْوَيْنَ مِنْ أَهْلِيهَا	طلعا عبد الرحمن	
		بُدُورٌ بِدُورٍ أَمْ رِثَامٌ تَوَالِعُ	محمود يوسف	
		حَجَبُوكَ عَنِّي حِينَ أَمَوَا الطَّائِفَا	المرتضى محمدو	

		حَيِّ صَحْبِي فِي رُبِّي (إِنْعَوِي)	-
		إِنَّ جِسْمِي وَأَضْلُعِي وَفُؤَادِي	مُحَمَّدُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ
		ظَبِّي أَقَامَ الْحُسْنَ فِي أَمَاتِهِ	عبد القادر متال
		هَلَكَ النَّوَى إِنْ لَمْ أَكُنْ مُتَهَالِكَا	-
		ظَبِّي عَلَى حُسْنِهِ فِي طَرْفِهِ سَقَمُ	-
2	الشعر الصوفي	سَكِرَ الْقَوْمُ بِصَحْنٍ	حمادو محمدو
		لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَدَا لِكَ دَائِي	-
		خَلَّ عَيِّي وَخَلَّ خَلِّ سَبِيلِي	-
		يَا رَفِيعَ الصَّيْتِ عِنْدَ الْمَشُورَةِ	-
		مَتَى يَا جَمَلُ وَيَحْكُ بُجْمِلِينَا	-
		ذَهَبْتُ وَغُودِرَ فِي الْقِفَارِ جِدَارُهَا	-
		عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالْخَمْسِ أَذِّهَا	الخنزير حمادو
		حَسَرَ الشَّبَابُ قِنَاعَهُ عَنِ رَاسِي	محمدو يوسف
		أَتُرِيقُ دَمْعَكَ لِلْمَنَارِ الْبَالِي	محمد البكاي
		تَشَاعَرْتُ لَا جَهْلًا بِأَيِّ لَا أَذْرِي	يعمر عبد الرحمن
3	المدح	أَرَفْتُ؛ صَبَابَةً، أُنَى يُلَامُ	الحاج محمد احمد
		أَمِنْ طَرَبٍ سَكِرْتُ غَدَاةَ قِيَلَا	-
		سَمَّوْهُ "فَهْدًا" وَفِي "بَغْدَادَ" ضِرْعَامُ	المُرْتَضَى مُحَمَّدو
		لَا زِلْتِ فِي كُلِّ الْجَوَانِبِ نُوتَى	المحمود يحيى
		يَا طَيْفُ أَرَقَّ مُقْلَتِي أَتَدُوْدُ	-
		يَا ظَبِيَّةً كُجِحِلْتُ لَهَا الْأَجْفَانُ	-
		أَمِنْ تَذَكُّرٍ رُبْعٍ عَدَمِلٍ عَافٍ	سيدي محمد إنيكوا
		جَرَى مِنْ بِنْتِ أَحْمَدَ (دُوشَ) صُنْعُ	-
		نَابَتْ عَنِ الْمَزْنِ يَوْمَ السَّحِّ كَقَاكَ	اسماعيل
4		يَا رُوحُ لَا تَزْهَقِي وَجَدًّا إِلَى حِينِ	دُو الْكِفَلِ مُحَمَّد

6 قصائد و 5 شعراء	-	أَعْيَيْ مَا هَذَا التَّسَاهُلُ وَالْعَدْرُ	الثناء	
	حَمْدًا مُحَمَّدٌ حَادِي	مَرَّتْ عَلَى الْأَجْدَاثِ تِلْكَ الذَّاتُ		
	مُحَمَّدُ تَانَا	هِيَ الَّتِي سَلَكَتْ بِالذَّهْرِ أُسْلُوبًا		
	مُحَمَّدٌ أَخْنَى	هَلْ مِنْ مَدِّ مُسْعِدٍ بِرَسَائِلِ		
	الْمُرْتَضَى مُحَمَّدُو	لِأَمْرِ مَا بَكَى الشَّيْخُ الدِّيَارَا		
5 قصائد و 5 شعراء	الخَضِرُ حَمَادُو	هُوَ الْفِرَاقُ بِحَدِّ سَيْفِهِ جَزْمًا	المديح النبوي	5
	الفتى مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ	رَبِّي اللَّهُ عَزَّ جَلَّ الْمَوْحَدُ		
	المُحَمَّدُ يَحْيَى	مَا ذِكْرُ لَيْلَى وَلَا سُعْدَى اعْتَرَى خَلْدِي		
	مُحَمَّدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ	يَا حُسْنَ وَجْهِ بَدَا لِي عَفْوَةٌ فَسَبَا		
	مُحَمَّدٌ أَخْنَى	سَبَقَ الرَّعِيلُ إِلَى الْمَدِيحِ الْأَوَّلِ		
4 قصائد و 3 شعراء	الخَضِرُ حَمَادُو	مَتَى السُّؤَالُ وَمَنْكَ الْبَدَلُ يَا كَافِي	الدعاء والاستسقاء	
	مُحَمَّدٌ أَخْنَى	أَيَا أَهْلَ ذَاتِ الْخَيْرِ مَا لَكُمْ بَعْدِي		
	-	يَا رَبِّ سَلِّمْ مِنَ الْبُلُوَاءِ وَالْجُدَرِي		
	المُحَمَّدُ يَحْيَى	أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا قُلْتُهُ بِفَمِي		
5 قصائد و 5 شعراء	ذُو الْكِفْلِ مُحَمَّدُ	وَشَيْكَا قُبَيْلُ أَقُولِ الْهِلَالُ	الشوق والحنين	7
	مُحَمَّدٌ أَخْنَى	عَفَا الرَّسْمُ مِنْ أَطْلَالِ مِيَّةٍ وَانْحَا		
	مُحَمَّدُ تَانَا	ذُوَيْنَكَ هَاتِ بِالْقَمِ وَالْيَدَيْنِ		
	مُحَمَّدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ	أَسِرْبَ الظَّبَا لِمَ لَا تَرُدُّ سَلَامَا		
	ظَلْعَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ	حَيَالُ تَوَالَى عَلَى حَاطِرِي		
4 قصائد و 4 شعراء	ذُو الْكِفْلِ مُحَمَّدُ	مَاذَا الْهَيَامُ امْضُوا بِنَا قُدَّامُ	الفخر	
	مُحَمَّدُ يَوْسُفُ	أَمَّا وَاحْوَارِ الْبَيْضِ بَيْضِ الْقَرَاطِسِ		
	الْحَاجُّ مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ	سَائِلًا عَنْ أَصْلَانَا وَهُوَ جَهْلُ		
	مُحَمَّدُ مُحَمَّدُ الصَّالِحِ	سَائِلْنَ عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا		
3 قصائد	أَعَالِي الْيَمَانِي	صَارَتْ لِأَطْبِ وَالْوَحُوشِ مَنَازِلًا		8

شاعرن	الحاج محمد أحمد	هل من لببٍ مُنْقَذٍ أَوْ مُنْصِفٍ	النقاش الفقهي	
	الخضر حمادو	حقاً أقول ونور الذكر مِقْبَاسِي		
3 قصائد و 3 شعراء	حمدا محمد حادي	خَافَ الضَّلَالِ وَحَقُّهُ أَنْ يَجْأَرَا	التقاريط	9
	المحمود يحيى	قِفْ نَسْتَمِعْ نَجْوَى "أبي داودا"		
	الفتى محمد أحمد	أَفَاقَ الْقَلْبِ؟ لَا، مَا إِنَّ أَفَاقَا		
3 قصائد لشاعر واحد	محمدو تانا	عُوجًا بِعُوجِ مِنَ الْأَلَوَاحِ تَأْمِيلًا	التهاني	10
	–	قِيلَ لِي عَنْ أُمِّ رُومَانَ وَمَانَ		
	–	يَا حَلِيلِي دَعَانِي		
قصيدتان وشاعرنا	حمدا محمد حادي	إِيَّايَ وَالسَّعْيِ فِي صَدِّي فَتَطْوِيلُ	المعارضات	
	الخضر حمادو	مَهْ مَا خِطَابُكَ مَهْمَا لُمتَ مَقْبُولُ		
1	إغلس اليماني	مَا لِلْمَرِيءِ يُسِيعُ الْمَاءَ بَلْ مَا لِي	الشعر السياسي	11
1	عبد الله أغ المحمود	قُلْ لِإِزْبِ الْعَصْرِ مَا ذَا تَبَنِّي	الهجاء	12

إحصاء المواضيع التي ترد في مقاطع داخل القصيدة

م	الغرض	الشرط الأول للمقطع	الشاعر	الإجمالي
1		بَانَتْ بَنَاتُ بُنَاةِ الْمَجْدِ وَالِدَيْنِ	أَعَالِي الْيَمَانِي	19 قصيدة و 13 شاعرا
		لَمَعْنَاكِ فِي فِكْرِي، وَمَعْنَاكِ فِي صَدْرِي	الحاج محمد أحمد	
		ذَهَبْتُ وَعُودَرِي فِي الْقِفَارِ جَدَارُهَا	حمادو محمدو	
		أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ فَتَى كَانَ نَائِيَا	حمدا محمد حادي	
		سَلِّمْ عَلَى مَرْبَعِ أَقْعَتِ قَوَاعِدِهِ	الخضر حمادو	
		أَشَوْقًا وَلَمَّا تَطَّلَعْنِ أُمُّ مَالِكِ	–	
		مَتَى يَا جَمْلُ وَيْحَكَ بُجْمِلِينَا	–	
		أَمِنْ تَذَكُّرِ رَبِّعِ عَدَمِلِ عَافِ	سيدي محمد إنيكوا	
		لَمَنَازِلُ أَقْوَيْنَ مِنْ أَهْلِيهَا	طلعا عبد الرحمن	
		ظَبِّي أَقَامَ الْحُسْنُ فِي أُمَاتِهِ	عبد القادر متال	

	المقدمات الطللية و العزلية	هَلَكَ النَّوَى إِنْ لَمْ أَكُنْ مُتَهَالِكًا	-
		ظَبِّي عَلَى حُسْنِهِ فِي طَرْفِهِ سَقَمٌ	-
		مَهْمِهِمْ فَمِنْ أَيْنَ أَوْ عَنْ مَنْ تَبَاكِيكَ	المحمود يَحْيَى
		ظَبِّي عَلَى الْبُعْدِ بِالذِّكْرِ أَشَاهِدُهُ	محمود مُحَمَّد الصَّالِح
		بُدُورٌ بِدُورٍ أَمْ رِثَاءٌ تَوَالُعُ	محمَّدو يوسف
		حَجَبُوكَ عَنِّي حِينَ أَمَّوَا الطَّائِفَا	المرتضى مُحَمَّدو
		يَا ظَبِيَّةً كُحِلَتْ لَهَا الْأَجْفَانُ	-
		يَا طَيْفُ أَرْقَ مُقْلَتِي أَنْزُودُ	-
		أَلَمَّا عَلَى رَنْعٍ تَعَاوَرَهُ الْوَبْلُ	هارون مُحَمَّد
2	الوصف	مقطع وصف الطائفة	إغلس اليماني
		آخر	الحُضِرُ حَمَّادو
		آخر	حمدا مُحَمَّد حادي
		وصف الخط	المحمود يَحْيَى
		وصف الخط	محمَّدو يُوسُف
		وصف الروضة	-
		وصف الشاي	إِغْلَسُ اليماني
7 مقاطع و 6 شعراء			

الإجماليات

الإجماليات للمرحلتين معا				
م	الغرض	عدد القصائد	عدد الشعراء	إجمالي الموضوعات
1	الإخوانيات	19	13	
2	المدح	11	7	
3	الشعر الصوفي	10	5	
4	الرثاء	9	7	
5	الأدعية والابتهالات	8	2	

(17 غرضا شعريا)	6	6	المديح	6
	5	5	الشوق والحنين	7
	5	5	الفخر	8
	3	3	التقاريف	9
	1	3	التهاني	10
	2	2	النقاش الفقهي والعقدي	11
	2	2	المعارضات	12
	2	2	الهجاء	13
	1	1	الشعر السياسي	14
	1	1	الاعتذار	15
	أغراض في مقاطع مستقلة أو ملحقة			
	13	19	الغزل	16
	6	7	الوصف	17

ب. نماذج للمواضيع المركزية:

1. الإخوانيات:

في المبحث الأول سبق التعريف بالغرض، وتبقى الإشارة إلى إعادة تأكيد ما سلف من تبوء غرض الإخوانيات صدارة بارزة في شعر المرحلة الثانية، حيث رصدت له في الدراسة ثمانية عشر قصيدة لاثني عشر شاعرا، وكأنه هو الموضوع الشعري المفضل الذي يبرز فيه أولئك السوكيون مقدرتهم الأدبية، ومكانتهم في اللغة، والشعر، ويبدو أنه استأثر بذائقته الفنية.

ويتسم غرض الإخوانيات عند كل اسوك في هذه المرحلة بجملة من الميزات أهمها:

1. تبدأ القصيدة الإخوانية عادة بالمقدمة الطللية، الغزلية، كأي شاعر جاهلي ! ثم يتخلص إلى الأخ المقصود على غرار مقدمة الشاعر ظَلَع عبد الرحمن¹:

لَمَنَارِلُ أَقْوَيْنَ مِنْ أَهْلِيهَا	هَيَّجَنَ كُلَّ صَبَابَةٍ أُخْفِيهَا
دَرَسَتْ فَجَدَّدَتْ الْقَدِيمَ مِنَ الْأَسَى	وَحَتَّ رُسُومَ سُرُورٍ مِنْ يَاتِيهَا
لَمَّا عَرَضْنَ تَعَرَّضْتُ مِنْ دُونِهَا	كُلُّ الْهُمُومِ لِدِكْرِ مَنْ يَثْوِيهَا
بَانُوا وَمَا بَانَ الْهَوَى شَطُوءًا وَمَا	شَطَّتْ بَلَابِلُ عَزٍّ مَا يَقْضِيهَا ²
أَشْكُو إِلَى دَارٍ بُلِيْتُ بَوَقْفَةٍ	فِيهَا وَلَكِنْ لَا تُزِيلُ التِّيَهَا
دَارٍ شَهِدْتُ بِهَا الْمَحَاسِنَ جَمَّةً	وَبِهَا عَهِدْتُ أَوَانِسًا أَهْلِيهَا
زَمَنْ مَضَى أَهْلِي الْمَطَافِلَ عَنْ مَرَا	ضِعْهَا وَكُلَّ لُبَاتِي أَقْضِيهَا
دَارٍ حَبَسْتُ بِهَا الْمَطِيَّةَ سَائِلًا	عَنْ رَكْبٍ عَزَّةَ أَيْةٍ تَنْوِيهَا

¹ القصيدة أرسلها لي حفيد الشيخ حمزة الأنصاري، مكتوبة على الحاسوب.

² بانوا : بعدوا، وكذلك شطوا، بلابل: الهموم والأحزان، عزَّ ما يقضيها: أي عزَّ ولم يلف ما يقضي عليها، فحذف الجار ووصل الضمير بالفعل، على حد قول الشاعر: تحن قُتَيْدِي ما بها من صبابة... وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني. أي لقضى علي.

2. يتم حشد الطاقة البلاغية حسب إمكانات الشاعر، حتى تصبح القصيدة في أبهى الصور التشكيلية، ولا يأل الشاعر أي جهد في التصنع، والتصنيع، والزخرفة، كحال هذه المقطوعة من قصيدة إخوانية طويلة للشاعر مُجدو يوسف¹:

نَبَّهَهُ بِالضَّيْفَانِ إِنْ عَاجُوا بِهِ	فَإِذَا فَعَلْتَ فَشَأْنَهُ وَالشَّارِفَ ²
كَرَّمْ عَلَى كَرِّمٍ، وَحَسْبُكَ بَأْمَرِي	أَنْ لَا يُجِمِّمَ تَالِدًا أَوْ طَارِفًا ³
أَرَاؤُهُ بَصَرُ الْعُقُولِ وَسَعْيِهِ	يَذُرُّ الرَّجَا الْمَأْمُولَ نَيْلًا أَرِفًا
وَإِذَا احْتَبَى بَيْنَ الْأَمْثَالِ خِلَّتُهُ	بَدْرًا سَوَى أَنْ لَا يَكُونَ الْكَاسِفًا ⁴
وَإِذَا دَكَّتْ نَارُ الْمِرَا أَلْفَيْتُهُ	طَلَّقَ الْحَيَّا سَاكِتًا لَا حَالِفًا
سِنْ الْعُلَامِ وَسِيرَةُ الرَّهَادِ فِي	ضَبْطٍ يُنَازِعُهُ الْكَبِيرُ الدَّالِفًا ⁵

3. تركز القصيدة الإخوانية موضوعيا على تأكيد المودة، والإخاء، وتصوير مدى اللوعة، والشوق، والتذكير بعهود الشباب الزاهي، كقول الشيخ الخضر حماد في إحدى إخوانياته مع محمود مُجد الصالح⁶:

يَسْقِيكَ كُلَّ جَدَى جَوْذُ إِذَا ابْتَسَمْتَ	فِيهِ الْبَوَارِقُ قَهَقَهَتْ رَوَاعِدُهُ
كَأَنَّهُ جَحْمَتَايَ حِينَ وَاجِهَيَّ	وَجْهَ الْفِرَاقِ وَقَادَ الرِّكْبَ قَائِدُهُ ⁷
وَهَبَّ إِعْصَارُ هَمٍّ فِي جَوَانِحِنَا	لَوْ هَبَّ فِي أَجَا رُضْتُ جَلَامِدُهُ
فَلَا تَرَى غَيْرَ دَمْعٍ سَاكِبٍ وَدَمٍ	قَدْ ذَابَ مِنْ لَفْحَاتِ الشَّوْقِ جَامِدُهُ
أَوْ هَالِكٍ فِي مَاتِمِ النَّوَى يَتِمَّتْ	أَوْلَادُهُ وَتَأَيَّمَتْ قَعَائِدُهُ
أَوْ ظَاعِنٍ يَفْتَتِي الْأَطْعَانَ فِي بَلَدٍ	خُضِرَ مَسَالِكُهُ عُيْرٌ قَدَافِدُهُ

¹ مجموعة شعرية سوكية لدى الباحث.

² -الشرف: الشارف من النوق: المُسِنَّةُ الهَرْمَةُ وقال ابن الأعرابي: هي النَّاقَةُ الهَمَّةُ وفي الأساس: هي الْعَالِيَةُ السِّنِّ.

³ -بجيم: يجمعه حتى يكثر. التال: المال القديم الاصلى الذى ولد عندك، وهو نقيض الطارف.

⁴ -احتبى: احتبى الرجل إذا جَمَعَ ظهره وساقبه بعمامته

⁵ -الدالف: الدالف أيضاً: مثل الدالّح وهو المأثني بالجمال الثقيل مُقَارِباً لِلْحَطْوِ،

⁶ من قصائد للشيخ غير مرتبة بحوزة الباحث.

⁷ الجحمة- بجيم فحاء:- العين.

وَحَلَفُونِي لَصِيقًا بِالرَّيْبِ وَقَدْ
وَبْتُ تَلْدُعُ رُقْشُ الْحَزْنِ حَاشِيَتِي
وَلَّى النَّهَارَ وَنَامَ اللَّيْلَ رَاقِدُهُ
قَلْبِي وَتَرَشَّقُ جُوجُجِي صَوَارِدُهُ¹

ثم تخلع مختلف الأوصاف الحميدة على الأخ الممدوح كما في المقطوعتين السالفتين، وكما في الأبيات التالية لأعالي اليماني في مدح ابن عمه عبد الله المحمود²:

إِلَّا ابْنُ عَمِّي عَبْدُ اللَّهِ دَيْدُهُ
يَرْجُو بِذَلِكَ رِضْوَانًا وَمَغْفِرَةً
كِتَابُهُ وَمُوَاسَاةُ الْمَسَاكِينِ
وَأَنْ يَفُوزَ بِأَجْرِ غَيْرِ مَمْنُونٍ
لَهُ مَبَاحِثُ لَا يَذْهَبُ الْجَوَابُ لَهَا
إِلَّا "الْعَتِيقُ" و"جَارُو" ثُمَّ "ذُو الدِّينِ"³
الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ مُحَمَّدُ الْمَقَاصِدِ بَلْ
كَلُولُ كَانٍ فِي الْأَصْدَافِ مَكْنُونٍ
يَنْهَى وَلَا يَأْتِ أَمْرًا وَيَسْبِقُنَا
لِكُلِّ رُشْدٍ وَمَحْمُودٍ وَمَيِّمُونٍ

4. عادة ما تنتهي تلك القصيدة بمدح ذاتها ! على غرار ما يقوله الشيخ الشاعر عبد القادر في آخر قصيدة إخوانية إلى المحمود يحيى⁴:

حُذِّهَا مُضْمَنَةً مِنَ التَّسْلِيمِ مَا
لَوْ كَانَ مُحْسُوسًا لَهَدَّمَ ضَاحِكًا
حَذَاءً، لَمْ يُنْسَجْ عَلَى مِنْوَاهَا
فَاقْبَلْ، فَلَا أَسْخُو بِهَا لِسَوَائِكَا

5. على الشاعر الثاني الذي وجهت إليه القصيدة أن يرد بنفس الروي، والبحر، والمعاني ! إلا أن مُحمَّدو يوسف ممن يخالفون الروي تارة للقصيدة الإخوانية، فالإخوانيات التي أجابت لقصيدة الشيخ إغلس التي يحض فيها شباب كل اسوك على التعلم، (وإن

1 الرقش: ج رقشاء وهي الحية المنقطة بسواد وبياض، والصوارد: ج صارد، وهو السهم النافذ، استعار الشاعر الحزن إيلا من الحية الرقشاء ومن السهم النافذ.

² مجموعة نافع أحمدا الشعرية.

³ في البيت أشار إلى ثلاثة من كبار علماء كل اسوك، جمعوا بين العلم والزعامة، هم كما رتبهم في بيته: العتيق بن سعد الدين رحمه الله، شيخ وزعيم قبيلة "كلّ تجلث"، جازو زين الدين رحمه الله شيخ "تنغلكي"، زين الدين المنير حفظه الله شيخ وزعيم "كلّ ثبورق".

⁴ ترغيب المشوق، زين الدين، ص 117

كانت تلك الإخوانيات يغلب عليها طابع الفخر، وتأكيد التمسك بما دعى إليه
الشيخ) فهي على روي العين الموصولة بالهاء الساكنة:

مطلعها:

حيثما كنتَ باريّاً للبراعةِ ومليقاً للنونِ مجتّ براعةِ

فكانت أغلب الردود عليه في نفس الروي، والبحر، أما مُجدو يوسف فأجاب بمعلقة طويلة،
في بحر الطويل، وعلى روي "السين" حيث يقول في مطلع قصيدته التي ترد على¹:

أما واخوارِ البيضِ القراطِيسِ ورقصِ عوالي الخطِّ بينَ الأباخسِ

كما أنه ذات مرة في عمق الغرض الإخواني أقدم على تلك المخالفة مع إخوانية أرسلها إليه
الشيخ الحاج مُجد أحمد، ومطلعها:

لمغناكِ في فكري ومغناكِ في صدري وسرُّ هواكِ في الجوانحِ كالجمرِ

فشاعرنا مُجدو رد عليه في بحر وروي مختلفين حيث تبدأ إخوانيته:

يا دارَ هَندٍ بذاتِ الطَّلحِ مهدومةٌ مجتّ أفابيقها من فوقها ديمةٌ

القصيدة الأولى في بحر "الطويل"، والثانية" في "البسيط"، ولئن كانت المخالفة في "البحر"
بسيطة فإن المخالفة في الروي - حسبما يروى - أثارت ملاحظة ما عند الشيخ الحاج، الذي
قرأ "روي" الشاعر مُجدو قراءة نقدية خاصة، فروي عنه أنه قال: "لن يرد على من أرسل له
عشرات "مه"، التي تعني منفصلة "اسكت" ! فتوقفت المساجلة الشعرية الإخوانية؟

6. وقد تقتصر المساجلة الشعرية على قصيدتين، وأحيانا تطول المشاعرة الإخوانية بين

الشاعرين عبر أكثر من قصيدتين، كالحال بين الشيخين الخضر حماد، ومحمود مُجد

¹ ديوان الشاعر: المدد الرباني، ص 5، وانظر بحثي: الشاعر النسقي، ص 166

الصالح، فقد تساجلا شعريا بدافع إخواني خالص خلال أكثر من ست قصائد موزعة بينهما، سيطلع عليها القارئ كاملة في الباب الأخير المتعلق بسرد المتن المدروس، ومن تلك النماذج ما يلي:

مقطع من قصيدة الخضر إلى محمود¹:

أَشَوْقًا وَلَمَّا تَظَعْنُ أُمُّ مَالِكِ	لَمْ تُقَوِ دُورَانُ الْحِسَانِ الْقَوَالِكِ ²
رُؤْيَدَ الْهَوَى مَا لَمْ يَجِدْنِي مُزَايِلًا	لِمَلْعَبٍ دَعْدَاتِي وَمَمْشَى عَوَاتِكِ
فَمَا تَيَّمُ التَّيَّهَانَ مِثْلُ قُطَيْعٍ	مِنَ الْغَيْدِ حُدُلِ الشُّوقِ عُذْبِ الْمَضَاحِكِ ³

إلى:

فِيَا أُمَّ مَالٍ إِنْ قَتَلْتِ لِمُسْلِمًا	بَرَاءً، فَهَاتِي الْأَرْضَ مِنْ رَأْسِ مَالِكِ ⁴
فَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَهْدَرْتِ قَتْلِي فَإِنِّي	أَعُوذُ بِذِي مُحَمَّدٍ مِنْ عُذَوَائِكِ ⁵
عِيَالُ عِلْمٍ بَارِكَ اللَّهُ لَمْ يَزَلْ	يُنْهَضُ مِنْ هَمَاتِنَا كُلِّ بَارِكِ ⁶

رد محمود عليه⁷:

أَسَالِ أَنَا، وَالْدَّهْرُ نَتَّى مَسَالِكِي	إِلَى بِنْتِ مَالِكٍ وَكَانَ مُدَالِكِي ⁸
فَلَا تَحْسَبْنِي هَكَذَا إِنَّ مَذْهَبِي	عَلَى أَنَّهُ بَادٍ خَفِيٍّ الْمَدَارِكِ
وَكَيْفَ التَّسْلِي فِي التَّدَانِي وَلَمْ يَدُرْ	عَلَى خَلْدِي حَالِ التَّنَائِي كَحَالِكِ

¹ من قصائد مخطوطة للشيخ، بحوزة الباحث.

² الفوالك: جمع فالك وهي الجارية التي استدار ثديها.

³ خدل: خدلة وهي المرأة الغليظة الساق، المستديرته.

⁴ الأرض: الدية.

⁵ العدواء: البعد.

⁶ العيالم: البحر كالعيلم السابق.

⁷ قصائد الشيخ في مجموعة شعرية متفرقة مخطوطة لدى الباحث، وتوجد في: ترغيب المشوق لزين الدين، ص 207

⁸ مدالك: من دلكه الدهر: حنكه، وعلمه. إلا أن صياغة "المدالك" تدل على معنى لا يقصده وهو "الحقير من الناس، الذي لا يرفع عن دنياه" !

إلى

ونرغمُ أنفَ العاذلاتِ بسلسلٍ
فنبطلُ دعوى من يرى كان دائماً
كما أبطلُ "المحمود" دعوى ثماتين
بتحقيق أسلوبٍ وتدقيقٍ منزعٍ
من الوصلِ صرفٍ هانئٍ مُتداركٍ
يُزلزلُ شيئاً من هوى مُتمالكٍ
يساجلهُ نظمَ القوافي السَّوالِكِ
بيانُ معانيه بديعٍ المداركِ

وهكذا صنع السوكيون من الشعر قناة تواصل شيقة، من خلالها يثنون لواعج الشوق، وتباريح الوجد، وبها يظهرون مكانتهم الأدبية، ومقدرتهم اللغوية، وحولوا موضوع الإخوانيات إلى غرض شعري يقصد لذاته الفنية! بواسطته يتغزلون، ويصفون، ويحكون، ويفتخرون، ويمدحون، ويبدعون الصور البيانات، ويخلقون النكت البديعية ... فأصبحت القصيدة الإخوانية جامعة الفنون، والأغراض، وركزوا عليها في هذه المرحلة أكثر من أي غرض شعري آخر.

2. المدح:

غرض المدح ضعيف فعلا في الشعر السوكي للعوامل المذكورة سلفا، لأنه ارتبط ارتباطا وثيقا بمنفعة مادية من لدن الأعشى والنابعة إلى المتنبي، ومن أهم تلك العوامل التي أضعفت المدح كما سلف أن أغلب شعراء المنطقة علماء أجلاء، لا يعجبهم التكسب بالشعر، ثم عدم وجود ملوك أصلا، يتقنون العربية، ويشجعون الأدب ولذا يكاد مدحهم يقتصر على مشايخهم، وأساتذتهم، وإخوانهم، على أنه توجد بعض المناسبات غير الكثيرة التي يفرض موقف ما على أحدهم مدح شخص ذي سلطة، أو صاحب إكرام ما، فاستوجب ذلك أن يذكر، ويشكر، ورصدت الدراسة 9 قصائد في غرض المدح لدى السوكيين، ونورد هنا ثلاثة نماذج معبرة:

أ. مدح الأمير الكنتي/ الأمير الميمون بن حمادي الكنتي لسيدي مُجد "إنباكوا":

وسبب القصيدة أن الميمون كان أول من اكتسب الكتب المطبوعة من مجتمع صحراء أزواد، فكان كلما حصل على كتاب أته الوفود من كل فج ليروا ذلك الكتاب، وكان لا يعير تلك الكتب المطبوعة لأحد، فجاء ذات مرة بكتاب مطبوع، فأتاه وقد من كل اسوك ليروه، ومن بينهم شاعرنا، فأعجب بالكتاب وقرر أن يطلبه من الميمون، فنهاه قومه وقالوا له: تعلم أن الميمون لا يعير كتبه المطبوعة لأي أحد، فقال لهم: سأعمل حيلة لا يستطيع معها أن يمنعني الكتاب، فكتب هذه القصيدة¹:

أَمِنْ تَذَكَّرِ رَنْعٍ عَدَمَلٍ عَافٍ	عَيْنَاكَ تَنْهَمِلَانِ أَيَّ تَذَرَا ²
رَنْعٍ بِهِ لِلْعَوَانِي قَبْلُ أَنْدِيَّةُ	فَصَارَ لِلْوَحْشِ بَعْدُ قَاعَ تَطَوَافٍ
أَحَلَّتْ عَلَيْهِ ثَلَاثٌ مُنْذُ أَزْمَنَةٍ	قَطَرٌ وَمُورٌ وَمَرُّ الْعَاصِفِ السَّافِ ³
قَدْ جِئْتُهُ سَائِلًا عَمَّنْ بِهِ انْتَقَلُوا	فَلَمْ يُجِبْنِي كَحَالِ الدَّاهِلِ الْعَافِ ⁴

إلى

هَذَا، وَلَيْلَى مَتَى وَاصَلْتُهَا انْفَصَلَتْ	وَوَاعَدْتَنِي رَمَتْ وَعَدِي بِإِخْلَافٍ
لَمَّا تَحَقَّقْتُهَا تُبْدِي مُصَارِمَتِي	سَلَوْتُ عَنْهَا إِلَى مَيْمُونِنَا الصَّافِي
صَافِي الْفُؤَادِ سَلِيلِ الْعُرْبِ مِنْ مُضِرٍ	أُنْجِبَ بِهِ مِنْ فِتْنَى نَجِيبِ أَطْرَافٍ

ب. قصيدة للشاعر إسماعيل المعروف "فالينين" للشيخ مُجد صالح زعيم إمارة "كل اسكن"⁵:

¹ القصيدة أرسلها لي أحد أقارب الشيخ ابراهيم موسى، مع اختلاف في نسبتها إلى الشيخ، أو إلى ابن عمه هَمَنْ

² - عدمل: قديم.

³ - المور: التراب.

⁴ - الغاف: الغافل.

⁵ القصيدة أرسلها لي الأستاذ الأخ أحمد محمد الحاج بصيغة وورد.

نَابَتْ عَنْ الْمَزْنِ يَوْمَ السَّحْرِ كَفَّاكَ
 وَنَابَ خَاتَمُ كَفِّكَ الْيَمِينِ إِذَا
 وَنَابَ رَبْعُكَ عَنْ خَصْبِ الرِّبْعِ، فَلَا
 وَنَابَ نَعْلُكَ إِذْ تَبَغَى مَطَالِبَنَا
 وَنَابَ جَيْبُكَ عَنْ جَوْبِ الْفِيَا فِي لَدَى
 إِنْ كَانَ لُقْمِي بَعْضُ النَّاسِ مَبْخَلَةً
 أَوْ كَانَ سُوءَى لِبَعْضِ النَّاسِ مَسْأَلَةً
 أَوْ كَانَ عَنْ أَوْجِهِ السُّؤَالُ مَخْتَفِيَا
 اللَّهُ دُرُّكَ يَا خَيْرَ الْوَرَى نَسْبًا
 وَنَابَ عَنْ مَعْدِنِ الْإِبْرِيزِ فَكَّاكَ
 تُسَالُ عَنْ حَاتَمٍ فِي اللَّهِ مُؤَلَّاكَ
 جَدْبٌ يَصُولُ عَلَى مَنْ أَمَّ مَثَوَاكَ
 عَنْ خَيْلِنَا؛ لَتَنَالَ الرِّيحُ مَنْ ذَاكَ
 ضَنْكَ الْمَعَاشِ، وَطَيْبُ الْأَصْلِ أَغْرَاكَ
 فَأَنْتَ رُبُّكَ حَسَنَ الْجُودِ لَقَّاكَ
 فَلَيْسَ إِلَّا انْعِدَامُ السُّؤْلِ سُوءَاكَ
 بَعْضُ الْوَجْهِ، فَلَا يَخْفَى نُحْيَاكَ
 وَخَيْرُهُمْ حَسْبًا، وَخَيْرُهُمْ هَاكَ

ج. مدح الشيخ الحاج محمد أحمد لرئيس دولة مالي موسى تراوري

وذلك بواجب حسن الاستقبال، والترحيب، بمناسبة زيارته لقريتهم "وادي الشرف"، فتم
 الترحيب به شعرا، وهذا مقطع من قصيدة الحاج في تلك المناسبة¹:

أَمِنْ طَرَبٍ سَكِرْتُ غَدَاةَ قِيَلَا
 وَأَسْرَعْنَا إِلَى الْأَمْدَاحِ نَبْنِي
 وَنَنْشُرُ فَوْقَ رَأْيَتِهِ بُرُودًا
 وَنَرْقُصُ حَوْلَ قُبَّتِهِ وَنَسْعَى
 فَأَهْلًا ثُمَّ أَهْلًا ثُمَّ أَهْلًا
 وَشُكْرًا ثُمَّ شُكْرًا ثُمَّ شُكْرًا
 فَمَنْطِقُهُ الطَّوَارِقِ فَاحَرَّتْ مَنْ
 وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً يُعْطَى مُنَاهُ
 هُوَ الْبَطْلُ الشَّهِيرُ، فَإِنْ تَبَدَّى
 هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي مَا زَالَ رُكْنَا
 أَتَى "مُوسَى" فَهَيَّأْنَا الْمَقِيلَا
 لِسُودَدِهِ بِهَا ظِلًّا ظَلِيلَا
 مِنَ التَّرْحِيبِ تُهْدِيهِ السَّيْلَا
 عَلَى أَقْدَامِنَا مِيلًا فَمِيلَا
 بِهِ مِنْ قَادِمٍ وَبِهِ نَزِيلَا
 لَهُ، وَلَمَنْ يَكُونُ لَهُ دَلِيلَا
 سِوَاهَا إِذْ أَلَمَّ بِهَا قَلِيلَا
 إِذَا لَأَقَامَ بَيْنَهُمْ طَوِيلَا
 بِلَامَتِهِ يَكُنْ سَيْفًا صَقِيلَا⁽²⁾
 بِمَا تَرْقَى بِهِ مَالِي كَفِيلَا

¹ الإمتاع والإبهاج، أحمد محمد الحاج، ص 271
 (2) (بلامته) اللأمة: الدرع.

فهو مدح خفيف في وقعه، وقليل في نفسه، ولا توجد فيه مبالغات كبيرة، إضافة إلى ندرة وروده أصلا.

3. الرثاء:

الفرق بين الرثاء والمدح بسيط، (فليس بين المراثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك)¹، ويفيد مصطفى الرافعي أن العرب لا يرثون قتلى الحروب، إنما يرثون الموتى موتا طبيعيا، ويؤكد قلة هذا الغرض عند القدماء²، والرثاء من الأغراض المركزية في شعر كل أسو، وإذا كان رثاء الشعراء العباسيين مثل مدحهم يركز أساسا على الخلفاء، والولاة، وأهل السلطة عموما فإن الرثاء في الشعر السوكي بالمرحلة الثانية يكاد ينحصر كليا في رثاء العلماء، والأقارب، فيركزون على تسجيل مناقب المراثي، ومدى الحسرة التي سببها غيابه، مما جعله حقا يفيض بالعاطفة الصادقة، وتقديم العزاء الخالص، في أقوى لغة شعرية، وتتميز قصيدة الرثاء السوكية - إضافة لصدق العاطفة - بصور بيانية بديعة، اخترت في الدراسة 6 قصائد باهرة في غرض الرثاء، وبما أنها موجودة كاملة في المتن فنورد هنا 3 مقاطع تعد من عيون الشعر العربي الأصيل:

أ. مقطع من رثاء الشيخ ذو الكفل للشيخ حمادو:

القصيدة طويلة، وقد أطلق الشاعر لعاطفته عنائها، ولموهبته بيانها فأبدع أروع قصيدة رثت أعز مفقود لدى الشاعر، إن لم يكن كذلك في المنطقة كلها حينها، لأنه شيخ الشيوخ، ومؤسس الطريقة، وقريب الشيخ الشاعر، وقد أقامت الصحراء كلها تأبيننا لانتقاله إلى الرفيق

1

2 تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ص 81، ج 3

الأعلى، واختلطت العاطفة الدينية، بالأسرية فنتج عن ذلك نص خالد، يحول الموت إلى طقوس من المعراج، ومن حزن إلى ما يشبه السعادة، ذلك لأن المرثي انتقل فقط من مكان حسن إلى أحسن، في عزاء شعري للنفس، ويستهل به بقوله¹:

يَا رُوحَ لَا تَزْهَقِي وَجَدًا إِلَى حِينِ	مِنْ حَضْرَةٍ ضَمَّهَا رَوْضُ الرِّيَاحِينِ ²
فَتِلْكَ شَمْسُ الضُّحَى يَجْرِي بِهَا كَرَمٌ	لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا مَثْوًى لِيَاسِينِ
أَكْرَمَ بِهَا رَوْضَةً، أَكْرَمَ بِجَيْرَتِهِ	فِيهَا يُبَوِّؤُهُمْ فَيْحُ الْبَسَاتِينِ
هَوَاتِفُ الْحَقِّ نَادَتْهُ بِحَيٍّ عَلَى	أَهْلَى الرِّضَاءِ ³ وَأَجْرٍ غَيْرِ مَمْنُونِ
كَذَلِكَ الذَّهَبُ الْإِبْرِيْزُ يُدْفَنُ فِي	خَزَانَةِ الْمَلِكِ ⁴ تَشْرِيفًا لِمَدْفُونِ
لَا تَعْجَبُوا أَوْ عَلَا فِي اللَّحْدِ جَوْهَرُهُ	فَلَمْ تَرَوْا جَوْهَرًا يَغْلُو كَمَكْنُونِ ⁵

ب. رثاء الشيخ حمداً محمد حادي للشيخ سيدي محمد الكنتي:

هذا الشيخ الكنتي هو الآخر ترك فقدته دويًا في المنطقة بين الطوارق، والعرب، كما أن بينه وبين السوكيين مراسلات علمية، فرثاه العديد من السوكيين⁶، منهم الشيخ ذو الكفل السابق الذكر آنفاً، ومن المرثي الجميلة في حقه قصيدة الشيخ حمداً الوردية في المتن، وتبدأ بما يلي⁷:

مَرَّتْ عَلَى الْأَجْدَاثِ تِلْكَ الدَّاتُ	يَوْمَ الرَّحِيلِ فَمَرَّتِ اللَّذَاتُ ⁸
وَاعْتَمَّ مَا فَوْقَ السَّفَا أَسْفًا بِمَا	قَدْ عَدَّكَ النَّاعُوكُ مَمْنً مَاتُوا ⁹

¹ ترغيب المشوق، زين الدين، ص 90، وتوجد ضمن قصائد مخطوطة مع الباحث.

² اتضمن المطلع براعة الاستهلال، حيث نهى الروح عن الزهاق وجداً على هذه الزهرة التي آوت إلى الرياض، وفي هذا تلميح إلى أن الموضوع رثاء شخص ترجى له الرحمة، والثواء في رياض الجنة.

³ الرضا مقصوراً مصدر محض، والاسم الرضاء ممدود،

⁴ مَلِكٌ، بسكون الميم مخففت من مَلِكٍ، كخففت وفخدت،

⁵ لا تعجبوا: تشبيهه ضمنى مثل به حال الشيخ على نفاسة جوهرة وطيب طينته، وهو في اللحد، بالجوهرة الذي يكون أنفاس ما يرى إذا كان مكنوناً.

⁶ انظر مرثي السوكيين وغيرهم له في كتاب ديوان الصحراء المدرسة الكنتية، ص

⁷ مجموعة شعرية سوكية غير مرتبة بحوزة الباحث، وتوجد في ترغيب المشوق لزين الدين، ص 180

⁸ مرت اللذات: صارت مرة من المرارة.

⁹ السفاء: الأرض.

وَسَقَتْ دُمُوعُ النَّائِحَاتِ حُدُودَهَا
وَشَكَى التَّنَسُّكُ غُرْبَةً نَزَلَتْ بِهِ
وَتَلَا عَلَى الدُّنْيَا سَلَامَ مُودِّعٍ
إِلَى :

صَبْرًا بَنِي الشَّيْخِ الْكَبِيرِ فَأَنْتُمْ
إِنْ تَصْبِرُوا - وَالصَّبْرُ أَنْتُمْ أَهْلُهُ -
مَطَرًا غَزِيرًا مَا بِهِ إِنْبَاتُ
وَعَرَى التَّمَسُّكُ بِالسَّدَادِ شَتَاتُ
تَعْظِيمِ أَمْرِ اللَّهِ وَالْإِحْبَاتُ

ج. من رثاء المدن رثاء قرية وادي الشرف للشيخ المرتضى:

في ندبة اليوم المأساوي الذي شهدته أحياء الشاعر، يوم تم الهجوم الغاشم على
قريتهم الواعدة حينها "وادي الشرف"، فتم تصفية العلماء، وتهجير البقية، 1994م، إلى
آخر ما تصوره القصيدة بالمستوى الدرامي العالي، ويرثي العلماء الذي قضوا في المأساة،
وعلى رأسهم الشيخ أناراً حمّادو، ومنها¹:

لِأَمْرِ مَا بَكَى الشَّيْخُ الدِّيَارَا
رَثِينَاهَا مَنَازِلَ دَارِسَاتٍ
تَرَى الْعُقَلَا وَتَحْسَبُهُمْ سُكَارَى
وَلَكِنْ حَلَّ سَاحَتَهُمْ لِقَامُ
كَذَلِكَ نَاشِئٌ مِنْ مَاءٍ سُوءٍ
أَلَا بُعْدًا أَلَا سُخْقًا وَتَعْسًا
جُمُوعًا شَوْهَ الْجَبَّارِ مِنْهُمْ
فَكَمْ مِنْ عَالِمٍ تَرَكُوا صَرِيعًا
وَمَا تَرَكُوا لِبَيْتِ اللَّهِ بَابًا
وَلَا فَتَخًا وَلَا قُرْطًا تَزَيَّ

لَحَطَبٍ صَيَّرَ الْعُقَلَا حَيَارَى
لَنَا سَحَتْ الْعَدُوُّ بِهَا الْخِيَارَا
لِمَا بِهِمْ، وَهُمْ لَيْسُوا سُكَارَى
عُصَاةٌ فَسَقُ بَلَهَ "التَّتَارَى"²
كُهُم، يُلْقَى جِمَارًا أَوْ قَدَارَا
لِجَيْشٍ مِنْ عَلَى الْعُلَمَا أَغَارَا
وُجُوهًا، هَلْ رَأَيْتَ الدَّهْرَ قَارَا³
يُخَالِطُ وَجْهَهُ ثُمَّ الْعُبَارَا
وَلَا لِلنَّاسِ دَارًا أَوْ جِدَارَا
بِهَا مِنَّا الْقَتَاةُ وَلَا خِمَارَا

¹ ديوان الشيخ، مخطوط بحوزة الباحث.

² إشارة إلى التتار الذين عاثوا في الأرض فساداً أواخر الدولة العباسية.

³ مادة سوداء يطلّى بها الجمل الأجرب، وكذلك السفن، ويتخيل الشاعر أن وجوه هؤلاء مشوهة، ومطلية بهذا القار.

إِلَى مَا لَا أَقْصُ عَلَيْكَ مِمَّا بِقُلُوبِنَا مَعًا يُورِي أَوَارًا¹
تَبَصَّرَ هَلْ تَرَى تِلْقَاءَ شَيْئًا أَشْبَهُهُ الْحَرِيقَ الْمُسْتَطَارًا

7. الدعاء، والاستسقاء:

غرض الدعاء والابتهالات يجدر إدماجه في الشعر الصوفي، لولا أنه يكتسب في المجتمع خصوصية معينة، فنياً، وموضوعياً، فمن الجانب الفني توجد قصائد تمتاز بسمات بيانية، وبديعية بارزة، كما أنه موضوعياً تركز قصيدة الدعاء على موضوعين "دعاء الاستسقاء"، و"أدعية لرفع البلاء"، وتحظى أدعية الشيوخ بمكانة كبيرة، ويعتقد فيها سر ما، ولعلها تقترن بالقبول عند الله لكونها "من قول الشيخ الولي" ! لهذا تتم تلاوتها في بعض المناسبات.

ومن أهم قصائد الاستسقاء المشهورة، والبليغة هي معلقة الشيخ الخضر حمّادو، وها هي ذا تستهل بمناجاة مع الله عز وجل بمناسبة جفاف خطير هدد حياة الصحراويين جميعاً عام 1973م²:

مَيِّ السُّؤَالِ وَمَنْكَ الْبَذْلُ يَا كَافِي وَالْأَمْنُ سُؤْلِي وَسَقْيِي وَرَدِّهِ الصَّافِي
لَمْ يَخْفَ عَنْكَ الَّذِي قَاسَى عِبَادُكَ مِنْ ضَيْقٍ أَتَى بِخُرُوقٍ عَزَّتِ الرَّافِي
وَمِنْ شِدَائِدِ أَذْنَاهَا الْجَلَاءِ وَمِنْ بُؤْسِ هُوِ الْمَوْتِ لَوْلَا مَسُّ الْطَافِ
فَارْحَمْ بِفَضْلِكَ نَاسًا مَا لَهُمْ وَزَّرْ إِلَّاكَ أَوْ سَيِّدٌ يُرْجَى لِإِثْحَافِ

إلى

يَا رَبِّ وَاثْنُ بَغِيْثٍ مُّسْبِلٍ عَدِيقِ تَجْرِي فُيُوضًا بِقِيعَانٍ وَأَخْقَافِ
جَوْدٍ مُّلَحٍّ مُّلَّتْ وَدَقُّهُ دُرُرٌ صُبْحًا غَوَادِيهِ تَسْقِي سَقْيَ إِسْعَافِ

¹ الأوار: حر النار، ووهجها.

² من قصائد للشيخ مخطوطة بحوزة الباحث.

تَهْمِي سَوَارِيهِ لَيْلًا بَعْدَمَا بَكَرْتُ
 رِيحَ الْجَنَائِبِ تَمَرِيهِ فَتُفَرِّغُهُ
 أَيْدِي الشَّمَالِ بِأَغْوَارٍ وَأَشْرَافِ
 حَتَّى تَفِيضَ السَّوَاقِي فَيُضَ رَجَافِ
 فَتَزْدْهِي الْأَرْضُ بِأَعْشِيشَاهَا وَمَا
 تَحْوِي مِنْ أَبٍّ وَمِنْ جَنَاتٍ أَلْفَافِ

إلى جانب أزمة الجفاف التي غالبا ما تعصف أهل الصحراء فإنهم كذلك طالما
 داهمهم مرض عضال، بدون أية سيارات إسعافات فلا يكون من مشايخهم سوى الالتجاء
 إلى الرب الشافي، فيستلطفون رحمته كي يرفع البلاء، على غرار قصيدة الشيخ مُحَمَّد أَحْنَى
 التالية¹:

يَا رَبِّ سَلِّمْ مِنَ الْبُلَاءِ وَالْجُدْرِي
 وَمِنْ شِمَاتِهِ أَضْدَادٍ تُعَيِّرُنَا
 وَاحْفَظْ جَمَاعَتَنَا مِنْ كُلِّ دَاهِيَةٍ
 وَنَجِّنَا مِنْ عِدَانَا وَانصِرْ عَلَى
 وَامُنْ عَلَيْنَا بِأَمْنٍ لَا نَفَادَ لَهُ
 وَصَبِّرْ مَعَ التَّشْيِيتِ لِلْقَدَمِ
 وَنَقِّنَا مِنْ ذُنُوبٍ كَادَتْ تُهْلِكُنَا
 وَجَنِّبْ الرَّدَى وَحَسِّنْ خَاتِمَةَ
 وَفَرِّجْ عَلَيْنَا مَا أَهَمَّ وَمَا
 وَزَوِّدْنَا التَّقَى وَالسَّعْيَ فِي عَمَلٍ
 وَبَارِكْ مُعَافِيَا أَيَا سَنَدِي
 وَاشْفِ الشِّفَاءَ الَّذِي لَا سُقْمَ يَعْقُبُهُ
 وَمِنْ شُرُورٍ وَمِنْ ضَيْرٍ وَمِنْ غَيْرِ
 بِالْقَلِّ وَالْجَبِّ وَالتَّقَاةِ وَالذَّعْرِ
 بِحَفْظِكَ الْحَامِي مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرٍ²
 بِيضَاتٍ كَفَرٍ تُسِيءُ الظَّنَّ بِالْقَدَرِ
 مِمَّا نَخَافُ مِنَ الْأَنْكَادِ وَالضَّرِّ
 عَلَى ذَوَاتٍ لَنَا تَصِيحُ مِنْ حَذَرٍ
 عِنْدِ الْمِلَاقَةِ لِلْحَمَقَى ذَوِي الشُّرْرِ
 فَارْزُقْ مَعَ الْجَدِّ فِي الطَّاعَاتِ وَالسَّهْرِ
 بِالْقَحْطِ وَالْجُوعِ وَالْإِقْلَالِ وَالْقَتْرِ
 يَعْمُ مِنْ أَزْمَاتِ الدَّهْرِ وَالْخَطَرِ
 مُطَابِقَ لِكِتَابِ اللَّهِ وَالْخَبَرِ
 وَيَا عِمَادِي فِي سَنِيَّ وَفِي عُمْرِي

¹ ديوان الشيخ مُحَمَّد أَحْنَى، مخطوط، ص 2، بحوزة الباحث
² الشطر الثاني من البيت هكذا وجدته ولعل فيه حرفا زائدا !

8. المديح:

سلفت الإشارة إلى مكانة شعر المديح لدى المسلمين عموماً، خاصة الصوفيين حيث أولوا المدائح النبوية عناية كبيرة، ممزوجة بروحانية طافحة، وأصبح مدح الرسول عليه السلام دَيْناً قويا على أي شاعر صوفي، وكانت سيرته النيرة موضوع إبداع عظيم فعلاً، مع ما يتضمنه ذلك السرد للمناقب من حب عميق، وقد أجاد السوكيون في هذا الغرض لصدق العاطفة، ويوجد في الجدول المذكور ست نماذج رائعة في تأكيد محبة الحبيب عليه السلام، وتصوير خصاله السامية، ومن بينها رائعة الشيخ الخضر حمادو المليئة بالوجد، والود، والبيان الساحر¹:

عِرْقَ الْكَرَى فَجَرَى دَمْعُ الْعُيُونِ دَمًا ²	هُوَ الْفِرَاقُ بِحَدِّ سَيْفِهِ جَزَمًا
جِسْمِي وَلَوْ رَامَ - بَرْيَ الْكَاتِبِ الْقَلَمَا	وَقَدْ بَرَّيَ - حَتَّى لَا يَرَى أَحَدٌ
غَيْرَ الْحَشَا، وَكَفَى بِحَقِّهِ قَسَمًا	وَحَقِّ حُبِّ نَائٍ وَمَا لَهُ سَكَنٌ
أَظْلَلْتُهُ رِقَّةً فَكَيْفَ مَا عَظُمَا	لَوْ أَنَّ بِي أَصْغَرُ الذَّرِّ اسْتَظَلَ لَمَا
مَا نَابَنِي لَا أَزَالُ أَشْتَكِي الْأَلَمَا	أَبَيْتُ تَلْطُمُنِي أَيْدِي الْعَرَامِ، وَمِنْ
وَذِكْرُ مَنْ أَشْتَهِي يَرِيدُهَا ضَرْمًا	وَالْقَلْبُ يَصْلَى جَحِيمَ الْعِشْقِ مُوقَدَةً
كَثِيلًا أَجْرَ إِلَيْهِ الْوَجْدَ وَالسَّقَمَا	وَلَا يُجَالِسُنِي مِنَ الْوَرَى أَحَدٌ

وبعد هذا التصوير الشيق للشوق، والهيام بيدع الشيخ في رسم المكانة العظيمة التي

يحتلها مُحَمَّدٌ ﷺ في الوجود، فهو محض النور، والهدى:

وَفِي السَّمَاءِ بَدْرُهَا شَتَّانَ بَيْنَهُمَا	مَا زَالَ فِي الْأَرْضِ بَدْرًا لَا مِحَاقَ لَهُ
مِنْ الْحَيَاءِ، وَخَيْلَ جُرْمِهَا حُمَمًا	لَوْ أَبْصَرْتَ وَجْهَهُ شَمْسُ الضُّحَى كَسَفَتْ
مَا امْتَدَّتْ مِنْ بَعْدِ جَزْرِهِ وَمَا التَّطَمَّا	أَوْ أَبْصَرَ الْبَحْرُ وَقْتَ الْجُودِ رَاحَتَهُ

¹ ترغيب المشوق لزين الدين، ص 40

2 جزم: قطع

أو أَبْصَرَ الْبَارِقُ افْتِرَارَ مَبْسَمِهِ إِذَا تَصَادَمَتِ الْفُرْسَانُ مَا ابْتَسَمَا
وَأَنَّ وَقَدْ عَمَمَ الْأُفُقَ الضَّلَالُ، وَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ اجْتَا حَهُ وَحَبْلُهُ صَرَمَا
وَقَلَّ حَدَّ الْمَعَاصِي وَهِيَ شَائِعَةٌ وَظَهَرَ كُلِّ مُطِيعٍ لِلْهَوَى قَصَمَا
ثَبُتُ الْجَنَانِ إِذَا نَارُ الْحُرُوبِ ذَكَّتْ فَمِنْ لُحُومِ الرِّجَالِ يُطْعِمُ الرَّحْمَا¹

إن المقارنة الساحرة التي عقدها الشيخ الخضر باستعارة جليلة بين بدر الأرض "محمد" عليه السلام، وبين بدر السماء "القمر"، والتأكيد على التفاوت الكبير بينهما إلى آخر مقارنته بينه وبين البحر، أفضل فنيا، وأسلم عقديا، وأصدق من المبالغة الكبيرة التي يقوها الساعاتي وهو يمدحه عليه السلام²:

لولا هُ لَمْ تَأْكُ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ ولا الفراتُ وجاراه ولا النيلُ

1 الرخم: جمع رخمة: طائر أبقع يشبه النسر في الخلق

² عصر الدول والإمارات، شوقي ضيف، ص 277

9. الشوق والحنين

قديمًا تغنى الشعراء بالشوق والحنين إما إلى الزمن الماضي، أو المكان القديم، أو الحبيب البعيد، ويرد الحنين في الأزمنة الغابرة كجزء من قصيدة ما، ولكن اشتد هذا الفن من القول الشعري في الأدب الأندلسي، واكتسى ألقا خاصا، واهتماما زائدا، كقصيدة الشيخ مُحَمَّد أحنى التالية، وهي كلها عبارة عن بثِّ أشواقٍ مختلفة، إلى كل من "المكان" و"الزمن"، و"الإنسان"، فهي هو يصور كيف تغير الربع، وانهدت جوانبه، وصار رمادا، ومأوى للوحوش، والذئاب، واسودت أرجاؤه¹:

ولعبة غِرْبَانٍ ومرعَاها أصبحت	عفا الرسم من أطلال مِيَّةٍ وَاثَمَا
وصارَ رمادًا مدلهمًا مُقْبَحًا	وأقفرَ وانهدَّت جوانبُ زَكِنِه
ولا داعيًا ولا مُجِيًّا لِمَنْ نَحَا	وحوشًا يَبَابًا لا أنيسَ بأرضِه
وترعى التَّلَالُ والوَهَادَ مسَا ضَحَى	سَوَى عافياتِ الطيرِ والوحشِ تَرْتَدِي
يصيحُ ويعوي طائفًا مُتَرَجِّحًا	وذيبٌ يظلُّ في المَقَاوِزِ والفَلَا
لراءٍ أتاها أو يَمُرُّ مُسْرَحًا	وغيرِ أَثَافٍ يَسْتَبِينُ سَوَادُهَا
إذا ما رأتَ شخصًا وكان بها الوَحَا	وغيرِ نعامٍ تحبُّ حَبِيبَهَا
على طللِ الأسلافِ قد شاخَ وَاثَمَا	فدغَ ذِكْرُكَ الطِّبَاءَ وابكِ تَحْسُرًا
فَلَأَيًّا رآه الرائي أمسا وأصبَحَا	وغيرتِ الأرباخُ والسحبُ رسمَه
من النُّوْيِ والأثافي والمورِ والرَّحَى ²	فلم يبقَ منه لا الرَّمَادُ ولا السَّوَى
وأفسدَ منه الدهرُ ما كانَ أصلَحَا	وغدرائه جفَّتْ وغاضتْ زَكِيَّةٌ
وقُبِحَ منه اليومَ ما كانَ أَمْلَحَا	وأرجاؤه اسودَّتْ بُعيدَ صباحِه

¹ ديوان الشيخ محمد أحنى، ص 4

² النُّوْي: مجرى يحفر حول الخيمة يقبها من السيل، الأثافي: ما يوضع عليه القدر، المور: الغبار، الرحي: آلة الطحن.

فهو قبل ذلك كان عامرا بالحياة، والأحباب:

وقد كانَ قبلَ اليومِ مَرَسَى أَجَلَةٍ	كِرَامِ حُمَاةِ الدِّينِ يَأْوُونَ مَنْ نَحَا
ويحيون بالقرآنِ والدرسِ والدُّعَا	لياليهم وبالصلاةِ إلى الضُّحَى
ويَبْنُونَ بَيْتَ اللَّهِ بالعلمِ والتُّقَى	وتَبَيَّنُ مشروعَ بيانًا مُصَحَّحَا
ويَقْرُونَ ضَيْفَهُمْ وَمَنْ زَارَ سَاحَهُمْ	لَمَّا يدعي مزخرقًا ومُملَّحَا
وعهدُهُمْ بِهِ يُسَاقُ إِلَيْهِمْ	عَوِيصٌ ومُشْكَلٌ فَيَرْتَدُّ أَوْضَحَا
وعهدُهُمْ بِهِ تَطُوفُ عَلَيْهِمْ	أَشَائِبُ يبتغونَ فَيَدَا ومُصلَحَا
فَيَا طَلَلَ الْأَسْلَافِ فاسلم وَأَنْعَمَنْ	صباحًا وكنَ غَضًّا خَصِيصًا مُبَحَّحَا
وَلَا زَالَتْ النُّعْمَى تجودُ وتَنهَمِي	عليكَ وَلَا زَالَتْ عِيونُكَ طَفَّحَا

ويوجد نوع خاص من الشوق الذي يمكن تسميته بالصوفي، حيث ينشر الشاعر أشواقه إلى الأماكن المقدسة، والأصحاب من الأولياء، والصالحين، كهذه المقطوعة الرائعة للشيخ ذي الكِفَل¹:

وشيكاً قُبَيْلَ أَقُولِ الْهَلَالَ	عَلَى فِكْرِي جُرْتُ تَيْهَا إِلَالَ ⁽²⁾
سَأُنْضِي الْمَطِيَّ وَأَمْضِي إِلَى	إِلَى حَيْثُ نُورُ الْهُدَى يَتَلَالُ
إِلَى حَيْثُ نُرْضَى وَنُرْضِي بِمَا	تُكِنُّ الْعُيُونُ وَإِنْ سِيلَ سَالُ
وإنْ نُسْتَزِدْ فَلَنَا مُهَجٌ	سِوَى أَنَّهَا مِنْ ذَوَاتِ اعْتِلَالُ
نَحْوَلْ حَالِي وَلَمَّا يَطْلُ	فِطَامِي فَيَا لَيْتَ حَالِي حَالُ
ويا لَيْتَ شَعَرَ دَوِي الْعَشَقِ مَا	لَهُ أَمْرُهُمْ بَعْدَ بَيْنِكَ آلُ
لَيْتَ طَالَ عَهْدِي بِمَعْنَاهُمْ	فَعَهْدُ التَّدَكُّرِ لَمْ يَكُ طَالُ

¹ ترغيب المشوق، زين الدين، ص 109، وتوجد مخطوطة لدى الباحث.
⁽²⁾ تَيْهَا: مقصور ضرورة من "تَيْهَاء" الأرض التي لا أحد فيها، إِلَالَ: جبل بمكة

الحال أن المجتمع السوكي في أصله كان صوفيا بامتياز، فلا بد من حضور النزعة الدينية،
بنسختها الصوفية في آداب القوم، كما سيوضحه المحور التالي.

10. الشعر الصوفي:

المجتمع السوكي صوفي بامتياز، ومؤسس تقريبا على الطريقة الصوفية، من النوع المعتدل، لأن العديد من البدع، والخرافات الغارقة في البعد عن المنطق غير موجودة كزيارة القبور، والرقص، ونحو ذلك، لكن التقاليد الصوفية الأخرى سائدة كالشيخ، والمريد، والأوراد، والمدائح النبوية، وبعض الطقوس، وأعني بالشعر الصوفي لديهم كل القصائد التي يوجهها المريد لشيخه، وكذا التأملات في النفس، وتقديم النصح، والحض على الزهد، ثم ما يعرف في أدبيات القوم ب"الواردات"، وفي الديوان السوكي نماذج عديدة لسائر هذه الأنواع، مثل الأمثلة الآتية:

أ. نموذج من شعر الإرادة:

ب. نموذج من التأملات الصوفية

ج. نموذج للواردات:

أ. شعر الإرادة:

يجدر بنا أولا الوقوف على مفهوم الإرادة، لأنها مصطلح محوري أولا عند السوكيين، وحساس ثانيا، وملتبس ثالثا، إذ تتجاذبه عدة حقول، " اللغة، العقيدة "صفات الله، التصوف، علم النفس الشخصي"، ولكل واحد من هذه مفهوم مختلف، والذي يهمننا بالطبع هنا هو "الإرادة عند الصوفيين"، فنضرب الصفح عنها في العقيدة فهي إشكال عويص

جدا، خصصت له كتب في علم الكلام، والجدل فيكفي أن نشير إلى المقصود من المصطلح لغة، وتصوفاً.

لغة: في الصحاح: "الإرادة: المشيئة، وأصلها الواو، لقولك: راوده، إلا أن الواو سكنت، فنقلت حركتها إلى ما قبلها، فانقلبت في الماضي ألفاً، وفي المستقبل ياء، وسقطت في المصدر مجاورتها الألف الساكنة، وعوض عنها الهاء في آخره"¹، في المعجم الوسيط: "أراد الشيء: شاءه، وأحبه"²، فالإرادة لغوياً إذن تدور حول معنيين متقاربين: المحبة، والمشيئة، وما يفترضان من الرغبة، والحرية، والاختيار الواعي، وهذه المعاني متداخلة مع المدلول الصوفي كما سنرى.

أما في **عرف الصوفيين** فيبدو أن المصطلح شغل حيزاً هاماً في كتب التصوف، ففي كتاب "اصطلاحات الصوفية" لسيدى عبد الرزاق القاشاني: "الإرادة: جمر من نار المحبة في القلب، مقتضية لإجابة دواعي الحقيقة"³.

هذا هو المعنى الذي يعتبره القاشاني أصل المصطلح، لكن تتعدد معانيه بتعدد السياقات في عرف الصوفيين، ففي موضع آخر من الكتاب يفسرها القاشاني باعتبار السياقات، لأن الإرادة:

"في البدايات: ترك العادات، ولزوم العبادات"

في الأبواب: اعتلاق الرغبة بالحق، والانقطاع عن الخلق،

في المعاملات: الإقبال بالكلية على الحق، والإعراض عن الخلق،

في الأخلاق إرادة البلوغ إلى كمال الفتوة، والتقصي عن قوادح المروءة،

¹ الصحاح، الجوهري، مادة "رود".

² المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة "رود".

³ اصطلاحات الصوفية، سيدى عبد الرزاق القاشاني، 53.

وفي الأودية: علو المهمة، وتوحيد الوجهة،

وفي الأحوال: طلب الترقى إلى ذروة العشق، لنيل حلاوة الذوق،

في الولايات: إرادة محو الإرادة في إرادة المراد، والتقصي عن صفاته الموجبة للبعد، وفي الحقائق: التخلص عن البقية بطمس الإثنية،

وفي النهايات: التحقق بمشيئة الله حال التحقق بالبقاء، بقاء الله، قال الله: "وما تشاءون إلا أن يشاء الله"¹.

رغم تصنيف القاشاني هذه المعاني للإرادة حسب الاعتبارات يبدو أن الدلالة اللغوية لهذه المفردة متدفقة، ومحيطه بتلك الاعتبارات، أو "المستويات" بالأحرى، فهناك: "الرغبة، والإقبال، والتقصي، وذروة العشق، إلى درجة "محو الإرادة" في "إرادة المراد"، والتخلص عن البقية بطمس الإثنية"، و"المشيئة، والتحقق بها".. فهذا فيض دلالي لغوي، استثمرته اللغة الصوفية بامتياز.

وتعريف "الإرادة" ب"محو الإرادة" بليغ جداً، وفقدان الإرادة سمة أساسية للإنسان الثقافي في العالم العربي، والإسلامي.

يجدر بنا التوسع في غوص بحار المصطلح بالتعرج على كتب "المصطلحات العامة"، ففي كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي: "وعند السالكين هي استدامة الكد، وترك الراحة كما في معجم السلوك، قال الجندي: الإرادة أن يعتقد الإنسان، الشيء، ثم يعزم عليه، ثم يريد، والإرادة بعد صدق النية"².

كما أن التهانوي يستطرد بذكر ما يسميه "مظاهر الإرادة: ومستوياتها، فهي تسعة، أولها: الميل، وهو انجذاب القلب إلى مطلوبه، فإذا قوي ودام سمي ولعاً، وهو المظهر الثاني، ثم إذا

¹ المصدر السابق، 270.

² كشف اصطلاحات الفنون، التهانوي، 1/ 133

اشتد وزاد سمي صباية، وهو إذا أخذ القلب في الاسترسال فيمن يحب فكأنه انصب الماء إذا أفرغ لا يجد بدا من الانصباب، وهذا ثالث، ثم إذا تفرغ له بالكلية، وتمكن ذلك منه سمي شغفا، وهو الرابع، ثم إذا استحكم في الفؤاد، وأخذ من الأشياء سمي هوى، وهو المظهر الخامس، ثم إذا استولى حكمه على الجسد سمي غراما، وهو السادس، ثم إذا نمت وزالت العلل الموجبة للميل سمي حبا، وهو السابع، وإذا هاج حتى يفنى الحب عن نفسه سمي ودا، وهو الثامن، ثم إذا طفح حتى أفنى الحب، والمحبوب سمي عشقا، وهو التاسع".¹

تشير النصوص المذكورة كلها عند الصوفيين أنفسهم إلى أن "الإرادة" سلوك بين العبد وربّه، فهي في البدايات: ترك العادات، ولزوم العبادات وفي النهايات: "التحقق بمشيئة الله ...". كما سبق أن رأينا، أو "استدامة الكد، وترك الراحة" عند السالكين حسب التهانوي، يتضح جليا أن "الإرادة" في العرف الصوفي علاقة بين الإنسان، وربّه، علاقة تتسم بالمحبة الكبيرة، التي تنمو، وتتطور حتى تصل درجة العشق الإلهي، والشطحات، فما هي دلالة المصطلح عند شعراء كل أسو؟

إن إضافة شعراء كل أسو كلمة "الإرادة" إلى "الشيخ"، تفيد أنها معنى مغاير لما سبق، فهي عندهم: علاقة بين السالك والواصل، بين المريد، والشيخ، التي هي "التربية"، والتتقية"، ليست "العلاقة بين المخلوق، والخالق" التي هي "العبادة"، فالسؤال: على أي معنى من المعاني الواردة في المصادر المذكورة نسقط هذا البيت للشاعر مُجْدُو يوسف²؟

كأني به مستشفعا لمريده فيشفعه والقوم من خلف مُثَلُّ

إذا تركنا هذه المصادر إلى مصدر ألف خصيصا لمناقشة "المريد، وآدابه، ومراحلته ... حتى يصل و يرتقي إلى درجة القطب، هو كتاب "نعت البدايات وتوصيف النهايات" للشيخ

¹ المصدر السابق، 134.

² ديوان الشاعر: المدد الرباني في إرادة من رباني، صفحة غر مرقمة، وانظر أيضا: الشاعر النسقي قراءة وتحقيق لديوان الشاعر مجدو يوسف، مجد أغ مجد، ص 68

العارف مُحَمَّد فاضل بن مامن، فإنه يقول لنا بكل وضوح: "المريد: مشتق من الإرادة، وهي لوعة في القلب، يطلقونها، ويريدون بها إرادة الممتنى، وهي منه، وإرادة الطبع، ومتعلقها الحظ النفساني، وإرادة الحق، ومتعلقها الإخلاص، وهذه هي التي اشتق منها اسم المريد عندهم، لأنه المتجرد عن إرادته لما أراده الله، وهو "العبادة"¹.

من المؤكد أن السوكيين كغيرهم من الصوفيين لا يقصدون صرف الإرادة بمعناها "العبادة" إلى "الشيخ" سوى ما قد يكون في ذهن بعض العامة من معتقدات، وأوهام، وإنما المقصود الدخول في كنف الشيخ، والافتداء به، وتطبيق تعليماته، وأوراده، كما يقول أبو النجيب السهروردي: (أول ما يجب على المريدين بعد الانتباه من الغفلة قصد شيخ مؤتمن ناصح، عارف بالطريق، فيسلم نفسه لخدمته... ولا يفارقه قبل انفتاح عين قلبه)².

هذا وأول شيخ في منطقة الطوارق وصلتنا أخباره، وأخبار المريدين معه هو الشيخ حمَّادو مُحمَّدو، وقد التحق بمدرسته الروحية العدد الهائل من الطوارق، وغيرهم، ومن بين أولئك علماء كبار، وشعراء، قرضوا في الثناء عليه، والدفاع عن طريقته الشعر الوفير، الذي يستحق جمعا مستقلا، أورد نجله الشيخ الخضر في كتابه عنه كما غير قليل من شعر مريديه، ولذا يكفي أن نمثل هنا بالنموذج التالي:

أ. نموذج من شعر المريدين:

يحتوي شعر المريدين عموما على تأكيد محبتهم للشيخ، وثقتهم فيه، ثم لوم المتشككين في أمره، والدفاع عن الطريقة، وفي هذا يقول الشيخ المريد يعمر التنغاكلي في حض الناس على إرادة الشيخ حمَّادُ مُحمَّدو³:

تَشَاعَرْتُ لَا جَهْلًا بِأَيِّ لَا أَدْرِي بِأَيِّ اِحْتِيَالٍ يَرْتَقِي سُلَّمِ الشَّعْرِ

¹ نعت البدايات، وتوصيف النهايات، الشيخ محمد فاضل بن مامن، ص 4.

² المصدر السابق، ص 9

³ ترغيب المشوق، زين الدين، ص 425

وَلَكِنِّي أَلْفَيْتُ فِي النَّفْسِ غَيْرَةً
لَقَدْ قَفَّ رَأْسِي مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ
وَحَامَرَ بَاطِنِي وَسَاوَسَ أُورَثْتُ
فَمَا إِنْ مَلَكَتْ أَنْ أَفْوَهَ بِكَلِمَةٍ
وَمَا غَيْرَتِي إِلَّا لِقَوْمٍ تَهَاوَنُوا
يُرِيدُ بِهِمْ خَيْرًا وَتَأْتِي نُفُوسُهُمْ
وَيَبْذُلُ جَهْدَ النَّاسِ فِي جَبْرِ كَسْرِهِمْ
وَيَأْمُرُهُمْ بِالْعَرَفِ غَيْرَ مُعَنَّفٍ
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا وَكَأَنَّمَا
فِيَا قَوْمُ تُوبُوا مِنْ هَنَاتٍ تَقَدَّمَتْ
وَأُوبُوا فَأَيَّنَ تَذَهَبُونَ لِقَائِدٍ
وَلِيٍّ عَلَيْهِ اللَّهُ جَلَّ أَفَاضَ مِنْ
وَلِيٍّ هُوَ الْعَلْقُ النَّفِيسُ الْحَرِي بِأَنْ
وَلِيٍّ هُوَ الْحَبْلُ الْمُتَيْنُ فَمَنْ يُنِطُ
وَمِنْ هُوَّةِ الْإِعْجَابِ بِالنَّفْسِ وَالْهَوَى
وَمَا هُوَ إِلَّا نِعْمَةٌ سَافَهَا لَكُمْ

تَهَوُّنُ إِقْدَامِي عَلَى الْمَسْلَكِ الْوَعْرِ
بِهَا شَعْرًا وَالتَّاعَ مِنْ أَجْلِهَا صَدْرِي
فُقَادِي حَيْرَةً وَأَعْيَى لَهَا فِكْرِي
تُرْخَرْخُ وَسَوَاسًا عَلَى حَاطِرِي تَجْرِي
بِأَمْرِ الْوَلِيِّ السَّائِرِ الصَّيِّتِ وَالذِّكْرِ
وَإِنَّ اتِّبَاعَ النَّفْسِ أَجْلَبُ لِلشَّرِّ
لِيَنْجَبُوا وَهُمْ يَمِيلُونَ لِلْكَسْرِ
فَيَزِدَادُ فِيهِمْ التَّسَاوُعُ لِلتُّكْرِ
عُقُوبُهُمْ قَدْ فَارَقَتْهُمْ مِنَ الشُّكْرِ
إِلَى اللَّهِ وَاطْلُبُوا الْمَعُونَةَ بِالصَّبْرِ
إِنْ انْقَدْتُمْ لَهُ فَأَنْتُمْ عَلَى خَيْرٍ
مَوَاهِبِهِ مَا لَيْسَ يُبْلَغُ بِالْحَضَرِ
يَشُدُّ عَلَيْهِ الْكَفَّ مَنْ لَيْسَ بِالْغَمْرِ
بِهِ كَفَّهُ يَرْفَعُهُ مِنْ هُوَّةِ الْوَرْرِ
وَمِنْ كُلِّ أَمْرٍ مَا بِصَاحِبِهِ يُزْرِي
يُحْسِنُ امْتِنَانِهِ عَلَى مَالِكِ الْأَمْرِ

أ. نموذج من التأملات الصوفية والتذكير بالحياة الأخروية:

لا يخلو الشعر الصوفي عموماً من بعض التأملات في النفس، وأهوائها، وأحوالها، وما يعترى الإنسان من تغيرات في مراحلها، ومن أبدع النماذج التي تستحق الخلود رائعة الشاعر محمدو يوسف التي يستهلها بتصوير قدوم مرحلة المشيب¹:

حَسَرَ الشَّبَابُ قِنَاعَهُ عَنْ رَاسِي فَرَسَى بِهِ وَضَحَ الْمَشِيبِ الرَّاسِي²
وَالشَّيْبُ مَرْدَعُهُ الْفَتَى وَبَيَاضُهُ مَسْكُ الْخِتَامِ لَوْصَلِ كُلِّ خُمَاسٍ

¹ ديوان الشاعر: المدد الرباني، ص 30، وانظر أيضاً بحثي: الشاعر النسقي، ص 172
² الراسي الأخيرة من رسا الجبل رسوا، فهو راس.... تمكن، وتثبت.

فبقدرٍ وخطِ الشيبِ شحطُ شبيبةٍ
يا من عذيري من بياضِ طارئٍ
أستله بعوارضي أجتته
لكن ألي إلا الشمول فإتما
صُبْحُ تنفسٍ في دُجْنَةٍ ليلة
وبشحطها شحطُ الدُمي الأشماسِ
بعذاري المخضِر هل من آسٍ
بمقارضي أقتصه بمواسٍ¹
قصي وتقرأضي له كغراسي
مسعودَةٍ ليست من الأُنحاسِ

ثم يشرع في الحديث عن مرحلة التيه، والضياع، واتباع الهوى، وهي مرحلة آن الأوان لتنجلي ظلماتها:

فجزعتُ عما أسرفتُ نفسي وعن
فجئتُها وقلتُ لها اصدفي
فلقد ألى لك نفسُ أن تترفلي
والآنَ آنَ أوانُ أن تستقبسي
فريني لنا حقَ انقيادٍ حين إذٍ
أيامَ أتبعُ الهوى فيقودني
ما أسلفتُ في سالفِ الآماسِ
عن طولٍ ما غيَّ وطولِ نُعاسٍ
ترفيلٍ مُقتصدٍ بخيرِ لباسٍ
من كل بر أيما مقباسٍ
تردين بي في اللهوِ بالقُسطاسِ
وأقوده هو أيما ممتاسٍ

لا يجد الشاعر المريد ملاذاً بعد الحوار الطويل مع النفس سوى شيخه الغوث:

فلاشكوتك خاشعاً متضرعاً
غوثٌ غياتٌ مُستعاتٌ شافعٌ
متمطياً صدقاً إلى إلياسٍ
ومُشفّعٌ في الناسِ والنَّسناسِ

ونقرأ قصيدة أخرى كاملة في التوجيه، والإرشاد للشيخ محمد البكاي يقول فيها²:

علَّ همَّ خالدةِ الدِّيارِ فإنَّها
إمّا إلى دارِ الجحيمِ مُعدِّباً
أولى بدمعك من منارٍ خالٍ
أو تلالُ المسكِ تحتَ ظلالٍ

¹ مواسي جمع موسى: المدينة.

² ترغيب المشوق، زين الدين، ص 128

عَلْ هَمَّ أَتَّكَ لَا تَمِيزُ حَالَكَ أَلَمْ
 عَلْ هَمَّ مَصْرَعِكَ الَّذِي لَمْ تَدْرِ هَلْ
 كَلَّا وَلَا تَدْرِي بِأَيِّ بَشَارَةٍ
 هَلْ قَبْرُكَ هَلْ أُتِيحَ لِلْحَدِثِ
 عَلْ هَمَّ فِتْنَةٍ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ
 مَكْتُوبٍ فِي أَرْزِلٍ مِنَ الْأَحْوَالِ
 هُوَ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ إِلَى أَحْوَالِ
 يَأْتِيكَ دَاعِي الرُّوحِ لِلتَّرْحَالِ
 ضَوْءُ النَّهَارِ أَوْ انْتَهَى لِلْبَالِ
 هَلْ أَنْتَ حِينَدٍ مُجِيبُ سُؤَالِ

وهذا النوع من الشعر الصوفي التربوي توجد فيه قصائد تارة، ومقطعات أحيانا بين القوم، وتحظى بقيمة معنوية كبيرة، لكن الشكل الأخير هو الذي يكتسي مكانة روحية تكاد تكون مقدسة، وهو ما يدعونه "الواردات".

أ. من شعر الواردات:

الواردات يقصدون بها ذلك الشعر الذي يقذف في قلب الشيخ الولي عن طريق إلهام خفي!، فينطق به دون قصد¹، وغالبا ما يحتوي على أحوال الشيخ نفسه، ومقامه، وتجاربه الروحانية، ويتضمن الشطح أحيانا كثيرة، ويعتمد لغة التعمية باتفاق القوم، لدرجة أنه لا يشرحه سوى كبار العلماء المقربين من الشيخ!، فمعناه الباطني هو المقصود، فهو إشارات لا عبارات، وتلميحات لا تصريحات، من خلالها يعبر الشيخ إلى ما فوق اللغة الظاهرة، بل وإلى ما فوق الطبيعة، حيث تحضر الخوارق شرطا أساسيا للفعل الوجداني، والذوق الروحاني، ومن هنا تمتد الهوية الشعرية الأصيلة نفسها، إذ تشتد اللغة المجازية، والرمزية، فيستمد القول الشعري شرعيته الأدبية قبل الدينية من خلال "التصوير الفني" الممتع، الذي يفتح الآفاق الرحبة أمام التأويل، فتفرض مثل هذه النصوص الصوفية الاستجابة حتما لدعوة أصحاب "نظرية التلقي" القاضية بضرورة "المشاركة في صنع المعنى بين المبدع والمتلقي"² فنص

¹ انظر كتاب: التبر التالذ في مناقب الشيخ الوالد للشيخ الخضار حمّادو، ص 110 ج 2 (مخطوط)

² انظر: قراءة النص وجماليات التلقي، محمود عباس عبد الواحد، ص 24

"الواردات" مفعم بالدلالة الغامضة التي تستوجب بذل جهد من القارئ نفسه كي يفتح اللغز، ويصل للمغزى.

وتتسم الواردات إضافة إلى مميزاتها المعنوية السالفة بألفاظ سلسلة، وموسيقى جذابة، وتركيز كبير على الإيقاع الداخلي، ولذا يتم اختيار الأوزان الأكثر رنة، وغناء، وهي الأوزان القصيرة، كالرمل، والوافر، والمنسرح، والخفيف، كما أنها في الغالب لا تتعدى شكل "المقطعات القليلة الأبيات"!

إن صاحب هذا الفن بلا منافس هو الشيخ العارف، شيخ الطريقة الصوفية التي ذاع صيتها في أرجاء الصحراء الكبرى وما حولها، وقد مر بنا ذكره في أكثر من مناسبة الشيخ/ حمّادو محمد، فله ديوان كامل من "الواردات" جمعه أحد المشايخ من الأقارب المقربين منه، الشيخ محمد، وشرحه بفك أغلب رموزه، ثم أعاد شرحه نجل الشيخ نفسه، الشيخ الخضر، كهذه "الواردة"¹:

سَكِرَ	القَوْمُ	بَصَحْنَ	مِنْ	كُؤُوسِ	الشَّرْبِ	يُعْنِي
مِنْ	فُنُونِ	الْحَبِّ	وَالْهِدْ	بِهْ	فَنَّا	بَعْدَ
مِنْ	دَوَاهِ	عَايَنُوهَا	أَلْحَقَتْ	كُونًا	بِكُونِ ²	
مِنْ	ذَوَاقِ	وَشَرَابِ	وَجُنُونِ	وَجَنِّ ³		
وَاحْتِرَاقِ	بَعْدَ	وَجَدِ	وَانْقِبَاضِ	وَتَنِّ		
فَقِدَاهُمْ	كُلُّ	فَهْ	نَاصِحِ	أَهْلِ	التَّائِبِ	
يَا	أُولِي	الْغَيْرَةِ	صَبْرًا	لَا	أَرَى	أَغْيَرَ
وَأَغَارُوا	ثُمَّ	غَارُوا	سَكْرَةً	مِنْ	كَأْسِ	تَبْنِ

¹ التبر التالذ، الخضر حمادو، ص 132

² - دواه: جمع داهية.

³ - اسم لما يذاق من الطعام ونحوه.

إِنَّمَا	يَذْكُرُ	بِالْكَأ	سِ	أَخِي	أَهْلُ	التَّمَيِّ
وَأَنَا	أَبْرَزَ	سُكْرِي	رُؤْيُهُ	السَّاقِي	بِعَيْنِي	
وَأَنَا	أَفْرَطُ	عِشْقِي	نَظْرُهُ	تَنْزَاحُ	عَيِّي ¹	
وَأَنَا	مِنْ	قَبْلِ	أَنْهَى	قَالِي	وَالْقَلْبُ	يَزِينِي ²
ثُمَّ	نَالَتْ	بِي	مِنْ	الْمَوْلَى	الصَّفْحِ	عَيِّي
نَفَحَاتُ	لَسْتُ	أَعْنِيهَا	قَدِيمًا	وَهِيَ	تَعْنِي	
وَسَوَائِي	فِي	غِطَاءٍ	يَبْضَعُ	الشُّرْبُ	بِدَنِي ³	
وَهُوَ	بِالْآثَارِ	يَلْهُو	وَأَنَا	بِالْعَيْنِ	أَكْنِي	
وَهُوَ	بِالْخُلُوةِ	يَزْهُو	وَأَنَا	بِاللَّهِ	أَغْنِي	
وَهُوَ	أُنْسِي	وَمَلَاذِي	وَهُوَ	فُوتُ	الرُّوحِ	مَنِّي
إِنِّي	مِنْ	أَجْلِ	كَسْنِي	خَالِطًا	خَوْفًا	بِأَمْنِ
وَإِذَا	طَالَعْتُ	سِرِّي	مَرَّةً	حَسَنْتُ	ظَنِّي	
وَإِذَا	خَالَفْتُ	أَمْرًا	لِلْهَوَى	أَتَمَمْتُ	حُسْنِي	
غَيْرَ	أَنِّي	مِنْ	إِلَهِي	طَامِعٌ	تَكْمِيلِ	إِذْنِي

يتضح من هذه القصيدة النفس الصوفي بكل أبعاده، وأسلوبه، فاللغة مركزة، وتكشف المصطلح الصوفي من البيت الأول: "السكر/ القوم/ الصحن/ الكأس/ الحب/ فنونه/ التغيي

1 وأفراطه: أكثره تجاوزا للحد. تنزاح: تبتعد.

2 القالب الشيء الذي تُفرغ فيه الجواهر ليكون مثلاً لما يُصاغ منها وكذلك قالب الحُفِّ ونحوه، والمقصود هنا قالب الروح وهو الجسد

3 سواي: غيري. يبيض: يتخذ بضاعة.

.... إلى " الخلوة/ الشراب/ الذوق/ الوجد/ الغرام/ الهيام/ العشق/ الرؤية/ النظرة/ الروح/ الإذن

فالمفردات أعلاه كلها تحمل دلالاتها الظاهرة، والباطنة، والخفية هي المعنية، بل حتى المفردات الأخرى التي نراها واضحة ليست كذلك، ك"الآثار واللهو، والعين، والظن" فمقاصدها لا يعيها غير أهلها المعنيين بها من "أولي الغيرة"، و"العشاق السكارى"، وهذه الواردة تؤكد هويتها بالبيت القائل:

نَفَحَاتُ لَسْتُ أَغْنِيهَا قَدِيمًا وَهِيَ تَعْنِي !

وبما أنها كذلك فقد تكفل نجل الشيخ الخضر بتحليل هذه الألفاظ العظيمة داخل كتابه الذي ألفه خصيصا حول الشيخ الوالد ، ومناقبه، وآثاره، فلنستمع قليلا له، وهو يفك بعض المغاليق لهذا النص، والشيخ لسعة معرفه، وعمق عرفانه تفاعل مع النص أعلاه عبر أكثر من عشرين صفحة، وهو يشرح، ويحلل، فلنأخذ نموذجا سريعا من شرحه للجملية الأولى من الشطر الأول فقط "سكر القوم"¹:

(سكر القوم: أي الأولياء، حتى عاد كل منهم طافحا لا يفرق بين الذكر، والأنثى، ولا بين الجون والأشقر، كما قال امرؤ القيس:

ونشربُ حتى نحسب الخيلَ حولنا نقاداً ونحسب الجونَ أشقرا

وسموا "أقواما" لأنهم القَوَّامُونَ بالقِسْطِ في جميع الأمور، وإن شئت قلت: القوامون بالجد في الخدمة، بلا تكاسل، ولا فتور، أو القوامون بجلبِ المصالح، ودفعِ المفسدِ، والشورِ، فهم في الحقيقة القوم والرجال، ومن سواهم بالنسبة إليهم كالأطفال، أو كَرَبَّاتِ الحِجَالِ، و"السكر" الغيبة بوارد قوي، وقال البكري في شرح رائية الشرسيني نقلا عن القلشاني رحمة الله عليهما:

¹ التبر التالذ في مناقب الشيخ الوالد، الخضر حمادو، ص64، ج 2 (مخطوط)

السكر دهشٌ يلحقُ سرَّ المحبِّ في مشاهدة جمال المحبوبِ فجأةً، لأنَّ روحانية الإنسان التي هي جوهرُ العقل لما انجذبت إلى جمال المحبوب بعد شعاع العقل عن النفس، وذهل الحسُّ عن المحسوسِ وألمَّ بالباطنِ فرحاً، ونشاطاً، وهزّةً، وانبساطاً، لتبعده عن عالم التفرقة والتمييز، وأصاب السرَّ دهشٌ، وذلةً، وهيماناً، وولةً، لتُحيرَ نظره في شهود الجمال، وتسمى هذه الحالة سكرًا، لمشاركتها السكر الظاهر في الأوصاف المذكورة، لأنَّ السببَ لاستتار قمر العقل في السكر المعنوي غلبة نور الشهود، وفي السكر الظاهر غشيان ظلمة الطبيعة، لأنَّ النور كما يستتر بالظلمة يستتر بالنور الغالب، كاستتار نور الكواكب بغلبة نور الشمس، وقلنا: "فجأة" لأنَّ نور الجمال في النظرة الأولى أكثر، وفي النظرات بعدها يقلُّ على التدرج لحصول الإنس، بوصول الجنس).

وبهذا يتنافس الشرح نفسه مع النص المشروح في خلق المعنى، وإنتاج الدلالة، وتبيّن العمق الذي تتميز به "الواردات"، وافتقار المؤول إلى عدة مصادر، مع التماهي الروحاني كذلك داخل المتن، فالشيخ الخضر نفسه يعترف اعترافاً صريحاً بعجزه عن شرح أغلبها، وأورد في مقدمة حديثه عن الواردات اعترافات كبار المعاصرين له وللشيخ عن عجزهم الجزئي تارة، والمطلق أحياناً عن إدراك بعض الإشارات، قائلاً: (وأغفلت بعضها هيبة واعترافاً بالعجز عن إدراك الحقائق، وعن الكشف عما تحت ألفاظها من غرائب الدقائق)¹

11. الفخر:

يقول ابن رشيقي: (والافتخار هو المدح نفسه، إلا أن الشاعر يخص به نفسه، وقومه)²، وليس الفخر كثيراً في شعر القوم، بحيث يستقل في قصيدة، إنما يرد الافتخار لديهم في سياقات معينة داخل بعض القصائد، وأهم ما يفتخرون به هو "العلم"، و"الاشتغال به"، و"العروبة"، و"الماضي الإسلامي المجيد".

¹ المصدر السابق، ص 62

² العمدة لابن رشيقي، ص 143، ج 2

ومن النماذج المركزة في الافتخار على "التعلم"، و"الخط"، ورسوخ القدم في المعارف، وإتقان الخط قول المحمود يحيى في قصيدة يرد بها على قصيدة الشيخ إغلس التي تحض شباب كل اسوك على التعلم¹:

قَدْ لَعَمْرِي نَبَّهْتَ شَيْباً وَمُزْداً	وَصِغَاراً مِنَّا فَسَمِعاً وَطَاعَةً
غَيْرَ أَنَّا فَأَفْرَحَ وَأُبَشِّرَ عَلَى مَا	قَدْ عَهِدْتَ وَلَا نُرِيدُ ضِيَاعَةً
وَالشَّبَابُ يُقَرِّطُ الْكُتُبَ سِفْراً	بَعْدَ سِفْرِ وَكُلُّهُمْ مَدَّ بَاعَةً
نَقْرُؤُ الْمُنْزَلَ الْحَكِيمَ صَبَاحاً	وَمَسَاءً وَلَا تَمَلُّ سَمَاعَةً
جَمَّةً كُتُبَ التَّفَاسِيرِ فِينَا	مَا وَرَثْنَا وَمَا نَرَى عِنْدَ بَاعَةٍ
وَالصِّحَاحِ بُشْرَاكَ تُتْلَى قَدِيماً	وَحَدِيثاً أَنِّي تَكُونُ مُضَاعَةً
نَقَرِيهَا تَفْقُهَا وَاقْتِبَاساً	وَاحْتِسَاباً نَرْجُو بِذَاكَ الشَّفَاعَةَ
بَيْنَ كَفِّي كُلِّ ابْنِ خَمْسٍ مِنَ الْأَطْ	قَالَ لَوْحِ كَمْ تَعْتَلِيهِ الْيَرَاعَةُ
فَنَحْطُ الْحُرُوفَ حَطّاً أُنِيقاً	لَمْ يُقَرِّمَ مَجُودِينَ ارْتِصَاعَةً
وَمُدُّ الْمُدُودِ مِنْهَا وَنُوفِي	كُلَّ حَرْفٍ حُقُوقَهُ وَطِبَاعَةً
سَائِلِ الرَّقِّ حِينَ نَسْطُو عَلَيْهِ	بِالْمَزَابِرِ هَلْ نُحِيدُ اصْطِنَاعَةً
لَا تَرَى الْأَلْفَاتِ تَشْكُو اعْوَجَاجاً	لَا وَلَا الْمِيمَ تَشْتَكِي الطَّمْسَ سَاعَةً

ويقابلنا فخر مباشر، يجمع بين كل ما ذكر خلال قصيدة أخرى للشيخ محمود مُجَدِّ الصالح²:

¹ ترغيب المشوق، زين الدين، ص 210
² الجواهر الثمين، العتيق سعد الدين، ص 373، والقصيدة مخطوطة أيضاً بحوزة الباحث.

سَائِلُنْ عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا
أَبْنُو عَدْنَانَ أَمْ مِنْ عَجَمٍ
أُنْحَاسُ نَحْنُ أَمْ مِنْ فَضَّةٍ
بُلْدَاءُ الْوَقْتِ أَمْ نُقَّادُهُ
بُخْلَاءُ الْعَصْرِ أَمْ أَجْوَادُهُ
نَحْنُ هُضْبُ الْأَرْضِ أَوْ رَوْضَاهُ
نَحْنُ فِي بُرْجِ الْمَعَالِي أَنْجَمُ
إِنْ يَغِبْ طَالِعُ مَجْدِ بَيْنَنَا
بَعْضُنَا فَهَرِيٌّ جَدِّ وَالسَّوَى
نَحْنُ فِي السَّرَّاءِ أَوْ فِي ضِدِّهَا
مَا بَنُو الْحَارِثِ أَوْ عَبَسَ إِذَا
إِنْ غَضِبْنَا أَوْ تَمَادَى مَا بَنَا
أَوْ رَضِينَا فَرِيْعٌ ثَالِثُ

فِي قُرَانَا يَوْمَ تَفْسِيرُ الْكُتُبِ
سَيَقُولُونَ هُمْ هَامُ الْعَرَبِ
سَيَقُولُونَ هُمْ عَيْنُ الذَّهَبِ
سَيَقُولُونَ بِهِمْ قَامَ الْأَدَبِ
سَيَقُولُونَ بِهِمْ نُجِحَ الْأَرْبِ
وَسِطَامُ النَّاسِ أَشْرَافُ النَّسَبِ
أَوْ بُدُورُ أَوْ شُمُوسٌ لَمْ تَغِبْ
ذَرَّ فِينَا طَالِعَاتُ تُرْتَقِبْ
خَزَرْجِيُّ الْجَذْرِ مُحَمَّدُ الْحَسَبِ
جَمْرَةٌ لَا يَنْطَفِي مِنْهَا اللَّهَبُ
فَاخْرُونَا. مِثْلَنَا أُمَّا وَأَبُ
يَعْشَ هَذَا الْكَوْنِ آثَارُ الْعَضْبِ
قُرَّةُ الْأَعْيُنِ كُشَّافُ النَّصَبِ

12. التقاريط:

يفرق ابن قتيبة في "أدب الكاتب" بين التقريظ والتأبين، فيقول: (التقريظ مدح الرجل حياً، والتأبين مدحه ميتاً)¹، على أن التقريظ مؤخرًا يكاد ينحصر على مدح الكتاب، وصاحبه، ففي العصور المتأخرة لا ينظر إلى المؤلف إلا بعين التمجيد، والإعجاب، بعيداً عن النقد، والتصحيح، كما يقول أحمد الجندي: (الإفراط في التقريظ شيمة المتأخرين من أهل عصور الانحطاط للأدب العربي)²، وتقريظ الكتاب الجديد أصبح عادة بارزة في المجتمع السوكي، كما سلف في الباب الأول، فيرون أن إنجاز "كتاب ما" هو عمل جليل، يستوجب الشكر، والذكر، والثناء، فصار واجباً على الأصدقاء أن يمدحوه، ويهنتوه بتلك المناسبة، كتهنئته بمولود، أو زواج، أو منصب.

وهذا شاعرنا الشيخ حمداً يقرظ الشيخين: محمد محمود بن محمد الصالح والشيخ سعد الدين بن عمار حيث نظم الأول أرجوزة في النصائح وقام الثاني بشرحها فراوح في تقريظه بينهما معا عبر قصيدة طويلة منها³:

خَافَ الضَّلَالِ وَحَقُّهُ أَنْ يَجَارَا	مَا أَغَارَتْ حَوْلَهُ (مَالِي أَرَى)
وَأَشْتَتَ عَسْكَرُ شَرْحِهَا لِمَا غَزَا	لِلنُّكْرِ سَرَحًا آمِنًا أَنْ يُدْعَرَا
فَهُمَا سِلَاحُ هُدَى النَّبِيِّ تَرَاهُمَا	فَتَحَالُ ذَا سَيْفًا وَآلِكَ مَغْفَرًا ⁴
وَهُمَا لَهُ كَالْمُقْلَتَيْنِ وَإِنَّهُ	بِهِمَا يَرَى إِنْ شَاءَ أَنْ يَتَبَصَّرَا
نَظْمٌ بِمَنْزِلَةِ الْبَيَاضِ وَشَرْحُهُ	كَانَ السَّوَادَ فَهَبُهُ ظَنِيًّا أَحْوَرَا
لِللَّهِ دَرُّهُمَا وَمَنْ صَاغَاهُمَا	فَلَقَدْ - يَمِينُ اللَّهِ - حَاذَا مَفْحَرَا
فَرَسًا رِهَانِ الْمَعْلُوتِ تَسَابَقَا	وَكِلَاهُمَا جَلَّى فَلَا يَرْضَى وَرَا
جَهْدًا بِقَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ وَجَاهِدَا	فَعَزَا قَرِظَةً ذَا وَهَذَا خَيْبَرَا

¹ أدب الكاتب، ابن قتيبة، ص 202.

² المعارك الأدبية، أحمد أنور الجندي، ص 225

³ ترغيب المشوق، زين الدين، ص 233

⁴ آلك: لغة في ذلك.

وَتَطَاوَعَا وَتَتَابَعَا وَكَأَنَّمَا هَذَا لَدَا عَرَضٍ يُلَازِمُ جَوْهَرًا

ويبدعون في تسجيل مكانة الكتاب في مجاله، ويصورون الجهود المضنية التي تبذلها المؤلف، وبراعته المميزة في التأليف، وإحاطته بكل جوانب الموضوع، ويحدث أن يتسابق كثير من الشعراء على تقريظ مؤلف واحد على غرار ما حظي به كتاب "التبر التالد" في مناقب الشيخ الوالد¹، للشيخ الخضر حمادو، لمكانة الشيخ العظيمة في المجتمع، وأهمية الكتاب الاجتماعية والتاريخية، لكونه متعلقاً بشيخ الشيوخ الولي العارف/ حمادو نفسه، فانحالت عليه قصائد بارعة، جمعها الشيخ الحاج محمد أحمد الذي كان من ضمن المقرّضين، وألحق ذلك المجموع بالنسخة الأخيرة من كتاب "التبر التالد"¹ واستهلّها الشيخ الحاج بهذه الرائعة التي أثنى عليها كثيراً، وهي للشيخ الفقيه القاضي عيسى تَحْمَدُ، طويلة على عدد أحزاب القرآن الكريم، ونقتطف منها هذه المحاور²:

عَنَانِي جَمْعُ أَطْرَافِ الْعَنَانِ	وَرَكُضٍ هَيْكَلِي نَحْوِ الرِّهَانِ
فَلِي طَرَفٌ عَتِيقٌ مِّنْ عِتَاقِي	يُمَازُ بِهِ الْهَجِينُ مِنَ الْهَجَانِ
وَسَيْفِي صَارُمٌ ذَكَرٌ صَقِيلٌ	شَهِدْتُ بِهِ الْمَشَاهِدَ هُنْدُؤَانِي
فَإِنْ أَسْبَقُ فَسَبَاقٌ قَدِيمًا	وَإِنْ أَسْبَقُ فَمِنْ غَيْرِ الزَّمَانِ
.....	

فَإِنِّي قَدْ طَرِبْتُ عَلَى اكْتِهَالِ	عَشِيَّتَ قِيلَ قَرَّظَ شَاعِرَانِ
طَرِبْتُ وَمَا رُكُونًا لِلْمَلَاهِي	طَرِبْتُ وَلَا اهْتِشَاشًا لِلْأَعَانِي
وَلَا شَغْفًا بِرَنَاتِ الْمَثَانِي	وَلَا لَهْوَى مُنَاغَاةِ الْعَوَانِي
.....	

¹ من أراد الاطلاع على القصيدة كاملة مع أخواتها فليُنظر: التبر التالد للشيخ الخضر حمادو، ص 549 ج 2 (مخطوطة)

² التبر التالد، الخضر حمادو، ص 577

ولكن كل ذي ذوق سليم
ألا يا سيدي يا أنس قلبي
وقوة ساعدي وصفاء وقتي
شهدت لما تُخبره بحسن
بما أحييت من سنن أميتت

.....

بأسرار البلاغة ذو افئتان
وقرت مقلتي وفواح بان
ومعتمدي إذا دهري جفاني
واحسان إلى قاص ودان
بما هو مقتضى نص القرآن

.....

رأيت الدين في يد كل باغ
فغرت وما فغرت بغير حق
فكان على يدك له خلاص

.....

وذي جهل به يتلاعبان
وصلت على الصحائف بالبنان
بإذن الله من أسر امتهان

.....

لقد أدت حق أهلك شيعي
بما أحييت سيرته كأن لم
ففي هذا التنافس دون لوم
وفي هذا يليق بنا سرور

وشيخك غوث ذياك الأوان
يغب جُسمائه عن غير ران
متى يتنافس المتنافسان
وتوفير القصائد والتّهاني

13. شعر المناظرات: النقاش العقدي والفقهى:

من الأغراض المثيرة، والمهمة لدى الشعراء السوكيين هو تبادل المناقشات والمساجلات، والمناظرات الفقهية والعقدية من خلال الشعر، فنقاش المسائل الفقهية العويصة، والإشكالات العقدية المعقدة أنتج ديوانا شعريا يستحق الدراسة والجمع في سياق مستقل، ويحترم ذلك النقاش تارة آداب الحوار، من الهدوء، والاحترام الكامل، وقد يتجاوز إلى ما يشبه الصراع الحقيقي عندما يتعلق الأمر بالمسائل الخلافية الحساسة.

لقد احتدم النقاش في المرحلة الثانية بين الصوفية والسلفية حول المسائل الخلافية، كما اتخذ النقاش الفقهي تارة بعدا قبليا ! حيث ظهر نوع من السجال حول بعض الفتاوى التي يتخذ فيه شيوخ قبيلة سوكية معينة رأيا يخالف موقف القبيلة الأخرى، وأهم القضايا التي سالت لها الأقلام في تلك الفترة: (مسألة التوسل بالأنبياء والصالحين/ الحج على الطائفة/ سؤال حول زكاة البنوك).

● مسألة التوسل بالأنبياء والصالحين:

هذه من المسائل الخلافية الشديدة بين السلفية والصوفية، حيث يرى أتباع محمد بن عبد الوهاب أن التوسل بغير الله، فضلا عن دعاء غيره عز وجل هو شرك أصغر، وكفر بواح مستدلين بالآية التي تشدد على توجيه الدعاء إلى الله وحده، والآثار التي تؤكد أن الدعاء مخ العبادة¹، لكن يرى غيرهم خصوصا الصوفية أن التوسل بالأنبياء والصالحين أمر ليس فقط جائزا بل يكاد يكون سنّة، مستدلين ببعض الآثار هم أيضا، وهذا الجدل احتدم بين السوكيين حين عاد المهاجرون منهم إلى السعودية، ورجعوا حاملين رأيا شبه جديد على الساحة كلها ! وهو تكفير المتوسل، فجوبهوا بنقاش حاد من الطرف الآخر، تم أغلبه عبر

¹ كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب، ص 83

الشعر، ومن القائلين بجواز التوسل، وأشكاله كالنداء، الشيخ الخضر حمّادو، وقرض في المسألة قصيدة طويلة، وقوية، يحشد فيه أدلته، ومنها¹:

حَقًّا أَقُولُ وَنُورُ الذِّكْرِ مِقْبَاسِي
مَا فِي التَّوَسُّلِ بِالْأَخْيَارِ عَنْ مِقَّةٍ
فَمَا لِنَاجِمَةٍ جَاءَتْ تُعَالِطُنَا
مَا اللَّهُ-مُ اللَّهُ-وَصَّاكُم وَلَا أَحَدًا
وَلَا نَبِيَّ الْهُدَى غَرَّ الضَّرِيرَ وَلَا
نَادَاهُ عَنْ أَمْرِهِ مُسْتَشْفِيًّا وَسَوَى
فَهَلْ لَدَا نَاسِخٌ وَاهًا لِرَاسِخِكُمْ
وَهَلْ أَبُو النَّاسِ نَاسٍ إِذْ تَوَجَّهَ فِي
إِيَّاهُ نَتَبَّعُ أَمْ وَسَوَاسَ مُبْتَدِعٍ
مَا نَفْعُ كَيْسِي وَمَا أَوْدَعْتُ مِنْ حِكْمٍ
وَمَا ضُمُورُ يَرَاعَاتِ الْبِرَاعَةِ إِنَّ
مَا عِشْتُ لَسْتُ أَرَى إِلَّا أَشْيَ كَلِمًا
أَسْطُو بِحَدِّ عَلَى مُلْغِي الْوَسَائِطِ مَا
خَطِيئُهَا - يَا لَهَا - الْأَقْلَامُ تَعْضُدُهَا
نَاشِدْتُكَ اللَّهُ يَا نَافِي الْوَسِيلَةِ هَلْ
هَذِي الْجَوَامِعُ طُرًّا وَالْمَسَانِدُ وَال
ثُمَّ التَّفَاسِيرُ تَتْلُوهَا وَأَوْثَقُهَا
فِي هَذِهِ أَوْ ذِهِ جَاءَتْكَ وَاضِحَةً

مَا فِي النَّدَا يَا أُولِي الْإِلْبَاسِ مِنْ بَاسٍ
إِلَّا الْخُلَاصُ وَإِلَّا غَسْلُ أَذْنَانِ
فِي وَاضِحٍ لَمْ يَغْبُ عَنْ كُلِّ حَسَّاسٍ
مِنَا يَهْجُرُ اسْمَ مَنْ يَرْضَى مِنَ النَّاسِ
أَغْرَاهُ إِلَّا بِمَا يُنْجِي مِنَ ابْتِاسٍ
حَلَفِ الْأَسَى يَتْرُكُ الشَّكْوَى إِلَى الْأَسَى
إِنْ جَاءَكُمْ إِخْوَةُ النَّسْنَسِ بِالنَّاسِ؟
غَيْبِ ابْنِ إِيَّاسَ يَدْعُو بِابْنِ إِيَّاسِ؟
مَنْ ذَا يُسَوِّي الْهُدَى بِنَفْتِ وَسَوَاسٍ
كَيْسِي إِذَا قِسْتُ ذَا حَمَقٍ بِأَكْيَاسٍ
لَمْ تَجْرِ وَفَقَ ضَمِيرِي فَوْقَ قِرَاسٍ
فِي الْحَقِّ أَحْكَمْتُ وَزَنَّا بِقِسْطَاسٍ
يَسْطُو إِذَا غِيظَ دِرْبَاسُ ابْنِ دِرْبَاسٍ²
بِيضُ الْبِرَاهِينِ فَاقَتْ ضَوْءَ نِيرَاسٍ
نَصُّ بِذَلِكَ أَوْ قَيْسُ بِمِقْيَاسٍ؟
أَجْزَاءُ نَائِفَةً عَنْ أَلْفِ كُرَّاسٍ
عِنْدِي وَعِنْدَكَ تَفْسِيرُ ابْنِ عَبَّاسٍ
فِي أَنَّ يَاسِينَ لَا يَدْعُوهُ مَنْ يَاسٍ

¹ ترغيب المشوق، زين الدين، ص 15

² درباس: الأسد.

أ. الحج على الطائفة:

أصبحت مسألة الحج على الطائفة مناسبة فقهية وأدبية معا حين وجّه الشيخ الكبير الكنتي سيدي مُحمَّد سُؤالا بهذا الخصوص في قصيدة إلى "كل أسوك"، حشر في القصيدة كل الجوانب النظرية التي تجعل جواز الحج على الطائفة مشكلا فقهيا حقيقيا، وجمع سائر أسئلته، فحلّت القصيدة المسئلة ساحة السوكيين، فتقبلوها بقبول حسن، وتنافس كبارهم في الإجابة عنها شعرا، وعندما جاءته القصائد الطوال اختار منها سبعا، اتخذت في المنطقة لقب "النيرات السبع"، ومن أبدع القصائد التي نالت إعجابه هو الآخر لغة، وفقها، وأسلوبا، ومناظرة قصيدة الشيخ العلامة الخضر، ويستهلها بقوله¹:

مَا لَذَّةُ الرَّاحِ هَزَّتْنِي فَمَا طَرِي
لَوْلَا مَزَامِيرُ مِنْ آلِ ابْنَةِ الْعَرَبِ
عَنْتَ فَقُلْتُ لَهَا هِيَ بِحَقِّكَ لَا
يَغِبُّ طَرْفُكَ عَنْ طَرْفِي وَلَا يَغِبُّ

وبعد حوار شيق مع القصيدة يدخل في الموضوع:

حَجُّ الضَّرُورَةِ فَرَضٌ بِاسْتَطَاعَتِهِ
دَعِيمَةٌ أَسَسَتْهَا الرُّسُلُ عَالِيَةً
وَالِاسْتَطَاعَةُ إِمْكَانُ الْوُصُولِ إِلَى
فِي كُلِّ حَالٍ بِوَجْهِ مَا فَمَا سَبَبُ
وَمَا أَتَى مِنْ حَدِيثِ الزَّادِ مُشْتَهَرًا
فَالْقُلُوكُ وَالْمُوبِلَاتُ وَالْخُطُوطُ لَدَى
إِلَى أَنْ قَالَ:

أَمَّا الصَّلَاةُ فَإِنْ حَانَتْ فَصَلِّ بِهَا
تَصَحُّ فِيهَا كَذَا فِي مَحْمِلٍ وَبَدَا
فَتَوَى أَيْمَتِنَا فَاَنْظُرُهُ فِي الْكُتُبِ
فَاسْتَقْبِلَنَّ هَوَاءَ فَوْقَهُ تُصِبُّ

¹ المرجع السابق، ص 44

وهذا يظهر مدى العناية الخاصة بالشعر لدى القوم، لدرجة أن يفضلوا مناقشة المسائل الفقهية عبر الشعر، وتؤكد القصيدة التالية ذلك.

ب. سؤال حول مسألة تتعلق بالبنوك:

مثّل صنيع الشيخ الكبير الكنتي، حيث أثرى الساحة العلمية، وأيقظ أعلام السوكيين، وأثار قرائحهم، فأجابوها بتلك النيرات كذلك فإن الشيخ الحاج مُحمّد أحمد أجرى حواراً فقهياً شيقاً مع علماء شنقيط في موريتانيا عبر الشعر، واشترط كذلك أن يكون الرد بالشعر، وتجاوب معه كبار العلماء هناك كالشيخ سالم ولد عدّود، وكانت أسئلته محبكة جداً، وهي إشكالات فقيه مطلع، وتفتح شهية الحديث كثيراً، وتبدأ القصيدة بهذا المقطع¹:

يا سادّي هل من لبّ مُنصفٍ	أو مُنقذٍ من صوبٍ جهلٍ مقصفٍ
هل من مُجيبٍ عن عجبٍ راقني	أو من نجيبٍ بالرّغائبِ مُتحفٍ
هل من فتىٍ بجواهر النّصّين كم	سمحت يده على غريبٍ مُعتفٍ
هل من فتىٍ درّاةٍ خرّيت أو	يسّةٍ بنصٍّ أو بقيسٍ مُسعفٍ
هل من فتىٍ تقفُ النّصوصُ ببابه	وبطّيه عللُ الجهالةِ تخفٍ
فيقول ما حكمُ البنوك زكاتها	إن تمّ حولُ هل تصرُّ لمصرفٍ
إن قلتُم بزكاتها فنصّابها	كم حدّه عددًا فبين أو وصفٍ
وبأي نصٍّ أو أصيلٍ ألحقت	قيسًا فهل كالعرضٍ أو نقدًا تقي
إن قلتُم بالعرض قلتُ ولم تكن	سككُ الملوك ولها تخفٍ
أو قلتُم بالنقد قلتُ أليس في	نقدٍ بلا سككٍ كفايةٍ مُكتفٍ
وبنوكنّا إن لم تكن مسكوكةً	طرُسٌ فهل تُغنيك وقت تصرّفٍ
والنقدُ يظهرُ خالصًا في سبكه	وبه يزيدُ به ارتعابُ الصرّفِ
أو قلتُم بالنقي قلتُ فما بها	وبها تعاملُ بائعٍ ومسلّفٍ
وبها الجزاءُ وبها الجزى وبها الحبا	وبها الغناءُ لفارغٍ وموظّفٍ

¹ الإمتاع والإبهاج، أحمد محمد الحاج، ص 274، وتوجد القصيدة مخطوطة لدي

أَوْ لَا تَقْدِرْ قَدْرَهَا نَقْدًا كَذَا
أَرْضِيَّتُهُ وَالصَّرْفُ أَضِيقُ مِنْهَلٍ
أَيَجُوزُ فِيهِ رَبًّا بِالنِّسَاءِ أَمْ لَا وَهَلْ
أَمْ هَلْ يَجُوزُ بِضَامِنٍ صَرْفٌ بِهِ
أَمْ صَرْفُهُ مَرْهُونًا أَوْ مَغْصُوبًا أَوْ
إِنْ قَلْتُمْ بِجَوَازِهِ فَحَضُورُهُ
وَهَلْ الْوَكَالَةُ سُوءَتْ فِي صَرْفِهِ

فَتَكُونُ حَكْمًا لِلنُّقُودِ كَصَيْرِي
وَبِهِ مَزَالِقُ كَمْ تَجَرُّ لِمَتْلِفِ
فِيهِ التَّفَاضُلُ كَالدِّرَاهِمِ مُنْتَفِ
أَمْ صَرْفُهُ فِي ذِمَّةٍ حَالًا يَفِ
مُسْتَوْدَعًا مَأْلَفٌ أَوْ لَمْ يُؤْلَفِ
كَالنَّقْدِ شَرْطٌ لَمْ يَكُنْ مِمَّا خَفِيَ
أَمْ لَا أَمْ التَّصَدِيقُ مِمَّا يَنْتَفِ

وهذه النصوص المذكورة تكفي لمعرفة ما دعوته ب"شعر المناظرات " لدى السوكيين، وهو

فن من القول يستأهل بحثا آخر.

14. المعارضات

المعارضة لغة: هي المحاذاة، والمحاكاة¹، والمعني اللغوي الأخير غير بعيد عن المعني الاصطلاحي، فهي إجمالاً أن يقرض شاعر قصيدة محاكياً بها أسلوب، وموضوع، وبحر، وروي قصيدة سابقة إعجاباً واستلهاماً، لا هجاء وانتقاصاً²، وبذلك تختلف عن "النقائض"، و"المساجلات"، و"المطارحات"، و"السرقات"، و (المعارضة غير معيبة، بل هي أساس التفوق)³، ولذلك يخصص لها دارس معاصر كتاباً مطولاً، مؤكداً أنه يعيد الروح إلى فن أدبي عربي أصيل، لم يتم تناوله بطريقة إبداعية سابقاً⁴، وهي مساهمة - في نظره - تضيف أبعاداً جديدة لا يتطرق لها عمل مُجدِّ قاسم التاريخي للمعارضات⁵.

إن فن المعارضات استمر من العصر الأموي إلى العصر الحديث، واشتهر أحمد شوقي بمعارضاته الجميلة، لا سيما تلك التي خص بها البحري، ويبدو أن "قصيدة كعب" تعد منبعاً إبداعياً استلهم منه الشعراء على مختلف العصور معاني متجددة، ونافس شعراء الأزمنة المختلفة كعب بن زهير خاصة في مقدمته، ومن أجملها معارضة الزمخشري⁶:

أضاء لي باللوى والقلب متبولُ تجدي برق بنار الحب موصولُ

ومعارضة البوصيري:

إلى متى أنت بالذات مشغولُ وأنت عن كل ما قدّمت مسؤلُ

إلى معارضة شمس الدين جابر الأندلسي:

بانت سعاد فَعَقْدُ الصبرِ مخلولُ والدّمعُ في صَفَحَاتِ الحُدِّ مبذولُ

¹ لسان العرب، ابن منظور، "عارض"

² تاريخ النقائض، أحمد الشايب، ص 7 وما بعدها.

³ تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، ص 477، ج 1

⁴ انظر: المعارضا الشعرية أنماط وتجارب، د عبد الله التطاوي، ص 140

⁵ عند محمد قاسم كتاب بعنوان "تاريخ المعارضات في الشعر العربي".

⁶ النماذج الواردة

ومن النماذج التي تكاد تتفوق على قصيدة كعب الخالدة، معارضة الشيخ الخضر لها،
والتي تبدأ بقوله¹:

مَهْ مَا خِطَابُكَ مَهْمَا لُئِمْتُ مَقْبُولُ	سَمِعِي أَصَمُّ وَقَلِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ
بَلْ مَا تَشَاءُ فَأَلْحِجْ مَا عَلَيَّ إِذَا	لَمْ تَسْتَمْلِنِي أَنْ تُمَلِّي الْأَبَاطِيلُ
مُرْ، أَغْصِ، هَوِّلْ، أَهْوِّنْ، زِدْ، يَزِدْ شَغْفِي	سَوِّلْ فَمَا لِي عَلَى التَّسْوِيلِ تَعْوِيلُ
مَا مَلَّ جَفْنِي تَذْرَافَ الدَّمُوعِ وَلَا	قَلِي الْوُلُوعُ، وَمِنْكَ النَّصْحُ مَمْلُوءُ
هَذَا بِجَمْرَتِهِ يَصْلَى، وَذَا أَبَدًا	يَكَادُ يُغْرِقُهُ مِنْ فِيضِهِ نَيْلُ
فَمَا ادَّعَيْتُ الْهَوَى إِلَّا وَيَشْهَدُ لِي	فِي الصَّدْرِ وَالرَّأْسِ وَاقِدٌ وَمَكْحُولُ

15. الهجاء:

تقدم الحديث نظريا عن الهجاء في الفصل السابق، ويكفي تقرير ما تم تأكيده حينها من
قلته، وندرته لدى السوكيين، ولم ترصد الدراسة في المرحلة الثانية سوى قصيدتين لم تكونا
أساسا لغرض الهجاء، بل امتداد لسجال ساخن بين شيوخين، وشاعرين فقيهين، هما محمود
مُحَمَّد الصالح، وعبد الله المحمود، وحاولا الالتزام في البداية بأداب الحوار، إلا أنه في النهاية
انحدر النقاش إلى هجاء صارخ على نحو ما يقوله عبد الله في القصيدة التالية²:

قُلْ لِإِزْبِ الْعَصْرِ مَا ذَا تَبْتَغِي	مِنْ صِدَامِ اللَّيْثِ وَاللَيْثُ حَرْبٌ ³
أَخْشَ لَيْثًا بَاسِلًا مُنْقَبِضًا	لَيْسَ شَأْنُ الْجِدِّ مِنْ شَأْنِ اللَّعِبِ
نَحْنُ لَا نَخْشَى نَعَامًا جَافِلًا	جَزَعًا مِنَّا وَلَوْ بِالذَّنْبِ

¹ من قصائد للشيخ مخطوطة مع الباحث.

² مجموعة نافع أحمد الشريعة.

³ إزب: الإزب: القصير.

نحن لا نرهبُ عُمرًا جاهلاً
كُلَّمَا عَايَنَ مِنَّا صَدَمَةً
كلما عَايَنَ مِنَّا هَجَمَةً
يملاً الأرضَ فَحَاراً فَإِذَا
هُوَ سَحْبَانُ مَدَى الْأَمْنِ فَإِنْ
يَا حَطِيئاً فِي حِمَى حُجْرَتِهِ
دَعْ مَقَاماً لَسْتَ مِنْ أَكْفَائِهِ
هَلْ تُسَامِي الشَّمْسُ فِي رَأْدِ الضُّحَى
لَسْتَ تَعْدُو قَدْرَكَ الْأَدْنَى فَتُبْ
يَا غَبِيئاً حَارَ فِي تَيْهَائِهِ

دَأْبُهُ الْفَرُّ إِذَا الشَّرُّ اقْتَرَبَ
لَاذَ مِنَّا بِفِرَارٍ وَهَرَبَ
خَانُهُ الصَّبْرُ فَأَلْقَى بِالسَّلْبِ
زَيَّنَتْهُ الْحَرْبُ أَعْيَ واضطربَ
خَافَ أَضْحَى بِاقِلًا خَوْفَ الْعَطَبِ
وَلَدَى الْمَحْفِلِ لَا يَذْرِي الْخُطْبِ
لَا تُهْجِ لِيثاً بَعِيصٍ مَوْتَشَبِ
أَوْ يَسَاوِي الدُّرَّ سُوءُ الْمُخْشَلَبِ¹
قَبْلَ أَنْ تَغْنَمَ سُوءَ الْمُنْقَلَبِ
رَاوياً يَجْهَلُ تَفْسِيرَ الْكُتُبِ

فرد عليه الآخر محمود مُجَّد الصالح بقصيدة أخرى من نفس النفس وإن كانت أخف وقعاً من الأولى، فيقول بعد أبيات من الفخر²:

وَيَحْ نَفْسِي طَالَ بِي دَهْرِي إِلَى
مَنْ إِذَا نَاطَرْتُهُ فِي مَحْضَرٍ
ودعاني عاديا أطواره
بِنَسْ مَا قُلْتُ وَمَا سَيَّرْتُهُ
لَمْ تُعَارِضْ مِنْ قَصِيدِي كَلِمَةً
تَضَعُ الْآيَاتِ مِنْ تَحْرِيفِهَا

أَنْ هَجَانِي مَنْ إِذَا هِجَ اضْطَرَبَ
حَارَ ضَبًّا فَإِذَا غَابَ التَّهَبُ
مرحبا محروب جدي .أو أزب
مِنْ هَجَائِي وَسُؤَالِي لَمْ تَجِبْ
إِنَّمَا جِئْتَ بِلَهْوٍ وَلَعِبِ
فِي سِوَى مَوْضِعِهَا يَا لِلْعَجَبِ

ولعل هذا النموذج أقوى مثال وجدته ينتمي لهذا الغرض المنبوذ في البيئة السوكية، ومثله

في القلة، والندرة "الشعر السياسي".

¹المخشَلَب: الرديء من الدر.
²مجموعة شعرية سوكية مبعثرة.

16. الشعر السياسي:

لم يقتحم الشعر ساحة السياسة بشكل صارخ إلا مع الصراعات السياسية المحتدمة في العصر الأموي، فقد تشظت الحجاز، واصطدمت مع الشام، وتفرق الناس أحزاباً، وشيعاً، وأصبح لكل حزب جنوده، وشعراؤه، كل يزود عن حماء بسيفه، أو لسانه، والأحزاب المتناحرة حينها هي "بنو أمية/ الشيعة/ الخوارج/ الزبيريون"،¹ فكان هذا الصراع الأيديولوجي السياسي محركاً أساسياً من محركات الموهبة لدى شعراء تلك الطوائف، ظل شاعر الحزب مدافعاً بكل بلاغته، ومنطقه عن رؤية، وأهداف، وأفكار حزبه.

ويندهش القارئ إذا علم أن مثل هذه البيئة السياسية التي تتسم بالتوتر المستمر، والحروب، والصراعات القبلية، والدينية، والسياسية، هي نفسها التي عاشها السوكيون طول المرحلة الثانية إلى اليوم في دولة مالي، وصراعها الأزلي مع الطوارق الذين يسعون لاستقلال إقليم "أزواد"، كما أن ذلك الصراع الطويل أنتج صراعات داخلية بين أحزاب، وتيارات بدوافع قبلية، وجهوية، وأيديولوجية، ونأت أقلام "كل أسوك" عن هذا المستنقع بشكل لافت للنظر، فلم تسجل عن كبار شعرائهم قصائد في تأييد فريق على آخر، ولا هجاء فريق غير مرغوب فيه، مالياً كان أو أزوادياً، وكأنهم ينزهون شعرهم عن التحزب، أو يرونه فناً أرقى من الدخول في منازعات سياسية! على أنه توجد بعض المقطوعات النادرة جداً وهي تعبر عن موقف ما تجاه الحكومة، مثل هذه المقطوعة للشيخ إغلس اليماني عندما ارتفع استبداد الرئيس الشيوعي السابق موديبو كيتا²:

¹ انظر العصر الإسلامي، شوقي ضيف، ص 290 وما بعدها.
² المدارس الأدبية في صحراء الطوارق، محمد الخرجي، 229

مَا لِلْمَرِيءِ يُسْبِغُ الْمَاءَ بَلْ مَا لِي؟ أَرْجُو الْقَرَارَ فِي غُنْقِي غُرَى (مالي)¹
 أَمْ كَيْفَ يَنْجَحُ سَاعٍ فِي وَطَائِفِهِ وَأَرْشُ قَطْعِكَ غُصْنًا أَلْفُ مِثْقَالٍ²
 وَكَيْفَ وَالْحَالُ هَذِي مَا اسْتَتَبَ لَهُمْ مُلْكُ تَبَاشَرُهُ تَخَوُّفُ الْمَالِ³
 الظُّنُّ فِيهِمْ إِذَا مَا الْأُمْنُ وَطَدَهُ أَهْلُ السَّطَارَةِ تَشْتِيَّتِي وَإِذْ لَالِي
 إِبَّانَ قِيلَ يُؤَلَّوْنَ الْأُمُورَ سَرَى مِثْلُ الْحَرِيقِ عَلَى جِسْمِي وَ بَلْبَالِي
 يَا عَطْفَةً عَوَّدَتْنَا رَاحَةً زَمَنًا عُودِي عَلَيْنَا لِكَيْ تَبْتَلَّ آمَالِي
 وَبَاعِدِي بَيْنَ أَحْرَارٍ مُرَوَّنَةٍ بِيضِ الْوُجُوهِ بَيْتَسْجَادٍ وَتَهْلَالِ
 وَبَيْنَ جِيلٍ يَرُونَ السَّوَاءَ مَنْقَبَةً فَهَلْ تَظُنُّ بِهِمْ مَرْقُوبٌ آلَالٍ⁴

وحتى هذه المقطوعة ليست تعبيراً سياسياً واضحاً عن تأييد حزب معين، فهي توجُّع، وتألم من الوضع المأساوي الذي عاشه الشعب كله في تلك الفترة، ويكفي هذا دلالة عن عدم انخراط السوكيين في العملية السياسية بالمنطقة.

تلك هي الأغراض المستقلة، التي تقرض فيها ومن أجلها قصيدة، وبجانها أغراض أخرى . وإن لم تكن مركزية ومستقلة . لها أهميتها القصوى، إذ تكاد تكون لازماً لكثير من القصائد، وهي التي نختم بها هذا الفصل.

¹(المريء): مجرى الطعام والشراب من الحلق (مالي) في الشطر الأول: مركبة من "ما" الاستفهامية، وجار ومجرور، وفي الشطر الثاني: جمهورية مالي وطن الشاعر

²(الأرش): دية الجراحة، وأطلق هنا - مجازاً - على الرسوم التي كان رجال الغابة يأخذونها ممن قطع شجرة، أو غصناً منها.

³(تخوف المال): تنقصه، والأخذ من أطرافه.

⁴(آلال): جمع إل، وهو العهد.

ج. نماذج للمواضيع التي ترد في مقاطع داخل القصيدة

إن كنا وقفنا سريعا على تلك الأغراض الشعرية التي تكتب فيها قصيدة مستقلة فإن هناك أغراضا - وإن بدت ثانوية ترد خلال قصيدة ما - تكتسي أهمية خاصة، وتعتبر تزيينا وتكميلا لكثير من القصائد السوكية، وهي:

1. الطلليات

2. الغزل

3. الوصف

وفيما يلي نماذج مختارة لكل واحد:

1. الطلليات:

الوقوف على الأطلال سنة مؤكدة لدى شعراء السوك، ولعل الباعث الذي أملى على الشاعر الجاهلي ترانيم يجب أن تتلى على الرسم الدارس هي نفسها التي عاشها الشاعر السوكي بصحرائه المطابقة لصحراء عنزة، بكل ما يكتنفها من حرمان، وتيه، وقحط، وجلاء، فلا يكون السوكي كأبي نواس الذي يرى وصف الطلل عادة متجاوزة:

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم

إن الجلاء، والترحال، والأطلال بالنسبة للطوارق حالة واقعية مستمرة، فالطللية ليست مجرد تقليد شعري، يجب الوفاء به فقط، على أن كون الوقوف على الدار تقليدا شعريا ضروريا يكفي لتشريحه، فابن قتيبة يضع خطة مصممة لطريقة القصيدة العربية، - ولا شك أن السوكيين اطلعوا على تلك الخطة شبه المنهجية ! - تحت باب محبك بعنوان "باب المبدأ

والخروج والنهاية"، يضرب مثلاً منتقى عنده بصنيع امرئ القيس، ويعلق على مطلعته الشهير: "قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل" بقوله: "وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه شاعر، لأنه وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب، والمنزل في بيت واحد"¹

وما يذكر في القصيدة العربية قبل الموضوع الرئيسي كالممدح يلخصه ابن رشيق بقوله: "ومقاصد الناس مختلفة، فطريقة أهل البادية ذكر الرحيل، والانتقال، وتوقع البين، والإشفاق منه، وصفة الطلول، والحمول، والتشوق بحنين الإبل، ولمع البروق، ومر النسيم، وذكر الطلول التي يحلون بها من خزامى، وأقحوان، وبهار، وظبيان، وعرار، وما أشبهها من زهر البرية التي تعرفه العرب، وتنبته الصحاري، والجبال، وما يلوح لهم من النيران..."²

وهذه طريقة "ثابتة" عند أهل البادية إذن، أما أهل الحضر فيأتي أكثر تغزلهم في ذكر الصدود، والمهجران، والواشين، والندامي، والنسرين، وما شاكل ذلك...³

إنها سنة مؤكدة شعراً، ويزيدها تأكيداً أن يكون الشاعر المحدث نفسه بدوياً كحال السوكيين، فتحظى اللحظة الطللية بمكانة شعرية ونفسية لا تضاهي، وتكشف الحالة البائسة والباكية، والمهاجرة للصحراوي: (لعل اللحظة الطللية هي واحدة من الشذرات المضئية التي يمكن أن نصل عبرها إلى إحباطات مكبوتات المجتمع الجاهلي، وإلى تطلعاته، وأشكال انسلابه معا... وإن الشاعر الجاهلي يبدع عبر الطللية ماضيه وواقعه شعراً، ويتحفز لمستقبله... فالرسم الدارس لحظة ممتازة ينكشف فيها الجذب والتدمير معا)⁴، وقد أحسن الباحث يوسف اليوسف في التحليل حين قال: (إن القصيدة الجاهلية برمتها تنطوي على العنصر الطللي بحيث يسعنا القول بأن "الضمير التعيس" وهو المضمون الأساسي للوقوف على

¹ العمدة، بن رشيق، ص 131.

² المصدر السابق، ص 135

³³³ انظر المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

⁴ الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً، عفيف عبد الرحمن، ص 247

الأطلال يباطن القصيدة الجاهلية على كافة امتداداتها، وأصدائها ويسكن معظم جزئياتها وعناصرها¹.

وبذا يتأكد أن الشاعر السوكي . حين يقف على الرسم، ويبيكي، ويصف الرحلة المضنية . ليس مقلدا تقليدا خاويا من الدلالة، على أن المفارقة اللافتة للنظر كونه يقف على نفس الأماكن التي يقف عليها طرفه، والنابعة، في بلاد الحجاز ! وقد سبق تفسير ذلك حين تحدثنا عن خاصية الحيز الجاهلي، واتضح الدلالة الثقافية والسياسية لذلك التغيي بالماضي التاريخي، والجغرافي لدى القوم.

تتحدد المقاطع الطللية عند السوكين كما في الشعر الجاهلي عبر المكونات التالية:

1. ارتباط الوقوف على الأطلال بتذكر المعشوقة التي كانت في تلك الأماكن كما قال الأول²:

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حبٌ من سَكَنَ الديارا

إلا أن المنازل تكتسب قيمة الساكن نفسها، كما يقول أبو الطيب³:

لك يا منازل في القلوب منازلُ أَقْفَرْتَ انتِ وهنَّ منكِ أواهلُ

ولذلك يقول محمود مُجَدِّ الصالح السوكي في مطلع قصيدته الطويلة⁴:

ظَنِّي عَلَى الْبُعْدِ بِالذِّكْرِ أَشَاهِدُهُ	قَفْ بِي عَلَى رَنْعِهِ هَذِي مَعَاهِدُهُ
فَانْثُرْ عَلَيْهِ نِظَامَ الدَّمْعِ إِنْ حَيَّيْتُ	لِلرَّيْعِ بِالدَّمْعِ مِنْ صَبِّ قَوَاعِدُهُ
وَحْيِهِ سَائِلًا عَنْ حَيِّهِ فَمَتَّى	نَاجَاكَ نَجَاكَ مِنْ لَيْلٍ تُكَابِدُهُ ⁵

¹ مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، ص 20

² خزائن الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، ص 227، ج 4

³ الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، ص 314

⁴ مجموعة شعرية مبعثرة بحوزة الباحث.

⁵ حَيِّهِ الأولى: أمر بالقاء التحية، والثانية: الحي الذي يعني التجمع السكني للجماعة.

وَاسْأَلْهُ عَنْ أَحْوَرِ الْعَيْنَيْنِ كَيْفَ ثَنَى
أَمْ كَيْفَ ضَنَّ بِلَمَّاتِ الْخَيَالِ عَلَى
لَيْتًا وَتَأْمُورِي فِيهَا مَقَاعِدُهُ¹
مَنْ جَادَ بِالرُّوحِ لَمَّا عَادَ عَائِدُهُ

فتجيبها قصيدة الخضر حمّادو على نفس المنوال²:

سَلِّمْ عَلَى مَرْبِعٍ أَقَعْتَ قَوَاعِدُهُ
وَاسْقِ الْمَظَامِيَّ مِنْهُ كُلَّ مُلْتَطِمٍ
فَالدَّمْعُ أَجْدَرُ مَا حَيَّا الْجِدَارَ وَمَا
وَاسْأَلْهُ كَيْفَ أَطَاعَ الدَّهْرَ فِي نَفَرٍ
وَاحْتَارَ ظَنِيًّا أَغْنَى لَا قِلَادَ لَهُ
وَعُيِّتَ عَنْ هُنُودِهِ مَهَادِدُهُ
مِنْ الدُّمُوعِ يُعْلَى مِنْهُ وَارِدُهُ
أَحْيَى قَتِيلًا يَدُ التَّوْدِيْعِ وَائِدُهُ
كَالْفُورِ لَوْلَاهُ لَمْ تُعْهَدْ مَعَاهِدُهُ³
عَلَى أَغْنَى تَضَاعَفَتْ قَلَائِدُهُ

2. التركيز دوما على أفعال الرياح التي عفت الرسم، وأحوال المطر، ومرة يشير الشاعر

بجوده، وأحيانا ببخله، مع الإشارة إلى ساكنيه الجدد من الآرام، ونحوها على غرار

هذه المقدمة الطللية للشاعر هارون:

أَلَمَّا عَلَى رُبْعٍ تَعَاوَرَهُ الْوَبْلُ
وَجَرَّتْ عَلَيْهِ الرَّامِسَاتُ ذِيوَهَا
تَوَهَّمْتُ آيَهُ، فَلَأْيَا عَرَفْتُهُ
أَلْبَتَّ بِهِ الْآرَامُ يَمْشِينَ أُمْنًا
يُهَيِّجُ مَيَّ الْوَجْدُ لَمَّا اسْتَنْبَنَتْهُ
وَجَادَ عَلَيْهِ كُلُّ غَادٍ لَهُ هَطْلُ⁴
وَتَسْفِي عَلَيْهِ التُّرْبُ آوَنَةً سَمَلُ⁵
لِسَبْعِ سَنِينَ فَاسْتَبَانَ لِي الْقَلُ⁶
وَمَا إِنَّ خَشِينَ أَنْ يُصَادَ لَهَا طِفْلُ⁷
لِذِكْرِ حَبِيبَةٍ أَرَبَّتْ بِهِ قَبْلُ⁸

¹ اللبت: العنق، التامورة: النفس، أو سويداء القلب.

² القصيدة في نفس المجموعة السابقة الذكر.

³ الفور: الظباء.

⁴ غاد: مطر يأتي في الغدو.

⁵ الرامسات: تثير التراب كعاصفة، تسفي التراب عليه: تهيل عليه التراب، سمل: ريح الشمال.

⁶ آيه: معالمه

⁷ الآرام: الظباء.

⁸ أرَبَّ بالمكان: أقام به طويلا

ومن الوقفات الجميلة قول الشاعر مُجدو يوسف¹:

فها تيك هيفٌ قد أوثهن حجةً	مرابعٌ ليسَ اليومَ فيهنَ رابعٌ
مرابعٌ ظلتُ اليومَ فيهنَ سائلاً	وكيفَ بُحِبُّ السائلينَ المَرابعُ
بلاقعٌ إلا أنهنَ ملاعبٌ	ملاعبٌ إلا أنهنَ بلاقعٌ ²
فأطالها مطولةٌ وجدارها	جديرٌ بأن تُدمى عليه المدامعُ
تبسمُ عن ثغرِ الندى كلُّ نرةٍ	بهنَ وتبكي ما ارتحزنَ المصاقعُ ³
كأنَ هزيرَ الريحِ بينَ حصونها	أهازيجُ جنٍ أزعجتها الجعاجعُ ⁴
سلبنَ بها أيدي الليالي ليالياً	وبدلنَ منها الفورَ وهي أفاطعُ ⁵
تجولُ بها الآجالُ وهي جوازيُّ	وتسجعُ فيهنَ الحمامُ السواجعُ
تناوحنَ حبرةٌ ولم تذرَ عبرةً	ونُحْتُ هوىَ والدمعُ هامٍ وهامعُ
نشدتُ بها قلباً أسياً أضعنه	بقيعانها البيضُ الحسانُ الخراوعُ ⁶

3. لا ينسى الشاعر السوكي أن يذكر ما كان في الربع سابقاً من أندية، وغواني، وإجراء

حوار مباشر مع الربع بعد ذلك كما فعل الشاعر/ إنباكوا⁷:

أمنَ تذكُرِ رنَّعٍ عَدَمِلٍ عافٍ	عَيْنَاكَ تَنَهَمِلَانِ أَيَّ تَذَرافٍ ⁸
رنَّعٍ بِهِ لِلْعَوَانِي قَبْلُ أُنْدِيَّةٍ	فَصَارَ لِلْوَحْشِ بَعْدُ قَاعَ تَطَوافٍ
أَحَلَّتْ عَلَيْهِ ثَلَاثُ مُنْذُ أَزْمَنَةٍ	قَطْرٌ وَمُورٌ وَمُرٌّ الْعَاصِفِ السَّافِي ⁹

¹ ديوان الشاعر: المدد الرباني، وفي بحثي للماستر: الشاعر النسقي، ص 176

² البلاقع: جمع بلقع: القفر.

³ نثر: غزر، وكثر، يقال: بثر ثارة، وثره.

⁴ الجعاجع: جمع الجمل: اشتد هديره.

⁵ الليالي الأولى: جمع ليلي اسم امرأة، والثانية جمع ليل.

⁶ الخروج، والخروعة: المرأة الفاجرة، والناعمة.

⁷ القصيدة أرسلها لي أحد أقارب الشيخ، مع اختلاف في النسبة إلى صاحبها أو إلى ابن عمها.

⁸ - عدمل: قديم.

⁹ - المور: التراب.

قَدْ جِئْتُهُ سَائِلًا عَمَّنْ بِهِ انْتَقَلُوا
بَلَى، أَجَابَ بَأْنْ لَيْلَاكَ قَدْ سَكَنْتْ
فَلَمْ يُجِبْنِي كَحَالِ الذَّاهِلِ الْغَائِي¹
أَرْضًا بَعِيدَةً أَرْكَانٍ وَأَطْرَافٍ
وَمِنْ غِيَاضٍ وَأَجْبَالٍ وَأَحْقَافٍ

4. يتم التعلق بعد ذلك بالناقصة التي يمكنها وحدها أن تقطع تلك المسافة الطويلة بين

الشاعر وطلعت الأحاب، فيصفها الشاعر وصف العارف الخبير بالنوق:

فَقُلْتُ: هَلْ يَكْشِفَنِي مَا مُنِيتُ بِهِ
عُودٍ ذَلِيلٍ ضَلِيلِ الْجَنْبِ مُكْتَنِرٍ
أَوْ وَحْدٍ يَعْمَلُهُ قَدْ عُرِيَتْ حَقْبًا
حَتَّى تَوْسَفَ جِسْمُهَا وَلَبَّدَ عَنْ
رُدَّتْ، كَأَنَّ سَنَامَهَا لِرِفْعَتِهَا
فَتِلْكَ تُبْلَغُنِي لَيْلَى وَإِنْ بَعُدَتْ
إِلَّا زُكُوبُ نَجِيبِ الْأَصْلِ سِرْنَاكِ
جَابِ الْفَرَانِيسِ يَفْرِي كُلَّ نَفْنَاكِ²
تَقْرُو مُرُوجَ مَرَابِيعِ وَأَصْيَافِ
هَلَبٍ لَهَا عَبَسَ يُفْضِي لِأَخْلَافِ³
مِنْ فَوْقِ جُثَّتِهَا أَشْمُ أَطْنَاكِ
إِذْ قُرْبُهَا لِسَقَامٍ مُهْجَتِي شَافِ

5. غالبا ما ينتهي رسم المشهد الطلي بالتغزل، وتحسيد الصورة الفاتنة للمعشوقة، كما

في قصيدة ظلعا⁴:

دَارٌ حَبَسْتُ بِهَا الْمَطِيَّةَ سَائِلًا
فَاسْتَعْجَمْتُ عَتَبَاتُهَا وَتَصَامَمْتُ
فَأَعَدْتُ مَسَائِلِي لَهَا مُتَدَكِّرًا
أَيَّامَ نَلْعَبُ وَالرَّقِيبُ مُعَقَّلٌ
وَاهًا لَهَا مِنْ طَفْلَةٍ فَتَانَةٍ
عَنْ رَكْبِ عَزَّةٍ أَيْةً تَنْوِيهَا
مَا إِنْ سَمِعْتُ بِكَلِمَةٍ تُبْدِيهَا
عَهْدِي بِعَزَّةٍ إِذْ تَمَائِلُ فِيهَا
وَرَمَانًا فِي حَالَةٍ نَشْهِيهَا
لِدَوِي الْحِجَا وَالْعِقَّةِ الرَّائِيهَا⁵

¹ - الغاف: الغافل.

² - العود: الجمل الذي تجاوز مرحلة طول الناب واصفراره، وجأب: صلب شديد.

³ - توسف: تقشر، هلب: شعر ضاف، من هلب الشخص: كثر شعره، العبس: ما تعلق بأذناب الإبل، من أبوالها، وأبعارها، وجفت عليها.

⁴ - ترغيب المشوق، زين الدين، ص 447

⁵ - الرائيها: أي الذين يرونها، الأصل: الرائيها فحذفت النون للإضافة.

عَيْطَاءَ لَمِيَاءَ الْمُقَبِّلِ رُودَةَ ¹	مَلَكَتْ قُلُوبَ بَنِي الْهَوَى أَيْدِيهَا ¹
رَقْرَاقَةً غَرَّتِي الْوِشَاحِينَ بَضَّةَ ²	بَلَّ فِضَّةً قَيْدٍ لِمَنْ يُعْشِيهَا ²
وَالْتَعُرُ لَوْ بَرَزْتَ لِقَانٍ عَابِدِ	لَحَجَا التَّنْسُكَ لَثَمَ بَسْمَةٍ فِيهَا
عَجَبًا هَا إِذْ تَسْتَبِيكَ بِمُقَلَّةِ	دَعَجَاءَ زَيْنَهَا هَا قَانِيهَا ³
وَجَدَّهَا النَّضِرَ الْأَسِيلَ وَجَبْهَةً	مَا الْبَرْقُ فِي لَمَعَانِهِ يَحْكِيهَا
لِلَّهِ حَاجِبُهَا وَمَنْظَرُهَا الَّذِي	تَرْمِي بِهِ فَيُصِيبُ مَنْ يَبْغِيهَا

¹ عيطاء: طولة القد، لمياء: سواد الشفتين، المقبل: مكان التقبيل، الرودة: الناعمة.

² الرقراقة: المرأة التي كأن الماء يجري على وجهها من شدة نعومتها، غرثى الوشاح: مملتنة، بضة: ناعمة.

³ دعجاء: شديدة سواد العين.

2. الغزل والنسيب:

يفرق النقاد القدامى بين الغزل والنسيب فالنسيب: ذكر خلق النساء، وأخلاقهن، وتصرف أحوال الهوى به معهم، والغزل هو "التصابي والاستهتار بمودة النساء"¹، ويتزعم الغزل زعيم الشعراء امرؤ القيس²، وبعد العصر الجاهلي انطفأت جذوة الغزل حتى استعيد في العصر الأموي، وتطور بدرجة كبيرة، حتى ظهر على الساحة نوعان من الغزل "الصريح والعذري"³، حيث اشتد الاستهتار لدى البعض، ورأينا شعراء لا يكادون يقولون الشعر إلا في الغزل أمثال عمر بن أبي ربيعة، وكثير عزة، وجميل بثينة، أما الجاهليون باستثناء امرئ القيس فكما يقول عنهم الرافعي: (إذا وصفوا محاسن النساء لم يزيدوا على الأوصاف الطبيعية التي تقع عليها الأعين)⁴ والسوكيون اتبعوا ذلك الغزل العذري المحتشم من باب التقليد الشعري المحض، إذ لم يتغزلوا بمعروف قط، ولم يكتب أحدهم قصيدة مستقلة للغزل، ولم يهتك أحدهم ستار المروءة، والحياء، ولم يذهب بهم تقليد القادمي إلى الخدور، فاقترضوا على تصوير الجمال الظاهري للمرأة، دون الدخول في تفاصيل تتعلق بأية تطبيقات للعشق! كالنص الوارد أعلاه، وبهذا المعنى يوصف أغلب شعرهم بالنسيب، وألاحظ ما يشبه الترابط في الشعر السوكي بين القصيدة الإخوانية والمقدمات الطللية، والغزلية، وتجدد الإشارة إلى أنهم تارة يستغنون أصلاً عن الطلليات في المقدمة بالنسيب والغزل فقط، فالأجواء الإخوانية تتناغم معها مقدمات في العشق والهيام! ويبدو أن الشاعر عبد القادر متالٍ يتخذ هذه الطريقة دوماً في قصائده، فبدلاً من الوقوف على الأطلال نجد في مقدماته كلا من النسيب والغزل ولو على استحياء⁵:

¹ انظر نقد الشعر لقدامة، ص 42

² انظر العمدة في محاسن الشعر، ابن رشيق، ص 118

³ العصر الإسلامي، شوقي ضيف، ص 359

⁴ تاريخ آداب العرب، الرافعي، ص 88، ج 3

⁵ الشيخ عبد القادر وشعره دراسة وصفية تحليلية، أحمد محمد، ص 66، وتوجد القصيدة مخطوطة بحوزة الباحث.

ظَبِّي أَقَامَ الْحُسْنَ فِي أُمَاتِهِ
فَانْشَقَّتِ الْأَصْدَافُ¹ أَصْدَافُ الْبَهَا
مَا إِنْ تَرَى حَمْرًا كَحَمْرِ رِضَابِهِ
سَيَّانٍ دُرِّي الْعُقُودِ وَثَعْرُهُ
كَالْعُصْنِ قَدًّا²، كَالْغَزَالِ تَلْقُتَا
وَيُرِيكَ مُحَمَّرَ الشَّقِيقِ إِذَا بَدَا
السَّحَرُ مِنْ كَلِمَاتِهِ، وَالْعُودُ مِنْ
وَالْقُوسُ مِنْ نُونَاتِهِ، وَاللَّيْلُ مِنْ

مَا جَارَهَا إِلَّا إِلَى عَمَاتِهِ
عَنْهُ فَضَاعَ الدُّرُّ بَعْدَ نَشَاتِهِ
كَلَّا، وَلَا تَمْرًا كَتَمَرٍ لِنَاتِهِ
فِي النَّظْمِ، لَا فِي كُلِّ مَا هَيَّاتِهِ
كَالْبَرْقِ فِي الظُّلُمَاءِ فِي بَسَمَاتِهِ
قَبَسٌ³ تَوَقَّدَ مِنْ عَلَى وَجَنَاتِهِ
نَعَمَاتِهِ، وَالْمِسْكُ مِنْ نَفَحَاتِهِ
حَدَقَاتِهِ، وَالْحُورُ مِنْ أَحْوَاتِهِ

بعد هذا النسب الجميل الفاتن، يدخل في تصوير الوجد، والهوى، والصبابة، وما
تعمله اللحاظ في قلوب العشاق، وكيف يسطو الغرام على الأرواح، فيردى العاشق صريعا:

وَدَعَا الْهَوَى قَلْبِي إِلَيْهِ فَمَا انْدَعَى
يُضْمِيكَ قَبْلَ الرَّمْيِ، إِلَّا أَنَّهُ
فَاعْجَبَ لَهُ يُدْمِي الْقُلُوبَ وَلَمْ يَكُنْ
يَسْطُو عَلَى رُوحِي عَلَى كَلْفِي بِهِ
فَصَرِيْعٌ كَاسَاتِ الْغَرَامِ حَيَاتُهُ
وَبِصْحَتِي مَرْضَى جُفُونٍ أَمْرَضَتْ
لَا بَدَعَ فِي جَفْنٍ مَرَّتُهُ⁴ يَدُ النَّوَى

فِي الْحَالِ وَالْآتِي لِعَيْرِ دُعَاتِهِ
بِلِحَاطِهِ يُضْمِيكَ لَا بِفَنَاتِهِ
إِذْمَاؤُهُ الْأَجْسَادَ مِنْ آفَاتِهِ
رُوحِي الْفِدَاءَ لِرُوحِهِ وَلِدَاتِهِ
كَمَمَاتِهِ، وَمَمَاتُهُ كَحَيَاتِهِ
كَبِدِي، فَسَحَّتْ مُقْلَتِي بِفُتَاتِهِ
فَسَقَى رُسُومَ الدَّارِ مِنْ مَا هَاتِهِ

¹ - الأصداف جمع صدف وهو غشاء الدر

² - القد هو القامة

³ القبس هو النار أو شعلة منها

⁴ مرته: يقال مرى الضرع مسحه ليدر

وقريب منه في هذا المذهب شاعرنا مُجدو، وقد كان من كبار شعراء الغزل والنسيب، وتظهر عليه ملامح إتقان هذا الفن لما يجود به من صور خلابة، ومشاهد مبدعة في الصبابة والوجد، والقطع، بل حتى "الرضاب" باعتباره دواء فعلا لتلك الأمراض الفتاكة¹:

رَامَ جَهْلًا يُطْفِي بَصَبِ الصَّبَابَةِ	زَنَدَ وَجِدٍ تَرْكِيهِ كَفُ الصَّبَابَةِ ²
فَاسْتَطَارَ وَاهْتَاَجَ مَا قَدْ تَوَارَى	فِي حَشَاةٍ حَاشَاةٍ يُطْفِي التَّهَابَةَ
أَوْرَثَتْهُ سَقِيمَةُ الطَّرْفِ سُقْمًا	أَوْدَعَتْهُ إِذْ وَدَعَتْهُ الْكَآبَةَ
ذَاتُ دَلٍ تُرِيكَ صُبْحَ جَبِينِ	مُتَلَالٍ مِنْ تَحْتِ لَيْلِ الدُّوَابَةِ
سَارَرَتْهُ عَنْ غَفْلَةٍ مِنْ رَقِيبِ	أُمُّ سَطْحِي تَهْذِي بِهِ وَانْحُ بَابَةِ
فَتَخَطَى لَمَّا اخْتَفَى خَوْطَ بَانٍ	مُسْتَضِيعًا مِسْكَ تَرْدَى شَبَابَةَ
فَتَشَّتْ لَمَّا تَنَمْتُ وَقَالَتْ	وَلَّ عَنِي فَلَاتَ حِينَ دُعَابَةِ
تِلْكَ نُعْمَى وَلَّتْ فَأَلَوْتُ بِرَخْصِ	أَوْجَبَ الْبَثِّ أَنْ لَحْتُ خِضَابَةَ
تَتَهَادَى كَالْبَدْرِ مِنْ بَيْنِ بِيضِ	كَالدَّرَارِيِّ تَحْكِي انْسِيَاقَ السَّحَابَةِ ³
يَتَسَامَى مِنْ خَلْفِهَا دَعَصُ رَمْلِ	تَتَشَكَّى عِنْدَ النُّهُوضِ انْجِدَابَةَ
عَلِمْتُ مِنْ لِحَاطِهَا السَّحَرِ هَارُو	تُ وَمَارَوْتُ وَالسَّهَامِ الْإِصَابَةَ
صَارَمَتْنِي فَصَارَ مَتْنِي اشْتِيَاقًا	لَا صَقَا بِالْثَرَى لَقَى فِي الْمَثَابَةِ
عَلَّ مَا بِي يَزُولُ لَوْ نَاوَلْتَنِي	صَفْوَ فِيهَا أَوْ نَوَلَّتْنِي رِضَابَةَ

ومن شدة اعتبار القوم للغزل والنسيب عادة شعرية بدلا من كراهتها تكاد تكون فرضا يجب على الشاعر أدائه خاصة في القصيدة الإخوانية . من شدة هذه القناعة نقابل كلا من الغزل والنسيب مع أحد كبار علماء المنطقة الشيخ الخضر حمادو، وكذا سائر زملائه

¹ ديوان الشاعر: المدد الرباني، ص 10، وفي بحثي للماستر: الشاعر النسقي، ص 120

² الصبابة: بالفتح: رقة الشوق، وحرارته، وبالضم: البقية من الماء في الإناء.

³ الداراري: جمع دري: كوكب معروف .

ونراه يفتتح إحدى إخوانياته إلى محمود مُجد الصالح بمقطع عزلي رائع، يصف الجمال المثير لأم مالك، ويصور مدى اللوعة، والأشواق¹:

وَلَمْ تُقَوِّ دُورَانُ الْحِسَانِ الْقَوَالِكِ ²	أَشَوْفًا وَلِمَا تَظْعَنُ أُمُّ مَالِكِ
لِمَلْعَبٍ دَعْدَاتِي وَمَمْشَى عَوَاتِكِ	رُؤْيَدَ الْهَوَى مَا لَمْ يَجِدْنِي مُزَايِلًا
مِنَ الْغَيْدِ خُذِلَ الشُّوقِ عُذْبُ الْمَضَاحِكِ ³	فَمَا تَيَّمُ التَّيْهَانَ مِثْلُ قُطَيْعِ
جِمَالٍ عَلَى شَتَّى جِمَالٍ رَوَاتِكِ ⁴	وَمَا شَاقَ مِثْلِي مِثْلُ لَمَحِ ظُعَائِنِ
بِإِرْهَاقِ رُوحِي يَوْمَ شَدَّ الشَّكَايِكِ ⁵	وَلَمْ أَرِ شَمْسًا مِثْلَ شَمْسٍ تَكْفَلْتُ
مُحِبِّ، وَمُلْجِمٍ عَجُولٍ، وَحَانِكِ	تَرَاءَتْ لَنَا وَالْحَيُّ مَا بَيْنَ سَائِقِ
وَأَسْوَدَ حَالِكِ، وَأَحْمَرَ عَاتِكِ	وَأَبَدَتْ لَنَا مَا بَيْنَ أَبْيَضَ نَاصِعِ
وَتَعْرَ مُفْلَجٍ، صَقِيلِ الضَّوَاكِ ⁶	فَفَرَعُ حُلُكْلِكُ، وَكَفُّ مُيْرَنًا
مَرَائِرٍ فِي تَمَرٍ يَلْدُ لِعَالِكِ	وَدَسَّتْ لَنَا وَقْتُ الْوَدَاعِ حَنَاظِلًا
إِذَا غَاضَ مَاءُ الدَّامِعَاتِ السَّوَاكِ ⁷	فَمَا إِنْ تَرَى إِلَّا دَمًا نُهْرِيْهُ
	إلى أن قال لها:
بَرَاءً، فَهَاتِي الْأُرْشَ مِنْ رَأْسِ مَالِكِ ⁷	فَيَا أُمَّ مَالٍ إِنْ قَتَلْتُ لِمُسْلِمًا

بل يدخل بعضهم في حوار مباشر مع المعشوقة الافتراضية تلك كهذا الحوار الذي أجراه الشيخ الحاج مُجد أحمد⁸:

بَنَانًا خَضِيْبًا مِنْ دَمِ الْقَلْبِ وَالنَّحْرِ ¹	تَبَدَّتْ لَنَا يَوْمَ الْوَدَاعِ فَأَبْرَزَتْ
لَدَيْكَ، فَقَالَتْ لِي: أَدَاوِيهِ بِأَهْجَرِ	فَقُلْتُ لَهَا: أَنَا الْعَشُوقُ دَوَاؤُهُ

¹ من قصائد للشيخ مخطوطة لدى الباحث.

² الفوالك: جمع فالك وهي الجارية التي استدار ثديها.

³ خذل: خذلة وهي المرأة الغليظة الساق، المستديرة.

⁴ رواتك: يعني متقاربة الخطى.

⁵ الشكائك من الهواج: ما شك من عيوانها التي يقتب بها بعضها في بعض.

⁶ الفرع: الشعر، وحلكك: شديد السواد، وميرناً: مزين بالحناء، ومفلج: متباعد الأسنان.

⁷ الأرش: الدية.

⁸ الإمتاع والإبهاج، أحمد مجد الحاج، ص 247

فَقُلْتُ لَهَا: إِذَا فَدِيَهُ، فَمَوْتُهُ
فَقَالَتْ: وَهَلْ أَرْضَى مِنَ الْعَشْقِ رِبِيَّةً
فَقُلْتُ لَهَا: مَتَى اللَّقَاءُ؟ فَأَعْرَضَتْ
شَهِيدَ هَوًى أَشْهَى إِلَيْهِ مِنَ الْخَمْرِ²
وَمَا الْعَدْرُ فِي دِينِ الصَّبَابَةِ مِنْ دَهْرِي
دَلَالًا، وَقَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ إِلَى الْحَشْرِ³

على أنه يبقى غزلهم دوماً عفيفاً، محترماً، لا ينتهك الحرمات، بل تظهر الرقابة الدينية جداً في ألفاظه، وتفصيله، ودلالاته، لكن يبقى في الأخير سنة شعرية، تضمن تقاليد العرب شرعيتها الأخلاقية.

3. الوصف:

هذا هو الميدان الأصلي للشعر، وهو المتعلق بالتصوير، والرسم، وهنا يلتقي الشاعر مع سائر الفنانين من الرسامين، والمهندسين، حيث يصبغ الشاعر على الأشياء ألواناً من ذوقه، ويرسم بعبارته، ويعيد خلق المشهد بريشته الخاصة، وقد كان الوصف لب الشعر فسائر الأغراض الشعرية في النهاية وصفٌ لا غير⁴، لكن اصطلاحياً انحصر فيما يتعلق بالطبيعة⁵! وحتى في هذا نوع من التجاوز فكل الأشياء الأخرى طبيعية!، ومع ذلك اتفق النقاد تقريباً على أن يسموا به ما يصور الجمادات، والحيوانات، كوصف المطر، والروضة، ووصف الفرس والناقة، ويسمى د شوقي ضيف شعراء هذا الفن "شعراء الطبيعة"، ويقول: (لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن الطبيعة دائماً كانت ملهماً بالغ التأثير في نفسية الشاعر.... فلم يتركوا كبيرة ولا صغيرة، في صمتها، ولا في حركتها دون أن يرسموها في أشعارهم، فهم يصورون فلواتها بكتبانها، ورمالها، وغدرانها، وغيثها، وسيولها، وخصبها، وجدبها، ونباتاتها، وأشجارها، وحيوانها، وطيرها، وزواحفها، وما قد ينزل ببعض مرتفعاتها، وأطرافها من البرد وقوارصه...)⁶

¹(البنان): أطراف الأصابع.

²(فديته): فادفعني ديتته.

³(الدلال): الغنج، وتدلل المرأة على الرجل، كأنما تريه خلافاً، وما بها خلاف.

⁴ انظر: العمدة في محاسن الشعر وأدابه، ابن رشيق، ص 294، ج 2

⁵ انظر: تاريخ أداب العرب، الرافعي ص 91، ج 3

⁶ تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي، شوقي ضيف، ص 386

والسوكيون اتبعوا أسلافهم هؤلاء في التقاط بعض الصور اللافتة، ولم يخرجوا في وصفهم غالباً عن المشاهد الصحراوية كوصف الناقة، والفرس، والديار، وبنفس المواصفات التي نلقاها لدى الجاهلي كوصف الناقة الآتي على لسان الشاعر هارون محمد¹:

فهل تسليّن الهمّ عنك زلّخ	عفاهم قوداء ما عاسها فحل ²
لها سنة قد عريت بمفازة	وأجى لها السعدان والبان والرئل ³
وزهر فلما أن تظاهر نيتها	ولملم نخضها وفارقها الأزل
علاها ككير القينكتّر مللم	عريض طوال ما يخوؤه حمل ⁴
أؤوب نعوب لا تجارى ولا تني	بسير الهجير ما يعرجها طفل
ألوف السرى تقرو اللصاب بخقها	فلا نقب يخشى عليها ولا دخل ⁵
وتنشط عن غب السرى وكأها	ظليم لذكر القيص جوجؤه يخلو ⁶
فيرتك مم نابه من نطية	لفيحاء مرّت لا يكون بها ظل ⁷

إلا أننا نقابل وصفا جميلا جدا، قل نظيره، لروضة لا يتصور أن تكون في البداء القاحلة، ولن يتخيلها سوى أهل المدن الكبرى، لكن تجود بها قريحة الشاعر مجدو يوسف، وكأنني به البحري مع بركة المتوكل، فهو يرسم لوحة غنية بحيويتها، وخضرتها، ومتأللة بأنوارها، ومزدانة بأزهارها، وصاحبة بحمامها، على يانع أكمامها، ويبيت عليها وادق ينشر الوشي، ويبعث الجمال مع الوحي... إنها صورة متحركة بألوانها، ومتحدثة بأفنانها، تختلط فيها الأشياء مع الأرواح، مثل الماء والراح، ويهيم الناظر في هذا المشهد الباهر، السابق الذكر:

¹ الجوهري الثمين، العتيق سعد الدين، 393

² زلخ: ناقة قوية، عفاهم: صلبة، قوداء: مدربة على الانقياد...

³ عزيت: أقيمت، المفازة: الصحراء، السعدان: نبات بري ذو شوك ترعاه الإبل كثيرا، الرئل: كذلك من النباتات الصحراوية.

⁴ الكثر: السنام المرتفع

⁵ ألوف السرى: تألف السير ليلا، اللصاب: جمع لصب: كل مضيق في الجبل، والوادي،

⁶ الظليم: ذكر النعام. جوجؤه: صدره. القيص: قبضة البيضة: قشرتها اليابسة.

⁷ ييرتك: يسرع في السير، نطية: أرض بعيدة، فيحاء: دار فيحاء: واسعة، مرّت: مفازة لا أحد فيها، والشاعر هنا في البيتين يستحضر قول امرئ القيس:

ترّوح من أرض لأرض نطية لذكره قيص حول بيض مقلق

في روضةٍ قد زهت أنوارها وغت
 فيحاء طيبة الأنفاس قنّعها
 مخضرة طالما احمرت شقائقها
 والنخل ما بين باسقٍ مُهدبةٍ
 وكارعٍ أثةٍ قيداً مؤبرةٍ
 يشدو بها بين جناتٍ مزخرفةٍ
 كأن ضاحيٍ حصباها إذا انحسرت
 دُرٌّ تناثر أو لؤلؤ منضدةٍ
 يبيت كلُّ مُلثٍ وادٍ زجلٍ
 تتابُ سقفَ السماء الأيكُ تحسبنا
 ترى الغصونَ نشاوى من نداوتها
 يدبُ فيه من الأعلى لسافلةٍ
 كالروح في الجسم أو كالراح يُحسبُ في
 تحالُ سقفَ السماء عِ الماءِ مُنبسطاً
 وتحسبُ الشهب سحباً والسما لججاً
 ترى به تُحفُفُ الثُفاحُ ناميةً
 أزهارها وحكت مسكاً بأصورتها
 فصلُ الربيع قناعاً من سفرجلته¹
 وافتتر نوارها في وجه تَرْجسته²
 صنوا مُهلبةٍ قنوا مهذبة³
 أبراً موكتةٍ بُسراً مُكَمَمته⁴
 ما بين أودعٍ غريدٍ وعِكرمةٍ
 خيطان عوسجها عن شمس ضاحيته⁵
 من لولٍ لافظةٍ أو من زبرجدته
 يشي فينشُر عنها الرِيطُ من شيته⁶
 بحافةِ الروض ضرباً من بنفسجته⁷
 يُراودُ الغصنُ غصناً من مُعانقته
 ماءُ النعيم ومن سُفلى لعاليتهِ
 لا شيءٌ متقدّاً في كفٍ ساقيته
 من تحت ذا السقفِ ممهوداً لأنديته⁸
 والطيرُ غاصةٌ مصرٍ فوق مسبحته
 والسوسنُ الغصنُ منبتاً بحافيته

¹ البيت ساقط من "ب"، السفرجل: نبت.

² النرجس: نبت من الرياحين.

³ هذب: أصل واحد يدل على طرة شيء، أو أغصان، هلب: أصل واحد يدل على سبوغ شيء، وسعته: "م".

⁴ أث النبات يث أثاً، وأثانة، وأثوثاً، وأثاثاً: كثر والتف، ولم أر: أثة" كما قالها الشاعر، البسر: مرحلة عليا من مراحل طلع النخل، في "ق": (أوله طلع، فإذا انعقد فسياب، فإذا اخضر واستدار فجداً، وخلال، وإذا كبر شيئاً بغو، فإذا عظم فبسر، ثم مخطم، ثم موكت، ثم تنوب (...). "ق".

⁵ العوسج: معدن باليمن، وشوك.

⁶ اللث: الندى، ولث الشجر: أصابه، ودق المطر يدق ودقاً: قطر. الرِيط: الملاعة إذا كانت قطعة واحدة.

⁷ البنفسج: نبت من الرياحين، له منافع صحية سردها صاحب القاموس، كالتنويم، والسعال، والصداع.... "ق".

⁸ في "أ" و "ب" [سقف السماع] هكذا موصولاً، وهذا سهو من الناسخ، مما يبعد القارئ عن المعنى أكثر، والأفضل هو ما عمله في "ج" إذا كتبها هكذا: [السما. ع الماء]، فالشاعر يريد أن يقول: تخال سقف السماء على الماء منبسطاً...، فقصر الممدود "السماء"، ثم حذف من حرف الجر "على"، ثانيها، لاستقامة الوزن، وهذا جائز في نحو للضرورة، إلخ.

ومُحمَّدو يوسف من كبار شعراء الوصف الذين يصيبون فيه، ويبدعون، ومن أبدع نماذجه وصفه للخط، والأقلام، والدواة¹:

تَحْزُرُ بِأَيْدِيهِمْ رَوَاعِفُ نُكَّسَا	مَسَاطِرَ كَمْ أُرْبَتْ عَلَى شِبْرِ قَائِسٍ ²
تَحْنُ إِلَى الْبَارِي بَوَاكِي سُجَّدَا	سَجُودَ أَيْلٍ نَاكِسٍ فِي الْكُنَائِسِ
صَوَادِرَ مِنْ فِيحَاءَ لَمْ يَكُ مَاؤُهَا	بِعَوْرِ وَلَا طَرَقٍ وَلَا مُتَشَاوِسٍ ³
تَخَالُ إِذَا مَا رَفَقُوا الرِّقَّ رَفَقَهُمْ	بَتَائِكَ رِيَشٍ مِنْ خَوَافِي الطَّوَاوِسِ

وعلى الرغم من دوران القوم غالباً في فلك المشاهد الصحراوية التي يصفها الجاهلي نجد ثلاثة نماذج أخرى جديدة، وخارجة عن التقليد كلياً، تجمع بين الإبداع، والابتداع: "وصف الطائرة، وصف الشاي، وصف الجنة":

أ. وصف الطائرة للشيخ الخضر حمادو⁴:

مَا تَنْقُمُونَ مِنَ الطَّيَّارِ إِنَّ لَهُ	عِنْدِي مَحَاسِنَ تَرَبُّو عَنْ حَصَى الْكُثْبِ
ظِلٌّ ظَلِيلٌ كَرَّاسٍ صُقِفَتْ دَعَا	نَوْمٌ عَلَى لَذَّةٍ فِي مَضْجَعٍ رَحِبِ
وَاهَاً لَهُ سَمَكاً يَغْلُو بِأَجْنَحَةٍ	فَوْقَ السَّحَابِ أَوْ طَيْراً بِلا زَعَبِ
سَبْرُهَا إِذَا صُنِعَ قَدْ أَتَقَّنَهُ	ذُو فِطْنَةٍ حَازِقٍ مِمَّا سِوَى الْقُرْبِ
شَدَّ الْمَسَامَرَ سَدَّدَ الْمَنَافِدَ عَنْ	تَدْقِيقِ فِكْرٍ فَلَمْ يَفْتَحْ سِوَى ثَقَبِ
كَأَنَّ أَلْوَاخَهُ مِنْ شَدِّ مَا التَّامَتْ	لَوْحٌ وَتَحْسِبُهَا شَقَّتْ مِنْ الْهَضْبِ
مَا تَمَّ مِنْ وَصْمَةٍ إِلَّا ارْتِجَاجُهَا	عِنْدَ الْهَبُوطِ وَإِلَّا ضَجَّةُ اللَّهَبِ
هَذِي تَصُمُّ وَهَذِهِ تَغْمُ وَمَا	ضَرَّتْ بِشَيْءٍ وَإِنْ أَفْضَتْ إِلَى رَغَبِ
وَلَا أَعُدُّ عَلَيْهَا ذَنْبٌ مُرْتَعِدٍ	بِالْخَوْفِ أَوْ قَلَقٍ بِالْمَيْدِ مُضْطَرَبِ

¹ ديوان الشاعر: المدد الرباني، وتوجد في بحثي للماستر: الشاعر النسقي، ص 166

² الشاعر يصف الأقلام هنا، وخط قومه وصفا رائعا، ويقصد بالرواعف: الأقلام، وفيحاء: الدواة، والباري: تورية إلى الذي يبيري القلم، أي الكاتب نفسه.

³ ماء متشاوس: قليل لم تكدره.

⁴ من قصائد مخطوطة للشيخ، وتوجد في ترغيب المشوق، زين الدين، ص 47

ب. وصف الشاي للشيخ إغلس اليماني¹:

وَأَنِيَّةٍ شَرِبْتُ	عَلَى كُؤُوسٍ	مُوشَّاةٍ الْجَوَانِبَ بَيْنَ شُوسٍ
بَأَنْدِيَّةٍ مُدِيرُ	الْجَامِ فِيهَا	أَجْلُهُمُ الْأَعْزُ عَلَى التُّفُوسِ
يَرَى تَطْرِبَ	مَجْلِسِهِ بِشَعْرِ	تَحْرُّ لَهُ الْخَوَاطِرُ بِالرُّوِّ سِ
يُذَكِّرُهُمْ سَجَايَا	كَمْ أَلَانَتْ	بِهَا الْقَدَمَاءُ نَائِرَةَ الْبَسُوسِ
شَرَابٌ بِاتِّفَاقٍ	الْجُمُعِ حِلٌّ	أُقِيمَ مَقَامَ حَسَنِ الْخَنْدِ رِيسِ
وَلَيْسَ مُحَارِبًا	لِلْعَقْلِ لَكِنْ	يُلِينُ غَرِيزَةَ الْفَدَمِ الْعَبُوسِ
أَبَارِقُهُ بَرِيقًا	مِثْلُ زُهْرٍ	تُصَانُ بِمَسْتَلَانٍ اِهْلُبْسِيسِ
وَتَأْنِفُ أَنْ تُمَسَّ	بِشْنِ كَفٍّ	أَصَابِعَ مِنْ عَنِيفِ خَرْبِيسِ
وَكَمْ مِنْ تَالِدٍ أَفْنَى	وَكَمْ مِنْ	نَفِيسٍ قَدْ أَبَادَ وَكَمْ فُلُوسِ

ج. وصف اللجنة للشاعر سيدي محمد إنباكوا²:

¹ المدارس الأدبية، محمد أحمد الخرجي، ص 220
² ديوان الصحراء - المدرسة الكتبية، يحيى ولد سيد احمد، ص 127، ج 1

دَارُ الْجَلَالِ وَدَارُ الْعِزِّ قَدْ مُلِئَتْ
 لِبَاسُهُنَّ حَرِيرٌ حُسْنُهُ عَجَبٌ
 اللَّوْنُ كَالذَّهَبِ الْإِبْرِيرُ نُضْرَتُهُ
 تَمْشِي أَهْوَى عَلَى مِسْكِ وَغَالِيَةٍ
 سَهْلٌ خَلَاتُفُهَا، جَثْلٌ مَقَارِفُهَا
 سُودٌ حَوَاجِبُهَا، بِيضٌ تَرَائِبُهَا
 حُورٌ نَوَاطِرُهَا، كُحْلٌ مَحَاجِرُهَا
 مُهُورُهُنَّ قِيَامُ اللَّيْلِ تَلْزِمُهُ
 وَالِاسْتِكَانَةُ لِلْمَوْتِ تُعْظِمُهُ
 وَالِاجْتِهَادُ بِنُورِ الْعِلْمِ تَأْخُذُهُ
 فَاجْهَدْ لَعَلَّكَ أَنْ تَحْطَى بِهَا بَدَلَ الْ

بِالْمِسْكِ وَالزَّعْفَرَانِ وَالطَّوَاوِيسِ
 وَهِنَّ أَعْجَبُ مِنْ تِلْكَ الْمَلَابِيسِ
 وَالتَّعَرُّ يَلْمَعُ مِنْ تِلْكَ الْأَوَانِيسِ¹
 فِي ظِلِّ عَيْشٍ بَعَيْنِ اللَّهِ مَحْرُوسِ
 جَمٌّ مَرَاوِقُهَا، حُضْرُ الطَّنَافِيسِ²
 لُغْسٌ مَشَارِبُهَا، عَيْنُ الْمَنَاعِيسِ³
 سُودٌ ضَفَائِرُهَا، مُلْسُ الْمَلَامِيسِ
 وَالْمَاءُ فِي الْبَرْدِ وَالْإِنْفَاقُ لِلْعِيسِ
 وَالْبُعْدُ لِلْأَجَنِّيَّاتِ الْمَنَاحِيسِ
 وَلَا تَمَلُ حُضُوراً فِي الْمَدَارِيسِ
 إِنْتَعَابُ لِلنَّفْسِ فِي حَرْبِ الْأَبَالِيسِ

تلك هي المضامين الشعرية في المرحلة الثانية، أحصيناها رقمياً، ثم عرضناها مع التمثيل،
 وقليل من التحليل، ونختتم الباب بالمبحث الأخير الذي يتناول "الشعر التعليمي".

¹ - جمع أنسة.

² - جثل: شعر جثل: كثير لين، وجم العظم: كثر لحمه.

³ - اللعس: سواد مستحسن في الشفة، والعين: جمع عيناء، وهي الواسعة العين، والمناعيس: العيون.

المبحث الثالث: الشعر التعليمي: "المنظومات"

يقصد بالشعر التعليمي كما عند الرافعي: (القصائد التاريخية، أو العلمية التي جاءت في حكم الكتب، وكذلك الكتب التي نظمها فجاءت في حكم القصائد)¹ ويشير إلى أن أول من بنى في هذا النوع أرجوزة، وتبعه الناس هو بشر بن المعتمر، ذكر فيها الملل، والنحل، وضرب الأمثال، سجّل فيها قواعد مذهبه المعتزلي،² وأورد الجاحظ هذه الأرجوزة في كتابه "الحيوان"، وكلما أراد الاستشهاد ببعض أبياتها يقول: (قال بشر بن المعتمر في شعره المزاج)³، ونستفيد من عبارة الجاحظ هنا أمرين: أولها أنه يسمي هذا النظم "شعرا"، ثم يدعو ذلك النوع من الشعر بـ "المزاج"، أي الشعر الذي يستقل كل بيت بقافية، وروي، مع التزامه ببحر واحد، وفي الغالب لا يكون ذلك البحر غير الرجز، وأول من برع فيه، وتفنن هو أبان بن عبد الحميد الذي نظم "كليلة ودمنة" في أربعة عشر ألف بيت، ونظم متونا أخرى، كما يهتم بالرجز شاعر آخر هو ابن المعتز⁴، وفي النهاية استثمر العلماء هذا النوع من الأسلوب الشعري في خدمة تخصصاتهم، وتيسير العملية التعليمية، حتى إنه لم يبق متن في الآونة الأخيرة إلا وتم نظمه.

إن النظم لدى كل اسوك شغل حيزاً كبيراً في إنتاجهم العلمي، فالمنظومات لديهم لا تقارن بالمؤلفات المنشورة في الكثرة ومنهجهم التعليمي هو الباعث الأول للاهتمام بالنظم، لاعتمادهم على حفظ المتون، ومن المعلوم أن حفظ المنظوم أيسر من حفظ المنشور، فانتشرت عادة النظم، لدرجة تكرار نظم متن واحد في أكثر من منطقة، واعتمدوا كسابقيهم في النظم على بحر "الرجز".

¹ تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ص 116، ج 3

² المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

³ الحيوان، الجاحظ، ص 155، ج 5

⁴ انظر: العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص 246 وما بعدها

وأقدم أراجيزهم عموماً حسبما وصلنا هي أبيات للشيخ محمد بن عال المولود عام 960 هـ والمتوفى 1030 هـ، وكان موضوعها التنديد بسلوكيات رأى من مارسها من طلبة العلم ولا يعدها لائقة بهم، ومما قال¹:

وَنَبَذُوا	وَطَرَحُوا	الْهِدَايَةَ	وَطَلَبُوا	مُجَرَّدَ	الرِّوَايَةِ
فَيَجِدُوا	بِذَا	فَتُوحَ	الرَّبِّ	فَيَتَطَهَّرُوا	بِعِلْمِ
أُصُولَ	دِينِهِمْ	لَكِنِّي	يُقَدِّمُوا	لَوْ	صَدَقُوا فِي قَصْدِهِمْ لَقُدِّمُوا

ثم منظومات الشيخ أبي هريرة محمد إنلُبش، التي يبدو أنها أصبحت مقررات مشهورة في أوساط كل أسوك، وتقبلوها، وشرحوها، وأشهرها: "عدة الحافظ في علم الفرائض"، التي شرحها الشيخ زين الدين عبد الفتاح، و"هادية القلوب" في العقيدة، وقد شرحها الشيخ محمد أحنى شرحاً نفيساً، وذكر تاريخ نظمها، وهو 1163 هـ، في خاتمة المنظومة:

هَنَا انْتَهَى	فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى	إِنْعَامِهِ مَا	مَطَرَ الْغَيْثُ الْوَلَا
فِي عَامِ سِتِّ	وِثْلَاثِينَ سَنَةً	فِي هَجْرَةٍ مِنْ	بَعْدِ أَلْفٍ وَمِائَةٍ
ثُمَّ الصَّلَاةُ	وَالسَّلَامُ سَرْمَدًا	عَلَى مُحَمَّدٍ	وَمَنْ قَدْ اهْتَدَى

أ. أسلوب النظم:

مرَّ النظم كحال الشعر لدى السوكيين بمرحلتين، تتميز كل واحدة بمميزات فنية معينة، وإذا كانوا قد اشتركوا جميعاً في الاعتماد على بحر الرجز فإن المنظومات شهدت تطوراً في الشكل والمضمون عند أصحاب المرحلة الثانية، ففي الأولى يهتم الناظم بتقريب المتن المنشور دون إضفاء لمسات فنية، وأدبية، لا يدقق ولا ينمق في الألفاظ، وأحكام العروض، إذ توجد

¹ المنظومة أرسلها لي الأستاذ حمزة بصيغة وورد، وانظر أيضاً: الجوهر الثمين للعتيق سعد الدين، ص 227

أحيانا بعض العيوب العروضية، والضرورات الشعرية، فالهدف تعليمي لا غير، رغم أن نظمهم مع ذلك لم يتدنَّ إلى مستوى منحدر جدا في اللامبالاة ببعض التقاليد الشعرية، وأفضل على كل حال فنيا من منظومات السيوطي مثلا، ونظمهم أقرب تأثرا بأسلوب معلمهم الأكبر ابن مالك صاحب الألفية، والكافية، وتجدر الإشارة إلى أنه في السابق لم يتجه النظم إلى المطولات بل اقتصر على المختصرات فقط، وفيما يلي نموذج من تلك المنظومات القديمة، للشيخ القاضي مُحَمَّد الأمين بن همام بن سلهو نظم كتاب "قواعد المعرب"¹:

يَقُولُ رَاجِي الْمَنْ وَالْأَمْدَادِ مِنْ رَبِّهِ جَلَّ عَنْ الْأَضْدَادِ
.....

هَذَا وَلِيِّ قَاصِدٍ لِلْمُعَرَّبِ نَظْمُ الْقَوَاعِدِ الَّتِي فِي "الْمُعَرَّبِ"
حَاشِيَةُ الْحَبْرِ التَّوَاتِي الْمَقَرَّ الْقُرْشِيِّ الْإِنْتِسَابِ ابْنِ عُمَرَ

.....
سَمِيَّتُهُ الْقَوَائِدُ النَّفِيسَةُ لَضَبُّهُ الْقَوَاعِدُ الْأَيْسَةُ

القاعدة الأولى:

المَصْدَرُ	الْوَاقِعُ	حَالًا	أَوْ	صِفَةً
إِمَّا	عَلَى	حَذَفٍ	مُضَافٍ	يُجْعَلُ
أَوْ	نَازِلٌ	مَنْزَلَةً	اسْمٌ	فَاعِلٍ
"لَا	رَيْبَ	فِيهِ	هُدًى"	الْمَقَرَّرَةَ
أَيُّ	ذُو	هُدًى	أَوْ	هَادٍ أَوْ نَفْسُ الْهُدَى

أَوْ	خَبْرًا	أَحْوَالُهُ	مُخْتَلِفَةٌ
أَوْ	لِلْمُبَالَغَةِ	هَذَا	الْأَفْضَلُ
كَقَوْلِهِ	سُبْحَانَهُ	مِنْ	قَائِلٍ
أَوَّلِ	سُورَةٍ	تُسَمَّى	"الْبَقَرَةَ"
وَذَاكَ	فَ	الْمَصْدَرُ	هَكَذَا بَدَا

¹ الكتاب مخطوط بحوزة الباحث.

فهذا النظم وإن خلا من الضرورات الشعرية لم يكن فيه الناظم باحثاً عن أية تحسينات إضافية، على عكس ما سنراه في المرحلة الثانية، التي قاد الاتجاه الفني البديعي فيها الشيوخ الثلاثة: الخضر حمادو، وحمداً محمد حادي، ومحمود محمد الصالح بمستوى أقل.

لقد تميز نظمهم بالمحسنات اللفظية كالجناس، ولزوم ما لا يلزم، والابتعاد عن سائر الضرورات الشعرية، والعيوب العروضية المباحة، والمحظورة، مع مراعاة عدم التعقيد المعنوي، واللفظي، ويظهر التصنع كثيراً في منظوماتهم، وتجمع بين الفنية، والعلمية بشكل بديع، كما أنهم أصبحوا ينظمون المتون الطويلة كجمع الجوامع للسبكي، وتلخيص المفتاح للقزويني، ويقول الشيخ الخضر في نظمه لجمع الجوامع المسمى "الجوهر اللامع"¹:

باسمِ الإلهِ الحقِّ باسمِ الله	مِقْلَادُ فَتَحِي مَا لَهُ إِلَّا هِي
حَمْدًا لَهُ فَهَوَ المَعِيُ المِستَخَارُ	فَهَوَ المَرَجِيُّ لَا الأَمِينُ المِستَشَارُ
أَدْعُوهُ فِي يُسْرِي وَعُسْرِي كَي يَهَبَ	أَقْصَى رَجَائِي رَاغِبًا أَخْفِي الرَّهْبَ
أُنْشِي فَأُنْشِي بَرَّةً بِي مَلَأَ فِي	أَوْ وُسْعَ طَوْقِي مُوقِنًا أَنْ لَمْ أَفِ
.....	

وقد رأيتُ الجمعَ للسبكي	واللَمَعِ مِنْ أُسْلُوبِهِ السَّبْكَِي
وَأَنَّى ضُرُوبَ الحُسْنِ نَوْعًا نَوْعًا	أَعَزُّزُ بِهِ مِنْ جَامِعٍ قَدْ أَوْعَى
....	

أَمَّا أُصُولُ الفِقهِ فَالْأَدِلَّةُ	فِي الفِقهِ إِجْمَالًا لَدَى أَجَلَّةُ
وَقِيلَ بَلْ عَرَفَانُهَا الصَّافِي وَزَيْدُ	طُرُقَ اسْتِفَادَةٍ وَطُرُقَ المِستَفِيدِ
وَالنَّاجِ أَلْعَاها فَلَمْ يَقِفِ النُّفُولُ	وَالْعَارِفُ المَاضِي الأُصُولُ العُقُولُ

فالسلاسة بارزة، إلا أن الأوضح هو البعد البديعي من التجنيس، ولزوم ما لا يلزم ما بين "الله" و "إلا هي"، و"المستخار" و"المستشار"، إلى آخر بيت "النقول"، والعقول"،

¹ المنظومة مخطوطة لدى الباحث.

وعلى الرغم من طول النظم إلى أكثر من ألف بيت فهو ملتزم بهذا الأسلوب البديعي، حتى
الخاتمة الأدبية الطافحة بالجمال، والبهاء::

يَا هَاهُنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ انْتَجَزَ
فَافْتَنَحْ بِهِ نَظْمًا إِلَى أَوْجِ الْأَصُولِ
.....

فَلْيَسْمَعْ الْأَذَانَ ذَاتَ الْوَفْرِ
وَمَا تَرَأَى فِيهِ مِنْ عَيْبٍ يَشِينُ
أَيْضًا صَوَائِغَ السُّنَّةِ الْمَحْرُوسِ فِي
وَقَدْ عَلِمْتُمْ وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقِ
.....

وَمَا أَلَوْتُ الْجُهْدَ فِي التَّنْقِيحِ
لَاهِمَّ إِلَّا مَا اقْتَضَى إِنْجَازِي
وَلَمْ أُعَالِجْ فِيهِ أَعْلَى الْإِخْتِصَارِ
إِنْ فَاتَنِي تَشَابُهُ الْأَطْرَافِ
.....

أَبْيَاطُهُ أَلْفَانِ مِنْ كُلِّ سَقَطٍ
وَالرَّمْزُ مِنْ تَارِيخِهِ نَادِي يَقُولُ
مِنْ سُلْسِيلٍ مِنْ صَلَاةٍ أَوْ رَحِيقِ
يَسْقِيكَ يَا يَاسِينَ مِنْ هَنَاءِ الْوُجُودِ
وَالْأَلِ وَالصَّحْبِ الْقَدِيِّ وَالْمُقْتَدِي
قَافٌ وَمِنْ بَاقِيهِمَا يَاءٌ فَقَطُ
"هَآ تِلْكَ أَخْدَاقُ تَرَى كُنْهَ الْأُصُولِ"
تَسْنِيْمُهُ الْمَلْدُودُ تَسْلِيمُ أَنْيَقِ
طَرًّا بُنُورٍ مِنْكَ لَا يَطْفَأُ وَجُودُ
كَأَنُورًا نِدَامَاكَ اتِّقَادُ الْفَرْقَدِ

ب. مجالات النظم:

تتنوع المجالات التي طرقها الرجز السوكي، إلى ثلاث مجالات:

- الآداب العامة
- نظم المتون
- نظم الشوارد والفوائد

أ. الآداب العامة:

لَكُلِّ السُّوْكِ أَرَاخِيزٌ فِي الْآدَابِ الْعَامَةِ، وَالتَّهْذِيبِ الْأَخْلَاقِيِّ، بَعْضُهَا قَصِيرٌ، وَبَعْضُ الْآخَرِ قَدْ يَتَجَاوِزُ مِائَةَ بَيْتٍ وَزِيَادَةً، وَهِيَ أَرَاخِيزٌ تَدْعُو لِلخَلْقِ الْحَسَنِ، وَتَذَكِّرُ بِالْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ، وَتَقْدِمُ نَصَائِحَ تَرْبَوِيَّةٍ جَلِيلَةٍ، وَمِنْ أَهْمِّهَا أَرْجُوزَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّالِحِ بِدَايَةِ الْقَرْنِ الْمَاضِي الْمَجْرِي وَالتِّي يَذْكُرُ فِيهَا مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ عَصْرِهِ مِنَ الْمَحْدَثَاتِ الَّتِي تَخَالِفُ السَّنَةَ، وَيُنْكِرُهَا عَلَيْهِمْ، وَيَحْذَرُهُمْ مِنْهَا وَيَعْظُمُهُمْ وَأَوَّلُهَا¹:

مَا لِي أَرَى النَّاسَ مَعَ الْأَشْبَاهِ	جَمِيعُهُمْ	فِي	فَدَفَدِ	التَّبَاهِي
قَدْ اسْتَوَى خُرُّهُمْ وَالْعَبْدُ	كَمَا	اسْتَوَى	فَتِيَّتُهُمْ	وَالْعُودُ
وَيَسْتَوِي الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ	كَمَا	اسْتَوَى	الصَّبَابُ	وَالنِّسَاءُ

وهي طويلة، اعتنى بها الناس وشرحها الشيخ سعد الدين بن عُمار بأمر من ناظمها وأُتِبَ فِي شَرْحِهَا حَتَّى وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى نَحْوِ أَرْبَعِ مِائَةِ وَرَقَةٍ جُمِعَ فِيهَا مَا قَدَّرَ لَهُ مِنَ النَّصَائِحِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْآدَابِ وَأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَحِكَايَاتِ الصَّالِحِينَ، وَالْأَرْجُوزَةُ يَظْهَرُ عَلَيْهَا اتِّبَاعُ

¹ مجموعة متفرقة.

التيار البديعي، فالأبيات المذكورة كلها تحتوي على "التجنيس، ولزوم ما لا يلزم، ويبدو أن أغلب الأراجيز المتعلقة بالتهذيب، والتربية متأثرة بذلك الأسلوب البديع، وهذا نموذج من أرجوزة مماثلة لبعض السوكيين المعاصرين حمزة عثمان أسماها "إتحاف الطلبة بوسائل السبق في الحلبة" ويفتح المنظومة قائلا¹:

حَمْدًا	لِمَنْ	عَلَّمَنَا	بِالْقَلَمِ	مَنْ	فَضَّلَهُ	الْجَزِيلَ	مَا لَمْ	نَعْلَمِ
وَجَعَلَ	الْعُلُومَ	خَيْرَ	حِلْيَةٍ	يُضْحِي	بَهَا	أَهْلُ	الْحَضِيضِ	عَلَيْهِ

يقول ناصحا بالاجتهاد في التعلم:

ثُمَّ	اسْتَفِدْ	مِنْ	سَائِرِ	الْعُلُومِ	نَافِعَهَا	فَلَسْتَ	بِالْمَلُومِ
لَا	تَنْيَنْ	إِنْ	تَتَشَقَّقَ	رِيًّا	عَبِيرَهَا	أَوْ	تَعْلُوَ
بَدَا	تَرَى	عِقْدًا	فَرِيدًا	غَالِي	مُرَيَّنًا	تَرَاقِي	الْمَعَالِي

ب. نظم المتون :

لقد اهتم مشايخ كل أسوك بنظم المتون التي يتم تدريسها في المحاضر الصحراوية، وهي متون في "العقيدة"، و "الفقه"، وأصول الفقه"، و"مصطلح الحديث"، و "النحو"، و"الصرف"، والبلاغة"، وأشهرها:

• في العقيدة:

14. تربية الطالب في أول الواجب، مُحمَّد بن إنلبش

15. الجواهر السنية في العقائد السنية للحاج مُحمَّد أحمد

¹ أرسلها لي صاحبها بصيغة وورد.

16. الصدف الحاوي نظم عقيدة الطحاوي لحمزة عثمان
17. نظم مقدمة أبي زيد القيرواني لمبارك خضر
18. هادية القلوب، في العقيدة الأشعرية لإنلبش مُجَدِّ
19. واسطة الفريدة نظم واسطة العقيدة لأحمد مُجَدِّ الحاج
20. نظم العقيدة الطحاوية، لمنير بن محمد زَدَّ

● في الحديث:

10. الدرر نظم نخبة الفكر للحاج مُجَدِّ أحمد

● في الفقه وأصوله:

38. أنظام تتضمن مسائل فقهية لزين الدين بن عبد الفتاح
39. الجمان المشرقات في نظم الورقات لحمدا مُجَدِّ
40. الجوهر اللامع في نظم جمع الجوامع للخضر حمادو
41. عدة الحافظ إنلبش مُجَدِّ
42. العقل والرشد شرح نظم مقدمة ابن رشد، شرح لأرجوزة الشيخ العلامة عبد الرَّحْمَن الرقعي، في فقه العبادات على مذهب الإمام مالك. لزين الدين بن عبد الفتاح.
43. فتح الرب بنظم أصول الفقه من اللب لحمزة عثمان.

المنهج الميمون في نظم نوازل سحنون لأحمد الإمام مُجَدِّ إكنن

44. نظم الجوامع لمحمود مُجَدِّ الصالح

45. نظم جمع الجوامع لأعالي مُجَدِّ

46. نظم كتاب الأخضري لمحمد أحنى

47. نيل الوطر نظم الأخضري أحمد بن هماهما

48. ينع اليوانع نظم جمع الجوامع لمحمد معاوية

● في النحو والصرف والبلاغة:

19. إرشاد الغلام إلى مثلثات الأسامي لأحمد الأحدي

20. علامة الرفع نظم رسالة الوضع، لمحمد الولي حمدا.

21. عون المتعال في نظم معاني الأفعال، لمحمد الولي حمدا

22. غيث الجدوى في نظم الطر الندى لسعد الدين عمار

23. قواعد المعرب منظومة لمحمد الأمين بن هماهما سَلَهُو

24. قوالب التخليص لحمد مُجَدِّ

25. محرض الحريص التلخيص لمحمود مُجَدِّ الصالح

ج. نظم الشوارد:

يكترون كذلك من نظم الفوائد التي يقفون عليها، أحيانا من أجل تقييدها، والحفاظ عليها، وتارة من أجل تسهيل الحفظ في الذاكرة، ومن المهتمين كثيرا بهذا النوع من المنظومات الشيخ مهدي بن الصالح عاش في القرن الثالث عشر الهجري، وقد نالت شوارده الحظوة عند العلماء فأكثرها من تدوين كثير منها في هوامش المواضع المناسبة لها في مخطوطاتهم، ومن نماذجها¹:

والأَثَرُ الحَدِيثُ مَوْفُوقًا وَرَدَ	أَوْ كَانَ مَرْفُوعًا عَلَى مَا قَدْ وَرَدَ
وخصَّ عندَ البعضِ بالمَوْقُوفِ	فَتَقَى بِمَا قَلْتُ بَلَا وَقُوفِ

ومنها :

وقَدَ أَتَتْ أُخْرَى بِمَعْنَى آخِرَةٍ	كَقَالَتْ أُخْرَاهُمْ فِي يَوْمِ الْآخِرَةِ
وَجَمَعَ هَذِي أُخْرَ بِالصَّرْفِ	إِذْ لَيْسَ مَعْدُولًا بِغَيْرِ حُلْفِ

إلى هنا انتهى الباب المتعلق بالدراسة التحليلية للمتن الشعري لدى السوكيين، ولعل الإفاضة السالفة تُشَوِّقُ القارئَ لِلتَّجَوُّلِ بنفسه مباشرة بين حقائق الشعر السوكي، وأملني كبيرٌ في أَنِّي قدَّمْتُ له إضاءات قد تكون نِبْرَاساً له إلى تلك الروضة التراثية الغناء، التي لَقَّها النسيانُ، وطواها الإهمال بين رمال الصحراء الكبرى شمالَ مالي/إقليم أزواد، فيالِ المتن...

¹ هذه المنظومة هي الأخرى أرسلها لي الأستاذ حمزة عثمان السوكي، المقيم في السعودية.

الباب الثالث: سزد المتن المختار في شعر كل أسوك:

الفصل الأول: شعراء المرحلة الأولى

يدون الفصل شعر أربعة شعراء

الفصل الثاني: شعراء المرحلة الثانية:

دراسة إحصائية للباب:

لمزيد من التوضيح، والعرض قمت بمسح شامل للمتن المجموع في هذا الباب، فكان كما يوضحه الجدول التالي:

شعراء المرحلة الأولى			
م	الشاعر	عدد القصائد	عدد الأبيات
1	أحمد الإمام محمد إكن	3	113
2	إنلبش محمد	1	68
3	دانيال محمد	5	130
4	هارون محمد	4	133
شعراء المرحلة الثانية			
م	الشاعر	عدد القصائد	عدد الأبيات
5	أعالي اليماني	3	47
6	إغلسن اليماني	4	34

120	4	الحاجُّ مُحَمَّدُ أَحْمَدُ	7
142	7	الشيخ حَمَّادُ بن محمدُو	8
187	4	حَمَّادُ بن مُحَمَّد حَادِي	9
411	9	المحمودُ حَمَّادُ	10
144	4	ذُو الْكِفْلِ مُحَمَّدُ	11
56	3	سيدي مُحَمَّد "إِنْبَاكُوا	12
66	3	ظَلَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ	13
115	3	عبدُ القادرِ مَتَالِ	14
47	2	الْفَتَى مُحَمَّدُ أَحْمَدُ	15
53	3	مُحَمَّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ	16
105	5	محمدُ أَحْنَى	17
203	5	مُحَمَّدُو تَانَا	18
304	3	مُحَمَّدُو يوسُفُ	19
271	4	محمودُ مُحَمَّدُ الصَّاحِ	20
222	6	المحمودُ يَحْيَى	21
263	5	المُرْتَضَى بن محمدُ	22

الإجمالي الكلي للمرحلتين		
عدد الشعراء	عدد القصائد	الأبيات
22	90	3234

الفصل الأول: شعراء المرحلة الأولى

شعراء المرحلة الأولى			
م	الشاعر	عدد القصائد	عدد الأبيات
1	أحمد الإمام محمد إكنن	3	113
2	إنلبش محمد	1	68
3	دانيال محمد	5	130
4	هارون محمد	4	133
إجمالي			
عدد الشعراء		القصائد	الأبيات
4		13	444

1. أَحْمَدُ الْإِمَامِ مُحَمَّدٌ إِكْنَئَنُ السُّوكِي:

هو أحمد الإمام بن مُحَمَّدٍ إِكْنَئَنُ بن القارئ أَجَّيَّ بن مُحَمَّدٍ بن وَنْكَلَ بن أَظْلَظَرَ، واسمه مُحَمَّدُ بن آمن بن علي بن يحيى بن عمران بن هاشم بن المصطفى بن علي بن هاشم بن إبراهيم الدَّغُوغِي، من أوائل علماء قبيلة "كل تبورك"، فهو من أواخر القرن الثاني عشر، وأوائل القرن 13 الهجريين¹.

له آثار علمية، كرسائل فقهية، ومنظومات، أهمها المنهج الميمون لنظم نوازل سحنون، وديوان شعري كامل، أجرى عليه حفيده علي سليمان دراسة وحققه لنيل درجة الماجستير في الجامعة الإسلامية بالنيجر عام 2016م.

ويعتبره شعره أول شعر ناضج، مكتمل الميزات الفنية، وصلنا عن كل اسوْك، ويمتاز شعره عموماً بسلاسة الألفاظ، ووضوحها، وغلبة الأغراض الدينية، والتعليمية، وبما أنه مدروس في بحث مستقل فأختصر وأختار له النماذج التالية فقط:

اعتذار للشيخ سيدي مُحَمَّد الكنتي²: {البسيط}

كِتَابَانِ شَوْشَا بِمَا اشْتَمَلَا جَلْدَا	وَقَدْ أَوْشَكَا أَنْ يُنْكِيَا الْحَجَرَ الصَّلْدَا
وَقَدْ فَضَّ نَاسٌ قَبْلَنَا مَا عَلَيَهُمَا	مِنْ الْحُتْمِ وَانْقَضُوا وَقَدْ نَقَدُوا نَقْدَا
وَأَنْتُمْ بَرَاءُ إِنَّمَا النَّقْدُ نَقْدُنَا	عَلَقْنَا بِهِ مُرْدًا وَشَيْئًا وَلَا بُدَّا
وَلَوْ وَرَدَا مِنْ غَيْرِ فَضٍّ عَلَيَهُمَا	رَمَسْنَا الْمُرِيبَ مِنْهُمَا ثُمَّ لَا يُبْدَى ³
وَلَكِنْ فَشَا فِي الشَّامِتِينَ وَغَيْرِهِمْ	دَوَاعِ ثُرَيْبُ كُلِّ ذِي مِقَّةٍ رَمْدَا ⁴
فَوَدَّ الصَّدِيقُ لَوْ تَعُوذُ عُهُودُنَا	وَوَدَّ الْحُسُودُ لَوْ كَبَدْنَا لَهُ كَبْدَا
أَلَيْسَ مِنْ اعْظَمِ الْفَوَارِقِ أَنْ تَرَى	سُعَاءَ بِنَا أَنْ لَا إِحَاءَ وَلَا وُدَّا
وَمَا نَحْنُ إِلَّا كَالْمَبَايِ وَأَنْتُمْ	يَشُدُّ عَيْنَانَا بَعْضُهَا بَعْضَهَا شَدَّا

¹ الدغوغى: نسبة إلى دغوغه، وهي من أعمال مراكش. ينظر: التبر التالذ في مناقب الشيخ الوالد، مصدر سابق، ج/1، ص: 140. نقلاً عن بحث "ديوان الشيخ أحمد الإمام دراسة وتحقيق" لعلي سليمان، ص 17 (مطبوع على الحاسوب)

² ديوان الشاعر أحمد الإمام دراسة وتحقيق، علي سليمان، 74

³ رمس: رمس الخبر: كتّمه، أراد: لو لما يتم فتحهما من غيرنا لكتّمنا كل ما يريب منهما، ولا يظهر لأي إنسان.

⁴ المقة: المودة، الرمد: داء التهاوي يصيب العين.

وَكَاالجِسْمِ كُلَّمَا اشْتَكَى الْبَعْضُ تَشْتَكِي
 لِهَذَا بَعَثْنَا بِالْكِتَابِ تَنْبُهَا
 فَلَا يَكُ طَوْذُ الْوَدِّ إِلَّا كَعَهْدِهِ
 فَرَعْمًا لِأَنْفِ الْبَيْنِ فَهُوَ طَرِيدُنَا
 رَمَيْنَا بِفُهِرِ الْوَصْلِ وَالْقُرْبِ نَابَهُ
 وَمَا حَدَّثَانُ الدَّهْرِ أَصْلًا بِصَارِمِ
 رَسَى فِي رُبَى الْأَحْشَاءِ قَدَمًا أَسَاسُهُ
 بِقَتَّةِ سَدِّ الْوَدِّ نَحْنُ وَأَنْتُمْ
 فِيهِ الرَّمَادُ وَالرَّغَامُ، وَفِي الْحَشَا
 نَرَى سُبَّةً أَنْ نَسْتَقِيلَ أَحِبَّةً
 لَكُمْ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ أَعِنَّةً
 أَعُوذُ بِرَبِّ الْبَيْتِ مِنْ كُلِّ قَاصِفٍ
 أَقُولُ عَلَى بَدْرِ الزَّمَانِ مُسَلِّمًا
 أَلَا لَا يَرِيكَ أَيُّهَا التَّدْبُ مَا جَرَى
 لَعَلَّ الْيَرَاعَ قَدْ أَخْلَ بِرِسْمِهِ
 عَلَى أَنَّهُ لَوْ غَادَرَ اسْمَكَ نَاسِخٌ
 أَعَادَكَ أَنْ يَسْتَهْجِنَ اسْمَكَ فَاضِلٌ
 كَمَا أَصْبَحَ التَّصْرِيحُ بِالِاسْمِ آيَةً
 يَكُونُ لَدَى بَعْضِ الْمَوَاضِعِ تَرْكُهُ
 نُعِيدُ مِنَ الْخَلْقِ الدِّمِيمِ نُفُوسَنَا

بَقَايَاهُ وَاعْتَلَّتْ فَلَمْ نَأْلُهُ جُهْدًا
 وَمَا كَانَ غَيْرُهُ بِهَذَا لَنَا قَصْدًا
 وَلَا يَكُ مَأْلُوفُ الدُّنُو لَنَا بُعْدًا
 فَأَنَّى يَحُلُّ مِنْ مَوَاتِقِنَا عَقْدًا
 فَظَلَّ رُضَاضًا مَا نُسَامُ بِهِ طَرْدًا¹
 وَلَا قَاصِمٌ حَبَلًا مِنَ الْحَبِّ قَدْ مُدًّا
 وَأَغْصَانُهُ لَمْ تَشْكُ حَرًّا وَلَا بَرْدًا
 فَلَمْ يَرْقَهُ وَاشٍ وَلَا رَامُهُ هَذَا
 لَهُ النَّارُ لَا تُبْقِي طِحَالًا وَلَا كِبْدًا
 حَبُونَاهُمْ مِنْ صَفْوِ طَيِّ الْحَشَا زُبْدًا
 تَجَرُّ لَكُمْ مَنْ لَمْ يَلِدْ وَمَنْ لَدَا²
 يَهْبُ بِأَسْبَابٍ مُنَاقِضَةٍ عَهْدًا
 سَلَامًا لَهُ لَمْ أُخْصِ عَدًّا وَلَا حَدًّا
 مِنَ التَّرْكِ لِاسْمِكَ الَّذِي ضَمَمْنَا الْحَمْدَا
 وَمَا كَانَ إِخْلَالُ بِذَاكَ السُّمَى عَمْدًا
 لَمَا كَانَ لِلْمَجْدِ الَّذِي حُرَّتُهُ جَحْدًا
 مِنَ النَّاسِ رَبُّ كَانَ فِي مُلْكِهِ فَرْدًا
 عَلَى أَنَّهُ يَعْنِي بِصَاحِبِهِ جَدًّا
 دَلِيلًا عَلَى التَّعْظِيمِ وَالْعَايَةِ الْبُعْدَى
 فَإِنَّا نَرَى فِي حَقِّكُمْ حَقْنًا إِذَا³

¹ الفهر: حجر صلد، رضاض: مفتت

² لئ: اشدت خصومته، أي الخصيم وغيره

³ أذ الأمر على فلان: اشدت عليه.

صَلَاةٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى خَيْرٍ مِنْ وَفَى وَمَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْ أَسْرَ وَمَنْ أَبْدَى

الندبة الكبرى رثاء القاضي محمد الصالح سلهو سيد إجدش¹:

{الكامل}

مَيْدَانِ حُلُوِّ جَنَى النَّحِيبِ وَمُرِّهِ	حُلُّوا لِحَنَسَاءِ الزَّمَانِ وَصَحْرِهِ
وَكَرِيهِ تَبِيهِ وَفَاجِعِ بَكْرِهِ	وَمَدِيدِهِ وَبَسِيطِهِ وَطَوِيلِهِ
مِنْ رَبِّكُمْ فِي نَصِّ مُحْكَمِ ذِكْرِهِ	وَاسْلُوا بِتَسْلِيَةٍ بِهَا عَزِيَّتُمْ
وَهَيْبِ وَحَشْتِهِ وَلَفْحَةِ حَرِّهِ	وَذَرُوا أَسِيفاً فِي قَمِيصِ هِيَامِهِ
وَفَرَاغِ أَدْمَعِهِ وَسَلْوَةِ صَدْرِهِ	فَلْتُنْ سَلَا السَّالِي لِطُولِ نَشِيْجِهِ
يُزْرِي الدُّهُورَ بِنَظْمِهِ وَبَنْثَرِهِ	لَوَجَدْتَنِي وَمَعِي مِنَ الْأَشْجَانِ مَا
حَالَ الْكِرَامِ مِنَ اللِّقَامِ بِسَبْرِهِ	لَمْ لَا وَقَدْ كُنْتُ اسْتَبَنْتُ هُنَيْهَةً
بِالدَّمْعِ وَالدَّمِ مِنْ عِلَامَةِ خَطَرِهِ	فَوَجَدْتُ مَنْ نَبَكِيهِ فَوْقَ بُكَائِنَا
مُسْتَسْهِلاً لِلْسَّهْلِ مِنْهُ وَوَعْرِهِ	مَنْ لَمْ يَزَلْ مُذْ شَبَّ يَحْمِلُ كُلَّنَا
يَحْتَاجُ إِظْهَارَ الْفَقِيرِ لِفَقْرِهِ	مَنْ لَا يُجَوِّجُ لِلسُّؤَالِ وَلَمْ يَكُنْ
مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ بُلْعَةً قَبْرِهِ	حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ مُتَزَوِّداً
وَرَسُولِهِ وَجَمِيعِ شَامِلِ أَمْرِهِ	مِنْ نُصْحِهِ لِإِلَهِهِ وَكِتَابِهِ
فِي حَالَتِي يُسْرِ الزَّمَانِ وَعُسْرِهِ	وَأِقَامَةِ لِصَلَاتِهِ وَصِلَاتِهِ
بَدَلاً وَلَا يَخْشَى مَلَامَةَ دَهْرِهِ	وَجِهَادِهِ فِي اللَّهِ لَا يَبْغِي بِهِ
وَحَمِيدِ سِيرَتِهِ وَسَابِغِ بَرِّهِ	وَمَضَاءِ هِمَّتِهِ وَلَيْنِ جَنَابِهِ

¹ ديوان أحمد الإمام، علي سليمان، ص 84

كُنَّا نِيَاماً فِي حِرَاسَةِ عَيْنِهِ
 مَا زَالَ يَجْبُرُ كَسْرَنَا لَا سِيَّمَا
 سَلَّ مَا مِنَ التُّخَفِ الَّتِي حَظِيَتْ بِهَا
 تُخَفٍ جَرَتْ دِينِيَّةٌ عَمَلِيَّةٌ
 تُخْبِرُكَ لَا بِفَهَامَةٍ أَحْوَاهَا
 يَا حُسْنَ أَيَّامٍ خُلُونَا لَنَا بِهِ
 أَكْرَمَ بِهِ غَيْثاً مَرِيحاً نَافِعاً
 وَلَكُونِهِ عَافَ اللَّثَامَ وَلُؤْمَهُمْ
 أَمْسَى يُبَدِّلُ فَتَحَ لَامٍ فِي اسْمِهِ
 وَعَدَا يُقَدِّمُ مَا حَوَاهُ حَيَاتُهُ
 لَا فَحَرَ تِلْكَ جِبِلَّةٌ يَزْمِي بِهَا
 يَا وَجْهَنَا إِذْ قَدْ تَقَلَّصَ ظِلُّنَا
 وَتَنَاوَشْتَنَا الشَّامِتُونَ تَنَاوُشاً
 وَتَشَعَّبَتْ فِيْنَا الْمَقَاصِدُ وَانْطَوَى
 مَنْ لِلْأَقَارِبِ وَالْأَجَانِبِ مَنْ هُمْ
 مَنْ لِلْمَكَارِمِ وَالْمَحَامِدِ بَعْدَ مَنْ
 مَنْ لِلْحَوَاضِرِ وَالْبَوَادِي بَعْدَهُ
 فَتَرَى الْمُرِيدَ إِذَا سَطَا بِحُضُورِهِ
 وَتَرَاهُ فِي وَقْتِ الْغُرُوبِ مُدَوِّراً
 وَلَدَى طُلُوعِ الشَّمْسِ ذَاكَ صَنِيعُهُ
 وَإِلَى الْمَصَالِحِ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْتَبِي
 وَمَتَى تَمَطَّى اللَّيْلُ وَارْتَكَمَ الدُّجَى

وَحَرِيمِ حُرْمَتِهِ وَدَوْلَةِ ثَعْرِه
 أَيَّامُ إِيَّامِ الزَّمَانِ بِضَرِّهِ
 أَيْدِي الْأُولَى رُزُوءُهُ شَدَّ بِنَشْرِهِ
 حُمِلَتْ لِأَقْطَارِ الْوَرَى مِنْ قُطْرِهِ
 عَنْ حَالِهِ الْمُنْبِي بِرِفْعَةِ قَدْرِهِ
 وَتَشَوَّهَتْ مِنْ فَقْدِ حِلْيَةِ عَصْرِهِ
 أَحْيَا الْبِلَادَ بِسَطِّهِ وَبِشْرِهِ
 وَأَرَادَ لِلْعُقْبَى زِرَاعَةَ بَذْرِهِ
 بِسُكُونِهَا أَمراً لِسَائِلِ وَفْرِهِ
 وَيَعُدُّ وَفَقَ الْجَاهِ طَهْرَةَ عُمْرِهِ
 لِلْمُعْتَفِي رَمِي الْحِصَمِ بِدُرِّهِ
 فَالْيَوْمَ جَاهَرْنَا الزَّمَانُ بِعَدْرِهِ
 كَتْنَاوَشِ الْمَجْدُورِ سَاعَةَ جَدْرِهِ
 مَا كَانَ مُنْتَشِراً بِمَطْلَعِ فَجْرِهِ
 إِذْ يَعْلُقُونَ بِسِرِّهِ وَبِجَهْرِهِ
 شَهِدَ الْعِيَانُ مَعَ السَّمَاعِ بِذِكْرِهِ
 كُلُّ يَهُمُّ إِلَى حِمَاهُ بِجَرِّهِ
 بَطَشَتْ مُحَاسِنُهُ بِهَامَةِ شَرِّهِ
 يَدُهُ عَلَى هَذَا الْوُجُودِ بِأَسْرِهِ
 جَلَباً لِنَافِعِهِ وَدَرَةً مَضَرِّهِ
 بِصَحِيحِ عَزْمٍ لَا يُشَابُ بِفَحْرِهِ
 نَطَقَتْ لَهُ حَالُ الْفِرَاشِ بِهَجْرِهِ

أَتَى لِمِثْلِي سَلَوَةٌ عَنْ مِثْلِهِ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ دَابِرٌ أَوْ حَاضِرٌ
 لَا تُنْكِرُوا دَمْعَ الْمُحِبِّ إِذَا انْهَمَى
 إِنْ كَانَ مَنْ نَبَكِيَ عَلَيْهِ لَأُسُوَّةٌ
 أَلَفَ الصَّلَاحَ شَبِيهَةً وَكُھُولَةً
 لِلَّهِ مَا عَمِلْتَ يَدَاهُ وَقَصْدُهُ
 لَا لِلرِّبَاءِ وَلَا السَّمَاعِ قَبُولُهُ
 فَجَزَاهُ أَضْعَافَ الْجَزَاءِ إِلَهُهُ
 وَأَعَادَ مِنْ بَرَكَاتِهِ أَبَدًا عَلَى
 فَهْنَاكَ أَتَبَّرَ كُلُّ كَرٍّ⁽¹⁾ مَا بِهِ
 هُبُّوا سَرِيعًا مِنْ غِمَارِ سِنَاتِكُمْ
 وَابْنُوا جَدِيدَ الْمَجْدِ مِنْ عَزَمَاتِكُمْ
 وَالْقُوا بِعَاسَةِ الْوُجُوهِ وَجُوهَكُمْ

إِذْ كَانَ أَهْلِي لِسَابِغِ دَرِّهِ
 أَوْ قَابِلٍ يَعْرُوهُ جَاذِبُ شُكْرِهِ
 لَا غَرَوَ إِنْ جَادَ السَّحَابُ بِقَطْرِهِ
 يُفْدَى وَيَصْلُحُ إِنْ يُسَارَ بِسَيْرِهِ
 وَشُيُوخَةٌ حَتَّى انْتَهَى لِمَقَرِّهِ
 إِثْبَاتُ ذَلِكَ فِي خِزَانَةِ دُخْرِهِ
 بِالْبَرِّ بَلْ لَيَنَالَ آجِلَ أَجْرِهِ
 وَبَيَاضَ حَرِّ الْوَجْهِ سَاعَةَ حَشْرِهِ
 نَفَرٍ يُخْلِفُهُمْ قُبَالَةَ ظَهْرِهِ
 مِنْ عُظْمٍ جُرْأَتِهِ وَشَنْعَةٍ فَحْرِهِ
 وَالْوُؤَا عَلَى النَّهْجِ الْقَوِيمِ بِإِثْرِهِ
 تَبَعًا لِحَامِلِهِ وَوَارِثِ جَذْرِهِ
 كَيْمَا يَبُوءَ الْمُسْتَطِيلُ بِخُسْرِهِ

في المديح النبوي²:

قصيدة أنشأها تلبية لنداء ابن عمه مُحَمَّد بن سيدي بوبكر بن القاري⁽⁴⁾، حيث قال في قصيدة له:

بالله يا متمسكين بدينه صلوا على الحق الشفيع الكامل

(1) الكزازة والكزوزة بالضم: اليبس والانقباض، كَرَّ فهو كَرَّ بالضم، ووجه كَرَّ: قبيح، ورجل كَرَّ اليدين: ذو كرز، أي بخل.

² ديوان أحمد الإمام دراسة وتحقيق، علي سليمان، ص 111

{الكامل}

لَبَّيْكَ تَلْبِيَةَ الثَّقِيلِ الْكَاهِلِ
لَأُصَلِّيَنَّ رِضَى بِأَمْرِكَ بَاذِلًا
وَأَقُولُ مُنْتَظِرًا لَوَعْدِ صَادِقِ
كَيْمَا يُعَامِلَنِي بِمَا هُوَ أَهْلُهُ
وَيَحْطُ أَوْزَارِي الَّتِي أَسْلَفْتُهَا
بَلْ وَالَّتِي أَحْرْتُ غَيْرَ مُرَاقِبِ
وَيُثَبِّتِ الْقَلْبَ الْمُقْلَبَ رِيثَةً
وَيُسَدِّدَ اللَّفْظَاتِ وَالْحَرَكَاتِ مِنْ
وَيُحَوِّلَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُشَوِّشِ
وَيُثَمِّمَ الْعُمَرَ الَّذِي ضَيَّعْتُهُ
وَيُهَوِّنَ السَّكَرَاتِ حَيْثُ الرُّوحُ مِنْ
وَيُيَلِّينِي فِي الْقَبْرِ قَوْلًا ثَابِتًا
وَيُقِيمَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمِنًا
وَيَمْدِدْ مَيْمَنِي لِأَخَذِ صَحِيفَتِي
وَيُجِزِّنِي كَالْبَرْقِ فَوْقَ صِرَاطِهِ
وَيُعَلِّنَا مِنْ صَفْوِ سَبْعِ حَوْضِهِ
وَيَجُودَ بِالْحُسْنَى لَنَا وَزِيَادَةَ
يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

بِصَنِيعِهِ الْمُغْرَى بِحُبِّ الْعَاجِلِ
لِلنُّصْحِ مُلْتَمِسًا ثَوَابَ الْأَجَلِ
مِنْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَيْسَ بِغَافِلِ
مِنْ فَضْلِ رَحْمَتِهِ وَلُطْفِ شَامِلِ
إِذْ كُنْتُ مُنْطَاعًا لِأَمْرِ الْبَاطِلِ
لَأَكِيدَ حَقِّي فِي الْوُضُفَةِ حَاصِلِ
أَبْدًا عَلَى سَنَنِ النَّبِيِّ الْعَادِلِ
كُلِّ امْرِئٍ وَاعِي الْوَصِيَّةِ قَابِلِ
أَغْنِي مُنَاهُ بُدُو سَوْءَةِ عَامِلِ
بِخَوَاتِمِ لِلْسَّعْدِ مِنْهُ دَلَائِلِ
بَدَنٍ لِعَالٍ تَنْتَهِي أَوْ سَافِلِ
عِنْدَ السُّؤَالِ وَرَجْرَجَةٍ مِنْ سَائِلِ
مِنْ هَوْلِ يَوْمِ قَمْطَرِيرِ فَاصِلِ
فَرَحًا بِمِيزَانِ عَلَا مُتَثَاقِلِ
كَيْمَا نُعَدَّ مِنَ الرَّعِيلِ الْوَاصِلِ
وَيُقَرَّرَ بِالرِّضْوَانِ عَيْنَ الْأَمَلِ
هِيَ غَايَةُ التُّعْمَى لِكُلِّ مُؤَامِلِ
فِي كُلِّ حِينٍ حَاضِرٍ أَوْ قَابِلِ
خَيْرِ الْأَخَايِرِ عَاجِزٍ أَوْ نَازِلِ

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 مَا دَامَ مُلْكُكَ رَبَّنَا وَمَدَادَ مَا
 عَدَدَ الْوَرَى مَضْرُوبَةً أَضْعَافُهُ
 وَعَلَى صَحَابَتِهِ وَسَائِرِ آلِهِ
 مَا غَمَّ مِثْلِي شَوْمَ سَيِّءٍ ضَعْفِهِ
 كَيْ يَجْبُرَ الْمَوْلَى انْكِسَارَ جَنَانِهِ
 وَيُئِمَّ نِعْمَتُهُ بِحَبِّ لِقَائِهِ
 وَيُزِيحَ عَن قَلْبِي الْحَزِينَ غُصَمُوهُ
 مَا قَالَ مُكْتَتِبٌ شَكَى عَثْرَاتِهِ
 بَلْ مَا تَقَاطَرَتِ الدُّمُوعُ مِنَ الشَّجَى
 هَادِي الْأَنَامِ إِلَى الطَّرِيقِ السَّابِلِ
 ذِي الْجُودِ وَالْمَجْدِ الْأَثِيلِ الْكَامِلِ
 مَنْ مَدَّ حَبْلَ الدِّينِ لِلْمُتَنَاولِ
 مَنْ نَالَ مِنْ نِعْمَاكَ أَكْبَرَ نَائِلِ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ لِيَخَافَ لَوْمَةً عَاذِلِ
 بَدْرِ الْمَحَامِدِ عُصْدَةِ الْمُتَكَاسِلِ
 مَنْ لَا تَفِي بِحِمَاةِ هِمَّةٍ قَائِلِ
 هُوَ كَائِنٌ أَوْ كَانَ غَيْرَ مُزَايِلِ
 فِي مِثْلِهِ الْمُتَوَافِرِ الْمُتَكَامِلِ
 وَالْمُحْسِنِينَ إِلَى مَقَامِ هَائِلِ
 فَهَمَّتْ مَدَامِعُهُ بِوَكْفِ سَائِلِ
 وَيَمُنُّ بِالْعُتْبَى لِعَانِ ائِلِ
 أَيَّامَ حَابٍ مِنَ الْخُلُودِ مَنَامِلِ
 بِجَلِيلَةٍ مَقْرُونَةٍ بِجَلَائِلِ
 لَبِيكَ تَلْبِيَةً الثَّقِيلِ الْكَاهِلِ
 بِصَنِيعِهِ الْمُغْرِي بِحُبِّ الْعَاجِلِ

2. إنلبش محمد السوكي:

هو ابن محمد بن ودي، أحمد، بن عبد الكريم، بن أحمد الأحمر الدغوي، جد "قبيلة كل أسكن"، ويكنى نفسه بالدغوي نسباً، والتكرور إقليماً، والسوكي بلداً¹، كما يقول في بعض منظوماته:

✓ قال محمد الدغوي النسب تَكَرُّرُ إقْلِيمٍ وَسُوقِي التَّرَبِّ

ولا تحضر لدينا سنة وفاته بالضبط، لكن المؤكد أنه عاش ما بين سنة 1113 هـ و1130 هـ، لأن التاريخ الأول يذكره في هذه الأرجوزة حين يحدد سنة وفاة المرثي بالأرجوزة.

والشيخ من أساتذة الشيخ الكبير الكنتي عندما كان يدرس لدى كل اسوك،² كما أنه من شفع للسُّنْعَائِي والطوارق لدى الجيش المغربي حين اشتد وقعه عليهم، فقبلت شفاعته.³

وله آثار علمية ظلت مقررات فيما بعد بالمنطقة، في التوحيد، والفقه، إضافة إلى هذه الأرجوزة الطويلة⁴، التي قالها في أحد إخوانه من المشايخ، والأولياء كما يصفهم/ خالد من أبناء القطب سليمان، ولا نكاد نعرف من هذه الشخصية "خالد" غير ما ورد في الأرجوزة، وعلى كل حال، تعتبر الأرجوزة أول نص ينتمي للشعر وصلنا عن كل اسوك، ولا يستبعد أن تتوفر نصوص أخرى سابقة للأرجوزة لم نعر عليها بعد.

¹ انظر: الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملثمين، العتيق سعد الدين، ص 196

² الطرائف والتلائد، محمد الخليفة، ص 21 عن المختار الكبير الكنتي العلم والتصوف بأزواد، د أحمد الحمدي، ص 95.

³ الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملثمين، ص 265 (مخطوط مطبوع على الحاسوب).

⁴ انظر: ترغيب المشوق في ذكر أشعار آل السوق، ص 250 (مخطوطة)

والنص مليئٌ بغريب لغوي، فلا يمكن فهمه إلا باستصحاب القواميس العربية، وليست فيها محسنات بدعية كثيرة، كما أنه لم يلتزم بروي واحد كما يفعل رؤبة، وأمثاله من الرجازين:

ويعتقد الباحث أن إنلبش هو نفسه مُجَّد، وبما أنه يكتب "مُجَّد إنلبش" هكذا فظن البعض أنه اسمان، فيلى القصيدة¹:

{الرجز}

أَلَا تَسْلَى يَا طُحَا الْجَاشِ عَلِي	بَائِقَةُ الدَّوَاهِي بَاقٍ وَابْتَلَى ²
فَلَا عَدَاً لِدِي سَوَى مَنْ انْخَنَاثُ	وَكُلِّ ذِي إِمَّتِهِ مِنْ انْكَرَاثُ ³
وَفِيحِ السَّرْبِ لِعُمَى دَهْمَا	فَكُلُّ مَا مَنَاهُ مَانٍ عَزَمَا ⁴
فَاسْ بِتَسْلِيَطِ الْأَسَى عَلَى الْأَسَى	فَفِيهِ مِنْ دُونِ الْأَسَى حُسْنُ الْأَسَى ⁵
وَقَدْكَ أَنَّ كُلَّ جُلَى حَزَبَا	قَدْ عَقَرْتُ أَعْظَمَ مِنْهُ الْأَرْبَى ⁶
كَمْ عَبْرَةٌ أَجْدَى رَنَى مِمَّا بَنَى	يَدُ الدَّوَاهِي كُنْ كَمَنْ بِهِ رَنَى ⁷
أَلَا تَرَى أَنَّ بِالْقُرُونِ أَجْحَفَا	وَالْبَاقِي لَا جَرَمَ أَنْ يَنْجَعِفَا ⁸
عَنْ قَوْتٍ يَعْسُوبٍ لِدَاتِهِ مَطْعُ	وَلَمْ يَكُنْ كَسِلْعِهِ فِيمَا نَفَعُ ⁹
قِرَاً نَهَى عَنِ الْمَثَالِبِ لَدَى	رَوْقِ شَبَابِهِ وَمَا تَلَدَّذَا ¹⁰

¹ القصيدة مخطوطة بخط مغربي قديم، وفي حوزة الباحث، وتوجد في ترغيب المشوق في ذكر أشعار آل السوق، زين الدين محمد الصالح، ص 90

² طخى الجاش: كروب النفس، بائقة الدواهي: مصيبة من المصائب. باقٍ وابتلى: باقت، وابتلت، حذف التاء للضرورة.

³ لا عداً: لا بد، الانخناث: الموت، الإمة بالكسر: الحالة، الانكراث: الاغتمام.

⁴ فيح: وسع، السرب: الصدر، دهمهم الأمر: غشيه.

⁵ الأسى بالضم: جمع أسوة، وجمع أس في الشطر الثاني من البيت، من أسوت الرجل إذا داويته، فأنا أس، الأسى بالفتح: الحزن، في الشطر الأول، وفي الثاني الطب.

⁶ قدك: حسبك، جلى: أمر جلى، الأربى: الداهية.

⁷ رنى: المنظر إليه، رنى إليه: نظر إليه.

⁸ أجحف بهم الدهر: استأصلهم، انجحف: انقلع.

⁹ يعسوب: في الأصل الغصن، والمقصود هنا كما في الحديث: (هذا يعسوب قريش في الباطل أي: سيدهم) // اللدات: الإقران، مطع: سبق، لم يكن كسيلة: كمثل.

¹⁰ قرأ: الناسك، المثالب: العيوب، روق شبابيه: أوله، ما تلدد: ما تقلب يمينا وشمالا.

وَعَنْ دُنُو نَفْنَفٍ وَتُرْهَاتٍ	كَذَلِكَ احْتِجَانُهُ لِلْحَكَاكَاتِ ¹
وَجَائِدٌ تَأْهَأُ لِلْبَارِي	أَنَّه جَرَّ رَخِيخِ النَّارِ ²
وَهَاجِدٌ بِالذِّكْرِ حَيْثُ خَرَّخَا	وَأَنَّهُمَكَتَ قَوْمُ حَلَايِسِ الْكَرَى ³
وَهُوَ يَهْدُ وَيُهْذِرُ كَمَا	دَرَبَ فِي تَثْوِيرِهِ مُعْلِمًا ⁴
وَاهًا لِسَرَوِهِ وَسَمْتِهِ الْأَنِيقُ	وَأَنْفَقَ نَافَتْ عَلَى مَا لَا يَلِيقُ ⁵
صُرْعَةً يَزْرُقُ مَنْ حَيْثُ شَرَى	طَاشَ بِمَنْهَاقِ الْفَنَامِ وَالْأَرَى ⁶
وَبَحْتُ إِسْجَاحٍ لِمَنْ لَهُ جَبَّةٌ	لَمْ يَتَجَهَّمَنَّ مُؤْتَبَةً ⁷
وَذُو بَشَاشَةٍ وَكَشُرٍ مَا اكْفَهَرَ	وَلَا لِعِزِّهِ كَهْرٌ وَلَا زَبْرٌ ⁸
وَلَيْسَ بِالصِّلَفِ الْغَرِيرِ الْعَاتِي	وَلَا بِصَعَّارٍ عَرِيضِ اللَّيْتِ ⁹
وَهُوَ إِذَا التَّرْتَارُ كَانَ بَقْبَقًا	وَبَذَرَابَةٍ الْإِلْسَانِ فَيَهَقًا ¹⁰
لَيْمٍ عَنْ فَمٍ يَفْوُهُ بِالْحَلَا	لَمْ يَتَعَوَّدِ التَّجْهُّمَ بَلَى
قَلْبٌ يُلْطُ الْقَلْبَ عِنْدَ الْقَلْبِ	فَالسَّبْرُ دَالَةٌ لِدَخْلِ الْخَبِّ ¹¹
بُنْدٌ عَلَى فَحٍّ بِكُلِّ وَضْمٍ	وَأَفِيحُ الْجَاشِ بَطِيطُ الشِّيمِ ¹²
مَنَارَةٌ تَتَوَرَّتُهُ الْخَافِقَانُ	مَا حَمَدَتْ مَا احْتَلَفَتْ الْأَبْرَدَانُ ¹³
لِذَاكَ طُمَحَتْ بِهِ أَرْسَالًا	جَلَابِبُ الْأَصْقَاعِ لَا مُحَالًا ¹⁴

¹ النفنف: الهوى، الاحتجان: الاجتناب، الحككات: المآثم.

² أنفة: كثير الأنين، الزخخ: ارتفاع درجة حرارة النار.

³ يهذ ويهذرم: يسرع في القراءة، الخرخرة: صوت النائم، والمختنق، الحلايس: جمع حلبس: الملازم للشيء، الكرى: النوم.

⁴ درب: اعتاد.

⁵ السرو: المروءة، أنفة: تسكين للأنفة بالتحريك.

⁶ الصرعة: الرجل الحليم عند الغضب، شرى: غضب، المنهاق: العقل، الفنام: الجماعة من الناس، الأرى: لغة في الورى: الناس.

⁷ بحث: محض، إسجاح: العفو، جبّة له: قابله بما يكره.

⁸ اكفهَرَ: عيس، زبرت الرجل: انتهرته.

⁹ الصلف: الذي يجاوز حده، العاتي: قاسي القلب، الليبت: العنق.

¹⁰ بقى: الرجل البقياق: ذرب اللسان، فيهق: توسع في الكلام، وتقعر.

¹¹ القلب الأول: المحض من كل شيء، الثاني: تغليب الشيء، الثالث: القلب المعروف، يلط: يلصق، الدالة: ما يدل الرجل به على

حميمه، وهي بالتخفيف، دخل بالتسكين: العيب، الخب: الفاجر.

¹² بُند بضم الباء: العلم الكبير في الفارسية، فحّ: الخالص من كل شيء، الوضم: العيب، أي: الخالص من كل عيب. أفيح الجاش: واسع النفس، بطيط: عجيب.

¹³ الخافقان: طلوع الشمس، وغروبها، الأبردان: يقصد بهما الليل والنهار.

¹⁴ طمحت: شخصت، جلابب الأصقاع: أجناس النواحي.

جُنُبْدَةٌ	حَشْدٌ	بِهَا	قَدْ	حَفَلَا	مِنْ	حَامَةٍ	وَشَاسِعٍ	تَقَهَّلَا ¹
فَكَمْ	أَوَى	لِعَاهِنٍ	وَزَرَدَا	لَدَيْهِ	عَائِلٌ	لَهُ	وَرَفَدَا ²	
وَفِي	المطالعة	أَحْوَذِي	وَمَنْ	يُجَارِهِ	فَأَخْرِي ³			
وَمَارَسَ	التثوير	بالمعرون	حَتَّى	تَبَحَّرَ	مِنْ	الْفُنُونِ		
وَسَبَقَ	الْحَذَّاقَ	بالمعون	فَتَثَقَّ	لَدَى	الْجَرَاءِ	بِالْعُنُونِ ⁴		
وَمَنْ	يُخَالِجُهُ	فَإِنَّهُ	اِخْتَلَجَ	وَعَالَةً	الْمُخَالِبِينَ	قَدْ	حَدَجَ ⁵	
وَعَنْبَسَ	أَحَجَنَ	حَيْثُ	بَصَبَصَا	تَرَى	الْمَوَارِبَ	لَهُ	إِنْ	وُقَصَا ⁶
قَمْنٌ	لِذِي	الْإِلْفِ	الصَّمِيمِ	وَعَلَقَ	لَوْلَا	حَدِيثٌ	لَيْسَ	مِنَّا
أَنْ	يَبْكِي	الْأُسْتَاذَ	بِالْعَوِيلِ	مُسْرِبَلًا	لِلْكَرْثِ	كَالْهَبُولِ ⁷		
وَتَنْهَمِي	عَيْنَاهُ	بِالْعَبِيطِ	ثُمَّ	بِمُهْلَةٍ	لِحَقِّ	الْلَبِيطِ ⁸		
فِيهِ	وَأَجَلَ	ثَلْهَةً	قَدْ	فَتَقَا	لَمْ	يَبْقَ	مَنْ	يَسْكُرُهَا
وَمَنْ	يَكُونُ	الْطَّمَّ	لِلْفُنُونِ	عَنْ	عَيْقَةٍ	يَعْمِي	بِكُلِّ	نُونٍ ⁹
وَمَنْ	يَكُونُ	قَيْنَهَا	تُلْفَى	بُرَى	لَدَى	رِتَاجِهِ	وَيُتْقِنُ	بِرَى ¹⁰
وَمَنْ	تَقَطَّعَتْ	قُبَالَةَ	الْغَرِيبِ	وَشِسْعُهُ	لِكَيِّ	يُشِرُّهُ	الْغَرِيبِ ¹¹	
وَمَنْ	لِغَوْغَاءٍ	أُنَاسٍ	ادَّجَ	مِنْ	غَيْهَبِ	التَّقْلِيدِ	فِي	الدِّينِ
وَمِنْ	تَأْلَافِهِمْ	مَنْ	التَّقْلِيدِ	فِي	أَصْلِ	دِينِهِمْ	أَيِّ	التَّوْحِيدِ ¹²

¹ الجُنُبْدَةُ: القبة، الحامة: الأقارب، والشاسع: البعيد، تقهلا: ساء، يقصد أنه مكان مرتفع يقصده كل الناس، أقارب، وأبعد، ويحتفلون لديه،

² العاهن: الفقير، زرد: ابتلع، عائل: مسكين.

³ الأحوذى: المشمر، أخري: من يأتي آخر القوم بطيئا.

⁴ المعون: معن الفرس: إذا تباعد في عدوه، الجراء: العنود، الظهور على القرين المتسابق.

⁵ يخالج: ينازع، اختلج: أقطع عنه، حدج: يقول: خدجت الناقة ولدها قبل تمام الأيام.

⁶ العنيس: الأسد، أحجن: أحجم، بصبص: حرك ذنبه، وقص: كسر.

⁷ الكرث: الهم، الهبول: التكلول.

⁸ العبيط: الدم الخالص الطري، المهلة: القيق والصديد، الليط: الحب اللازم للقلب.

⁹ وأجل: لأجل، منصوب بنزع الخافض، ثلهة: الخلة العظيمة في الحائط، يسكرها: يسدها.

¹⁰ الطم: البحر المتلاطم، العيقة: الساحل، يعمي: يرمي، النون: الحوت.

¹¹ قينها: أي حداد الفنون، بُرى: جمع برة، رتاجه: لدى باب داره، برى: بالكسر: بري الأقلام.

¹² قبالة: النعل، الغريب الأول: البعيد المغترب، يشر: يظهر له، الغريب الثاني: المجهول من العلوم، يقصد: كم تنقطع نعال الطالب

الغريب إليه، كي يظهر له الغامض من العلوم.

¹³ ادجل: سار آخر الليل، غيهب: العمق المظلم،

فَأَلَّفَ المقدماتِ نَفَعْتُ
وَمَنْ يَكُونُ مُطْرَقًا لِمَنْ طَلَبَ
وَمَنْ مِنَ الْعَشْرِينَ قَدْ تَمَهَّرَا
وَمَنْ يَكُونُ الشَّيْخَ لِلْخَصِيصَى
وَمَنْ لِيَغَامِضَ يُرَى إِقْلِيدًا
وَمَنْ لِيَجْرِشَ لَائِثٌ قَدْ تَهَمَّأَا
وَمَنْ إِذَا أَكْذَتْ وَعَيَّتْ أَكْرَهَ
وَمَنْ يَكُونُ لِارْتِجَالِ الْخُطْبِ
وَمَنْ إِذَا خَاصَرَتْهُ فَقَدَتْ مَا
لَا غَرْوُ أَنْ يَكُونَ بَدْءُ النَّبَلَا
لِأَنَّهُ وَرَأَى السَّرَاتِ الْأَتَقِيَا
مِنْ ضَيْضِي الْحَبْرِ الْوَلِيِّ الصُّوفِي
آبَاؤُهُ أَيْضًا فَهُمْ دُهَاتُ
أَقْيَالُ أَنْعَمُوا لَنَا بِالزَّيْنِ
كَمْ وَهَبُوا عَقَائِلَ الْأَمْوَالِ
جَزَاهُمْ رَبِّي وَلَكِنْ غَمَدَا
أَعْنِي بِهِ "خَالِدًا" التَّحْرِيرَا
لَا طَفَهُ اللَّهُ لَهُ وَسَاعَدَا

إِذْ بِالنَّصِيحَةِ فَقَطُّ اقْتَرَحْتُ
بِنَظْمٍ مَنثورٍ وَقِيدٍ مَا عَزَبْتُ
وَبِالْإِفَادَةِ جَزَى قُلُّ لِلْبَرَى¹
يُجَدِّهِمْ نُفَا الْعُلُومِ نَصًّا²
يُتَقَنُّ سَنَّا حَيْثُ سَنَّ الْعُودَا
حَتَّى يَنْفِي بِمِطْعِهِ قَدْ نَجَمَا³
نَقَرَ بِالْمَعُولِ جَا بِالنَّقَرَةِ⁴
وَالشَّعْرِ كَمْ مَجَلَّةٍ مِنْهُ حِي
سِوَى الَّذِي يَقِيكَ مِنْ غَمَصِ الْعَمَى
وَبِالْمَنَاقِبِ الْحِسَانِ ذَا حُلَى
أَبْنَا أَبِي بَكْرٍ ثِقَاتُ الْأُولِيَا
سُلَيْمَانَ الْقُطْبِ عَلِي الْمَعْرُوفِ⁵
وَأَرْبَاءُ فَهُمْو سَرَاتُ
أَهْلَ الْعَبَا عَنَّا وَمَنْحِ الْمَنْ⁶
وَأَتَّخَفُوا طَرَائِفَ الْأَحْمَالِ
إِلَى لِمُوسَى وَابْنِهِ مُحَمَّدًا⁷
مَضَى وَلَمْ نَحْذَ لَهُ حَظِيرًا⁸
وَأَخْلَفَ الْيَدَ لَنَا تَعَمُّدَا

¹ البرى: البرية.

² الخصيصى: الخاصة من الناس. نُفا العلوم: خيارها.

³ الجرش: الخشن، اللانث: الملتبس، المطع: التمليس، أي: هو يحب الخشن، العويص من العلوم، ويزاوله حتى يلينه، ويظهرها واضحا جليا.

⁴ الأكرة: الحفرة، أكدت: استعصت، نقر بالمعول: بحث بالفأس العظيمة، النقرة: الفضة المذابة، البيت الثاني تكرر للأول في المعنى.

⁵ الضئضى: الوسط، أرباء: جمع أريب، العاقل.

⁶ أقيال: جمع قيل: ملك، الزين: الدفع، المن: النعمة، أي: هم قادة يدفعون عنا البلاء، ويمنحوننا النعم.

⁷ إلى: نعمة، وجمعه: آلاء،

⁸ خالد: هو الشيخ المتوفى، الذي تربيته الأرجوزة، النحرير: الحاذق، الخطير: النظير.

وَلَا يَلُوثُ الْخَيْرَ مِنْ بَرَكَتِهِ
 فِي سِرِّ الشَّوَالِ فَاطَ إِنَّا
 سَنَةَ "شَقِيجٍ" مَضَتْ مِنْ هِجْرِهِ
 وَأَنْسَنَ سَبْتِ مُقَامِ الْبَرْزَخِ
 وَخَفَّفِ الْوَقُوفَ وَالْحُسَابَا
 وَأَثْقَلَنَ مِيزَانَهُ وَجَاوِزَ
 وَأَحْلَدَنَ فِي الْخُلْدِ رَبِّي "خَالِدٌ"
 مُجَاوِرًا لِلْمُصْطَفَى الْمَعْظَمِ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ قُدُمًا وَأُخْرَى
 ثُمَّتْ آلُهُ مَعَ الْأَصْحَابِ
 عَنَّا وَعَنْ أَوْلَادِهِ وَحَامَتِهِ
 لِلَّهِ عَزَّ وَلَهُ رَجَعْنَا¹
 وَعَاشَ "جَمَّ" سَنَةٍ فِي السُّنَّةِ²
 وَوَسَّعَ الْجَنْنَ قَيْدَ الْفَرْسَخِ³
 لَهُ وَبِالْيَمِينِ هَبْ كِتَابَا
 لَهُ وَشِيكَا الصِّرَاطِ الْحَاجِزِ
 وَابْنِ جَنَابِدٍ لَهُ هُوَ تَالِدٌ
 وَارْزُقْ لَنَا الْلِقَا بِذَاكَ الْمُنْعَمِ
 عَلَى النَّبِيِّ وَالسَّلَامُ تَتَرَى
 النَّاقِلِينَ طُرُقَ الصَّوَابِ

¹ سرر الشوال: آخره، فاطم: مات.

² شقيج: رموز إلى تاريخ وفاة الشيخ خالد: ش: ألف، ق: مائة، ي: عشرة، ج: ثلاثة، أي سنة ألف ومائة، وثلاثة عشر للهجرة. "جم"

³ سبت: قطعة من الدهر، أي: أنسه طيلة إقامته في البرزخ، الجنن: القبر،

3. مُجَدَّ دَانِيَالُ السُّوْكِي

هو الشيخ محمد بن دانيال بن مُجَدَّ بن أحمد بن كَلِكْ بن القاضي مُجَدَّ بن القاضي أحمد المعروف أكل بن الشيخ مُجَدَّ وانكَلْ بن الزبير بن باب بن أحمد الأحمر الحسني الدغوشي، ابن عم إنلبش السابق، ووصفه العلامة الشيخ مُجَدَّ بن الهادي السوقي في بعض رسائله إليه بقوله (عالم الملة)⁽²⁾، و توفي رحمه الله تعالى في عام 1314هـ في مكان يعرف باسم إِبْوِيل في إقليم أنسنجو حالياً.

وقد اتخذهُ سلطان سلاطين الطوارق في زمانه إمامه، وقاضيه، وعمدته في الشؤون الدينية، والاجتماعية، له رسائل عديدة ، وأشعار فمن مؤلفاته : "ردع الأقران عن التحكم في أحكام القرآن"، "رسالة في تحريم الزوجة"، " الغواصي والسراري في الرد على سيدي العابد الأنصاري"، " الألفظة .وهي رد على الشيخين مُجَدَّ بن الهادي السوقي ، والشيخ سيب الأماسيني . رحمهما الله"، " الرد على رجل من ملخيا اسمه عبدُ بن حَمَسَّ"، " الحجالة"⁽¹⁾ .

وشعره ينتمي إلى شعر العلماء في زمانه، يخلو من المحسنات اللفظية، ويهتم بأداء المعنى مباشرة، وتكثر فيه النزعة الدينية، والدفاع المستميت عن سطنته "إَوَلَمَدْن" الي كان من قضائهما، وأعمدتها العلمية، ويبدو من شعره أنه لا يكاد يفارق مجلس "السلطان" الإنصار، وكل ما وصلنا من شعره سندونه هنا¹:

(2) انظر اللفظة لصاحب الترجمة . مخطوطة .

(1) لم أر هذا التأليف وإنما وقفت على اسمه في مذكرة التاريخ للشيخ محمود بن أحمد الحسني الإغشري ناقلا عن محدث المدينة الشيخ حماد الأنصاري : أن أصل الطوارق من " نزغ " قال الشيخ حماد الأنصاري نقل هذا الكلام من كتاب اسمه " الحجالة " صنفه محمد بن دانيال . قال محمود : وهو أكبر مشايخ الدين من قبائل السوقيين عاش قبل الاستعمار الفرنسي واسم قبيلة حماد والشيخ مصنف الكتاب المذكور اسمها (إجدش)¹ الترجمة وشعر الشيخ مأخوذان من مجموعة شعرية أهداها لي ابن عمي عبد الحكيم المصطفى، سماها "هدية من عبد الحكيم بن المصطفى إلى ابن عمه محمد بن محمد الحسني". ص 1 إلى 16

1. قال يخاطب سلطان سلاطين الطوارق "الإنصار" ويدعو له بالنصر:

{البسيط}

و"سورة الفتح" عونه إذا طلبا¹
 كتاب "قُدَّامُهُ" إنَّ حَلَّ أَوْ رَكِبَا
 سِين "تَكْفِيَانِهِ" الَّذِي رَهَبَا
 مَلِكُ الْعَظِيمِ مَجْنُهُ إِذَا ضَرَبَا
 فِي أَمْرِهِ رَغْبًا فِي الْأَمْرِ أَوْ رَهَبَا
 وَمَنْ غَدَا فِي جَوَارِ الْخَالِقِ احْتَسَبَا
 قَ النَّاسِ مِنْ جَنْبِ نَاءٍ وَمَنْ قُرْبَا
 كَافِي بِهِ كُفْيِ الشَّيْطَانُ إِذْ خَلَبَا
 وَحِيَّهَ آمَنَّا إِنْ يُسْلَبِ الرُّتَبَا
 رَيْبُ الزَّمَانِ وَلَمَّا يَغْلِبِ الْغَلَبَا
 فَعِ بَرَكُوبِ كُلِّ مَا رَكِبَا
 حَلُّوا كَثِيرًا عَلَى ظَلَمِ الضَّعَافِ "حُبَا"²

باسمِ الإلهِ على (الإنصارِ) إنَّ طَلَبَا
 و"قُلْ هُوَ اللَّهُ" فَوْقَهُ و"فَاتِحَةُ" الـ
 و"سُورَةُ الْمُلِكِ" خَلَقَهُ و"سُورَةُ" يَا
 وَقَوْلُهُ الْحَفُّ رُكْنُهُ الْقَوِيُّ وَلَهُ الـ
 وَمَعَهُ "سُورَةُ الْأَنْفَالِ" تُسَعِّدُهُ
 أَدْخَلْتُهُ فِي جَوَارِ اللَّهِ خَالِقِهِ
 وَحَصْنُهُ وَصَفُهُ الْقَاهِرُ يَقْهَرُ فَوْ
 وَحَرُّهُ وَصَفُهُ الْهَادِي وَمَعْقَلُهُ الـ
 يَا نَاصِرُ انْصِرْهُ نَصْرًا لَا زَوَالَ لَهُ
 وَأَمَّنَّا إِنْ يَمْسَهُ بَدَاهِيَّةُ
 يَا رَبِّ سَحَرْ لَهُ كُلَّ "التَّوَارِقِ" وَاذْ
 وَاهِدِ الْجَمِيعَ صِرَاطَكَ الْقَوِيمَ وَلَا

¹ "الإنصار": الزعيم الأكبر لسلطنة إولمدن، والد الزعيم فهرون الذي قاوم الاستعمار الفرنسي، ثم تفاوض معه، حتى الصلح، حفيده
 "بَجْن" نائب في البرلمان المالي حاليا.

² هكذا وجدتها، ولا يظهر لي معناها في هذا السياق

2. عتاب واعتذار:

أرسلها إلى أخيه، وزميله مُحَمَّد بن الهادي، وكأنه حصل سوء تفاهم بينهما، فأنشد:

{الكامل}

أَبْلُغْ لَدَيْكَ مُحَمَّدَ بْنَ الْهَادِي	مَيِّ سَلَامًا فَائِحًا كَالْجَادِي ¹
وَتَحِيَّةً تَشْفِي عَقَابِيلَ عِلَّةٍ	مِنْ رَائِحٍ مِنْ تُهْمَةٍ أَوْ غَادٍ ²
وَمَوَدَّةً مَا شَأْنُهَا مِنْ شَائِنٍ	مِنْ غَائِبٍ عَنْ أَعْيُنٍ أَوْ بَادٍ
أَقْسَمْتُ جُهْدًا بِالشَّعَائِرِ وَالْمَشَا	عِرِ وَالْمَعَاشِرِ أَوْ "عَبُوءًا" لِجِهَادٍ ³
مِنْ كُلِّ أَرَوَعٍ بَاسِلٍ لَا يَدَّرِي	بِقَرِينَةٍ عِنْدَ اقْتِحَامِ مِبَادٍ
فَوْقَ الْحَنَايَا الضَّامِرَاتِ تَرَاهُمْ	صُبْرًا لَدَى تَسْعِيرِ نَارِ جِلَادٍ
مُسْتَشْعِرِينَ وَلَا الْوَنَى يَنْبُو بِهِمْ	كَلَّا وَلَا يَخْشَوْنَ كَيْدَ الْغَادِ
أَوْ صَافِنَاتٍ يَسْتَبِيحُنَّ حِمَى امْرِئٍ	ضَلَّتْ بِهِ الْحَوْبَا سَبِيلَ رِشَادٍ ⁴
صَبَّخْنَهُ فَاسْتَوَصَلْتُ مَا عِنْدَهُ	قُبُ الْبَطُونِ نَوَاشِرُ الْأَلْبَادِ ⁵
فَأَتَوْا عَلَى قَدَرٍ وَكُلُّ رَاحِلٍ	أَوْ رَاكِبٍ فِي قَصْدِهِمْ مُتِمَادٍ
مِنْ كُلِّ فَجٍّ يَشْهَدُونَ مَنَافِعًا	لَهُمْ مِنْ أَمْرِ مَعَاشِهِمْ وَمَعَادٍ
أُمِّ بِالْمَسَاجِدِ بِالْمَحَافِلِ عُمِّرَتْ	مِنْ عَاكِفٍ فِيهِنَّ أُمٌّ مِنْ بَادٍ

¹ الجادي: الزعفران.

² عقابيل: بقية المرض، وتقال: للداهية أيضا.

³ "عبوا" هكذا وجدتها، والظاهر أن الصحيح: "هَبُوا لِجِهَادٍ" أي ذهبوا مجيبين لنداء الجهاد، وأعتقد أنه من تصحيف النساخ.

⁴ الحوباء: النفس.

⁵ قُبُ البطون: وصف يستحسن لبطن الخيل، وهو الضمور، نواشد الألباد: بارزة الألباد، والألباد جمع لبد، والشاعر أخذ البيت من الشاعر القديم

القاتل: جلب الجياد من العراق شوازا قُب البطون بجلن بالألباد

وقال آخر: قُب البطون من التعداد قد علمت أن كل عام عليها عام إلجام

انظر كتاب أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام، لأبي المنذر بن بشر الكلي، ص 62

ما قلتُ ذاكَ اليومَ ما قدَ قلته
 بلْ نصُّ مدحٍ ، والتَّأوُّلُ ضيقُ
 ما خلَّته يَخْفَى على بادٍ دوى
 شهم الجنانِ مدرِسٍ ذي مسكَةٍ
 إنَّ الكتابَ أردتُه فأعرته
 هل أنتَ أمْ ذاكَ الصَّنِيعُ أمِ الكتا
 حاشا واللهِ المحامدُ كلُّها
 لكن وربَّ العرشِ والكُرسِيِّ ما
 ومحامِلُ الأقوالِ إنْ لمْ تَسْتَبِنْ
 لاسيَّما إنْ لمْ يَكُنْ فيها احتِمًا
 هذا ولكنْ ما أرادَ اللهُ لا
 إنْ كنتُ جئتُ بما يَسوؤُكَ حَقْبَةً
 كَلَّا على أيِّ ولو قدَ قلته
 فَعَوَّاصِفُ الأرواحِ كُرُّ مرورها
 شَرَوَاكُ أكرمُ عندنا أنْ لَا نرى
 لاسيَّما أيِّ اسْتَبْنَتْ خالاه

في مَعْرِضِ التَّعْبِيرِ والإِفْنَادِ
 فالرَّيْبُ منكُ أَحَقُّ باستِبعادِ
 فضلًا على فِطْنٍ بَصِيرٍ شادٍ
 بالعلمِ والتَّقْوَى طلوعِ نجادِ
 فأفدتُ بوركَ فيك أي مفاد
 بْ أريدَ هجوا ذَا صريحِ عِنادِ
 أنْ أَسْتَبِيحَ حِمَاكَ وسطَ النَّادِ
 زَكَّيْتُ نفسي بالتَّقَى وسدادي
 حُمِلْتُ على حُسْنٍ لَدَى الأجوادِ
 لُ فالمَلَامُ إذنْ على النُّقَادِ
 يَعدو مواقفَ مُقْتَضَاهُ العادِ
 فأنا بذاك كَحِيَّةٍ في الوادِ
 فالحرُّ يُكرِّمُ عن جفاءِ مبادِ
 لا تَعْتَدِي يومًا على الأطوادِ
 حقًّا له متبَّتِ الأوتادِ¹
 فوجدتها لا بدَّ وفقِ مُرادِ

¹ شروى : بمعنى مثله . أي مثلك أكرم .

يَمْشِي عَلَى النَّهْجِ الْقَوِيمِ مُرَاعِيًا
 هِيَهَاتَ أَذْكَرُهُ بِسَوْءٍ بَعْدَ مَا
 عَهْدِي بِهِ خَلًّا حَبِيبًا صَادِقًا
 هَشَّ الْمُحْيَا ذَا مَآثِرٍ جَمَّةٍ
 أَمْ كَيْفَ أَقْدَحُ فِي نَزِيهِ غَافِلٍ
 أَوْلَا فَأَيْنَ عَنِ السُّكُوتِ بِحِيلَتِي
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا أَهْدَى الْفَتَى
 وَالْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَا صَفَحَ النَّبِيَّ
 مَتَّى إِلَى تِلْكَ الْمَحَافِلِ كُلِّهَا
 لَمَّا لَفِ الْأَسْنَى الْقَوِيمِ الْعَادِ
 أَغْنَى مِنْ اسْتِبْشَارِهِ وَوَدَادِ
 فِي حَيِّهِ ، مُسْتَسْلِمًا لِقِيَادِ
 أَثَرْتُ عَنِ السِّنَةِ لِبَعْضِ بِلَادِ
 عَنْ عَوْرَتِي ، وَاللَّهُ بِالْمُرْصَادِ
 وَالصَّفْحِ مِنْ شَيْمِ النَّبِيِّ الْهَادِ
 أَزْكَى سَلَامٍ لِلْفَتَى كَالْجَادِ
 لَهُ الْبُرُّ عَنْ هَفَوَاتِ أَهْلِ وَدَادِ
 أَسْنَى سَلَامٍ مَدَّةَ الْأَمَادِ

3. في ابتهالات لدفع البلاء، وتخصيص السلطان "الإنصار" بالدعاء:

{الكامل}

يَا رَبِّ يَا ذَا الْبَطْشِ يَا قَهَّارُ
 يَا ذَا الْعَزِيزِ الْمَالِكِ الْمُلِكِ الَّذِي
 أَنْتَ الْكَرِيمُ عَنْ أَنْ تَرُدَّ مَسَائِلَ الْمَـ
 أَنْتَ الْمُعِينُ الْمُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى
 إِنَّا بِبَابِكَ وَاقِفُونَ وَهَلْ يَرَى
 إِنَّا أَحَاطَ بِنَا عَدُوُّ جِهَاتِنَا
 بِكَ نَسْتَعِينُ عَلَيْهِمْ فَارْدُدْهُمْ
 وَبِكَ اسْتَجَرْنَا مِنْ جَمِيعِ شُرُورِهِمْ
 قَدِّرْ عَلَيْهِمْ دَائِرَةَ الشُّوءِ لَا
 سَجَدْتُ لَكَ الْأَحْجَارُ وَالْأَشْجَارُ
 خَشَعْتُ لِعِزَّةِ عِزِّهِ الْأَبْصَارُ
 لِمَهْوٍ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الدَّارُ
 مَا كَلَبْتُنَا جَهْدَهُمْ أَغْيَارُ
 مَا فِيهِ لَمْ تَنْجَحْ لَهُ الْأَوْطَارُ
 وَلَطَالَمَا وَقَعُوا بِنَا وَأَغَارُوا
 عَنَّا إِلَى أَنْ تَأْمَنَ الْأَفْطَارُ
 يَا مَنْ يُجِيرُ وَلَا عَلَيْهِ يُجَارُ
 تَنْفُكُ بَعْدُ عَلَيْهِمْ تَنْدَارُ

واشغَلْهُمْ عَنْ أَرْضِنَا بِسَوَاهِمُوا
 وَاغْفِرْ لَنَا كُلَّ الذُّنُوبِ وَجَنِّبْنَا
 وَافْتَحْ لَنَا أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ الَّتِي
 وَاحْفَظْ بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعَهُمْ
 وَمِنَ الزَّلَازِلِ وَالزَّعَازِعِ وَالْعِدَا
 وَانصِرْ وُلَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَقِيهِمْ
 وَأَمَدَّهُ بِدَقَائِقِ الْأَسْمِ الَّذِي
 وَاخْلَعْ عَلَيْهِ لِبَاسَ عَزِّكَ وَاكْسِهِ
 وَقِهِ غَوَائِلَ كُلِّ مَارٍ مَارِدٍ
 وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا كَرِيمُ بِتَوْبَةٍ
 وَاجْعَلْهُ عَادِلَ قَوْمِهِ حَتَّى يُرِيدَ
 وَانصِرْهُ نَاصِرُ يَا قَوِيٌّ فَإِنَّهُ

يَهُمُّ يَضِيرُ كَمَا بَنَا قَدْ ضَارُوا
 مِنْ كُلِّ بَائِقَةٍ لَهَا أَثَارُوا
 مَنْ يُؤْتِيهَا تُفْتَحُ لَهُ الْأَسْرَارُ
 مِنْ كُلِّ مَا تَجْرِي بِهِ الْأَقْدَارُ
 وَاجْبُرْ كَسُورَ الْكَلِّ يَا جَبَّارُ
 بِقَوَاكٍ مِنْهُمْ عَبْدُكَ (الْإِنْصَارُ)¹
 حَفَظَ الْوُجُودَ بِهِ فَكَانَ قَرَارُ
 أَبَدًا دُرُوعَ الْقَهْرِ يَا قَهَّارُ
 وَمِنَ الْعَدُوِّ اسْتُرْهُ يَا سَتَّارُ
 وَعَلَيْهِ حَتَّى تَغْفُوَ الْأَوْزَارُ²
 حَ النَّاسَ مِنْ ظَلَمٍ لَهُ اسْتَمْرَارُ
 لَهُ الضَّعِيفُ وَمَا لَهُ أَنْصَارُ

¹ "وَقِيَهُمْ": هكذا وجدتها مكتوبة، وهكذا يدعم الوزن، إلا أن الكلمة نحويًا لم تَجِرْ على السنن المعروفة، فـ"فعل الأمر من "وقي" يجزم بحذف الياء، ولا يبقى إلا "ق"، مثل قوله تعالى: {...قُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا...}، وهنا أثبتت القصيدة الياء في الكلمة.

² حتى تغفو الأوزار: حتى تمحى الذنوب

وافسخ له في عمره وتولّه
 بمكان أحمد منك يا ربّ الورى
 هم أنبياءك والملائك كلهم
 ومن الذي نشكوا إليه علاتنا
 يا الله يا تواب يا سند الورى
 يا ربّ يا رحمان يا حنان يا
 صلى الإله على النّبى محمد
 في صحبه أهل السّباق ولم يصنع

وصحابه من إليه ثاروا
 ومكان من هم سادات أبرار
 ثمّ الصّحابة من بحقّ ساروا
 بل من إليه في الدّعاء يُشار
 يا من له الإيراد والإصدار
 منّا يا ستار يا غفار
 هو عبده وحبّيه المُختار
 أحد سواهم ذاك الأنصار

تقريظ شرح مُحمَّد ميدي على قصيدة مُحمَّد بن سيدي بوبكر:

{البسيط}

ما شاءَ ربي لا حول ولا حيل	إلا إليه ولا حلى ولا خلل
إلا التقي وأمن الناس أنفعهم	لناس بالعلم تستهدي به الحلل
إيه وشرهم من في الهوى ذهب	به الأمانى لا علم ولا عمل
العلم منفعة للغبي مقنة	يغني من الفضل ما لم تغنيه الإبل
وهو القيادة للمستمسكين به	قلادة لذويه إن هم عطلوا
وكم ذليل به قد نال مرتبة	وكم به ارتفع الأقوام قد حملوا
لكنما العمل المبرور زينته	بأن يكون على ما كانت الرسل
وآفة العلم أن يكون مجلبة	للعجب في نيله أو تتبع السبل
وأن يطاع الهوى فيه ويعلو لد	أقوام صوت جدهم لينجدلوا ¹
وأن يكون على النقول مجترئ	مولاه يجري على عمياء ما نقلوا
هذا وإن محمد بن قد سبقا	أهل الزمان لباب فرده جمل
هذا بقافية غراء معجبة	وذا بشرح لها ما شأنه خطل
لله درهما إذ جد جدهما	وذكرانا الذي قامت به الأول
قد حققا وتحققا إذا اتفقا	على توحيه لم يمسسهما ملل
لا شل عشرهما لا ثل عرشهما	دهواء لم تكفيها رقى ولا عمل
ما أنس لا أنس ما قد أحيا سننا	مات وما خلفها نعت ولا بدل

¹ في النسخة المعتمدة "لينجدلوا" بالذال المعجمة، ولا أظن ذلك صحيحا.

نَضَوْتُمَا الْقَوْمَ أَهَلُوا نَفْسَهُمْ
 ضَلَّتْ خَتْمُهُمْ وَهَلْ يُرَى ثَمَرُ
 أَيَحْسَبُ النَّكْسُ أَنْ يَخْطَى بِمَرْتَبَةٍ
 لَا تَنْسِيَانِي فِي الدَّعَاءِ جَهْدُكُمَا
 عَلَيْكُمَا مَيِّ التَّسْلِيمِ يَقْدُمُهُ
 مُحَمَّدٌ فِي صَحَابِهِ وَعِثْرَتُهُ
 لَذَا عَلَى أَهْمَ بِالْعِلْمِ مَا اشْتَغَلُوا
 بَلَا نَخِيلٍ وَهَلْ يَشْتَرِشُخِ الْجَبَلُ
 لَمْ يُوْثَّهَا بِأَمَانٍ دَوْلَهَا أَمَلُ
 وَذَلِكَ أَفْضَلُ مَا أَمْرِي بِهِ يَصِلُ
 أَصْفَى الصَّلَاةِ عَلَى الْمُخْتَارِ يَنْسَدُّ
 مَا أَدَتْ الْكُتُبُ بَيْنَ الْإِخْوَةِ الذَّلِيلُ

1. في أدعية أخرى تبدو في أيام شديدة سياسيا على سطلنتهم:

{الكامل}

يَا رَبِّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا
 وَاسْتَرْ لَهَا كُلَّ الْعُيُوبِ وَزَكَّاهَا
 وَتَوَهَّاهَا مِمَّا تَخَافُ وَتَرْجِي
 وَاسْمَحْ لَهَا بِحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ لَا
 وَأَمِدَّهَا بِدَقَائِقِ الْإِسْمِ الْحَفِيهِ
 وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا كُلِّهِمْ
 وَارْحَمْ تَضَرُّعَنَا إِلَيْكَ وَعَافِنَا
 وَارَأْفَ بِنَا وَالطُّفْ بِنَا وَافْعَلْ بِنَا
 وَاحْفَظْ مِن الْجُدْرِيِّ خَائِفَةً وَلَا
 وَمِنَ الزَّلَازِلِ وَالْوَبَاءِ جَمِيعِهِ
 وَالرَّشْدَ أَنْتَ وَلِيُّهَا مَوْلَاهَا
 أَنْتَ الْكَرِيمُ وَخَيْرُ مَنْ دَكَّاهَا
 وَتَرِيدُ وَاجْعَلْ هَمَّهَا أَخْرَاهَا
 تُبْقِ لَهَا أَذْغَالَهَا وَهَوَاهَا
 يَظْ لَعَلَّهَا تُعْطِي قَوَامًا شَخَاهَا
 وَاصْفَحْ عَنِ الْأَفْعَالِ لَا تَرْضَاهَا
 مِنْ كُلِّ دَاهِيَةٍ يَخَافُ رَدَاهَا
 فَعَلِ الْكَرِيمِ بَعْدَهُ أَنْ تَاهَا
 تُهْلِكُ بِوَقْعَتِهِ النُّفُوسَ دَهَاهَا
 سَلِّمْ جَمَاعَتَنَا وَمَنْ وَالَاهَا

واحفظهم يا ربّي في أموالهم
وانشر مديد الرحمة العمى على
وأزل عُبَارَ الْمُعْصِيَاتِ بطاعةٍ
واحفظ مسافرينا ووسّع رزقه
واقض الديون وفكّ كلّ وثاقنا
واستر بلاد المسلمين من العدا
إنّ البلاد تنقّصت أطرافها
من قُرطِ مَا ضِيمُوا وَمَا سِيمُوا وَمَا
فإليك نشكوا ما لقيناه وما
ما إنّ لنا جاز سواك ولا لنا
إنّ العبيد وإن عصوا ما إنّ لهم
بك لا بغيرك نشتكى علاّتنا
يا ربّنا المدد المديد وعونك الـ
فاجعل دمار عدونا في رأيهم
واشغلهم عنا بحرب بينهم
وأدلّ عليهم من يريد شقاقهم
وأمّدنا وأعرنا وأذهّم
واملاهم رعبا تكاد قلوبهم
وأذقهم سوء الخراب وعمّهم
إنّا فرعنّا يا كريم إليك من

أن تُنزل العاهات في مرعاها
أدنى منازلها إلى أقصاها
تكفي البريّة ما جنته يداها
وافتح عليه من المني أعيها
بمواهب أبداً يفيض جدّاها
وقهم زعازع واكفهم بلواها
وتتأذت أربابها سكناها
قد وجهوا بأذى العدو وجاها
نخشاه من فتن يعمّ أذاها
أيد لها إنّ لم تغلّ شباهها
بملكهم أحد يرون إلّاها
أين القدير سواك "أين يداها"¹
أعلى المعين على منى رمنّاها
للحرب واجعل ذلهم أياها
يدكو عليهم شرّها ولظاها
وأذق قبائلهم خزي تكساها
أنت المذلّ ولم تخف عّباها
تنشق منه وتبلغ الأفواها
بمصائب لا تعدّهم أحداها
رّوعاتنا أن لا يمد مداها

¹ "أين يداها" هكذا وجدت ولا يظهر لي معناها في السياق، وأكد يوجد خطأ من الناسخ!

4 . هارون مُحمَّد السوكي

هو الشيخ الفقيه هارون بن مُحمَّد بن أحمد بن كَلِكْ بن القاضي مُحمَّد بن القاضي أحمد المعروف بأكل الحسني الدغوشي، ومن تلاميذه الذين تحدثوا عنه العلامة مُحمَّد بن الهادي،⁽¹⁾ وهو من أعيان القرن الثالث عشر الهجري، وليس مجرد عالم، بل كان رجل دولة، وله وقفة تاريخية مشرقة في حق الأمة الطارقية، حيث دفع عنها الجيوش الفولانية الغازية، بحكمته الشعرية، فبقصيدة واحدة أنقذ أمة كاملة، وهي التي أرسلها إلى أمير مملكة كانم الذي كان في عهده أمير المؤمنين في تلك الجهة الحاج عمر الفوتي، فاستحسنها،¹ وتأكد أن الطوارق ليسوا كما وصله في التقارير المغرضة، (مجرد طغاة، مفسدين، لا يدينون بدين الحق، فوجب جهادهم)، فحين وصلته القصيدة السابقة الذكر في المقدمة اكتشف أن هؤلاء ليسوا فقط مسلمين عاديين، بل عباقة الأمة الإسلامية.

لهارون مُحمَّد آثار علمية متناثرة، وشعر فخم جزل، ورائع، مع قلته، و يمكن أن يمثل شعره "الشعر السياسي" الناجح، كقصائده التي يرسلها إلى الفلانيين، وغيرهم، وهي تنطلق كرسائل سلطنة كاملة إلى مملكة أخرى تكون بكل وضوح "خطابا سياسيا" أتى أكله، فلنستمع لها:

¹ انظر نصيحة الأمة في استعمال الرخصة فيما عمت به البلية للعلامة ابن الهادي السوقي ألفه سنة 1283 هـ (144) .

¹ انظر: الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملثمين، العتيق سعد الدين، ص 391

1. خطاب إلى أمير دولة كانم مُحمَّد بللو¹:

{الطويل}

إلى سيِّدٍ سادتْ جُدودُهُ قَبْلُ
إلى الشَّيْخِ نَجَلِ الشَّيْخِ والعِلْمِ الَّذِي
إلى فاضِلٍ تُغْنِي فضائلُ فضله
هو الوَبْلُ فِي المَعْنَى فوafقَ لُفْظَه
سلامٌ كما لاحَتْ مِنَ العَيْمِ بُرْقَةٌ
سلامٌ يَعُمُّ النُّشْرُ مِنْهُ مَنْ انطوى
وأَبْلَغُ إِكْرَامٍ وَأَزْكَى تَحِيَّةٍ
حَمْدنا إِلَيْكَ اللهُ جَلَّ جلالُهُ
وَأَحْيَيْتَ سَنَةً أُمِيتَتْ وَأُحْيَيْتَ
وَشَامَ أَوَّلُو الحاجاتِ بَرَقَكَ فَالتَّقَتْ
فَأَوَيْتَ مَطْرُودًا وَأَكْسَيْتَ مُعْدِمًا
وَأَنْجَيْتَ مَفْرُوسًا وَقَدْ ضَبَّتْ بِهِ
كما قَدَّتْ لِلدِّينِ الحَنِيفِ فَأَخْبَتُوا
وأَبْرَأَتْ كُفْمَهَا وَأَرْشَدَتْهُمْ إِلَى

كذلك يسودُ بالجُدودِ لَهُ النَّسْلُ
لَهُ اخْضَوْضَعَتْ فِي عِزِّها البَيْضُ والكُحْلُ²
إلى مِنْ يَبْلُ دَا السَّقَامِ بِهِ "بَلُّو"³
فجاءَ على وَفْقِ اتِّفَاقِهِما البَلُّ
يفوحُ فُواحَ الزَّهْرِ باكرُهُ الطَّلُّ
لَهُ ، وَخُصُوصًا مَنْ لَهُ العَقْدُ والحُلُّ
يضيئُ عن اسْتِيعابِها الوَعْرُ والسَّهْلُ
بِمَا اتَّضَحَتْ مِنْ نُورِ مِصْبَاحِكَ السُّبُلُ
شرائعُ لَا يَرْضَى بِها العَقْلُ والتَّغْلُ
لَدَى بابِكَ المِستَمَطِرُ السُّقْمُ والإِبْلُ
وأَطلَعْتَ مَغْلُولًا أَضَرَّ بِهِ الغُلُّ
على غِرَّةِ أَنْيابِ قَسْوَرةِ عُضْلُ
مِصاعِبَ لَا تَنْقَاذُ إِلَّا إِذَا كَلُّوا
سلوكِ طَريقِ الحَقِّ مِنْ بَعْدِ مَا ضَلُّوا⁴

¹ قصائد الشيخ هارون المذكورة هنا مأخوذة من المجموعة الشعرية السابقة، والتي أهداها لنا الأخ عبد الحكيم المصطفى، من ص 20

إلى 38، وانظر: الجواهر الثمين، العتيق سعد الدين، ص 392

² اخضوضعت: افعل من "خضع"، الكل: يقصد بهم الزنوج

³ "بللو" يقصد به أمير دولة كانم الإسلامية في زمانه.

⁴ الكُفْم: يعني بهم هنا الضالين عن الطريق المستقيم.

طلعت وأهل الأرض من غَبَشِ الدُّجَى
وأحلك وجه الأرض من ذي بصيرة
وإن زدت زاد الله في النعمة التي
بعثنا بها تي بيعة مستمرة
فلا تستقل اليوم ذا من عَجالة
فإن الهدايا والعوائق جمّة
وإن قبول العذر للناس حرفة
كما أننا نلقي بأصفي مودة
حيارى فلا شمس تنير ولا زُحُل
ولم يبق إلا العمى والصُم والشكل
كسائك كساءها وينتظم الشمل
تقوم بما قامت به اليد والرجل
مشوشة فالطل يعقبه الوبل
على قدر مُهديها مقاديرها تعلو
يفاعلها يسمو ، وأنت له أهل
إلى سيّد سادت جدوده قبل

2. في الرد على من أساء الظن فيه :

{الطويل}

أَلَمَّا عَلَى رُبْعٍ تَعَاوَرَهُ الْوَبْلُ
وَجَزَتْ عَلَيْهِ الرَّامِسَاتُ ذِيوَهَا
تَوَهَّمْتُ آيَهُ، فَلَأْيَا عَرَفْتُهُ
أَلَبْتُ بِهِ الْأَرَامَ يَمْشِينَ أُمَّنَا
يُهَيِّجُ مِنِّي الْوَجْدُ لَمَّا اسْتَنْبَنَتْهُ
هَا وَارِدُ مُفْحَوْحِمٍ مُتَعَنِّكِلُ
وَجَادَ عَلَيْهِ كُلُّ غَادٍ لَهُ هَطْلُ¹
وَتَسْفِي عَلَيْهِ التُّرْبُ آوَنَةُ شَمْلُ²
لِسَبْعِ سَنِينَ فَاسْتَبَانَ لِي الْقَلُ³
وَمَا إِنْ خَشِينَ أَنْ يُصَادَ لَهَا طِفْلُ⁴
لِذِكْرِ حَبِيبَةٍ أُرَيْتُ بِهِ قَبْلُ⁵
أُثِثْتُ جُفَالُ مَرَسَلُ سَبِطُ جَثْلُ⁶

¹ غاد: مطر يأتي في الغدو.

² الرامسات: تثير التراب كعاصفة، تسفي التراب عليه: تهيل عليه التراب، شمل: ريح الشمال.

³ آيه: معالمه

⁴ الأرام: الأطباء.

⁵ أرب بالمكان: أقام به طويلاً

⁶ واراد: شعّر، مفحوح: شديد السواد كالفحم، متعنكل: كثيف كالغصن المنعم، أثيث: منظم لا فجوة داخله، جفال: كثير جدا ، مرسل: غير مقيد، سبط: وصف آخر للشعر، جثل: طويل.

وَأَنْفٌ مَسْرُجٌ، وَتَغَرُّ مُفْلَجٌ
فَهَالِ كَرِيمَتِيكَ وَالْقَلْبَ ظَعْنُهَا
فَهَلْ تَسْلِينُ الهمَّ عَنْكَ زَلْخَحْ
لَهَا سَنَةٌ قَدْ عَرِيتْ بِمَفَازَةٍ
وَزَهْرٌ فَلَمَّا أَنْ تَظَاهَرَ نِيُّهَا
عَلَاهَا كَكِيرِ الْقَيْنِ كَثُرَ مُلَمَلَمٌ
أَوْوَبٌ نَعُوبٌ لَا بُجَارَى وَلَا تَنِي
أَلُوفُ السُّرَى تَقْرُو اللَّصَابَ بِحُقُّهَا
وَتَنْشِطُ عَنْ غَبِّ السُّرَى وَكَأَنَّهَا
فَيَزْنُكَ تَمَّا نَابَهُ مِنْ نَطِيَّةٍ
وَلَا مَنْ لَهُ إِذَا الرِّجَالُ تَسَابَقُوا
فَمَا لَكَ أَنْتَ تَمْلِي لِلنَّاسِ شَتْمَنَا
..... فأسلافنا هم
بأسلحةٍ سمرٍ قد أُتْقِنَ سُنُّهَا
وَأَلْسِنَةُ لُسْنٍ يَفِيضُ عِبَابُهَا
مَدَافِعُهُ ذَوْقُ الْفُنُونِ يَمُدُّهُ
وَادِمَانُ طَاعَةِ الْإِلَهِ فَمَا أَلُوا
وسائرها قد زانه العنج والدل¹
فدمعك توكأف، وقلبي ما يسئل²
عفاهمة قوداء ما عاسها فحل³
وأجنى لها السعدان والبان والربل⁴
ولملم نحضها وفارقها الأزل⁵
عريض طوال ما يخوفه حمل⁶
بسير الهجير ما يعرجها طفل⁷
فلا نقب يخشى عليها ولا دخل⁸
ظليم لذكر القيص جوجؤه يخلو⁹
لفيحاء مرّت لا يكون بها ظل¹⁰
إلى المكزومات في المسابقة الندل¹¹
فمن زابر له ومن قارئ يتلو¹²
أبأة الحياض أن تهدم من قبل¹³
تجود برقم لا يشوهه دخل¹⁴
فيجلو بلؤلؤ نضارته تجلو¹⁵
مطالعة يحوطها الذهن والنبل¹⁶
بها جهدهم في اليسر أو زمن يغلو¹⁷

¹ أنف مسرج: تقليد لذلك البيت المشكل على البلاغيين "وفاحما ومرسنا مسرجا"، هل المشبه به السراج في النور، أم السيف السريجي في الاستواء، والدقة، انظر أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص 64، ثغر مفلج: مستقيم مع تباعد الأسنان، كريمتيك: يقصد بهما العينين.

² زلحج: ناقة قوية، عفاهمة: صلبة، قوداء: مدربة على الانقياد...

³ عريث: أقيمت، المفازة: الصحراء، السعدان: نبات بري ذو شوك ترعاه الإبل كثيرا، الربل: كذلك من النباتات الصحراوية.

⁴ الكثر: السنام المرتفع

⁵ ألوفا السرى: تألف السير ليلا، اللصاب: جمع لصب: كل مضيق في الجبل، والوادي،

⁶ الظليم: ذكر النعام. جوجؤه: صدره. القيص: قيضة البيضة: قشرتها اليابسة.

⁷ يرتك: يسرع في السير، نطية: أرض بعيدة، فيحاء: دار فيحاء: واسعة، مرّت: مفازة لا أحد فيها، والشاعر هنا في البيتين

يستحضر قول امرئ القيس:

تروح من أرض لأرض نطية لذكره قيض حول بيض مفلج

⁸ الندل: النظير، أو المنافس

⁹ هكذا وجدت بالحذف.

ففاضَ عليهمَ علمٌ موهبةٌ على
إذا ما تصدَّى المرأُ للغَضِّ منهمُ
فيحتملُ السيلُ المقاذعَ كُلَّها
فيرتدُّ من بعدِ التَّطاولِ راکعًا
فيغنمُ من بعدِ الهناةِ قدومهمُ
فما ذَا يقولُ من يحاولُ مدحهمُ
مناقبُ سادةٍ قدَى ننتمي بهمُ
فمن عضبةٍ ما ينبتنُ شكيرُها
فليسَ ببدعٍ أن يُرى الفرعُ حاميًا
فمَآذا عليكَ أن تُسكَّتَ واشيًا
فليسَ سواءً جاهلٌ مُتَعَجِّرفٌ
وما ذَا عليكَ أن غَضَضْنَا جفوننا
فمن رامَ علمه كما هُوَ مجرَّبٌ
لذاكَ اتخذنا عادةً وسجيةً
فصابتُ بِقُرٍّ إن بعينِ رضى ترى
وأزكى صلاةُ الله ثم سلامه
محمدٍ المحمِّي من ربِّه بما
وأصحابه والآلِ طرًّا ومن تَلَا

علوم اكتسابٍ كلُّ أمرهم يُعلو
تموجُ قوامسُ يُحسُّ لها زجلُ
ويمكثُ رغبًا للمكافحِ ما يحلو
يرومُ اكتسابَ ما يهيئُ به الوصلُ
فيهنيهمُ الترحيبُ والأهلُ والسهلُ
سوى أن يقولَ: عمَّهم كلَّهم فضلُ
فلا غرَّو أن نُحتلَّ م المجْدِ ما حلُّوا¹
وتُزهي الودايا مثلَ ما أزهت النخلُ
بنسِ اليراعِ ما حمى قبله الأصلُ
صنيعُ أريبٍ زانه العلمُ والعدلُ
وعلامَةُ يبدؤ له الحرُّ والحلُّ
عن السرِّ خوفَ أن يفارقنا عقلُ
بغيرِ سلوكٍ ناله الذُّلُّ والخبَلُ
تغافلنا عن غيرِ ما نحنُ قد نتلو
وإلا فقدَ يقْدَى بها الخمرُ لا الخَلُّ
على من علا من فوقِ ما سمَّكه يُعلو
تطابقُ في تحقيقه الحِسُّ والعقلُ
كعدةٍ من قد زانه الحِلْمُ والنبْلُ

¹ م المجْد: من المجد، من حذف نون "من" الابتدائية، إحدى حروف الجر.

3. هجاء شاعر فوتا¹:

{الطويل}

على أهلها تجني براقش، فالحزم
 خلا الجو من وال فأصبح نُحبة
 شمت " مضيفي " والشّماتة فلتة
 أثرت غبار الشعر بالهجو وانتحت
 ورقعت قوماً لن يعدوك منهم
 تُعد بـ"بي" ولا تُعد بـ"من" إذا
 أبا الشعر ، أما أنت مُلصق قومه
 فخلّ سبيل الشتم واذهب إليك يا
 وُحلّ شقاق البيض ونحك ، علّم
 وما الحرب إلا دولة من أدليها
 أدلنا عليكم مرة بعد مرة
 هذاذيكُم هلاً رجعتُم لـ"توس" أو
 أثرتُم وهجتُم فتنة جلّ شؤمها
 وليس لكم من حجة مُستقيمة
 ألا أقلعوا واستعتبوا تُعتبوا ولا
 ولا يجرمكم شقاق وبُغضة

تأني اللبب حيث لم يستقم عزم²
 لمُتأسد الذبان واستنسر الرّحم
 بمن شمتوك قبل ما استأسد العجم
 بك النفس إن خلا لك الهدم والرّم
 ولا لك فيهم قبل خال ولا عم
 تقاطعت الأقوام أو وُصل الرّحم
 نبغت بهجو من هم السادة الشم
 " مضيفي " وحاذر ما به الدهر تغتم
 ينالك من إيعادهم ما به تأم
 يهنأ ومن زلت به ناله الغم
 ويوشك أن نخطى بأخرى وتغنموا
 عبرتُم لـ"هوص" كي يفيض لكم غم
 عليكم ولا يبقى به لكم الرّسم
 وذلك لا يخفى على من له العلم
 يعرّكم أن نالنا كيف والكم
 تُخوف أولاد ويُنتهب الصرم

¹ الجوهر الثمين، العتيق سعد الدين، ص 393² عل نفسها جنت براقش: مثل يضرب لمن تسبب في إيذاء نفسه، وقومه، سبقت القصة مفصلة، والرواية التي وجدت عليها البيت هي (على أصلها جنت ..)، وبما أن الأصل في الأمثال أنها لا تغير، ولا توجد ضرورة شعرية لتغيير نص المثل فقد أثبت نص المثل، وبراقت اسم كلبية، يدعي بعضهم أنها بنت لقمان، والصحيح أنها اسم كلبية، وتلك الكلبة أهلكت أهلها بنباحها، حين أغار عليهم الأعداء فاقتلوا، وبعد ذلك نبحت فرجعوا ووجدوا مكنهم، فقصوا عليهم، وعليها.

وَأَمَّا لَدَدْتُمْ وَاللَّجَاجِ ضَلَالَةً
وَمَا مَثَلُ اسْتِئْصَادِكُمْ تَزْعُمُونَ أَنْ
وَأَنْ تَكُ آيَةُ الْحَارِبِ مَنْزَعًا
فَمَا لَكُمْ وَلِلَّذِينَ اسْتَبَحْتُمْ
قَتَلْتُمْ مِنْ أَهْلِ السُّوقِ مِنْ غَيْرِ خَرِيَةٍ
وَمَا لَكُمْ وَلِلتَّوَارِقِ مَا لَكُمْ
وَلَسْتُمْ لَهُمْ أَيْمَةً تَزْعُمُوهُمْ
وَأِنْ كُنْتَ مَرشدًا بَتَوْبٍ وَغَيْرِهِ
فَفِي قَوْلِهِ مِنْكُمْ بَعِيدًا "أُولِي الْأَمْرِ"
وَلَوْ كَانَ ذَاكُمْ مِنْ تَرَابٍ وَسَنَكِرٍ
فَأَتَّهُمْ قَدْ نَاهَهُمْ مِنْ هُنَا عَنَّا
وَأَنْتُمْ بِذِي بَلَى وَلَمَّا يَحِقُّ بِكُمْ
وَمَا تَدْعُونَ مِنْ جِهَادٍ فَلَيْتَهُ اسْتَدَّ
فَخَلُّوا مُنَاوَاةَ "التَّوَارِقِ" إِنْهُمْ
إِذَا يَزْحَفُوا إِلَيْكُمْ بِكَتَائِبٍ
مِنَ الْمَشْرِقِ الْأَعْلَى لِدَاجٍ يَقُودُهُمْ
وَيَسْتَأْصِلُوا مَا بَيْنَ "كَالٍ" وَ"هَنْبَرِي"
لَهُمْ صَهِيلُ الْخَيْلِ فِيهِ كَأَنَّهُ
وَتَبْرِقُ مِنْ فَوْقِ الرُّؤُوسِ رِمَاحُهُ

فَأَذَلُّوا بِحَجَّةٍ يَحِقُّ بِهَا الْحُكْمُ
أَرَدْتُمْ رَشَادًا أَوْ يَحِقُّ بِنَا الذَّمُّ
لَكُمْ وَأَبْجُثْتُمْ حَرْبَ كُلِّ مَنْ اعْتَمُوا
مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَا لَكُمْ بِهِمْ رَحْمٌ
كَثِيرًا وَمَا فِيكُمْ لَذَلِكَ مَغْتَمٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا يَاتٍ وَلَا (وَالْتَمِ الْوَرْمُ)¹
وَلَيْسُوا لَكُمْ رَعِيَّةً بِكُمْ التَّمُّوا
فَحَسْبُكَ أَنْ تَرَى بِمَنْ عُلْتُ ، تَهْتَمُّ
تَحَاجُّ لِمَنْ بَاتَتْ لَهُ الْحَجَجُ الْعُصْمُ
مِنْ أَمْصَارِهِمْ لَمْ يَسْتَقِلَّ بِهِمْ لَوْمٌ
كَثِيرٌ . وَلَكِنْ لَمْ يَطِيفُوا فَمَا هُمُ
مِنَ الْبَيْضِ أَحْقَارٌ وَلَا نَالَكُمْ ظَلَمٌ
تَبَدَّلَ "مُوشٍ" أَوْ ب "سِيغُو" الْأُولَى صُمُوا² مَتَى
اسْتَلْحَمُوا أَوْ نَبَذُوا السِّلْمَ يَلْتَمُّوا
يُعَبِّئُهَا فَنَّى يَشَارُ بِهِ قَدَمٌ
بُنَا "كَرْدَنَ" السَّاحَتُونَ لِمَا أُمُوا³
وَيَكْثُرُ فِي أَمْصَارِهَا الْأَيْمُ وَالْيَتَمُّ⁴
رَعُودٌ أَجَابَتْ رَزَّهَا السُّحْبُ وَالسَّحْمُ
وَأَسْيَافُهُ لَمَعًا كَمَا لَمَعَ النَّجْمُ

¹ ما بين قوسين هكذا وجدت، ولم يتضح له معناه، ولا الطريقة الصحيحة حتى الآن، والمؤكد أنه من خطأ الناسخ.

² موش: يقصد بهم قبائل "موسى في بوركينا فاسو"، "سيغو" يقصد به سكان مدينة سيبكو جنوب دولة مالي.

³ بنو كُردَن: العائلة الطارقية الحاكمة في زمان الشيخ الشاعر، الساحتون: المهلكون، لما أُمُوا: لما قصدوا.

⁴ "كال"، و"هَنْبَرِي" منطقتان بدولة مالي.

4. إلى القائم بالثورة الإسلامية عمر الفوتي¹:

{البسيط}

إلى الأمير العظيم الشأن في الدين
إلى الهمام المهيّب الشيخ من حفظت
إلى الشهير الذي قد حاز منزلة
إلى النبيّ النبيل المستمي "عمر"
يا باب بيت علوم الدين إن نُسيّت
يا ثائرًا ثار للعليا بهمته
عدلت والناس في شؤم وذنبه
جددت للناس دين الله جهدك إذ
جردت سيفًا على الأعداء مجتهدًا
لقيتهم وشياطين تأزهم
و جد معتمٍ بالله متبع
وجد أعلم من "فوت" مقدمة
في جحفل كهزيع الليل مرّتك
وينزل العصم من أعلى معاقلها
أصلحت أسلحة الإسلام محتسبًا

مّي سلام يفوح كالرياحين
به المساجد من نقض وتوهين
بها ترّجّح وزنًا في الموازين
مأوى العفاة وميعاد المساكين²
يا محرّرًا خصل سبق في الميادين
يرجو بذلك أجرًا غير ممنون
عن المشائم قصدا للميامين
نخضت نخضة محي الدين مأمون
من النصارى ومن "سيغو" الفراعين
بكيد ذي همة في الحرب ميمون
فيما يحاوله ، ما في الدواوين
يوم التداثر أشباه السلاطين³
يغشاهم بالعذاب الموجع الهون
ويجعل الباسل المرهوب كالذون
أغمدت بالجد أسياف السلاطين

¹ المرجع السابق، ص 395

² المستمي عمراً : يظهر أنه يقصد به المسمى عمراً من التسمية، وعمر طبعاً هو الأمير الذي توجه له هذه القصيدة، لكن لم أجد "استفعل" من التسمية في المعاجم التي بحثت فيها، ولم أجد إلا "استمى" بمعنى خرج للصيد، وهي يصاغ اسن فاعلها هكذا "المستمي"، قد تكون، هي المقصود من باب حب العرب لصفة الصيد، ودلائلها على النبل، إلا أن ورود "اسم الممدوح" بعد الكلمة يوحى بالمعنى الأول ، والله أعلم.

³ فوتاً: المدينة التي ينتمي إليها الممدوح

حَتَّى اسْتَكَانَتْ لَكَ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَتْ
وخابَ مَنْ رَامَ أَنْ يَسْعَى لِحَرْبِكَ مِنْ
فَقْلٍ جَدُّهُمْ وَكَلٍّ حَدُّهُمْ
فَأَحْجَمُوا وَاتَّقُوا بِالرَّاحِ مِنْ فَرَقٍ
وَقُتِلُوا إِذْ رَعَا وَصَاحَ فَوْقَهُمْ
كَانُوا أَشَدَّاءَ مَا رَفُوا عَلَى أَحَدٍ
وظَاهَرُوا كُلَّ غَاوٍ مَفْسِدٍ أَشَرٍ
لَا يَسْتَحُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مِنْ شَطَطٍ
وَلَا يَرُونَ لِذِي سِنٍّ عَلَى كَبَرٍ
وَعِنْدَهُمْ "عِلْمَاءُ السُّوقِ" أَرْدَلُ مِنْ
وَقَتْلِهِمْ عِنْدَهُمْ حِلٌّ وَمَا حَكَمُوا
وَالْحُكْمَ بِالظَّنِّ جَرَحَ فِي الشَّهَادَةِ وَالْ
فِإِذْ فَرَعَتْ وَدِينُ اللَّهِ مُنْتَصَرٌ
وَفَارَ قَدْحُكَ فِي رَأْيٍ تَرَاهُ بِهِمْ
وَصَلَتْ صَوْلَةٌ نَذِبٍ لَا يَقَامُ لَهَا
فَهَوْنٌ الْأَمْرَ بِالْمَاضِي عَلَيْكَ تَهْنُ
وَقَمَّ بِأَمْرِ إِلَهٍ الْعَرْشِ مَعْتَمِدًا
وَسَرَ إِلَى فِتَّةٍ الْمَهْدِيِّ تَنْصَرُهُ
وَبِالصَّوَاعِقِ وَالسُّمْرِ اللَّدَانِ وَبِالْ

بِكَ الْبَشَائِرُ مِنْ "قُوتًا" إِلَى "قُونٍ"
مَنْ كَانَ يَزْهَى بِجَمْعٍ مِنْ سَرَاحِينَ
فَأَمَعُوا هَرَبًا فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ
وَتَلَّ عَرْشَهُمْ حِينًا إِلَى حِينٍ
سَقُبُ السَّمَاءِ فَتَثْخِينٌ بِتَثْخِينٍ
وَيَقْتُلُونَ ضِعَافَ الْحَوَرِ وَالْعَيْنِ
بَرِيَّةٍ وَحَنَا مَا عَاشَ مَرْثُونٍ
فَأَشْبَهَتْ حَالَهُمْ حَالَ الْمَجَانِينِ
حَقًّا ، وَلَا لَصَغِيرِ السِّنِّ مُوَهَوْنِ
فَقَعَ ، وَأَوَّلَى بِإِذْلَالٍ وَتَأْيِينِ
إِلَّا بِمَا يَشْتَهُونَ أَوْ بِمَظُنُونِ
أَحْكَامٍ مَا لَمْ يَجِيءَ فِيهِ بَتَبِينِ
مِنْ الْعُلُوجِ ، بِسَرِّ فَيْكَ مَخْزُونِ
وَجُلَّتْ فِيهِمْ بِتَحْرِيكِ وَتَسْكِينِ
وَدَسَتْ فِيهَا طَلَى الْأَبْكَارِ وَالْعَوْنِ
لَكَ الْمَهْمَاتُ فِي الْآتِي بِتَمْكِينِ
عَلَيْهِ فِي كُلِّ مَفْرُوضٍ وَمُسْنُونِ
بِالصَّافِنَاتِ الْجِيَادِ وَالْبِرَازِينِ
بِيضِ الْخِفَافِ وَبِالتَّشْدِيدِ وَاللِّينِ

الفصل الثاني: شعراء المرحلة الثانية: (الأموات فقط)

شعراء المرحلة الأولى			
م	الشاعر	عدد القصائد	عدد الأبيات
1	أَعَالِي الْيَمَانِي	3	47
2	إِغْلَسَ الْيَمَانِي	4	34
3	الحاجُّ مُحَمَّدُ أَحْمَدُ	4	120
4	الشيخ حمَّادُ بن محمدو	7	142
5	حمَّادُ بنُ مُحَمَّدٍ حَادِي	4	187
6	المحمود حمَّادُ	9	411
7	ذُو الْكِفْلِ مُحَمَّدُ	4	144
8	سيدي مُحَمَّدُ إِنْبَاكُوا	3	45
9	ظَلَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ	2	66
10	عَبْدُ الْقَادِرِ مَتَالِ	3	171
11	الفتي مُحَمَّدُ أَحْمَدُ	2	47
12	مُحَمَّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ	3	53
13	محمدُ أَحْنَى	5	105

203	5	مُحَمَّدُ تَانَا	14
304	3	مُحَمَّدُ يَوْسُفَ	15
271	4	مَحْمُودُ مُحَمَّدُ الصَّالِحُ	16
222	6	الْحَمُودُ يَحْيَى	17
263	5	الْمُرْتَضَى بْنُ مُحَمَّدٍ	18
الإجمالي			
الأبيات	القصائد	الشعراء	
7902	67	18	

1. أَعَالِي الْيَمَانِي

هو أَعَالِي بن مُحَمَّد بن اليمان، فقيه لغوي، من قبيلة كل تموكسن، وينتمي إلى الدعوة السلفية في المنطقة، من مؤلفاته: نظم جمع الجوامع، ترقية السالك إلى ألفية ابن مالك، توفي وشعره يتميز بسهولة الألفاظ، وقربها، وعدم الخروج من المواضيع الدينية، الاجتماعية كالإخوانيات وما يلي أهم ما عثرت عليه من شعره¹:

1. في قصيدة طويلة أرسلها إلى سيدي حم الكنتي بعدما رفض أدلة السوقين في مسألة الحج في الطائفة:

{الكامل}

صَارَتْ لِأُظْبٍ وَالْوَحْشِ مَنَازِلًا	مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ مَحَلَّ أَوَانِسِ
وَتَجُولُ فِي غَمَرَاتِهَا ظُلُمَاتُهَا	وَتَبْيِضُ لَا يَغْشَاهَا أَيْدِي اللَّامِسِ
لَأَيًّا تَبَيَّنَ أَثَمَا دِمْنُ الْأُولَى	أَخْنَى عَلَيْهِمْ كُلُّ عَامِ عَابِسِ
دِمْنٌ تَغَيَّرَ رَسْمُهَا تَبْكِي أَلَا	تَسْلُو بِشَعْرِ رَائِقٍ مُتَجَانِسِ
شَعْرٌ تَأْتَقُ فِي ثَلَاثِ مَوَاضِعِ	وَمِنْ الْبَدِيعِ بِكُلِّ نَوْعِ مَائِسِ
وَيُزَاوِجُ التَّشْبِيهَ كَيْ يَجْلُو بِهِ	فَمَجَازُهُ حُسْنُ اسْتِعَارَةِ فَارِسِ
وَلَهُ مَسَالِكُ فِي الْكِتَابِ وَسَنَّةٍ	تَبْدُو لِغَيْرِ مُعَانِدٍ مُتَنَاعِسِ
عُدِمَتْ قَوَادِحُ فِي جَلِيٍّ قِيَاسِهَا	فِي عِلَّةٍ يَرْضَاهَا أَفْقُهُ قَائِسِ
جُمِعَتْ وَمَا قَصَرَتْ وَلَكِنْ لَا يُرَى	أَعْمَى سَنًا قَبَسٍ أَنْيَقِ قَابِسِ

¹ ترجمة الشيخ أَعَالِي، وشعره أرسلهما لي حفيده نافع أحمد، في ملف "وورد". وعدد الصفحات "12"

فَسَلِ العَوَاصِمَ والفَوَاصِلَ كُلَّهَا
 بِمَرُورِهَا كَسَحَابَةٍ وَتَخَالُهَا
 وَيَحْمِلُهَا لِلْحَامِلِينَ شَرِيعَةً
 شِعْرَ لِحْسَانِ الْحَقِيقَةِ صَفْوَهَا
 وَالْأَفْضَلَ التَّفْضِيلَ فِي أَوْصَافِهِ
 نَاهٍ وَلَا يَأْتِي وَيَأْمُرُ آتِيًا
 لَا أَنْ يُخْطَأَ مَنْ أَجَادَ جَوَابَهُ
 تَخْطِئُهُ خَطَأً وَمَنْ لَمْ يَرْضَهُ
 وَلَكَ الْقُصُورُ عَنْ ارْتِقَاءِ قُصُورِهِ
 وَمِنْ الْمَنَازِلِ نَالَ أَسْعَدَ طَالِعٍ
 وَبَصَحِهِ فِي كُلِّ خَيْرٍ يَهْتَدِي
 أَقْمَارُ لَيْلٍ جَهَالَةٍ وَنُجُومُهَا
 وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا بِحَلَقَةِ مُفْرِغٍ
 لَا فَرْقَ بَيْنَ غَنِيِّهِمْ وَفَقِيرِهِمْ
 حَقُّ الْأَنَامِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَصْدَقُوا
 وَالذَّبُّ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ بِرِمَاحِهِمْ
 خَذَهَا وَلَا تَخْشَ الْمَائِلِ يَنْتَمِي
 خَذَهَا بُنْيَةً حَامِدٍ مُسْتَغْفِرٍ
 وَتُعِينُ كُلَّ مُنْكَرٍ بِهَبَاتِهِ
 عَرِيَّةً عَلَوِيَّةً سَلَفِيَّةً
 سَتَقُولُ: فِي "الْمِنْطَادِ" حَجٌّ وَنَافِسٌ
 فِي الْجَوِّ جَامِدَةٌ وَطَيْبٌ مَجَالِسٌ
 مِنْ كُلِّ قُطْرٍ رَاكِعِينَ وَجَالِسٌ
 سُحُبَاتُهَا "الْمَحْمُودُ" خَيْرٌ مَجَالِسٍ¹
 طَرْدٌ وَقَيْسٌ فِي الْمَحَاسِنِ رَاقِسٍ²
 أَوْلَيْسَ ذَاكَ تَنَافُسٌ الْمُتَنَافِسِ
 بِإِدْلَةٍ تَجْلُو لِغَيْرِ النَّاعِسِ
 حَقَّتْ قَرِيحَتُهُ ضَعِيفُ الْهَاجِسِ
 وَالْحُبْسُ عَنْ أَنْوَارِهِ بِخَنَادِسٍ³
 مَا ضَرَّ ذَاكَ تَشَاكُسُ الْمُتَشَاكِسِ
 مَا فِيهِمْ إِلَّا أَتْرُ مُوَانِسِ
 مِنْ هَاشِمٍ أَوْ خَزْرَجِيٍّ كَائِسِ
 أَوْ زِدٍ بَلِيلٍ رَاكِعٍ أَوْ دَارِسِ
 فِي زَيْبِهِمْ بِمَلَا حِفِّ وَطَنَافِسِ
 عِنْدَ السُّؤَالِ لِسَائِلِ مُسْتَنَافِسِ
 تَذَرُ الْكَمِّيَّ مُجْنَدًا لَمْ يَانِسِ
 لِ"السُّوقِ" تَرْفُلُ فِي الْمَلَا وَطَيَالِسِ⁴
 مُتَبَصِّرٍ لِحِمَى الشَّرِيعَةِ حَارِسِ
 حَتَّى يَصِيرَ مُعَرَّفًا بِنَفَائِسِ
 وَكَفَى بِهَا لَجْلِيسِهَا مِنْ آنِسِ

¹ لعله يقصد بـ "المحمود" هنا الشيخ المحمود حمادو، لأنه هو على رأس العلماء الذين أجابوا للقصيدة الكنتبية بقصيدة بليغة لغة وفقها..

² راقس: السنين مبدلة من الصاد، أ راقص.

³ الخنادس: الظلمات

⁴ طيالس: جمع طيلسان، وهو وشاح يضعه بعض المشايخ على الكتف.

2. المقطوعة الهندسية:

وهي على شكل "الدائرة" من الشعر الهندسي السابق الذكر، حيث يبدأ كل بيت بحرف الروي العام للقصيدة، وتقرأ القافية معكوسة ليكون عكسها "على طول الحرف الأخير، وحرفين قبله هو الكلمة الأولى في البيت التالي وقد سبقت نماذج ذلك بشكل أكبر:

{الطويل}

كَلَامُ الْإِلَهِ لَا سَبِيلَ إِلَى الْهَدَى	بَلَاةٌ، وَلَيْلُ الْجَهْلِ دَاجٍ وَحَالِكٌ ¹
كَلَاهُ عَنِ الْمَرْوِيِّ عَنْ خَيْرِ رُسُلِهِ	وَمُتَّبِعُ الْأَمْرَيْنِ نَاجٍ وَسَالِكٌ
كَالَا النَّيِّرَيْنِ غُصْنُ رُشْدِكَ يَانِعٌ	فَأَجْنِ جَنَى رَطْبًا وَتَجْمُكُ مَالِكٌ
كَالَالِيبُ نَارٍ سَعَرَتْ لِمَنْ اقْتَدَى	بَعِيرٌ رَسُولُ اللَّهِ ذَلِكَ هَالِكٌ ²

3. في مدح الشيخ عبد الله أغ الحمود:

{البسيط}

بَانَتْ بُنَاةٌ بُنَاةِ الْمَجْدِ وَالِدَيْنِ	فَحَلَفُونِي فِي أَرْضِ الْمَجَانِينِ
فَصِرْتُ أَحْيَرَ مِنْ ضَبٍّ وَأَذْهَلَ مِنْ	صَبٍّ وَمَا أَدْرِ بَيْنَ التَّيْنِ وَالتَّيْنِ

¹ بلاه: أي بدونه، إما إنه اعتبر "لا" النافية شبه زائدة، مثل "ما" في قوله تعالى، "فيما خطبتهم أغرقوا"، وإما أنه أعار له إعراب "غير"، وجعلها في محلها مجرورة على غرار "بلا ريب"، فهي تعرب لدى البعض مضاف ومضاف إليه، ولدى البعض زائدة لفظاً، ولدى البعض نعت لمحذوف هو المجرور، للتفصيل ينظر حشوة الصبان على الأشموني شرح ألفية ابن مالك، ص 80 ج/1.

² كلاليب: جمع كَلَاب: المهاز، حديدة معوجة الرأس ينشل بها الشيء، أو يعلق.

وَحَيْثُمَا خِفْتُ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ عَطَشٍ
وَأَنْ عَزَمْتُ عَلَى شُرْبِ النَّبِيدِ غَدًا
بَلْ مَا يُجَنِّبِي نُوقٌ وَلَا بَقَرٌ
إِلَّا ابْنُ عَمِّي عَبْدُ اللَّهِ دَيْدُهُ
يَرْجُو بِذَلِكَ رِضْوَانًا وَمَغْفِرَةً
لَهُ مَبَاحِثٌ لَا يَذَرِي الْجَوَابَ لَهَا
الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ مُحَمَّدٌ الْمَقَاصِدِ بَلْ
يَنْهَى وَلَا يَأْتِ أَمْرًا وَيَسْبِقُنَا
لَا طِيبَ لِلْعَيْشِ لِأَمْرِي أَقَارِبُهُ
الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ فِي سِرِّي وَفِي عَلَيَّ
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَتَسْلِيمٌ يُقَارِنُهَا
وَالْأَلِ وَالصَّحْبِ وَالْأَزْوَاجِ كُلِّهِمْ

فَلَا أُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطَّيْنِ
سَكَرْتُ بِالْأَمْسِ فَاَنْظُرْ قَوْلَ مَجْنُونٍ
بَلْ اُنْدِرَاسُ عُلُومِ الشَّرْعِ وَالِدَيْنِ
كِتَابُهُ وَمُوَاسَاةُ الْمَسَاكِينِ
وَأَنْ يَفُوزَ بِأَجْرِ غَيْرِ مَمْنُونٍ
إِلَّا "الْعَتِيقُ" و"جَارُو" ثُمَّ "ذُو الدِّينِ"¹
كُلُّوْلُو كَانَ فِي الْأَصْدَافِ مَكْنُونٍ
لِكُلِّ رُشْدٍ وَتَحْمُودٍ وَمَيِّمُونٍ
هُمْ الْعَقَارِبُ تَدْعُوهُ إِلَى الْهُونِ
لِمَنْ عَطَايَاهُ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ²
عَلَى النَّبِيِّ يَفُوحُ كَالرَّيَاحِينِ
التَّابِعِينَ لَهُ عَدَدَ الْمَلَائِكِينَ

¹ في البيت أشار إلى ثلاثة من كبار علماء كل اسوكت، جمعوا بين العلم والزعامه، هم كما رتبهم في بيته: العتيق بن سعد الدين رحمه الله، شيخ وزعيم قبيلة "كلّ تجلّت"، جازو زين الدين رحمه الله شيخ "تنغاكلي"، زين الدين المنير حفظه الله شيخ وزعيم "كلّ تبورق".

² إشارة إلى الكاف والنون في "كن فيكون".

2. إغْلَسُ الْيَمَانِي

الفقيه الأصولي، اللغوي، إغلس بن مُحمَّد بن اليمان، من قبيلة كل مُؤكَّسَن، له مباحث في الفقه، والأصول، واللغة، وديوان شعري، ولد 1320 توفي 1395 هـ¹.

وشعره يتميز بغرابة شديدة، ويمثل غرض الوصف مركزية ف شعره، ومغرم بالمحسنات البديعية لدرجة الهندسة، كقصيدته السابقة معنا، والتي تشبه فيها القافية بداية كل بيت، وقد اخترت النماذج الآتية من شعره:

2. قال في وصف الطائرة²:

{الطويل}

طَوَيْنَا جَبَابِيرَ الْهُوَا	طَرْفَ طَارِفٍ	طَوَى جَامِعُ بَيْنَ التَّلِيدِ وَطَارِفٍ ³
طَغَيْنَا عَلَى طَاغِيهِ حَتَّى كَأَنَّا		إِلَى الْمَلَاِ الْأَعْلَى لِدَرْكِ الْمَعَارِفِ ⁴
عَلَى جَهْوَريٍّ مِنْ حَدِيدٍ مُحَرِّكٍ		بِأَرْبَعَةٍ مُكْهَرَّبَاتِ الْمَطَارِفِ ⁵
فَعَمَّا قَلِيلٍ نَمْتَطِي كَاهِلَ الْمَنَى		فَنَصْرِفَ فِيهِ مَا نَشَأُ جِدَّ صَارِفٍ ⁶
يَشُقُّ الْعَنَانَ جَاحِجًا بَعْنَانِهِ		مُصِيحًا لَوَاشٍ لِلْإِذَاعَةِ عَارِفٍ ⁷

¹ انظر: المدارس الأدبية في صحراء الطوارق، محمد أحمد الخرجي، ص 108

² المرجع السابق، 215

³ (جبابير): جمع جبارة، وهي النخلة التي فاقت البد - يعني في ارتفاعها، كأنه شبه ما تعالى من الجو بالنخلة الباسقة التي تلامس عنان السماء، (طرف طارف): طرفة عين، (التلید) المال القديم الموروث (طارف): مال مستحدث

⁴ (طغينا): ارتفعنا (طاغيه): (طاغيه): الطاعي: المسرف المتجبر (4) (جهوري): عال مرتفع، يعني الطائرة، (المطارف): جمع مطرف، وهو: رداء من خز مربع ذو أعلام، ومن المجاز: على الجوّ مطارف دكن وهي السحاب.

⁵ (جهوري): عال مرتفع، يعني الطائرة، (المطارف): جمع مطرف، وهو: رداء من خز مربع ذو أعلام، ومن المجاز: على الجوّ مطارف دكن وهي السحاب.

⁶ (نمتطي): نركب، (كاهل): ما بين الكتفين (المنى): جمع منية، وهي ما يتمناه الإنسان، (فنصرف فيه ما نشأ..): يعني: فنصرف الصوارف عن أن تصرفنا عن بلوغ المراد.

⁷ (العنان) بفتح العين: السحاب المعترض في السماء، (عنانه) العنان بكسر العين: سير اللجام الذي تمسك به الدابة.

إِذَا حَثَّحْتُ خَلْتَ الْهَزِيرَ أَرَاظِمًا¹ فَيَشْكُو النَّوَى التَّطْفِيفُ مِنْ غَيْرِ قَارِفٍ¹
فَكَمْ فَدَفِدٍ جُزْنَا وَكَمْ مِنْ مَهَامِهِ² يَدُونِ عَنَّا بَلْ فِي الْهَنَّا وَالْمَتَارِفِ²
كَأَنَّ مَنَاكِبَ الْمَهَادِ بِأَسْرِهَا³ عَلَى قَدْرِهَا الْمَرْمُوزِ وَسَطَ الْجَعَارِفِ³
نَتَائِجُ أَفْكَارٍ أَثَرْنَ بَدَائِعًا⁴ مِنْ الْكُونِ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا فِكْرٌ عَارِفٍ

3. قصيدة غريبة لغويا، من الشعر الهندسي، "المدورة"، حيث تكون القافية في كل بيت مشبهة لفظا مختلفة معنى للكلمة الأولى في الشطر الأول، وهي أهداها الى الشيخ الحاج محمد أحمد⁴:

{الطويل}

أَفِيكَ حُقُوقًا كُنْتُ أَزُقُّبُ إِلَهَا⁵ مَخَافَةً أَنْ تَحْجِيَ الْعُهُودَ أَفِيكَ⁵
فَتِيكَ قَدِيمًا سُنَّةً فُرْشِيَّةً⁶ تُقَامُ لَدَيَّ أَوْ أُدَاسُ فَتِيكَ⁶
عَرِيكةً مِنْ لَوْ أَلْقَى الْعَلَقُ لِهْوَةً⁷ لِقُطْبٍ رَحَاهُ لاسْتَحَالَ عَرِيكَ⁷
فَرِيكٌ لَدَى مَنْ لَمْ يَجِدْ فَرَكٌ دَرَسِهِ⁸ وَحَبُّ دُرُوسِي كَانَ قَبْلُ فَرِيكَ⁸
شَرِيكَكَ كَانَ فِي رَحَاءٍ وَشِدَّةٍ⁹ سِوَى أَنَّهُ لَمْ يَعْتَقِدْكَ شَرِيكَ⁹
أَلِيكُوا أَوَّانَ اصْطَفَى فِي بَهْنَسِ الْوَعَى⁹ فَوَارِسُ أَلِيَّ تُسْتَبَاحُ أَلِيكَ⁹
سَبِيكَةً غَوَاصٍ مِنَ الْيَمِّ لُجَّةً⁹ بِدَرَكْتِهَا السُّفْلَى الْبَدِيعُ سَبِيكَ⁹

¹ (حثتت): جدت في السير، (الهيرز): الصوت، ودوي الريح، (أرازما): لعلها جمع إرزام، وهو: صوت الرعد.

² (فدقد): أرض مستوية، (مهامه): جمع مهمه، وهو المفازة البعيدة الأطراف.

³ (الجعارف): جمع جغرافيا.

⁴ ضمن مجموعة الأخ نافع أحمد السابغة الذكر، وفي كتاب: المدارس الأدبية، محمد أحمد الخرجي، ص 206

⁵ "أفيك" الأولى من الوفاء، والكاف للخطاب، والثانية: من "أفك" الإفك.

⁶ "فتيك" الأولى: الفاء للسببية، و"تي" للإشارة، و"الكاف حرف خطاب"، والثانية من فعيل بمعنى مفعول من "الفتك".

⁷ "عريكة": طبيعة، أو حالة، "عريك": رمل متداخل بعضه ببعض.

⁸ "فريك": المفروق من الحب: المنقى، "فريك" البر أو الذرة هو ما يشوى لأول النضج حين يصلح للأكل، ويقصد بكلمتي "فريك" كلا المعنيين في البيت.

⁹ "أليكو" من الألوكة: الرسالة، وتقول العرب: "ألكني إليه"، "أليك" الثانية، إما من ولاه يليه فهو تاليه، أي لاحقه، أو من الولاء، والكاف للخطاب. بهنس الوعى: وسط الحرب حين تشد.

دكيك خرايرت البَيانِ نَحْلَتَهُ وَحَضَضَتْ مِنْهُ مَا تَرَاهُ دَكِيكًا¹

4. في الرئيس الشيوعي المالي موديو كيتا²:

{البسيط}

مَا لِلْمَرِيءِ يُسِيغُ الْمَاءَ بَلْ مَا لِي؟	أَرْجُو الْقَرَارَ وَفِي عُنُقِي عُرَى (مالي) ³
أَمْ كَيْفَ يَنْجَحُ سَاعٍ فِي وَظَائِفِهِ	وَأَرَشُ قَطْعِكَ غُصْنًا أَلْفُ مِثْقَالٍ ⁴
وَكَيْفَ وَالْحَالُ هَذَا مَا اسْتَتَبَ لَهُمْ	مُلْكُ تَبَاشَرُهُ تَخَوُّفُ الْمَالِ ⁵
الظُّنُّ فِيهِمْ إِذَا مَا الْأَمْنُ وَطَدَهُ	أَهْلُ الشُّطْرَةِ تَشْتِيِي وَإِذْ لِي
إِبَانٌ قِيلَ يُؤْلَوْنَ الْأُمُورَ سَرَى	مِثْلُ الْحَرِيقِ عَلَى جِسْمِي وَ بَلْبَالِي
يَا عَطْفَةً عَوَدَتْنَا رَاحَةً زَمَنًا	عُودِي عَلَيْنَا لِكَيْ تَبْتَلَّ آمَالِي
وَبَاعِدِي بَيْنَ أَحْرَارٍ مُرَوَّنَةٍ	بِيضِ الْوُجُوهِ بِيَسْجَادٍ وَتَهْلَالِ
وَبَيْنَ حِيلٍ يَرَوْنَ السَّوَاءَ مَنْقَبَةً	فَهَلْ تَظُنُّ بِهِمْ مَرْقُوبَ آلَالِ ⁶

¹ بحثت في القاموس المحيط، وتاج العروس، والصاح، والمعجم الوسيط عن معاني "دكيك" فلم أرى الصيغة أصلاً من المشتقات، بل وجدت أنه يقال "عام دكيك" أي تام، و"دك دكا" دقه، وطحنه، فهو مدكوك، وربما الدكيك في المرة الأخيرة هي استخدام للوزن من باب الاجتهاد، كما أنه ممكن أن يكون في المرة الأولى: "من إبدال القاف كافاً"، وهو "الدقيق" المعروف في الأطعمة، بدليل كلمة "نَحْلَتَهُ"، ويكون "الدكيك" الثاني بمعنى المدكوك.

² المدارس الأدبية، محمد أحمد الخرجي، ص 229

³ (المريء): مجرى الطعام والشراب من الحلق (ما لي) في الشطر الأول: مركبة من "ما" الاستفهامية، وجار ومجرور، وفي الشطر الثاني: جمهورية مالي وطن الشاعر

⁴ (الأرش): دية الجراحة، وأطلق هنا - مجازاً - على الرسوم التي كان رجال الغابة يأخذونها ممن قطع شجرة، أو غصناً منها.

⁵ (تخوف المال): تنقصه، والأخذ من أطرافه.

⁶ (آلال): جمع إل، وهو العهد، والبيت هكذا وجدت شطره الأخير رغم حاجته عروضياً إلى "صوتين"، وربما الصحيح: (فهل تظن بهم مرقوباً لآل)

5. الحاج محمد أحمد السوكي

المحدث الفقيه، الشاعر الحاج بن محمد أحمد، وله آثار علمية متنوعة، واهتمام خاص جدا بالحديث، وعلومه، والتاريخ، فمن مؤلفاته، نظم نخبة الفكر لابن حجر، وشرحها أيضا، ولسان الترجمان عما في الدرر الثمان في التاريخ، ومسالك الترقية في حكم زكاة الحبوب قبل التنقية، ولد 1359 ت 1423 هـ¹.

وشعره جزل، قوي في لغاته كشعر العلماء، مهتم بالجانب البلاغي، وتنوع الأغراض في شعره، وتكثر فيها قصائد المناسبات خاصة مع رجال السياسة، وقد كتب عن ترجمته وآثاره نجله أحمد محمد الحاج مجلدا كبيرا، سماه "الإبهاج في ترجم الشيخ العلامة الحاج"، ولذا خترت نماذج من شعره:

1. وقال أيضا في سياق المشاعرة التي درات بينه وبين أخيه وصنوه محمد بن يوسف²:

{الطويل}

لَمَعْنَاكَ فِي فِكْرِي، وَمَعْنَاكَ فِي صَدْرِي وَسِرُّ هَوَاكَ فِي الْجَوَانِحِ كَالْجَمْرِ³
قَضَى لِي قَاضِي الْوَجْدِ أَيْ مُتَيْمٌ فَلِلْغَرْبِ إِرْسَالُ الْغُرُوبِ إِلَى النَّحْرِ⁴

¹ انظر: الإمتاع والإبهاج في ترجمة العلامة الحاج، أحمد محمد الحاج، ص من 115 - 719 (مطبوع على الحاسوب)

² المرجع السابق، ص 247

³ (المغنى): المنزل الذي غني به أهله، ثم ظعنوا عنه.

⁴ (الغرب): عرق في مجرى الدمع، (الغروب): جمع غرب، وهو: الدلو العظيمة، ومعنى قوله: (فللغرب إرسال الغروب إلى النحر): يحق لمجرى الدمع من عيني أن يفيض الدموع بغزارة على صدري.

وَلُبِّ تَشْتِيَتْ، وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ مَا	يُمَيِّزُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَهَا الْقَفْرِ ¹
عَلَى مِثْلِهَا يَبْكِي - وَإِنْ لَيْمَ - عَاشِقُ	وَإِنْ كَانَ قَلْبُهُ أَصَمَّ مِنَ الصَّخْرِ ²
فَلَيَلَاتٍ وَصَلَهَا عَلَى الدَّهْرِ فُضِّلَتْ	كَمَا فُضِّلَتْ عَنْ شَهْرِهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ³
وَمَا الصَّبْرُ إِنْ حَاوَلْتَهُ بَعْدَ فُرْقَتِي	بِمَرْبَعِهَا إِلَّا أَمَرَّ مِنْ الصَّبْرِ ⁴
مَهَاءٌ هَا حَيْدُ الْمَهَاءِ، وَحَاجِبٌ	كُنُونٍ، وَفَوْقَ نُونِهِ عُرَّةُ الْبَدْرِ ⁵
وَطَرْفٌ سَقِيمٌ كَالسِّنَانِ لِعَاشِقٍ	لَهُ فَتَكَاتٌ كَالْهَزِيرِ أَبِي أَجْرِ ⁶
وَفَرَعٌ أَثِيثٌ فَاحِمٌ مُتْرَاسِلٌ	كَأَنَّ الدُّجَى تَكْسُوهُ بُرْدًا إِلَى الْفَجْرِ ⁷
وَشَعْرٌ شَتِيَتْ أَشْنَبُ إِنْ لَمَحَتْهُ	حَسِبْتَ وَمِیْضَ الْبَرْقِ مِنْ ذَلِكَ الثَّغْرِ ⁸
وَمَا الشَّهْدُ إِلَّا رِيْقَةٌ مِنْ لَنَاتِهَا	وَمَا الْمِسْكُ إِلَّا مِنْ مَعَاطِسِهَا يَجْرِي ⁹
مُنْعَمَةٌ يَحْكِي الْحَرِيرُ أَدِيمَهَا	وَكَمْ أَثَرْتُ فِي كَشْحِهَا مِشْيَةُ الذَّرِّ ¹⁰
تَزِيدُ عَلَى كُلِّ الْمَهَا حُلَّةَ الْبَهَا	وَسَلَبَ التُّهَى وَأَنَهَا رَبَّةُ الْخَدْرِ ¹¹
تَرَى زُمَرَ الْعُشَاقِ صَرَعَى بِبَاهَا	كَأَنَّهُمْ صَرَعَى الْكُمَيْتِ مِنَ السُّكْرِ ¹²

¹ (اللُب): العقل، (تشتيت): تفريق، (المها): جمع مهاة، وهي بقرة الوحش.

² (لیم): مبني لما لم يسم فاعله، مشتق من اللوم، أي: لأمه غيره.

³ (الليالات): جمع ليلة، يعني: أن الليالي التي حظي فيها بالوصال مفضلة على غيرها من الليالي، كما أن ليلة القدر أفضل من سائر ليالي الشهر.

⁴ (الصبر): في الشطر الأول: مصدر صبر يصبر، وأصل الصبر في اللغة: الحبس، والصبر) في الشطر الثاني: عصارة شجر مر، يضرب بمذاقها المثل في المرارة، وهو بفتح الصاد، وكسر الباء، وإنما سكنه الشاعر؛ للضرورة، ولا يسكن إلا لها، كما في القاموس (المربع): منزل القوم في الربيع خاصة، وكان أهل البادية يقيمون في فصل الربيع بمضارب غير التي يقيمون فيها في فصل الصيف، ومن ذلك أخذ المربع والمصيف.

⁵ (المهاة): بقرة الوحش، (الجيد): العنق، (الحاجب): العظم الذي فوق العين بما عليه من لحم، والشعر النابت على هذا اللحم. (نونه): حرف النون على شكل القوس، والشعراء يشبهون الحاجب بالنون إذا كان مقوساً، وذلك جمال فيه.

⁶ (السنان): الرمح، (الفتكات): جمع فتكة، والفتك: أن يقتل الرجل الرجل مجاهرة، وقيل: أن يأتيه على حين غرة فيقتله، (الهزبر): الأسد، (أجر): جمع جرو، وهو الصغير من ولد الكلاب والسباع، وأصله: أجرو، على وزن أفعل.

⁷ (فرع): الفرع: الشَّعْرُ النَّائِمُ الذي لا نقص فيه، (أثيث): طويل، كثير الأصول، ملتف، (فاحم): شديد السواد (متراسل): مسترسل، وهو المنسدل الطويل. (الدجى): جمع دجية، وهي الظلمة، (البرد): جمع بردة، وهي كساء معروف.

⁸ (ثغر): هو: ما تقدم من الأسنان، (شتيت) متفرق غير متراس (أشنب): فيه برد وعذوبة، (وميض البرق): لمعانه الخفيف.

⁹ (الشهد): العسل في شمعها، (لناتها): جمع لثة - بالكسر والتخفيف، وهي: مغازر الأسنان، (معاطسها): جمع معطس، وهو: الأنف.

¹⁰ (الأديم): البشرة، (الكشح): الخصر، (الذر): جمع ذرة، وهي أصغر النمل.

¹¹ (المها): بقرة الوحش، (البهاء): جهارة المنظر، (النهى): جمع نهية، وهي العقل، (الخدر) بالكسر: سترٌ يمتد للجارية في ناحية البيت.

¹² (الكميت): الخمر.

وَلَوْلَا حَيَالُ زَارِنِي مُتَنَاعِسًا لَمَّا اكْتَحَلْتُ بِالنَّوْمِ بَاصِرِي عُمْرِي
تَبَدَّتْ لَنَا يَوْمَ الْوَدَاعِ فَأَبْرَزَتْ بَنَانًا حُضِيًّا مِنْ دَمِ الْقَلْبِ وَالنَّحْرِ¹
فَقُلْتُ لَهَا: أَنَا الْعَشُوقُ دَوَاؤُهُ لَدَيْكَ، فَقَالَتْ لِي: أَدَاوِيهِ بِالْهَجْرِ
فَقُلْتُ لَهَا: إِذَا فَدِيهِ، فَمَوْتُهُ شَهِيدَ هَوَى أَشْهَى إِلَيْهِ مِنَ الْحُمْرِ²
فَقَالَتْ: وَهَلْ أَرْضَى مِنَ الْعِشْقِ رِيَّةً وَمَا الْعَدْرُ فِي دِينِ الصَّبَابَةِ مِنْ دَهْرِي
فَقُلْتُ لَهَا: مَتَى اللَّقَاءُ؟ فَأَعْرَضَتْ دَلَالًا، وَقَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ إِلَى الْحُشْرِ³
فَقُلْتُ: بِرُوحِي أَنْتِ يَا زِينَةَ الْمَهَا وَأَنْتِ فِدَا مُحَمَّدٍ زِينَةُ الدَّهْرِ
فَتَى عَنْ عَلَاهُ قَدْ تَقَاصَرَتِ النُّهَى وَفِي مَدْحِهِ تَكَاثَرَتْ هَمُّ الشَّعْرِ
بَعِيدٌ عَنِ التَّشْبِيهِ لَا هُوَ ضَيْعَمٌ وَلَا الرَّأْيِ صَارِمٌ وَلَا الْكَفُّ كَالْبَحْرِ
لَنَهَتْ ظُبَى أَسْيَافِهِ مِنْ دَمِ الْعِدَا عَيْطًا يُعْطِي سَيْلُهُ صَفْحَةَ الدَّهْرِ⁴
تَرَى فَوْقَهُ إِذَا عَلَا فَوْقَ سَابِحٍ وَسَارَ إِمَامَ الْمَجْرِ زَايَاً مِنَ الطَّيْرِ⁵
لَقَدْ أَفْرَغْتُ بَيْنَ الْجَمَاحِمِ وَالْحَشَا صَوَارِمَهُ وَالذَّابِلَاتِ مِنَ السُّمْرِ⁶
فَفِي وَسْطِ الْحَشَا مَوَارِدُ لِقْنَا وَتَصَدَّرُ مِنْهَا فِي جَلَابِئِهَا الْحُمْرِ⁷
وَفِي الْهَامِ أَجْفَانُ الصَّوَارِمِ، إِنَّهَا إِذَا سَلَّهَا سُلَّتْ صَوَارِمٌ مِنْ دُعْرِ
أَقَارِبِهِ مِنْ دُونَ قَطْعِ أَقَارِبِ أَسِنَّتُهُ وَالسَّرْجِ فِي صَهْوَةِ الْمُهْرِ
وَأَعْيَادُهُ أَيَّامُ غَارَاتِهِ، وَكَمْ أَبَادَ وَأَفْنَى الدَّهْرَ بِالْقَرِّ وَالْكَرِّ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْبَدْرُ مِنْ بَيْنِ أَنْجُمٍ إِذَا قَامَ يَوْمًا بَيْنَ غَارَاتِهِ الْخُضْرِ

¹ (البنان): أطراف الأصابع، واحدته بنانة

² (فديه): فادفعني ديتيه.

³ (الدلال): الغنج، وتدلل المرأة على الرجل، كأنما تزيه خلافاً، وما بها خلاف.

⁴ (الظبي): جمع ظبية، وهي: حد السيف، (العبيط): الدم الطري.

⁵ (سباح) صفة للفرس يسبح في جريه، (المجر): الجيش الكثير. (رايا): جمع راية. شبه الطير في اصطافافها في الجو بالراية تخفق.

⁶ (أفرغت): وضعت (الجماحم): جمع جمجمة (صوارمه): جمع صارم، وهو السيف القاطع (الذابلات):

الرقبقات من الحدة (السممر) صفة للرمح.

⁷ (الجلباب): ثوب أوسع من الخمار دون الرداء، تغطي به المرأة رأسها وصدرها، والمراد: أن الرماح توضع في أحشاء العدو سمرا، وتخرج ملطخة بالدم حمرا.

تَرَاهُمْ وَقَدْ غَصَّتْ مَجَالِسُهُمْ بِهِمْ
رَوْتُ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ رَبَاحٍ عَنِ الْعَلَا
وَعَنْ خَالِدٍ عَنِ الرَّبَابِ وَأَسْنَدَتْ
فَقُلْتُ لَهَا: أَمَا سَمِعْتَ بِأَنَّهُ
فَقَالَتْ: بَلَى، قَدْ مَاتَ وَجَدًا بِأَهْلِهِ
فَقُلْتُ لَهَا: ذَاكَ الْحَدِيثُ سَمِعْتُهُ
فَقَالَتْ لَنَا: أَنَّى يَكُونُ مُكْتَمًا
فَقُلْتُ لَهَا: قَدْ صَدَقْتَ أَلَمَعِيَّتِي
فَقَالَتْ: سَلِ الْمُعْتَرَّ يُنَبِّئُكَ أَنَّهُ
يَدَاهُ يَدُ تَكْسُو الْجُسُومَ جَلَابِيًا
نَعِيمٌ وَبُؤْسٌ رَاحَتَاهُ وَكُلُّ مَا
عَلَى كُلِّ مِفْتَاحٍ لَهُ كَتَبَ السَّحَا:
هُوَ الْغَايَةُ الْمُضَوَّى، هُوَ الْجَبَلُ الْأَخْوَى
عَلَا فَوْقَ هَامَاتِ الْكَوَاكِبِ هِمَّةً
فَتَى مَلَكَاتِ الشَّعْرِ طَوْعٌ بَنَانِهِ
تَوَدُّ مَسَامِعُ الْأَنَامِ لَوْ أَنَّهَا
فَتَحْسَدُ أَمَاقَ الرِّجَالِ رَكَابًا
لَقَدْ فُتَّتْ فِي فَنِّ الْبَلَاغَةِ أَهْلُهُ
وَقَدْ مَلَكَتْ فَكَّاكَ تَوْشِيَّةَ اللَّعَى
إِلَيْكُمْ سَلَامٌ كَالْبَنْفَسِ عَرْفُهُ
وَيَتَلَوُّ عَلَيْكُمْ آيَةَ الْوَدِّ شَامِلًا

لُيُوثًا كَسَاهُمْ لُبُوسًا مِنْ الْبَشَرِ
أَحَادِيثَ مَجْدِهِ ثِقَاتٌ مِنَ الْعُرِّ
أَحَادِيثَهَا إِلَى النَّدَى الثَّقَةِ الْحَبْرِ
تَفَانِي، وَأَلْقَتْهُ الْمَنِيَّةُ فِي الْقَبْرِ
وَلَكِنَّهُ أَحْيَيْتُهُ رَاحَةً مَنْ تَدْرِي
وَأَلْقَاهُ فِي رَوْعِ الصَّبَا عَقَبَ الْعَصْرِ
وَحَاشَاهُ، لَا بَلْ كَانَ أُنْدَى مِنَ الْعَطْرِ
حَدِيثُكَ فَانْشُرِيهِ قُطْرًا إِلَى قُطْرِ
يُبَارِي الرِّيَّاحَ فَهُوَ فِي غَايَةِ النَّشْرِ¹
وَأُخْرَى إِذَا مَا مَدَّهَا أَنْفُسًا تُعْرِي²
يُسي وَيَسُرُّ فِي أَنَامِلِهِ الْعَشْرِ
(أَلَا أَيْهَا الْعَفَاءُ هَاكُم بِلَا عُذْرٍ)
هُوَ الطَّيِّبَةُ الْمَأْوَى الْمُؤَمَّلُ فِي الْعُسْرِ
فَمَنْ شَاءَهُ فَهُوَ الْمُجَلِّي إِلَى الْفُخْرِ
تُسَابِقُهُ فَرَايْدُ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ
مَنَابِرُ يَتَلَوُّ فَوْقَهَا سُورَةَ الذِّكْرِ
تَوْمُ ذَرَاهُ وَهِيَ فِي غَايَةِ السَّيْرِ
وَلَكِنَّ (لَا) عَلَى لِسَانِكَ لَا تَجْرِي
كَمَا سَلَكْتَ كِفَاكَ فِي مَسْلَكِ وَعَرٍ
يُزَجِّجُكُمْ عَمَّا يُحْمَلُهُ فِكْرِي
وَحَصَّ مُحَمَّدًا بِأَحْسَنِهِ شِعْرِي

¹ (المعتر): المحتاج.² أي: إحدى راحتيه تكسو المحتاج، والأخرى تسلب العدو روحه.

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَهْدَيْتَ لِي بُحْرِيَّةً فَهَاءَكَ هَذِهِ كُمَيْتِيَّةٌ¹ النَّجْرِ
 فَدُونُكَهَا نَفْلاً وَتِلْكَ فَرِيضَةٌ وَلَا يَدْعُ إِنْ سَحَّ السَّحَابُ عَلَى الْبَحْرِ
 حَبَوْتُكَهَا فَهَاتِ مَهْرًا مُنَاسِبًا وَمَنْ يَخْطُبُ الْحُسْنَاءَ يُكْثِرُ مِنَ الْمَهْرِ
 حَبَوْتُكَهَا عِقْدًا مِنَ الدُّرِّ نَظَّمْتُ يَدَايَ، أَمَا تَرْضَى بِعِقْدٍ مِنَ الدُّرِّ؟!
 حَبَوْتُكَهَا نَسْجًا فَرِيدًا مُنَمَّقًا وَهَلْ أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ وَشَيْئًا مِنَ الْحَبْرِ؟!
 عَلَايَ الصَّلَاةِ بِالسَّلَامِ تَزَحَّرْتُ لَطَةً وَأَصْحَابٍ لَهُ وَدَوِي النَّصْرِ
 وَقَامَ الرِّضَا فِيهَا يُفَتِّحُهَا لَهُ لِيُسْكِنَهَا بِإِذْنِ مَالِكِهِ الْوَثْرِ

في إثبات العروبة والشرافة²:

{الرملة}

سَائِلًا عَنْ أَصْلِنَا وَهُوَ جَهْلٌ إِنَّنَا مَا رَابَنَا عَنْهُ دُهُولٌ³
 إِنَّنَا مِنْ دَوْحَةِ الْعِزِّ، وَمِنْ هَامَةِ الْعُرْبِ مِنْ ابْنَاءِ الْبَتُولِ⁴
 سَادَةٌ السَّادَةِ أَرْبَابُ الْحِجَا صَفْوَةٌ الصَّفْوَةِ مِنْ سِبْطِ الرَّسُولِ⁵
 وَسِوَاهُمْ فَتِيَّةٌ مِنْ آلٍ مِنْ نَصَرُوا الْمُخْتَارَ، فَحُرٌّ لَا يَزُولُ
 مِنْ بَنِي الْحَزْرَجِ إِخْوَانِ الصِّفَا وَالْوَفَا فِيهِمْ قَدِيمًا لَا يَحُولُ⁶

¹ (النجر): الأصل.

² الإمتاع والإبهاج، أحمد محمد الحاج، ص 254

³ سائلا: نكرة غير مقصود بالنداء، أي: يا سائلا، (رابنا): من قولهم: رابه الشيء: إذا أدخل عليه شكا وخوفاً. (الدهول): شرود يدل على حيرة، واضطراب.

⁴ الدوحة: الشجرة العظيمة المتشعبة ذات الفروع الممتدة من شجر ماء، وجمعها: دوح، ويقال - على سبيل المجاز: هو من دوحة الكرم. (الهامة) سيد القوم، وهو أيضا مجاز. (البتول): فاطمة بنت النبي ﷺ، لقبت بذلك؛ إما لانقطاعها عن الأزواج غير علي؛ أو لانقطاعها عن نظائرها في الحسن والشرف.

⁵ (الحجا): العقل. (السبط): ولد الولد. وذلك أنه يمتد ويطول. وأكثر ما يستعمل السبط في ولد البنت. ومنه قيل للحسن والحسين عليهما السلام: سبطا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وذلك مراد الشاعر، فهو حسني.

⁶ (لا يحول): لا يتغير.

زِدْ عَلَى ذَيْنِكَ قَوْماً شَارَكُوا
 نَصْرُوا أَحْمَدَ، آوَوْا صَحْبَهُ
 وَهُمْ مِنْ عُقْبَةِ جَدِّ هُمْ
 وَالْقَوَافِي شَاهِدَاتٌ أَنَّنَا
 مَا اشْتَكَى اللَّكْنَةُ مِنَّا مُشْتَكٍ
 إِنْ تَكُنْ فِي رِيَّةٍ فَاسْتَفْتِ مَنْ
 وَاسْأَلِ اللِّسْنَ مِنْ أَرْبَابِ اللُّغَى
 أَوْ رَأَوْا مِنْ شَمْسِنَا إِذْ أَشْرَقَتْ
 قَدْ وَرَثْنَاها وَعُذِّينَا بِهَا
 مَنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلُ مَا جِدَا
 جَعْفَرِيَّ حَسَنِيَّ مَجْدَهُ
 وَالسَّخَا فِيهِمْ قَدِيمًا سُنَّةُ
 وَلَهُمْ فِي نَشْرِ دِينِ اللَّهِ فِي

آلَ فَهْرٍ فِي اعْتِزَازٍ بِأُصُولٍ
 نَافَحُوا عَنْهُمْ، وَعَنْهُمْ مَنْ يَصُولُ¹
 فَاتِحِ الْعَرَبِ جِبَالٍ وَسُهُولٍ
 عَرَبٌ نَنَحْتُهَا كَيْفَ نَجُولُ²
 لَا، وَلَا عِيَّ بِهِ حِينَ يَقُولُ³
 سَاجِلُونَا فِي مَجَالَاتِ الْعُقُولِ⁽⁴⁾
 هَلْ رَأَوْا مِنْ حَدَنَّا أَدْنَى فُلُولٍ⁽⁵⁾؟
 فَوْقَ جَوِّ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى أَفُولُ⁽⁶⁾
 وَارْتَضَعْنَاهَا، وَكَالْأَصْلِ الْفُصُولُ
 مِنْ بَنِي الْأَدْرَعِ أَبْنَاءِ الْفُحُولِ⁽⁷⁾
 لَمْ يَكُنْ يَخْفَى عَلَى غَيْرِ جَهُولٍ
 قَدْ رَوَّوْهَا عَنْ أُصُولٍ عَنْ أُصُولٍ
 قُطِرَهِمْ دَوْرٌ إِذَا عُدَّ يَطُولُ

¹ (نافحوا): ذبوا ودافعوا، (يصول) من الصولة.

² (ننحتها): النحت في الأصل للشيء الذي فيه صلابة وشدة، والمراد: صياغة الأشعار، كما قال الشاعر: علي نحت القوافي ن معادنهما..

³ (اللكنة): ثقل اللسان كالعجمة، (العي): ضد البيان.

(4) (الريبة): الشك، (ساجلوننا): غالبونا

(5) (اللسن) جمع لسان، والمراد به هنا: الفصيح المتمكن في اللغة، يقال: فلان لسان العرب. (اللغى): جمع لغة، (الفلول): ذهاب الحدة، يقال: فل السيف فلان: تتلم حده فهو أفل.

(6) (أفول) الأفول: غياب النجم، وسائر الكواكب، وكان حق الكلمة أن تنصب بـ(رأوا)، لكن الشاعر وقف على لغة ربيعة.

(7) (يساجلني) يغالبني (الأدرع): لقب أبي جعفر محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسن ابن جعفر بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الكوفي الرئيس بها، قيل: لقب به؛ لأنه كانت له أذراع كثيرة. وإليه ينسب الأدرعيون من العلوية الحسينية بالكوفة وخراسان وما وراء النهر، وغيرها من بلدان شتى، كما في تاج العروس.

وَحَدِيثُ الْفَضْلِ عَنْ أَجْدَادِنَا بِرَوَايَاتِ عُذُولٍ عَنْ عُذُولٍ⁽¹⁾
وَحِصَالُ الْخَيْرِ طُرّاً مَا لَهَا عَنْهُمْ مَيْلٌ وَلَا أَذَى عُذُولٍ
لَمْ أَقُلْ فَحَرّاً، وَلَمْ أَنْبِغِ بِمَا قُلْتُ جَاهاً، لَا، وَلَا أَرْضَى الْفُضُولَ
بَلْ دُرُوسٌ هَكَذَا لُقْنَتْهَا فَلِمَنْ بَعْدِي مِنْ ابْنَائِي أَقُولُ
فَدَعَانِي مَا دَعَانِي مَنْ دَعَا فَادَّعَى وَصَفَ أَصُولِي بِالْخُمُولِ
عَلَّهِ يَحْسَبُ أَنَا تَبِعَ هَمَجٌ يَغْتَالُنَا كُلٌّ مَقُولٌ⁽²⁾
فَلَعَمْرِي إِنَّنَا إِنْ لَمْ نَقْدُ لَمْ نُقْدُ، وَالْمُرْدُ مِنَّا كَالْكُھُولِ⁽³⁾

وله هذه الميمية ترحيباً بإمام من أئمة الحرمين الشريفين زارهم في قرية وادي الشرف⁴:

{الوافر}

أَرِقْتُ؛ صَبَابَةً، أَنَّى يُلَامُ أَحُو وَجِدٍ يُؤَرِّقُهُ الْعَرَامُ
أَرِقْتُ، وَلَا عَلَيْنِكَ فَكَمْ مُذِيعٍ لِمَا يُمْلِيهِ لِلدَّهْرِ ابْتِسَامُ
بَلَى، قَدْ زَارَنَا مِنْ رَحِمٍ وَزَمَزَمَ وَالصَّفَا وَفَدَّ كِرَامُ
كِرَامٌ مِنْ كِرَامٍ مِنْ كِرَامٍ بِزَوْرَتِهِمْ قَدْ انْكَشَفَ الظَّلَامُ
لَقَدْ فَازَتْ قِدَاحُكَ أَرْضَ (مَالِي) بِمَا أَسَدَى لَكَ الْبَلَدُ الْحَرَامُ
وَقَدْ أَسَدَى لَنَا مِنْنَا، فَمَادَا يُكَافئُهَا سِوَى شُكْرِ يُدَامُ
فَتِيهِي وَافْخَرِي بِالْعِزِّ يَا تِي فَإِنَّ الْوَفْدَ يَقْدُمُهُ الْإِمَامُ
أَمَامَ الْمَسْجِدِ الْمَكِّيِّ طَابَتْ خُطَاهُ وَطَابَ لِلْوَفْدِ الْمُقَامُ

(1) يفتخر الشاعر بما توارثه أهل بيته - كابرا عن كابر - من الفضائل، والخصال الحميدة، ومكارم الأخلاق، موريا عن ذلك بمصطلحات متداولة بين أهل الحديث، على ما درج عليه الشعراء المولدون.

(2) (تبع): تابعون للغير، (الهمج): الحمقى من الناس، يقال: رجل همج وهمجة - بالتحريك. (يغتاونا): يهلكنا، أو يأخذنا من حيث لا ندري.

(3) (إن لم نقد لم نقد): إن لم نكن متبوعين فلن نكون تابعين، فنحن أحق بالقيادة. (المرد): جمع أمرد، وهو الشاب الذي طر شاربه، ولم تنبت له لحية بعد. (الكهول): جمع كهل، والكهل من الرجال: من زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين.

⁴ المرجع السابق، ص 270

فَزَادَ اللَّهُ ثُرْبَتَهَا سُمُومًا يُطَافُ حَوْلَهَا وَهِيَ يُصَامُ
 أَيَا وَفَدًا بِمَقْدَمِهِ سُرْرُنَا لَكَ التَّزْحِيبُ مِنَّا وَاحْتِرَامُ
 وَمَجْلِسُكُمْ تَطُوفُ بِهِ جَمِيعًا تَحِيَّاتُ يُنَمِّقُهَا السَّلَامُ

وقال ترحيباً بالرئيس المالي: موسى تراوري¹:

{ الوافر }

أَمِنْ طَرِبٍ سَكِرْتُ غَدَاةَ قِيَلَا أَتَى "مُوسَى" فَهَيَّأْنَا الْمَقِيلَا
 وَأَسْرَعْنَا إِلَى الْأَمْدَاحِ نَبْنِي لِسُؤْدَدِهِ بِهَا ظِلًّا ظَلِيلَا
 وَنَنْشُرُ فَوْقَ رَأْيَتِهِ بُرُودًا مِنَ التَّزْحِيبِ تُهْدِيهِ السَّيِيلَا
 وَتَرْقُصُ حَوْلَ قُبَّتِهِ وَنَسْعَى عَلَى أَقْدَامِنَا مِيلًا فَمِيلَا
 فَأَهْلًا ثُمَّ أَهْلًا ثُمَّ أَهْلًا بِهِ مِنْ قَادِمٍ وَبِهِ نَزِيلَا
 وَشُكْرًا ثُمَّ شُكْرًا ثُمَّ شُكْرًا لَهُ، وَلِمَنْ يَكُونُ لَهُ دَلِيلَا
 فَمَنْطِقُهُ الطَّوَارِقِ فَاحَرْتُ مَنْ سِوَاهَا إِذْ أَلَمَّ بِهَا قَلِيلَا
 وَلَوْ أَنَّ امْرَأً يُعْطَى مَنَاهُ إِذَا لَأَقَامَ بَيْنَهُمْ طَوِيلَا
 هُوَ الْبَطْلُ الشَّهِيرُ، فَإِنْ تَبَدَّى بِلَا مَتِّهِ يَكُنْ سَيْفًا صَقِيلَا⁽²⁾
 هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي مَا زَالَ رُكْنًا بِمَا تَرْقَى بِهِ مَالِي كَفِيلَا
 فَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ فِي الدَّهْرِ أَبْدَى وَأَظْهَرَ لِامْرِئٍ صَفْحًا جَمِيلَا

¹ المرجع السابق، ص 271
 (2) (بلا مته) اللأمة: الدرع.

أَتَى	وَالنَّاسُ	فِي	ضَنْكَ	شَدِيدٍ	فَنَقَسَ	عَنْهُمْ	وَشَفَى	الْعَلِيلَا ⁽¹⁾
وَصَالَ	عَلَى	فِرَاعِنَةٍ	فَأَمْسَتْ		جُمُوعُهُمْ	طَرِيحاً	أَوْ	قَتِيلَا ⁽²⁾
وَأَمَّنَ	مَنْ	يَخَافُ	مِنَ	الرَّعَايَا	أَقَامُوا	أَوْ	هُمْ	فَصَدُّوا الرَّحِيلَا
فَإِنْ	تَعَجَّبَ	فَلَا	عَجَبَ	فَمُوسَى	بِهِ	قَدْ	أَنْقَذَ	الرَّحْمَنُ حَيَلَا
فَمِنْ	يُؤْمِنُ	اسْمِهِ	قَدْ	نَالَ	وَصَفَاً	وَمِنْ	بَرَكَاتِهِ	حَظّاً جَزِيلَا ⁽³⁾
فَبَارَكَ	فِيكَ	رَبُّكَ	مِنْ	هُمَامٍ	عَلَى	هَامٍ	الْكَوَاكِبِ	مُسْتَطِيلَا
وَحَاطَكَ	حِفْظُهُ	بَرّاً	وَبُحْرًا		وَفِي	جَوٍّ	يَحُوطُكَ	وَالرَّعِيلَا
وَأَهْمَكَ	التُّقَى	وَالرُّشْدَ	حَتَّى		تَمِيلَ	إِلَى	الْمَكَارِمِ	مُسْتَمِيلَا
وَعَنَكَ	يَكْفُ	كَفَّ	الْبَغْيِ	كَفّاً	وَبَاغِيهِ	عَزِيزاً	أَوْ	ذَلِيلَا
وَسَاقَ	إِلَى	مَنَاطِقِ	أَرْضِ	مَالِي	مِنَ	الثَّرَوَاتِ	مَا	يُرْوِي الْعَلِيلَا
فِيصْدِرُ	أَهْلُهَا	الْبِتْرُولَ	طَوْرًا		وَطَوْرًا	يُلْقِحُونَ	بِهَا	التَّخِيلَا
وَأَخِرُ	مَا	أُتِمُّهُ	سَلَامٌ		يُخْصُ	الْقَائِدَ	النَّبَهَ	النَّبِيلَا

(1) (الضنك): الضيق، (العليل): المريض.

(2) (فراعة): جمع فرعون، يعني الرئيس الشيعي: موديبو كيتا

(3) (يمن) بركة، يعني أن الرئيس موسى تراوري نال بركة اسمه؛ لأنه سمي نبي من أولي العزم عليهم السلام.

3. الشيخ حمّادو مُحَمَّدو السُّوكي.

هو الشيخ العارف الذي تطورت على يديه طريقة صوفية قوية في المنطقة، حظيت الطريقة انتشارا واسعا بسرعة فائقة، لما تتميز به من تيسير، وتجديد، وهي تخلو من كثير من البدع، والخرافات كالرقص، وزيارة القبور، وتجاوزات عديدة منتشرة في بعض الزاوايا الصوفية، ويمكن القول بأنه طريقته هي الطريقة الصوفية الوحيدة التي ظهرت بين الطوارق في القرون المتأخرة، ولطريقة الشيخ الكثير من الأتباع، والمريدين، من مختلف قبائل الطوارق، وغيرهم في شمال مالي/ أزواد، وبلغ صيته، ومريدوه النيجر، وبوركينا، والجزائر، وهو والد العلامة المجتهد المحمود الملقب بالخضر، والشيخ المنير، وانتقل إلى رحمة ربه سنة 1357 هـ، وقد ترك نواة قوية لانطلاقة معرفية، وعرفانية جديدة في المنطقة، أعادت روح الحياة الوجدانية، والعلمية معا بعد قحط نوراني أصاب المنطقة قرابة قرن من الزمن.

تحدث عن حياته، وكراماته، في مجلدين نجله، وخليفته في المشيخة، والمعرفة الخضر، وأسمى كتابه: "التبر التالذ في مناقب الشيخ الوالد"¹ وشعره طبعا يتميز بميزات اللغة الصوفية، من التعمية، والإيحاء، والإشارات، والرمز، وقد جمع في عمل سبق ذكره تحت عنوان "الواردات"، قدم لها الشيخ الخضر شرحا عميقا في مستواها داخل الكتاب المذكور، وأنا سأورد أهمها هنا دون شرح، مبقيا لها على ظاهرها، فمستواها اللغوي ليس غريبا، إلا أن لها الدلالة الباطنية المقصودة، على أمل أن أجد فرصة أخرى بعد تحليلها تحليلا مستقلا، فلنشنف أسماعنا بها:

¹ انظر: التبر التالذ في مناقب الشيخ الوالد، الخضر حمّادو، من ص 55 إلى آخر الجزء الأول، (مخطوط)

من الواردات (1)¹ :

{الطويل}

فَطِنْتُ وَأُهِمْتُ	المحامد	كلها	وَنَازَلَنِي رَبِّي	خُرُوجِي	وَالرَّذَا
وَنَازَلْتُهُ	حتى	أَتَى كُلُّ	صَالِحٍ	لِيَبْلُغَ شَأْوِي	كَيْفَ يَبْلُغُ مَا وَدَا
فَسَامَرَنِي	حتى	رَوَيْتُ	وَنَازَلَنِي	مِنَ الرَّبِّ مَا	يَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ وَالْحَمْدَا
وَبَاسَطْتُهُ	والحبُّ	يَعْمُرُ	مُهِجَتِي	وَنَازَلْتُهُ	وَالْعِشْقُ يَقْطَعُ الْكِبْدَا ²
هَنَّاكَ	أَرَدْتُهُ	هَنَّاكَ	أَرَادَنِي	هَنَّاكَ	عَلَبْتُ كُلَّ مَنْ جَاوَزَ الْحَدَا
وَأَتَمَمْتُ	حَجَّتِي	وَأَتَمَمْتُ	عُمَرَتِي	فَلِلَّهِ	حَظِّي حِينَ آخُذُ مَنْ نَدَا
وَلِلَّهِ	رَأْفَتِي	وَلِلَّهِ	رَحْمَتِي	لِخَلْقِ	إِلَهِي مَنْ أَطَاعَ وَمَنْ لَدَا
وَلِلَّهِ	عِزَّتِي	وَلِلَّهِ	هَمَّتِي	وَلِلَّهِ	هَجَرَتِي إِلَيْهِ وَلَا كَدَا
وَلِلَّهِ	فِطْنَتِي	وَلِلَّهِ	فِكْرَتِي	وَلِلَّهِ	حِرْفَتِي خِلَافَ مَنْ ارْتَدَا
وَلِلَّهِ	سِرِّي	إِذْ يُؤَلِّي	بِسِرِّهِمْ	وَلِلَّهِ	مَا أَحَقَّى وَلِلَّهِ مَا أَبَدَا
وَلِلَّهِ	تَرْكِي	لِلْعِبَادَةِ	ظَاهِرًا	وِلَايَ	بَحْرٍ أَنْوَارٍ سَبَّحْتُ بِلُجَّةِ
وِلَايَ	مِنْهُ	أَسْمَاءَ	ظُرَافٍ	عَدِيدَةٍ	فَحَمَّادُ رَبِّهِ عَلَى الْقَطْعِ
وَسَيَّاحُ	عَصْرِهِ	وَهَازِمُ	جُنْدِهِ	وَمُنْقِذُ	حِزْبِهِ إِذَا خَشِيَ الْفَقْدَا
وَمَالِكُ	أَمْرِهِ	وَنَاصِحُ	قَلْبِهِ	إِذَا	غَشِيَ الْوَاشِي يُكَلِّفُهُ الْحَقْدَا
عَلَى أَنَّهُ	لَمْ يُهْمِلِ	النَّفْسَ	قَاصِدًا	لِيَهْجُرَ	أَمْرًا سَاءَ ضَرْبُهُ زَيْدَا
فَهَذَا	مَقَالَةٌ	أُمِرْتُ	بِقَوْلِهَا	وَإِنْ لَمْ	أَقْلُهَا قَالَهَا الْغَيْرُ لَا بُدَا

¹ قصائد الشيخ حمادو هذه مأخوذة من الكتاب المذكور "التبر التالد"، من ص 110 إلى 190، الجزء الثاني.

2 - المهجة: النفس.

3 - يجزر: جَزَرَ الماءُ يَجْزُرُ وَيَجْزُرُ جَزْرًا، أي نَضَب.

من الواردات 2

{الرمل}

يا	رَفِيعَ	الصَّيِّتِ	عِنْدَ	المَشُورَةِ	ورَفِيعَ	القَدْرِ	عِنْدَ	السَّمَرَةِ
أَنْتَ	غَادٍ	عِنْدَنَا	رَائِحُ	فَاحِذِ	الحِطِّ	من	أَهْلِ	التَّبَصُّرَةِ
أَنْتَ	قَاضِي	الحُبِّ	فِي	جَلْبَابِهِ	وَقُضَاةُ	الحُبِّ	نَالُوا	التَّذَكِيرَةِ
أَنْتَ	طَيْرُ	الْوَجْدِ	فِي	بَاطِنِهِ	بَيْضَةُ	تَمَلُّ	أَخْلَى	الثَّمَرَةِ
فَابْقُرْ	الطَّيْرَ	وَأَخْرِجْ	بَيْضَهُ	وَاكْسِرْ	البَيْضَةَ	بَعْدَ	النَّكْرَةِ ¹	
وَكُلِّي	التَّمَرَ	وَلَا	تَشْعَلْ	بِهَا	فَتِمَارُ	الحُبِّ	قُوتُ	الْبَرَّةِ
وَأَشْرَبِ	الْبَارِدَ	مِنْ	مَاءِ	النَّوَى	تَعْتَنِمُ	قُرْبَ	مُلُوكِ	السَّفَرَةِ

¹ - فابقر: بقر البطن أي شق.

من قصائده الكبرى التي يلوم فيها حال المنطقة، والقوم، ويذكر بأهمية الإرادة، والعودة إلى الطريقة:

{الكامل}

ذهبتْ وَغُودِرَ فِي الْقِفَارِ جِدَارُهَا أَوْطَانُ زَيْنَبَ حَانَ هَاجَرَ جَارُهَا¹
أَكْرَمَ بِهَا مِنْ ذَاتِ صَبْرٍ وَالْحَيَا جَيْدَاءَ تُتْعِبُ خِدَهَا أَعْدَارُهَا²
أَكْرَمَ بِهَا مِنْ طِفْلَةٍ مَيْمُونَةٍ غَيْدَاءَ تُفْسِدُ سَهْلَهَا أَوْعَارُهَا³
أَكْرَمَ بِهَا مِنْ ذَاتِ عَقْلٍ كَامِلٍ عَذْرَاءَ يُحْبِطُ حَقْدَهَا أَسْرَارُهَا
أَكْرَمَ بِهَا مِنْ ذَاتِ دَلٍّ وَاهِنًا أَشْهَى اللَّذَائِدِ قُرْبَهَا وَجَوَارُهَا
أَنْوَرَ بِهَا مِنْ شَمْسٍ صَحْوٍ نَوَّرَتْ وَقْتَ الضَّحَى أَقْطَارَنَا أَنْوَارُهَا
إِنِّي لِأَذْكُرَ حُسْنَهَا مُتَأَنِّسًا إِذْ ضَاقَ عَنِّي زَوْرُهَا وَمَزَارُهَا
هِيَ طَبِيبَةٌ أَخْلَى الظُّبَا هِيَ بَضَّةٌ لَمِيَاءَ تَفْضُخُ لَيْلَهَا أَقْمَارُهَا⁴
هِيَ طِفْلَةٌ حَوْرَاءُ أَكْمَلِ صُنْعُهَا أَهْنَى اللَّبَاسِ نَصِيفُهَا وَخِمَارُهَا⁵
هِيَ طِفْلَةٌ فَتَانَةٌ بَسَامَةٌ عَنْ مِثْلِ نَوْرِ فُتِّقَتْ أَزْهَارُهَا⁶
هِيَ فِتْنَةٌ يُرْدَى بِهَا مُتَشَوِّقٌ كَانَتْ تُصَافِحُهُ وَجَاءَ نِفَارُهَا
يَا لَيْتَنِي وَالْمَرْءُ يَظْهَرُ سِرُّهُ أَبْلَى وَحَوْلِي دُورُهَا وَدِيَارُهَا

1 - غودر ترك ، القفار: جمع قفر وهو مفازة لا ماء فيها ولا نبات.

2 - جيداء طويلة العنق حسنته، خدنها الخدن بالكسر صاحب وأكثر ما يستعمل فيما يصاحب لشهوة.

3 - غيداء ناعمة مائلة العنق لنا ونعومة.

4 - بضرة: البضرة: الرقيقة الجلد الناعمة المكتنزة اللحم في نصاعة لون، لمياء: اللَّمَى مثلثة اللام: سُمرَةٌ في الشَّفَةِ أو شُرْبَةُ سَوَادٍ فِيهَا . لَمِي كَرَضِي لَمَى وَكَرَمَى لَمِيَاءٌ : اسْوَدَّتْ شَفَتُهُ وَهُوَ أَلْمَى وَهِيَ لَمِيَاءٌ .

5 - النصيف: الخمار، أو المعجر، أو ثوبٌ تَنَجَّلُ بِهِ الْمَرْأَةُ فَوْقَ ثِيَابِهَا كُلِّهَا سَمِي نَصِيفًا ؛ لِأَنَّهُ تَصَفَّ بَيْنَ النَّاسِ وَيُبَيِّنُهَا فَحَجَرَ أَبْصَارُهُمْ عَنْهَا. خمارها: ماتغطي به رأسها .

6 - النور: النَّورُ وَالنُّورَةُ بفتحهما النَّوَارُ كَرَمَانَ جَمِيعًا : الرَّهْرُ أَوْ النَّورُ : الْأَبْيَضُ مِنْهُ أَيُّ مِنَ الرَّهْرِ وَالزَّهْرِ الْأَصْفَرِ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَبْيَضُ ثُمَّ يَصْفَرُ ج النَّوْرُ أَنْوَارٌ وَالنُّوَارُ وَاحِدُهُ نُورَةٌ . وَنَوَّرَ الشَّجَرَ تَنْوِيرًا : أَخْرَجَ نَوْرَهُ . فَتَّقَتْ [فَتَقَّ] فَتَقَّتَ الشَّيْءُ فَتَقًا : شَقَّقَتْهُ . وَفَتَّقَتْهُ فَتَقَاتَا مِثْلَهُ ، فَتَفَتَّقَا وَانْفَتَّقَا . وَفَتَّقَ الْمَسْكَ بغيره: اسْتَخْرَجَ رَائِحَتَهُ بِشَيْءٍ تَدْخُلُهُ عَلَيْهِ .

دُعْ عَنْكَ زَيْنَبَ حِينَ شُوهِدَ وَلِيَّهَا إِذْ لَا تُثَالُ لَدَى الْوَرَى أَخْبَارُهَا¹
 اذْكُرْ سُكُوتَكَ وَالْمِظَالُ تَنْتَحِي حَتَّى نَفَقْتَ إِلَى الْمَقَاوِرِ نَارُهَا
 فَبَقِيتَ مُنْفَرِدًا طَرِيدًا مُهْمَلًا وَرَدْتَ إِلَيْكَ وَخُوشُهَا وَقَفَارُهَا
 لَا رَأْيَ لِي اخْتَارُهُ إِلَّا الرَّبِّي بَيْنَ الشَّوَاهِقِ أَخْضَلْتَ أَنْهَارُهَا²
 أَنْتَابُهَا وَالْوَحْشُ رَأْسُ أَحِبَّتِي وَالْمَسْكَنُ الْمَيِّمُونُ عِنْدِي غَارُهَا³
 وَالطَّائِرَاتُ الْوُرُقُ تُصْبِحُ عِنْدَنَا وَلَدَى الْمِنَاهِلِ أَثْبَتْتَ أَوْكَارُهَا
 وَالْأُمُّ أُمُّ الْفَرْخِ تُنَكِّرُ هَجَرَتِي وَتَوَحُّشِي وَعَلَيْكُمْ إِنْكَارُهَا⁴
 مَاذَا أَقُولُ وَمَا أُحَاوِلُ إِذْ بَدَا أَنَّ الْأَمَانَةَ قُطِّعَتْ أَوْتَارُهَا
 مَاذَا أُحَاوِلُ وَالْفَوَادُ مُعَذِّبُ وَالنَّفْسُ مَالٌ لِلْإِنْقِضَاضِ جِدَارُهَا⁵
 مَاذَا أُحَاوِلُ إِذْ تَغَيَّبَ وَاحْتَفَى قَمَرُ الْهَدَايَةِ وَانْزَوْتُ أَنْصَارُهَا⁶
 مَاذَا أُحَاوِلُ إِذْ تَشَتَّتَ فَائِلًا أَمْرُ الْعَشِيرَةِ وَاعْتَدَتْ أَعْمَارُهَا
 إِذْ قَازَعُوا وَرُمُوا بِقَذْفٍ قُطِبِهِمْ لَيْتَ الْمَنِيَّةِ أَنْشَبْتَ أَظْفَارُهَا
 أَيْنَ الْإِرَادَةُ أَيْنَ لِبْسُ قَمِيصِهَا حَتَّى بُجِرِبَ ثَمَّ أَيْنَ إِزَارُهَا
 أَيْنَ الْبَشَارَةُ أَيْنَ مَنِبْتُ نَخْلِهَا حَتَّى تُهَنَّا ثَمَّ أَيْنَ ثِمَارُهَا
 أَيْنَ التَّدَارُةُ أَيْنَ مَنْبُعُ رَوْضِهَا فَلَقَدْ وَرَيْتُ غُورَتِ آبَارُهَا⁷
 أَيْنَ الصَّدَاقَةُ ثَمَّ أَيْنَ دِثَارُهَا فَلَقَدْ تَعَذَّرَ ثَمَّ أَيْنَ شِعَارُهَا⁸

1 - وليها: إعراضها.

2 - الشواهق: الشاهق: المرتفع الطويل العالي الممتنع من الجبال وكذا من الأبنية وغيرها: ما ارتفع منها وطال والجمع الشواهق.

3 - غارها: الغار كالكهف في الجبل.

4 - الفرخ: ولد الطائر وكل صغير من الحيوان والنبات.

5 - الانقضااض: السقوط.

6 - انزوت: انطوت وانقبضت.

7 - غورت آبارها: بعد ماؤها، وغور كل شيء: بُعد قعره وغارت النجوم وغار القمر والعين والماء تغور غوراً.

8 - دثارها: الدثار بالكسر: ما فوق الثياب.

أَيْنَ الْفُتُوَّةِ ثُمَّ أَيْنَ كِبَارُهَا	ولقد جَفَوَكَ وَثُمَّ أَيْنَ صِغَارُهَا
ذَهَبَتْ وَسَائِلُكُمْ لَدَيَّ جَمِيعُهَا	حَتَّى تَتَوَبُّوا وَأُنْهَجَتْ أَسْيَارُهَا
نُورُ النَّبَوَّةِ رَحْمَةً لَا تَنْتَنِي	إِلَّا عَلَى هَمَجِ الْوَرَى أَمْطَارُهَا
وَحِمَاةُ جَوْلَتِكُمْ تَجُولُ وَتَحْتَمِي	وَتَكُفُّهَا عَنْ جَوْلِهَا أَشْرَارُهَا
يَا حَفَصَ قَوْلِي لِمَنْ يَرِيدُ إِهَانَتِي	فَعَلَيْكَ عَهْدَةٌ قَصْدِهَا وَخَسَارُهَا
وَعَلَيْكَ ثُورُذُ إِنْلِهَا وَحَمِيرُهَا	وَعَلَيْكَ يُذَكِّرُ عَارُهَا وَعُورُهَا ¹
وَعَلَيْكَ يُكْتَبُ ذَنْبُهَا وَوَبَاؤُهَا	وَعَلَيْكَ يُظْلَمُ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
وَعَلَيْكَ تُكْسَفُ شَمْسُهَا وَهَلَاكُهَا	وَعَلَيْكَ نَفْحَةُ نَارِهَا وَدَمَارُهَا
وَعَلَيْكَ يُنْقَلُ شُنْعُهَا وَشَنِيعُهَا	وَعَلَيْكَ يُحْتَى ثَرْبُهَا وَعُغْبَارُهَا
فَعَلَامَ يَحْسُدُ هِجْرَتِي حُسَادُهَا	وَعَلَامَ يَكْفُرُ نِعْمَتِي كُفَّارُهَا
وَأَنَا الْحَرَامُ فَلَا أَنْقُرُ صِيدَكُمْ	حَتَّى يُنِيحَ بَكْعَبَةٍ زُورَارُهَا
فَهُنَاكَ يَلْثُمُنِي وَأَلْثُمُ ثَرْبُهَا	وَيَشْتُمُنِي وَتَشْتُمُنِي أَشْجَارُهَا
وَهُنَاكَ أَشْرَبُ رَاغِمًا لِعَوَازِلِي	وَهُنَاكَ تُعْرِبُ بِالْفِدَا أَبْكَارُهَا
فَتَطِيبُ لِي كَالطِّيبِ بَلَّ مِنْ فَوْقِهِ	وَهُنَاكَ يَصْلُحُ زُورُهَا وَحِوَارُهَا
وَهُنَاكَ يَزْكَعُ رَاكِعٌ لَطَوْفِهِ	سَبْعًا وَثُرْمَى بِالْخِصَاةِ جِمَارُهَا
فَهِىَ الَّتِي لَا أَبْتَغِي أَرْضًا بِهَا	وَهِيَ الَّتِي مَنَعَ الْكَرَى تَذْكَارُهَا
وَأَنَا الْحَلَالُ بِإِذْنِ رَبِّي بَاعِثِي	فَعَلَامَ يُدْعَرُ أَعْزَرِي دُعَارُهَا ²
مَا قُلْتُ ذَا عَبَثًا وَلَا مُتَظَلِّمًا	لَكِنْ سَلَامَةٌ مُهْجَتِي أَخْتَارُهَا
وَذَوُو الْوَجَاهَةِ يُظْهِرُونَ شِكَايَةَ	كَيْلَا يُضَاعَفَ فِي الْقِيَامَةِ نَارُهَا
فَسَمَّاؤُكُمْ تَبْكِي لَشُنْعِ صَنِيعِكُمْ	وَالْأَرْضُ تُصْلِحُ شَأْنَهَا أَبْرَارُهَا

1 - العوار: العيب، يقال: سلعة ذات عوار بفتح العين وقد تضم.

² - يذعر: يفزع. أعنز: جمع عنز وهي الأنثى من المعز.

والبحرُ	مُلْتَطَمٌ	لَشِدَّةٍ	غِيْظِهِ	وَالرَّيْحُ	عَزَّ	سُكُوْثُهَا	وَقَرَارُهَا
ما	ذَا	أُعِدِّدُ	وَالْمَيَانِي	وَأَجِيحُ	سُورِ	قُصُورِهَا	وَمَنَارُهَا
ما	ذَا	أُعِدِّدُ	وَالْوُحُوشُ	تَشْكُو	وَيُفْصِحُ	بِالْهَجَاءِ	جَنَارُهَا ¹
ما	ذَا	أُعِدِّدُ	وَالْهَضَابُ	وَتَعُوْدُنَا	وَتَحْفُنَا		أَحْجَارُهَا
وَالْجُوْ	مُكْتَتِبٌ	لِقَرْطِ	حَرَارَةٍ	وَالْمَزْنُ	حَقَفَ	خُزْهَا	إِفْرَارُهَا
اللَّهُ	أَكْبَرُ	أَنْ	يُؤَفِّقَ	تَوْبَةً	وَتَسْتُرُ	خَرْقَنَا	أَسْتَارُهَا
وَتَنِيْلُنَا	حُسْنِ	الدِّيَانَةِ	بِالَّذِي	هُوَ	لِلشَّرِيعَةِ	قُطْبُهَا	وَمَدَارُهَا
هُوَ	"الْمَشْفَعُ"	وَالْمَقْدَمُ	رُتْبَةً	تَعْلُو	عَلَى	رُتَبِ	الْوَرَى
صَلَّى	عَلَيْهِ	اللَّهُ	بَعْدَ	سَلَامِهِ	مَا	الْخَرْقُ	لِلْأَقْطَابِ
وَالْأَلِ	وَالْأَصْحَابِ	مَا	عَشِقَ	الْفَتَى	بِلِقَاءِ	زَيْنَبَ	حِينَ
					هَاجَرَ	جَارُهَا	

من الواردات 3

{مجزوء الرمل}

سَكِرَ	الْقَوْمُ	بَصَحْنِ	مِنْ	كُؤُوسِ	الشَّرْبِ	يُغْنِي
مِنْ	فُنُونِ	الْحَبِّ	وَالْهَيْدِ	بَةِ	فَنَّا	بَعْدَ
مِنْ	دَوَاهِ	عَايِنُوهَا	أَلْحَقَتْ	كَوْنًا	بِكَوْنِ ³	
مِنْ	ذَوَاقِ	وَشَرَابِ	وَجُنُونِ	وَتَجَنَّ ⁴		
وَاحْتِرَاقِ	بَعْدَ	وَجَدِ	وَانْقِبَاضِ	وَتَشَرَّ		
فَفِدَاهُمْ	كُلَّ	فَهْ	نَاصِحِ	أَهْلَ	التَّائِنِ	

¹ جنارها: أصواتها

² المشفع: من أسماء النبي ﷺ.

³ - دواه: جمع داهية.

⁴ - اسم لما يذاق من الطعام ونحوه.

يا	أُولَى	الْغَيْرَةِ	صَبْرًا	لا	أَرَى	أَغْيَرَ	مَعِيَ
وَأَعَارُوا	ثُمَّ	غَارُوا	سَكْرَةً	مِنْ	كَأْسٍ	تَبْنٍ	
إِنَّمَا	يَذْكُرُ	بِالْكَأ	سِ	أَخِي	أَهْلُ	الْتَّمَنِي	
وَأَنَا	أُبْرَزَ	سُكْرِي	رُؤْيَاهُ	السَّاقِي	بِعَيْنِي		
وَأَنَا	أَفْرَطُ	عِشْقِي	نَظْرَةً	تَنْزَاحُ	عَنِّي ¹		
وَأَنَا	مِنْ	قَبْلُ	أَنْهَى	قَالَي	وَالْقَلْبُ	يَزْنِي ²	
ثُمَّ	نَالَتْ	بِي	مِنْ	الْمَوْلَى	الْكَرِيمِ	الصَّفْحِ	عَنِّي
نَفَحَاتُ	لَسْتُ	أَغْنِيهَا	قَدِيمًا	وَهِيَ	تَعْنِي		
وَسَوَائِي	فِي	غِطَاءٍ	يَبْضَعُ	الشُّرْبِ	بِدَنْ ³		
وَهُوَ	بِالْآثَارِ	يَلْهُو	وَأَنَا	بِالْعَيْنِ	أَكْنِي		
وَهُوَ	بِالْحُلُوةِ	يَزْهُو	وَأَنَا	بِاللَّهِ	أَغْنِي		
وَهُوَ	أُنْسِي	وَمَلَاذِي	وَهُوَ	فُوتُ	الرَّوْحِ	مَعِيَ	
إِنِّي	مِنْ	أَجَلٍ	كَسْنِي	خَالِطًا	خَوْفًا	بِأَمْنٍ	
وَإِذَا	طَالَعْتُ	سِرِّي	مَرَّةً	حَسَنْتُ	ظَنِّي		
وَإِذَا	خَالَفْتُ	أَمْرًا	لِلْهَوَى	أَتَمَمْتُ	حُسْنِي		
غَيْرَائِي	مِنْ	إِلَهِي	طَامِعُ	تَكْمِيلِ	إِذْنِي		

1 - وَأَفْرَطُهُ: أَكْثَرُهُ تَجَاوَزَا لِلْحَدِّ. تَنْزَاحُ: تَبْتَعِدُ.

2 - الْقَالِبُ الشَّيْءُ الَّذِي تُفَرِّغُ فِيهِ الْجَوَاهِرُ لِيَكُونَ مِثَالًا لِمَا يُصَاغُ مِنْهَا وَكَذَلِكَ قَالِبُ الْخُفِّ وَنَحْوُهُ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا قَالِبُ الرُّوحِ وَهُوَ الْجَسَدُ.

3 - سَوَاعِي: غَيْرِي. يَبْضَعُ: يَتَخَذُ بَضَاعَةً.

من الواردات 4 خطاب عصاه له:

{الخفيف}

أَصْطَفِي صَاحِباً يُدَاوِي غَلِيلِي	حَلَّ عَيِّي وَحَلَّ حَلَّ سَبِيلِي
لَيْسَ يَعْرِفُ غَيْرَ حُبِّ الْجَلِيلِ	أَصْطَفِي سَاهِراً إِذَا الْخَلْقُ نَامُوا
جَدَّ أَمْرُ الصَّلَاةِ غَيْرُ ثَقِيلِ	أَصْطَفِي مَاهِراً خَفِيفاً إِذَا مَا
فِي بَحَارِ الْكَلَامِ غَيْرُ مَلُولِ	أَصْطَفِي ذَاكِراً إِذَا النَّاسُ خَاضُوا
وَيَشْهَدُهُ فَذَلِكَ سُورِي	أَصْطَفِي خَاضِعاً يُرَاقِبُ مَوْلَاهُ
بَاكِياً قَلْبُهُ بِأَعْلَى الْعَوِيلِ ¹	وَإِذَا دُكِرَ إِلَهُ تَلَا شَى
بِحَبِيبٍ أَتَى وَلَا بِجَلِيلِ	وَهُوَ فِي اللَّهِ غَائِبٌ لَا يُبَالِي
لَا تَرَى زَائِراً لِهَذَا الْعَلِيلِ	وَهُوَ فِي النَّاسِ حِلْفُ دَاءٍ مُحْوَفٍ
قُ بِالْفُحْشِ وَالْحَنَّا ذَا دَلِيلِي	ذَلَّنِي صُنْعُهُ عَلَيْهِ فَلَا يَنْطِ
حَالُهُ قَدْ دَعَا بِعَبْدِ الْجَلِيلِ	لَسْتُ أَعْرِفُ مَا اسْمُهُ قَبْلُ لَكِنْ

أجاب لعصاه قائلاً:

{الخفيف}

أُمُّ تَوَهَّمْتَنِي لِقَالِ وَقِيلِ	لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَدَا لِكَ دَائِي
فَأُجَابَ بِسَيِّءٍ أَوْ جَمِيلِ	لَيْتَنِي مِتُّ بَعْتَهُ قَبْلَ هَذَا

¹ - تلاشى: اضمحل، العويل: البكاء.

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَزُورُ طَيْبٌ أَشْتَرِي طَبَّهُ هَذَا الْقَتِيلِ
لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَدَاوَى بِجَذْبٍ أَمْ أَرَى سَالِكًا قَبِيلِ الرَّحِيلِ
أَسْلُوكُكَ نَاشِئٌ عَنْ سُلُوكِي أَمْ وَصُولُكَ نَاشِئٌ عَنْ وَصُولِي
وَعِتَابُ الذِّكْرِ لَيْسَ عِتَابًا إِنَّمَا الْعَتَبُ لِلْبَلِيدِ الْجَهْلُولِ
أَنْتِ تَيَمَّنْتَنِي وَغَيَّرْتَ عَقْلِي بِكَثِيرٍ مِنْ اِهْجَا وَقَلِيلٍ¹
انْظُرِي وَادْكُرِي عَصَا قَدْ تُدَاوِي جَوْعَ صَاحِبِهَا لِمُوسَى الرُّسُولِ
وَإِذَا ظَهَرَ الْعَدُوُّ تَرَاءَتْ وَهِيَ تَهْزُمُهُمْ إِلَى نَحْوِ مِيلِ
وَإِذَا عَطَشَ الْكَلِيمُ وَحَاطَتْ وَهِيَ أَعْرِفَهَا مِنْ آسِ جَنَانِ
أَخْسَيْتَنِي وَاسْكُتِي فَإِنِّي عَلِيمٌ بِمَكَانِكَ فَانْظُرِي لِمَقِيلِي²
أَخْسَيْتَنِي وَاسْكُتِي فَإِنِّي عَزِيزٌ بِكَرِيمٍ بَعْفَرٍ ذَنِي كَفِيلِ
أَخْسَيْتَنِي وَاسْكُتِي فَإِنِّي وَعَاءٌ لِفُنُونِ الْأَسَى لِذِكْرِ فُضُولِ
أَخْسَيْتَنِي وَاسْكُتِي فَإِنِّي شَفِيعٌ فِي بَنِي آدَمَ كَمَا لِبَدِيلِ
أَنْتِ شَوَّهْتَنِي بِمَحْضَرِ نَاسٍ مِنْ ذَوِي الْوُدِّ يُظْهِرُونَ قَبُولِي³
أَنْتِ أَتَعَبْتَنِي فَهَذَا فِرَاقٌ لَوْ صَبَرْتَ لَزُرْتَ مَأْوَى الْمَغِيلِي
أَوْ أَتَيْتِ الْحِمَامَ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ أَوْ دَخَلْتَ الْجِنَانَ قَبْلَ الدَّخُولِ
أَذْهَبِي وَارْجِعِي لِأَهْلِكَ حَتَّى أَسْأَلَ عَنْ قَضَايَا الْمَقُولِ
فَمَتَى كُنْتَ طَالِقًا فَثَلَاثَ لَيْسَ لِي رَجْعَةٌ فَهَذَا سَبِيلِي

1 - تيمنتني: تيمه الحب أي استعبده والله.

2 - اخسئي: ابتعدي .

3 - شوهنتني: قبحتني.

4. حمداً محمد حادي.

الفقيه، اللغوي، الشيخ حمداً محمد بن حادي، من أعيان، وعلماء قبيلة "كلّ بَحْلَلْت"، له عدة آثار علمية، في اللغة، والفقه، نظم ورقات الجويني، ونظم التلخيص، وشرح شواهد كافية ابن مالك، وتحرير المقال في شرح منية الأمال، وشعره يتميز بسلاسة، والوضوح، وعدم الإكثار من الغريب¹:

وقال في وصف الطائفة²:

(البسيط)

لَا بُأَسَ بِالطَّائِرِ الْجَوِّيِّ لَا وَلَيْئِنْ
سُبْحَانَ فَاطِرِهِ لِلْإِعْتِبَارِ بِهِ
نَامِي النَّشَاطِ بِلَا ضَرْبِ السَّيَاطِ وَكَمْ
شَادٍ، مُعَنَّ بِلَا حَرْفٍ وَلَا شَفَّةٍ
إِنْ مَالَ نَحْوَ السَّحَابِ اهْتَزَّ مِنْ طَرَبٍ
يُنَازِعُ الرِّيحَ، قَالَتْ: أَنْتَ مِنْ خَدَمِي
مَطِيئَةٌ هِيَ لَا تَعْيَا عَلَى عَمَلٍ
وَلَمْ تَطْبُ نَفْسُ سَوَاقٍ إِذَا طُوِيَتْ
فِيهَا حِرَاكٌ، وَلَمْ تَحْسَنْ بِرَاكِبِهَا
يَا مَنْ لِحْفَقِ جَنَاحٍ خَافِقٍ وَعَلَى
صُقُوتٍ وَخَفَتْ فَمَا غَالَى مُقَايَسُهَا
فَلَا تَمَلْ عَنْ نِيَاظِ قَلْبِهَا فِيهَا
يَا قُبَّةً أَذْكَرْنِي لَيْلٍ يُؤْنِسُنِي
لَا تَسْمَعِي قَوْلَ هَاجٍ مَا هَجَاكِ وَلَا

عَنَّاكَ فِي صَعْدٍ هَنَّاكَ فِي صَبَبٍ
مِنْ سَابِحٍ عَطِشٍ رِيَّانٍ مُلْتَهَبٍ
لِلْإِحْتِيَاطِ يُزَجِّى بِاسْتِقَا نَعْبٍ³
هَادٍ مَهْنٍ بِلَا جَفْنٍ وَلَا هُدْبٍ
وَكُلَّمَا مَالَ عَنْهَا اِزْتَجَّ لِلْغَضَبِ
فَقَالَ هَيْهَاتَ ظُنِّي أَخَا وَهَبٍ
وَلَا تَشْكِي الْأَذَى فِي عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ
إِلَّا إِذَا نَزَلَتْ فِي صَفْصَفٍ جَدِبٍ
عَلَى تَنْفُسِهَا رَأْسًا إِلَى ذَنْبٍ
جَوِّ الْفِيَا فِي بِهِ تَحْجُوكَ لَمْ يُجِبِ
بِعَصْفَةِ الرِّيحِ أَوْخَظَفٍ مِنَ الْعُرْبِ
صَقَانٍ مَا تَرَكَ بُشْرَى لِمُعْتَرِبٍ
صَحْبِي وَأَذْكَرُ النِّجْمَانِ بِالثَّقَبِ
تُلْغِي مَقَالَهَ نَاجٍ فِيكَ مَطَرٍ

¹ انظر: ترغيب المشوق في ذكر أشعار آل السوق، زين الدين محمد الصالح، ص 301 (مخطوط)

² المدارس الأدبية، محمد الخرجي، ص 215

³ نعب الطائر: حساء، ولا يقال: شرب، ويريد تعبئة الطائر بالوقود.

قال في رثاء الشيخ سيدي حم المختار الكنتي¹

(الكامل)

مَرَّتْ عَلَى الْأَجْدَاثِ تِلْكَ الذَّاتُ
وَأَعْتَمَّ مَا فَوْقَ السَّفَا أَسْفًا بِمَا
وَسَقَتْ دُمُوعُ النَّائِحَاتِ خُذُودَهَا
وَشَكَّى التَّنَسُّكُ غُرْبَةً نَزَلَتْ بِهِ
وَتَلَا عَلَى الدُّنْيَا سَلَامَ مُودِّعٍ
وَاسْتَنْكَرَتْ نَعَمَاتِ أَقْوَامٍ بِهَا
وَتَوَسَّمتْ تَعْطِيلَهَا مِنْ قَائِمٍ
وَتَنَاسَتْ الزُّوَارُ مَعْنَى طَالَمَا
وَأُنِيلَ أَمْنَا مِنْ تَفَرُّقِهَا، وَلَمْ
وَاسْتَشْعَرَ الْحَدَامُ أَنَّ قَدْ أُبْدِلَتْ
صَبْرًا بَنِي الشَّيْخِ الْكَبِيرِ فَأَنْتُمْ
إِنْ تَصْبِرُوا - وَالصَّبْرُ أَنْتُمْ أَهْلُهُ -
أَوْ تَجْزَعُوا فَحَاطِطَةٌ تَأْبُونُ أَنْ
حَاشَاكُمْ مِنْهَا، فَلَوْ عَنْكُمْ أَتَتْ
أَوْ مَا قَرَأْتُمْ {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ}
فَالْمَوْتُ مُشْتَرِكٌ وَمُعْتَرِكٌ، وَقَدْ
خَبِرَ تَدَارِسُهُ الْأَبْوَنَ وَبَعْدَهُمْ
دَاعِيهِ حَتَّمُ أَنْ يُجَابَ إِذَا دَعَا

يَوْمَ الرَّحِيلِ فَمَرَّتِ اللَّذَاتُ²
قَدْ عَدَكَ النَّاعُوكُ مِمَّنْ مَاتُوا³
مَطْرًا غَزِيرًا مَا بِهِ إِنْبَاتُ
وَعَرَى التَّمَسُّكُ بِالسَّدَادِ شَتَاتُ
تَعْظِيمُ أَمْرِ اللَّهِ وَالْإِحْبَاتُ
كَمْ كَرَّرْتَ هَاكُمُ فَصَارَتْ هَاتُ
بِحُفُوقِهَا الْأَخْبَارُ وَالْآيَاتُ
أَمْسُوا بِهِ أَوْ أَصْبَحُوا أَوْ بَاتُوا
تَأَمَّنْهُ قَدَمًا أَلْفُ وَمِائَاتُ
مِنْ كَدِّ رَاحَاتٍ لَهُمْ رَاحَاتُ
صَحْرٍ بِهَا لِلْعَالَمِينَ ثَبَاتُ
شَمَلْتَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ صَلَوَاتُ
يَنْمِي إِلَيْكُمْ مِثْلَهَا قَنَاتُ
كَرَّرْتُ لِاسْتِبْعَادِهَا هَيْهَاتُ
وَتُفِيدُ الْإِسْتِغْرَاقَ كَلِّيَّاتُ
عُرِكَتْ بِهِ بَعْدَ الْعَزِيزِ فِغَاتُ
يَرُوي بَنُوهُمْ مَتْنَهُ وَبَنَاتُ
وَيَحُقُّ عِنْدَ أَذَانِهِ إِنْصَاتُ

¹ ضمن مجموعة شعرية مبعثرة مع الباحث.

² مرت اللذات: صارت مرة من المرات.

³ السفاء: الأرض.

إِنَّ مَاتَ فَاَلْمَوْتَى كَثِيرٌ قَبْلَهُ
 أَوْ كَانَ مَدْفُونًا قَرَبَ نَفْسِهِ
 أَوْ غَابَ فِي الظُّلُمَاءِ فَهُوَ كَمَالُهُ
 يَبْنِي مَدِينَةَ نِعْمَةٍ فِي بَرْزَخٍ
 حَتَّى إِذَا فَرَعَتْ يَدَاهُ وَأُصْعِدَتْ
 رَامَ الْوُصُولَ لَهَا فَنَالَتْ رُوحَهُ
 وَالْأَرْضُ قَالَ اللَّهُ فِيهِ {كِفَاتُ}
 تَحْتَ الشَّرَى دُفِنَتْ وَتَمَّ نِكَاتُ
 وَالْبَدْرُ شَرَطَ كَمَالِهِ الظُّلُمَاتُ
 قَدْ زُحِرَتْ لِقُصُورِهَا حَافَاتُ
 فِي أَنْفِهِ مِنْ مِسْكِيهَا نَفَحَاتُ
 سَبَقًا إِلَيْهَا وَافْتَقَتْهَا الدَّائَاتُ

قصيدة يقرظ بها الشيخين: مُحَمَّد محمود بن مُحَمَّد الصالح والشيخ سعد الدين بن عمار
 حيث نظم الأول أرجوزة في النصائح وقام الثاني بشرحها فراوح في تقريظه بينهما حيث
 يقول¹:

(الكامل)

خَافَ الضَّلَالِ وَحُمُهُ أَنْ يَجَارَا
 وَأَشَتَّ عَسْكَرَ شَرْحِهَا لَمَّا غَزَا
 فَهُمَا سِلَاحُ هُدَى النَّبِيِّ تَرَاهُمَا
 وَهُمَا لَهُ كَالْمُقْلَتَيْنِ وَإِنَّهُ
 نَظَمَ بِمَنْزِلَةِ الْبَيَاضِ وَشَرَحَهُ
 لِلَّهِ دَرْهُمَا وَمَنْ صَاغَاهُمَا
 فَرَسًا رِهَانِ الْمَعْلُوتِ تَسَابَقًا
 جَهْدًا بِقَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ وَجَاهِدًا
 وَتَطَاوَعًا وَتَتَابَعًا وَكَأَنَّمَا
 فَأَقَامَ هَذَا حِينَ أَذَّنَ ذَا وَإِذْ
 وَكُنَى فَصَرَّحَهَا وَنَشَرَ مَا طَوَى
 لَمَّا أَغَارَتْ حَوْلَهُ (مَالِي أَرَى)
 لِلنُّكْرِ سَرَحًا آمِنًا أَنْ يُذْعَرَا
 فَتَحَالَ ذَا سَيْفًا وَالْكَ مِغْفَرًا²
 بِهَمَا يَرَى إِنْ شَاءَ أَنْ يَتَبَصَّرَا
 كَانَ السَّوَادَ فَهَبُهُ طَبِيًّا أَحْوَرَا
 فَلَقَدْ - يَمِينُ اللَّهِ - حَارَا مَفْخَرَا
 وَكِلَاهُمَا جَلَّى فَلَا يَرْضَى وَرَا
 فَعَزَا فَرِيظَةً ذَا وَهَذَا خَيْبَرَا
 هَذَا لِيَا عَرَضَ يُلَازِمُ جَوْهَرَا
 نَادَى ائِدْعَى وَتَرَاهُ يَخْلُقُ إِذْ فَرَا
 وَبَنَى فَسَوَّرَهُ وَطَلَّ فَنَوَّرَا

¹ من تلك المجموعة المذكورة سلفاً

² أَلْكَ: لغة في ذلك.

وَلَيْنَ رَوَى فَلَقَدْ وَعَى وَلَيْنَ هَدَى
 بَحْرَانِ مُلْتَقِيَانِ يَفْقِدُ لُؤْلُؤًا
 فَجَزَى إِلَهُ مَنْ أَسْهَرَ جَفْنَيْهِمَا
 إِمَّا بِنَظْمٍ فَآخِرٍ قَدْ حَازَ مِنْ
 وَمِنْ الْبَيَانِ الْمَعْنَوِيِّ وَضِدَهُ
 أَوْ شَرْحِ أَلْفَافٍ يُقَرِّبُ مَا قَصَى
 لَا عُرْفَ إِلَّا جَدَّاهُ وَسَدَّاهُ
 لَا نُكْرَ إِلَّا بَدَّاهُ وَشَدَّاهُ
 كَمْ سُنَّةٍ نُشِدَتْ هُنَاكَ وَبِدْعَةٍ
 كَمْ سُورَةٍ ذُكِرَتْ وَكَمْ مِنْ سِيرَةٍ
 سَهْلَانِ مُتَنَعَانِ مَا تَرَكَ لِمَنْ
 حمد الهدى إهلال ذا وطبيعة
 فَمِنْ الْعَجَائِبِ مَا بَوَّضَ اسْمَيْهِمَا
 نَاهِيَهُمَا فِي مَذْحَتِي أَوْلَا فَهَلْ
 يَا رَبِّ كُلِّ مِنْهُمَا أُبْلِغُهُمَا
 وَأَطْلُ طَوْلَ بَقَاءِ بَاقٍ مِنْهُمَا
 وَاجْمَعُهُمَا وَجَمِيعَنَا مَعَهُمْ عَدَاً
 بِمُحَمَّدٍ صَلَّى عَلَيْهِ مُسَلِّماً
 مَعَ زَوْجِهِ وَالتَّابِعِينَ الْغُرَّ مَا

فَقَدْ اهْتَدَى وَلَيْنَ أَفَادَ فَقَدْ دَرَى
 فِي الشَّطِّ بَعْضُهُمَا وَالْآخِرُ عَنَبَرَا
 فِي نُصْرَةِ الدِّينِ الْجَزَاءِ الْأَكْبَرَا
 رُتِبَ الْبَلَغَاتِ النَّصِيبُ الْأَوْفَرَا
 مَا رَاقَ أَسْمَاعاً وَفَاقَ الْجَوْهَرَا
 وَيُرْوَضُ مَا مِنْهَا عَصَى وَتَشَدَّرَا
 لَطَرِيقِهِ إِذْ أَظْهَرَاهُ وَأَشْهَرَا
 فِيهِ النِّكِيرَ وَحَدَّرَاهُ فَأَعْدَّرَا
 طُرِدَتْ وَكَمْ عِظَّةٍ تُرِيغُ الْمُسَوَّرَا
 أَثَرَتْ وَكَمْ حِكْمٍ وَنَقْلٍ يُقْتَرَا
 يَشْنَاهُمَا لَا مَسْمَعاً أَوْ مَنظَرَا
 سعدت ليالي الدين ساعة أبدرا
 سَعْدَاً وَمُخْمُوداً أَبُو عَجَبٍ جَرَى
 تَأْتِي الدَّلَاءُ عَلَى خِضَمِّ أَزْحَرَا
 مَا أَمَلَاهُ هُنَا وَإِمَّا يُخْشَرَا
 وَاسْرُورُهُ وَاسْرُورُ مَنْ تَغَيَّبَ فِي الثَّرَى
 فِي مَقْعَدٍ تَسْقِي دَوِيهِ الْكَوْثَرَا
 فِي آلِهِ وَصِحَابِهِ بَارِي الْبَرَى
 فَرَعَ الضَّلَالُ وَخَافَ مِنْ (مَالِي أَرَى)

وهذا ما عثر من موازنته لـ (بانت)¹:

{البسيط}

إِيَّايَ وَالسَّعْيَ فِي صَدِّي فَتَطْوِيلُ
صَمَمْتُ فِي شَعْفِي حَتَّى صَمَمْتُ، فَمِنْ
أَمَّا تَرَانِي أَسْتَقْصِي الدُّجَا سَهْرًا
مُسْتَرْخَصًا كُلَّ مَا لِي مِنْ نَفَائِسَ فِي
لَا صَدَقْتَنِي أَحْبَابِي وَلَا صَدَقُوا
فَإِنْ تَشَابَهَ عَنْكَ فِي الْهَوَى سَنِي
دَعْنِي أُعْجِلْ غَرَامَاتِ الْغَرَامِ فَقَدْ
لَا أَعْرِفُ الْحُبَّ مَا لَمْ تَرْتَضِ كَيْدِي
وَلَسْتُ أَنْكُرُ مِنْ جِسْمِ أَلَمْ بِهِ
وَمِنْ أَحَاسِنِ أَبْوَابِ الْحَبَّةِ أَنْ
يَا مَا أُحْيَلِي الْهَوَى لَوْلَا مَذَاقُهُ
وَلَا تَوَقَلْتُ الْأَطْوَادَ هَابِطَةً
رُوحُ هَيْبَةٍ رُوحُ أَرْوَاحِ الذَّوَاتِ فَلَوْ
وَمُبْتَدَأًا وَالْبَرَايَا عَنْهُ مُحِبَّةٌ
عَنْهُ الْكَلِيمُ وَعَيْسَى الرُّوحُ تَرْجَمَةٌ
إِنْسَانُ عَيْنِ الْوُجُودِ ذُو الْكِتَابِ لَهُ
مُحَمَّدٌ كِفَّةُ الْعَدْلِ الَّتِي وُزِنَتْ
تَنْقَسَتْ فِي دِيَاحِي الْجَهْلِ دَعْوَتُهُ

فِي صَرْفٍ مِثْلِي عَلَى التَّسْوِيلِ تَعْوِيلُ
مَصْمَمِ الصَّمِ أُنِّي يُسْمَعُ الْقِيلُ؟!
أَلَمْ صَبْرًا أَشْتَتَهُ الْبَلَايِلُ
حَيِّي، فَكِدْتُ نُعْزَى بِي الْمَجَادِيلُ
أَنْ حَوَّلْتُ مَا أَنَا فِيهِ الْأَقَاوِيلُ
فَإِنَّ فِي الْمِثْشَابَةِ التَّأْوِيلُ
لَا يَنْبَغِي فِيهِ تَسْوِيفٌ وَتَمْهِيلُ
أَوْ يُسْعِفِ الْجَفْنَ مِنْ أَبْنَائِهِ النَّيْلُ
نَحَافَةً تَسْتَعِيرُهَا الْمَغَارِيلُ
لَا يَعُوبُ الْوَعْدَ بِالتَّنْوِيلِ تَنْوِيلُ
أَلَدُّ فِي نَعْسِ الْعَذْرَاءِ تَقْبِيلُ
لِلْمُرْتَضَى بِالْمُحِبِّينِ الْمَرَاقِيلُ²
لَمْ تَسِرْ مَا لَقِيَ الْمَغْلُولَ تَعْلِيلُ
فَجُمْلَةٌ بَعْضُهَا لِلْبَعْضِ تَفْصِيلُ
وَعَنْ مَثَانِيهِ تَوْرَاةٌ وَإِنْجِيلُ
جَفْنٌ، وَإِسْرَاؤُهُ لِلْجَفْنِ تَكْمِيلُ
فِيهَا الْعِبَادُ فَتَخْفِيفٌ وَتَثْقِيلُ
صُبْحًا مَبَادِيهِ تَذْثِيرٌ وَتَرْمِيلُ

¹ المرجع السابق.

² وقل في الجبل وتوقل: سعد فيه

فَدَوَّخَ الْعَيَّ فِي أَيَّامٍ عَزَّتِهِ
فَهُوَ الْحَلِيفَةُ فِي أَحْكَامٍ مَالِكِهِ
مَا أَحْكَمَ اللَّهُ، مَا وَلَّى أَمَانَتَهُ
كَانَتْ أَمَانَةُ طَهَ بَيْنَهُمْ مَثَلًا
سَلَّمَهُمْ لَمْ اتَّهَمُوا مَنْ كَانَ مُؤْتَمَنًا
أَنْ قَالَ مَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ مَفْخَرُهُمْ
لَا أَسْمَعَ اللَّهُ مَنْ ... وَقَدْ هَتَفَتْ
ذِكْرُ حَكِيمٍ وَأَيَّاتٍ مُبَيِّنَةٍ
فَحَيْثُ شَأُؤُوا فَتَوَحِيدُ وَمَعْرِفَةُ
وَحَيْثُ رَأُوا فَأَيْعَادُ وَمَوْعِدَةُ
وَأِنْ أَرَادُوا فَكُرْسِيُّ وَإِخْوَتُهُ
حَقُّ وَقَدْ عَرَفُوا صِدْقُ وَإِنْ صَدَفُوا
وَأَنْفَرَتَاهُ عَنِ أَفْكِ عَارِضُوهُ بِهِ
قَدْ غَرَّرْتَهُمْ وَغَرَّتَهُمْ بَلَاغَتُهُمْ
سَمَّوَهُ بِالسِّحْرِ إِذْ ضَلَّتْ خُلُومُهُمْ
تَرْمِيهِمْ كَلِمَاتٍ مِنْهُ يُرْغِمُهُمْ
حَتْفَانِ حَازَهُمَا لَا يَفْتَلُوهُمَا
كَمَنْ يَرَى الشَّيْءَ مَنْجَاةً فَتَلْقِيهِ
فِي كُلِّ طَرَفٍ تَوَضَّاءَ فِي مَعِينِ دَمٍ
بِالْحِطِّ يَحْتِطُّ رَسْمًا فِي صَفَاصِفِهِمْ
لَوْ سَاوَقُوكَ إِلَى بَدْرِ لِتَلْمَحَ مِنْ
إِذْ سُبِعُوا مَرَّتَيْنِ عَنْ طُلُوعِهِمْ
لِلَّهِ مَا صَنَعَ الْأَصْحَابُ سَاعَةً إِذْ
قَرَّ الْوَقَارُ بِهِمْ إِلَّا مَنَاقِبُهُمْ

إِذْ تُعْرِفُ اللَّاتُ وَالْإِيمَانُ مَجْهُولُ
لَوْلَاهُ دَامَ لِحِدِّ الشَّرْعِ تَعْطِيلُ
إِلَّا مَنْ اجْمَعَ فِي تَوْثِيقِهِ الْحِيلُ
مُذْ عَاثَ فِي الْأَمْنِ الْعَنْقَاءُ وَالْعُولُ
فِيهِمْ، وَزَكَّاهُ مِنْ مَوْلَاهُ تَعْدِيلُ؟
فِي قَوْمِهِ قَبْلُ: مَا هَذِي التَّمَاثِيلُ
دَعْوَى التَّبَوُّةِ وَالْبُرْهَانُ تَنْزِيلُ¹
فَيَا لِمَا شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ تَفَاصِيلُ
وَحَيْثُ شَأُؤُوا فَتَحْرِيمُ وَتَحْلِيلُ
وَحَيْثُ رَأُوا فَأَخْبَارُ وَتَمَثِيلُ
وَأِنْ أَرَادُوا فَتَاوِيلُ وَهَآوِيلُ
خَصَمُ لَهُمْ فِيهِ تَعْجِيزُ وَتَحْجِيلُ
زَعْمًا، وَقَدْ تَمْتَطِي الزَّعَمَ الْأَبَاطِيلُ
تَغْرِيرُ أَبْرَهَةٍ إِذْ غَرَّهُ الْفِيلُ
وَأَسْحَرُ السَّحْرِ لِلْأَلْبَابِ تَضْلِيلُ
فِيهَا أَنْفَحَامُ، وَبِالتَّعْذِيبِ تَسْجِيلُ
بِالتُّرَّهَاتِ فَسَجِينُ وَسَجِيلُ
أَحْجَارُهَا السُّمُرُ وَالْجُرْدُ الْأَبَابِيلُ
مِنْ الْعَتَاةِ فَعُرَاتُ وَتَحْجِيلُ
فَلَنْ يَكُونَ لِحِطِّ الْحِطِّ تَبْدِيلُ
أَحْوَالِهِمْ كَيْفَ تُخْتَارُ الْأَفَاعِيلُ
قَبْلَ الْغُرُوبِ فَتَأْسِيرُ وَتَقْتِيلُ
أَوْهَى نِيَاطُ فَوَادِ الشَّرِكِ تَهْوِيلُ
يَهْزُهَا طَرَبًا صَرَعُ وَتَحْدِيلُ

¹ هكذا وجدت بالحذف

وَقُلُّوا كُلَّ حَدِّ فِي قِرَاعِهِمْ
 بِالنُّصْرَةِ اذْرَعُوا فَارْتَيْبْ هَلْ عُمِلَتْ
 ضَجَّ الْأَدِيمِ بِوَقْعٍ مِنْ أَسْتَتِهِمْ
 لَمْ يُدْرِفُوا بِالْفَنَّا هَامَاتِ حَصْمِهِمْ
 جَاؤُوا قَلِيلًا فَزَادَتْهُمْ مَلَائِكَةٌ
 فَجُمْلَةٌ مُرْدَفُونَ بَلْ وَأَكْثَرُهُمْ
 فِي الْأَرْضِ صَفٌّ، وَصَفٌّ فِي السَّمَاءِ اشْتَبَكَ
 مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ طُوفَانًا بِهِ عَرِقَتْ
 أَوْلَاكَ أَعْمَالُ سُوءٍ غَيْرُ صَالِحَةٍ
 لَوْ سَأَلُمُوا وَعَنَوْا، أَوْ سَلَّمُوا وَدَرَوْا
 مَا حَالُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْحِهِمْ
 تَسْتَنْكِرُ الْهِنْدُوانِيَّاتُ مَا مَطَّلُوا
 وَارَتْ بِهِمْ جُثًّا تَعَجَّلَتْ سَقَرُ
 هُمْ الرُّؤُوسُ فَسَلَّ عَنْهُمْ وَقَدْ نُكِسُوا
 وَاسْتَفْهِمِ الدُّفَّ وَالْقَيْنَاتِ هَلْ رَقَصَتْ
 يَا رَبِّ رُوحٌ تَوَلَّتْ عَنْ تَحْكُمِهَا
 وَقَطْرَةٌ مِنْ دِمَا أَرْضَتْ إِزَافَتَهَا
 فَأَصْبَحَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ عَالِيَةً
 أَرْضَى الصَّحَابَةُ خَيْرَ الْخَلْقِ فَاثْقَلُوا
 مُنْقَلِبِينَ اتَّسَاعًا فِي مِيَادِنِهِمْ
 حَقُّوا بِهِ فَكَأَنَّ الْبَدْرَ دَائِرَةً
 سُبْحَانَ مَا أَشْرَفَ الْمُخْتَارَ مِنْ مُضَرٍ
 فَلَوْ شَهِدَتْ عُرُوسَ الْكَوْنِ نَصْحَبُهُ
 مُسْتَفْتِحِينَ لِبَابَاتٍ مَفَاتِحُهَا

وَحَدُّ حَزْمِهِمْ مَا فِيهِ تَقْلِيلُ
 فِي غَيْرِ مِنْوَالِ دَاوُدَ السَّرَائِيلُ
 كَأَنَّمَا أَطْبَقَ الْجَوُّ الْمَثَاكِيلُ
 إِلَّا وَكَانَ لِذَيْلِ الْحَقِّ تَطْوِيلُ
 كَمْ مَرَّةٍ غَلَبَ التَّكْثِيرُ تَقْلِيلُ
 مُسَوِّمُونَ، فَهُمْ لِلصَّحْبِ تَذْيِيلُ
 وَالْمِصْطَفَى مِنْهُ لِلصَّفِّينِ تَعْدِيلُ
 فِي غَيْرِ مَاءٍ أَوْلِيَاكَ الْمُحَاذِيلُ
 عَنْوَانُهَا الشُّرَكَاءُ وَالْأَضَالِيلُ
 أَنْ السَّلَامَةَ سَلِّمْ أَوْ تَهَالِيلُ
 مَوْجُ الْقَوَاضِي وَالشُّهْبُ الزَّهَائِيلُ
 حَقُّ النُّسُورِ، فَحُكْمُ السَّيْفِ تَعْجِيلُ
 أَرْوَاحَهَا فَقَضَتْ إِذْ تَمَّ تَأْجِيلُ
 أَهْلُ تَنَحَّتْ لِلْأَقْدَامِ الْأَكَالِيلُ
 فِي النَّعْيِ أَسْوَأُهُنَّ وَالْحَلَاخِيلُ
 فِي مَلِكِهَا أَنْ نَهَاها عَنْهُ عِزْرِيلُ¹
 رَبِّي فَمَا اخْتَمَلَ الْأَثْقَالُ قَائِيلُ
 مُصْبِحًا كَلِمَةَ الْكُفَّارِ تَسْفِيلُ
 عَنْهُ، فَلَمْ يَنْقَلِبْ غُزْلٌ وَلَا مِيلُ
 مَا فَوْقَ تَوْسِعَةِ الْمِيدَانِ تَنْفِيلُ
 بِهِ النُّجُومُ هَزَبَتْ حَقَّهُ الْغِيلُ
 وَأَنْ تَمَحَّلَ لِلتَّنْقِيزِ ضَلِيلُ
 لِحَضْرَةِ الْقُدْسِ أَمْلَاكُ أَفَاضِيلُ
 إِقْبَالُهُ أَمَعَ الْمِفْتَاحِ تَقْفِيلُ؟!

¹ عزيريل: لغة في عزرائيل.

واستقبلته قَرَابَاتُ به كَلَّفُوا
 واستبشَرَ المَلَأُ الأعلى بِوَفْدِهِمْ
 مَا زَالَ يَرْقَى وَيَلْقَاهُمْ بِمِيلُ بِهِ
 حَتَّى إِذَا لَمْ يَلِقْ إِلَّا بِهِ سَفَرُ
 تَلَقَّيَاتُ مِنَ الْمِفْتَاحِ نَالَ بِهَا
 فَنُكْتَةُ فَرْدَةٍ مِنْ ذَاكَ لَوْ تُلِّتُ
 يَا لَيْلَةً نُظِمَ الْعَقْدُ النَّفِيسُ إِذِ
 تَبْهِي بِمَشْهَدٍ فَخْرٍ خُرْتِهِ، وَبِهِ
 نَادٍ تَكَلَّلَتْ الْإِرْسَالُ سَيِّدَهُمْ
 مِيعَادُ رَفَعَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَرْتَبَةً
 يَا لِلْسَّلَامِ لِأَخْلَافٍ يُزْلِهُمُ
 تَتَّبِعُوا خُطْوَةَ الشَّيْطَانِ وَاتَّبِعُوا
 أَمْلَى لَهُمْ إِذْ رَشَاهُمْ مِنْ أَبَاطِلِهِ
 وَكَمْ لَهُمْ نَيْطٌ فِي لُقْيَاهُ تَامِيلُ
 كُلُّ هَدَايَاهُ تَرْحِيبُ وَتَبْجِيلُ
 عَنْ سَاحَةِ الْوَقْفِ تَرْجِيحُ وَتَفْضِيلُ
 تَنَكُّبُوا، وَتَوَلَّى الْمُصْطَفَى إِيْلُ
 تَرْقِيَاتُ فَمِيلُ فَوْقَهُ مِيلُ
 لَا سَتَعْرَقَ الدَّهْرُ تَرْتِيبُ وَتَرْتِيلُ
 فِي خَرِّهَا فِي اللَّيَالِي دُونَهَا لِيلُ
 صُقِيَ مَرَايَا الصَّيَاءِ يَأْتِ تَصْقِيلُ
 فِيهِ وَلِلرُّسُلِ لِلْأَمْلَاكِ تَكْلِيلُ
 مُتَدَّةٌ مَا لَهَا الْكَوْنَيْنِ تَحْوِيلُ
 تَنْوِيهِهُمْ، وَلَهُمْ ذِكْرَاهُ تَنْكِيلُ
 فَهَلْ عَلَى خُطْوَةِ الشَّيْطَانِ تَعْوِيلُ
 إِنَّ الْأَبَاطِيلَ تَمْرِيهَا الْبَرَاطِيلُ

أرسل القصيدة الإخوانية التالية إلى صديقه موال بن مسلم¹:

{ الطويل }

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ فَتَى كَانَ نَائِيَا
 أَمْ الْفَضْلُ بَعْدَ الْوَصْلِ يَصْرُمُ حَبْلَهُ
 أَمْ الْعَاذِلَاتُ قَدْ يَلْمُنُ الْفَتَى عَلَى
 وَغَيْرُ مُصِيبٍ كُلُّ مَنْ هُوَ عَاذِلِي
 فِرَاقُ مُحِبِّ ذِي هَوًى، وَمَوَدَّةُ
 أَخِي ثِقَةٍ هَشٍّ كَمِيٍّ لَدَى الْوَعَى
 جَوَادٍ إِذَا شَخَّ السَّحَابُ بِوَبْلِهِ
 عَلَى قَرْنِهِ يَشْفِيهِ أَنْ يَتَلَاقِيَا
 أَمْ الْقُرْبُ بَعْدَ النَّأْيِ يُذْهِبُ دَائِيَا
 بُكَاءٍ عَلَى قَرْنٍ يَكُونُ مُقَاصِيَا
 لَعَمْرِي لَقَدْ هَاجَ الْفِرَاقُ سَقَامِيَا
 كَرِيمِ نَاى عَنِّي فَبَانَ اصْطَبَارِيَا
 سَخِيٍّ زَكِيٍّ لَيْسَ لِلَّهِ عَاصِيَا
 فَلَسْتُ تَرَى لَهُ شَبِيهَا مُسَاوِيَا

¹ ترغيب المشوق في ذكر أشعار آل السوق، زين الدين محمد الصالح، ص 301 وخاتمة القصيدة مأخوذ من المجموعة المذكورة.

تُطَلِّقُ عَيْنِي إِذْ نَأَى سِنَّةٌ لَمَّا
 إِذَا بَانَ عَنِّي فَالْفُؤَادُ مُعَذِّبِي
 إِذَا كَانَ جِسْمِي نَائِيًا عَنْ دِيَارِهِ
 فِدَاءٌ لَهُ لَوْ كَانَ بِالْشَيْءِ يُفْتَدَى
 فَإِنْ قِيلَ لِي يَوْمًا فَمَا الدَّاءُ وَمَا الدَّوَاءُ
 فِدَائِي بَيْنَ عَالَمٍ مُتَعَلِّمٍ
 وَبَعْدَ قَرِينٍ كَانَ فِي الْحَرْبِ جُنَّتِي
 سَبُوحًا جَمُوحًا لَا يُؤَاكِلُ خَمْرَهُ
 أَهَذَاكَ أَمْ سَبَّاحَةٌ شَدِيدَةٌ
 مُصَرَّمَةٌ مِثْلُ النِّعَامَةِ إِذْ جَرَتْ
 جُمَالِيَّةٌ قَرُورًا أَمُونٌ شِمْلَةٌ
 جَمُوحٌ دِفَاقٌ عِنْدَلٌ تَمَّ حُلْفُهَا
 سَلَامًا كَعَدِّ الشُّهُبِ وَالتُّرْبِ وَالْحَصَى
 سَلَامًا يُنْسِي الْحَمْرَ وَالشَّهَدَ طَعْمُهُ
 سَلَامٌ مُحِبٌّ كَانَ لِلشَّوْقِ قَلْبُهُ
 يَقُولُ إِذَا مَا هَيَّجَ النَّأْيُ كَرْبَهُ
 لَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّيْتَيْنِ بَعْدَ مَا
 أَصْلَى عَلَى الْمُحْتَارِ مَا قَالَ شَاعِرٌ
 وَعِزَّتْهُ مَا اسْتَفْهَمَ النَّاسُ مَنْ نَأَى

أُقَاسِيهِ مِنْ شَوْقٍ فَأَيْنَ مَنَامِيَا ؟
 فَإِنِّي بَيْنَهُ لَقَيْتُ الدَّوَاهِيَا
 فَرُوعِي عَنْ ذِكْرَاهُ لَمْ يَكُنْ نَائِيَا
 صِحَابِي وَنَفْسِي أَمْ كَرَائِمُ مَالِيَا
 فَإِنِّي خَيْرٌ بِالدَّوَا وَبِدَائِيَا
 فَقِيهِ عَلَى أَصْحَابِهِ كَانَ سَامِيَا
 وَمُهْرِي وَسَيْفِي وَالْقَنَا وَسِلَاحِيَا
 مُذَكَّرَةٌ أَدْمَاءُ تَفْرِي (الْفَيَافِيَا)¹
 فَلَيْسَ لَهَا رِيحُ الْجَنُوبِ مُبَارِيَا
 عُدَافَةٌ كَوْمَاءُ تَفْرِي الْفَيَافِيَا²
 عَلَى هَذِهِ أَوْ ذَاكَ أُبْلِغُ سَلَامِيَا
 وَمَا كَانَ فَوْقَ الْأَرْضِ فِي النَّبْتِ بَادِيَا
 وَبَدْرُ الدُّجَى مَا كَانَ مِنْ فَوْقِ عَالِيَا
 مَقَالَ فَصِيحٍ شَاعِرٍ كَانَ مَاضِيَا
 يَظُنَّانِ كُلَّ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ فَتَى كَانَ نَائِيَا
 عَنْ الْقَرْنِ هَلْ يَشْفِيهِ أَنْ يَتَلَاقِيَا
 وَنَاصِرٍ دِينِهِمْ وَمَنْ كَانَ تَالِيَا
 وَمَا لَزِمَ الْحُزْنَ الْفَقَى مُتَوَالِيَا

1 المذكرة: الناقاة المتشبهة بالجمال في الخلق والخلق، ووجد ، الفيافي: الصحاري، وجدت القافية محذوفة، لكن أظنه يقصد هكذا فأثبتته.

2 العذافرة: الناقاة الشديدة الأمانة الوثيقة الظهيرة وهي الأمون.

5. الخضر بن الشيخ حمّادو

الشيخ المجدد في قلب الصحراء الكبرى، خليفة والده حماد في المشيخة، والمعرفة، والعرفان، مطور طريقة صوفية تجمع بين التغذية العرفانية، والتقوية المعرفية، فقد قاد حملة كبيرة من أجل إعادة نشر العلم، وإحياء الكتاب في الصحراء، ويميل إلى جمع صف الكلمة بأخلاق عالية، شهد لها القاضي والداني، كان مشاركاً في مختلف علوم الثقافة الإسلامية بموهبة بحث صارمة، من كتبه: غيث النفع شرح رسالة الوضع، فتح الودود في الرد على مدعي الرؤية ووحدة الوجود، والجواهر الالامع نظم جمع الجوامع، والتبر التالد في مناقب الشيخ الوالد، يقدر ميلاده ب 1331 هـ، وكانت وفاته عام 1407 هـ¹.

وشعره يتسم بالعمق، والفخامة، ومتانة اللغة، وعظمة الأسلوب، وتأدب العالم في وزنه، وتكثر فيه المواضيع الاجتماعية، والعلمية، وبما أنه لم يكتب عنه أحد فقد أوردت جل الشعر المنسوب إليه حسب اطلاعي:

يقول في التوجيه، والإرشاد إلى آداب الطريقة²:

(الطويل)

عليك بِذِكْرِ اللَّهِ والخمسن أَدَّهَا	بَادِئَهَا واللَّعْوُ فائِزُكُهُ جَانِبَا
وَلَا تَنْسَ عَهْدَ الشَّيْخِ واسْلُكْ طَرِيقَهُ	وَبَرِّ ذَوِيهَا خَيْرَ بَرِّكَ صَاحِبَا
وَحَافِظُ عَلَى الْأَوْرَادِ وَاقْرَأْ مُرْتَبِلًا	وَنَاجِ بِجُنْحِ اللَّيْلِ مَوْلَاكَ رَاغِبَا
وَرَعٍ وَاتَّضِعْ وَاقْنَعْ وَأَخْلِصْ لَتُجْتَبَى	وَإِيَّاكَ مَا رُمْتَ الصِّفَا والشَّوَائِبَا
وَقِفْ إِنْ نَوَيْتَ الْفِعْلَ وَقِفْ تَتَبَّتْ	فَإِنْ جَارَ أَوْ لَا فَاعْتَزِلْهُ مُجَانِبَا
وَحَاسِبْ بِأَطْرَافِ النَّهَارِ مُنَاقِشًا	لَتُنَجِّي نَفْسًا أَفْحَمْتَكَ المِعَاطِبَا
فَمَهْمَى وَجَدْتَ الْخَيْرَ فَاشْكُرْ أَوْ الَّذِي	يَرِيئُكَ فَاسْتَغْفِرْ إلهَكَ تَائِبَا
وَمَنْ كُلَّ بَرٍ فَاعْتَنِمْ كُلَّ مَمَكْنِ	صَبَاحًا وَمُسَيًّا وَاجْتَهِدْ أَنْ تُوَاطِبَا

¹ انظر المرجع السابق، ص 12

² المرجع السابق، ص 14

وَحُذِّ بِهْدَى الْمُخْتَارِ لَا تَأْتِ غَيْرَ مَا
تَسَايِرُ مَا أَتَقَنَنْتَ سِيرَتَهُ فَإِنْ
وَدَعَ مِنْ أَدَاكِ الْخَلْقِ وَاحْمِلْ أَذَاهُمْ
وَمِثْلَهُمْ مَوْتِي وَلِلْمَيِّتِ لَا تَمَلْ
وَزَهْدِكَ فِي الدُّنْيَا الطَّرِيقُ بِمَا مَضَى
يُؤَافِقُهُ إِنْ كُنْتَ لِلنُّجْحِ طَالِبًا
جَهَلْتَ فَسَلْ عَنْهَا وَفَتِّشْ مَكَاتِبًا
وَسَلِّمْ إِذَا هُمْ نَاقَشُوكَ الْمَنَاصِبَا
بِقَلْبٍ وَلَا تَلَحْظُ بِطَرْفٍ مُرَاقِبَا
فَكُنْ زَاهِدًا فِيهَا مَتَى سِرْتَ ذَاهِبَا

هذه من إخوانياته مع الشاعر محمود مُحمَّد الصالح (1):

(البيط)

سَلِّمْ عَلَى مَرْبِعٍ أَقَعْتَ قَوَاعِدُهُ
وَاسْقِ الْمَظَامِيَّ مِنْهُ كُلَّ مُلْتَطِمٍ
فَالدَّمْعُ أَجْدَرُ مَا حَيَّا الْجِدَارَ وَمَا
وَاسَأَلَهُ كَيْفَ أَطَاعَ الدَّهْرَ فِي نَفَرٍ
وَاحْتَارَ ظَبِيًّا أَعَنَّ لَا فِلَادَ لَهُ
يَا لَيْتَهُ صَانَ رَبْرَبًا مَرَاضِبُهُ
مِنْ كُلِّ أَحْوَرَ رِيحِي اللَّحَاطِ إِذَا
يَأْوِي إِلَى مَلَأٍ خُرْسٍ خَلَاخِلُهُ
يَا مَنْزِلًا حَدَّثْتَ فِيهِ الْحَوَادِثُ مِنْ
يَسْقِيكَ كُلُّ جَدَى جَوْدٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ
كَأَنَّهُ جَحْمَتَايَ حِينَ وَاجَهَنِي
وَهَبَّ إِعْصَارُ هَمٍّ فِي جَوَانِحِنَا
فَلَا تَرَى غَيْرَ دَمْعٍ سَاكِبٍ وَدَمٍ

وَعُيِّتَ عَنْ هُنُودِهِ مَهَادِدُهُ
مِنْ الدُّمُوعِ يُعْلِلُ مِنْهُ وَارِدُهُ
أَحْيَى قَتِيلًا يَدُ التَّوْدِيعِ وَائِدُهُ
كَالْفُورِ لَوْلَاهُ لَمْ تُعْهَدْ مَعَاهِدُهُ²
عَلَى أَعَنَّ تَضَاعَفَتْ فَلَائِدُهُ
كَاسَائِهِ وَتُعُورُهُ نَوَاجِدُهُ³
مَشَى التَّبْيِهُسَ وَسُوسَتَ فَرَائِدُهُ⁴
رُحْصٍ مَبَاسِمِهِ دُعَجٍ مَرَاقِدُهُ
بَعْدِي حَدِيثَ بِلَى صَحَّتْ أَسَانِدُهُ
فِيهِ الْبَوَارِقُ قَهَقَهَتْ رَوَاعِدُهُ
وَجْهَهُ الْفِرَاقِ وَقَادَ الرُّكْبَ قَائِدُهُ⁵
لَوْ هَبَّ فِي أَجَا رُضَّتْ جَلَامِدُهُ
قَدْ ذَابَ مِنْ لَفْحَاتِ الشَّقِيقِ جَامِدُهُ

¹ من قصائد للشيخ معي (مخطوطة غير مرتبة)

2 الفور: الطباء.

3 النواجد: ج ناجود: الخمر، وإناءها

4 التبيهس: مشية تبخر، وسوست فرائده: صوتت جواهره النفيسة، من الوسواس وهو: صوت الحلي.

5 الجحمة- بجيم فحاء- العين.

أَوْ هَالِكٍ فِي مَاتِمِ النَّوَى يَتِمْتُ
 أَوْ ظَاعِنٍ يَفْتَفِي الْأَطْعَانَ فِي بَلَدٍ
 وَخَلْفُونِي لَصِيقًا بِالزَّرِيبِ وَقَدْ
 وَبْتُ تَلْدُعُ رُفْشُ الْحَزْنِ حَاشِيَتِي
 فَمَا أَبُو وَاحِدٍ حَانَ أُتِيحَ لَهُ
 فَظَلَّ يَشْرُطُ بِالْمِشْرَاطِ لَمَتَّهُ
 يَوْمًا بِأَحْزَنَ مِنْ وَلَهَانَ أَحْبَرَهُ
 فَإِنْ تَوَعَّرَ سَهْلُ الْوَصْلِ وَانْعَلَقَتْ
 فَقَرَّ عَيْنًا وَقَرَّ فِي قَرَى رِبَذٍ
 يَعمُومُ فِي الْحُضْرِ كَابِنِ الْمَاءِ أَلْجَأَهُ
 وَاطُوسُ السَّبَاسِبِ وَاسْلُكْ كُلَّ كَادِيَةٍ
 تَخَالُ فِيهَا عَزِيفَ الْجِنِّ إِنْ عَزَفُوا
 فَإِنْ وَفَدَتْ عَلَى مُحَمَّدٍ مُلْتَجِنًا
 هُنَاكَ أَرْحَضُ أَدْرَانَ السَّوَابِيَةِ عَنْ
 وَيَبْكَا الْجَفْنَ بَعْدَمَا بَكَى زَمَنًا
 هُنَاكَ فَاضَ بَكْيُ الْوَصْلِ وَانْدَمَلَتْ
 نِكْلٌ يُولُولُ يَوْمَ الْبَاسِ كِفَائَتُهُ
 يَكْسُو الْأَرَامِلَ دِيبَاجًا وَشَانَتُهُ
 وَمَاجِدٌ صَعَدَتْ فِي الْحَقِّ رَتَبَتُهُ
 أَوْلَادُهُ وَتَأَيَّمْتُ قَعَائِدُهُ
 حُضِرَ مَسَالِكُهُ غُبِرَ قَدَائِدُهُ
 وَلَى النَّهَارُ وَنَامَ اللَّيْلُ رَاقِدُهُ
 قَلْبِي وَتَرَشَّقُ جُوجُي صَوَارِدُهُ¹
 أَنْ حَانَ فِي غُلُوءِ اللَّهِوَ وَاحِدُهُ
 وَيَلْطِمُ الْحَدَّ حَتَّى كَلَّ سَاعِدُهُ
 وَشَكَّ الصَّرِيحَةَ أَنَّ الْوَجْدَ فَائِدُهُ²
 أَبْوَابُهُ وَتَكَدَّرَتْ مَوَارِدُهُ
 حُفِرَ حَوَافِرُهُ صُمِّ سَوَاعِدُهُ³
 لِشَاطِئِ اللَّجَّةِ الْحُضْرَاءِ طَارِدُهُ⁴
 مَنْ جَابَ غَمَرَتَهَا ضَاقَتْ مَكَائِدُهُ
 زَفِيرٌ صَبَّ تَشْتَتَتْ خَرَائِدُهُ
 فَنِعَمَ مَلَجَأُ مَنْ ضَاقَتْ مَزَاهِدُهُ⁵
 حَمَاطِي بِوَصَالِ مَنْ أَبَاعِدُهُ⁶
 بَحْرًا خِصَمًا مَدَامِعِي سَوَاعِدُهُ
 مِنْهُ الْجِرَاحُ وَأُنْبِطَتْ عَمَائِدُهُ⁷
 كَمَا يُؤُولُ يَوْمَ الْبَدَلِ تَالِدُهُ⁸
 بُرْدًا مِنْ الدَّمِ حَدُّ السَّيْفِ سَارِدُهُ
 فَكَيْفَ يَلْحَقُهَا عُرٌّ يُمَاجِدُهُ

1 الرقش: ج رقشاء وهي الحية المنقطة بسواد وبياض، والصوراد: ج صارذ، وهو السهم النافذ، استعار

الشاعر للحزن إيلا من الحية الرقشاء ومن السهم النافذ.

2 فائده: مصيب فؤاده.

3 ربذ: الفرس الخفيف القوائم في مشيه.

4 الحضر: السير والركض.

5 رحض: غسل، والسوابية: السوء، والمزاهد: ج مزهد وهو القليل الشيء، سمي بذلك لزهده فيما عنده لقلته.

6 بكأ الجفن: قل دمعته من بكأت الناقة والشاة: إذا قل لبنهما أو انقطع.

7 البكي- بوزن علي- الكثير البكاء في الأصل، واستعاره الشاعر للوصول وأراد أن كثرة الوصول زادت وفاضت.

8 النكل: الرجل القوي المجرب المبدئ المعيد، والكفأة: المثل.

تَشْقَى بِكَفِّهِ بَدْرَاتُ اللَّجَيْنِ وَلَا
 لَا يَأْمَنُ الْمَالُ مَكْرَهُ وَيَأْمَنُهُ
 تِلْكَ الْفُتُوَّةُ لَا غُمْرُ عَشَائِرُهُ
 عَلامَةٌ لَمْ تَكُنْ فِي الْعِلْمِ آبِدَةٌ
 فَإِنْ يُبَيِّضُ دُجَى الْإِشْكَالِ مَنْطِقُهُ
 عَبْدُ الْإِلَهِ فَإِنْ أَشْبَعَتْ أَوَّلُهُ
 مَا زَالَ يَسْجُدُ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ إِلَى
 أَعْلَى الْكَرَامِ مَرْيَّةً وَأَصْدُقُهُمْ
 سِيمَاهُ يَلْعَقُ فِيهِ الشَّهَدَ مُعْتَلِقُ
 ذَاكَ الَّذِي شَهِدَ اسْمُهُ وَصَدَّقَهُ
 لَمْ يَمْتَلِئْ مِنْذُ كَانَ الْحِلْمُ دِينَهُ
 فَإِنْ تَنَكَّرَ دُونَ اسْمِي سُمَاهُ فَقَدْ
 ذَاكَ الْخَلِيلُ الَّذِي أَلْقَى بَوَانِيَهُ
 وَرَمَ رِمَّةً أَفْرَاحِي بِقَافِيَةٍ
 وَافَتْ عَلَى ضَامِرٍ مِنَ الْقَرَّاطِيسِ لَا
 تَرَى الْقِلَامَ تَعْلُهُ وَتَنْهَلُهُ
 مَوْشِيَّةً لَوْ رَأَى الرَّائِي مُحَاسِنَهَا
 فَالْلَفْظُ سَهْلٌ وَلَكِنْ يَسْتَكِرُّ بِهِ
 وَاهَاً لَهَا فَلَقَدْ دَاوَى مُضْمَنُهَا
 لَكِنَّهَا وَسَّعَتْ ضَنْكاً وَكَمْ نَقَلَتْ
 وَنَسَرَتْ هَذْهَدًا لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ
 يَشْقَى مُعَاشِرُهُ وَلَا
 فِي النَّاسِ أَمَلُهُ وَمَنْ يُعَاهِدُهُ
 عِشَارُهُ وَجُدُودُهُ عَسَاجِدُهُ
 إِلَّا وَأَبَدَهَا فِي الْفَحِّ صَائِدُهُ²
 فَطَالَ مَا اسْوَدَّ بِالْمِسْطَارِ كَاغِدُهُ
 وَفُهِتَ بِالْبَاءِ مَكْسُورًا فَعَابِدُهُ
 أَنْ أُدْمِيتَ مِنْ سُجُودِهِ مَسَاجِدُهُ
 قِيلاً إِذَا أَعْقَدَ الْمِيثَاقَ عَاقِدُهُ
 بِهِ وَيَمْتَصُّ فِيهِ الصَّابَ حَاسِدُهُ
 مَرَاهُ أَنْ جَمِيعَ الْكُونِ حَامِدُهُ
 غَيْظًا وَتُمْلَأُ دَائِمًا مَوَائِدُهُ
 تَعْرِفَتْ فَوْقَ تَعْرِيفِي مُحَامِدُهُ
 بِحَيْثُ غَابَ عَلَى عَيْنِي شَاهِدُهُ³
 مِنْ كُلِّ مَا كَمَلْتُ فِيهِ مَقَاصِدُهُ⁴
 يَغِي وَإِنْ جَدَّ فِي التَّسْيَارِ قَائِدُهُ
 مِنْ الْمِدَادِ بَلَا ظَمِي يُكَابِدُهُ
 لَاخْتَارَ وَاخْتَارَ أَنْ تُمَحَى قَصَائِدُهُ
 شُنُخُوبُ مَعْنَى أَحَدُ الْفَهْمِ صَائِدُهُ⁵
 مَوْضُولَ دَاءٍ ضَمِيرُ الْوُجْدِ عَائِدُهُ
 قَوْلًا يُعَارِضُهُ بِالضِدِّ جَاحِدُهُ
 أَنْ يَسْتَقِرَّ عَلَى رَقٍّ هَذَاهِدُهُ⁶

1 البدرات: ج بدره وهي: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار، واللجين: الذهب والفضة.

2 الأبدية: الكلمة الغريبة من تأبد الوحش، وأبدها قيدها، والفتح: المصيدة.

3 ألقى بوانيه: أقام

4 رم: أصلح، والرملة: البلى.

5 الشنخوب: الجبل أو أعلاه.

6 نَسَرْتُ هَذَا: حولت الهدد إلى نسر، هَذَاهُدُ: أصوات الهدد.

لا والذي سَمَكَ السَّبْعَ الطَّباقَ بِلا
 ما دُقْتُ صَرَحَدَ مَدَحِهِ فَأَسْكِرْنِي
 خلُّ تخلل لمظة الرياط فإن
 يا رَبِّ لَيْلٍ دَجُوجِيَّيْ يَحْنُ إِلَى
 فَضَيْتِهِ فِي هُمُومٍ غَادَرَتْ جَسَدِي
 يا بُؤُؤُ الْعَيْنِ يَا مَنْ لَا أُيُؤِيهِ
 جد لي بساعة لقيان تخدم في
 مَنِي إِلَيْكَ وَإِنْ طَالَ النَّوَى وَهَوَى
 أَبْهَى السَّلَامِ وَخَيْرُهُ وَأَنْصَرُهُ
 اللَّهُ جَلَّهٗ مِنْ رَيْطٍ نِعْمَتِهِ
 وَحَطَّ عَنْهُ ذُنُوبُهُ إِذَا بُعِثُوا
 وَسَرَّهُ فِي اثْنَيْنِ رِيحَانَتَيْهِ بِمَا
 سَفَيْتُهَا بِابِلِيَّةٍ تَمَازَجَهَا
 بَلْ سَاحِجاً لَمْ يُعَرِّدْ فِي مُعَرِّدِهِ
 بَلْ كَلِمَةً حُبِلَتْ بَيْنَ الرِّسَالِ وَالْ
 مِّنْ دَرَى الشَّعْرِ أَنَّهُ فَرَزْدَقُهُ
 لَكِنِّي لَمْ أُحِبَّهَا مُعَارَضَةً
 وَلَنْ يُجِرَّأَنِي مَا قَالَ يَأْمُرُنِي
 فَكَيْفَ أَرْضَى لِلَيْثٍ لَا بَدَّ دَمِيرٍ
 مَا ذَا عَسَى أَفْتَدِي بِهِ إِذَا خَمَشَتْ
 وَإِنَّمَا هِيَ حِيَّةٌ أَجَأَتْ بِهَا

أُسِّ وَأَوْجَبَ أَنْ تُبْنَى مَسَاجِدُهُ
 إِلَّا ادِّكَارُ أَبِيهَا لَا صَرَاحِدُهُ¹
 أَبْعَدْتُ عَنْهُ فَأَحْشَائِي مَقَاعِدُهُ²
 إِصْبَاحِهِ اثْنَانِ سَارِيهِ وَسَاهِدُهُ
 كَالْعُودِ شَذَبَهُ بِالْفَاسِ عَاضِدُهُ
 فِي الْبُؤْسِ مَا كَانَ إِلَّا غَاضٍ مَّاكَدُهُ³
 قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ مَا التَّذْكَارُ شَائِدُهُ
 نَجْمُ الْوَصَالِ وَشَبْرَقَتْ بِرَاجِدُهُ⁴
 وَخُلُوءُهُ وَمَدِيدُهُ وَخَالِدُهُ
 مَا لَا يُحِيطُ بِهِ وَصَفَاءُ مُشَاهِدُهُ⁵
 غُرْلًا وَفَرٍّ مِنَ الْمَوْلُودِ وَالِدُهُ
 يَسْتَأْ مِنْهُ حَسُودُهُ وَرَاقِدُهُ
 مِنْ سُكْرِ الْمَدْحِ عَذْبُهُ وَفَارِدُهُ⁶
 إِلَّا وَأَوْصَافُ الْحُسْنَى أَغَارِدُهُ
 أَشْعَارٍ قِيلاً تَحْفُهُ أَعَابِدُهُ
 لَمَّا مَضَتْ لِسَبِيلِهِمْ فَرَازِدُهُ
 لِقَارِضٍ زُقِفَتْ نَحْوِي أَنَاشِدُهُ
 بَاطِشٍ فَبَعْضُ اجْتِرَاءِ الْمَرْءِ لَاحِدُهُ
 وَإِنْ تَدَاءَبَ أَنَّنِي أُجَالِدُهُ
 أَظْفَارُهُ صَفْحَتِي أَوْ صَوَالِدُهُ
 وَصَلًا تَمَزَّقَ وَانْدَكَّتْ رَوَاكِدُهُ

1 الصرخد: الخمر

2 لمظة الرباط: حماسة القلب.

3 بؤبؤ العين: إنسانها، وأيؤؤه: أقول له: يا يا، والماكد: الغزير الكثير، من المكود: وهي الناقة الدائمة الغزر

4 شبرقت: تمزقت، والبراجد: ج برجد: كساء غليظ.

5 الریط: ج ریطة: كل ملاءة غير ذات لفقين، كلها نسج واحد، وقطعة واحدة، أو كل ثوب لين رقيق، كالرائطة.

6 الفارد من السكر: أجوده، وأبيضه.

وُحْفَةً هُبَّتْ عِنْدِي فَجِئْتُ بِهَا
فَإِنْ تَقْبَلُهَا تَمَّ الْمَرَامُ إِذَا
وَفِي إِنْاءٍ مِنْ التَّسْلِيمِ يَعْمُرُهُ
تَوْضَاءً الطَّيِّبُ الطَّيِّبُ فَابْتَدَرْتُ
سَعِيًّا إِلَى بَابِهِ الْمَرْحُومِ قَاصِدُهُ
وَقَامَ رَاكِعٌ تَطْرِيبِي وَسَاجِدُهُ
مِنْ سَيِّغِ الرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ بَارِدُهُ
وَضُوءُهُ آلَهُ وَمَنْ يُسَاعِدُهُ

قال في الدعاء على مجموعة من الفرنسيين المستعمرين، أثناء سيطرتهم الكاملة على دولة مالي، وكان موكب الشيخ التقى بجماعة نصرانية، فكان الجماعة الأخيرة صدر منها ما لا يدل على احترام موكب الشيخ، فتجمعت كل الذكريات السيئة مع المستعمر في مخيلة الشيخ الشاعر، فأمطرهم بهذا الوابل من الشتم، والدعاء عليهم، مصورا مدى الاستضعاف الذي يعيشونه¹:

{السيط}

ضَعْفِي شَفِيعِي وَفَقْرِي عَيْنُ مُفْتَحَرِي
وَحَاجَتِي حُجَّتِي الْبَيْضَا وَمَدُّ يَدِي
يَا رَبِّ إِنْ الْعِدَا أُغْرُوا بِنَا وَبِمَنْ
هُمْوَا بِأَخِذِ الدَّرَارِي بَعْدَ مَا اسْتَلَبُوا
فَانْقُضْ عَزَائِمَهُمْ وَارْزُدْ عَسَاكِرَهُمْ
صَبِّحْهُمْ مَا يُنْسِيهِمْ مَقَالَتَهُمْ
وَاعْكِسْ مُرَادَهُمْ فِينَا وَأَرْأَسَهُمْ
يَا رَبِّ عَقِّرْهُمْ طُرًّا بَمُلْتَطِمٍ
مِنْ شُهَبِ نِيرَانِ أَنْوَارِ الْجَلَالِ كَفَى
وَنَحْنَا يَا إِلَهِي أَنْ ثُلِمَ بِنَا
وَأَنْ تُرْدَ فِتْنَةً بِالنَّاسِ مَائِجَةً
فَأَنْتَ جَارٌ لَنَا مِنْ نَفْثِ ذِي عُقْدٍ

وَذُلُّ وَجْهِي لِرَبِّي جُلُّ مُدَّخَرِي
لِلَّهِ مُدْيَةُ قَطْعِ رَأْسِ ذِي أَشْرِ
عَلْنَا وَإِنَّا غُلِينَا الْيَوْمَ فَاَنْتَصِرِ
كَرَائِمَ الْمَالِ هَذَا أَعْظَمُ الضَّرْرِ
عَلَى الْحَرِيمِ وَخُذْهُمْ أَخَذَ مُقْتَدِرِ
يَا رَبِّ وَاجْعَلْهُمْ أَعْجَازَ مَنْقَعِرِ
نَكِسَ وَلَا سِيَّ رَأْسَ كَفَرِهِمْ "ذُفْرٍ"
مِنْ النَّكَالِ وَحَرِّقْهُمْ بِمُسْتَعْرِ
بَنُورِهِ رَامِي الْأَشْرَارِ بِالشَّرْرِ
دَهْيَاءُ تَرْمِي بِسَهْمِ الضَّرِّ عَنْ وَتَرِ
فَالطَّفُ بِنَا أَهْلَ بَيْتِ الْمَصْطَفَى الْعَطْرِ
أَوْ كَيْدِ ذِي حَسَدٍ مِنْ غِيْظِهِ وَغَرِ

¹ ترغيب المشوق، زين الدين محمد الصالح، ص 11

أَوْ عَائِنٍ أَوْ مَوَاتٍ بِالْحَضُورِ إِذَا
 مِنْ هَؤُلَاءِ أَحْنَا فَضْلاً وَمِنْ وَلَدٍ
 وَمِنْ وَبَاءٍ وَمِنْ حُمَى بِسُورَتِهَا
 وَعَجَلَكُنْ بِبُشْرَى مِنْكَ تُؤْذِنُنَا
 وَحَقَّقَنْ مَا بِحُسْنِ الظَّنِّ قَدَرَهُ
 مَا حَلَّ عُقْدَتِنَا صَعْباً لَدَيْكَ فَفِي
 وَمَا أَوْلَاءِ الْعِدَا بِمُعْجِزِينَ وَلَا
 إِنْ شِئْتَ ارْسَلْتَ لَيْلاً مَنْ يَصِيحُ بِهِمْ
 أَوْ شِئْتَ أَبْقَيْتَهُمْ فِي الدُّلِّ صَاغِرَةً
 إِلَيْكَ أَشْكُو الَّذِي قَاسَى عِبَادُكَ مِنْ
 هُمْ حَارِبُوا وَطَعُوا هُمْ عَانَدُوا وَبَعُوا
 وَمِنْ دَوَاهِيهِمْ تَسْجِيلُ كَاتِبِهِمْ
 فَكَيْفَ شِئْتَ احْمُهُ قَبْلَ النَّفْذِ كَمَا
 مَنْ ذَا يُجَامِي عَلَى الْإِسْلَامِ يَنْصُرُهُ
 أَمَّنْ يَقِي "حُنْفَا التَّكْرُورِ" مِنْ جَنْفِ الـ
 مَوْلَايَ أَنْتَ لَهَا فَالْطَفُ بِنَا وَعَلَى
 قَلَّ الظَّهِيرُ لَدَيْنَا يَا نَصِيرُ وَمِنْ
 أَنْتَ الْجَوَادُ فَجُدْ لِي بِالْمَرَادِ كَمَا
 أَنْتَ السَّلَامُ فَانْعِمِ بِالسَّلَامَةِ فِي
 وَأَبْقِ نُعْمَاكَ فِينَا يَا كَرِيمُ وَلَا
 وَلَا تُدْمِدِمِ عَلَيْنَا بِالذُّنُوبِ فَمَا
 فَإِنْ عَصَيْنَاكَ عَنْ جَهْلٍ فَنَحْنُ عَلَى
 فَوْسُغِ بَرِّكَ يَا تَوَّابُ صَبِّرْ مَا
 مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ سَمِعَتْ لَهُ

مَا غَابَ يُخْدِشُنَا بِالنَّابِ وَالظَّفْرِ
 وَوَالِدٍ وَاحِمَنَا مِنْ سَيِّءِ الْقَدَرِ
 وَوَقْدَهَا وَمِنْ الْحَصْبَاءِ وَالْجَدْرِ
 بِالنَّصْرِ عَنْ عَجَلٍ يَا مُنْزَلَ الْبُشْرِ
 أَهْلُ الرِّجَاءِ مِنَ التَّأْيِيدِ وَالظَّفْرِ
 يَدِيكَ تَسِيرُ مَا بِالنَّاسِ مِنْ عَسْرِ
 مُعَارِضِي حَكْمِكَ الْمَقْدُورِ بِالْقَدْرِ
 فَيُصْبِحُوا كُلُّهُمْ هَشِيمَ مُحْتَظَرٍ
 أَعْنَاقُهُمْ لِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالصَّغَرِ
 طُغْيَانُهُم وَالَّذِي قَاسَيْتُ فِي عُمْرِي
 وَاسْتَهْزَأُوا يَا لَهُمْ بِالْكَتْبِ وَالنُّذْرِ
 مَا خَطَّ مِنْ ظُلْمِهِ بَغِيّاً عَلَى نَفْرِي
 مَحُوتَ قَبْلاً كِتَابَ اللَّذِّ مِنْ مُضَرٍ
 إِنْ لَمْ تَصُنْ سُورَهُ يَا مُنْزَلَ السُّورِ
 مُوْذِي فَيُنْقِذُهُمْ فِي هَوَاةِ الْغُرِ
 أَعْدَائِنَا اصْطَبَّ عَذَابُ الْخِزْيِ كَالْمَطَرِ
 تُعْزِزُ يَجِدُ نُصْرَةً تُغْنِي عَنِ النَّصْرِ
 عَوَّدَتْ سَائِلُنَا فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
 نَفْسٍ وَدِينٍ وَفِي الْأَمْوَالِ وَالثَّمَرِ
 وَلَا تُعَقِّبْ حَلَاوَاتِ مَا أَسْدَيْتَ بِالْمَرِّ
 لِحِمْمِنَا قَبْلَ الْحَادِثِ النُّكْرِ¹
 عَلِمَ دَعْوَانَاكَ فَاعْفِرْ جَرَمَ مُعْتَدِرٍ
 أَهْمَنِي مِنْ كَبِيرِ الْإِثْمِ فِي صَعْرِ
 لَمَّا دَعَاكَ لِحَطْبٍ أَيْمًا عَسِرٍ

فاغفر ماثمَ لولا شؤمها لدنى
 وبعدها بدموع القانتاتِ ومن
 هذا الدعاءِ ومنك الوعدُ نرقبه
 بباءِ باهرٍ لألاءِ البهاءِ بما
 من ملكها ملكوتها بميمهما
 بألفِ تاليفِ أجناسِ الورى ألفُ
 بلامِ تلطيفه كلَّ الكنائفِ في
 ولامِ شاملٍ لطفٍ منه مُدٌّ لنا
 بسرِّ هاءٍ بها تاهَ المحبُّ وفي
 بوسعٍ حيطتها بلطفٍ رمزتها
 برحمةٍ لكِ عمتْها هنا أثراً
 مُحمَّدٌ عبده الأرضى ومرسله
 به توسلتُ يا ربِّي إليك على
 عليه صلى الذي من قبلِ نشأته
 وبالسَّلامِ يُحييه ليكرمه
 ومن زواكي خصائصِ التَّحنُّنِ في
 في آله العُزِّ ما لَبَّى لدعوةٍ من

قَطَفُ الْمُنَى نُجْتَنِيه الدَّهْرَ كالثَّمْرِ
 نَاجَاكَ فِي سِرِّهِ مِنْ قَانِي السَّحْرِ
 فَاسْمَعْ نِداً سَائِلٍ لِلَّذِينَ مُنْتَصِرٍ
 يَسْرِي مِنْ اسْرَارٍ مَعْنَى السَّيْرِ فِي الصُّورِ
 بِمَا حَوَتْ مِنْ كُنُوزِ الوَعْظِ وَالْعَبْرِ
 بِهِ قِيَامُ السَّمَاءِ غَيْرَ مَنْقَطِرٍ
 عَيْنِ الْمُمَدِّ بِرُوحِ الْكَشْفِ وَالنَّظَرِ
 كَالْبَحْرِ لَكِنَّهُ لَمْ يُزَوَّ بِالْجُزْرِ
 حَانُوتِ خَمَرَتِهَا هَامُوا مِنَ السَّكْرِ
 بِطَيْبِ مَوْرِدِهَا الْأَصْفَى بِلَا كَدَرٍ
 وَعِنْدَ مَبْعَثِنَا خَصَّتْ ذَوِي أَثَرٍ
 حَقًّا إِلَى الْخَلْقِ مِنْ جَنِّ وَمِنْ بَشَرٍ
 ظَنِّي الْإِجَابَةَ كَيْ يُقْضَى بِهِ وَطَرِي
 رَكَاهُ فِي كُتُبِ الْمَاضِينَ وَالزُّبُرِ
 قَوْلًا مِنْ اللَّهِ لَمْ يَنْقَدْ فَيَنْحَصِرِ
 أَهْنَى الرِّضَا خَصَّ بِالْأَهْلِ مِنَ الدَّرَرِ
 صَفَى لَهُ الْوُدَّ أَوْ رَبَّاهُ بِالْدَرَرِ

من قصيدة طويلة جدا في إثبات التوسل بالأنبياء والصالحين¹:

{السيط}

مَا فِي النَّدَا يَا أُوْلِي الْإِلْبَاسِ مِنْ بَاسٍ
إِلَّا الْخُلَاصُ وَالْأَعْسَلُ أَدْنَسِ
فِي وَاضِحٍ لَمْ يَغِبْ عَنْ كُلِّ حَسَّاسٍ
مِنَا يَهْجُرُ اسْمَ مَنْ يَرْضَى مِنَ النَّاسِ
أَعْرَاهُ إِلَّا بِمَا يُنْجِي مِنَ ابَّاسِ
حَلَفِ الْأَسَى يَتْرُكُ الشَّكْوَى إِلَى الْآسَى
إِنْ جَاءَكُمْ إِخْوَةُ النَّسْنَسِ بِالنَّاسِ؟
غَيْبِ ابْنِ إِيَّاسٍ يَدْعُو بِابْنِ إِيَّاسِ؟
مَنْ ذَا يُسَوِّي الْهُدَى بِنَفْثِ وَسْوَاسِ
كَيْسِي إِذَا قَسْتُ ذَا حِمَقٍ بِأَكْيَاسِ
لَمْ تَجْرِ وَفَقَ ضَمِيرِي فَوْقَ قِرَاسِ
فِي الْحَقِّ أَحْكَمْتُ وَزَنَّا بِقِسْطَاسِ
يَسْطُو إِذَا غِيظَ دِرْبَاسُ ابْنِ دِرْبَاسِ²
بِيضُ الْبِرَاهِينِ فَاقَتْ ضَوْءَ نِيرَاسِ
نَصُّ بِذَلِكَ أَوْ قَيْسُ بِمِقْيَاسِ؟
أَجْزَاءُ نَائِفَةً عَنْ أَلْفِ كُرَّاسِ
عِنْدِي وَعِنْدَكَ تَفْسِيرُ ابْنِ عَبَّاسِ
فِي أَنَّ يَاسِينَ لَا يَدْعُوهُ مَنْ يَاسِ

حَقًّا أَقُولُ وَنُورُ الذِّكْرِ مِقْبَاسِي
مَا فِي التَّوَسُّلِ بِالْأَخْيَارِ عَنْ مِقَّةِ
فَمَا لِنَاجِمَةٍ جَاءَتْ تُغَالِطُنَا
مَا اللَّهُ-مُ اللَّهُ-وَصَّاكُمُ وَلَا أَحَدًا
وَلَا نَبِيَّ الْهُدَى غَرَّ الضَّرِيرَ وَلَا
نَادَاهُ عَنْ أَمْرِ مُسْتَشْفِيًّا وَسَوَى
فَهَلْ لَذَا نَاسِخٌ وَهَامٌ لِرَاسِخِكُمْ
وَهَلْ أَبُؤُ النَّاسِ نَاسٍ إِذْ تَوَجَّهَ فِي
إِيَّاهُ نَتَبَّعُ أَمْ وَسْوَاسَ مُبْتَدِعِ
مَا نَفْعُ كَيْسِي وَمَا أَوْدَعْتُ مِنْ حِكْمِ
وَمَا ضُمُورُ يِرَاعَاتِ الْبِرَاعَةِ إِنْ
مَا عِشْتُ لَسْتُ أَرَى إِلَّا أَشْيَ كَلِمًا
أَسْطُو بِحَدِّ عَلَى مُلْغِي الْوَسَائِطِ مَا
خَطِيئَتُهَا - يَا لَهَا - الْأَقْلَامُ تَعْضُدُهَا
نَاشِدْتُكَ اللَّهُ يَا نَافِي الْوَسِيلَةِ هَلْ
هَذِي الْجَوَامِعُ طُرًّا وَالْمَسَانِدُ وَالْ
ثُمَّ التَّفَاسِيرُ تَتْلُوهَا وَأَوْتَقُّهَا
فِي هَذِهِ أَوْ ذِهِ جَاءَتْكَ وَاضِحَةً

¹ المرجع السابق، ص 16

² درباس: الأسد.

قال في قصيدة إخوانية، تستهل بشوق إلى الأحباب، والإخوة جميعاً، ويخص بالذكر أخاه الشيخ "عيسى القاضي"¹:

{المتقارب}

شَجَايَ التَّوَى فَهِيَ أُمُّ الْحَرْقِ	بِهَا تَاهَ لُبِّي وَالْعَظْمُ رَقِ
فَيَوْمِي حَنِينٌ وَأَمْسِي أَيْنُ	وَلَيْلِي إِمَّا بُكْيٌ أَوْ أَرْقِ
فَيَا نَضَرَ اللَّهُ عَهْدًا مَضَى	وَلِلظَّاعِنِينَ بِوَصْلِ سَبَقِ
إِذِ الشَّكْلُ تَالٍ لِشَكَالِهِ	بِلَا فَاصِلٍ، مِثْلَ عَطْفِ النَّسَقِ
وَكَمْ شَافَنِي قَبْلُ إِلْفٌ نَأَى	وَأَفْلَادُ كِبْدِي بِشَوْقٍ أَحَقِّ
أَخِلَّايَ أَبْنَاءُ أُمِّي بَنُو	أَبِي أَهْلُ بَرِّي إِذَا مَا أُعْقُ
وَلَمْ أَنْوَ بَعْدًا وَلَا هُمْ نَوَوْا	وَلَكِنْ هَذَا بَلَاءٌ طَرَقَ
وَلِيَّ - وَاللَّهِ - لَمْ أَنْسَهُمْ	وَلَمْ أَهْمُ بَدَلٌ وَدَّ صَدَقَ
وَإِنْ كُنْتُ قَصَّرْتُ فَالْعَفْوُ مِنْ	بَنَاتِ الْعَلَى سِمَةٌ تُسْتَحَقُّ
وَإِنْ قَصَّرُوا فَالسَّوَابِقُ مِنْ	صَوَالِحِهِمْ حَسَنَتْ مَا التَّحَقُّ
بَلَى مَا وَفَيْنَا، وَلَمْ نَسْتَطِعْ	بَأْغِي وَلَائِهِمُ الْمُسْتَحَقُّ
فَحَقُّ التَّصَافِي لَهُمُ وَالْإِحَا	بَدِينِ وَطِينِ وَحَقِّ وَحَقِّ
وَلَا بَنِي شَعِيبٍ وَأَحَدٌ مِنْ	مَزِيدِ اخْتِرَامِي قَصْبُ السَّبَقِ
وَلِلشَّيْخِ عَيْسَى فَقَدِمًا جَرَى	إِلَى غَايَةٍ فِي الْهَوَى لَمْ تُطَقْ
فَلِلُّودِ وَدَ بِهِ شَدَ إِذِ	شَدَدْنَا الْأُخُوَّةَ قَبْلَ الْفَرْقِ
فَتَانِكَ رَجُلَاهُ مَا زَلْنَا	عَنِ الْعَهْدِ شِبْرًا وَمَا إِنَّ زَلْفَ
وَلِيَّ بَرَاءٍ مِنْ أَمْرِ بِهِ	تَأَذَّى، فَفِي الْخَلْقِ فِيهِ الشَّرْقُ
وَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ قَافِيَةً	أَتَتْ مِنْهُ قَافِيَةً فِي وَرْقِ
تَوَحَّتْ فَنَانَا وَمِنْ دُونِنَا	نَفَانِفُ فِيهَا تَحَارُ الرُّفْقِ
فَلَمَّا تَلَقَّيْتُهَا عَادَ لِي	مِنْ الْأُنْسِ مَا كَانَ قَبْلُ انْمَرَقِ

¹ من مجموعة قصائد غير مرتبة للشيخ، (بحوزة الباحث)

فَأَنْزَلْنَاهَا مَنَزِلَ السَّمْعِ مِنْ
وهذا هَدِيٌّ حَدُوثُ بِهِ
وَأَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مُهْجَاتِنَا
فَلَلَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ فِي غِيٍّ
فَمَا عَاقَ مَنْ فِتْنَةٍ لَمْ تَقَعْ
هُوَ الْحَقُّ حَقًّا وَمَا دُونَهُ
سَرَابٌ بِقَاعٍ، وَيَحْسَبُهُ
وَأَزْكَى سَلَامٍ يُشَيِّعُهُ
عَلَيْكُمْ وَأَشْيَاعَكُمْ خَلْفَكُمْ
فِيَا رَبِّ صَلِّ الَّتِي تَرْضِي
وَسَلِّمْ عَلَى الشَّمْسِ مَا أَشْرَقَتْ
كَذَلِكَ مَا حَنَّ صَبُّ إِلَى

صِمَاخِي، وَمَنْ حَيْثُ نُورُ الْحَدَقِ
عَلَى حَدْوِهَا رَافِيًا مَا انْخَرَقَ¹
وَمُهْجَاتِكُمْ شَاكِراً أَنْ نَوَق
وَفَقْرٍ، وَخَيْرٌ لَنَا أَهْلَ (نَقِ)
وَمَا سَاقَ مِنْ مِثَّةٍ لَمْ تُعَقْ
وَإِنْ غَرَّنا بَاطِلٌ قَدْ زَهَقْ
شَرَابِ انْتِقَاعِ سَوَى مَنْ حَدَقْ
نَوَامِي تَحَايَا كَطِيبِ الْحِفَقِ
مِنْ آلٍ وَتَالٍ وَمَنْ يَسْتَرْقِ
عَلَى آلِ أَحْمَدَ قُطْبِ التَّرْقِ
نَهَارًا، وَفِي اللَّيْلِ مَهْمَا غَسَقْ
تَلَاقٍ، وَمَا أَلَّ أَلَّ بَرَقْ

1 الهدي بوزن غني: العروس.

الإخوانية 2 إلى الشيخ الشاعر / محمود محمد الصالح¹:

{الطويل}

أَشَوْقًا وَلَمَّا تَظَعْنُ أُمُّ مَالِكِ وَلَمْ تُفَوِّ دُورَانِ الْحِسَانِ الْفَوَالِكِ²
 رُوَيْدَ الْهَوَى مَا لَمْ يَجِدْنِي مُزَايِلًا لِمَلْعَبِ دَعْدَاتِي وَمَمْشَى عَوَاتِكِ
 فَمَا تَيَّمُ التَّيْهَانَ مِثْلُ قُطَيْعِ مِنَ الْغَيْدِ خُذِلِ الشُّوقِ غُذِبِ الْمَضَاحِكِ³
 وَمَا شَاقَ مِثْلِي مِثْلُ لَفْحِ ظَعَائِنِ جِمَالٍ عَلَى شَتَّى جِمَالٍ رَوَاتِكِ⁴
 وَلَمْ أَرِ شَمْسًا مِثْلُ شَمْسٍ تَكْفَلْتُ بِإِزْهَاقِ رُوحِي يَوْمَ شَدِّ الشَّكَاكِكِ⁵
 تَرَاءَتْ لَنَا وَالْحَيُّ مَا بَيْنَ سَائِقِ مُحِيتٍ، وَمُلْجِمِ عَجُولٍ، وَحَانِكِ
 وَأَبْدَتْ لَنَا مَا بَيْنَ أَتْبِضَ نَاصِعِ وَأَسْوَدَ حَالِكِ، وَأَحْمَرِ عَاتِكِ
 فَفَرَعُ حُلُكِلِكِ، وَكَفُّ مُيرِنَا وَثَعْرُ مُفْلَجٍ، صَقِيلُ الضَّوَاكِ⁶
 وَدَسْتُ لَنَا وَقْتُ الْوَدَاعِ حَنَاظِلًا مَرَائِرٍ فِي تَمَرٍ يَلْدُ لِعَالِكِ
 فَمَا إِنْ تَرَى إِلَّا دَمًا نُهْرِقُهُ إِذَا غَاضَ مَاءُ الدَّامِعَاتِ السَّوَالِكِ
 وَكَمْ دُونَهَا مِنْ فَيْهَقٍ وَلَهَالِهِ عَوَارِي الرُّبَى مُسْحَنَفَرَاتِ الْمَسَالِكِ⁷
 كَأَنَّ ضَحِيجَ الْجِرِّ فِيهَا عَشِيَّةَ جَلَّاجِلِ رَعْدٍ أَوْ قَهَاقِهِ ضَاحِكِ⁸
 وَمِنْ بَحْرِ آلِ زَاخِرٍ زَمَلِ الرُّبَى وَعَرَقَ قُنَاتِ الْهَضَابِ النَّوَابِكِ⁹
 تَرَانَا نَحْوُ يَمَّةٍ وَعُبَابُهُ عَلَى يَعْمَلَاتِ مُشْرِفَاتِ الْحَوَارِكِ¹⁰
 تَعَرَّقَهَا التَّعْلِيسُ فِي كُلِّ بُكْرَةٍ فَهَنْ خِمَاصٍ لَا طِئَاتِ الْعَرَائِكِ¹¹

¹ من المجموعة السالفة الذكر.

2 الفوالك: جمع فالك وهي الجارية التي استدار ثديها.

3 خذل: خذلة وهي المرأة الغليظة الساق، المستديرة.

4 رواتك: يعني متقاربة الخطى.

5 الشكانك من الهواجج: ما شك من عيدانها التي يقتب بها بعضها في بعض.

6 الفرع: الشعر، وحلكلك: شديد السواد، وميرناً: مزين بالحناء، ومفلج: متباعد الأسنان.

7 الفيهق: الواسع من كل شيء، واللهله: الأرض الواسعة يطرد فيها السراب، ومسحنفرت: الواسعة أيضاً.

8 الجلجلة: صوت الرعد.

9 النوابك: المرتفعة.

10 الحوارك: ج حارك: أعلى الكاهل.

11 تعرقها: أزال لحمها عن العظام، والعرائك ج عريكة: سنام البعير إذا عركه الحمل.

إِذَا مَا مَضَى هِنًى مِنْ اللَّيْلِ أَقْبَلَتْ
 يَنْحَنُ وَتَبْكِي مِثْلَهُنَّ، كَأَنَّنَا
 وَلَوْ قَدْ دَمَعْنَا عَيْلَمًا مُتَمَوِّجًا
 فَإِنِّي وَاللَّوَامِ فِيهَا لَكَالَّذِي
 فِينَا أُمَّ مَالٍ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا
 فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَهْدَرْتَ قَتْلِي فَإِنِّي
 عَيْلَمٌ عِلْمٌ بَارَكَ اللَّهُ لَمْ يَزَلْ
 وَنَجْمٌ فَلَا حَ يَعْلَمُ اللَّيْلُ أَنَّهُ
 وَمُنْتَطِقٌ بِالْحَرَمِ، يَسْلُبُ فِي الْوَعَى
 وَدُو بُرْمَةٍ رَحْرَاحَةِ الْقَعْرِ لَمْ تَزَلْ
 إِذَا سَلَّمَ الْعَافُونَ سَلَّمَ كَفُّهُ
 فَتَفْتَرِحُ الْأُمَمَالُ فَرَحَةً سَالِمٍ
 فَمَا أَوْسُهُمْ أَيَّامٌ تُمَطِّرُ كَفُّهُ
 بِأَجْوَدَ مِنْ كَفٍّ تُشْتَتِ دَثْرُهُ
 وَمَا الضَّحْكُ الْمَازِي دَارَتْ كُؤُوسُهُ
 وَلَا حَمْرَةٌ مِنْ حَمْرِ عَانَةٍ زُوِّجَتْ
 بِأَعْدَبَ فِي الْأَفْوَاهِ مِنْ ذِكْرِهِ، وَلَا

نَحْنُ إِلَى فُضْلَانِهَا وَالْمَبَارِكِ¹
 حَمَائِمُ تَدْعُو سَافَهَا بِالْوَكَاوِكِ²
 لَكَانَ قَلِيلًا فِي هَوَى أُمَّ مَالِكِ³
 يُحَاوِلُ بِالْكَفِّينِ قَلَعَ شَنَابِكِ
 بَرَاءً، فَهَاتِي الْأَرْضَ مِنْ رَأْسِ مَالِكِ⁴
 أَعُوذُ بِذِي مُحَمَّدٍ مِنْ عُدَوَائِكَ⁵
 يُنْهَضُ مِنْ هَمَاتِنَا كُلِّ بَارِكِ⁶
 إِذَا دَلَكْتَ نُجْمَانَهُ غَيْرُ دَالِكِ
 مَنَاطِقَ فُتَّاكِ اللَّيْثِ الشَّوَابِكِ
 تَقُورُ بِلُحْمَانِ النَّيَاقِ الضَّنَائِكِ⁷
 عَلَى الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ تَسْلِيمَ تَارِكِ
 وَتَتَرِّحُ الْأُمُومَالُ تَرَحَةً هَالِكِ
 شَائِبِ تَبْرِ نَاضِرٍ وَنَسَائِكِ⁸
 لَتَجْمَعَ أَشْنَاءَ الْعُقَاةِ الضَّرَائِكِ⁹
 عَلَى الرَّاحِ وَاحْلَوْلَى لِبَكْرِ وَمَالِكِ¹⁰
 بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءٍ صَدَّاءَ عَاتِكِ¹¹
 رُضَابِ مَهَاةٍ مِنْ مَهَا الْأُنْسِ قَالِكِ

1 هنى: طائفة من الليل.

2 الساق: ذكر القماري؛ لأن حكاية صوته: ساق ساق، والوكاوك: هدير الحمام.

3 العيلم: البحر.

4 الأرض: الدية.

5 العدواء: البعد.

6 العيالم: البحر كالعيالم السابق.

7 الضنائك: ج ضنوك كجندب: الناقة العظيمة.

8 النسائك: ج نسيك: الذهب والفضة.

9 الضرائك: ج ضريك: الفقير البائس.

10 الضحك: العسل.

11 عانة: قرية على الفرات تنسب إليها الخمر، وزوجت: خلطت، والشيم: البرد، والصداء: ركية، أو عين ما عندهم أعذب منها، ومنه: "ماء ولا كصداء"، وعاتك: أحمر حمرة زائدة.

أَخْ كَانَ أَرِيًّا فِي لَعَادِيدِ وَدَّهِ
أَخُو جُرْأَةٍ، يُعْنِي غَنَاءَ كَتِيبَةٍ
وَلَا جَرَ إِنَّ السَّيْفَ يُخْتَارُ بَاتِكًا
أَخْ لَمْ أُخَاوِنُهُ الْوَدَادَ وَإِنَّمَا
تَأَخَّيْتُهُ فِي اللَّهِ، وَاللَّهُ عَالِمٌ
وَأَثَوَيْتُهُ فِي الْقَلْبِ جَنَّةَ مِكْنَةٍ
وَمَلَكَتُهُ مَعْنَايَ غَيْرَ مُشَارِكِ
فَإِذْ أَحْلَقَ الْبَيْنُ اللَّعِينُ وَصَالَنَا
تَبَصَّرْتُهُ بِالْقَلْبِ حَتَّى كَانَتْهُ
فَحَيْثُ اشْرَأَبْتُ لِلتَّدْفُقِ مُزْنَةٌ
تَوَهَّمْتُهَا جَدَّوَاهُ فَاضَتْ فَطَبَّقْتُ
وَإِنْ طَنَّ قِمْعٌ قُلْتُ صَرَصَرَ مِسْطَرٌ
وَإِنْ هَرَهَرَ الْهَرَهَارُ فِي بَطْنِ غَابَةٍ
وَإِنْ هَفَهَفَتْ هُوجُ الرِّعَازِ مَائِسًا
تَذَكَّرْتُ قَلْبًا مِنْهُ يَهْتَرُ تَارَةً
فَمَنْ لِي بِتَصْبِيرِي وَهَاتَاكَ دِينِي
عَلَى جَشَعٍ إِنْ كَانَ فِيهِ مَصَالِحُ
فِيَا نَفْسُ مُوتِي مِنْ تَبَارِيحِ وَجْدِهِ
وَهَيْمِي بِهِ مَا غَابَ عَنْكَ، فَإِنْ دَنَا
وَجَارِيهِ عَنْ أُمْلُوحَةٍ عَنَثَرِيَّةٍ

وَصَابًا مَرِيرًا فِي مَرِيءِ الْمُفَارِكِ
إِذَا هَجَمْتَ إِحْدَى الدَّوَاهِي الْعَرَائِكِ
عَلَى أَلْفِ سَيْفٍ مُعْمَلٍ غَيْرِ بَاتِكِ
تَخَوَّنَا دَهْرٌ كَثِيرٌ الدَّوَاهِيكَ
طَمَاعِيَّةً لِي فِي فَرَادِيسِ مَالِكِ
وَأُخْرَى مِنْ التَّعْظِيمِ ذَاتَ أَرَائِكِ
وَمَلَكَنِي مَعْنَاهُ غَيْرَ مُشَارِكِ
وَقَدْ كَانَ فَضْفَاضًا جَدِيدَ الْبَنَادِكِ¹
وَإِنْ غَابَ ثَاوٍ عِنْدَنَا لَمْ يُفَارِكِ
مَرَاهَا مُرُورَ النَّاسِمَاتِ الْحَوَاشِكِ²
عِرَاصَ الثَّرَى سُهْلَانِهِ وَالْدَكَادِكِ³
يُذِيعُ بِهِ أَسْرَارَ مَذْهَبِ مَالِكِ⁴
ذَكَرْتُ بِهِ ضَاضَاءَهُ فِي الْمَعَارِكِ⁵
مِنْ الشَّيْحِ، أَوْ هَزَّتْ فُرُوعَ الْأَرَائِكِ⁶
وَيُرْعِدُ مِنْ مَخْشَاةِ رَبِّ الْمَلَائِكِ
عَلَى جَشَعٍ أَوْهَى فَقَائِرَ حَارِكِ⁷
مِثَاتٍ، فَفِيهِ أَلْفٌ مِنْ تَهَالِكِ
وَشِيكَاً، وَإِنْ لَمْ تَهْلِكِي فَتَهَالِكِ
فَزَيْدِي هَيَامًا ثَانِيًا عَنْ هَيَامِكِ
حَبَاكِ بِهَا مُسْتَشْفِيًا لِسِقَامِكِ

1 البنادك: عرى القميص.

2 الحواشك: الرياح المختلفة، أو الشديدة.

3 الدكادك: ج دكدك: الأرض الغليظة.

4 القمع: الذباب.

5 الهرهار يعني به الأسد من الهرهرة وهي زئيره.

6 هففف: من ريح هفهافة: سريعة المرور، أي حركته تحريكا سريعا، والهوج: ج هوجاء: الريح الشديدة

الهبوب التي تفلع البيوت، والشيح: نبت معروف.

7 الجشع: الجزع لفراق الإلف

هَمَّا، وَالَّذِي مَدَّ السَّمَاءَ بِأَيْدِهِ	وَأَنْشَأَهَا خَضِرَاءَ ذَاتَ حَبَائِلِك ¹
لَقَدْ نَشَرْتَ تِلْكَ الْهَدَايَةَ فَرَحَةً	طَوَاهَا سِجْلُ الْبَيْنِ طَيِّ الْمَمَالِكِ
وَكُنْتُ وَلَا أَرْجُو لِعَيْنِي نِيْمَةً	فَرَدْتُ عَلَيَّ النَّوْمَ أَوَّلَ بَائِك ²
فَأَلَيْتُ أَحْمُودُ أَفْتَأُ زَانِيًا	إِلَيْهِ، وَلَوْ نِيلَتْ جُفُوعِي بِسَاهِك ³
فِيَا طَيْبَهَا طَعْمًا بِفِيٍّ وَحُسْنَهَا	بِعَيْنِي، فَمَا أُمُّ التَّجُومِ الشَّوَابِكِ
وَلِي فِي أَدَاعِيهَا رُسُوبٌ وَنَيْرُكُ	أَعْدُهُمَا دُونَ الْقَنَا وَالنَّيَارِكِ ⁴
وَلِي فِي مَعَانِيهَا كِسَاءٌ تَنْعَمُ	كَسَانِيهِ كَاسِي الْأَرْمَلَاتِ التَّرَائِكِ
فَكَافَأُهُ عَنَّا بِخَيْرٍ كَفَاءَةً	وَمَلَكُهُ الْحُسْنَى مَلِيكُ الْمَمَالِكِ
وَأَبْقَاهُ سَيْفًا بَاضِكًا نَسْتَعِدُّهُ	لِلْإِدْمَاءِ أَجْسَامِ الْخُطُوبِ الْبَوَاضِكِ ⁵
فِيَا رَبَّهُ طَوَّلَ طِيلَ نَسَائِهِ	مُعَانِي عَلَى رَعَمِ الدَّوَاهِي الدَّوَاهِكِ
وَبَارِكْ لَهُ فِي أَهْلِهِ وَبَيْنِهِ	وَأَصْحَابِهِ الطُّوبَى وَدَارِكُ وَتَارِكُ
إِلَيْكَ هِيَّةً، أَفْكُوهُ ذَاتَ أَنْوَرِ	تَصِيرُ بِهَا الْأَحْلَاكُ غَيْرَ حَوَالِكِ
أَتَيْتُ بِهَا كَالدَّرِّ لَوْ أَنَّ دُرَّةً	مِنَ الدَّرِّ تَحْوِيهَا بَطُونُ الْأَلَائِكِ
وَكَالْفَهْوَةِ الصَّهْبَاءِ فِي ذَوْقِ شَارِبِ	وَكَالْتَمَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي فِيهِ لَائِكِ
فَلَفَظْتُ كَمَاءَاتِ الْجُفُونِ سَلَاسَةً	وَمَعْنَى كَأَنَّ قَدْ قُدَّ مِنْ رُكْنٍ ضَاحِكِ ⁶
فَإِلَّا تَكُنْ كُفُوًا لِمَجْدِكَ إِهَّا	لِنِعْمَتِ كَفِيئًا لِلْفَصَاحِ الْمَسَاهِكِ
وَالَّا تَكُنْ إِحْدَى السَّبَائِكِ فَلْيَكُنْ	تَمَامُ مَنَاهَا مَدَحُ مُعْطِي السَّبَائِكِ
وَأَسْنَى صَلَاةِ اللَّهِ يُوصِلُهُ إِلَى	مُحَمَّدِهِ الْمُخْتَارِ مِنْ آلِ مَالِكِ
مَعَ الْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَا امْتَالَ خَرْعَبُ	تُسَقِّهُهُ زَفَرَاتُ رِيحِ مُشَارِكِ ⁷
وَمَا اسْحَنَكَكَتْ دَهْرًا لِيَالِي مُتَيِّمِ	سَبَا عَقْلُهُ حُبُّ اللَّيَالِي الْقَوَالِكِ ⁸

1 هما: لغة في: أما.

2 أول بائك: أول شيء.

3 الساهك: الرمد

4 الرسوب: السيف، والنيزك: الرمح القصير.

5 الباضك: السيف القاطع.

6 الضاحك: حجر أبيض يبدو في الجبل، والمراد الجبل عموماً من تسمية الشيء باسم جزئه.

7 الخرعب: الغصن.

8 اسحكككك الليل: أظلم، والليالي الثانية: ج ليلي

أَوْ افْتَرَّ عَنْ كَالْأُفْحَوَانَةِ مَضْحَكُ
وَمَا حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ شُعْتُ مُحَارِمُ
أَوْ انْضَمَّ دِرْعٌ مِنْ كَلَيْثِ ضُبَارِكِ¹
يُلْبُونُ لِلرَّحْمَنِ حَوْلَ الْمَنَاسِكِ

مقطوعة من موازنته البديعة لقصيدة كعب بن زهير "بانت سعاد"²:

(البسيط)

مَهْ مَا خِطَابُكَ مَهْمَا لُمْتُ مَقْبُولُ	سَمِعِي أَصَمُّ وَقَلِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ
بَلْ مَا تَشَاءُ فَأَلْحِجْ مَا عَلَيَّ إِذَا	لَمْ تَسْتَمْلِنِي أَنْ تُثْمَلِيَ الْأَبَاطِيلُ
مُرْ، أَعْصِ، هَوْلٌ، أَهْوَنُ، زِدْ، يَزِدْ شَغْفِي	سَوَّلْ فَمَا لِي عَلَى التَّسْوِيلِ تَعْوِيلُ
مَا مَلَّ جَفْنِي تَذْرَافَ الدَّمُوعِ وَلَا	قَلِي الْوُلُوعُ، وَمِنْكَ النَّصْحُ مَمْلُوعُ
هَذَا بِحِمْرَتِهِ يَصْلَى، وَذَا أَبَدًا	يَكَاذُ يُغْرِفُهُ مِنْ فَيْضِهِ نَيْلُ
فَمَا ادَّعَيْتُ الْهَوَى إِلَّا وَيَشْهَدُ لِي	فِي الصَّدْرِ وَالرَّأْسِ وَاقْدُ وَمَكْحُولُ
هَاتِيكَ نَجَبِ الْمَهَارِي زَمَهَا نَجَبِ	لِلْبَيْتِ أُمُّوَا مَنْ يَدْعُوهُ إِيْلُ ³
قَاسُوا بِأَذْرِعِهَا شِقَّ الْفَلَا وَلَكُمْ	قَاسُوا جَوَى فَلَذَا مَا شَقَّ تَحْوِيلُ
مَرَوْا ثُبَاتٍ فَمَالِي وَالثَّبَاتِ أَهْمُ	بِالصَّدَقِ تَاقُوا وَمَنِّي التَّوَقُّ مَدْخُولُ ⁴
لَا مَا أُرَانِي إِلَّا شَكْلَهُمْ فَأَنَا	مُخْبُولُ عَشَقٍ وَهُمْ مِثْلِي مَخَابِيلُ
مِنِّي مُنَاهُمْ وَفِيهَا مُنِيَّتِي وَكُدَى	مَسْئُولُهُمْ وَهِيَ لِي بَعْدَ النَّقَا سُولُ
إِنْ كُنْتُ صَبًّا إِلَى سَلْعٍ فَصَبْرُكَ مُذْ	سَبْعَ لِعَقْدِ الْهَوَى لَا بُدَّ تَحْلِيلُ

1 ضبارك: شجاع.

² من المجموعة المذكورة، وتوجد أيضا في ترغيب المشوق لزين الدين، ص 34

3 إيل: اسم الله تعالى.

4 الثبات: الجماعات، والمدخول: المعيب.

أَوْ كَانَ قَلْبُكَ بِالْعُذْرَاءِ هَامَ فَمَا
 أَوْ كَانَ وَجْدُكَ جَدًا لَمْ يَعْفُكَ أَذَى
 كَمْ قُلْتُ صَبْرِي إِلَى عَامٍ إِلَى سَنَةٍ
 يَا لَيْتَ إِذْ فَاتَنِي السُّبَّاقُ تَنْهَضُ بِي
 لَا بَلْ طَوِيرَةٌ تَطْوِي الْهَوَاءَ كَمَا
 عُذُّوْهَا فَوْقَ شَهْرِ لِلْمُجِدِّ وَمَا
 مَهْمَى عَلَا صَوْتُهَا فِي الْجَوِّ تَتَّبَعُهُ
 لِنَارِهَا حَوْلَنَا سَوَّاقٌ وَيَجْذِبُنَا
 يَكَاذُ يُطْفِئُ نَارِي أَوْ تَيْكَ آوِنَةٌ
 غَالَى الْكَرِيهُ لَهَا فِي الْأَجْرِ قُلْتُ لَهُ
 لَوْ بِالنَّفُوسِ اكْتَرَيْنَا وَالتَّفَاسِ مَا
 مَا الْعَيْنُ مَا الْعَيْنُ مَا الْيَاقُوتُ أَحْمَرُهُ
 يَا، فَاشْتَرَوْا بَالِهَنَا شَطْرَ الْغَيِّ عَجَلًا
 فَالْحُبُّ يَدْعُو إِلَى الْأَحْبَابِ زُمْرَتِهِ
 قُومُوا بِجِدِّ مَتَى سُرْتُ سَرَائِرُكُمْ
 جَدِي يُؤَخِّرُ عَنِّي حِينَ أُسَبِّقُ فِي الدَّ
 مَهْ يَا عَذُولِي لَا مَعْدُورٌ أَنْتَ وَلَا
 نَفْسٌ رَنْتَ فَأَحْبَبْتُ ثُمَّ إِذْ عَشِيقْتُ
 مَا ذَنْبُهَا أَيُّ حُوبٍ حُوبُهَا وَعَلَى
 يَلْعُو وَيَلْعَطُ فِي أُذُنِي وَمَا أُذُنِي
 سَمْعِي وَإِبْصَارُ عَيْنِي إِنْ بَصُرْتُ بِهَا
 أَنَا أَخِيذُ الْهَوَى أُنِّي أَحِيدُ عَلَى
 وَمَا تَكَلَّفْتُ لَكِنْ لَجَّ بِي كَلَفٌ

عُذْرُ الْمَقَامِ أَمَا فِي الْأَمْرِ تَسْهِيلٌ¹
 يَخْشَى إِذَا زَمَّ لِلْبَيْتِ الْمَرَاقِيلُ
 أُخْرَى أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تُقْضَى التَّاجِيلُ
 فِي اللَّاحِقِينَ لِمَجْمَعِ الشَّمْلِ شَمْلِيلُ
 يَشْفِي الْهَوَى إِذَا الْمَفْصُولُ مَوْصُولُ
 سَبْعُونَ مِيلًا لَهَا إِلَّا لَهَا مِيلُ
 صَوْتُ التَّسَابِيحِ تَتْلُوهَا التَّهَالِيلُ
 قُدَّامُ شَوْقٍ لَتَعْلِي الْمَرَاجِيلُ
 بَلُّ الدَّمْعِ قُذْكِيهَا الْبَلَايِلُ
 مَا شِئْتُ كَثِيرَ فَمَهْرُ الْخَوَرِ مَبْدُولُ
 خِلْنَاهُ غَبْنًا فَكَالتَكْثِيرِ تَقْلِيلُ
 فِي عَيْنٍ مَن هَامَ بِالْخَضِرَاءِ مَا أُلُولُ؟
 لَا تُثْقَلْنَكُمْ بِالْأَوَارِ الْمَثَاقِيلُ
 مِنَّا، فَلَبَّيْكَ يَا دَاعِي الْهَوَى قُولُوا
 بِصُحْبَتِي، مَا أَصِيْحَابِي الْمَكَاسِيلُ
 عُشَّاقٍ مِنْ حُدَّةٍ فِي الْعِشْقِ مَقْلُولُ²
 صَبُّ الْجَمَالِ عَلَى الْإِجْمَالِ مَعَزُولُ
 حَنْتَ وَرَنْتَ كَمَا رَنَّ الْمَثَاكِيلُ
 مَ رَامَ تَضْلِيلَهَا بِالرَّشْدِ ضَلِيلُ؟
 لِبَاطِلٍ مَا لَهُ وَاللَّهِ مُحْصُولُ³
 وَالْقَلْبُ كُلُّ أَوْلَاكَ عَنْهُ مَسْئُولُ
 دِينِي، أَيْ دِينَ أَهْلِ الْحَبِّ تَبْدِيلُ؟
 عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ بَيْتِي الْقَلْبُ مَجْبُولُ

1 العذراء: من أسماء المدينة المنورة.

2 الجذ: الحظ.

3 أذن للشئ: استمع له.

فَكُلْ مَعْنَى جَوَى عَانَاهُ فِي صَغَرِي
وَمَا سُعَادُ وَمَا سَلَمَى وَإِنْ غَنَجَتْ
صَبَا بِحُبِّهِمَا قَلْبِي فَإِنْ فَتَنْتَ
وَلَا أُبَالِي بَطْعَنِ الْحَيِّ إِنْ رَحَلُوا
وَلَا أُسَائِلُ رُبْعَ الْغَيْدِ أَيْنَ ثَوْتُ
لَكِنْ بِطَيْبَةِ مَسْئُولِي وَمَسْجِدُهَا
سِرِّي فَهَآ هُوَ مَشْغُولٌ وَمَشْغُولٌ
تِي أَوْ لَتَيْلِكَ فِي الْجَفْنَيْنِ تَكْحِيلُ
غَيْرِي الدُّمَى فَأَنَا عَنْهُمْ مَشْغُولُ
نَجْدًا حَلَلَنْ أَوْ أَنَّ الشَّامَ مَحْلُولُ
غَزْلَانُهُ، لَيْسَ لِي بِالرَّبْعِ مَسْئُولُ
سُؤْلِي فَهَلْ لِي بِهَا نَهْلٌ وَتَعْلِيلُ

في المديح النبوي¹:

{البسيط}

هُوَ الْفِرَاقُ بِحَدِّ سَيْفِهِ جَزَمَا
وَقَدْ بَرَّانِي - حَتَّى لَا يَرَى أَحَدُ
وَحَقِّ حُبِّ نَائِي وَمَا لَهُ سَكَنُ
لَوْ أَنَّ بِي أَصْعَرَ الدَّرَّ اسْتَظَلَّ لَمَّا
أَبَيْتُ تَلْطُمِي أَيْدِي الْغَرَامِ، وَمِنْ
وَالْقَلْبُ يَصْلَى جَحِيمَ الْعِشْقِ مُوقَدَةً
وَلَا يُجَالِسُنِي مِنَ الْوَرَى أَحَدُ
وَصِرْتُ أَضْعَفَ مِنْ حَالِ الْأَدِيبِ إِلَى
وَالْحُبُّ فِي حَلْدِي دَفَنْتُهُ زَمَنًا
أُصْغِي إِلَى عَازِلِي، لَا لِلْسُّلُوِّ وَقَدْ
بَلَّ لِالتِّدَاذِي بِذِكْرِ مَنْ يُعَاتِبُنِي
كَأَنَّ قَصْدَ الْفِرَاقِ أَنْ يُطَالِبَنِي
حِينَ الْمَسْرَةِ فِي قَيْدِي وَعَيْشِي فِي
وَالدَّهْرِ مِنْ سَطَوَاتِي خَائِفٌ فَرِغُ

عِرْقَ الْكَرَى فَجَرَى دَمْعُ الْعُيُونِ دَمًا²
جِسْمِي وَلَوْ رَامَ - بَرِّي الْكَاتِبِ الْقَلَمَا
غَيْرَ الْحَشَا، وَكَفَى بِحَقِّهِ قَسَمَا
أَظْلَلْتُهُ رِقَّةً فَكَيْفَ مَا عَظُمَا
مَا نَابَنِي لَا أَزَالُ أَشْتَكِي الْأَلَمَا
وَذِكْرُ مَنْ أَشْتَهِي يَزِيدُهَا ضَرْمًا
كَيْلًا أَجْرًا إِلَيْهِ الْوَجْدَ وَالسَّعْمَا
أَنْ وَدَدَنِي مُبْغِضِي وَحَاسِدِي رَحِمَا
فَالآنَ أَنْ أَوَانُ التَّبَشِيرِ وَانْحَمَمَا
أَبَاهُ قَاضِي الْهَوَى مَنْ كَانَ لِي حَكَمَا
فِيهِ، وَمَنْ بَنَوَاهُ صَبْرِي انْعَدَمَا
بِمَا مَضَى، وَعَلَى التَّنْجِيزِ قَدْ عَزَمَا
هَنَاءً، وَحِينَ جِدَارِ الْوَصْلِ مَا انْهَدَمَا
وَبِالْوُشَاةِ عَلَى مَا أَجْتَنِيهِ عَمَى

¹ من المجموعة المذكورة

2 جزم: قطع

ذَاكَ الزَّمَانُ انْقَضَتْ آجَالُهُ وَأَرَى
 بَلَّ إِن مَدَحْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَنْشُرُهُ
 لِلْمُصْطَفَى خَيْرٌ مِّنْ أَشْكَى الشَّكَاةَ وَمَنْ
 مَا زَالَ فِي الْأَرْضِ بَدْرًا لَا مِحَاقَ لَهُ
 لَوْ أَبْصَرْتُ وَجْهَهُ شَمْسُ الضُّحَى كَسَفَتْ
 أَوْ أَبْصَرَ الْبَحْرُ وَقْتَ الْجُودِ رَاحَتَهُ
 أَوْ أَبْصَرَ الْبَارِقَ افْتِرَارَ مَبْسِمِهِ
 وَاقٍ وَقَدْ عَمَمَ الْأُفُقَ الضَّلَالُ، وَلَمْ
 وَقَلَّ حَدَّ الْمَعَاصِي وَهِيَ شَائِعَةٌ
 ثَبْتُ الْجَنَانِ إِذَا نَارُ الْحُرُوبِ ذَكَتْ
 تُقْتَادُ أَرْوَاحُهُمْ إِلَيْهِ مُكْرَهَةً
 إِنْ شَاءَ خَلَّى سَبِيلَهَا أَوْ أَطْلَقَهَا
 كَأَنَّ فِي سَيْفِهِ غَيْثَ الْمَنُونِ إِذَا
 يَخَالُهُ عَاجِزًا عَنِ الْعُقُوبَةِ مَنْ
 لَكِنْ إِذَا انْتَهَكَتْ أَهْلُ الْخَنَا حُرْمًا
 عَلَا عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ مُذْعِنِينَ لَهُ
 لَوْ أَنَّ تَقْوَاهُ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى قُسِمَتْ
 لَوْ قَاسَمَ الْخَلْقَ جُزْءًا مِنْ مَكَارِمِهِ
 أَوْ عَشَرَ مِغْشَارِ حِلْمِهِ الْعَمِيمِ لَمَّا
 أَوْ صَبْرُهُ مَا بَكَتْ وَرُقُ الْحَمَامِ وَمَا
 أَصْلُ الْحَلِيقَةِ، لَيْتَ الْحَلِيقَةَ مِنْ
 خَيْرِ النَّبِيِّينَ أَعْلَاهُمْ وَإِنْ فَضَّلُوا
 كَلَّتْ عَلَى حَصْرِ مَكْرُمَاتِهِ فِكْرِي
 رَبِّي بِهِ رَبِّ نَفْسًا طَالَمَا اجْتَرَحْتُ

أَنْ لَيْسَ يُنْشَرُ بَعْدَمَا عَدَا رِمًا
 كَخَيْرِ مَا كَانَ فِي الْمَاضِي وَلَا جَرَمًا
 أَفْنَى امْرُؤٍ فِي جَنَابِ مَدْحِهِ الْهِمَمَا
 وَفِي السَّمَاءِ بَدْرُهَا شَتَّانَ بَيْنَهُمَا
 مِنَ الْحَيَاءِ، وَخَيْلَ جُرْمِهَا حُمَمَا
 مَا امْتَدَّ مِنْ بَعْدِ جَزْرِهِ وَمَا التَّطَمَّا
 إِذَا تَصَادَمَتِ الْفُرْسَانُ مَا ابْتَسَمَا
 يَنْشَبُ أَنْ اجْتَنَحَهُ وَحَبْلُهُ صَرَمًا
 وَظَهَرَ كُلِّ مُطِيعٍ لِلْهَوَى قَصَمًا
 فَمِنْ لُحُومِ الرِّجَالِ يُطْعَمُ الرَّخْمًا¹
 حَتَّى يُنْفَذَ فِيهِ مَا بِهِ حَكَمًا
 أَوْ شَاءَ أَطْعَمَهَا مِنَ الرَّدَى طُعْمًا
 مَا صَالَ أَرْسَلُهُ إِلَى الْعِدَا وَطَمًا
 بِأَسْهُمِ الدِّمِّ عَرَضَهُ النَّقِيِّ رَمَى
 يَكُونُ حِينَئِذٍ لِلَّهِ مُنْتَقِمًا
 فَسَارَ حَتَّى سَمَا عَنْ أَهْلِ كُلِّ سَمَا
 لَمَّا اجْتَنَى أَحَدٌ ذَنْبًا وَلَوْ لَمَمًا
 لِأَصْبَحَتْ لَوْمَاؤُهُمْ وَهُمْ كُرْمًا
 مَيَّزَتْ يَوْمًا مِنَ الْمَظْلُومِ مَنْ ظَلَمًا
 قَاسَى امْرُؤٌ شَجْنًا مَأْلُوفُهُ عَدِمًا
 عَلَى أَسَاسِ مُكْرَمِ بَنَى الْكُرْمَا
 سِوَاهُمْ، وَبِذَاكَ كُلُّهُمْ جَرَمًا
 كُلُّ الْمُحَاوِلِ نَزَحَ الْبَحْرِ حِينَ طَمًا
 كَأَنَّهَا فِي أَمَانٍ مِنْكَ- مَا حَرَمًا

1 الرخم: جمع رخمة: طائر أبقع يشبه النسر في الخلق

وَأَرْسَلَنَ مِنْ لَدُنِّيَ الْعُلُومَ عَلَى
وَمُدَّ فِي عُمْرِ شَيْخِنَا وَقُدُّوتِنَا
وَحَسِّنَنَّ لِأُسْتَاذِي السَّعِيدِ كَمَا
رَكَّبَ الصَّلَاةَ إِلَى يَاسِينَ مُدْلِجٌ
وَالْأَلِ مَا دَامَتِ الْأَفْلَاكُ دَائِرَةً
وَالصَّحْبِ وَالتَّابِعِينَ مَا رَسَى جَبَلٌ
رَوْضِ الْفُؤَادِ سَحَاباً تُمَطِّرُ الْحِكْمَا
وَانْشُرْ عَلَيْهِ وَعَنْ أَحْبَابِهِ النِّعَمَا
إِلَيَّ أَحْسَنَ بَدَأَةً وَمُحْتَتَمَا
يَهْدِيهِ نَجْمٌ سَلَامٍ يَمَحُوقُ الظُّلُمَا
أَوْ فِي زَمَانِ الرَّبِيعِ الْوَابِلِ أَنْسَجَمَا
وَمَا جَرَتْ عِبْرَاتُ الْعَاشِقِينَ دَمَا

في الإرادة، والثناء على شيخه ووالده/ حماد¹:

{الوافر}

مَتَى يَا جَمْلٌ وَيَحْكُ بُحْمَلِينَا
أَكْلَ شَوْيِدِينَ عَذَبِ الثَّنَايَا
أَمَّا يَنْهَاكَ حُسْنُكَ حُسْنُ أَلْمَى
صِلِينِي يَنْتَعِشْ قَلْبِي أَوْ انْأَيِ
فَإِمَّا تَعْزِمِي صَرْمِي وَهَجْرِي
هُوَ الْخِلُّ الْوَفِيُّ فَإِنْ يَصِلْنِي
وَأَنْ فَجِئْتُ مِنْهُ بَعْدَ يَوْمٍ
هُوَ الشَّيْخُ الْوَفِيُّ وَالْمَرْقِيُّ
وَسَلَّ عَنْهُ الْكُرُوبِيُّينَ وَاسْأَلْ
وَسَلَّ عَنْهُ الْحِجَازَ وَذَاتَ عِرْقٍ
مُرَبٍّ لِلطَّوَائِفِ يَغْتَذِيهِمْ
فِيْفَنِي هَؤُلَاءِ عَنْ الْبَرََايَا
فَحَمْدًا ثُمَّ حَمْدًا ثُمَّ حَمْدًا
فَتُعْطِينَا الْمَتَى أَوْ تَبْخَلِينَا
يَرَى تَعْذِيبَ مَنْ يَهْوَاهُ دِينَا
مِنْ الْغَزْلَانِ أَنْ لَا تُحْسِنِينَا
أُمْتُ بِالْبَيْنِ أَوْ أَبْقَى حَزِينَا
فَحَسْبِي شَيْخُنَا خِلَا أَمِينَا
فَلَا وَصَلَ اللَّوَاتِي وَلَا اللَّذِينَ
فَمَا يُعْنِي وَصَالُ الْوَاصِلِينَ
فَسَلَّ عَنْهُ الضَّرَاحَ وَطُورَ سِينَا²
بِهِ الْكُرْسِيِّ ثُمَّ الْحَامِلِينَ³
وَمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالْحَجُونََا
بِأَنْوَاعِ الْمَعَارِفِ أَجْمَعِينَا
وَبُيُوتِي آخِرِينَ وَآخِرِينَا
لِمَنْ أَهْدَى لَنَا الدَّرَّ الثَّمِينَا

فَوَصَّلَ حَبْلَنَا بِحَبَالِ غَوَثٍ وَيا بَدَرَ الدُّجَى اغْرُبْ قَدْ غَنِينَا
 وَيا مُزْنَ الْجَلِي، إِنْنا بِخَصْبٍ وَيا سَيْحَانُ يا جَيْحَانُ غِيضَا
 وَيا سَبْعَ الْفَلَا لَا تُؤْذِ ذَنْبًا وَيا زُفَرَ الْفَقِيهِ ارْحَلْ إِلَيْهِ
 وَيا دَا عَسْقَلَانَ هَلُمَّ وَاقْرَأْ فَقَدْ أَحْصَى فُتُونَ الْقَوْمِ عِلْمًا
 أَوْحُو هَمِّ تَنَاهَتْ فِي غُلُوٍّ يُؤَثِّرُ قُرْبُهُ فِي الْيَوْمِ مَا لَا
 فَكَمْ أَفْضَى بِنَظَرَتِهِ لَعْمٍ وَكَمْ قَدْ جَالَ فِي الْمَلَكُوتِ سِرًّا
 وَكَمْ شَرَحَتْ بِكَلِمَتِهِ صُدُورُ وَكَمْ دَارَتْ كُفُوسُهُ عَلَيْنَا
 وَدُقْنَا ثَمَّ دُقْنَا ثَمَّ دُقْنَا هُنَالِكَ حَرَّكَ الْقَوَالِبَ وَثَرًّا
 أَلَمْ تَرِنِي حَسَسْتُ إِلَيْكَ عَيْسًا عِطَاشًا عَهْدُهَا بِالْمَاءِ شَهْرُ
 إِذَا مَا اسْتَقْبَلْتُ فِي الْبَدْوِ آلًا وَكَانَتْ فِي أَوَائِلِهِنَّ شَجْعَى
 صَبُورٌ لَا تَشْكَى مِنْ حَشَاشٍ وَتَتْبَعُهَا سَوَاهِمُ مُرْقَلَاتٍ

نَحْرُ لَهُ الْأَكَابِرُ سَاجِدِينَ بِشَيْخِ الْوَقْتِ بَدْرًا قَدْ غَنِينَا
 أُتِيحَ نَبَاتُهُ لِلْسَّائِمِينَ فَسَيَبُ الشَّيْخِ يَكْفِي الْوَارِدِينَ¹
 فَعَيْنُ الشَّيْخِ تَرَعَى الظَّالِمِينَ لَتَفْهَمَ عِنْدَهُ أُمُ الْبَنِينَا²
 عَلَيْهِ حَدِيثٌ خَيْرُ الْمُرْسَلِينَ وَزَادَ عَلَى فُتُونِهِمْ فُتُونَا
 فَكَانَتْ فَوْقَ وَالْجُوزَاءِ دُونَا يُؤَثِّرُهُ التَّحَنُّتُ فِي سِنِينَا
 فَأَصْبَحَ فِي عِدَادِ الْعَارِفِينَ فَيَصْعَدُ رُوحُهُ وَالْجِسْمُ فِينَا
 وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَحْسِبُهُ مُجُونَا فَتَهْنَأُ كَالْمُلُوكِ الْأَعْظَمِينَ
 فَمَا فِي الشَّرَابِ وَلَا رَوِينَا وَأَنْشَدَ مُسْمِعًا لِلْحَاضِرِينَ
 رَوَاسِمَ يَدِ الْجَنِّ وَيَعْتَدِينَا وَشَهْرُ فَاسْتَتَمَّ الْأَرْبَعِينَ
 بَعِيدًا خِلْنَهُ مَاءً مَعِينَا³ لَوَاهَا السَّيْرُ هَلْ أَبْصَرْتَ نُونًا⁴
 وَلَا تَشْكُو التَّلَالَ وَلَا الْحُزُونَا تَبْعَلُ تَارَةً وَتَحُبُّ حِينَا⁵

1 سيحان وجيحان: سيحان ببلخ، وجيحان: دجلة.

2 لعله يقصد بأم البنين المسألة الفرضية المشهورة بأم الفروخ لكثرة العول فيها.

3 الآل: السراب.

4 لواها: عطفها حتى صارت من الهزال بصورة حرف النون.

5 التبغل: نوع من السير.

وَتَحْبِطُ فِي دُجَى لَيْلٍ بَهِيمٍ
 وَلَوْلَا وَجْدُهَا لَشَكَّتْ سُرَاهَا
 وَلَكِنْ قَدْ أَلْفَنَ مِنَ التَّشَكِّي
 إِذَا سَمِعَتْ بِذِكْرِكَ طِرْنَ شَوْقًا
 وَإِنْ قَالَ الْمُحْتَضِحُ: أُوَيْ تَرَامَتْ
 فَلَوْلَا الْحِمْلُ يُثْقِلُهَا لَطَارَتْ
 فَلَا تَرْجِعْ بِخَائِبَةٍ رِكَابِي
 وَلَا نَكُ أَحْسَرَ الْأَقْوَامِ حَظًّا
 وَلَا أَتْرَكَ وَرَاءَ الْقَوْمِ فَرْدًا
 وَقَرِّبْ لِي لِحْضَرَتِهِ كِفَاحًا
 وَعَرِّجْ بِي إِلَى حَيْثُ الْمِصْلَى
 وَأُودِعْ لِي مِنَ الْأَسْرَارِ مِمَّا
 وَسَلَّكَ لِي طَرِيقَ الْقَوْمِ أَوْ طِرْ
 وَمِمَّا أَرْجِي فَهَمُّ دَكِيٍّ
 فَإِنْ أَدْنَيْتَنِي فِيهَا وَنَعِمْتَ
 وَإِنِّي قَدْ عَهْدْتُكَ مِنْ رِجَالٍ
 وَحَاشَا أَنْ يَخِيبَ رَجَاءُ مِثْلِي
 وَصَلَّى اللَّهُ أَكْمَلَهَا وَأَعْلَى
 مَعَ الْأَلِ الْكَرَامِ وَتَابِعِيهِمْ
 فَلَوْلَا نُورُ وَجْهِكَ مَا هُدِينَا
 إِلَيْنَا أَوْ شَكَّتْ جَذَبُ الْبُرِينَا
 كَمَا هُوَ سُنَّةُ الْمَتَعَشِّقِينَ
 وَإِنْ فَقَدْتُهُ رَجَعْتَ الْحَيْنَا
 بِأَنْفُسِهَا كَأَنَّ بِهَا جُنُونًا¹
 إِلَى جَوِّ السَّمَاءِ بِالرَّاكِبِينَ
 فَمَا لِسَوَى فَنَائِكُمْ حُدِينَا
 لَدَيْكَ وَإِنْ أَسَانَا أَوْ نَسِينَا
 إِذَا هَبُّوا لِطَيْبَةِ سَائِرِينَا
 فَأَشْهَدَهُ أَوْ اعْرِفَهُ يَقِينَا
 فَأَزْكَعَ فِي الْفَرِيقِ الرَّاعِينَا
 أَمِنْتُ عَلَيْهِ مَكْتُومًا مَصُونَا
 بِقَلْبِي فَوْقَ أَرْضِ السَّالِكِينَا
 وَتَعَبِيرُ يَسُومِ الصَّعْبِ لِينَا
 وَإِنْ تُبْعِدُ فَمَنْ لِلْمُبْعَدِينَا
 نِدَاهُمْ مُحْسِبٌ لِلْسَّائِلِينَا
 نَدَى أَمْثَالِكَ الْمُتَقَضِّلِينَا
 عَلَى الْمُخْتَارِ أَكْمَلَ الْأَكْمَلِينَا
 بِإِحْسَانٍ وَتَابِعِيِ التَّابِعِينَا

1 أوي: كلمة تقال للبعير لزيادة السير، وليست عربية.

6. ذُو الْكَفْلِ مُحَمَّدُ السُّوَكِيُّ

الشيخ ذو الكفل ابن الشيخ مفلح بن مُحمَّد، ولد عام 1322هـ، وأخذ العلوم الإسلامية والعربية عن أبيه، وهو من كبار العلماء، وعن غيره من علماء البلد، وكان من الفصحاء المتمكنين من نواصي البلاغة نظماً، ونثراً، له رسائل منها رسالة في وجوب الهجرة من البلاد التي يحكم عليها الكفار وإن كان أهلها مسلمين، وديوان شعر متنوع الأغراض اعتنى به تلميذه الشيخ أمد بن نوح، وقدم له بترجمة حافلة تحدث فيها عن حياة الشيخ، وعلق على القصائد، وذكر مناسباتها، من تلامذته ابنا أختيه الشيخان أمد بن نوح والمحمود بن مُحمَّد الأغر، توفي عام 1381هـ، ودفن في جري قرية قرب أيورو في النيجر¹.

وشعره . مع قلته . من أبدع الشعر العربي لدى السوكيين، فرغم إعجابه بالصنعة، والبديع فهو يأتي بمعان راقية، ونزعت الصوفية حاضرة على سطح نصوصه، وذلك مما أكسبها عمقا داخل الزخرفة اللفظية الكثيفة، ومواضيع شعره متنوعة من الإخوانيات، والثناء إلى التأمل:

وله هذه في رثاء الشيخ الفقيه مُحمَّد باي بن سيدي اعرم²:

{الطويل}

وَذَا الْكَوْنُ مُظْلَمٌ إِنْ اخْتَجَبَ الْبَدْرُ	أَعْيَنِي مَا هَذَا التَّسَاهُلُ وَالْعَدْرُ
فَمَا لَكُمَا عِنْدِي مَدَى عُمْرِي الْعُدْرُ	وَالَا تُعِينَانِي عَلَى الْوَجْدِ وَالْأَسَى
مُتَرَجِّمَتَيْنِ بِالَّذِي ضَمَّهُ الصَّدْرُ	أَلَا تَطْفَانِ النَّارَ بَيْنَ جَوَانِحِي
عُلُوءًا، وَلَكِنْ فِي الْبَرَى ذَاكُمَا الْقَبْرُ	أَلَا تَبْكِيَانِ مُلْحَدًا دُونَهُ السَّمَاءُ
فَإِنَّكَ آمِنٌ مِنْ أَنْ يَسْطُو الصَّبْرُ	وَيَا طَارِقَ الْأَشْجَانِ مَا لَكَ تَخْتَفِي
أَرَاكَ حَلِيَّ الْبَالِ مَا غَمَّكَ الْأَمْرُ	وَيَا سَاجِعَ الْأَيْكَاتِ فُجِّعْتَ إِنِّي

¹ انظر: ترغيب المشوق، زين الدين محمد الصالح، ص 90

² المرجع السابق، ص 117

كَأَنَّكَ لَمْ يَبْلُغْكَ نَعْيُ عَرِيفِنَا
فَمَا لِحَيْنِ الْعَيْنِ إِثْرٌ وَفَاتِهِ
وَمَا لِنِنَاتِ الْفِكْرِ مِنْ بَعْدِ نَعْيِهِ
أَيَا بِنْتَ فِكْرِي هَاكَ مِنِّي نَصِيحَةٌ
عَلَيْكَ بَبْثِ الْبَثِ مَا دُمْتَ حَيَّةً
فَأَقْتُلْ حُزْنَ مَا يَكُونُ مُكْتَمًا
فَقُومِي وَنُوحِي وَاسْتَفِيقِي وَأَنْشِدِي
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرُدُّهُ لِنِظَامِهِ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَخْتَارُ لِلدِّينِ نَاصِحًا
أَنْسَلُوهُ أَوْ نَلْهُو وَتَاسَى عِشَاءُنَا
هِلَالٌ تَلَالًا مُدَّةٌ مُتَزَايِدًا
لَقَدْ زَانَ فِي أَيَّامِهِ أَهْلَ عَصْرِهِ
رَبِّعُهُمْ فِي كُلِّ حِينٍ وَغَيْثُهُمْ
وَأَفْعَالُهُ مَا إِنَّ هَآ مِنْ مُضَارِعٍ
وَمَا اعْتَلَّ فِعْلُهُ بِوَإِ الْهَوَى وَلَا
هُوَ الْبُرُّ لَكِنْ مَا يَشْكُ عُفَاؤُهُ
وَيُنْبِتُ فِي أَرْضِ الْقُلُوبِ إِنَابَةً
أَحْبَبْنَا مَهْلًا فَلَا تَهْلِكُوا أَسَى
وَأَنْ يَنْكَسِرَ مِنْ فَقْدِ "بَاي" جَنَاحُنَا
عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُورِثَ النَّفْعَ نَائِبًا
وَيَجْعَلَهُ ظِلًّا ظَلِيلًا لِحَلْقِهِ
وَيُنْبِعَهُ كَالظِّلِّ لِلشَّخْصِ سِيرَةً

فَلَيْتَكَ لَا يَحْوِيكَ مِنْ بَعْدِ ذَا وَكُرٍ
مَقَرُّ بِنَا إِلَّا الْمَحَامِلُ وَالنَّحْرُ
حِجَابٌ وَلَنْ يُكِنَّهَا أَبَدًا خِذْرُ
أَبُوكَ عَلِيلٌ فِي عِيَادَتِهِ الْأَجْرُ
جَهَارًا وَلَا تَخْفَى وَإِنْ نَامَتِ الْغَيْرُ
وَيَسْرِي مِنَ الْأَحْشَاءِ أَوْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ
أَلَا إِنَّ شَمْلَ الْمَجْدِ شَتَّتَهُ الدَّهْرُ
فَيَدْخُلُ تَحْتَ قَهْرِ السُّودِ وَالْحُمْرِ
وَنَاصِرُهُ يَأْتِيهِ مِنْ رَبِّهِ النَّصْرُ
عَلَى فَقْدِهِ، وَالصُّبْحُ وَالظُّهْرُ وَالْعَصْرُ
وَحِينَ تَمَامِ الضُّوءِ تَمَّ لَهُ الْعُمْرُ
كَمَا زَانَ فِي أَيَّامِهِ أَشْجَارُهُ النَّوْرُ
فَأَيَّامُهُ عُرٌّ وَأَعْوَامُهُ زُهْرُ
قَسِيمَانِ: مَاضٍ يَعْمَلُ الرَّفْعَ وَالْأَمْرُ
بِنَاءِ الرِّيَا، أَلَيْ وَمَصْدَرُهُ الْبُرُّ
إِذَا مَا رَمَى بِدُرِّهِ أَنَّه الْبَحْرُ
فَتَحْيَى كَمَا يُحْيِي مُوَاتِ السَّفَا الْقَطْرُ
فَإِنْ غَرَبَتْ شَمْسٌ فَقَدْ طَلَعَ الْبَدْرُ
فَبِالسَّيِّدِ الْمُخْتَارِ يَنْجِبُ الْكَسْرُ
لَهُ بَعْدَ فَقْدِ الْعُمْدَةِ اسْتَنْدَ الْأَمْرُ
وَبَحْرًا عَمِيقًا يَسْتَمِدُّ بِهِ الْعُدْرُ
بِهَا طَاوَعِ الْمُسْتَحْلَفَ الْعَبْدُ وَالْحُرُّ

وَمُدَّ بِهَا أَطْنَابَ بَيْتِ هِدَايَةِ بِهِ أَمِنْ الْغِيِّ الْمُقِيمُونَ وَالسَّفَرُ
وَأَشْبَعَ بَاءَ الْبِرِّ حَتَّى تَسَهَّلَتْ لَهُ يَاءُ يَمْنٍ وَالْأَسَامِي هَا سِرُّ
سَقَى اللَّهُ رَوْضَةَ بَعَادِيَةِ الرِّضَا وَسَارِيَةِ الْإِرْضَا لِكَلْتَيْهِمَا دَرُّ
وَلَقَاهُ رَبُّهُ سُرُورًا وَنُصْرَةً وَسِتْرًا جَمِيلًا لَا يُدْنِسُهُ الْوِزْرُ

هذه القصيدة البديعة حقا ضمنها التحية لعمه الشيخ محمد حب بن محمد أحمد، وتعيّظ فيها على أحد أقرانه، وكان قد قال له: أنت صرت مفحما.¹

{الكامل}

مَا ذَا الْهَيْأُ امْضُوا بِنَا قُدَّامُ هَذَا اللَّوَى وَعَلَى الْحِمَى إِفْدَامُ
عَجَلَ الْهَوَى قَبْلَ التَّفَرُّقِ فَانْفِرُوا إِنْ نَحْنُ إِلَّا لِلْهَوَى حُدَّامُ
لَوْ كَانَ مَا وَعَدْتَ عُيَيْنُهُ صَبَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ انْزَاحَتْ الْأَوْهَامُ
أَوْمَتْ إِلَيَّ بِحَاجِبٍ أَنْ هَهُنَا رُقْبَا، وَدُوْنِي حَاجِبٌ نَمَّامُ²
فَاسْتَبْطَأْتُ فَهَمِي فَقُلْتُ لَهَا: اعْذِرِي صَحَّ الْهَوَى فَاعْتَلَّتِ الْأَفْهَامُ⁽³⁾
لَمَّا حَطَوْتُ بُعِيدَ ذَلِكَ أَرْبَعًا وَاسْتَيْقَنْتُ أَنْ لَيْسَ لِي إِحْجَامُ
رَفَعْتُ بَنَانًا مَا عَدَا إِبْهَامَهَا أَيْكُونُ بَعْدَ بَيَانِهَا إِهْآمُ⁴
قَالَتْ: مَكَانَكَ، أَنْ حِينَ رَحِيلِنَا فَتَشَاجِرَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ⁵
يَا لِلرِّفَاقِ لَذَا الْفِرَاقِ فَإِنْ يَطْلُنْ يَا وَيْحَنَا هَجَرَ الْجُفُونِ مَنَامُ
فَبِنَا تَأَسَّوْا تَسْعُدُوا لَا تَسْأَمُوا بَعْدَ الْعَنَا نَالَ الْمُنَى الْأَقْوَامُ
مَا الرَّأْيُ إِلَّا أَنْ تُزَمَّ رِكَابُكُمْ وَيُذَمَّ بَعْدَ أَوْلَيْكَ اللَّوَامُ
فَرَسِيْمُهَا فِي تِي الرُّسُومِ شَجَاهُمُ وَنَفِيرُنَا لِنُفُورِهِمْ إِيْتَامُ

¹ المرجع السابق، ص 98، وتوجد القصيدة في أوراق متفرقة مع الباحث.

² الحاجب الأول حاجب العين، والثاني بمعنى الحارس، وفيه جناس تام.

³ فيه طباق بين صح واعتلت، ويمكن أن يجعل مقابلة باعتبار أن بين الهوى والفهم نوع تقابل؛ لأن من شأن من استحكم الهوى في مجاميع قلبه أن يعزب عنه فهمه، فبين الهوى الراسخ وبين الفهم نوع تضاد في عرف العشاق.

⁴ بين الإبهام والإبهام جناس تام.

⁵ فيه استعارة تبعية، شبه مقارنة الأرواح أن تفرق الأجسام وجلا من الفراق بمقاربة المتشاجرين التزاييل، فجرت الاستعارة أولا في المصدر ثم سرت إلى فعله.

وَشَرَابٌ رَكِي مِنْ مَعِينِ دُمُوعِنَا
 فَسَيِّلْنَا وَسَيِّلَكُمْ سُحْقًا لَكُمْ
 أَمَّا اسْمُهُ فَلَكُمْ، وَأَمَّا فِعْلُهُ
 أَغْرَضْنَا مَا وَافَقَتْ أَغْرَاضَكُمْ
 حَيْثُ الْأَحِبَّةُ حَيَّمُوا بِمَعَاهِدِ
 لَا يَشْمَتِ اللَّاحِي بِنَا فَعِيْنَةُ
 لَا تَذْكُرُوا لَيْلَى وَفَيْسًا عَهْدَنَا
 فَلَتِلْكُمْ أُمِّمٌ خَلَتْ دَوْلٌ لَهُمْ
 لَا تُنْكِرُوا شَرَفِي عَلَى بُلْعَائِهِمْ
 وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ وَإِنِّي
 لِي رَوْنُقٌ أَكْسُوهُ الْفَاطِي، وَعَنْ
 وَلَفْظُنَا دَانِي الْقُطُوفِ وَتَحْتَهُ
 مَا إِنْ جَهَلْتُمْ قَبْلَ كَرَّتِكُمْ ذِهِ
 دَنْسْتُمْ عَرَضِي وَفُلْتُمْ: مُفْحَمٌ
 مَا بِي جُمُودٌ قَرِيحَةٍ لَكِنْ إِذَا
 مَنَعْتَ مُعَاصِرَتِي مُعَاطَرَتِي، لَكُمْ
 وَبَيْتِي هَذِي لـ "حَبَّ" تَمِيمَةٌ
 مَا عَابَهَا الْيَتَمُ الَّذِي وَصِفَتْ بِهِ
 رَقَّتْ لَهُ أَدَبًا تُقْبَلُ نَحْرُهُ
 فَلَدَّتْهُ دُرَرِي عَلَى عِلْمِي بِأَنْ
 أَهْدَيْتُهَا مُسْتَحْقِرًا، لَكِنَّهُ
 أَرْفُو بِهَا مَا حَرَقْتَهُ يَدُ النَّوَى
 حَيَّيْتُهُ كَيْمَا يَرُدُّ تَكْرُمًا
 فَإِذَا أَجَابَ انْجَابَ غَيْمٌ صَبَابَةٌ
 وَدَمَا الْمَدَامِعِ إِنْ دَمِينٌ مُدَامٌ
 أَوْلَمْ تَرَوْا أَنَّ الْهَوَى أَقْسَامٌ
 فَلَنَا، وَحَرْفٌ مَنْ عَلَيْهِ لِقَامٌ¹
 إِنْ تُنْجِدُوا فَلَعَيْسَنَا إِتْهَامٌ
 مَا طَابَ لِي إِلَّا بِهِنَّ مُقَامٌ
 بُنِيَتْ لَهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ خِيَامٌ
 وَكُثِيرَ عَزَّةٍ تَكْثُرُ الْأَسْقَامُ
 كَمْ دَوْلَةٍ لَعِبَتْ بِهَا الْأَيَّامُ
 عَلَتْ الصُّدُورُ وَفَوْقَهُنَّ الْهَامُ
 بِيَدِي لَوَاؤُهُمْ فَصِرْتُ أَمَامُ
 أَلْفَاطِهِمْ لَا يَمْشَعُرُ ظَلَامُ
 مَعْنَى تَتِيهِ بِدَوَقِهِ الْأَخْلَامُ
 أَيْ هُمَامٌ بِالْعَلَى هُمَامُ
 كَلَّا فَفِكْرِي لَا أَرَاهُ يَنَامُ
 كَثُرَ الْكِلَامُ يَقِلُّ بَعْدُ كَلَامُ
 بِالْدَّرِ جُدْتُ فَيُكْفَرُ الْإِنْعَامُ
 مَهْمَى بَدَتْ بُهَّتْ بِهَا النُّظَامُ²
 فَأَعَزَّةٌ بِفَنَائِهِ الْإِيْتَامُ
 وَالْدُّرُ إِنْ رَقَّتْ يَرُوقُ نِظَامُ
 يُعْنِي الْبُدُورَ عَنِ الْحُلِيِّ تَمَامُ
 حَسْبُ الْكَرَامِ مِنَ الْمُقِلِّ سَلَامُ
 كَمْ بِالْمِصَالِحِ قَامَتْ الْأَقْلَامُ
 إِنَّ التَّحِيَّةَ رَدُّهَا إِكْرَامُ
 عَنَّا وَتُوصَلُ بَيْنَنَا الْأَرْحَامُ

¹ قوله: وحرف من عليه لئام، هو كقول العرب: فلان على حرف من أمره - أي ناحية إذا رأى شئنا لا يُعجبه عدل غنه، المخصص (317 / 3)، أي من كانوا في الهوى كذلك هم لئام، وذكره الاسم والفعل والحرف التي هي أقسام الكلمة عند النحاة مقصودا بها معانيها اللغوية يسمى عند بعض البديعيين بالتوجيه، وهو عبارة عن أن يؤلف المتكلم مفردات بعض كلامه أو جملة، ويوجهها إلى أسماء متلائمة من أسماء الأعلام، أو قواعد العلوم، أو غيرها توجيها مطابقا لمعنى اللفظ الثاني من غير اشتراك حقيقي.

² "حب" هو أحد المشايخ من أقارب الشيخ الشاعر وزملائه.

وَإِذَا تَصَامَمَ تُكْرِثُ أَسْمَاؤُنَا وَمَنْ التَّنَكُّرُ تَأْنَفُ الْأَعْلَامُ
 إِنِّي ابْنُهُ وَيَضُمُّنِي مِنْهُ الْقُورَا دُ كَمَا تَضُمُّ ثَمَارَهَا الْأَكْمَامُ
 بِجَوَارِ رَبِّي حَيَّةُ كَلَّا فَهُمْ أَهْلِي، وَهَلْ لِي ذُونَهُمْ أَعْمَامُ
 وَإِلَيْهِمْ أَهْدَى إِلَهِ هِدَايَةَ وَبِهِمْ يَكُونُ لَهْدِينَا إِبْرَامُ
 وَالشَّيْخُ -قُدَّسَ سِرُّهُ- لِإِلَهِهِ جَارٌ، وَجَارُ اللَّهِ لَيْسَ يُضَامُ
 حَبْرِيلُ حَيْعَلٌ لِلصَّلَاةِ وَصَفْنَا آلَ النَّبِيِّ وَرَأَهُ وَهُوَ إِمَامُ
 وَيَمِينُنَا صَحْبٌ وَزَوْجٌ خَلَفْنَا وَخَتَامُ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ سَلَامُ

وهذه في التشوق إلى الحرمين الشريفين¹:

{المتقارب}

وَشَيْكَأً فُبَيْلَ أَقُولُ الْهَلَالَ عَلَى فِكْرَتِي جُزْتُ تَيْهًا إِلَّا⁽²⁾
 سَأُنْضِي الْمَطِيَّ وَأَمْضِي إِلَى إِلَى حَيْثُ نُورُ الْهَدَى يَتَلَالُ
 إِلَى حَيْثُ نَرْضَى وَنَرْضِي بِمَا تَكُنُّ الْعُيُونُ وَإِنْ سِيلَ سَالَ
 وَإِنْ نُسْتَرِدُّ فَلَنَا مُهَجٌ سِوَى أَنَّهَا مِنْ ذَوَاتِ اعْتِلَالُ
 تَحَوَّلَ حَالِي وَلَمَّا يَطْلُ فِطَامِي فَيَا لَيْتَ حَالِي حَالَ
 وَيَا لَيْتَ شِعْرَ ذَوِي الْعَشْقِ مَا لَهُ أَمْرُهُمْ بَعْدَ بَيْنِكَ آلُ
 لَيْتَ طَالَ عَهْدِي بِمَعْنَاهُمْ فَعَهْدُ التَّذَكُّرِ لَمْ يَكُ طَالَ
 أَمَّا لِضَمِيرِي بِفِعْلِ الْجَمِيلِ بُعِيدَ انْفِصَالِي جَدِيدُ اتِّصَالِ
 وَمَا قِيلَ لَا تَتَوَسَّلْ بِهِ تُنَافِقُ عِنْدِي أَسْوَا الْمَقَالِ
 فَأَعْرَضْتُ عَنْهُ وَعَارَضْتُهُ أَصْغِي لِقَالٍ إِذَا فَيْكَ قَالَ
 فَيَا حَمَّطَايَا وَيَا طَهَ يَا حَبِيبَ إِلَهِ أَمَّا لِي اتِّصَالُ³
 وَيَا مَنْ تَسَامَى إِلَى حَيْثُ لَا فَكَمْ مِنْ مَقَامٍ بَعِيدِ الْمَنَالِ
 بِمَا كُنْتُ كُنْتُ وَنِلْتُ أَنَلِ وَدُودَكَ هَذَا حَمِيدِ الْخِصَالِ

¹ المرجع السابق، ص 109

⁽²⁾ تيهًا: مقصور ضرورة من "تيه" الأرض التي لا أحد فيها، إلال: جبل بمكة

³ حمطايًا: من أسماء النبي محمد عليه السلام

لِئِنْ مَالَ قَلْبُ السَّوَى لِلْسَّوَى فَقَلْبِي لِحَضْرَةِ أَحْمَدَ مَالٌ
 دَنَا فَتَدَلَّى وَمَا زَاغَ عَنْ مَشَاهِدِهِ مَا رَأَى مِنْ مِثَالٍ
 تَنَاءَى فَأَعْرَضَ إِذْ عَرَضَتْ وَلَمْ يُلْقَ بِالْأَ إِلَيْهِ الْجِبَالُ
 جُبِلْتُ عَلَى حُبِّهِ، وَتَرَى جِبَالُ تَزُولُ وَمَا الطَّبَعُ زَالٌ
 وَإِنْ كَانَ مَا لَهُمْ عَرَضاً فَمَدَحِي لِيَّاسِينَ أَنْفُسُ مَالٌ
 إِذَا جَالَ فِكْرِي يَجُودُ بِمَا أَتَيْهِ بِهِ فِي مَجَالِ الرَّجَالِ
 كَمَا لَا انْفِكَكَ لِذِكْرِكَ عَنْ ضَمِيرِي أَنْلِي كَمَالَ الْكَمَالِ
 جَلَا عَنْ جَنَانِي دِيَاجِي مَا جَنَيْتُ بَوَارِقُ نُورِ الْجَلَالِ
 فَلَمَّا تَنَوَّرْتُ نُورَكَ فِي مَقَامِ جَلَالِكَ فَاجَا الْجَمَالِ
 كَلَّا عَيْنَ عَيْنُ مَنْ أَعَشَى الشَّقَا عَنِ إِدْرَاكِ ذَاكَ الْبَهَا بِالْكَالِ
 أَذْلاً بَرِيَّةً بَارِيكَ مَنْ يُدَادُ عَنِ الْحَوْضِ أَهْنَا الرُّلَالِ

وهذه القصيدة رثى بها الشيخ حماد بن محمد، وشدد فيها على ضرورة ابنه الشيخ الخضر خليفة عنه¹:

{البسيط}.

يَا رُوحُ لَا تَزْهَقِي وَجْداً إِلَى حِينٍ مِنْ حَضْرَةِ ضَمَّهَا رَوْضُ الرِّيَّاحِينَ²
 فَنِلْكَ شَمْسُ الضُّحَى يَجْرِي بِهَا كَرَمٌ لِمُسْتَقَرِّهَا مَثْوًى لِيَّاسِينَ
 أَكْرَمَ بِهَا رَوْضَةً، أَكْرَمَ بِجِيرَتِهِ فِيهَا يُبَوِّؤُهُمْ فَيْحُ الْبَسَاتِينَ
 هَوَاتِفُ الْحَقِّ نَادَتْهُ بِحَيٍّ عَلَى أَهْنَى الرِّضَاءِ³ وَأَجْرٍ غَيْرِ مَمْنُونٍ
 كَذَلِكَ الذَّهَبُ الْإِبْرِيْزُ يُدْفَنُ فِي خِرَانَةِ الْمَلِكِ⁴ تَشْرِيفاً لِمَدْفُونٍ

¹ من أوراق متفرقة لدى الباحث، ومن المرجع السابق أيضاً، ص 93

² اتضمن المطلع براعة الاستهلال، حيث نهى الروح عن الزهاق وجدا على هذه الزهرة التي آوت إلى الرياض، وفي هذا تلميح إلى أن الموضوع رثاء شخص ترجى له الرحمة، والثواء في رياض الجنة.

³ الرضا مقصورٌ مصدرٌ محضٌ، والاسم الرضاء ممدود،

⁴ مَلِكٌ، يسكن الميم مخففتٌ من مَلِكٍ، كحفذ وفحذ،

لَا تَعَجُّبُوا أَنَّ عَلَا فِي اللَّحْدِ جَوْهَرُهُ
 يَسْعَى لِمَرْضَاتِنَا مُذْ كَانَ كَافِلَنَا
 وَاقٍ فَوْقَ حُظُوظِنَا، وَغَادَرَنَا
 سِفْرُ السَّعَادَةِ كَمْ فِيهِ نُطَالِعُ مَا
 إِنْ غَابَ عَيْنًا فَعَيْنٌ مِنْهُ نَاطِرَةٌ
 مَا كَانَ فِي الْكَوْنِ مِنْ دَارٍ يَحِلُّ بِهَا
 مَاذَا أُعِدِّدُ مِنْ شَيْءٍ شَمَائِلِهِ
 أَزْيَاهُ أَوَّلُ مَا أَشْدُو بِسَاجِعَةٍ
 وَثَانِيًا أَصْدَعُ الْأَذَانَ مُنْتَدِيًا
 أَنْ أَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ عَلَى مُبَايَعَةٍ⁵
 فَنِلْكُمْ الْبَيْعَةَ الْأُولَى فَرِيضَتَنَا
 كَبَيْعَةِ الْمُصْطَفَى وَبَيْعَةِ الْخُلَفَا
 تَكْفِي إِشَارَتُهُ إِلَى خِلَافَتِهِ
 إِنْ تُمَسَّ غَيْرَ كَلَامٍ فِي اصْطِلَاحِكُمْ
 أَمَا تَوْفُقُكُمْ فَلَا يَسُوعُ لَنَا
 قَامَتْ بِذَا عُصْبَةُ حَسْبِي قَدَى يَهْمُ
 وَإِنِّي مِنْهُمْ فَإِنْ تَقَاصَرَ عَنْ
 فَمَنْ يُذَبِّذُهَا ذَا ذَابَتْ حَوَاطِرُهُ
 فَلَمْ تَرَوْا جَوْهَرًا يَغْلُو كَمَكُونٍ¹
 وَالْآنَ آثَرَ مَرْضِيًّا رَضَى الْعَيْنِ
 بُدُورَ تِمٍّ، وَقَبْلَ كَالْعَرَاجِينِ²
 فِيهِ الْكَفَايَةُ عَنْ نَشْرِ الدَّوَابِ
 لَنَا، وَأُخْرَى تُرَاعِي أَهْلَ تَمَكِينِ
 إِلَّا وَأَمْسَتْ مَسَاكِينَ الْمَسَاكِينِ³
 فَلَنْ تُكْتَ⁴ وَلَنْ تُخْصَى بِتَدْوِينِ
 أَبْرِي هَا قَلَمِي وَالْحَزْنُ يَبْرِينِي
 وَنَادِبًا نَادِيًا كَدِينِهِمْ دِينِي
 كَيَّ جَمَعُوا بَيْنَ مَفْرُوضٍ وَمَسْنُونٍ
 وَهَذِهِ سُنَّةٌ تَتِمُّهُ الدِّينِ
 تَلْكُمْ وَتِي فِي قِيَاسَاتِ الْقَوَانِينِ
 فَلِلْإِشَارَةِ مِنْهُ حُكْمٌ تَعِينِ
 فَكَمْ كَلَامٍ يَدُلُّنَا بِتَضْمِينِ
 لَيْسَ الْمُحَقِّقُ فِي حُكْمٍ كَمَطْنُونِ
 مُجَدِّعِينَ بِهِ بَعْضَ الْعَرَانِينِ
 حُطُوتِهِمْ هَمِّي فَالطِّيبُ كَالطِّينِ
 وَيَشْتَغِلُ مُدَّةً بِاللَّغْوِ فِي الدِّينِ

1 لا تعجبوا: تشبيهه ضمنى مثل به حال الشيخ على نفاسة جوهه وطيب طينته، وهو في اللحد، بالجوهه الذي يكون انفس ما يرى إذا كان مكتونا.

2 العراجين جمع عرجون: أصل العرجن وهو أصفر عريض، شبه به الهلال عند المحاق في رقبته واغواجه، شبه تلامذة الشيخ ومريديه قبل ظهوره بالأهلة التي تبدو كالعراجين، وشبههم بعد الانقاع بالبدور.

3 مساكن جمع مسكن مكان السكن، والمساكين جمع مسكين وبين مساكن ومساكين جناس ناقص، من نوع التجنيس المذيل، وهو أن يختلفا بزيادة حرف مثل: مالي كمالي وجدي جهدي وكاس كاسب، يعني أنه حيثما حل انضمت إليه المساكن؛ لدرور كرمه عليهم.

4 لن تكت: أي لا تحصي، كَتَّ القومُ {يَكْتُهُمُ} {كُتُّا}: عَدَّهُمْ وَأَخْصَاهُمْ، وأكثر ما يستعملونه في النقي، يُقال أتاناً في جيشٍ ما {يُكْتَ}، أي ما يُعْلَمُ عَدُّهُمْ وَلَا يُحْصَى.

5 على مبايعة: من هذا البيت بدأ يتحدث عن أهميةبيعة الشيخ الخضر ابن الشيخ المرثي خليفة عن أبيه سألًا سيف اللانمة على من تردد في ذلك.

وَأَنِّي ذَاهِبٌ عَلَى مَطِيَّتِهِ
وَقَاصِدٌ مُتَمَسِّكًا بِذَيْلِهِمْ
يَا كَعْبَةُ كَانَ لِلْأَرْوَاحِ مُزْدَحَمٌ
وَقَفْتُ عَلَيْكَ نُفُوسُنَا وَنَاطِرُهُ
سَرْتُ بِهِ هِمَمٌ لِمُنْتَهَى شِيَمِ
مَنْ الرَّجَاءِ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينَ
مَعْنَاهُمْ صَائِحًا وَالصِّدْقُ يَحْدُونِ
فِيهَا وَتَعَكَّفُ مَا بَيْنَ الْأَسَاطِينِ
مُدَبِّرًا أَمْرُهُ خَلِيفَةُ الْحَيْنِ
فَكَانَ مِنْكَ كَقَابِ الْقَوْسِ أَوْ دُونِ

بَدَّرُ وَنَجَّمَ مَضَى هَذَا وَخَلَّفَ ذَا
يَا كَوْكَبًا مَا تَوَلَّى اللَّهُ طَلْعَتَهُ
بَعْضُ الْعَقَائِدِ حَرَّكَتِ قَوَاعِدَهَا
إِنْ لَمْ تُزَيِّنْ بِكُمْ سَمَاءُ دَوْلَتِكُمْ
لَا خَالَفَتْكَ لِيَالٍ أَنْتَ سَيِّدَهَا
فَمَنْ تُخَاطِبُ ضَمِيرُهُ سَيُبْرِزُهُ
أَفْعَالُكَ ارْتَبَتْ بِصِدْقِهَا فَمَضَتْ
فَفِيكَ رَغْبَتُهَا فَهَلْ لِهَمَّتِنَا
فَاعْزَلْ وَأَمْرٌ تُقَى عَلَى رَعِيَّتِكُمْ
عَلَى سَرِيرَتِنَا أَلْقِ السُّتُورَ وَقُلْ
فَهَاؤُمْ اسْتَمِعُوا غِنَاءَ بِمَدْحَتِكُمْ
خَاصَتْ مَنَاقِبُكُمْ بَحْرًا وَمَرْكَبُهَا
فُلُكُ السَّلَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ جَارِيَةٌ
فِي رَدْفِهِ الْأَلْ وَالْأَصْحَابُ مَا فَرِحَتْ
فِي قَوْمِهِ انْظُرْ إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ
إِلَّا لِنَنْجُو مِنْ حَيْنٍ مَدَى حَيْنِ
فَاجْزِمِ أَوَامِرَهَا تُبْنَى بِتَسْكِينِ
فَمَنْ لِهْدِي رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ
وَحَالَفَتْكَ عَلَى أَعْدَائِكَ الدُّونِ
وَإِنْ تَسَرَّرَ مِنْكَ أَمْرٌ تَكْوِينِ
وَاعْدَوْذَبْتَ مِنْكَ أَقْوَالُ بَتْلِينِ
بِكَ انْتِقَالَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى دِينِ
فَفِي يَمِينِكُمْ عَزْلُ السَّلَاطِينِ
لِتَوْبَتِي اتَّصِلِي وَخَوْبَتِي بَيْنِي
فَفِي مَعَانِيكُمْ وَاقْتُ بِمَوْزُونِ
فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ حَرْفُ اللَّيْلِ وَالنُّونِ
عَلَى عُبَابِ صَلَاتِهِ يَبَاسِينَ
نَفْسُ الْمُحْيَا بِنَفْحَاتِ الرِّيَاحِينَ

7. سِيدِي مُحَمَّدٌ أُمِيَّةُ الملقب إِنْباكُوا السوكي

هو الشيخ سيد مُحَمَّد بن أُمِيَّة بن الساي المعروف بـ(أُنباكوا) الأنصاري، من قبيلة "كلْ تَكْرُنْكَتْ" - ومن علماء المنطقة المعترف بفتواهم، وقضائهم الشرعي في منطقة آضغاغ، وجوارها، ولم تصلني آثاره العلمية لكن يبدو من شعره مدى تمكنه، وتضلعه في العربية، وعلومها، وقد قتلته مالي رميا بالرصاص بعد ما أوقفوه على قبره هو وجماعة لا تهاهم بمساندة الثوار في الثورة الأولى على النظام المالي في حدود عام 1963م¹.

وشعره يتسم بالجزالة، والقوة، مع قرب المعاني، وقلة التكلف، لم أجد له غير 3 قصائد في الوصف، والمدح.

مدح اللجنة، والتذكير بها²:

{البسيط}

الحَمْدُ لِلَّهِ إِنَّ الحَمْدَ مَلْبُوسِي	عَلَى التَّلبُّسِ بِالسَّرائِ والبُوسِ
الحمدُ لِلَّهِ إِجْلالاً لِعِزَّتِهِ	رَغْماً لَأَنْفِ عَدُوِّ اللَّهِ إِبْلِيسِ
الحمدُ لِلَّهِ كَمْ لِلَّهِ مِنْ صِفَةٍ	عَلَيَاءَ وَاسِمِ جَمِيلِ الذِّكْرِ مَرْغُوسِ ³
يَا قَوْمُ قُومُوا بِحَمْدِ اللَّهِ واجْتَهِدُوا	فِي طَاعَةِ اللَّهِ مِنْ رَأْسِ وَمَرْؤُوسِ
ارْزِعُوا الحُدُودَ وَلَا تَسْتَرْسِلُوا سَفْهاً	فِيما يُبَاعِدُ مِنْ طِيبِ الْفَرادِيسِ
دَارُ الجَلالِ ودَارُ العِزِّ قَدْ مُلِئَتْ	بِالمِسْكِ والزَّعْفَرانِ والطَّواويسِ

¹ انظر: ديوان الصحراء - المدرسة الكتنية، يحيى ولد سيدي احمد، ص 127، ج 1

² المرجع السابق، ص 128.

³ - مرغوس: مبارك ميمون.

لِبَاسُهُنَّ حَرِيرٌ حُسْنُهُ عَجَبٌ وَهِنَّ أَعْجَبُ مِنْ تِلْكَ الْمَلَائِسِ
 اللَّوْنُ كَالذَّهَبِ الْإِبْرِيرُ نُضْرَتُهُ وَالنَّعْرُ يَلْمَعُ مِنْ تِلْكَ الْأَوَانِسِ¹
 تَمْشِي أَهْوَيْ عَلَى مِسْكِ وَغَالِيَةٍ فِي ظِلِّ عَيْشٍ بَعَيْنِ اللَّهِ مَحْرُوسِ
 سَهْلٌ خَلَاتُفُهَا، جَثْلٌ مَفَارِقُهَا جَمٌّ مَرَاثُفُهَا، حُضْرُ الطَّنَافِسِ²
 سُودٌ حَوَاجِبُهَا، بِيضٌ تَرَائِبُهَا لُغْسٌ مَشَارِبُهَا، عَيْنُ الْمَنَاعِسِ³
 حُورٌ نَوَاطِرُهَا، كُحْلٌ مَحَاجِرُهَا سُودٌ ضَفَائِرُهَا، مُلْسُ الْمَلَامِسِ
 مُهُورُهُنَّ قِيَامُ اللَّيْلِ تَلَزُمُهُ وَالْمَاءُ فِي الْبَرْدِ وَالْإِنْفَاقُ لِلْعِيسِ
 وَالِاسْتِكَانَةُ لِلْمَوْلِ تُعْظِمُهُ وَالْبُعْدُ لِلْأَجَنِيَّاتِ الْمَنَاحِسِ
 وَالِاجْتِهَادُ بِنُورِ الْعِلْمِ تَأْخُذُهُ وَلَا تَمَلُّ حُضُورًا فِي الْمَدَارِسِ
 فَاجْهَدْ لَعَلَّكَ أَنْ تَخْطَى بِهَا بَدَلَ الدَّ إِنْعَابِ لِلنَّفْسِ فِي حَرْبِ الْأَبَالِسِ

مدح الأمير الكنتي / الأمير الميمون بن حمادي الكنتي⁴:

وسبب القصيدة أن الميمون كان أول من اكتسب الكتب المطبوعة من مجتمع صحراء أزواد، فكان كلما حصل على كتاب أتمه الوفود من كل فج ليروا ذلك الكتاب، وكان لا يعير تلك الكتب المطبوعة لأحد، فجاء ذات مرة بكتاب مطبوع، فأتاه وفد من كل اسوك ليروه، ومن بينهم شاعرنا، فأعجب بالكتاب وقرر أن يطلبه من الميمون، فنهاه قومه وقالوا له: تعلم أن الميمون لا يعير كتبه المطبوعة لأي أحد، فقال لهم: سأعمل حيلة لا يستطيع معها أن يمنعني الكتاب، فكتب هذه القصيدة:

¹ - جمع أنسة.

² - جثل: شعر جثل: كثير لين، وجم العظم: كثر لحمه.

³ - اللعس: سواد مستحسن في الشفة، والعين: جمع عيناء، وهي الواسعة العين، والمناعيس: العيون.

⁴ القصيدة مع مناسبتها أرسلها لي أحد أقرباء الشيخ على أنها له، ولكن قال لي الشيخ محمد إبراهيم السوكي: إن القصيدة لشيخ آخر اسمه: هَمَنْ بن إبراهيم بن وُدَّاء، من نفس قبيلة الشاعر سيد محمد إِبْنَاكُوا.

{الطويل}

أَمِنْ تَذَكُّرٍ رَنْعٍ عَدَمٍ عَافٍ
 رَنْعٍ بِهِ لِلْعَوَالِي قَبْلُ أَنْدِيَّةٍ
 أَخْلَتْ عَلَيْهِ ثَلَاثٌ مُنْذُ أَرْمَنَةِ
 قَدْ جِئْتُهُ سَائِلًا عَمَّنْ بِهِ انْتَقَلُوا
 بَلَى، أَجَابَ بِأَنْ لَيْلَاكَ قَدْ سَكَنْتَ
 كَمْ مِنْ فَلَا دُونَهَا صَعْبٍ مَسَالِكُهَا
 فَعُلْتُ: هَلْ يَكْشِفُنِي مَا مُنِيتُ بِهِ
 عَوْدٍ ذَلِيلٍ ضَلِيعِ الْجَنْبِ مُكْتَنِزٍ
 أَوْ وَحْدٍ يَعْمَلُهُ قَدْ عُرِيتُ حَقْبًا
 حَتَّى تَوْسَفَ جِسْمُهَا وَلَبَدَّ عَنْ
 رُدَّتْ، كَأَنَّ سَنَامَهَا لِرِفْعَتِهَا
 فِتْلِكَ تُبْلَغُنِي لَيْلَى وَإِنْ بَعْدَتْ
 مُحْتَالَةٌ فِي تَشْيِ الْقَدِّ طَلَعْتُهَا
 لَقَدْ كَسَا وَجْهَهَا الْمَوْلَى إِلَى حَفَرٍ
 يَزْهَوُ بِهَا غُصْنٌ بَانَ تَحْتَ مُنْسَدِلٍ
 حَوْرًا كَأَنَّ انْتِظَامَ ثَغْرِهَا دُرٌّ
 لَمْ يَخْلِكْ فَاهَا فُؤَاخُ الْمِسْكِ رَائِحَةٌ

عَيْنَاكَ تَنْهَمِلَانِ أَيَّ تَذَرَا¹
 فَصَارَ لِلْوَحْشِ بَعْدُ قَاعٌ تَطْوَفُ
 قَطْرٌ وَمُورٌ وَمَرُّ الْعَاصِفِ السَّافِ²
 فَلَمْ يُجِبْنِي كَحَالِ الذَّاهِلِ الْعَافِ³
 أَرْضًا بَعِيدَةً أَرْكَانٍ وَأَطْرَافٍ
 وَمِنْ غِيَاضٍ وَأَجْبَالٍ وَأَحْقَافٍ
 إِلَّا رُكُوبٌ نَحِيبِ الْأَصْلِ سِرْنَا⁴
 جَابِ الْفَرَانِيسِ يَفْرِي كُلَّ نَفْنَافٍ⁴
 تَقْرُو مُرُوجَ مَرَابِعٍ وَأَصْيَافٍ
 هَلْبٍ لَهَا عَبَسٌ يُفْضِي لِأَخْلَافٍ⁵
 مِنْ فَوْقِ جُتَّتِهَا أَشْمُ أَطْنَافٍ
 إِذْ قُرْبُهَا لِسَقَامٍ مُهْجَتِي شَافٍ
 إِلَى وَثَارَةٍ أَعْطَافٍ وَأَرْذَافٍ
 طَلَاوَةً لَمْ يَنْلَهَا دُرٌّ أَصْدَافٍ
 مُعْلَنَكِسِ النَّبْتِ وَخَفٍ دُونَ أَحْقَافٍ
 تُزْرِي بِحُسْنِ أَقَاحٍ غِبَّ تَوَكَّافٍ
 وَلَا لَمَاهَا ارْتِشَافًا رَغْوَةً الرَّافِ

¹ - عدمل: قديم.

² - المور: التراب.

³ - الغاف: الغافل.

⁴ - العود: الجمل الذي تجاوز مرحلة طول الناب واصفراره، وجاب: صلب شديد.

⁵ - توسف: تقشر، هلب: شعر ضاف، من هلب الشخص: كثر شعره، العبس: ما تعلق بأذنان الإبل، من أبوالها، وأبعارها، وجف عليها.

هَذَا، وَلَيْلَى مَتَى وَاصَلْتُهَا انْفَصَلَتْ
لَمَّا تَحَقَّقْتُهَا تُبْدِي مُصَارَمَتِي
صَافِي الْفُؤَادِ سَلِيلِ الْعُزْبِ مِنْ مُضَرٍ
نَدْبٍ نَبِيلٍ نَزِيهِ مَاجِدٍ لَبِقٍ
أَكْرَمَ بِهِ مِنْ خَضَمٍ خَضَمٍ خَضِلِ الْ
كَمِ مِنْ مَلَائِسَ أَعْطَاهَا الْعُفَاةَ وَكَمْ
وَكَمِ وَكَمْ مِنْ كِتَابٍ قَدْ أَزَالَ بِهِ
يَوْمًا يُؤَمَّرُ أَقْوَامًا وَيَعْزَلُ أُخْ
يَا حُسْنَ سَيْرِكَ فِينَا الْيَوْمَ مُعْتَبِيًّا
يَا أَصَيْدَ الصَّيْدِ يَا مَيْمُونُ يَا أَمَلَ الْ
أَوْلَاكَ رُبُّكَ فِي الدَّارَيْنِ مَنَزَلَةً

وَوَاعَدْتَنِي رَمَتْ وَعْدِي بِإِخْلَافِ
سَلَوْتُ عَنْهَا إِلَى مَيْمُونِنَا الصَّافِي
أَنْجَبَ بِهِ مِنْ فَتَى نَحِيبِ أَطْرَافِ
شَهْمٍ نَهٍ رَاسِخٍ فِي الْعِلْمِ غِطْرَافِ¹
أَيَّامِ مُغْدَوْدِقِ الْإِحْسَانِ، مِضْيَافِ
يَجُودُ بِالْحَيْلِ مَعَ ذَوَاتِ أَنْوَافِ
جَهْلًا عَنِ النَّاسِ، نِعَمَ السَّيِّدِ الْوَافِي
رَى بُرْهَةً، وَيَذُبُّ صَوْلَةَ الْجَافِ
يَحْفَظُ عَهْدَ لَنَا يَا نَجَلَ أَشْرَافِ
مُحْتَاجٍ، بَلْ يَا مَنَاحَ الْبَائِسِ الْعَافِ
رَفِيعَةً، وَنَقَى عَنْكَ الْأَدَى النَّافِي

ولما وصل إلى قوله: (وكم وكم من كتاب قد أزال به ...) ضحك الميمون وناولته الكتاب
قائلا: من باعنا الشاء اشتريناه منه وإن كان بأعلى ما نملك.

مدح امرأة طارقة كريمة²:

وسببها أن الشيخ - رحمه الله - صادف أن رافق في رحلة مع زعيم إيفوغاس الطاهر بن
إيلي، حتى دفعهم الليل إلى حي من أحياء البادية بصحراء تمسنا، وهي كما هو معلوم أرض
قاحلة لا رطب فيها ولا يابس على حد ما سمعنا عنها، ولم يكن بالحي إلا امرأة يقال لها:
"هتو" التواجية، فقامت إلى ناقة عشراء لها فنحرتها، وعمدت إلى أعمدة البيت وقامت
بحرقها لطهي اللحم والقراء للضيوف، وكانت كلما احترق الحطب أرسلت الفحم إلى الضيف

¹ - نهو الرجل نهوة فهو نه: صار متناهيا في العقل.

² مكتوبة على الحاسوب لدى الباحث، وأوردها صاحب المدارس الأدبية، محمد الخرجي، ص 202

لتحضير الشاي، فهو سيد الموقف في مثل هذه التجمعات، وفي الصباح تفاجأ القوم من فعل هذه المرأة، فاتفق الزعيم مع هذا الشيخ على تعويض المرأة ما خسرتة إعجاباً منهم ومكافأة لها على فعلتها التي لم يسبق لها مثيل، فقام الزعيم بإرسال ناقة محملة بكل مستلزمات الخيمة، بما فيها الهودج، وقام الشيخ الشاعر بكتابة هذه القصيدة :

{الوافر}

جَرَى مِنْ بِنْتِ أَحْمَدَ (دُوشَ) صُنْعٌ	تَقَاصَرَ دُونَهُ هِمٌّ الرِّجَالِ ¹
أَرْتِ مِنْ نَفْسِهَا عَجَباً عَجَاباً	يَدُلُّ عَلَى الْمُرُوءَةِ وَالْكَمَالِ
أَتَيْنَا حَيَّهَا لَيْلاً فَقَالَتْ	حَيَاةُ الْحَيِّ فِي نَحْرِ الْجِمَالِ
فَسَافَتْ نَاقَةً عَشْرًا، وَشَدَّتْ	قَوَائِمَهَا بِأَطْرَافِ الْحِبَالِ
فَأَنفَذَتْ الْمَقَاتِلَ وَهِيَ تَرْنُو	لِمَصْرَعِهَا وَلَكِنْ لَا تُبَالِي
فَمَا لَبِثَتْ لَنَا أَنْ قَدَّمَتْهَا	بِوَادٍ مِنْ وَفُودِ النَّارِ حَالِ
فَتَاهَ الرُّكْبُ فِي عَجَبٍ وَشُكْرِ	لآيَاتِ جَرَتْ فِي ضِيقِ حَالِ
إِذَا مَا شَامَ بَرَقَ الْمَجْدِ شَخْصٌ	تَحْمَلُ ضَاحِكاً بِيضَ الْجِبَالِ
وإنْ كَرُمْتَ طِبَاعُ الْمَرْءِ كَادَتْ	صَنَائِعُهُ تُعَدُّ مِنْ الْمُحَالِ
وَيَنْظُرُ رُوحَهُ لِحَيَاةٍ أُخْرَى	وَيَسْخُو بِالْمَطَافِلِ وَالْمَتَالِي
فَتِلْكَ خَلَائِقُ مُنِعَتْ لِبَعْضِ	وَتُعْطَاهُنَّ رَبَّاتُ الْحِجَالِ
وَتِلْكَ كَرِيمَةُ "الأتواج" "هتُو"	مُجَدِّدَةُ الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي ²

¹ دوش: يبدو من السياق أنه لقب لوالد المرأة الممدوحة.

² هتُو: اسم تلك المرأة، "الأتواج" جمع "التواجه" علم على قبيلة طارقية عربية في شمال مالي/ أزواد.

8. ظَلَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السُّوَكِيِّ

هو مُحَمَّدُ الملقب بظَلَعَ بن عبد الرحمن فقيه نحوي شاعر مجيد ضاع كثير من شعره، أخذ العلم عن شيوخ منهم الشيخ عبد الرحمن أبوه، وابن عمه الشيخ مُحَمَّدُ الأمين بن مُحَمَّد بن عمنا، ومُحَمَّدُ أحمد بن فك الفهري، ومُحَمَّدُ الصالح (متال) بن الأمين، توفي ليلة إحدى عشرة من رمضان عام 1385هـ، ودفن في صبيحتها، وقبره في إنتكنت قرب إضييلمن¹.

في جواب إسماعيل بن مُحَمَّد الأمين بن المهكي :

{المتقارب}

حَيَالٌ	تَوَالِي	عَلَى	خَاطِرِي	أَمِ	الدَّمْعُ	مِنْ	هَاجِسٍ	خَاطِرٍ ²
أَخْلَايَ	مَا	الرَّبْعُ	مِنْ	بَعْدِ	مَا	عَلَى	عَهْدِهِ	فَاسَأَلَا
أَعَارَتْ	عَلَيْهِ	بِأَبْكَارِهَا	وُعُودٌ	عَوَاصِفُ	مِنْ	عَابِرِ		
فِيَا	عِمَ	صَبَاحًا	فَمَالِكَ	لَا	تُرَاقِبُ	إِلَّا	مِنْ	السَّادِرِ ³
أَبَى	أَنْ	يَبِيْتَ	سِوَى	سَاهِرِ	تُنَاقِيهِ	سَيَّارَةٌ	الْكَافِرِ	
وَتَسْقِيكَ	أَمَاقَهُ	أَرْبَعًا	هَوَاطِلَ	مِنْ	دَمِهَا	الْقَاطِرِ		
كَأَنَّ	عَلَى	خَدِّهِ	مَا	جَرَتْ	عَلَيْهِ	أَحَادِيدُ	مِنْ	بَاتِرِ
وَيَكْفِيكَ	مِنْ	قَرَعِ	نَائِبَةٍ	تَنُوبُ	بِأَبْنِيَّةٍ	السَّاطِرِ		
فَمَا	ذَا	عَلَيْكَ	أَتَعَذَّرُهُ	عَلَى	رَأْسِ	وَاشٍ	لَهُ	زَاجِرِ
وَعَاذِلَةٌ	دَبَّرَتْ	فَقْدَهَا	لِتَنْفُثَ	فِي	الرَّوْعِ	كَالسَّاحِرِ		
تَقُولُ	إِلَى	مَ	أَلَا	إِنَّمَا	هَوَاكَ	عَنَاءُ	أَمْرِي	دَاثِرِ
رُؤْيَدَكَ	إِنَّ	ضَلَالَ	الْفَتَى	إِذَا	ضَلَّ	أَهْدَى	مِنْ	السَّامِرِ

¹ مقابلة مع أحد أقاربه الأخ/ حمزة عثمان، بتاريخ 2017/05/015م، وهو الذي أرسل لي قصائده.

² هاجس خاطر: طارئ

³ السادر: المتحير.

فَإِنْ تَسْأَلِنِي فِيمَنْ تَرَى ضَالَاكَ غُلِقَ بِالصَّادِرِ
 فِي أَرْضِ "إِنْدِرْن" ضَاعَ لِي سُودَاءُ قَلْبِي مَعَ الْخَاطِرِ¹
 سَلُوا وَيُمَلِّي بِحَافِظِي سَمَاءُ غَرَامِي مَدَى الدَّاهِرِ
 فَمِنْ أَتَيْنَ لِي وَهْنَاكَ جَنَى جَنَانِي وَصَالاً مِنْ الْمَازِرِي²

وله أيضا هذه القصيدة الإخوانية أنشأها وأرسلها إلى عيسى بن محمد القاضي إبان

شبابهما:

{الكامل}

لَمَنَازِلُ أَقْوَيْنَ مِنْ أَهْلِهَا هَيَّجَنَ كُلَّ صَبَابَةٍ أَخْفِيهَا
 دَرَسَتْ فَجَدَّدَتْ الْقَدِيمَ مِنَ الْأَسَى وَحَتَّ رُسُومَ سُرُورٍ مَنْ يَأْتِيهَا
 لَمَّا عَرَضْنَ تَعَرَّضَتْ مِنْ دُونَهَا كُلُّ اهُمُومٍ لِدَكْرِ مَنْ يَنْوِيهَا
 بَانُوا وَمَا بَانَ الْهَوَى شَطُوءًا وَمَا شَطَّتْ بَلَابِلُ عَزٍّ مَا يَقْضِيهَا³
 أَشْكُو إِلَى دَارٍ بُلِيْتُ بِوَقْفَةٍ فِيهَا وَلَكِنْ لَا تُزِيلُ التَّيِّهَا
 دَارٍ شَهِدْتُ بِهَا الْمَحَاسِنَ جَمَّةً وَبِهَا عَهِدْتُ أَوَانِسًا أَهْلِيهَا
 زَمَنْ مَضَى أَهْلِي الْمَطَافِلَ عَنْ مَرَا ضَعِيهَا وَكُلَّ لُبَانِي أَقْضِيهَا
 دَارٍ حَبَسْتُ بِهَا الْمُطِيبَةَ سَائِلًا عَنْ رُكْبٍ عَزَّةَ أَيْةً تَنْوِيهَا
 فَاسْتَعْجَمْتُ عَتَبَاتُهَا وَتَصَامَمْتُ مَا إِنْ سَمِعْتُ بِكَلِمَةٍ تُبْدِيهَا
 فَأَعَدْتُ مَسْأَلَتِي لَهَا مُتَذَكِّرًا عَنْ عَهْدِي بَعَزَّةَ إِذْ تَمَائِلُ فِيهَا

¹ من المناطق التي يقطنها أهل الشاعر.

² المازري: فقيه مالكي، محدث، وأديب مشهور، توفي 536 هـ، وفات الأعيان، لابن خلكان، ص 285، ج 4

³ بانوا : بعدوا، وكذلك شطوا، بلابل: الهموم والأحزان، عزَّ ما يقضيها: أي عزَّ ولم يلف ما يقضي عليها، فحذف الجار ووصل الضمير بالفعل، على حد قول الشاعر: تحن فتبدي ما بها من صباية... وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني. أي لقضى علي.

أَيَّامَ	نَلْعَبُ	وَالرَّقِيبُ	مُعَقَّلٌ	وَرَمَانْنَا	فِي	حَالَةٍ	نَشْهِيهَا
وَاهَاً	هَآ	مِنْ	طُفْلَةٍ	فَتَانَةٍ	لِدَوِي	الْحِجَا	الرَّائِيهَا ¹
عَيْطَاءَ	لَمِيَاءَ	الْمُقْبَلِ	رُودَةٍ	مَلَكَتْ	قُلُوبَ	بَنِي	الْهَوَى أَيْدِيهَا ²
رُقْرَاقَةٍ	عَرَّتِي	الْوِشَاحِينَ	بِضَّةٍ	بَلْ	فِضَّةٍ	قَيْدٍ	لِمَنْ يُعْشِيهَا ³
وَالثَّغْرُ	لَوْ	بَرَزْتَ	لِفَانٍ	عَابِدٍ	لَحَجَا	التَّنْسُكُ	لَثَمَ بَسْمَةٍ فِيهَا
عَجَبًا	هَآ	إِذْ	تَسْتَبِيكَ	بِمُفْلَةٍ	دَعَجَاءَ	زَيْنَهَا	يَحَا قَانِيهَا ⁴
وَبَحْدَهَا	النَّضِرِ	الْأَسِيلِ	وَجَبَهَةٍ	مَا	الْبَرْقُ	فِي	لَمَعَانِهِ يَحْكِيهَا
لِلَّهِ	حَاجِبُهَا	وَمَنْظَرُهَا	الَّذِي	تَرْمِي	بِهِ	فِيصِيبُ	مَنْ يَنْغِيهَا
وَلَهَا	عَلَى	الْأَرَامِ	أَنْ لَوْ	مُثِّلَتْ	لَتَمَثَّلَتْ	كَالشَّمْسِ	بَلْ تُنْسِيهَا
وَعَلَى	الْعَزَالَةِ	طُولُ	قَدِّ	رَائِقٍ	كَالْبَانِ	إِذْ	رِيحُ الصَّبَا تَنْثِيهَا
مَا	إِنْ	تَجُودُ	بِوَصْلِهَا	إِلَّا	عَلَى	بِحِفْظِ	عُهُودِهَا يُرْضِيهَا
لَمَّا	وَقَفْتُ	بِدَارِهَا	فَرَأَيْتُهَا	مَثْوَى	الْمَهَا	مُذْ	بَانَ مَنْ يَنْبِيهَا
عُرِضْتُ	عَلَيَّ	مَقَالَةً	مِنْ شَاعِرٍ	"قِفْ	بِالْمَنَازِلِ	رَيْثَمَا	نَبْكِيهَا"
فَبَكَيْتُهَا	فَجَرْتُ	مَدَامِغُ	مُقْلَتِي	فَكَأَنَّمَا	هِيَ	دِيمَةٌ	تَسْقِيهَا
خَيْرُ	الرُّبَاعِيَّاتِ	مَا	سُعْدَى	وَلَوْ	بَرَزْتُ	بِأَحْسَنِ	زِينَةٍ تَنْوِيهَا
لَكِنْ	يَحَا	وَبِدَارِهَا	وَطُلُوْهَا	أَفْدِي	فَتَاةً	زَفَّهَا	شَادِيهَا
وَأَفْتُ	فَحَدَّثْتِ	الْأَوَّلَى	اسْتَمَعُوا	هَآ	بِحَوَاهِرٍ	مَنْظُومَةٍ	تُنْشِيهَا
وَسَأَلْتُ:	مَنْ	أَبُوكَ	قَالَتْ	إِنَّهُ	"عَيْسَى"	الرَّضِيُّ	الْمَرْتَضَى الْتَاوِي "هَا" ⁵
فُسِّيَّةٌ	نَطَقْتُ	فَحَرَّتْ	سُجْدًا	أَتْرَأُهَا	وَتَوَدُّ	لَوْ	تُدْنِيهَا
مُسْكِيَّةٌ	النَّفَحَاتِ	إِلَّا	أَنَّهَا	أَفْشَتْ	مَصُونٌ	بِلَايِلٍ	أُخْفِيهَا

¹ الرائيها: أي الذين يرونها، الأصل: الرائيها فحذفت النون للإضافة.

² عيطاء: طولة القد، لمياء: سواد الشفتين، المقبل: مكان التقبيل، الرودة: الناعمة.

³ الرقراق: المرأة التي كان الماء يجري على وجهها من شدة نعومتها، غرثي الوشاح: مملتة، بضه: ناعمة.

⁴ دعجاء: شديدة سواد العين.

⁵ "ها" منطقة الممدوخ عيسى محمد، ويقصد بالتي سألها قصيدة الشاعر عيسى.

لَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنَّ حَدِيثَهَا
 هَذَا وَفُنَّ النَّحْوِ رَأَيْتُهَا الَّتِي
 وَالنَّقْدُ وَالتَّصْرِيفُ مَرَكَّبُهَا فَمَا
 وَالْمَنْهَلُ الْعَذْبُ اللَّعَى يَرْوِي بِهِ
 فَإِلَى الصَّبَابَةِ "حَاوُهَا" وَعَنِ الْأَسَى
 هُوَ ثَالِثُ الْقَمَرَيْنِ مُفْرَدُ عَصْرِهِ
 سَحْبَانُ وَائِلٍ عَصْرِهِ لَوْ أَنَّهُ
 نَبْهٌ لَهُ شَهِدَتْ وَلَمْ تَكُ تَقْتَرِي
 نَدْبٌ إِذَا نَزَلَتْ وَإِنْ هِيَ أَعْصَلَتْ
 لَا بَدْعَ فَهُوَ وَرَأَى بُدُورٍ سَادَةٍ
 اللَّهُ حَوَّاهُمْ مَفَاخِرَ لَا نَبِيٍّ
 شَرَفٌ أَنْارَ بِهِ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى
 وَسِيَادَةٌ مَا خَطَّهَا لِسَوَاهُمُ
 وَإِمَامَةٌ أَرْلِيَّةٌ مَا نَالَهَا
 أَسْمَاهُمْ مِنْ فَوْقَ فَوْقِ السَّبْعِ يَا
 وَحَبَاهُمْ غُرًّا شَمَائِلَ لَمْ تَكْدُ
 فَإِلَيْهِمْ مَنِّي عُمُومًا أَلْفُ أَلْ
 أَسَى الصَّلَاةِ إِلَى السَّلَامِ إِلَى الْهُدَى
 مَا الزَّارِيَاتُ مِنَ الْجُفُونِ تَتَابَعَتْ
 أَوْ مَا حَمَامَاتُ شَدَتْ وَتَرْتَمَتْ

فِي غَايَةِ مَنْ بَهْجَةٍ يَحْوِيهَا
 هِيَ ظِلٌّ مُسْتَمِعٍ لِمَنْ يَرْوِيهَا
 بِسَوَى الْعُرُوضِ لِيَدِهَا حَادِيهَا
 عَنْهَا أَحَادِيثُ الْهَوَى رَاوِيهَا
 إِسْنَادُهَا وَعَنِ الْهَوَى بَاقِيهَا¹
 بَوَابُ أُنْبِيَاءِ الْهَوَى بَانِيهَا
 لِلْمُعْضَلَاتِ أَبَانَهَا لَذَوِيهَا
 كُلُّ الشُّهُورِ بِأَنَّهُ يُحْيِيهَا
 سُودُ الْخُطُوبِ بِبَابِهِ يَقْرِئُهَا
 رَوَتْ الْعُلَا عَنْ جَدِّهَا وَأَبِيهَا²
 آيُ الْكِتَابِ عَلَى الْوَرَى تُمْلِيهَا
 خَلَّافُهَا وَالْجَوَّ مَعَ أَرْضِيهَا
 قَلَمٌ إِلَى خَيْرِ الْوَرَى يَنْمِيهَا
 أَبَدًا بَغَيْرِ وَدَادِهِمْ رَاحِيهَا
 سُبْحَانَ رَافِعٍ مَنْ يَشَاءُ مُبْدِيهَا
 مَنِّي الْقُرُونَةُ حَاشَهَا تُخْصِيهَا
 فِ تَحِيَّةٍ وَقَرِينُهَا تَالِيهَا
 وَهَدِيَّةُ الْمُؤَلَّى لَنَا أَهْدِيهَا
 بِمَنَازِلِ أَقْوَيْنَ مِنْ أَهْلِيهَا
 هَيَّجَنَ كُلَّ صَبَابَةٍ أُخْفِيهَا

¹ "حاءها": يعني ح التي هي علامة تحويل الإسناد.

² وراء بدور: أي حفيدهم.

8. عبد القادر مُحمَّد الصالح "متال" السوكي

هو الشيخ الشاعر عبد القادر الملقب (سيوبه) ابن مُحمَّد الصالح المعروف بـ(مَتَّال) ابن الأمين بن مما ابن أحمد بن حَمَكُ، وأُسرة هذا الشيخ تنتمي إلى يوسف بن يعقوب بن مُحمَّد الكنتي، ويرفع أهل هذا البيت نسبتهم إلى عقبة بن نافع الفهري، وهم الفهريون المندمجون مع "كلُّ بَحَلَّتْ" في نظام قبلي واحد¹.

وشعره متميز بفخامة الألفاظ، وسلاستها معاً، ومتانة في الأسلوب، واهتمام بالمحسنات البلاغية، ومن حيث الموضوع تغلب عليه الإخوانيات، وقد أجرى عليه أحد أحفاده دراسة لنيل درجة الماجستير في كلية اللغة العربية التابعة للجامعة الإسلامية بالنيجر، عام 2016م، ولذا فسأختار له 3 نماذج من شعره الإخواني، فهو العالي.

قصيدة إخوانية "1"

أرسلها لأخيه وابن عمه الفتى بن مُحمَّد أحمد بن فك، مجيباً عن قصيدة أرسلها إليه هو الآخر²:

[الكامل]

ظَبِّي أَقَامَ الْحُسْنَ فِي أُمَاتِهِ	مَا جَارَهَا إِلَّا إِلَى عَمَاتِهِ
فَأَنْشَقَّتِ الْأَصْدَافُ ³ أَصْدَافُ الْبَهَا	عَنْهُ فَضَاعَ الدُّرُّ بَعْدَ نَشَاتِهِ
مَا إِنْ تَرَى خَمْرًا كَحَمْرِ رُضَابِهِ	كَأَلَّا، وَلَا تَمَرًّا كَتَمْرِ لِنَاتِهِ

¹ أنظر: الشيخ عبد القادر بن مَتَّال وشعره دراسة وصفية تحليلية، أحمد محمد، بحث تكميلي مقدم للجامعة الإسلامية بالنيجر لنيل درجة الماجستير، كلية اللغة العربية والدراسات الإنسانية، قسم الدراسات العليا، شعبة الأدبيات، 2016م، ص 20-44.

² المرجع السابق، ص 66-68

³ - الأصدا ف جمع صدف وهو غشاء الدر

سَيَّانٍ دُرِّيَّ الْعُقُودِ وَتَعْرُهُ
كَالْعُصْنِ قَدًّا¹، كَالْغَزَالِ تَلْقُتَا
وَيُرِيكَ مُحَمَّرَ الشَّقِيقِ إِذَا بَدَا
السِّحْرُ مِنْ كَلِمَاتِهِ، وَالْعُودُ مِنْ
وَالْقُوسُ مِنْ نُونَاتِهِ، وَاللَّيْلُ مِنْ
وَدَعَا الْهُوَى قَلْبِي إِلَيْهِ فَمَا ائْتَدَعَى
يُضْمِيكَ قَبْلَ الرَّمْيِ، إِلَّا أَنَّهُ
فَاعْجَبَ لَهُ يُدْمِي الْقُلُوبَ وَلَمْ يَكُنْ
يَسْطُو عَلَى رُوحِي عَلَى كَلْفِي بِهِ
فَصَرِيحُ كَاسَاتِ الْعَرَامِ حَيَاتُهُ
وَبِصْحَتِي مَرْضَى جُفُونٍ أَمْرَضَتْ
لَا بَدْعَ فِي جَفْنٍ مَرَّتُهُ² يَدُ النَّوَى
كَلَّا وَلَا فِي أَنْ يَصُوعَ الدَّرُّ مَنْ
أَزْرَتْ عَلَى كُلِّ الْمُلُوكِ بَنَاتُهُمْ
رَجُلٌ تَقَنَّ فِي صِبَاهُ، فَلَمْ يَكُنْ
وَكَلَامُهُ إِمَّا أَذَاكَ لَفْظُهُ
آتِي فِعَالٍ الْبِرِّ، لَا مُتَفَاعِلًا
مُتَجَنِّبٌ عَنْ أَنْ تَرَاهُ مُضَيِّعًا
إِمَّا لِدَرْسِ الْعِلْمِ، أَوْ تَدْرِيسِهِ
أَوْ نَفْعِهِ، أَوْ دَفْعِهِ عَنْ قَوْمِهِ

فِي النَّظْمِ، لَا فِي كُلِّ مَاهِيَّاتِهِ
كَالْبَرْقِ فِي الظَّلَمَاءِ فِي بَسْمَاتِهِ
قَبَسٌ⁴ تَوَقَّدَ مِنْ عَلَى وَجَنَاتِهِ
نَعَمَاتِهِ، وَالْمِسْكُ مِنْ نَفَحَاتِهِ
حَدَقَاتِهِ، وَالْحُورُ مِنْ أَخَوَاتِهِ
فِي الْحَالِ وَالْآتِي لِعِغْرِ دُعَاتِهِ
بِلِحَاطِهِ يُضْمِيكَ لَا بِقَنَاتِهِ
إِدْمَاؤُهُ الْأَجْسَادَ مِنْ آفَاتِهِ
رُوحِي الْفِدَاءُ لِرُوحِهِ وَلِذَاتِهِ
كَمَمَاتِهِ، وَمَمَاتُهُ كَحَيَاتِهِ
كَبِيدِي، فَسَحَتْ مُقْلَتِي بِقُتَاتِهِ
فَسَقَى رُسُومَ الدَّارِ مِنْ مَاهَاتِهِ
بَثَّ الثَّنَاءَ عَلَى (فَتَى) وَفَتَاتِهِ
فَأَقَرَّ كُلُّ أَنْهَنْ وَرَا تِهِ
رَجُلٌ لِيَقْرَأَ مِثْلَ مَقْرُوءَاتِهِ
أَعْنَاكَ طِيبُ اللَّفْظِ عَنْ مَعْنَاتِهِ
آبِي خِلَافِ الْبِرِّ وَابْنُ أُبَاتِهِ
مِقْدَارَ وَقْتِ اللَّحْظِ مِنْ أَوْقَاتِهِ
أَوْ نَقْلِهِ، أَوْ حَلِّ إِشْكَالَاتِهِ
أَوْ صَرَّةٍ⁵ الدُّرَاتِ فِي صُرَّاتِهِ¹

¹ - القد هو القامة

² مرته: يقال مری الضرع مسحه ليدر

⁴ القبس هو النار أو شعلة منها

فَالْحَلُّقُ أَضْحَكُهُمْ بِأَمْنٍ زَمَانِهِ
لَكِنَّهُ مَا كَانَ يَصْنَعُ صُنْعُهُ
كَالَلَيْثِ فِي حَرَكَاتِهِ، وَالطَّوْدِ فِي
فَإِذَا بَدَأَ جَيْشُ الْخُطُوبِ حَوَالَهُ¹
كَثُرَتْ مَوَاهِبُهُ فَلَا يُحْصِي أَمْرُهُ
نَادَى لِسَانُ نَدَاهُ مَالِي كُلُّهُ
أَعْيَى النَّيَاقَ أَكْفَهَا بِمَزَارِهِ
مَا أَحْسَنْتَ رَاحَتَهُ لِعُفَاتِهِ
قُوْتُ الْأَبَاعِدِ دَثْرُهُ، لَكِنَّهُ
إِفْطَارُهُ كَصِيَامِهِ، وَرِقَادُهُ
أَحْمَى مِنَ الْبَطْلِ الْمُطْفَرِ رَأْيُهُ
دُوْ هَيْبَةٍ، هَابَ الْهَزْبُ لِقَاءَهُ
هَذَا، وَمِنْ هَذَا الْمَشُوقِ حَيَّةٌ
هَاهَا إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي أَرْضَعْتَهُ
وَعَدَا يُرْقِئُهَا إِلَيْكَ مُكَافِئًا
وَاسْلَمْ، وَجُزْ بَدَرَ التَّمَامِ مُتَعًّا
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا مُخْتَارَهُ

وَزَمَانُهُمْ أَبْكَى بِدَفْعِ أَدَاتِهِ
فَحَرًّا، فَلَيْسَ الْفَخْرُ مِنْ عَادَاتِهِ
سَكَنَاتِهِ، وَالذَّهْرُ فِي هِمَاتِهِ
رَضَحَتْ لَهُ هِمَاتُهُ هَامَاتِهِ
إِلَّا الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ هِبَاتِهِ
لِلنَّاسِ، مَنْ لَمْ يَأْتِهِ فَلْيَاتِهِ
وَضُفُورُهَا بِاللُّوفِهِ وَمَتَاتِهِ
إِلَّا أَسَاءَ، وَمَا أَسَا لِعِدَاتِهِ
لَمْ أَدْرِ غَيْرَ الذِّكْرِ مِنْ أَقْوَاتِهِ
كَقِيَامِهِ، وَصَلَاتُهُ كَصِلَاتِهِ
أَسْعَى مِنَ الْيَعْبُوبِ⁵ فِي طَاعَاتِهِ
لَمَّا اتَّقَى الرَّحْمَنَ خَيْرَ تُفَاتِهِ
حُسْنَى إِلَيْهِ بِحُسْنِ تَسْلِيمَاتِهِ
تَذِي الْبَيَانِ فَحَارَ مِنْ قَهْوَاتِهِ
فَيَّتِيهِ مَنْ أَصْعَى لَهَا فَبَهَا، تِهِ
وَمُمَكَّنًا فِي الدَّهْرِ طُولَ حَيَاتِهِ
فِي الْأَلِ مُحْفُوفًا بِتَكْرِيمَاتِهِ

⁴ - الصرة هي ما تجمع فيه الدراهم.

¹ - حواله: يقال قعد حوال الشيء والمعنى قعد في الجهات المحيطة به

⁵ - اليعبوب: هو النهر الشديد الجرب وفرس طويل سريع العدو.

قصيدة إخوانية "2"

وله أيضا هذه القصيدة جوابا على إخوانية أخرى وردت عليه من أخيه المحمود بن يحيى¹:

(الكامل)

هَلَكَ النَّوَى إِنْ لَمْ أَكُنْ مُتَهَالِكَا	لَمَّا غَدَا حَيُّ التَّوَاصِلِ هَالِكَا
وَبَرِئْتُ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى إِنْ لَمْ أُسِرْ	قُدَّامَ مَنْ أَخَذُوا الْهَيْيَامَ مَسَالِكَا
وَعَشِيقْتُ نَفْسِي إِنْ سَكَوْتُ لِعَيْبِي	رَشَاءً أَطَاعَتْهُ الْقُلُوبُ مَمَالِكَا
تَهْوِي لَهُ نَحْوَ الْفِرَاشِ لِنُورِهِ	فَتَرَى رَكَائِبَهَا إِلَيْهِ رَوَاتِكَا
وَلَهُ يَدَانِ، يَدٌ تُسَبِّحُ جُهْدَهَا	وَيَدٌ تُدَبِّحُ جُهْدَهَا مَعَ ذَلِكََا
ظَبْيِ النَّقَا رِفْقًا بِقَلْبٍ مُتَمِّمِ	أَعْجَمَتْهُ خَطَأً بِنُقْطَةٍ خَالِكَا
هَلَا لِنُونِ الْحَاجِبِينَ نَقْلَتَهَا	إِنْ كُنْتُ تُنْصِفُ فَالْصَّوَابُ كَذَلِكََا
وَأَرَى عِذَارَكَ دَبَّ نَحْوِي لِادِّعَاءِ	كَبِدِي، فَحَطْنِي مِنْ دَيْبِ عِذَارِكَا
وَتَرَكْتَنِي بِيَدِ الْعَرَامِ فَرِيسَةً	فَمَتَى يَكُونُ الطَّيُّ لَيْنًا فَاتِكَا؟!
وَأَرَى الدَّوَائِبَ مِنْكَ لَيْلًا لَا يَكَا	وَأَرَى النَّوَاجِدَ مِنْكَ بَرْقًا ضَاحِكَا
فَأَتِيهِ بَيْنَ ظَلَامٍ تِي وَضِيَاءٍ تِي	شَغَفًا، وَأُحْجِبُ عَنْ عَزِيزِ مَزَارِكَا
وَحَرَمْتَنِي أَحْلَى حَوَارِكَ مُدَّةً	طَالَتْ، وَلَمْ تَقْنَعْ بِصَمْتِ سِوَارِكَا
بِاللَّهِ هَلْ مِنْ عَطْفَةٍ أَوْ وَقْفَةٍ	حَتَّى تُصَرِّحَ لِي بِمُشْكِلِ خَالِكَا
فَلَقَدْ عَهْدْتُكَ لَسْتُ فِيكَ مُشَارِكَا	وَتَلَانَ أَضْحَى الصَّدِّ فِيكَ مُشَارِكَا
فَلَمُنْ نَأَيْتُ عَنْ الْحَيَامِ مَسَافَةً	تُضْنِي الرَّحِيلَ فَإِنِّي هُنَالِكَا
وَبِمَا تَرَى مِثْلِي تَرُقُّ لَهُ الْعِدَى	فَمَتَى تَرُقُّ لَهُ وَلَوْ بِخِيَالِكَا؟!
فَبِمَ اسْتَبَحْتَ بَعِيرَ جُرْمٍ هَجَرَنِي	أَزَعَمْتَنِي لِعُھُودِ مِثْلِكَ تَارِكَا

¹ المرجع السابق، ص 75

كَلَّا، فَمَا نَقْضُ الْعُهُودِ بِسِيرَتِي
 خِلٌّ يُسَاعِدُنِي وَلَسْتُ مُسَاعِداً
 وَأَخٌ يُؤَمِّنُنِي النَّوَائِبَ، إِنَّهُ
 دُو رَاحَةٍ رَحْرَاحَةٍ بِحُطُوطِهَا
 وَمُشَمِّرًا أَيْمًا يُنْشِطُ نَاهِضاً
 مَلَكُ الْهُوَى وَالنَّفْسِ حَالَ شَبَابِهِ
 فَالَلَّيْلُ يَعْلَمُ أَنَّ ذِكْرَهُ
 أَمَّا الْقَرِيبُ فَإِنَّهُ صَوَّاعُهُ
 فَالْتَّبَرُّ يَعْلَمُ أَنَّ مِنْ نَظْمِهِ
 فَلَدَيْ مِنْهَا طُرْفَةٌ قَدْ بَيَّضَتْ
 وَافَتْ فَعَنْتَ بِالسَّلَامِ مُجِيدَةً
 وَاللَّفْظُ يَلْمَعُ لِلْوُضُوحِ وَضَمْنُهُ
 مَا خَيْرُ مَا أَهْدَى وَمَا أَحْرَاهُ أَنْ
 يَا أَيُّهَا النَّجْمُ اسْمُ وَاسْلَمْ سَالِماً
 وَاسْحَبْ ذُيُولَ الْمَجْدِ عَنْ تَاجِ الشُّهُى
 حُذْهَا مُضْمَنَةً مِنَ التَّسْلِيمِ مَا
 حَدَّاءَ، لَمْ يُنْسَجْ عَلَى مِنْوَالِهَا
 لَكِنِّي أَذْرِي بِأَيِّ لَمْ أَكُنْ
 فَلْتَعْفُونِ عَنْ جُرْأَتِي، أَفْدِيكَ بِي
 وَشَيْئُهَا لَكَ سَاهِياً مِنْ كَامِلِ
 صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا خَيْرَ الْوَرَى

حَذَرًا عَلَيَّ مِنْ أَنْ أُحَاوَنَ مَالِكًا
 لِسَوَى مُسَاعِدِهِ وَلَيْسَ مُفَارِكًا
 أَغْدُو بِهِ لِدَمِ النَّوَائِبِ سَافِكًا
 تَحَذَّتْ مَطِيَّاتُ الرَّجَاءِ مَبَارِكًا
 فِي سَيْرِهِ، أَيْمًا يُنْهَضُ بَارِكًا
 فَسَمَا، فَسُمِّيَ مَالِكًا مِنْ ذَلِكَ
 إِنَّ نَامَهُ مَنْ كَانَ يَنْسَى الْمَالِكَا
 يُهْدِي إِلَى الْأَقْرَانِ مِنْهُ سَبَائِكَا
 يَا مَنْ رَأَى تَبْرًا يُصَاغُ مَالِكًا¹
 وَجْهَ السُّرُورِ، وَكَانَ أَسْوَدَ حَالِكَا
 كَالْعُودِ، فَأَعْجَبَ مِنْ غِنَاءِ أَوْلَائِكَا
 أَحْفَى مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ مَدَارِكَا
 يُدْنِي فَيَتَّخِذُ الصُّدُورَ أَرَائِكَا
 إِيَّاكَ لَا تَبْرَحَ وَلَا تَكُ ذَالِكَا²
 مُتَّصِعِداً شَرْفًا وَعِزًّا تَامِكَا
 لَوْ كَانَ مُحْسُوساً لَهَدَّمَ ضَاحِكَا
 فَاقْبَلْ، فَلَا أَسْخُو بِهَا لِسَوَائِكَا
 كَلَّا، لِأَعْلَقَ أَيُّهَا بَعْبارِكَا
 إِنِّي حَرِصْتُ عَلَى لَذِيذِ خِطَابِكَا
 أَيْضاً، وَفِيهِ إِشَارَةٌ لِكَمَالِكَا
 أَبَدًا، وَسَلَّمْ فِي الصِّحَابِ وَالْكََا

¹ - مَالِكُ جَمْعُ مَأْلَكَةٍ وَهِيَ الرِّسَالَةُ

² - دَالِكَا: الدَّلْكُ اسْمُ لَوْقَتِ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَزَوَالِهَا.

وَعَلَيْكَ مِنْ بَرَكَاتِهِ وَعَلَيْهِمْ أَضْعَافُ مَا مَلَكَ الْمَلِكُ مَلَائِكًا

قصيدة إخوانية "3"

أرسلها إلى أخيه محمد بن عبد الرحمن المعروف ب(ظلع)¹:

[البسيط]

ظَبِّي عَلَى حُسْنِهِ فِي طَرْفِهِ سَقَمٌ	فِي لَحْظِهِ نِعَمٌ، فِي طَيْهَا نِقَمٌ
فَكَمْ أَصَابَ بِسَهْمِ الْمَوْتِ قَلْبَ فَتَى	كَأَنَّهُ لِيَشْفَاهِ النَّبْلَ مُلْتَمِ
وَمَنْ تَأَمَّلَ وَرْدًا فَوْقَ وَجْنَتِهِ	تَحْتَ اللَّغَامِ تَأَلَّى ¹ إِنَّهُ لَدَمٌ
حَطَّ الْعِذَارُ ² عَلَى خَدَّيْهِ فِي هَبٍ	فَاعْجَبْ لِرَفْمٍ وَلَا رَقٍّ وَلَا قَلَمٌ
مُعَمَّمٌ بِلَيَالٍ مَا أُسْوِدَهَا	وَبَاسَمٍ عَنِ لَالٍ حِينَ يَنْتَسِمُ
أَلْفَتْهُ مِنْ ظَبَاءٍ قَدْ أَلْفَتْهُمْ	إِنْ قِيلَ: أَيْنَ بُدُورُ التِّمِّ؟ قِيلَ: هُمْ
رَضَعْتُ ثَدْيَ هَوَاهُمْ فِي صِبَايَ فَلَا	أَرْضَى سِوَاهُ، وَقَدْ شَابَتْ بِهِ اللَّمَمُ
يَا عَادِلِي مُرَا غَيْرِي فَلَسْتُ أَرَى	إِلَّا أَصَمَّ، وَمَا بِمَسْمَعِي صَمَمٌ
لَكِنَّ أُسَّ ³ اصْطَبَارِي حِينَ فَاجَأَنِي	نَاعِي نَعِيمِ الْوِصَالِ هَبَّ يَنْهَدِمُ
كَفَى بِكَفِّ الْهَوَى مَا كُنْتُ أَنْزَعُهَا	إِنْ جَارَ مَنْ قِبَلِي فَإِنَّهُ حَكَمٌ
أَقْسَمْتُ بِالْحُبِّ لَا أَسْلُوهُمْ، وَكَفَى	بِالْحُبِّ فِي قَسَمٍ، فَالْبُرُّ مُنْحَتِمٌ
وَلَيْسَ يَأْمُنُ غَدَرَ الدَّهْرِ دُوْهُمْ	مَا لَمْ يَكُنْ بِجِبَالٍ (ظَلْعُ) يَغْتَصِمُ
دُوْ مَنْزِلٍ يَتَمَتَّى النَّجْمُ رِفْعَتَهُ	يَأْوِي لَهُ الْفَضْلُ وَالْإِحْسَانُ وَالْكَرَمُ

¹ المرجع السابق، ص 86

² - العذار: جانب اللحية وما سال من اللجام على خد الفرس.

³ الأس: الأساس

سَمَّوُهُ ظُلْعًا¹ وَصَحَّفُوا سُمَاهُ بِهِ
 وَفَاعِلُ الْفِعْلِ بَدُرٌ وَهُوَ مُنْحَذِفٌ
 مُتَوَجِّحٌ بِالْهُدَى مُذْ دَبَّ، مُؤَنَّرٌ
 فَمَا أَجَابَ نِدَاءَ الْمُعْتَفِي بِسَوَى
 وَإِنْ يَحْمُ حَوْلَهُ أُمَالُ بَسْطَتِهِ
 يَا أَيُّهَا الصَّبِّ تَأْيِيهٌ² امْرِئٍ دَنِفٍ
 لَوْلَاكَ لَمْ يَصِلْ نَارَاتِ الْهُوَى خَلْدِي
 لَا تَحْسَبَنَّ أَنِّي حَيٌّ عَلَى جَلْدِي
 فَاحْفَظْ عَلَيْكَ سُؤْيِدَاءَ تُضَيِّعُهَا
 هَوْنٌ عَلَيْكَ وَدَعْ عَنْكَ الْيَمِينَ إِذَا
 وَلَا تَمُتْ بِمَعَارِكِ الْهُوَى جَزَعًا
 وَالْفُضْلُ أَوَّلُهُ مُرٌّ وَآخِرُهُ
 وَالْوَصْلُ أَطْيَبُهُ مِثْلُ الْقُلُوبِ إِلَى
 مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ مَا قَلَدْتَنَا دُرًّا
 حَتَّى لَقَدْ وَدَّتِ الْخُورُ الْحِسَانُ تَرَى
 مَا هَبَّ قَطُّ نَسِيمٌ بِالنَّسِيبِ سِوَى
 صَيَّرَتْهُ عَسَلًا أَسْقَى بِهِ عَلَاءً
 وَهَآكِهَآ مِنْ بَنَاتِ الْفِكْرِ نَادِرَةً
 زُفَّتْ وَحَصَّتْكَ لِلتَّسْلِيمِ تَالِيَةً
 عَلَيْكَ أَحْمَدُ صَلَّى اللَّهُ مَا طَلَعَتْ

مَاضِي الطُّلُوعِ كَمَا يَدْرِيه مَنْ عَلِمُوا
 أَيْضًا، وَغَيْرُ الَّذِي قَرَّرْتُهُ وَهُمْ
 بِالْعَدْلِ، مُتَسِّمٌ بِالْفَضْلِ، مُبْتَسِمٌ
 نَعَمْ، نَعَمْ، وَتَرَى فِي إِثْرِهَا نَعَمْ
 فَلَمْ يَحْمُ حَوْلَهُ مِنْ بَسْطِهِ نَدَمٌ
 يَنْشَقُّ مِنْ شَوْقِهِ طَوْرًا وَيَلْتَمِسُ
 وَلَا سَعَى بِي إِلَى قَتْلِ الْكَرَى قَدَمٌ
 فَكُلُّ مَنْ كَانَ مَوْجُودًا فَمُنْعَدِمٌ
 وَخَاطِرًا مِثْلَهَا فَلَسْتَ تُتَّهَمُ
 فَعَنْ يَمِينِكَ يُعْنِي ذَلِكَ السَّقَمُ
 فَمَعْنَمُ الصَّبْرِ خَيْرٌ لِلْأُولَى غَنِمُوا
 حُلُوءٌ، وَكَمْ خَفِيتَ عَنْ حَازِقِ حِكْمِ
 أَشْكَالِهَا، وَهُوَ عِنْدَ الْفَضْلِ مُلْتَزِمٌ
 فِي النَّظْمِ لَوْ أَنَّ دُرَّ اللَّفْظِ يَنْتَظِمُ
 فِي نَحْرِهَا جَاهِلَاتٍ أَنَّهُ حِكْمٌ
 هَذَا الَّذِي قَصَّرْتَ عَنْ مِثْلِهِ الْهِمَمُ
 أَشْفَى بِهِ عَلَاءً فِي الْقَلْبِ تَضْطَرُّمٌ
 تَحْتَالُ فِي الْحُسْنِ فَلْيُنْشَرْ هَا عِلْمٌ
 مَا بَيْنَ قَوْمِكَ وَالْأَغْيَارِ تَتَّهَمُ
 سَمْسٌ، فَوَلَّتْ عَلَى أَذْبَارِهَا الظُّلُمُ

³ تَأْلَى: حَلَفَ

¹ ظَلَعَ: ظَلَعَ يَظْلَعُ ظُلْعًا عَرَجٌ فِي مَشْيِهِ

² تَأْيِيهِ: يُؤْيِيهِ فَلَانُ فَلَانًا: قَالَ لَهُ أَيُّهَا.

فِي الْآلِ وَالصَّحْبِ وَالْأَزْوَاجِ فِي تَبَعٍ بَعْدَ مَا حَطَّهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ

10. الفَتَى مُحَمَّدُ أَحْمَدُ السُّوَكِي

لغوي، فقيه، وشاعر مجيد، من فهرري قبيلة "كلْ بَحَلَّت"، له آثار مثل نظم ذات الوليين، وكتاب في تاريخ عشيرته، وديوان شعري، توفي 1410 هـ¹.

وشعره سلس، رقيق، ينتمي إلى مدرسة أبي تمام، تكثر فيه الإخوانيات، خصوصاً مع ابن عمه الشاعر عبد القادر، ولم أجد وقت البحث أغلب شعره فاخترت النماذج الآتية له على قلتها مقارنة بكامل شعره:

قال في المديح النبوي، وإثبات عقيدته الدينية:²

{الرملة}

رَبِّيَ اللَّهُ عَزَّ جَلَّ	وَالرَّسُولُ إِلَى الْجَمِيعِ مُحَمَّدٌ
مُصْطَفَايَ عِزِّي وَرُوحِي وَسَعْدِي	رَحْمَةُ الْعَالَمِينَ حَبِّي مُحَمَّدٌ
مِلَّتِي مِلَّةُ الْخَلِيلِ أَيْنَا	مِلَّةُ الْمُتَرْضَى الْحَبِيبِ مُحَمَّدٌ
أُمُّ رَحِمٍ بِهَا بِنَاءٌ وَضِيئٌ	قِبْلَتِي قَبْلَةُ الرَّسُولِ مُحَمَّدٌ
فَهِيَ الْكَعْبَةُ الَّتِي ثَوَّاهَا	كُلُّ مَنْ يَأْتِسِي بِهَدْيِي مُحَمَّدٌ
أُمَّهَاتِي مَنْ كُنَّ فِي خَيْرِ حَجَرٍ	حَجَرٍ خَيْرِ الْوَرَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ
بَعْضُهُنَّ رَوَى كَثِيرًا، كَثِيرًا	مِنْ حَدِيثٍ قَالَتْ بِهِ عَنْ مُحَمَّدٍ
وَدَلِيلِي آيَاتُ حَقٍّ وَعَاهَا	فَتَلَّاهَا لَنَا الْأَمِينُ مُحَمَّدٌ
وَالصَّحَابُ نُجُومٌ هَدَيْي وَرُشْدِي	شَاهَدُوا بَدْرًا ثُمَّ رَشَدَ مُحَمَّدٌ

¹ انظر الإمتاع والإبهاج، أحمد محمد الحاج، ص 590

² ترغيب المشوق في ذكر أشعار آل السوق، زين الدين محمد الصالح، ص 340

في تقرّظ كتاب "التبر التالد في مناقب الشيخ الوالد" للشيخ الخضر حمادو¹:

{الوافر}

أَفَاقَ الْقَلْبُ؟ لَا، مَا إِنَّ أَفَاقًا	رَأَى نُورًا جَلَا وَأَضَاءَ فَاقًا
مَتَى مَا رُمْتَ تُدْرِكُهُ فَهِيَا	مَطِيَّاتِ الْحَقَائِقِ لَا حِقَاقًا ²
وَهَبُهُ مُصَنَّفًا وَشَّاهُ دَارٍ	يُوضِّحُ فَنَّ مَعْرِفَةٍ فِرَاقًا
فَأَعَزَّبَ عَنِ عُلُومِ الْقَوْمِ ضِمْنًا	وَفِي الْمَقْصُودِ حَزْرَهَا انْطِبَاقًا
لَيْنَ ظَهَرُوا طَوَالِعَ فِي عُلُومِ	فَقَدْ نَالَ اطِّلَاعًا وَاعْتِلَاقًا
بِتَبْرِ تَالِدٍ يَبْنِي قُصُورًا	مِنْ الْمَعْنَى يُرَوِّقُهَا رَوَاقًا
وَفَى بِمُحْفُوقِ وَالِدِهِ ثَنَاءً	وَكَانَ بِهِ الْخَيْرَ فَلَا اخْتِلَاقًا
فِيَا لَكَ مِنْ عُبَابٍ مَوْهِيٍّ	تَلَا الْمَرْجَانَ لَوْلُؤُهُ انْتِسَاقًا
يَمْدُ بِرَاحَتِي صِدْقٍ وَعَدْلٍ	لِفِكْرَةٍ حَازِقٍ كَأْسًا دِهَاقًا
وَعُنْوَانُ الْمَصْنُوفِ أَلَّ بَرَقُ	فَهَامَ الْفِكْرُ حُبًّا وَاشْتِيَاقًا ³
فَلِلْأَبْصَارِ مَبْنَاهُ اكْتِحَالًا	وَلِلْأَفْكَارِ مَعْنَاهُ اسْتِبَاقًا
فَدُونَكَ مِنْ مَدَارِكِهِ اقْتِبَاسًا	وَدُونَكَ مِنْ مَسَالِكِهِ ارْتِفَاقًا
وَدُونَكَ مِنْ طَرَائِفِهِ اصْطِبَاحًا	وَدُونَكَ مِنْ تَلَائِدِهِ اغْتِبَاقًا
وَدُونَكَ مِنْ مَسَائِلِهِ ارْتِوَاءً	وَدُونَكَ فِي مَسَائِلِهِ اتِّفَاقًا
لِحَبْرِ فِي التَّصَوُّفِ غَيْرِ آلٍ	فَهَنَّاْنَا الْمِسَامِعِ وَ الْحِدَاقَا
وَعَبَّرَ عَنْ طَرِيقِ الْقَوْمِ أَصْلًا	وَفَرَعَا وَاجْتِمَاعًا وَافْتِرَاقًا

¹ القصيدة مرفقة بآخر كتاب "التبر التالد في مناقب الشيخ الوالد"، للخضر حمادو، ص 575

² حقائق: جمع حَقَّة من الإبل.

³ أَلَّ: لمع.

وَشَخَّصَ مَسَلَّكَ الشَّيْخِ المَرْقِي
 تَرَى قَلَمَ الْبَرَاةِ وَهُوَ حَاسٍ
 فَأَصْبَحَتِ الدَّوَاهُ دَوَاءَ صَادٍ
 فَمَا كَانَتْ سَحَابَتُهُ جَهَامًا
 فَأَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيهَا وَأَسْكِنِ
 فَأَهْلًا وَارِدَاتُ أَبِي المَعَالِي
 لَقَدْ مُزِجَتْ وَمَوْرِدُهَا صَفِيٍّ
 وَقَدْ كَانَتْ كِتَابًا فِي خِتَامٍ
 تَبَصَّرَ هَلْ تَرَى فِي النَّاسِ أَهْلًا
 لَقَدْ سَبَقَتْ وَفَاضَتْ فِي انْتِظَامٍ
 فُكِّلَ فِي النَّصِّ والتَّعْلِيْقِ حَقًّا
 فَيَا سُخْبَانَ هَذَا الْعَصْرِ حَثِثْ
 وَيَا عَطْشَانَ عِلْمِ الْقَوْمِ هَيِّنْ
 وَبِالْأُخْرَى يُجِلِّدُ مِنْ لُجْنٍ
 فَإِنْ أَبْرَزْتَ مَحْمَلَهُ عَقِيقًا
 أَفَاضَ النُّورَ "مَحْمُودُ" المِسَاعِي
 وَلَا لَا زَالَ أَمْنًا فِي أَمَانٍ
 أَتَيْتُ بِمَا أَتَيْتُ بِهِ وَجِيزًا
 صَلَاةُ اللَّهِ فِي أَبْهَى سَلَامٍ
 مُحَمَّدٍ المُوَيَّدِ بِالمِثَانِي
 مُحَمَّدٍ المَشْفَعِ ذِي المَعَالِي
 بَلَّخَطَّتِهِ المَبَارَكَةِ الرِّفَاقَا
 وَيُرْوِي مِنْ مُسْلَسَلٍ مَا أَرَاكَ
 مَتَى لَاقَتْ أَمَدَّتْهَا رِفَاقَا
 وَلَا كَانَتْ فَصَاحَتُهُ اسْتِرَاقًا¹
 عَقَلْتُ الدَّارَ بَانِيهَا وَفَاقَا
 تَدَانَتْ مِنْ مُتَرَجِّمِهَا سِيَّاقَا
 بِوَارِدٍ مُلْهِمٍ يَخْلُو مَذَاقَا
 فَلَمَّا فَضَّهُ انْشَقَّ انْشِقَاقَا
 سِوَاهُ لِحْلِهَا مَنْ ذَا أَطَاقَا
 وَهَذَا الشَّرْحَ مَا زَجَّهَا لِحَاقَا
 هُمَا عُصْنَانِ قَدْ نَالَا اعْتِلَاقَا
 إِلَيْهِ جِيَادَ حَيْلِكَ أَوْ نِيَّاقَا
 بِهِ تَشْرَبُ بِحَارًا لَا زِقَاقَا
 يُزْرِجُهُ المِجْلِدُ مَا أَطَاقَا
 فَبِالتَّطَرُّيزِ بِالْيَافُوتِ لَاقَا
 فَلَا لَاقَتْ أَشَعَّتُهُ مِحَاقَا
 وَلَا لَاقَاهُ أَمْرٌ لَنْ يُطَاقَا
 وَمَا ضَاقَ المَجَالُ بِنَا نِطَاقَا
 عَلَى المِخْتَارِ مَنْ رَكِبَ البِرَاقَا
 رَسُولَ اللَّهِ مَنْ نَالَ احْتِرَاقَا
 ضِيَاءِ الكُلِّ مَنْ جَارَ الطَّبَاقَا

¹ الجهام: السحاب الذي فرغ ماؤه.

وَعَمَّ الْآلَ وَالْأَصْحَابَ نُورٌ مِّنَ الصَّلَوَاتِ قَدْ كَمُلَ اتِّسَاقًا

11. مُحَمَّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السُّوْكِي

الشيخ الفقيه اللغوي، مُحَمَّدُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْصَارِيِّ السُّوْكِيِّ، ويلقب بـ"آلياض"، ولد قرابة 1333 هـ وتوفي 1399 هـ، وله آثار منها منظومة في علم الحديث "منحة الوهاب"، و"الآلي المنثورة في السيرة الماثورة"، ورسائل فقهية، وقصائد. وشعره يمتاز بالوضوح، والإقلال من المحسنات، وانعدام المطولات، وأهم نماذج شعره هي التالية¹:

في المديح النبوي

{البسيط}

يَا حُسْنَ وَجْهِ بَدَا لِي غَفَوَةً فَسَبَا	عَقْلِي فَهَيَّجَ مِنْ ذِي لَوْعَةٍ طَرَبَا
كَسَاهُ أَنْهَى لِبَاسِ الْحُبِّ خَالِقُهُ	سُبْحَانَ مَنْ وَهَبَ الْمُخْتَارَ مَا وَهَبَا
تَضَمَّنَ الْقَسَمَ كُلَّهُ وَجَوْهَرُهُ	حَوَاهُ حِسًّا وَمَعْنَى يَا لَهُ أَدَبَا
قَدْ نَوَّرَ الْكَوْنَ بِالنَّبِيِّ بَارِئُهُ	حَقًّا، وَتَصَدِّقُ هَذَا الْقَوْلُ قَدْ وَجَبَا
حَمْدًا وَشُكْرًا عَلَى الْآلَاءِ قَاطِبَةً	مِنْهَا أَيَا عِدَّتِي رَدُّ الَّذِي ذَهَبَا
يَا نِعْمَةً عَظُمَتْ عِنْدِي، وَلَيْسَ يُوَا	زِيهَا لَدَيَّ وَلَا مِلءُ الثَّرَى ذَهَبَا
وَكُلَّمَا أَرَدَدْتُ مِنْهُ نَعْسَةً نَظَرَا	يَزْدَادُ حُسْنًا فَيَا لِلْمُرْتَضَى حَسَبَا
تَاللَّهِ تَفْتَأُ نَفْسِي الدَّهْرَ تَذْكُرُهُ	إِنْ شَاءَ مَوْلَايَ مَنْ قَضَى لَنَا أَرْبَا
وَأَلْسُنُ اللَّسَنِ بَمَنْ قَدْ مَضَى عَجَزُوا	عَنْ وَصْفِ أَنْوَارِ ذَاكَ، يَا لَهُ نَسَبَا
وَفِي فُؤَادِي الْمَشُوقِ بَعْدَ رُؤْيَيْهِ	نَمَّا وَزَادَ هَوَى مُحَمَّدٍ وَرَبَا
سُقِيتُ مِنْ فَرْطِ لَوْعَةِ الْعَرَامِ بِهِ	مَا كَادَ أَنْ يُزْهَقَ الْأَرْوَاحُ أَوْ كَرَبَا

¹ الكلام عن الشيخ، والنماذج المذكورة من شعره كل ذلك مأخوذ من بحث تمريني قام به حفيده الطالب/ إبراهيم محمد، بعنوان: "الشيخ محمد أحمدو عبد الرحمن حياته وشعره"، لنيل شهادة الليسانس في الجامعة الإسلامية بالنيجر، هذا العام 2017م.

سَأَلْتُ مَوْلَايَ حَبْلًا بَيْنَنَا أَبَدًا مِنْ شِدَّةِ الْحُبِّ رُوحِي نَحْوُهُ جَذْبًا
 بَنَى إِلَهُهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ صَلَاتِهِ مَا يُنْسِي الدُّرَّ وَالذَّهَبًا¹

¹ _قصيدة في مكتبة الأخ أحمد محمد محمد، وفي حوزة الباحث نسخة منها.

قصيدة إخوانية إلى مُحمَّد الصالح العربي:

{الخفيف}

إِنَّ جِسْمِي وَأَضْلَعِي وَفُؤَادِي وحشاي مشحونةً بالوداد
 لَوْ شَقَّقْتُمْ جَزَرَ الْهَوَى لَرَأَيْتُمْ بحر حُبٍّ ورأفةً بامتداد
 مُزِيدًا لَجِبًا طَمَى مِثْلَ نِيلٍ لكم خاصةً بدون العباد
 هَيْمَ اللَّهِ لَوْ وَرَدْتُمْ جَمِيعًا ذلك اليم لا رتوى كلَّ صاد
 قَدْ وَرَيْيَ إِنَّ ذَلِكَ حَقٌّ غير شَيْخِي وأهل بيتٍ مُرادي
 إِنْ ذَلَكُمْ لَكُمْ فِي جَنَانِي ضعفتُ ما لكم بحور الرِّشاد
 لَسْتُ أَوْثِرُ غَيْرَ حَبَّاتِ قَلْبِي عنكم أبدأً فهذا اعتقاد
 فَإِذَا مَا رَأَيْتَ مِنِّي أَرْوَرًا فأنا آنفٌ يسيرُ انقياد
 هَيِّنْ لِأَمْرِي يُرِيدُ خِدَاعِي آلة¹ المؤمنين أهل الرِّشاد
 فَاصْرِفْ يَا ابْنَ عَمِّي لِحَا عِنَانِي واثنها نخوكم بغير اجتهد
 أَنْتَ أَوْلَى بِذَاكَ أَنْتَ وَدُودِي وصفيي وصفوتي في التَّوَادِي
 قَدْ قَضَتْ بَيْنَنَا الْعُهُودُ بِمَا يُرَى ضيِّك عَنِّي يَا قَرَّتِي باجْتِهَادِ
 لَا أُدِيلُ مِنْكُمْ أُلُوفًا كِرَامًا غيركم أبدأً كمنية شاد
 إِنِّي مِنْكُمْ وَلَوْ كَانَ بَيْتِي عندَ بركِ الغِمَادِ أَقْصَى الْبِلَادِ
 إِنِّي مِنْكُمْ وَلَوْ لَدَغَنِي ألسنُ الخلقِ كلِّهم بالحداد
 قَعْدَكَ اللَّهُ لَا تَدْعُنِي خَلِيطًا لسواكم في القُربِ أو في البعادِ
 حَتَّى عَنْكَ دُونَ غَيْرِكَ يَا ذَا والدي، ولذلك أهدي الأيادي
 وَدَعَانِي بِأَنْ أَقُولَ لَكُمْ يَا زيدُ صاحِ في القُربِ أو في البعادِ

¹ - المقصود بها: حالة.

لَسْتُ أَشْرِيكُمُ وَلَوْ بِالْأُفِّ مِنْ عِتَاقٍ مَرَايِلٍ فِي الدَّاءِ
 لَيْسَ بِالْعَبْقَرِيِّ مَضْمُونُ شِعْرِي إِنَّمَا هُوَ دُرَّةٌ مِنْ مُرَادِي
 مَا شَعَرْتُ إِلَّا لِنَشْرِ جُمَانٍ ضَاقَ عَنْهَا جَنَاحِي¹ وَفُؤَادِي²

في النسيب والشوق إلى الأحباب:

{الطويل}

أَسِرْبَ الظِّبَا لَمْ لَا تَرُدُّ سَلَامًا³ عَلَى عَاشِقٍ حَلَفِ الْغَرَامِ سَلَامًا
 وَهَلْ مَا يَدُورُ قَدْ عَفَاها يَدُ الْبَلَى وَجَرَدَ عَنْهَا صَارِمًا وَخُسَامًا
 أَسَارِيَّةٌ تَسْرِي عَلَيْهَا هُنَيْهَةٌ بِإِعْصَارِ رِيحٍ ذَرَّ عَنْهَا سُخَامًا
 أَبَدْتُ صُدُودًا أَمْ عَفْتُ وَتَهَدَّمْتُ مَعَاهِدُ قَدَمًا قَدْ تُدَاوِي غَرَامًا
 وَكَمْ تَتَجَاذِبُ الْأَحَبَّةُ مُوهِنًا سَلَاةً أَنْسٍ عِنْدَهَا وَمُدَامًا
 أَلَذُّ مِنَ الْحَمْرِ الْعَتِيقِ وَقَهْوَةٍ وَجِرَالٍ⁵ صَرَّخِدٍ يُزِيحُ هُيَامًا
 أَغْيَرَ رَسْمُ دُورِهَا سَبَلٌ هَمَا كَبَحْرٍ طَمَى سِرْبَ الظِّبَاءِ عَلَى مَا؟
 أَسَائِلُهَا رَوْضَ الْخَلِيلِ عَرْوَبَةٌ فَعَهْدِي بِهَا تَنْسِي الْكَمِيتِ نَدَامِي
 فَأَعَيْتُ جَوَابًا مُنْذُ عِشْرِينَ حِجَّةً وَصَدَّتْ فَعْيِي لَا تَرُدُّ سَلَامًا
 فَأَوْغَلْتُ الظِّبَاءَ تَفْرِي سَبَاسِبًا سَوَى ظَبِيَّةٍ تُزْرِيكَ جَزِيًّا سِمَامًا
 وَأَزَقَلْتُ إِرْقَالَ الْحَقِيدِ⁴ نَحْوَنَا لَتَمَلَأَ قَلْبَ الْمُسْتَهَامِ كِلَامًا
 وَقَالَتْ لَقَدْ أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ فَعَدَّ عَنْهَا مَلَامًا

¹ - جناجن جمع جنجن: عظم الصدر، جمهرة اللغة. ج/1، ص، 185

³ _ علم امرأة رخم ترخيم نداء، والألف للإطلاق.

⁴ - الخفيدد: الظليم الخفيف.

⁵ - جريال: خمر.

وقلتُ لها دُعْ عَنْكَ عاذِلتي عَيِّي
 فهِيهاتَ أَنْ أَسْلُوَ وَإِنَّ عَشِيقتي
 لَقَدْ مَزَجَتْ بِالرُّوحِ وَالْجِسْمِ وَالْهَوَى
 فَعِيلَ تَصَبُّري عَنْ الْمَرْتَضَى هَوَى
 أَدَامَ إِلَهُ رُؤْيِي مُحَمَّدٍ
 فَيَا لَيْتَنِي كُنْتُ الرِّضِيعَ وَتِلْكَ قَدْ
 وَتَبَنِي مِنَ الْقَلْبِ الْمَعْدَبِ بِالْأَسَى
 فإِني بَعْدُ لَا أَحِلُّ حَرَاما
 لَرُؤْيِي خَيْرَ الْخَلْقِ طَهْ مِنْما
 فغَابَتْ وَطَارَ اللَّبُّ وَالْقَلْبُ خَاما
 وَعَشَقَا دَخِيلا قَدْ يَدُومُ دَوَاما
 وَعَشَقِي لَهُ حَتَّى أَزُورَ حِمَاما
 تَكُونُ لَنَا ظِئْرًا ثَمَانِينَ عَاما
 إِلَى أَنْ أَمُوتَ بِالْدَّخِيلِ خِيَاما¹

12. محمد أحنى السوكي

مُحَمَّدُ أَحْنَى مِنْ كَبَارِ عِلْمَاءِ قَبِيلَةِ "كَلْ فَانْبَلُغُو"، فَقِيهٍ، مِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ: التَّقْرِيبُ وَالتَّيْسِيرُ
نَظْمُ الْأَجْرُومِيَّةِ، تَفْتِيشُ الْجُيُوبِ عَنْ مَحَبَّاتِ الْجُيُوبِ، شَرْحُ أَرْجُوزَةِ فِي الْعَقِيدَةِ الْأَشْعَرِيَّةِ، وَلَهُ
شَرْحٌ عَلَى عِدَّةِ الْحَافِظِ فِي عَلَى الْفَرَاغِ، وَكَلَامُ الْمَنْظُومِينَ لِلشَّيْخِ إِنْلِشْ مُحَمَّدٌ، تَوَفَى 1374 هـ
وَلَهُ شَعْرٌ يَتَمَيَّزُ بِالسَّلَاسَةِ، وَالْوَضُوحِ، وَعَدَمِ الْإِكْثَارِ مِنَ الصُّورِ الْبَدِيعِيَّةِ، وَالْبَيَانِيَّةِ،
وَقَصْرِ الْقَصِيدَةِ، وَكُلِّ دِيْوَانِهِ الَّذِي عَثَرَتْ عَلَيْهِ فِي مَكْتَبَتِهِ هُوَ مَا يَلِي¹:

القصيدة التالية في بكاء الزمن، وتغيراته، والتشوق إلى الماضي الجميل:

{الطويل}

عفا الرسم من أطلال ميةً وانحأ	ولعبة غربانٍ ومرعاهَا أَصْبَحَا
وأقفرَ وانهدَّتْ جوانبُ رُكْنِهِ	وصارَ رَمَادًا مَدْلَهْمًا مُقْبَحَا
وحوشًا يبابًا لا أنيسَ بأرضِهِ	ولا داعيًا ولا مُجِيئًا لِمَنْ نَحَا
سوى عافياتِ الطيرِ والوحشِ تَرْتَدِي	وترعى التَّلَالُ والوهادَ مَسَا ضَحَى
وذيبٍ يظلُّ في المفاوِزِ والفلا	يصيحُ ويعوي طائفًا مُتَرَتِّحَا
وغيرِ أَثَافٍ يَسْتَتِيئُ سَوَادُهَا	لراءِ أتاها أو يمرُّ مُسْرَحَا
وغيرِ نعامٍ تحبُّ حَبِيبَهَا	إذا ما رأتْ شخصًا وكان بها الوَحَا
فدغَ ذِكْرُكَ الظِّبَاءِ وابكِ حَشْرًا	على طللِ الأسلافِ قد شاخَ وانحَا
وغيرتِ الأرباخَ والسحبَ رسمَهُ	فَلَأْيَا رَأَهُ الرَّائِي أَمَسَا وَأَصْبَحَا
فلمَ يَبْقَ مِنْهُ لَا الرَّمَادُ وَلَا السَّوَى	من النُّوْيِ والأثافي والمورِ والرَّحَى ²
وغدراؤه جفَّتْ وغاضتْ زَكِيَّةٌ	وأفسدَ مِنْهُ الدهرُ ما كَانَ أَصْلَحَا
وأرجأوه اسودَّتْ بُعِيدَ صَبَاحِهِ	وفُتِّحَ مِنْهُ الْيَوْمَ ما كَانَ أَمْلَحَا

¹ ديوانه المدون هنا كان ضمن آثار سوكية، قدمها لي مشكوراً الأخ الكريم/ مهنا محمد السوكي، قريب الشيخ الشاعر، وكان ذلك الديوان مكتوباً بخط سوكي مغربي، على دفتر، وبدون عناوين، ولا ذكر مناسبات، وبدون ترتيب، ولا ترقيم.

² النوى: مجرى يحفر حول الخيمة يقبها من السيل، الأثافي: ما يوضع عليه القدر، المور: الغبار، الرحي: آلة الطحن.

وقد كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَرَّسَى أَجَلَّةٍ
وَيَحْيُونَ بِالْقُرْآنِ وَالدَّرْسِ وَالذُّعَا
وَيَبْنُونَ بَيْتَ اللَّهِ بِالْعِلْمِ وَالتَّقَى
وَيَقْرُونَ ضَيْفَهُمْ وَمَنْ زَارَ سَاحَهُمْ
وَعَهْدُهُمْ بِهِ يُسَاقُ إِلَيْهِمْ
وَعَهْدُهُمْ بِهِ تَطُوفُ عَلَيْهِمْ
فَيَا طَلَلَ الْأَسْلَافِ فَاسْلَمْ وَأَنْعَمَنْ
وَلَا زَالَتْ النُّعْمَى تَجُودُ وَتَنْهَمِي
وَلَا زَالَتْ الدَّلَائِلُ تَمْلَأُ بَدْرَهَا

كِرَامِ حُمَاةِ الدِّينِ يَأْوُونَ مَنْ نَحَا
لِيَالِيَهُمْ وَبِالصَّلَاةِ إِلَى الضُّحَى
وَتَبَيَّنَ مَشْرُوعِ بَيَانًا مُصَحَّحَا
لَمَّا يَدْعِي مَزْخَرَفَا وَمُمْلَحَا
عَوِيصُ وَمُشْكَلُ فَيَرْتَدُّ أَوْضَحَا
أَشَائِبُ يَتَغَوَّنَ فَيَدَا وَمُصْلَحَا
صَبَاحًا وَكُنْ غَضًّا خَصِييَا مُبَحَّحَا
عَلَيْكَ وَلَا زَالَتْ عِيُونُكَ طَقَّحَا
حِيَاضَ ذِمَامٍ مَا أَجَفَّ وَأَفْلَحَا

في الشوق إلى الأحباب:

{الطويل}

أَيَا أَهْلَ ذَاتِ الْخَيْرِ مَا لَكُمْ بَعْدِي
أَبَى الشَّقُّوْكَ إِلَّا أَنْ يَشَبَّ ضُلُوعُنَا
عَلَيْكُمْ سَلَامٌ مَا يَعُمُّ مَسِيئَتَكُمْ
سَلَامٌ أَمْدٌ مِنْ عَصُورٍ وَمِنْ جَنَى
سَلَامٌ يُنْسِي الْبَيْنَ وَاهُمُ زَائِلُ
سَلَامٌ يَنْوُبُ عَنْ زِيَارَةِ عَاشِقٍ
وَأَسَى مِنْ الْأَقْمَارِ فِي لَيْلَةٍ غَمَى
تَلِيهِ تَحِيَّةٌ كَرْمَلَةٌ عَالِجُ
تَحِيَّةٌ بَائِحٌ بِمَا فِي ضَمِيرِهِ

لَدَيْكُمْ مِنَ اللَّوْعَاتِ وَالشُّوقِ مَا عِنْدِي
بِنَارِ الْأَسَى لَمَحَرِّقٍ مَا كَبِدِي
وَمَنْ هُوَ فِي الْإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ كَالْقَرْدِ
نَخِيلِ الدُّثْمِ أَفْوَحُ مِنْ رَنْدٍ
وَمَا نَابَنَا بِهِ مِنَ السُّكْرِ وَالْمِيدِ
لِدَارَةِ أَحْبَابٍ لَهُ مَكْمَلُ الْقَصْدِ
وَأَكْثَرُ مِنْ تَرْبٍ وَأَمْتَنُ مِنْ صُلْدِ
وَكَالْقَمَّحَانِ وَالْكِبَاءِ مَعَ الشُّهْدِ
مِنْ الْحَبِّ وَالتَّشْوَاكِ وَالْحَرِّ وَالْوُدِّ

فإني منذُ بنْتُمُ كَأَنِّي مُسَكَّرٌ
ولكنني أشكو إلى جامع المَلَا
ويكلاً من شرِّ الطُّغَاةِ عُذَاتِنَا
ويَصْرِفُهُمُ عَنَّا بِسُمرِ دُعَائِنَا
عليكم بدعوةٍ لِمَنْ كَانَ عاصياً
بأنَّ يَغْفِرَ اللهُ العَظِيمُ ذَنوبَهُ
وَيَعصِمَهُ مِنَ الشُّنَاةِ وَكُلِّ ذِي
فِيَا رَبِّ نَجِّنَا بِمَنِّكَ مِنْ عِدَا
وَلَا تُشْمِتِ الحَسَادَ رَبِّ بِسَاحَةِ
وَحُلِّ بَيْنَهُم بِالْقَهْرِ رَبِّي دَائِماً
بجَاهِ الَّذِي لَوْلَاهُ لَمْ يَبْدُ كَوَكْبٌ
مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ أَفْضَلِ مَنْ مَشَى
جَزَاهُ إِلَهُ عَنَّا أَحْسَنَ مَا جَزَا
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللهِ مَا حَنَّ عَاشِقٌ

وما طابَ لي المَزَاحُ فِي الهُزْلِ والجِدِّ
يُجَمِّعُ أَشْتَاتاً مِنَ الشَّيْبِ والمُرْدِ
وَيَنْصُرُنَا دَهراً عَلَيْهِم بِلا جُنْدِ
وسيفِ حِجَابِنَا بِلا آلَةِ الهِنْدِ
مَصْرُ على الآثَامِ فِي الخَطِئِ والعَمْدِ
وَيَسْتُرُ زَلَّاتٍ وَيَهْدِي إلى الرُّشْدِ
شُرُورٍ وَمَعْيَانٍ وَذِي العَدْرِ والحَقْدِ
وَصَوَّلَتْهُمْ عَنَّا وَمِنْ كُلِّ مَا يُزْدِي
وَارْمَهُم بِالرُّعْبِ والخَوْفِ والنَّكَدِ
وَبَيْنَ ذَوِي الإسلامِ والخَيْرِ والمَجْدِ
وَلَمْ تَبْدُ نِيرَانٌ وَلَا جَنَّةُ الخُلْدِ
وَأَكْرَمَ مَنْ يَنْمِي إلى الأَمِّ والجَدِّ
نَبِيّاً عَنْ أُمَّةٍ يُسَدِّدُ أَوْ يَهْدِي
لَمَعشوقِهِ والآلِ والصَّحْبِ والوَلَدِ

في الدعاء والابتهالات:

{الطويل}

يا رَبِّ سَلِّمْ مِنَ البَلَوِّ والجُدْرِي
وَمِنْ شِمَاتَةِ أَضْدَادٍ تُعَيِّرُنَا
واحفظْ جَمَاعَتَنَا مِنْ كُلِّ دَاهِيَةٍ
وَمِنْ شُرُورٍ وَمِنْ ضَيَرٍ وَمِنْ غَيْرِ
بِالْقَلِّ والجَبِّ والتَّقَاةِ والدَّعْرِ
بِحَفْظِكَ الحَامِي مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرٍ¹

¹ الشطر الثاني من البيت هكذا وجدته ولعل فيه حرفاً زائدا !

وَنَجِّنَا مِنْ عِدَانَا وَانصِرْنَا عَلَى
وَأَمْنُنَا عَلَيْنَا بِأَمْنٍ لَا نَفَادَ لَهُ
وَصَبِّرْنَا مَعَ التَّثَبُّتِ لِلْقَدَمِ
وَنَقِّنَا مِنْ ذُنُوبٍ كَادَتْ تُهْلِكُنَا
وَجَنِّبْنَا الرَّذَى وَحَسَنَ خَاتِمَةِ
وَفَرِّجْنَا عَلَيْنَا مَا أَهَمَّ وَمَا
وَزَوِّدْنَا التَّقَى وَالسَّعْيَ فِي عَمَلٍ
وَبَارِكْنَا مُعَافِيًا أَيَا سَنَدِي
وَاشْفِ الشِّفَاءَ الَّذِي لَا سُقْمَ يَعْقُبُهُ
وَاشْفِ الشِّفَاءَ الَّذِي لَا سُقْمَ يَعْقُبُهُ
وَارْدُدْ مَسَافِرَنَا وَاحْفَظْهُ مُكْتَسَبًا
وَطَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ الْحَسَدِ
وَمِنْ وَسَاوِسِ تَفْضِي لِلنِّفَاقِ وَمَا
وَاعْصِمْنَا مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُسَادِ مَجْمَعًا
وَمِنْ لَعِينٍ وَجُنْدِهِ وَنَزْعَتِهِ
وَارْزُقْنَا لَنَا الْعِلْمَ وَالْأَعْمَالَ خَالِصَةً
وَأَعْطِنَا جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ قَاطِبَةً

بِيضَاتٍ كَفَرٍ تُسِيءُ الظَّنَّ بِالْقَدْرِ
مِمَّا نَخَافُ مِنَ الْإِنْكَادِ وَالضَّرْرِ
عَلَى ذَوَاتٍ لَنَا تَصِيحُ مِنْ حَذَرٍ
عِنْدَ الْمِلَاقَةِ لِلْحَمَقَى ذَوِي الشُّرْرِ
فَارْزُقْ مَعَ الْجَدِّ فِي الطَّاعَاتِ وَالسَّهْرِ
بِالْقَحْطِ وَالْجُوعِ وَالْإِقْلَالِ وَالْقَتْرِ
يَعُمُّ مِنْ أَزْمَاتِ الدَّهْرِ وَالْخَطَرِ
مُطَابِقٍ لِكِتَابِ اللَّهِ وَالْخَبَرِ
وَيَا عِمَادِي فِي سَيِّ فِي عُمَرِي
مَرْضَى تَأْوَهُ بِالْإِمْسَاءِ وَالظُّهْرِ
ثَوْبَ الْغَنِيمَةِ وَالنَّجَاةِ وَالظُّفْرِ
وَالْغِلِّ وَالْحَقْدِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْبَطْرِ
يُرْدِي ذَوِيهِ مِنَ الْإِشْرَاقِ وَالْأَشْرِ
وَذِي الشَّمَاتَةِ وَالْإِفْسَادِ وَالنَّظْرِ
وَمِنْ سَعَاةٍ مِنْ بَغْيٍ وَمِنْ ضَجَرٍ
لِلَّهِ مِنْشَأُنَا الْعَالِي عَنْ الْفَكْرِ
مَعَ التَّنْعُمِ بِاللَّذَاتِ وَالسُّرْرِ

في المديح النبوي:

{الكامل}

سَبَقَ الرِّعِيلُ إِلَى الْمَدِيحِ الْأَوَّلِ
وَبَقِيَتْ أَعْرَجٌ عَاجِزًا مَتَخَلِّفًا
مُتَبَيِّنًا أَنْ الظَّلِيلَ وَإِنْ رَجَا
وَمُسَلِّمًا وَإِنْ قَطَعَتْ بِمَدْحِهِ
وَأَنَاؤُا إِنْ كُنْتُ الْفَصِيحَ الْمُرْتَضَى
إِذْ أَنَّهُمْ عَرَبٌ مَصَاقِعُ رَسَبُ
وَالْعَرَبُ لَيْسَ بِمَدْرِكٍ مَضْمَارَهَا
لَا سَيِّ مَنْ هُوَ بَاقِلٌ تَمُجُّ مَا
مِثْلُ الْكَمِيِّ مِنْهُمْ حَمَلَاتُهُ
مَنْ غَيْرُهُمْ مَاضِي الْجَنَانِ مُجَرَّبُ
مَدْحُوهُ أَبْلَغُ مِدْحَةٍ وَتَفَنَّنُوا
نَظْمًا وَنَثْرًا وَبِحُورٍ جَمِيعُهَا
لَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَوْفُوا أَمْدَاحَهُ
أَيُّكَالُ بَحْرٍ زَاخِرٌ مُتَلَاظِمٌ
فَمَدِيحُ أَحْمَدَ هَكَذَا مَا إِنْ يَفِي
لَا لَا وَلَا يَحْوِيهِ مُحْتَفِلٌ وَلَا
لَا سَيِّ مِثْلِي بِالْبَطَالَةِ وَالْهَوَى
قَلْتُ بِضَاعَتَهُ مِنَ الْأَدَوَاتِ وَالْ

وَالْفَضْلُ لِلْسَبَاقِ مَا إِنْ يُجْهَلُ
مَنْ دَرَكَهُمْ أَفْقَاهُ أُنْعَلُّ
دَرَكَ الضَّلِيلِ فَشَاؤُهُ مَتَقَلِّلُ¹
زَمَنًا كَثِيرًا أَنَّنِي مَتَحَلِّلُ
فَالِيَهُمْ فِي الْفَضْلِ لَا أَتَوَصَّلُ
فِي كُلِّ أَنْوَاعِ الْفَصَاحَةِ كُتِّلُ
فِي السَّبَقِ وَالْأَقْوَالِ أَعْلَمُ أُمَثِّلُ
يَقُولُهُ الْأَسْمَاعُ أَعْجَمُ أَجْهَلُ
مَا إِنْ يَمَارِسُهَا الشَّجَاعُ الْأَبْسَلُ
عِنْدَ الْكُمَاةِ فَكَيْفَ أَجْبُنُ أَعَزُّ
وَتَسَاجَلُوا وَاللَّفْظُ عَذْبُ سَلْسَلُ
مَنْ عِنْدَهُمْ وَرَوِيَّتُهَا هُوَ أَسْهَلُ
كَرَّرَ الْعَصُورِ وَهُمْ ثِقَاةٌ عَزَلُ
أَمْ هَلْ يَعُدُّ الرَّمْلَ أَضْبَطُ أَحْيَلُ
مَنْ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ أَكْمَلُ
بِالْحَصْرِ أَفْصَحُ أُمَةٍ يَتَكَفَّلُ
أَفْنَى الزَّمَانِ وَإِنَّهُ لَسَبَهْلُ²
آدَابِ وَالذَّوْقِ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ

¹ من المثل القائل: "لا يدرك الظالع شأو الضليع"، وهو مثل يقال في تسابق كغير متكافئين، الظالع: الأعرج، وعكسه الضليع.
² سبهل: رجل فارغ لا شيء.

لكن تعارض مانع من مدحه والمقتضى له وذلك مشكل
فالمقتضى حب النبي ومدحه والمانع العي الكريم الأسفل
وإذا تعارض مانع والمقتضى الذي يقدم أول

في رثاء عالم كبير في منطقته، لم يفصح عن اسمه في القصيدة، ولم أجد اسمه خارجها:

{الكامل}

هل من ممدٍ مُسعدٍ برسائلٍ وبعبرةٍ تهمي بدمعٍ سائلٍ
نرث الوليَّ ونبك مدةً عُمرنا عن فقدٍ ملجأنا العليَّ الكامل
ونصبُّ من بعد الدُموع من الدِّما في حالنا كالقطرِ ثمَّ العاجلِ
من لم يبكِ العلى مدَّةَ عهده كالضدِّ لِلأناسِ والمتقابلِ
إذ نوحنا عليه ليس كفايةً بل فرض عينٍ من سويِّ عاقلٍ
يا ويحنا إذ حَرَّ سَقْفُ بنائنا فأنهدَّ من أعالينا لأسافلٍ
فتساقطت أركانه وتهافتت وتبادرت إلى السقوط الهائلِ
لا مرحبًا باليوم أسفر صبحه عن فقدٍ ذاك العالم المتفاضلِ
إذ ليس يخفى نحسه لا سعده عن ذي البصيرة أو ذكيِّ فاضلٍ
يا نحس دبر سباطنا إذ قد قضى من دبره مثل التقى الباذلِ
من للوفود يُفيدهم بحدِيثه ما ليس بالهجر القبيح العادلِ
من لليتامى والمساكين بعده وذوي القرابة مكثرٍ والعائلِ
من للعلوم الرّآخرات يُثُّها بين الأنام ذكيَّهم والجاهلِ
من للأيدي يُسديها بيمينه السائلين عليهم والخاصلِ
من للبشاشة للأنام وبر ما إليهم مسيئهم والعاملِ

وَتَفَوُّحُ	بِالْإِخْلَاصِ	لِلْمُتَّقَاضِلِ	مَنْ	لِلْعِبَادَةِ	لَا	رِيَاءَ	يَشُوبُهَا
وَلِنَمْدَحِنَ	بِفَضَائِلِ	وَفَوَاضِلِ	فَلْنَبْكِهِ	بَذِكْرِ	بَعْضِ	مَآثِرِ	
مُعْطِي	الرَّغَائِبِ	وَالْمَنَى	هُوَ	عَالَمٌ	نَدِبٌ	تَقِيٌّ	عَابِدٌ
ذُو	الْعِزِّ	وَالْجَاهِ	بَرٌّ	كَرِيمٌ	لَا	يُحَاكُّ	صَنِيعُهُ
ذُو	الْمَجْدِ	وَالْجُودِ	سَهْلٌ	الْعَرِيكَةِ	مُخْلِصٌ	أَعْمَالُهُ	
بِتُقَى	وَالْحَسَانِ	وَذِكْرِ	نَاهٍ	عَنِ	الْفَحْشَاءِ	يَأْمُرُ	أَهْلَهُ

13. محمدو تانا السوكي

مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ الصالح المشهور بـ (تَان) بن مُحَمَّد، لغوي أصولي فقيه، من قبيلة "كلّ تَكِيرَاتِن"، ولد حوالي 1340هـ، توفي عام 1402هـ، وقبره في أجدلنت قرب جبّ، كان شاعرا وناثرا، وله عناية خاصة بالتهاني، صنف كتابا في تاريخ وتراجم علماء أهل بيته، وضاع في نكبة وادي الشرف، وله ديوان شعر حافل أغلبه موجود،¹ وشعره يتسم بالغريب اللغوي، إلى درجة الألغاز تارة:

وهذه مراثية للأمير الشيخ الميمون بن حماد الكنتي المتوفى عام 1946م²:

{البسيط}

يَكَاذُ يَرْتَدُّ مِنْهُ الْعَقْلُ مَسْلُوبًا ³	هِيَ الَّتِي سَلَكَتْ بِالذَّهْرِ أُسْلُوبًا
طَالَتْ فَدَكْدَكَتِ الشُّمَّ الشَّنَاخِيَا ⁴	وَعَيْنُ هَاتِيكَ إِلَّا أَنَّ صَوَّلَتْهَا
وَسُوْدِدِ أَنْ إِلَى أَصْلَيْكُمَا أُوْبَا	مِنْ رَزَاةٍ طَالَمَا أُوحَتْ إِلَى كَرَمٍ
وَالْجُورِ وَالسَّوَاءِ إِبْعَادًا وَتَقْرِيبَا	وَسَامَتْ الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ مِنْ مَلِكٍ
أَنْ لَا يُعَالِجَ إِذْ لَاجًا وَتَأْوِيَا	وَسَاعَدَتْ مَا عَدَا الصَّبْرَ الْجَمِيلَ عَلَى
فَبَاتَ يُنْشِي وَيَسْتَقْصِي التَّرَاكِيَا	وَرَوَّجَتْ كُلَّ بِنْتِ الْفِكْرِ وَالِدَهَا
مِنْ بَعْدِ مَا بَكَتِ الْأَحْزَانُ صَيُوبًا ⁵	فَاعْجَبَ لَهَا مِنْ أَسَى أَبْكَى السَّمَاءَ دَمًا
تَرْتِي الدُّرُوسَ وَتَبْكِي الدُّورَ تَحْرِيبَا	فَارْتَجَحَتِ الْأَرْضُ وَانْضَجَّتْ سَبَاسِبُهَا
وَشَقَّ جُبَّتِهِ حَبُّ بِهِ صِيَا	فَجَلَّ مِقْدَارُهُ عَنْ صَكِّ جَبْهَتِهِ
فِيهِ وَلَوْ كَانَ سُرْخُوبًا وَسُرْعُوبًا ⁶	بَلْ عَزَّ عَنْ أَنْ تَرَى مَنْ لَا نَصِيبَ لَهُ

¹ الفيض الفراتي، حمزة عثمان (مخطوط)

² ضمن مجموعة شعرية سوكية مبعثرة لدى الباحث.

³ الأسلوب: الطريقة، مسلوب: من السلب: النزع.

⁴ الشناخيب: جمع شخوب: أعالي الجبل.

⁵ الصيوب: مطر غزير.

⁶ السرحوب: الطويل الحسن الجسم، السرعوب: حيوان من فصيلة السرعوبيات، ويعرف بابن عرس.

مَا بَيْنَ ذِي بَكْمٍ كَانُوا وَذِي صَمَمٍ
 فَلَا تَرَى طَيِّبًا يَخْلُو وَلَا حَسَنًا
 هَلْ فِيكُمْ يَا بَنِي الْكُنْتِي مِنْ أَحَدٍ
 فَقَدْ أَصَابَكُمْ مَا لَوْ أَصَابَ بَنِي
 فِي عَامٍ أَوَّلَ كَانَتْ فِيكُمْ أُمَمٌ
 أَيَّامَ كَانَ لَكُمْ عِيدًا وَكَانَ لَكُمْ
 إِذْ كُنْتُمْ حَرَمًا أَوْ مِنْ ظِلِّ حَرَمٍ
 وَلَا تَخَافُونَ لَا حُمَى وَلَا حُمَةً
 حَتَّى إِذَا أَنْجَزَ الْإِقْبَالَ مَوْعِدَهُ
 وَرَجَّجَتْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ حَاجِبَهَا
 وَاصْطَفَتْ الْبَاقِيَاتِ مِنْ وَرَاءِ تِهِ
 جَاءَ الْمُتُونُ إِلَى الْمَيْمُونِ يَنْدُبُهُ
 فَأَنْقَادَ وَأَنْسَاقَ لِلْمَأْمُورِ مُنْتَدِبًا
 فَاعْذُرْهُمَا فَلِكُلِّ مِنْهُمَا نَظَرٌ
 إِنَّ الْمِينَةَ بِالْأَعْلَاقِ مُوَلَعَةٌ
 وَتَأْخُذُ الْكَاسَ مَمْلُوءَةً كَذَا وَكَذَا
 وَلَا تُبَالِي إِذَا أَصَمَّتْ بِرَمِيَّتِهَا
 وَالْمَرْءُ لَا طِيبَ شَيْءٍ يَسْتَطِيبُ إِذَا
 وَالْمُقْتَنِي مَا أَقْتَنَاهُ لَا تَرَكَ لَهُ
 هَرَّ الْجِنَانِ وَهَرَّ الْحُورَ مُعْتَبِطًا

وَمُثْعَدٍ يَتَمَتَّى دَابِرًا هُوبًا¹
 يَجْلُو لِعَيْنٍ وَلَا نَشْرًا وَلَا طِيًّا
 ذُو أُسُوءَةٍ فِي نَبِيِّ اللَّهِ أَتُوبًا؟!
 أَبِ سِوَاكُمْ لَكَانَتْ مُرْدُهُمْ شِيًّا
 فِي زِيٍّ فَرْدٍ يَرُوضُ الدَّهْرَ مَرْكُوبًا
 عَبْدًا، فَلَا حَوْبَ يَغْشَاكُمْ وَلَا حُوبًا
 فَلَا يُنْفِرُكُمْ صَيْدٌ وَإِنْ هِيَا
 وَلَا تَهَابُونَ لَا لَيْنًا وَلَا ذِيًّا
 وَفَاحَ نَشْرُ الْقَبُولِ مِنْهُ تَطْيِيًّا
 وَعَيْنَهَا، وَاجْتَلَتْ تِلْكَ الْجَلَابِيَّا
 يَمْسَنَ، يَرْفُضُنَ، يَهْزُرُنَ الْمَنَاقِيَّا
 تِلْكَ الْمَلَاعِنَ وَالْعَيْنَ الْكَوَاعِيَّا
 مِنْ بَعْدِ مَا سَامَهُ ضَمًّا وَتَرْحِيًّا
 يُفْضِي التَّلَافِيَّ تَحْسِينًا وَتَصْوِيًّا
 قَدَمًا، وَتَهْتَصِرُ الْقُضْبَ الْقَرَاعِيَّا²
 فَيُصْبِحُ الْكَاسُ لَا شُوبًا وَلَا رُوبًا
 بَمَنْ، وَتَضْطَاطُ قَلِيًّا وَفُرْضُوبًا³
 مَا اسْتَنْشَقَتْ رُوحَهُ لُوبَى بَنِي طُوبَا
 بِحَيْثُ لَا طُسْتٌ، لَا إِبْرِيقٌ، لَا كُوبَا
 بِأَطِيبٍ مِنْ لُبَابِ الطَّيِّبِ وَالطُّوبَا

¹ الهوب: يقال للأحمق، ولو هج النار

² القراعيب: الأقوياء.

³ القليب: الذئب، القرضوب: الفقير.

وُثْقَةُ أَنْحَفَ الْمَوْلَى فَأُخْفِكُمْ
 دَيْبُوبُهُ الْأُدْبَاءِ لَا دَيْبٍ لَهُ
 وَهَضْبَةُ مِنْ أَثْنِيفِي الْمَجْدِ ثَالِثَةٌ
 تَعْجَابَةٌ لَمْ تَزَلْ آثَارُ سِيرَتِهِ
 وَسَمَحَةٌ أَسْمَحَتْ لَهُ عَرِيكَتُهُ
 بَحْرٌ بَسِيطٌ يَمُدُّ النَّيْلَ نَائِلُهُ
 حَدَّثَ وَنَبِيٌّ وَخَبَرَ مَا تَشَاءُ بِمَا
 كَمْ فَضَّةٍ فَضَّ أَوْ رَمَى بِفَرَمَتِهَا
 وَكَمْ كَسَى مِنْ أَسَى عَفْوًا وَعَافِيَةً
 هَيَابَةٌ هَيْبَ مِمَّا هَابَ خَاطِرُهُ
 فَلَا يُهَادِنُ أَيُّ مَنْ تَشَا بَطْلًا
 اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّ مَوْتَهُ عِبْرٌ
 فَايْذُلْ بَعِينِكَ كُلَّ مَنْ يَصُونُ بِهَا
 وَخَلِّ نَفْسَكَ وَالْبُؤْسَى فَإِنْ تَرَكَتْ

بِهَا، فَلَا تَعْدُلُوا بِنَشْرِهَا سِيًّا
 إِلَّا إِلَى أَدَبٍ مُذْ كَانَ دَيْبُوبًا¹
 طَالَتْ، فَلَيْسَ تَنَاهَا الْأَهَاضِيَا
 يَفُضُّهَا كُلُّ مَنْ يَرَوِي التَّعَاجِيَا
 قَوْدَاءَ، فَاغْتَادَ يَفْرَعُ الظَّنَابِيَا²
 أَزْمَانَ تُمَطِّرُ كَفُهُ الشَّابِيَا³
 تَشَاءُ مِنْ بَسْطَةِ فَلَسْتَ كَذُوبًا
 يَوْمًا، وَكَمْ كَفًا الْمَحْتَاجَ خَرْحُوبًا⁴
 عَفْوًا إِلَى مَا يَقُوتُ الْعَدَّ تَرْتِيَا
 فَصَارَ طَائِرُهُ قَهْرًا وَتَغْلِيَا
 إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ، لَا كَالَّذِي عِيَا
 لَوْ اعْتَبَرْتَ بِهَا اسْتَعْبَرْتَ أُسْكُوبًا
 فَإِنْ جَرَى عِنْدَمَا فَايْذُلُهُ مَصْبُوبًا
 ظِمًا الْحِمَارِ، وَإِلَّا كُنْتَ مَصْحُوبًا

¹ الديبوبة: لم أجد لها معنى في المعاجم إلا النمام بين الناس، أو الجامع بين الرجال والنساء، وهو معنى غير جميل أن يمدح به الممدوح في أي سياق، مستدلين بحديث: "لا يدخل الجنة ديبوب ولا قلاع"، انظر تاج العروس (مادة د ب ب).

² الظنابيب: جمع ظنبوب: السيف.

³ الشابيبي: جمع شأبوب: سحابة.

⁴ الخروب: الناقة الخوارة الكثيرة اللبن.

وهذه تهنئة للشيخ الأمير محمد بن صالح السكني بمولود، وكان الشيخ المهناً قد خاطب جماعة من الشعراء وعين لكل منهم ثلاثة حروف لينظم عليها ثلاث قصائد احتفاء بالمولود، وكان الشيخ محمد حينه شاباً فأرسل إليه بحرف واحد هو لام الألف، وقد تحدث في هذه القصيدة عن امتعاضه من ذلك، وايضا نظم له ثلاث قصائد، على لام الألف مختلفة الورد واوا، وألفا، وياء، أي على نحو (موصولا، وأثقالا، وقنديلا)، ولم تشتهر منها سوى هذه¹.

{البسيط}

عُوجًا بِعُوجٍ مِنَ الْأَلْوَحِ تَأْمِيلاً	لِمَنْ يُنَاوِي النَّوَى مِيلِينَ أَوْمِيلاً
عَلَى سَعَادٍ وَحَيٍّ لِي سَعَادٍ وَقُلْ:	إِنِّي تَرَكْتُ مَشُوقاً صَبْرُهُ عِيلاً
وَلَيْسَ يَسْأَلُوكَ أَوْ يَسْأَلُو رَيْبِكَتَهُ	عَرَثَانُ فِي صَكَّاتٍ كَرٍّ إِبْرِيلاً ²
كَأَلَا وَيَبْرَحُ بِي وَجَدُ يُبْرَحُ بِي	مَهْمَا تَمَثَّلَتْ لِي وَهْمًا وَتَحْيِيلاً
لَوْلَا طُلُوعُكَ فِي أَفْلَاكِ طَالِعِنَا	مَا سُمْتُ ثَعْرَ فَتَى سَمَّاكِ تَقْيِيلاً
وَلَا حَبَوْتُكَ صِنَاعِيَّةً صُنِعَتْ	فِي لُحْمَةِ الشَّعْرِ إِنْشَاءً وَتَرْيِيلاً
وَأُسْمِعُ الصَّمَّمَ حَتَّى مَا يَهْمُ صَمِّمٌ	بِحَيْرٍ مَا قِيلَ فِي الْمَحْبُوبِ لَوْ قِيلاً
وَأُطْرِبُ الدَّهْرَ مُعْرَباً بِقَافِيَةٍ	تَحْذُو الْمِثَالِثَ لَوْ ثَلَّثْتُمَا لِي لَا
مَهْمَا أَرْجَعُهَا أَضَحَتْ مُجَرَّعَةً	خَمَرِ الْبَيَانِ وَثُولِي الْخَمَرِ تَحْلِيلاً
مَنْ التَّهَانِيَّ بَابِنِ أُمِّ هَانِنَا	فَقَدْ كَسَانَا كِسَاءَ الْبِشْرِ تَرْفِيلاً
وَأَفْرَحَتْ أُمُّ أَفْرَاحِ الْوَرَى، وَسَرَى	حَادِي السُّرُورِ يُتَابِعُ الْوَلَاوِيلاً

¹ ترغيب المشوق، زين الدين محمد الصالح، ص 468

² الربيكة: نوع من الطعام، الغرثان: الجائع، صككات: ارتعاشات من البرد، أو الجوع، كَرٍّ "رمز إلى عدد: الكاف: 20، و الزاي: 7، أي في 27 أبريل، والبيت يستخدم المثل العربي القديم: (غرثان فاربكوا له"، يضرب لرجل تكلمه وله شأن يشغله عنك)، جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، ص 82، ج 2

يا طالع السعدِ في جُحِ التَّجاحِ ويا
ويا سَمَاكَ سَمَاءِ المَعْلُوتِ ويا
لَمَّا سَطَعْتُ وما اسْطَعْتُ النُّزُولَ ولا
إنَّ الرجالَ إِذَا جَالَتْ قَرَائِحُهُمْ
فَنَابَتِ (الجِيْمُ) كلَّ مِصْنَعٍ لَسَنِ
وَنَابَنِي "أَلِفٌ" وَبَانَ بِي أَنْفٌ
إِنْ كَانَ ذَلِكَ إِيمَاءً إِلَى صِغَرِي
أَوْ كَانَ رَمْزاً إِلَى عِيِّي فَعَارِضَتِي
أَيْضاً فَإِذَا كُنْتُ مِمَّنْ ضَاءَ ضِئْضُؤُهُمْ
مِمَّنْ لَعَمْرُ أَيْبِكَ إِنَّ فَضْلَهُمْ
مِمَّنْ هُمْ وَلَهُمْ عَلَى الْوَرَى مِنْ
فَكَيْفَ أَرْضَى وَلَنْ أَرْضَى مَدَى أَمَدٍ
وَأَنْ تَعُودَ وَعُودِي نَشْرَ نَشْرِهِمْ
إِنِّي بَقِيَّةُ قَوْمٍ سَارَ سَائِرُهُمْ
إِذْ أَمْنُوهُ وَآمَنُوا بِهِ ذُلًّا
وَهَاجَرُوا عَنْ مَنَازِلِ لَهُمْ هَجَرُوا
تَغْلِي مَرَاجِيلَ حَرْبٍ فِي صُدُورِهِمْ
سَعْيًا بِهِمْ أَدُمَّ قَدْ أُنْعِلْتُ بِدِمَا
كَمْ نَفَرْتُ عَنْهُمْ كَرَّائِهِمْ نَفراً
طَالَ التَّنَاشُدُ فِي ذَاتِ الرِّسُولِ هُمْ
يَحْمُونَ بِيضَ الْهَدَى بِالْبَيْضِ مَانِعَةً

مَنْ لَا أَلِيفَ لَهُ فِي الضَّوِّءِ وَاللَّيْلَا
مَنْ بَاتَ فِي رَأْسِ تَاجِ المَجْدِ إِكْلِيلَا
إِلَّا الصُّعُودَ تَحَاذِبَنَا الْأَقَاوِيلَا
فِي مَعْمَعَانِ المَعَانِي أَدْعُوا قِيَلَا
فَأُفْلِقُوا فِيكَ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلَا
يَأْبَى قَبُولِيهِ أَرْضِي بِهِ إِبِلَا¹
فَالشَّبْلُ فِي مَخْبَرِ كَالِثِ تَهْوِيلَا
تَبْنِي خَبَرَ الْأَحْبَارِ تَطْفِيلَا
حَتَّى تُخَيِّلَ فِي الظُّلُمَاءِ قِنْدِيلَا
شَاعَ الشُّعُوبَ وَقَابَلَ الْقَبَائِلَا
قُلْ لِي أَتُحْصِي الْحَصَا بِالْعَدِّ قُلْ لِي "لَا"
أَنْ لَا تَنَالَ يَدِي مِنْ سَيِّئِهِمْ نِيلَا
عَلَى يَدَيْكَ مَوَاعِدًا أَبَاطِيلَا
فِي نَصْرِ جَدِّكَ إِيوَاءَ وَتَنْوِيلَا
وَزَاوُلُوا فِيهِ تَسْنِينًا وَتَصْقِيلَا
وَجَاهِدُوا مَعَهُ شُعْنًا أَبَائِيلَا
إِنَّ المَرَاجِلَ يَصْلُونَ المَرَاجِيلَا
هَامَ الْأَرَاجِيلِ أَوْ سَعْيًا أَرَاجِيلَا
يُعَاجِلُونَ إِلَى الْغَايَاتِ عَجِيلَا
بَلْ طَابَ طَيْبًا لَهُ فِي الْحُبِّ دَلِيلَا
مِنْ حَائِمِ حَوْلِهِ مِيلَيْنِ أَوْ مِيلَا

¹ إيلًا: يقصد به "الله" كما يدعى في الاسرائليات.

إلى كذا وكذا ما لست تحضره حتى ترى جملاً في السم أو فيلا

قال في تهنئة محمد الصالح (مان) وأم رومان بمولود لهما اسمه المرتضى¹.

{الرملة}

قِيلَ لِي عَنْ أُمِّ رُومَانَ وَمَانَ
قُلْتُ: قَدْ أَوْعَيْتَ آذَانَ الْوَرَى
قُلْتُ: نَاشِدُتْكَ بِاللَّهِ الَّذِي
قَالَ لِي: اللَّهُمَّ إِي حَقًّا نَعَمْ
قَالَ لِي: عَايَنْتُهُ فِي لَمَحَةٍ
قَالَ لِي: أَوَّلَ يَوْمٍ جِئْتُهُ
قُلْتُ: زِدْنِي، زَادَكَ اللَّهُ بِمَا
قَالَ لِي: ثَانِي يَوْمٍ قَدْ أَضَا
قُلْتُ: زِدْنِي مَرَّةً ثَالِثَةً
قُلْتُ: إِي وَهْ، قَالَ: يَأْقُوتَتُهُ
قُلْتُ: إِيهِ، قَالَ: لَكِنْ رَشَاءُ
قُلْتُ: قَدْنِي فَلَقَدْ تَيَمَّمْتَنِي
لَا تَسَلْ عَنْ بُرَحَاءِ الْوَجْدِ كَمْ
مَنْ عَذِيرِي فِي عَذُولٍ وَهَوَى
أَيُّ بُنْيِي وَأُخْيِي بِالَّذِي
وَالَّذِي أَعْهَدُهُ مِنْ أَضْلَعِي
عَطْفَةً مِنْ رَحْمَةٍ مِنْكَ عَلَى
ثُمَّ إِنَّ حَلَيْتَ بَيْنِي وَهَوَى
فَارَقَهُ يَرْقُ سَمَاوَاتِ الْعَالَا

أَنْجَبَا بِالْمُرْتَضَى بَدْرِ الزَّمَانِ
أَيُّ بُشْرَى؟ قَالَ لِي: بَلْ بُشْرِيَانِ
أَوْحَقُّ ذَاكَ أُمِّ مِنْ هَذَيَانِ؟!
قُلْتُ: هَلْ مِنْ حَبْرٍ أَوْ عَنْ عِيَانِ؟
قُلْتُ: صِفْ مَا لَمَحْتُهُ الْمُقْلَتَانِ
غُرَّةً يَسْطَعُ نُورًا كَالْجُمَانِ
زِدْنِي مِنْهُ صَلاَحًا مُسْتَبَانَ
وَجْهَهُ مَا بَيْنَ بُصْرَى وَعُثْمَانَ
قَالَ: هَلْ كُنْتُ سَمِعْتُ الْبَرْهَمَانَ²؟
قُلْتُ: حَقًّا؟ قَالَ: كَانَتْ عِنْدَ مَانَ
أَحْوَرُ الْعَيْنَيْنِ يَرْعَى الْأَفْخُونَ
وَشَعَفَتِ الْقُلُوبَ مِنِّي وَالْجَنَانَ
بَرَحْتُ بِي مِنْ زِيَادَاتِ الْبَيَانِ
فِي ارْزِيَادٍ وَلَجَاجٍ إِلَى الْآنِ
بَيْنَ ثَغْرِ مِنْكَ وَالْبَرْقِ الْيَمَانِ
كُلَّمَا أَلَّ شَجَانِي مَا شَجَانِ
ذَا الْمُعَيَّ بِالْتَنَائِي بِالتَّدَانِ
فِيكَ فَاللَّهُ تَعَالَى الْمُسْتَعَانِ
بِرُقَى الْأَبَاءِ كَلَّا حَيْثُ كَانَ

¹ ضمن المجموعة الشعرية السابقة الذكر.

² أحد الملوك القدامى في الهند، أو زعيم الفرقة الدينية الهندوسية التي يلقب بها إلى الآن بعض فئات المجتمع الهندي. "البرهمانيون"

وَانْكفِهِ بِالْكَافِ وَالصَّادِ أَذَى
 مِنْ حَسُودٍ حَاقِرٍ أَوْ مَآكِرٍ
 وَاحِمِهِ بِالْحَاءِ لِلْقَافِ عَلَى
 مِنْ غُضَالِ الدَّاءِ وَالْحَمَى، وَمَا
 وَبَايَاتِ الْمَثَانِي كُلِّهَا
 مِنْ ذَوَاتِ السُّمِّ مِنْ ذِي فَحَّةٍ
 وَادْعُ يَا اللَّهُمَّ يَا اللَّهُمَّ يَا
 وَادْعُهُ جَلَّ بِأَسْمَاوَاتِهِ¹⁾
 وَتَوَسَّلْ بِالنَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
 وَبِأَوْلَادِهِ لَهُ مِنْ دُرِّ
 وَبِأَصْحَابِهِ وَزَوْجَاتِهِ لَهُ
 وَمِنْ تَابِعَهُمْ فِي سَنَنِ
 بِجُنُودٍ بِجُنَيْدٍ تَأْتِسِي
 وَبِأَحْوَالِ دَوَى الْأَحْوَالِ، لَا
 وَمَا ضَاقَ نِطَاقُ النُّطْقِ عَنْ
 مِنْ أُمُورٍ جَلَّ مُبْدِيهَا عَلَى
 أَنْ يَكُونَ الْمُتَرْضَى خَلْقًا إِلَى
 قَارِنًا فِي ثَامِنِ الْعَامِ لَهُ
 جَامِعًا بَيْنَ اللَّغَى وَالنَّحْوِ فِي
 آخِذًا فِي فَقْهِ سُنِّيٍّ عَلَى
 هَكَذَا بَابًا إِلَى بَابٍ إِلَى
 فَيُعَانِي الضَّبْطَ وَالْحِفْظَ مَعًا
 حَيْثُ تَسْمُو لِحْدِيثِ الْمُصْطَفَى

كُلِّ مُؤَذِّ بِسِنَانٍ أَوْ لِسَانٍ
 مُنْكَرٍ أَوْ سَاحِرٍ ذِي شَنَانٍ
 رَغْمَهَا مِنْ بَاغِتَاتِ الْحَدَثَانِ
 يُتَّقَى مِنْ حُمَةٍ أَوْ يَرْقَانِ
 كُنْ لَهُ تُرْسًا، وَبِالسَّبْعِ الْمَثَانِ
 أَوْ صَيٍّ أَوْ كَشِيشِ الْأَفْعُوانِ
 بَرُّ، يَا رَبَّاهُ أَوْ يَا ذَا الْحَنَانِ
 وَبِأَوْصَافِ الْمَعَانِي وَالْمَعَانِ
 وَبِآلٍ، لَيْتَ لِي مِنْهُمْ يَدَانِ
 كَالدَّرَارِيِّ ثِمَانٍ أَوْ ثَمَانِ
 مِنْ رَزَانٍ أَوْ حَصَانٍ فِي الْحِسَانِ
 سَنَهُ خَيْرُ الْوَرَى لِلثَّقَلَانِ
 مَنْ صَحَا مِنْهُمْ، وَمَنْ لِلْهَيْمَانِ
 تَرَّ⁽²⁾ مِنْهَا جَوْلَانِ الْجِيلَانِ⁽³⁾
 ضِلْعِهِ مِنْ طَوْقٍ هَذَا التَّخْتَحَانِ⁴
 يَدِ جَدِّ الْمُتَرْضَى بِدْرِ الزَّمَانِ
 خُلُقٍ، قُرَّةَ عَيْنٍ الْأَبْوَانِ
 خَلْفَ ظَهْرِ كُلِّ آيَاتِ الْقُرْآنِ
 ضَبْطِ وَزَنِ مَعَ إِتْقَانِ الْمَبَانِ
 رَأْسِ ثَانِي عَشَرَ عَامٍ مِنْهُ بَانَ
 حَيْثُ "لَا إِشْكَالَ" فِيهِ فَاَلْمَعَانِ⁽⁵⁾
 وَهُوَ فِي ذَا كُفْلِهِ كُلُّ مُعَانٍ
 هِمَّةٌ عَلَيَّا بِهِ نَحْوُ الْعَنَانِ

1 حكى الفراء: أعنيك بأسماء الله، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (6/ 2383).

2 لا تَرَّ بمعنى لا سيما، تهذيب اللغة (15/ 235).

3 الجيلاني، فحذف ياء النسب للوزن.

4 التختخان: التختة: الكنة، ويقال: رجل تختاخ، وتختخاني.

5 "لا إشكال" إشارة إلى آخر جملة من مختصر خليل في الفقه المالكي (فلا إشكال)، أي يختم المختصر، فالمعان، أي فيشرع في دراسة فن المعاني أي البلاغة.

بَيْنَمَا أَنْتَ بِهِ تَسْمَعُهُ
زُرُهُ فِي الْوَاوَاتِ⁽¹⁾ مِنْ أَعْوَامِهِ
فِي اِزْدِحَامٍ مِنْ حُصُومٍ لَا يَنِي
وَاقْتِرَاءَاتٍ لِقُرَاءٍ عَلَى
وَإِذَا سَرَّحَ طَرْفَ الْفِكْرِ فِي
هَكَذَا الْمَرْجُوِّ وَالْمَسْئُولِ مِنْ
أَسْأَلِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْأَلَى
قُرَّةَ الْأَعْيُنِ فِي قُرَاتِهَا
وَلِمَنْ أَمَّنَ لِي فِي دَعْوَتِي
هَاؤُمُوهَا فَاقْرُؤُوهَا كَلِمَةً
مِنْ مُعَنَّ بَلْ مُهَنَّ يَعْتَنِي
هَلْ لَهَا مِنْ سَامِعٍ يَفْهَمُ عَنْ
أَوْ لَهَا مِنْ آخِذٍ يَأْخُذُ فِي
وَالسَّلَامَانِ عَلَى الْمُخْتَارِ فِي
مَا جَرَى فِي مُنْتَهَى طَرْفِ التُّهَى

وَهُوَ يَرَوِي عَنْ فُلَانٍ عَنْ فُلَانٍ
لِقَضَاءٍ أَوْ أَدَاءٍ فِي اللِّسَانِ
فِي تَحَرِّيِ الْحَقِّ فِيهِمْ حَيْثُ كَانَ
حَرْفٍ قَارٍ بَانْفِرَادٍ وَاقْتِرَانٍ
بَدَنٍ شَرَحَهُ² لِلْقَدَمَانِ³
رَبَّنَا، وَهُوَ تَمَامُ الْاِمْتِنَانِ
خَصَّصَهُمْ بَيْنَ الْوَرَى بِالْاِسْتِنَانِ
لِي وَلِلْأَمْثَالِ أَهْلِ الْاِفْتِنَانِ
هَذِهِ نَيْلَ الْأَمَانِي وَالْأَمَانِ
أُودِعْتَ سِرَّ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ
بِتَهَانِي أُمَّ رُومَانَ وَمَانَ
سَاجِعِ الْأَيْكَ أَغَارِيدَ الْأَعْنَانِ
هَذِهِ تَرْجِيْعَ رَنَاتِ الْقِيَانِ
آلِهِ فِي صَحْبِهِ فِي كُلِّ آنٍ
رَمَلًا طَرْفُ التَّهَانِي فِي الْعِنَانِ

وهذه تهنئة للشيخ الموفق بن المصطفى بمولود له³:

{مجزوء الرمل}

يَا	حَلِيلِي	دَعَانِي	مَا	دَعَانِي	مَا	دَعَانِي
حَلِيَانِي	وَالْأَعَانِي	لِلْعَوَانِي	فِي	دَعَانِي	فِي	دَعَانِي
إِنَّ	يَوْمَ	فِي	سُرُورِي	قَدْ	رَجَانِي	رَجَانِي
بَيْنَ	رُوحِي	وَالْجَنَانِ	فَاحَ	رُوحَ	كَالْجِنَانِ	كَالْجِنَانِ

1 ومن أمثال العرب قولهم وقع رمضان في الواوات، يريدون أنه جاوز العشرين فلا يذكر إلا بواو العطف، ويشهد بذلك قول محمد بن علي بن منصور بن بسام. فخذ للهُوك في شوال أهبطه ... فإن شهره في الواوات قد وقع الكشكول (329 / 1)

2 للقدمان: أي للقدمين، والشاعر استخدم اللغة التي تعرب المثنى بالالف مطلقاً، انظر شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك ص 70، ج 1.
3 ضمن المجموعة الشعرية المذكورة

مَنْ	نَهَانِي	عَنْ	تَهَانِي	أُمُّ	هَانِي	مَا	نَهَانِي
قُلِدْتُ	نَيْلٌ	الْأَمَانِي	وَهْيَ	فِي	ظِلِّ	الْأَمَانِ	
مَنْ	صُرُوفَاتِ	الزَّمانِ	وَكُدُورَاتِ	بَيْنَ	رَجَعَاتِ	الْقِيَانِ	
فَاسْقَهَا	سِحْرَ	الْبَيَانِ	بَيْنَ	رَقْصِ	بِالْبَنَانِ		
وَشِ	وَشْيَاً	حُسْرُوَانِ ¹	وَأكْسُهَا	إِيَّاهُ	وَانِ		
يَا	عَجِيبَ	اللَّمَعَانِ	وَنَحِيْباً	فِي	الْمَعَانِي		
هَلْ	تَرَى	مِمَّا	أُعَانِي	بُدَا	لِلْمَعَانِ		
لَا	وَلَا	مِنْ	هَذَايَنْ	تَأْخَى	الْفَتَيَانِ		
تِهْ	فُؤَيْقَ	الدَّبْرَانِ	وَاحِلْ	هَدْيِ	"الطَّبْرَانِي" ²		
وَافِرْ	مَقَرَّ	"الْقَيْرَوَانِي"	وَارَقَ	مَرْقَى	غَيْرَ	وَانِ	
وَاعْنِ	عَنْ	أَهْلِ	الْمِثَالِي	وَتُلُوْ	بَعْدَ	بِالْمِثَالِ	
فِي	تُلُوْ	دُونِ	ثَانِي	وَالْيَوَانِيْعِ	الدَّوَانِي		
سَائِحاً	بَيْنَ	الْأَوَانِ	فَهُوَ	مَوْلى	الزَّبْرَقَانِ ³		
تَحْتَ	ظِلِّ	شَبْرَقَانِي	حَلِّ	دِكْرَ	الْيَرَقَانِ		
وَرَقَانِي	مَنْ	رَقَانِي	حُلَّةً	كَالطَّيْلَسَانِ ⁽⁴⁾			
هَآكَ	مِنْ	طَيِّ	لِسَانِي	بَيْنَ	خَزَرَاتِ	حِسَانِ	
نُسِجَتْ	فِي	مَدَحِ	ثَانِي	فَهْيَ	عَيْنُ	الْقَمَرَانِ	
إِنْ	بَدَتْ	فِي	رَانِي	دَهَّآ	وَالْكُلِّ	دَانِي	
أَوْ	تَكُنْ	دُفَّتْ	أَدَانِ	لَمْ	تَكُنْ	مِنْ	تَحْتَحَانِ
فَارْتَشَفَهَا	تَحْتَ	حَانِ					

(1) ثوب خسرواني وخسروي، منسوب إلى خسرو شاه من الأكسرة، أساس البلاغة (1/ 246).

² الدبران: نجم من النجوم القريبة للثريا، ويقصد هنا كناية عن العلو، والمرتبة الرفيعة.³ شبرقاني: من الشبرق: النبات الغض.

(4) الطيلسان والطيلسان ضرب من الأكبيّة، لمحکم والمحيط الأعظم (8/ 435).

وهذه في التشوق إلى الحرمين عام 1360 هـ¹:

{الوافر}

دُوَيْنَكَ هَاتِ بِالْقَمِ وَالْيَدَيْنِ	لَالِ الْمَكْتَنِ أُلُوفَ دَيْنِ
فَقَدْ كَانَ الْوَفَاءُ يَحْقُ حَقًّا	إِذَا كَانَ الْعَرِيمَ غَرَامَ دَيْنِ
وَكَمْ دَعَوَاكَ مُذْ عِشْرِينَ عَامًا	فَمَا لَكَ لَا تُجِيبُ الدَّاعِيَيْنِ
وَمَا لَكَ فِي الْهَوَى الْعُدْرِيَّ عُذْرَ	فَكَيْفَ تُطِيعُ أَمْرَ الْعَاذِلَيْنِ
فَخَلَفَ عَاذِلَيْكَ وَرَاكَ مَا لَمْ	يَكُونَا الْعَاذِلَيْنِ الْعَاذِرَيْنِ
وَأَيْسَ مِنْكَ ذَنْبُكَ يَسْتَرْيَحَا	فَإِنَّ الْيَأْسَ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ
وَخَالَفَ كُلَّ أَمْرٍ لَيْسَ فِيهِ	مُرُورٌ بِالْحَمَى وَالْمَرُوتَيْنِ
وَحُذِّ جِمَرَاتِ قَلْبِكَ وَانْخِذْهَا	جِمَارَكَ حِينَ رَمَى الْجَمْرَتَيْنِ
فَهُنَّ بَنَاتُ شَوْقِ أَبِي قُبَيْسٍ	فَهُنَّ قَرَابَةُ لِّلْمَوْضِعَيْنِ
فَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ مَرَّتْ رِكَابُ	بَحْيِفٍ مِنْ تَرُومِ الرَّامَتَيْنِ
فَتَلَمَّحَ نَارُهُ بِوَرَاءِ غَيْبٍ	فَتَوَهَّمُهُنَّ نَارَ الْعَيْظَتَيْنِ
فَإِذْ كُنْتَ ادَّعَيْتَ هَوَاكَ هَاتِي	فَهَاتِ مِنَ النُّجُومِ الشَّاهِدَيْنِ
وَلَكِنْ لَسْتُ أَقْبِلُ غَيْرَ قَلْبٍ	وَطَرْفٍ هَائِمَيْنِ وَهَامِيَيْنِ
وَحَدَّثْنَا بِمَاجِرِيَاتِ أَنْسٍ	نَصُكُ لَهَا حَرِيرِ الْوَجْنَتَيْنِ
وَلَا نَرْضَى بِشَقِّ الْجَيْبِ إِلَّا	إِذَا انْشَقَّتْ مَرَائِرُ مَرَّتَيْنِ
وَلَا فَوْقَ الْفُوقِ نُفَيْقُ مِنْهَا	بَحِيثُ يُقَالُ حَانَ أَوَانُ حَيْنِ
يُذَكِّرُنَا مَثُولَكَ بَيْنَ هَذَا	وَذَا أَلْفًا خِلَالَ الْكَلِمَتَيْنِ
فَحَيْثُ تَحَذَّنُهُ شَكْلًا وَإِلْفًا	فَجَوَّدَ رَقْمَهُ فِي الرَّقْمَتَيْنِ

¹ ترغيب المشوق، زين الدين محمد الصالح، ص 464

وَأَجْرٍ إِلَى الْعُيُونِ عُيُونٌ عَيْنِي
وَسَلَّ عَنْ سَلْعٍ وَاحِدٌ بِذِكْرِ أُحَدٍ
وَزَمَزِمَ بِاسْمِ زَمَزَمَ وَارَوْ مِنْ مَ
خَلِيلِي إِنْ عَرَضْتَ فَعَرَضَنْ بِي
يُقَدِّدُ بِالْهَوَى قَدًّا نِعَمًا
وَيَفْعَلُ بِي أَفَاعِلُهُ فَيُورِي
فِيغْلِي مَا هُنَاكَ حَيْثُ يَغْلُو
فَعَلَّكَ إِنْ فَعَلْتَ فَإِنْ أَشَارُوا
فَشَاوَرَهُمْ وَبَشَّرَنِي لَدَيْهِمْ
هُنَاكَ أَمِيسُ فِي بُرْدَيْنِ حُوكَا
وَأَقْتَنَصُ السِّيَادَةَ فِي اصْطِيَادِي
وَأَمْسَحُ فِي الثَّرَى بِيَدِي الثُّرَيَّا
وَمَهْمَا زُرْتَ بِالزُّورَاءِ قَوْمًا
فَهَيْكَ وَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ دَارٍ
وَعُضِّ الطَّرْفَ مُخْتَلِسًا وَأَبْصُرْ
وَرَاجِعٌ ثَانِيًا نَظْرًا إِلَيْهَا
وَعَاوِدُ مَرَّةً أُخْرَى وَأُخْرَى
تَرَى عَيْنَ النَّعِيمِ وَأُذُنَ حَيْرٍ
فَيَمِّمُ لِلتَّيْمَمِ مَا تَرَاهُ
وَسَلِّمُ بِالسَّلَامِ عَلَيْكَ وَاقْرَأْ
وَلِلْعَمَرَيْنِ طَرَفَكَ فَاصْرِفْنَهُ
وَسَائِلَ عَنْ شَهِيدِ الدَّارِ عُنْمَا
وَأَجْرٍ إِلَى الْعَقِيقِ عَقِيقَ عَيْنِ
وَبَالِغٌ فِي الْحَيْنِ إِلَى حُنَيْنِ
لَاءِ عَيْنِي يَبْرَهُ النَّصَاحَتَيْنِ
وَحَدَّثَهُمْ بِمَا بَيْنِي وَبَيْنَ
أَدِيمِي دَامِيًا لِلرَّاهِشَيْنِ
بِنَارِ الْوَجْدِ كِلْتَا الْكُلَيْتَيْنِ
مُذَابُ النَّارِ لِلْحُنْدُورَتَيْنِ
إِلَيْكَ وَلَوْ بَعَمْرٍ الْحَاجِبَيْنِ
وَلَوْ بِإِشَارَتَيْنِ بِإِشَارَتَيْنِ
عَلَى نِيرَيْنِ كَانَا نِيرَيْنِ
لِمَنْ يَهْوَى وَأَيْنَ هَوَاهُ أَيْنِ
وَأَتَّخِذُ الْبِطَانَةَ فِي الْبُطَيْنِ
هُمْ خَيْرُ الْوَرَى فِي الْعِيشَتَيْنِ
حَوْتُ لَكَ مُرْسَلًا وَخَلِيفَتَيْنِ
تَرَى بَدْرَ الْهُدَى وَالْكُوكَبَيْنِ
بَجْدٍ غِيلِ الْهَزْبِ وَأَشْبَلَيْنِ
كَذَلِكَ كَرَّتَيْنِ وَكَرَّتَيْنِ
مُحَمَّدًا النَّبِيَّ وَصَاحِبَيْنِ
تَرَاهُ وَصَلَّ ثَمَّتْ رَكْعَتَيْنِ
إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ لِتَشْهَدَيْنِ
وَحَيَّهْمَا بِحَيْرِ نَحِيَّتَيْنِ
نَ ذِي النُّورَيْنِ وَالرَّيْحَانَتَيْنِ

مُجَهَّزٍ جَيْشٍ عُسْرَةٍ حَمَّطَايَا فَيَسَّرُهُ لِيُسْرَى الْعُسْرَيَيْنِ
 وَحَيْثُ أُبَيِّتَ غَيْرَ فَتَى كَرِيمٍ فَحَسْبُكَ أَنْ يَكُونَ أَبَا الْحُسَيْنِ
 هُوَ ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا فَكَمْ عَرَفُوهُ بَيْنَ اللَّامَتَيْنِ
 فَمَا ضَرَّ الْهَيْلَالَ إِذَا تَرَاءَى تَرَاكُمُ - فِي السَّمَاءِ - غَيْمٌ وَعَيْنِ

14 . مُحَمَّدُو يُوسُفُ السُّوكِي:

مُحَمَّدُو يوسُف، شاعر عملاق، من شعراء "كلّ تبورق"، وهو الشاعر الوحيد من كل اسوك الذي تنطبق عليه أوصاف الشاعرية فقط، لأنه لا يعد من العلماء، والبقية كلهم فقهاء، ولغويون، وهذا أكسب شعره خصوصية فنية، وليست له آثار علمية أخرى غير الشعر،¹ وتوفي 1394 هـ²، وله ديوان شعري، درسته، وحققته لنيل درجة الماجستير في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهارز . جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، المغرب، 2012م، ولذلك اخترت له هنا 3 قصائد أراها من معلقاته الرائعة:

قصيدته التي أجاب بها الشيخ العلامة إغلس بن اليماني³، وقد أرسل الأخير إلى كل شباب التوارق، خاصة أبناء كل اسوك قصيدة يعبرهم فيها على ترك التعلم، ويشجع المتعلمين، مطلعها:

حيثما كنت باريًا للبراعة ومليقا للنون مجت براءة

{الطويل}

أما واخوارِ البيضِ يبيضِ القراطسِ	ورقصِ عوالي الحطِ بين الأباخسِ ⁴
وما رَقَ من معني وراق سلاسة	من اللفظِ في طي البطاقِ الأمالسِ
بطاقٌ مؤشاة الحواشي حواشياً	لطائفَ ليست حلفة بالمدانسِ ⁵
لقد ذوب القلب الهوى فأراقه	من العين عيناً مائعاً غير قارسِ ⁶

¹ المرجع السابق، ص 132

² حدثني عن وفاته أحد أقاربه الأخ الأستاذ احمد ابراهيم، في مقابلة أجريتها معه بتمكوتات - شمال مالي، بتاريخ 2011/09/25م

³ المدد الرباني في إرادة من رباني، ديوان الشاعر محمد يوسف، (مخطوط) بحوزة الباحث، وفي بحثي لنيل درجة الماجستير "الشاعر النسقي قراءة وتحقيق لديوان الشاعر محمد يوسف" ص 166

⁴ الأباخس: الأصابع، براعة استهلال رائع من قبل الشاعر، ليشير إلى مناسبة القصيدة، وموضوعها، فهي جواب لقصيدة كما قلت، فهو هنا يحلف بالبيض، التي ليست كل البيض، إنها الصفحات، ورقص مغاير، هو رقص الأقلام فوقها بين الأصابع.

⁵ دنس العرض: دنأ، ويقال: قوم أدناس، ومدانيس.

⁶ القرس البرد، أي مائعا حارا، إشارة إلى دموع الحزن.

فلو سابرَ اللاحُون غَوَرَ اشتياقه
 فبتُ وسفاحُ بنٍ مُقَلَّةٌ شاهدٌ
 وما شافني لا سَجْعُ وَرَقَاءِ سَحْرَةٍ
 ولا راعني عسفُ المطيِّ بِغَزَلَةٍ
 ولا طَرَقْتُنَا فِي البَسَائِسِ فَرَّتْنِي
 بلى طَرَقْتُنَا بِنْتُ قَسٍ فَأَطَرَقَتْ
 متوجَّهٌ تاجُ العُروسِ مُرْصَعًا
 وقد جُلِلَتْ استبرقَ الحسنِ واكتست
 فَحَلَّتْ أَوَارِيَّ الرِّيا ثم وَثَّقَتْ
 وَرَمَتْ رَمِيمَ الوَصْلِ ثُمَّتْ أَكَدَتْ
 هِيئَهُ جَلَوَةُ المحزونِ سلوَةٌ آسِفٍ
 فَمَا هِيَ إِلَّا مُزَّةٌ تَلْفُحُ الحِشَا
 فَكَمْ وَسَمَتْ بالعِيِ أَلْسَنَ سَاسِهَا
 فَإِذَا أَنْشَأَتْ أُطْرُوبَةً مَرْقِسيَّةً
 وقد رُشِحَتْ سَحَرُ البَيَانِ ووُشِحَتْ
 وَحَيْثُ فَخَّصَتْ كُلَّ نَدْبٍ سَرَعَرِ
 تَنَاهَبَهَا مِنَّا شَبَابٌ أَعْزَةٌ
 فَمِنْ بَارِعٍ شَادٍ وَمَمْلٍ وَنَاسِخٍ
 وَمِنْ مُقْبِلٍ مُقْبِلٍ مُقْبِلٍ
 وَمِنْ مُسْتَفِيْقٍ فَائِقٍ مَتْرَمٍ

وقاسوه لم يَقْتَسَهُ مِقْيَاسُ قَائِسٍ¹
 على أَن طَرَفِي سَاهِدٌ غَيْرُ نَاعِسٍ²
 ولا رَسْمُ دَارٍ غُرِيَتْ مِنْ أَوَانِسٍ³
 أَوَاعِسَ مِنْ "تُرْعَى" لَذَاتِ الأَوَاعِسِ⁴
 ولا طَافَ طَيْفٌ مِنْ خَيَالِ البَسَائِسِ⁵
 حِيَاءً وَوَأَفَتْ مِنْ حَبِيبٍ مُؤَانِسٍ
 بِأَيْتَامٍ لُولٍ مِنْ لَالِي القَوَامِسِ
 سَنَى وَثْنَاءً وَارْتَدَتْ كُلُّ وَارِسٍ⁶
 وَشَدَّتْ أَوَاخِيَّ الإِخَا شَدَّ سَائِسٍ
 عَهودًا وَجَدَدَتْ دُرُوسَ المَدَارِسِ
 وَلَكِنهَا فِي القَلْبِ جَذْوَةٌ قَابِسٍ
 وَتَحَلَوْا مَذَاقًا فِي لَغَادِيدِ لَائِسٍ⁷
 حَوَارًا فَأَمْسَى لُكْنَةً غَيْرَ نَابِسٍ⁸
 وَوَأَفَتْ وَكَانَتْ نُزْهَةً لِمَجَالِسِ⁹
 بِفَصْلِ خَطَابٍ رَائِقٍ مُتَجَانِسٍ
 تَمَنَّتْهُ إِلَى العَلِيَاءِ شُمُّ المَعَاطِسِ⁹
 مَيَامَنَ لَيْسُوا طَلْعَةً بِالمَنَاحِسِ
 وَمُضْغٍ وَمَاسِحٍ بِكَفٍ وَلامِسِ
 وَمِنْ عَابَثٍ مُسْتَبْشِرٍ غَيْرِ عَابِسِ
 يُطَرِّبُنَا بِهَا وَنَشْوَانَ مَائِسِ

¹ هذا البيت ساقط من "ب".

² سفاح بن مقلة، كناية عن الدمع.

³ الأواعس: الأرض اللينة ذات الرمل، ترعى: اسم مكان.

⁴ البسائس الأولى: جمع بسيس: الفقر، والأخرى: الترهات، والأباطيل، فرتني: البغي، أو الأمة.

⁵ وارس: نبت أصفر باليمن، تتخذ منه الغمرة للوجه.

⁶ اللوس: الذوق، واللائس: المتذوق.

⁷ نابس: يقال: ما تبس بكلمة: ما تكلم.

⁸ مرقسية: نسبة إلى مرقس، لقب شاعر طائي، اسمه عبد الرحمن، وفي تاج العروس: "مرقص: كمقعد: قرية

بمصر، سميت بأحد الكهان، أو هي بالسین: "رقص"، وتحتل الكلمة المعنيين.

⁹ سرعرع: شاب ناعم.

وَمِنْ قَائِلٍ هَا تِي وَهَاتِ وَهَاتِفٍ
وَمِنْ سَاهِرٍ يِرْتَاضُ لَوْلَا وَمَاهِرٍ
تَحْرِ بِأَيْدِيهِمْ رَوَاعِفُ نُكَّسَا
تَحْنُ إِلَى الْبَارِي بَوَاكِي سُجْدًا
صَوَادِرَ مِنْ فِيحَاءَ لَمْ يَكُ مَاؤُهَا
تَحَالُ إِذَا مَا رَقَّشُوا الرِّقَ رَقَّهِمْ
فَجَارِيَّتُهُمْ فِي إِجْرِيَاءِ إِجَابَةٍ
فَنَارُوا وَثَرْنَا ثَوْرَةً عَنَثِيَّةً
وَوَافُوا كَأَنِّي غُرَّةً فِي جِبَاهِهِمْ
فَأَقْبَلْتُ إِقْبَالَ الْقَبُولِ وَلَمْ أَكُنْ
فَوَطَأْتُهَا قَلْبًا وَطَرْفًا وَجِبْهَةً
فَقُلْتُ لَهَا مِمَّنْ أَمِنْ أَهْلِ بَابِلٍ
فَالَا تَكُونِي مِنْ أَكَارِمِ قَوْمِهِمْ
وَالَا فَأَنْتِ دُرَّةٌ صَدْفِيَّةٌ
فَقَالَتْ أَيْ تَهْذِي أَبِي أَوْ لَمْ تَكُنْ
فَقُلْتُ لَهَا سَبْحَانَ مِنْكِ تَنْسِي
فَقُلْتُ لَهَا أَيْ الْهُوَاجِسِ إِنِّي
فَقَالَتْ لَقَدْ أَعْيَيْتَنِي فَعِ أَنْتَسِبْ
فَقَالَتْ نَمَانِي ابْنُ الْيَمَانِي وَمَنْ تَطْبُ
فَتَّى كَلِمَا قَرَّتْ عَلَى الرِّقِ كَفُّهُ
وَإِنْ شَاءَ إِنْشَاءَ الْقَوَافِي شَاءَ بِهَا

يُرْجِعُهَا رَجْعًا وَجَذْلَانِ رَاقِسٍ¹
يُمَاقِسُ عَنْهَا غَاصَةً فِي الْقَمَامِسِ²
مَسَاطِرَ كَمْ أَرَبْتُ عَلَى شِبْرِ قَائِسِ³
سَجُودَ أَيْلٍ نَاكِسٍ فِي الْكِنَائِسِ
يَغُورُ وَلَا طَرَقَ وَلَا مُتَشَاوِسِ⁴
بَتَائِكَ رَيْشٍ مِنْ حَوَافِي الطَّوَاوِسِ
لَهَا وَتَسَابَقْنَا لِرَهْنِ الْمَقَاوِسِ
وَجَالُوا وَجَلْنَا جَوْلَةً فِي مَجَالِ سِ
سَرَاعًا فَهَبْنِي أَمْتَطِي مَتْنٌ دَاحِسِ⁵
لَأَطْوِي كَشْحًا عَنْ حَبَايَا الدَّسَائِسِ
وَالْإِكْلِيلِ إِجْلَالًا لَهَا بِالْمَدَاوِسِ
أَبِينِي لَنَا أَمْ أَنْتِ مِنْ أَهْلِ فَارِسِ
فَمِنْ كَرَمِهِمْ أَوْ مِنْ بَنَاتِ الْمَرَاقِسِ
ثَوْتُ حَجَجًا مَغْمُوسَةً فِي الْمَغَاطِسِ
بَأَنْسَبِ نَسَابٍ وَأَفْرَسِ فَارِسِ
فَقَالَتْ وَمَنْكَ إِنِّي بِنْتُ هَاجِسِ
أَرَاكِ ابْنَةَ الْوَضَاحِ خَسِ بْنِ حَابِسِ⁶
فَقُلْتُ لَهَا قُولِي يَعْ الْقَوْلَ وَاجِسِي
مَغَارِسُهُ يَطْبُ بِطِيبِ الْمَغَارِسِ
أَقَرَّ لَهُ بِالرِّقِ كُلِّ مُمَارِسِ
بِمُضْمَارِ سَبَقِ كُلِّ قِرْنٍ مَنَافِسِ

¹ راقس: قلب الصاد سينا، أي راقص.

² القمامس: جمع قميس: البحر.

³ الشاعر يصف الأقلام هنا، وخط قومه وصفا رائعا، ويقصد بالرواعف: الأقلام، وفيحاء: الدواة، والباري: تورية إلى الذي يبيري القلم، أي الكاتب نفسه.

⁴ ماء متشاوس: قليل لم تكدر تراه.

⁵ داحس: فرس لقيس بن زهير، ومنه حرب داحس المشهورة، انظر ق: (داحس).

⁶ ابنة الوضاح خس بن حابس هي: هند بنت خس، جاهلية فصيحة، مشهورة باللسن، واللباقة، والأمثال، انظر (الأعلام للزكي.... ص 97، ج 8)، ولذلك يشبهها الشاعر بقصيدة إغلس التي يحاورها في هذا المقطع.

أو استبقتُ فرسانُ علمٍ بلاغةٍ
 إذا ما تحرى القولَ يوماً فثِقَ به
 لقد أنشأتُ في راحتيهِ فردُّهُما
 يسحُ بِنَا قطرُ الندى وبتَ الردى
 هما فاعتبرْ كاسميهما فادرِ ما هُما
 فيمناهُ يُمننا ويُسراهُ يُسرنا
 لئن دَلَّ عن رشدٍ وحَضَّ مُحِرْضًا
 أو ايقَظَ من وِسْناةٍ عَفْوةٍ عَقْلَةٍ
 ولا بدَّعَ فهوَ البدرُ والجهلُ حِنْدَسٌ
 ليَهْنِكَ شقِ النفسِ أنا عُمومةٌ
 فكلُّ عصاميٍّ عتيقٌ مسودٌ
 لنا فكرةٌ صواغةٌ ومَقاولٌ
 حُلقنا نجومًا زينةً لِسَمَا العلى
 فلولا انفتاقُ الصُّبحِ فينا لأَشْرقتْ
 ففأخِرُ بنا مَنْ شئتَ تَفخَرُ بفتيةٍ
 ومارسَ صنديدُ الفُحولِ بأسرِهِم
 فإننا لأُسُّ للعلومِ أساسُها
 ونحْنُ بُرأةٌ لليراعِ رُعاها
 فهوَنُ عليكِ لا تَعْلُ هَمَ درسنا
 فنحنُ فروغٌ مِنْ أُصولٍ تلفقتْ
 حوارسَ للمجدِ التليدِ وإنَّهُم

بميدانها استتلى بها كلَّ فارسٍ
 ولا تبَحْثَنَّ عما تحرى ابنُ عابِسٍ¹
 سحائبُ عشرٍ كم جلتُ بؤسَ بائِسٍ²
 على الودِ والضدِ المعادي المغامِسِ
 إذا اغبرثَ الآفاقُ في فصلِ مَارسٍ
 وإن تكنِ الشُّومى فشؤمُ المداعِسِ³
 على الدرسِ والتدريسِ غيرَ مُدالسِ
 بوعظِ بليغِ كلِّ وِسْناةٍ ناعِسِ
 وفي البدرِ تَمًّا جلوةٌ للحنادِسِ⁴
 لكم غيرُ انكاسٍ ولا بالمتاعِسِ
 سليلُ سُعودٍ لم تكنِ بالمناحِسِ
 مقارِضُ تعنى بارتياضِ الترامِسِ⁵
 رجومًا لأجنادِ الجثي الجواسِسِ
 أشعُنَّا في الجوِ غيرَ طوامِسِ⁶
 فوارسَ تعتادُ افتراسَ الفوارِسِ
 بنا نَجْتَهدُ في إثْرِهِم أو فَنافِسِ
 أَساةٌ لثأِيٍّ ساسةٌ للمدارِسِ
 وُعاةٌ لعهدِها وعهدِ الكرارِسِ
 وعلَّ هَمَ درسِ الأبلهِ المتخارِسِ
 فروعَ أصولٍ من أصولِ حوارِسِ
 همُ الصيدُ إلا أنهم كالمقايِسِ

¹ ابن عابِس، هو امرؤ القيس بن عابِس بن المنذر، بن السمط، قرابة امرئ القيس بن حجر، شاعر، فارس، كِندي، صحابي، شارك في حروب الردة....؟

² في ب، و "ج": براحتيه.

³ المداعِس: المنافس.

⁴ الحندس: المظلم.

⁵ ترمس: حفر ترمسة تحت الأرض، ومن معانيها الجمان.

⁶ طمس الأثر: انمحي.

هُمْ لَقَفُونَا النَحْوَ ثُمْتَ ثَقَفُوا
 فِيا رَبِّ قَدِسْتُهُمْ فَأُورِثْ جَمِيعَهُمْ
 يَطَافُ عَلَيْهِمْ بِالرَّحِيقِ مَسْلَسَلًا
 فَنَادِ إِذَا مَا نَابَكَ الدَّهْرُ مُعْضِلٌ
 فَلِي مُرْهَقَاتُ مَرَعَفَاتُ ضَوَامٍ
 مَرَاقِمُ إِلَّا أَنَّهُنَّ أَرَاقِمُ
 مِنَ الْخَطِّ إِلَّا أَنهَا حَيْثُ أَطْلَقْتُ
 مَرَاضِبُهَا أَشْهَى بِفِي وَإِنَّهَا
 بِهَا فَاسَقْنِي لَا بِالْمَشْعَشَعِ وَارْقَنِي
 وَغَنَ بِهَا آنَسُ بِحَسَنِ صَرِيرِهَا
 بِهَا لَا بِمِفْتَوَلٍ وَلَا بِإِذَاعَةٍ
 نُبَاهِي بِهَا إِذَا كَانَ التَّبَاهِي وَنَزْدَهِي
 كَذَلِكَ لَوْ لَمْ نَعْتَرِبْ لَمْ تَذُرْ عَلَيَّ
 وَلَمْ تَذُرْ أَنَا لَمْ نَكُنْ مِنْ جَلَامِدٍ
 فَمَا إِنْ تَغَرَّبْنَا لَنَشْرِي بِضَاعَةً
 لَنَا أَسْوَةً فِي الْمَاءِ يَأْسُنُ رَاكِدًا
 فَمَا ضَرَرْنَا أَنَا نَسِيرُ وَكَسْبُنَا
 فِيا رَبِّ جَاثٍ قَدْ جَثَّ عَنْهُ لَا جَنَّتْ
 أَلَمْ يَكُ مَنَشَانَا وَمَنَشَا جُدُودِنَا
 نُقَاتِلُهُمْ فِي اللَّهِ وَاللَّهُ نَاصِرٌ
 فَإِذَا أَسْلَمُوا لِلَّهِ وَاسْتَسْلَمُوا لَهُ

خَوَاطِرُنَا قَبْلَ التِّيَاثِ الْمَلَابِسِ¹
 حَظِيرَةٌ قُدْسٍ فِي أَعَالِي الْفَرَادِسِ
 وَتَضْفُو عَلَيْهِمْ خِلْعَةً مِنْ سَنَادِسِ
 أَجْنَبِكَ فَجُلُّ الْمُعْضَلَاتِ فَرَائِسِي
 إِلَى النَّصْرِ فِي الْآتِي وَيَوْمِي وَأَمْسِي
 نَوَاقِشُ إِلَّا أَنَّهُنَّ نَوَاقِيسِي
 مَضَّتْ هَلْ رَأَيْتَ الشَّمْسَ غَيْرَ شَوَامِسِ
 لَأَشْفَى لِعِلَاقِي فَهِنَّ أَوَانِسِي
 بِهَا فِيهَا أَرْقِيكَ مِنْ نَفْسٍ نَافِسِ
 وَهَيْنِمُ بِمَا تُثْمَلِي مَلِيًّا وَهَامِسِ
 وَلَا بَكُوتِشٍ وَاشْتِمَالِ الْبَرَانِسِ
 بِهَا وَبِمَنْسُوقَاتِهَا لَا الطَّنَافِسِ²
 حَمَانَا دَوَائِرُ الدُّهُورِ الدَّهَارِسِ³
 جَوَامِدَ لِأَوَاءِ السَّنِينِ الْحَرَامِسِ⁴
 وَلَكِنْ لَنَشْرِ الْحَمْدِ بِالْمَتَنَافِسِ
 وَيَضْفُو وَيَضْفُو جَارِيًّا فِي الْقَلَا قِسِ
 تَثِيرٌ عَلَى الْمُعْتَرِ وَالْمَتَبَائِسِ
 عَلَيْكَ خِلَالَ الدَّوْرِ هِنْدُ الْأَحَامِسِ⁵
 بِأَمِ الْقُرَى نَقْرِي الْعِدَا بِالْتَرَامِسِ⁶
 فَتَخْتَطِفُ الْهَامَاتِ تَحْتَ الْقَلَانِسِ
 وَتُكْسِتُ الْأَنْصَابُ بَيْنَ الْكِنَائِسِ

¹ التِّيَاثِ الْمَلَابِسِ: ارتدأوها، كناية عن الطفولة المبكرة.

² الطَّنَافِسِ: الطَّنَفْسِ: البساط، أو النمرقة فوق الرحل.

³ الدَّهَارِسِ: الدَّوَاهِي.

⁴ الْحَرَامِسِ: سنون حرامس: شداد.

⁵ هِنْدُ الْأَحَامِسِ: الدَّاهِيَّة، أو الموت.

⁶ التَّرَمَسِ: شجر له حب، مضع، محرز، جمعه ترامس، والترمسة: الحفرة، "العين للخليل، رمس".

جمعنا جُموعًا واكْتَتَبْنَا كِتَابًا
 فلما استكانَ الغربُ للحقِّ وازعوى
 فإن كانَ لا بُدَّ انتسابٍ لبلدٍ
 ولكن أطعنا ما استطعنا وهل يني
 فَمَنْ يَسْتَثِرُ في فعلٍ أَمْرَكَ مضمراً
 فلا زلتَ بدرًا طالعا يُهتدى بهِ
 تُساقُ إلينا مِنْ لَدُنْكَ أناشِدُ
 فهَاكَ اغتَبِقْ عُصَارَةَ الفِكرِ تَغْتَبِقُ
 وهَاكَ ابْنَةُ الأعمامِ تسبي ذَوِي النُّهى
 فإِما جَفَتْ لا كانَ ذلكَ أَوْ هَفَتْ
 تُودِي نَحَايا مِنْ وديِدٍ مُحاورٍ
 غَرائِسَ جناتِ الصَّلَاةِ تَطْلَعَتْ
 مع الآلِ والصَّحبِ الأفاضلِ ما انتهتْ

إلى الغربِ بُسْلاً لم تكن بالقنَاسِ¹
 أقمنا عزيزَ بين هاتِي النسَانِسِ²
 لنا فليتلِّكْ لا لهذِي الأَوَاعِيسِ³
 إطاعةً مِطووعٍ سواءِ القَنَاطِيسِ⁴
 يَكُنْ فعلَ هادٍ واسمَ مفعولٍ حارسِ
 وبحراً خِضْماً لافْظاً بالنَّفائِسِ
 إذا أنشدتْ زادتْ جُنودَ الوَساوِسِ
 بسحرٍ حلالٍ في فتاوى العبايسِ
 وتُصِبي الحليمَ بالحديثِ الخُلايسِ⁴
 فعن غيرِ قصدٍ فاعفُ عنها ودارسِ
 حوارَ المصافي لا المماري الممارِسِ
 لِطَةِ وتسليمٍ جَنّا قِي الغرائِسِ
 ومَتَّ قوافٍ جُلَلْتُ بالسَّنّا بـ"س"

قال في آخر حياته، يشكو نفسه إلى شيخه⁵:

{الكامل}

حَسَرَ الشَّبَابُ قِناعَهُ عن راسِي
 والشَّيْبُ مَرَدَعُهُ القَتَى وبِياضِهِ
 فبَقَدِرٍ وَخَطِ الشَّيْبِ شَحْطُ شَبِيبَةٍ
 فَرَسَى بِهِ وَضَحُ المشيبِ الرَّاسِي⁶
 مَسْكُ الخِتَامِ لوصلِ كِلِ خُمَاسِ
 وبشَحْطِها شَحْطُ الدُّمَى الأَشْماسِ

¹ القنَاس: قد تكون جمع مقنَسنس: متأخر، متراجع.

² النسَانِس: خلق يثب أحدهم على رجل واحدة، وقيل: قوم عاد، أو ياجوج، ومأجوج. "ق".

³ القَنَاطِيس: جمع فنطيس، وهو الرجل اللئيم.

⁴ الحديث الخلابس: الرقيق، والكذب.

⁵ المدد الرباني في إرادة من رباني، ديوان الشاعر مجبو يوسف، وفي بحث الماستر المذكور، ص 172

⁶ الراسي الأخيرة من رسا الجبل رسوا، فهو راس.... تمكن، وتثبت.

يا من عَذِيرِي مِنْ بِياضِ طَارِيٍّ
 أَسْتَلُّهُ بِعَوَارِضِي أَجْتَثُهُ
 لَكِنْ أَبَى إِلَّا الشُّمُولَ فَإِنَّمَا
 صُبْحُ تَنْفَسٍ فِي دُجْنَةِ لَيْلَةٍ
 زَهْرٌ ثَوَاقِبُ زَنْةٍ لِسَمَا الْهَدَى
 نَاعٍ نَعَى عَصَرَ الشَّبِيبَةِ صَارِحًا
 وَدَعَا وَحَيْعَلٌ لِلْهَدَى وَلَكُمْ دَعَا
 فَتَنَبَهْتُ مِنْ غَفْوَةٍ مِنْ غَفْلَةٍ
 فَجَزَعْتُ عَمَّا أَسْرَفْتُ نَفْسِي وَعَنْ
 فَجَثَّتُهَا وَقُلْتُ لَهَا أَصْدُفِي
 فَلَقَدْ أُنَى لَكَ نَفْسُ أَنْ تَتَرَفَّلِي
 وَالْآنَ آنَ أَوَّانُ أَنْ تَسْتَقْبِسِي
 فِرْنِي لَنَا حَقَّ انْقِيَادٍ حِينَ إِذْ
 أَيَّانَ أَتْبَعُ اتِّبَاعَ الظِّلِّ لِلَّ
 أَيَّامٍ أَتْبَعُ الْهَوَى فَيَقُودُنِي
 يَنْبِي الصَّبَا كَمَا تَنْبِي الصَّبَا
 إِذَا كَلَنْ حَوْبُ الشَّهْرِ شَهْرِي الْيَوْمُ يَوْمُ
 فَكَأَنَّمَا لَمْ يَذَرِ بِي فَيَدُورُ بِي
 قَالَتْ تَصَابَ فَلَاتَ حِينَ تَبْتَلِ
 أَتَبْتَلَا وَالسِّنُّ سُنُّ سَرَعَرِ
 مَا الشَّيْبُ إِلَّا غُرَّةٌ لِمَاعَةٍ
 لَا هَمَّ إِلَّا أَنْ يَشِيعَ فَإِنْ يَشِيعُ
 أَوْ لَمْ تَخْضُ فِي اللِّهْوِ إِلَّا خَمْسَةٌ
 وَالْغَيْرُ حَظٌّ لِلطُّفُولَةِ فَاضْرَبْنِ

بِعَذَارِي الْمُخْضَرِّ هَلْ مِنْ آسٍ
 بِمَقَارِضِي أَقْتَصُّهُ بِمَوَاسٍ¹
 قَصِي وَتَقْرَاضِي لَهُ كَغَرَّاسِي
 مَسْعُودَةٍ لَيْسَتْ مِنَ الْأَنْحَاسِ
 رَجْمًا لِشَيْطَانِ الْهَوَى الْوَسْوَاسِ
 وَاحْسَرْتَا فَتَصَعَّدَتْ أَنْفَاسِي
 نَاسًا فَلَبِي النَّاسُ إِلَّا النَّاسِي
 فِي لَيْلَةٍ مِنْ وَبَلَةٍ أَجْنَسِ
 مَا أَسْلَفْتُ فِي سَالِفِ الْآمَاسِ
 عَنْ طَوْلِ مَا عَنِي وَطَوْلِ نُعَاسِ
 تَرْفِيلٍ مُقْتَصِدٍ بِخَيْرِ لِبَاسِ
 مِنْ كُلِّ بَرٍّ أَيْمًا مِقْبَاسِ
 تَرْدِينَ بِي فِي اللِّهْوِ بِالْقُسْطَاسِ
 إِذْوَءٍ إِذْوَءِ اللِّهْوِ وَالْإِينَاسِ
 وَأَقُودُهُ هُوَ أَيْمًا مِمْتَاسِ
 رَأَدَ الضَّحَى أَعْطَافَ عَطْفِي الْآسِ
 مِي اللَّمُخِّ لَحْيِ الْوَشْكَ وَشَكَّ خِلَاسِ
 رَيْبُ الزَّمَانِ الْكَالِحِ الْعَبَاسِ
 مَا فِي التَّصَابِي لِلْفَتَى مِنْ بَاسِ
 إِنْ التَّبْتَلِ مِنْ كِبَارِ أُنَاسِ
 تَأْبِي الشَّبَابَ الْغَضَّ مِنَ الْإِبَاسِ
 فَهُوَ النِّهَايَةُ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسِ
 مَضْرُوبَةٌ فِي خَمْسَةِ أَخْمَاسِ
 زِيدَا لَنَا الْأَخْمَاسَ فِي الْأَسْدَاسِ

¹ مَوَاسِي جَمْعُ مَوْسَى: الْمَدِينَةُ.

قلتُ المركَّبُ منهما هَؤُلَ وَلَا
 قلتُ فَرُبُّكَ ذُو الْإِلَى فَالْعَبَّ وَلَا
 قلتُ الْإِلَى أَوْلَى بِهَا الْمَعْزَى بِهَا
 قلتُ أَهْلًا هَلْ خَابَ مِنْسُكَ نَاسُكَ
 قلتُ اخْسِئِي أَتُكَافِي الْإِنْسَانَ وَالـ
 أَوْ بَعْدَ مَا أَلْبَسْتُ أَبْيَضَ نَاصِعًا
 وَجَنِي تَوَالِي طُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا
 فَتَشَعُّتُوا وَتَشْمَطُوا وَتَدْلُفُوا
 وَتَحْزُمُوا بِالْحَزْمِ ثُمَّ تَمْسُكُوا
 وَمَضَّتْ عِزَائِمُهُمْ بِهِمْ فَتَوَاتَبُوا
 أَرْجُو وَأَمْلُ أَنْ أَرَى مُتَرَعِّعًا
 كَلَا وَمَنْ نَعَتِ الدُّنَا بَدْنَاءَةً
 قَالَتْ فَالِقِ لِي الْأَعْنَةَ سَاعَةً
 فَلَا شَكُونَكَ خَاشِعًا مُتَضَرِّعًا
 غَوْتُ غِيَاثُ مُسْتَغَاثُ شَافِعُ
 فَعَسَى يَطْبُكَ وَالْفَوَادُ فَإِنَّهُ
 وَاقٍ لَدُنْ وَاقٍ الْوَفَا وَصَفَى لَنَا
 يَا غَوْتُ تَوْقِيَّةٍ وَتَرْقِيَّةٍ وَتَصَفِ
 فَلَأَنْتَ الْمُرْتَجَى وَمَنْ ارْتَجَى
 وَلَأَنْتَ تُؤْتِي مَنْ أَتَاكَ مُصَافِيًا
 وَلَأَنْتَ رَأَى حَالَ تَفْسِرَتِي وَلَا
 وَلَأَنْتَ تَكْسُو النَّاسَ أَكْسِيَّةَ الثُّقَى
 وَلَأَنْتَ إِمَّا ارْتَاخَ أَهْلُ مَدَارِسِ

تَقْوَى قَوَى الْأَقْوَى لَهُ لِمَسَاسٍ¹
 تَكُ مِنْ إِلَّا مَوْلَاكَ بِالْمَتَاسِ
 مِنْ مُعْتَدٍ مَتَأْتِمٍ نَعَاسِ
 إِنْ تَابَ يَدْعُبُ يَا لَ أَهْلِ قِيَاسِ
 إِبْسَاسَ بِالْإِيْحَاشِ وَالْإِبْلَاسِ
 مِثْلَ الثَّغَامَةِ أَيْمًا إِبْسَاسِ
 يَاللِّصْبَا الْأَتْرَابِ كَالْأَقْوَاسِ
 مَتَوَكِّئِينَ عَلَى هَرَاوَى الْآسِ
 فِي النَّسِكِ بِالتَّأْوِيهِ وَالْإِغْلَاسِ
 فِي فَخٍ وَسَوَاسِ الْهَوَى الْخَنَاسِ
 أَوْتَى بِمِرْقَصَةٍ بِأَهْنَأِ كَاسِ
 وَبِضْدِهَا الْأُخْرَى لِأَشْرَفِ نَاسِ²
 سَوْعَاءَ قُلْتُ الْآنَ حَقَّ شِمَاسِ
 مَتَمَطِيًّا صِدْقًا إِلَى إِيَّاسِ
 وَمُشَفِّعٌ فِي النَّاسِ وَالنَّسْنَاسِ
 حَسْبِي وَحَقَّ الْحَقِّ مِنْ نُسْطَاسِ³
 حَقَّ الصِّفَا صَفَى مِنَ الْأَدْنَاسِ
 فِيهِ وَتَنْقِيَّةٍ مِنَ الْأَرْجَاسِ
 غَوْتُا يَكُنْ أَرْوَى وَأَهْنَأُ حَاسِ
 وَفَقَّ الْمَنَى وَأَنَا الْأَتِيُّ فَوَاسِ
 يُخْفَاكَ مَا قَدْ أَشْتَكِي وَأُقَاسِي
 يَا نَعَمَ أَكْسِيَّةً وَنَعَمَ الْكَاسِي
 لِلدَّرْسِ نَعَمَ الْحَسْبُ مِنْ أَدْرَاسِ

¹ هول: يعني ضرب الهاء التي تعني 5، في الواو التي تعني 6، فيساوي ذلك: اللام التي تعني: 30، أي عمر الشاعر أوان قرض القصيدة 30 سنة.

² من البيت التالي إلى آخر القصيدة ساقط من "ب"، و"ج".

³ النسطاس: بالرومية عالم بالطب.

ولأنت نِعَم الرِّدءِ نِعَم الكهفِ نع
ولأنت ظلُّ الناسِ غيثُ الناسِ غو
فتلافني قبلَ التَّلافِ فإنَّ لي
لكنَّ أبتَ إلا الوَني ما استنهضتَ
فكأنَّما حاولتُ إذ حاولت أن
إن رمتُ إحياءَ لأية ليلة
أو رُمْتُ أن أتَعلمنَ تعلَّلتُ
أو رمتُ أكرعُ في ندى ندواتِكُم
أو رمتُ أركعُ زخرفتُ عَرَضَ الدُّنَا
تُعنى بأكداسِ العروضِ وجميعها
أو رُمْتُ غَضًا دونَ جفوةٍ وامقٍ
أو رمتُ أن أصِلَ القِرابَةَ أحجمتُ
هذا إلى أن أَيْبَسْتُ من يَيننا
أو رمتُ أرتقُ فَنَقَّ فاقَةَ معتفٍ
ضنيتُ وضنتُ ضنَّةً بل أوجستُ
أو رمتُ إلمامًا بحضرتِكُم أبتُ
ألا تَرى آراءَها ورياءَها
أو ما دَرَّتْ أَنَّ التَّواري من ورآ
وجوارحي ذاتُ ارتضيتُ جَوارحي
فالعينُ جامدةُ الشُّؤنِ ومَقُولي
والكفُّ عن كفِّ الأذى كَفْتُ وما
والأنفُ في أنفي وساقِي ما سَعَتْ
وكفى بهذي السَّبعِ سَبعا ضارياً
بل أرقمًا صلاً يُساوُرُ تافئًا

م الدرْعُ نِعَم الحصنِ نِعَم الآسِ
تُ الناسِ ملجأُ الناسِ مَنجَا الناسِ
نفسًا أمارسُها وأيِّ مِراسِ
إلا ولجتُ في صُنفٍ شِراسِ
تذرَ الوَني والكِبْرُ قلعُ رواسِ
اثاقلتُ كجِبلةِ الأنكاسِ
وتوغلتُ في الجهلِ بالإفلاسِ
أغرَّتْ إلى الإغوارِ والإجلاسِ
ورنَّتْ إلى أجناسِها الأُرجاسِ
ما هكذا الإقداسُ بالأكداسِ
عضتُ على الإيذاء بالأضراسِ
وأبتُ سواءَ قطيعةٍ وعكاسِ
أرضًا ولا أرضى بذَا الإيباسِ
أو مُملقٍ أَشْفَى على الإتعاسِ
أن لا فِيا للغوْثِ من إيجاسِ
إلا التَّواري مِنْ ورآ الجُّلاسِ
وبناءَها عن كُلِّ فِعْلٍ فَاسٍ¹
فوراء لا يُجْدي من الإقداسِ
وجريخُ جارحةٍ أحقُّ بآسِ
في اللغوِ أمهرُ في ضُروبِ قَماسِ
فَكِي بمكفوفٍ عن الأُجْراسِ
إلا عَثَّتْ والأذُنُ في الإحساسِ
ضرما ينوشُ ضرواءَ بِضِرَاسِ
فيثورُ ثورَةً ضَيِّعُم فَراسِ

¹ أي فاسد... ترخيم الضرورة.

أعجبَ بها أعدى العواذِ والعِدَا
أزفو وأزْتَقُ وَهْيَ تَفْتَقُ أَرْتَقِي
أبني فتهدمُ ما ابْتَنَيْتُ وَإِنَّمَا
مِثْلِي كَمِثْلِ مُعَلِّقِ شَنْقًا بِهَا
أَوْ مُغْرَقِ يَطْفُو وَيَرْسُبُ مَرَّةً
أَوْ هَائِمِ صَادٍ بِلَقْعَةٍ رَأَى
لَوْلَا الرَّجَا مِنْ رَحْمَةِ الْمَوْلَى لَمَا
فَبِهِ عَلَا ثِقْتِي عَلَى ثِقْتِي بَمَنْ
فَبِحَقِّ حَقِّكَ نَجْنِي ثُمَّ انْجُ بِي
كَنْ مُؤْنَسِي أَيَانَ أَنْقَلُ مَيِّتًا
كَنْ مَقُولًا لِي حِينَ أُسْأَلُ مَنْ وَمَنْ
كَنْ مَأْمَنًا لِي يَوْمَ أُحْشَرُ لَا أَكُنْ
أَنِي الْهُوِي وَإِنِّي بَكَ مُقْتَدٍ
هَذَا وَمَا أَرْتَجِي التَّصْرِيحُ بِالْ
لَا زِلْتَ مَرْجُوًّا وَمُسْعَفَ مَرْتَجٍ
لَا زِلْتَ مَحْمِي الْحَمَى وَمُحَامِيًّا
لَا زِلْتَ مَرْضِيًّا عَلَيْهِ وَمَرْضِيًّا
لَا زِلْتَ مَأْمُولًا وَمُتَحَفَ آمَلٍ
لَا زِلْتَ مُعْتَمِدًا وَعُغْمَدَةً عَامِدٍ
لَا زِلْتَ مَأْتِي الْوَصِيدِ مُوَاتِيًّا
لَا زِلْتَ مُسْتَعْنَى بِهَمَّتِكَ الَّتِي
زَجَيْتُهَا مِنْ كَامِلٍ فَلِكَامِلٍ

لكنها من أنفسي الأنفاسِ
درجا فتزلق للحضيضِ مداسِ
تأتي الموسس من سفيلِ أساسِ
وية بواهية العرى أُمَرَّاسِي
أخرى يمد يدا إلى الغطاسِ
طَمَعًا بِوَمُضَةٍ بَارِقِ رَجَاسِ
قيس الذي قايسْتُ بالمقياسِ
أسرى وبعده إلى إلياسِ
فورًا لخير مُنَادِمٍ وَمَحَاسِ
مستوحشًا من وحشة الدِّيمَاسِ¹
وضيًا تَضَاعَفَ عَنْ ضِيَا النِّيرَاسِ
مَنْ هُوَ وَائِي هُوَةَ الْإِلْبَاسِ
أَوْ ضَلَّةً وَيَهْدِيهِ اسْتِقْبَاسِي
إِنْقَاذٍ وَالتَّأْمِينِ وَالْإِينَاسِ
لَا خَبْتَ إِلَّا خَبِيتَ سَعِي جِنَاسِ
عَنَا وَمَحْمِيَا مِنْ النَّقَاسِ
مُسْتَرْضِيًّا بِمُرْقَشِ الْأَطْرَاسِ²
بِتَرَابَعٍ صَيْغَتْ مِنْ الْأَنْقَاسِ
مُتَعَمِّدٍ وَمَحْطَةً الْأَحْلَاسِ
حَقَّ الْإِتَاوِي الَّذِي أَسْدَى سِ³
عَلَيْتَ عَنِ الْأُمْدَادِ وَالْأَثْرَاسِ
تُرْجَى مَتَاجِرُ كَامِلٍ لِيُوَاسِي

¹ الدِّيمَاس: الكن، والحمام كما في القاموس، ويقال: لسجن الحجاج لظلمته، ويرمز به الشاعر هنا للقبر، و"الأدموس" والدامس" الليل المظلم، ودمسه دفنه حيا كان أو ميتا

² الطرس بالكسر: الصحيفة، أو التي محيت، ثم كتبت، والمرقش: المزخرف، أي: الصحيفة المزينة بالوان الخطوط، ويقصد بها الشاعر قصيدته.

³ يقصد نفسه، حين أهدى هذه "القصيدة السينية"، وأشار إلى رويها "س"، مجازا من باب إطلاق الجزء، وإرادة الكل.

وجزأك أن أو لم أتم جزائه
رُجعى ومالي قُرْبَةً أرجو بها
إلا الشفاعة والصلاة منوطة
عنا الذي أدراك دَرءُ الياس
بعد الرجا قربي ومترع كاس
بقريتها من أنفسي الأنفاس

(إنجاز المنتضى في إعجاز المرتضى)

هذه آخر قصيدة رد فيها على الشاعر المرتضى، كما سبق، ولم يجب عليها فتوقفت

المشاعرة، والمبارزة الشعرية بينهما¹:

(الطويل)

بُدُورٌ بِدُورٍ أَمْ رِثَاءٌ تَوَالُعُ	بُرُوقٌ بِرُوقٍ أَمْ شُمُوسٌ طَوَالُعُ ²
مَنْ أَيْنَهُ مَنْ أَيْنَ لِلْبُدُورِ وَلِلْمَهَى	لَمْ يَمْ وَمِنْ أَيْنَ لِلْبُرُوقِ الْبِرَاقُ
نَعَمْ وَمَتَى نِيَطَتْ شُمُوسٌ بِحَلِيَةٍ	وَمِيَطَتْ بِهَا فَوْقَ الْحَقَائِقِ الْوَشَائِعُ ³
فَهَاتِيكَ هَيْفٌ قَدْ أَوْتَهْنَ حَجَّةً	مَرَابِعُ لَيْسَ الْيَوْمَ فِيهِنَّ رَابِعُ
مَرَابِعُ ظَلَّتْ الْيَوْمَ فِيهِنَّ سَائِلًا	وَكَيْفَ تُجِيبُ السَّائِلِينَ الْمَرَابِعُ
بَلَاقِعُ إِلَّا أَنْهَنْ مَلَاعِبُ	مَلَاعِبُ إِلَّا أَنْهَنْ بَلَاقِعُ ⁴
فَاطْلَاهَا مَطْلُولَةٌ وَجَدَارُهَا	جَدِيرٌ بَأَنْ تُدْمَى عَلَيْهِ الْمَدَامِعُ
تَبَسُّمٌ عَنْ ثَغْرِ النَّدَى كُلِّ ثَرَةٍ	بَهْنٌ وَتَبْكِي مَا ارْتَجَزْنَ الْمَصَاقِعُ ⁵
كَأَنَّ هَزِيرَ الرِّيحِ بَيْنَ حُصُونِهَا	أَهَازِيحُ جِنْ أَرْعَجَتْهَا الْجَعَاغُ ⁶

¹ المدد الرباني في إرادة من رباني، ديوان الشاعر مجبو يوسف، وفي بحث الماستر المذكور، ص 176

² أتلتعظ الطبية إذا مدت عنقها، والروق: جمع رواق كأروقة، ومعنى البيت: هل ما أراه في الدور، بدور، أم رثاء توالع، وهل ما في الأروقة بروق، أم شمس طوالع، وهذا من باب تجاهل العارف، إذ يوحي الشاعر إلى "نساء" يشبههن ضمنيا بالبدور إشراقا، وبالرثاء أعناقاً، وثرهن بالبروق، ووجههن بالشموس.

³ الوشائع: جمع وشيعة، وتدل على عدة معان، منها علم الثوب، وكل لفيفة من القطن الموشع، وخشبة يلقي عليها ألوان الغزل، والمقصود هنا علم الثوب فيما يبدو.

⁴ البلاقع: جمع بلقع: القفر.

⁵ ثر: غزر، وكثر، يقال: بئر ثارة، وثره.

⁶ الجعاجع: جمع الجمل: اشتد هديره.

وبدلن منها الفور وهي أقاطع¹
وتسجع فيهن الحمام السواجع
ونحث هوى والدمع هام وهامع
بقيعانها البيض الحسان الخراوع²
فنسي وأما ذكرهن فواقع³
كما حف بالبدري الداربي الضواجع
كما مال غصن ناعم متتابع
بماء سحاب أحرزته المواقع⁴
بناجودها دارت عليها الفقايع⁵
شهى اللمى أزعج أبلج بارع
عناجيج أوقدت إليه الهلاوع⁶
إذا غردت قبل العطاس الصواقع
تلملئ بثا كلما غط هاجع⁷
ورنت كما رن القسي النوازع
وسالت بأعناق المطي الأجارع⁸
ومسرح ألحوب وآخر سافع
بنانته الميزنات اليسارع⁹
عليك فقلت لي متى أنت راجع¹⁰

سلبن بها أيدي الليالي لياليًا
تجول بها الآجال وهي جوازي
تناوحن حبرة ولم تذر عبرة
نشدت بها قلبًا أسيا أضعنه
فواقع حذل السوق أما سلوها
تحف بجماء المرافق رخصة
تمايل إن رامت تقوم لطافة
وما مرة من تجر عانة صفت
أدير فلما أن أديرت وعقت
يطوف بها أحوى أحمر متوم
إذا قيل هاتوا سيمه سلموا له
بأطيب من فيها مذاقا ونكهة
وما خاذل وهى على شق نفسها
إذا جن عنها الليل جنت ورنحت
بأوجد مني إذ تولت خدوهم
تولت وهم ما بين حاد وحادج
فألوت برخص غير شش كأمما
فقلت سلام قلت "إن" ومثله

¹ اللبالي الأولى: جمع ليلي اسم امرأة، والثانية جمع ليل.

² الخروع، والخروعة: المرأة الفاجرة، والناعمة.

³ الفواقع الأولى جمع فاقع: اللون الصافي، الخذل: الممتلئ التام، يقال: ساق خذلة.

⁴ مزنة: خمرة.

⁵ الناجود: الخمر، وإناء تصفى فيه، وهو المقصود هنا، الفقايع: جمع فقاعة: نفاخات ترتفع على سطح الماء، والشراب.

⁶ العناجيج: جمع عنجوج وهو الرائع من الخيل، الهلاوع: شديدة السرعة، والعناج: زمام البعير، أو حبل يشد تحت الدلو.

⁷ خازل: من أخزلت الطيبة، ونحوها: أقامت على ولدها.

⁸ الأجارع: جمع الأجرع: الأرض ذات الحزونة، تشاكل الرمل، أو الدعص.

⁹ يرنا: صيغ باليرنا: الحناء أو مثلها، الأسارع: دود بيض حمر الرؤوس، تشبه بها أصابع النساء عند الجاهليين.

¹⁰ إن: هنا بمعنى نعم، بها خرج البعض قراءة "إن هذان لساحران"، إملاء ما من به الرحمن في إعراب القرآن، للعكبري....؟

فقلتُ لها والله ما مِنْ مُسافرٍ
فقلتُ رعاكَ اللهُ راعٍ عهدنا
فقلتُ لها يا عَمْرِكَ اللهُ إِنِّي
فلما أَتَتْ تُرعى وموزَنَ دونهم
حَسَرْتُ قِناعَ الهَمِّ عني بدْعَلِبٍ
تَحُبُّ كما حَبَّ السَرابُ بِقِيعَةٍ
تَرَبَّعتُ الِيعْفورَ ثُمَّ تَتَبَعْتُ
فشادتُ نَعاشيبُ الِيعاضيدِ تامِكًا
فإِذْ غُيَضَ المستنقعاتُ وغُورَتْ
وغُودِرَتْ العُدرانُ مَرْدَى سَمائِمِ
شَقَقْتُ بها شَقَّ الفَلا بِنَجِيَةٍ
فبَيننا أُساري الركبِ إِذْ قالَ قائلٌ
فقلتُ بِحسبي غَلِسوا أو فَعَرِسُوا
فَئِي لَفَ نَشَرَ الدينِ شَرَحًا ولمه
ونَوَاهُ ما نَوَاهُ طَرَفٌ وَجِبْهَةٌ
يَجْزِي بَينَ اثْنينِ آناءَ ليلِهِ
يَظُلُّ ويُمسي راقِيًا ومُرقِعًا
ضَرِيٌّ على لَحْمِ العِدَى مُتَضَرِّعٌ
وتَحْتِ مطاوي دِرْعِهِ لِيثٌ غَابَةٍ

يسيرُ ويدري ما به اللهُ صانعُ
وصُنْ إِنَّ شَرَّ السِرِّ نَتٌّ وشائِعُ
حياتي ما ضاعتُ لديّ الودائعُ
فَسَلَى فسُلَيَّرى حُرَّى فتَضارَعُ¹
وَشِيكَةً أَوْبِ الكَفِّ وَهِيَ مُمالِعُ²
وتُزَيِّ كما قد زَفَ أَجْنأُ خاضِعُ³
مواقِعَ واعشوشَبْنَ عنها المناقِعُ⁴
على جَوَزاها مُستوفِذاً وهُوَ فارِعُ⁵
وعُريٍّ من بُهْمَى التِّلاعِ الدَّوافِعُ⁶
كَأَنَّ لا تُغادِيها الغَوادي الهوامِعُ⁷
إِذا أوقدتُ تَحْتَ الحِفافِ اليرامِعُ⁸
أنسري وجُنْحُ النسرِ أَجْنَحُ واقعُ⁹
بريقُ جَبينِ المرتَضَى فَهُوَ ساطِعُ
فلم يُلَفَ إِلا وهُوَ خاشٍ وخاشِعُ
مِنَ الذِّكرِ والتَّسجَادِ دَامَ ودامِعُ
رَقَى وركوعٍ فهو رَاكِ وراكِعُ¹⁰
فتوقًّا وغايًا فَهُوَ راقٍ وراقِعُ
صباحَ مساءً فَهُوَ ضارٍ وضارِعُ
تَهَابُ لِقاهُ في المداري المَدَارِعُ

¹ ترعى، موزن، سلى، سليرى، تضارع: أسماء أماكن.

² الذعلب: الناقة السريعة، أم النعامة، الممالع: السريعة أيضا.

³ تخب، تزفي: تسرع بمعنى واحد، جأ كفرح: أشرف كاهله على ظهره، أي احديب في الظهر.

⁴ اليعفور: جزء من الليل.

⁵ في "ب"، و"ج": مستوفزا بالزاي.

أتمك الكلاً الحيوان: سمنه، اليعاضيد: جمع عضد، نوع من النباتات.

⁶ بهمي: نبت ترعاه الإبل في الصحراء

⁷ في "ب"، و"ج": مرعى سمائم، بدل "مردى".

⁸ اليرامع: جمع يرمع: الحصى الأبيض يتلألأ في الشمس.

⁹ في "ب"، و"ج": خاضع، لا واقع.

¹⁰ راك: من إبدال الكاف قافاً..... أي راق.

يُعْرِي وَيَكْسُو أَنْفُسًا وَنَفَائِسًا
 أَلَا اللَّهُ سَوَى رَاحَتِهِ وَفِيهِمَا
 تَعْمُ عُمُومُ الْغَيْثِ أَخْلَافُ دَرِّهَا
 فَتَبْتَدُرُ الْأَيْتَامُ أَيْتَامَ لَوْلُؤِ
 فَيَا شِقَ نَفْسِي الْمُرْتَضَى وَشَقِيقِهَا
 جَمَالَكَ لَا تَغْرُزْكَ لِينُهُ جَانِي
 وَإِنِّي أَسْتَحْلِي وَأَسْتَعْدِبُ الْأَذَى
 فَلَا الرُّقْشُ تَعْدُو لَيْنَاتٍ وَإِنَّمَا
 تَقَاصَرَتْ مَرثَاةٌ لَهُ وَإِقَالَةٌ
 فَقَالَ عَيْيٍ أَخْرُسُ وَمَسُودٌ
 أَعْيِي وَقَدْ أَعْيَا مَرَامِي فِي اللَّغَى
 أَوْ اخْرُسْ أَيْنَ الْخَرْسُ مِنِّي وَإِنْ لِي
 أَصُونُ بِهِ دِيَابَجَتِي وَأَتَقِي
 فَلَوْ أَنَّنِي جَرَدْتُهُ عَنْ يَلْمَلَمٍ
 فَمَنْ يَعْترِضُ عِرْضِي وَلِي بِمَسَاءَةٍ
 هَتَكَتْ مَقِيلَ الضَّغَنِ مِنْهُ بِحَدِهِ
 وَأَمَّا "مُسَوْدٌ" فَحَقٌّ مُؤَكَّدٌ
 وَقَالَ "اِحْتَجَبَ" وَتِلْكَ مِنْهُ عِمَايَةٌ
 فَيَا وَافِرَ الْأَلْبَابِ بِاللَّهِ هَلْ خَفَى
 وَهَلْ حَجَبَ السَّبْعُ الشِّدَادُ كَثَافَةً
 أَلَمْ يَسْتَهْلَ دَوْهَا وَهِيَ دَوْنَهُ
 فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْخَفَاءُ فَإِنِّي

وَدِيدًا وَضِدًا فَهَوَ كَاسٍ وَكَاسِعُ
 مَعًا رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ الْيَنَابِعُ
 وَتَسْمُو سُمُو الْمَوْجِ مِنْهَا الدَّسَائِعُ¹
 وَتُنْتَجِعُ الدَّرُ الثَّمِينَ النَّوَاجِعُ
 إِلَيْكَ إِلَيْكَ مِنْ نَصُوحٍ تَرَاصِعُ²
 وَخَفُضُ الْجَنَاحِ وَالِدِمَاثُ الطَّبَائِعُ
 أَذَى الْخِلِّ وَهُوَ لِلْحِمَاظَةِ لَاسِعُ
 عَلَى اللَّيْنِ فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ³
 وَمِنْ بَيْنِنَا بَوْنٌ قَصِيٌّ وَشَاسِعُ
 وَتِلْكَ الَّتِي تَسْتَكُ مِنْهَا الْمَسَامِعُ
 ذَوِيهَا وَيَعِي دُونَ ذَرْكِي بَاقِعُ
 لَعَضْبًا مَصُونًا بَيْنَ فَكِّي قَاطِعُ
 بِهِ كُلِّ مَنْ تُعْزَى إِلَيْهِ الْمُقَارِعُ
 لَبِثَ انْبِثَاثًا حَزْنُهُ وَالْأَيَافِعُ⁴
 أَوْ اغْتَالَ هَتَكَ حُرْمَتِي وَهُوَ خَادِعُ
 وَأَوْجَرْنُهُ الْخَطِي هَاتِي الْأَصَابِعُ
 وَلَكِنْ بَفَتْحِ الْوَاوِ عَلَكَ نَاحِعُ
 أَلَمْ يَذَرِ أَنِّي لَمْ تَسْغِنِي الصَّوَامِعُ
 وَلَوْ خَفَ وَمَضُ الْبَرْقِ وَالْبَرْقُ لَامِعُ
 عَنْ الْعَيْنِ بَدْرًا دَوْرَتُهُ الْمَطَالِعُ
 كَأَنَّ هُوَ فِي الْأُذُنَيْنِ لَا الْأَلِ طَالِعُ⁵
 أَنَا ابْنُ جَلَا وَالْيَلْمَعِي الْمَدَافِعُ⁶

¹ الدسائع: العطايا.

² المرتضى: علم الشاعر المخاطب.

³ الرقش: نوع من أنواع الحيات.

⁴ يللم: جبل، الحزن: ما انخفض من الأرض، والأيافع: المرتعات.

⁵ الأل: لغة في الأول.

⁶ اليلمعي: إبدال الهمزة ياء، أي: الألمعي.

وَذُو شِكَّةٍ مُسْتَبْسِلٌ غَيْرَ أَنِّي
 خَلَعْتُ عَلَيْهَا خِلْعَةً سُندُسِيَّةً
 وَرُضْتُ لَهُ عُونًا تَرَوْقُ رَصَافَةً
 مُجْنَحُهُ وَنَاقِصٌ وَمُطَرَفٌ
 فَمَا سَامَهَا إِلَّا تَخَالِيطَ خَالِهَا
 كَلَا الطَّرْفَيْنِ عِنْدَ كُلِّ مُقَوْمٍ
 تَفَاخَرَ بِالتَّرْقِيْنِ وَالْعُرْبِ نِسْبَةً
 وَمَا الْخَطُّ وَالتَّرْقِيْنُ عِلْمًا وَإِنَّهُ
 وَإِنِّي لَمَنْمِيٍّ إِلَى خَيْرٍ خَيْرَةٍ
 نَمْتَنِي إِلَى "مَادُو" الَّذِي خَضَعْتُ لَهُ
 ثِقَاةً أَجَلَةً هُدَاةً أَدِلَّةً
 فَسَلَّ قَرْدَدًا بَدْرًا حُنَيْنًا وَسَلَّ بِهِمْ
 وَسَلَّ بِهِمْ الدَّهْرَ الْخَوَوْنَ وَرَبِيَّةً
 وَسَلَّ بِهِمْ اللَّيْلَ السَّوَالِفَ هَلْ غَفَوَا
 فَإِذْ أَنْجَبُوا بِي وَفَرَ اللَّهُ مِنْهُمْ
 فَمَنْ رَامَ سَبَرَ الْغُورِ مِنِّي فَإِنَّهُ
 فَذَرْنِي أَدَّرَ مِنْكَ الْبَرَايَةَ أَوْ قَرِدْ
 فَإِلَّا تَدْعَنِي لَمْ أَدْعَ لَكَ مَنَفَذًا
 وَلَجَ تَوَلَّجًا أَوْ فَارَقَ فُتْنَةً شَاهِقٍ
 أَسَعْتُكَ يَنْبُوعَ الْفُرَاتِ بِأَسْرِهِ
 أَنْشَدُكُمْ يَا أُسْرِي اللَّهَ حَبَرُوا
 مَتَى مَاهَرَ النُّونَ الضَّبَابُ سِبَاحَةً
 وَقَيْسَتْ تَبَاشِيرُ الصَّبَاحِ بِسُدْفَةٍ

صَفِيٍّ وَفِيٍّ بِالْمَوَاتِقِ مَائِعٌ
 فَهَلْ أَنَا فِي خَلْعِ السِّنَادِسِ فَاجِعٌ
 عَلَيْهِنَ مِنْ نَسَجِ الْبَدِيعِ تَرَاصِعُ
 وَمُزْدَوِجٌ مُزَيَّلٌ وَالْمُضَارِعُ
 بَضَائِعُ يُسْتَرَوِجَنَ وَهِيَ الْوَضَائِعُ
 مِنَ السُّومِ وَالْمُسْتَامِ بِحُسْنِ وَضَائِعُ
 وَمَا إِنَّ لَهُ بِالْعُرْبِ عَنِي الرِّفَائِعُ
 لَدَرْسٍ وَتَلْقِيْنٍ مُجَدِّ وَشَامِعٌ¹
 وَإِنِّي لَا نَذْلٌ وَلَا أَنَا رَاضِعُ
 عُتَاةٌ وَسَبَحْتُ لَدَيْهِ الْيَرَامِعُ
 حُمَاةٌ أَهْلَةٌ أَبَاةٌ سَمَادِعُ²
 أَلَمْ يَدْجُوا الْأَوْدَاجَ وَالنَّفْعُ سَاطِعُ
 أَلَمْ يَكُ مِنْ أَحْدَانِهِمْ وَهُوَ طَائِعُ
 بِهَا حِينَ طَابَتْ لِلنِّيَامِ الْمُضَاجِعُ
 نَصِيْبِي فِي الْمِيرَاثِ وَاللَّهُ وَاسِعُ
 أَتَتْ دُونَهُ لِلْسَّابِرِينَ الْمَوَانِعُ
 تَرَدُّ بَابَكَ الْمِيكَتَاتِ الرُّوَادِعُ
 سَلِيمًا وَقَفْتُكَ الْقَوَائِي الرُّوَائِعُ
 وَلُذْ بَذَرِي الْآطَامِ تِلْكَ الْمَوَانِعُ
 وَدِجْلَةٌ إِذْ تَجْرِي إِلَيْهَا الْمُتَارِعُ
 سَوَاسِيَّةٌ أَيْفَاعُكُمْ وَالرَّعَارِعُ³
 وَزَاعَرَتِ الْأَسَدَ الضَّبَابُ الْحَرَامِعُ
 وَعُودِلَ بِالرُّضْرَاضِ أَرْعُنْ مَاتِعُ⁴

¹ البيت سقط من "ب".

² السمادع: جمع سيمدع: السيد الهمام.

³ الرعارع: جمع رعراع: اليافع، والحسن الاعتدال، والجبان.

⁴ الرضراض: الحصى، أو صغارها، والأرعن الماتع: الجبل الطويل.

وَنَالَ مِنَ الْغُرِّ الْيَرَاعَةَ غِرَّةٌ
 وصاغت تَمِيمٌ لاسِمِ فَعَلٍ مُضَارِعٌ
 وهل نَالَ عاملٌ بِهِ مِنْ تَأَثَّرٍ
 وهل يَحْتَذِي إدْرَاكَ مَرْكَضٍ غَايَتِي
 زِنُوا الْحَقَّ بِالْقُسْطِ وَزَنَّا وَمِيزُوا
 فَإِنْ فُهِتُمْو فَذَاكُمْو أَوْ فُهِتُمْو
 عَرَكَ نَشِيدٌ عَسْجَدِي تَزِينُهُ
 عَنَا قَلْعُ أُسٍ مَا أَشَدَّتْ وَهْدَمَ مَا
 عَلَى قُطْبٍ أَقْطَابِ الْوُجُودِ تَرَاخَبَتْ
 عَفَا رَبُّنَا عَنَا بِهِ مَا شَكَى الصَّدَى

وَأَعَزُّ مِنْ مُسْتَلِيمٍ وَهُوَ مَاصِعٌ
 زِنُوا أَوْ لَاسِمِ الْفَعْلِ فَعَلٌ مُضَارِعٌ
 وهل نَالَ مَنِي اللُّوْذَعِيِّ الْمَنَاصِعُ
 ظَلِيعٌ وهل يَفِي فَرِي الْمَشَاجِعُ
 بِهِ بَاطِلًا فَالْحَقُّ أَبْلَجُ نَاصِعُ
 فَإِنَّ لِسَانَ الْحَالِ أَفْصَحُ لَازِعُ
 سَلَاسَةُ أَلْفَاظٍ فَهَلْ أَنْتَ قَانِعُ
 تَبَنَيْتَ وَهُوَ لَا مَحَالَةَ قَالِعُ
 عَالِي صَلَاةٍ سُورُهَا مُتَرَاغِعُ
 إِلَى لُجَّةٍ صَادٍ وَمَا عَبَّ كَارِعُ

15. مُحَمَّدٌ مُحَمَّدُ الصَّالِحِ السُّوَكِيِّ

الفقيه اللغوي، الشيخ محمود بن مُحَمَّد الصالح بن عبد الرحمن ، أحد أعيان "كلّ
تَجَلَّلَتْ"، ولد عام 1304هـ وتوفي عام 1370هـ ، وله مؤلفات من ضمنها : مقرب
الشواسع في نظم جمع الجوامع للسبكي ، ومحرض الحريص نظم التلخيص للقزويني ، وديوان
شعري¹.

شعره عالم لغوي كبير، وعر اللفظ، بعيد العمق، قد يجد فيه غير المتمرس في الشعر
تعقيدا، وغرابة، ويعتمد تارة على المحسنات البديعية، وأقوى النماذج في شعره إخوانياته مع
الشيخ الخضر، ونقائضه مع عبد الله أغ الحمود، ولذلك اخترت له النماذج في هذين
الغرضين الرئيسين عنده.

يقول مفتخرًا، ورادًا على الشيخ عبد الله²:

{الرمّل}

سَائِلِن	عَنَّا	الَّذِي	يَعْرِفُنَا	فِي قُرْآنَا	يَوْمَ تَفْسِيرُ الْكُتُبِ
أَبْنُو	عَدْنَانَ	أَمْ	مِنْ عَجَمٍ	سَيَقُولُونَ	هُمْ هَامَ الْعَرَبِ
أُنْحَاسُ	نَحْنُ	أَمْ	مِنْ فِضَّةٍ	سَيَقُولُونَ	هُمْ عَيْنُ الذَّهَبِ
بُلْدَاءُ	الْوَقْتِ	أَمْ	نُقَادُهُ	سَيَقُولُونَ	بِهِمْ قَامَ الْأَدَبِ
بُجَلَاءُ	العَصْرِ	أَمْ	أَجْوَادُهُ	سَيَقُولُونَ	بِهِمْ نُجُحَ الْأَرْبِ
نَحْنُ	هُضْبُ الْأَرْضِ	أَوْ	رَوْضَاتُهَا	وَسِطَامُ النَّاسِ	أَشْرَافُ النَّسَبِ
نَحْنُ	فِي بُرْجِ	المَعَالِي	أَنْجَمُ	أَوْ بُدُورُ	أَوْ شُمُوسُ لَمْ تَغِبْ
إِنْ	يَغِبْ	طَالِعُ	مَجْدٍ بَيْنَنَا	دَرَّ	فِينَا طَالِعَاتُ تُرْتَقِبْ
بَعْضُنَا	فَهْرِيٌّ	جَدِّ	وَالسَّوَى	خَزَرْجِيُّ	الْجَذْرِ مُحَمَّدُ الْحَسَبِ

¹ انظر: الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملثمين، العتيق سعد الدين، ص 373 (مخطوط)

² القصيدة مكتوبة بخط مغربي سوكي مطور، بحوزة الباحث

نحن في السَّراءِ أو في ضِدِّها
ما بُنِيَ الحَارِثِ أو عَبَسَ إِذَا
إِنْ غَضِبْنَا أو تَمَادَى مَا بَنَا
أو رَضِينَا فَرِيعٌ ثَالِثٌ
ما تَشَا مِنْ زُهْرَةٍ فِي رَوْضَةٍ
وَبِحَ نَفْسِي طَالَ بِي دَهْرِي إِلَى
مَنْ إِذَا نَاطَرْتُهُ فِي مُحْضَرٍ
ودعاني عاديًا أطواره
بِئْسَ مَا قُلْتُ وَمَا سَيَّرْتُهُ
لَمْ تُعَارِضْ مِنْ قَصِيدِي كَلِمَةً
تَضَعُ الْآيَاتِ مِنْ تَحْرِيفِهَا
قِسْمُهُ الرَّحْمَنِ شَأْنٌ أَزِلِّي
فَالَّتِي يَعْمَلُ فِيهَا غَيْرُهُ
صِحَّةُ النَّسَبَةِ فِي ذِي مِثْلِ تِي
وَهُوَ حَيٌّ فَوْقَ مَا حَيُّ الْأُولَى
لَنْ تَرَى فِي الْكُسْبِ شِرْكَاً وَهُوَ فِي
وَحْذُ التَّفْسِيرِ مِنْ مَّعْدِنِهِ
أَيُّ بُيِّ أَقْبَلُ وَصَايَا عَارِفٍ

جَمْرَةٌ لَا يَنْطَفِي مِنْهَا اللَّهَبُ
فَاخْرُونَا. مِثْلُنَا أُمَّا وَأَبُ
يَعُشَ هَذَا الْكَوْنُ آثَارُ الْعَصَبِ
فُرَّةُ الْأَعْيُنِ كُشَّافُ النَّصَبِ
أو مَعَانٍ مِنْ مَعَانٍ مَا نَضَبُ
أَنْ هَجَانِي مَنْ إِذَا هِجَ اضْطَرَبُ
حَارَ ضَبًّا فَإِذَا غَابَ التَّهَبُ
مرحبا محروب جدي . أو أَرْبُ
مِنْ هِجَائِي وَسُؤَالِي لَمْ يَجِبْ
إِنَّمَا جِئْتُ بِلَهْوٍ وَلَعِبٍ
فِي سِوَى مَوْضِعِهَا يَا لِلْعَجَبِ
وَلَهُ الْإِيحَادُ فِيمَا يُكْتَسَبُ
ذَاتُ كَسْبٍ وَلَهُ الْخَلْقُ انْتَسَبُ
فِرْسُولُ اللَّهِ لِلْقَسَمِ انْتَدَبُ
شَهِدُوا بَدْرًا وَعَنْ قَوْمٍ حُجِبُ
كُلِّ مَا يَعْمَلُهُ الْعَبْدُ . فَتُبُ
لَا تَكُنْ إِمْعَةً وَاحِشَ الْعَطَبِ
لَمْ يَغِبْ عَمَّا تَحَرَّتُهُ الْكُتُبُ

القصيدة التالية رد عبد الله بن الحمود على قصيدة محمود السابقة¹:

قُلْ لِإِزْبِ الْعَصْرِ مَاذَا تَبْتَغِي	مِنْ صِدَامِ اللَّيْثِ وَاللَيْثِ حَرْبٌ ²
أَخْشَ لَيْثًا بَاسِلًا مُنْقِضًا	لَيْسَ شَأْنُ الْجِدِّ مِنْ شَأْنِ اللَّعِبِ
نَحْنُ لَا نَخْشَى نَعْمًا جَافِلًا	جَزَعًا مِنَّا وَلَوْ بِالذَّنْبِ
نَحْنُ لَا نَرْهَبُ غُمرًا جَاهِلًا	دَائِبُهُ الْفَرْ إِذَا الشَّرُّ اقْتَرَبَ
كُلَّمَا عَايَنَ مِنَّا صَدْمَةً	لَاذَ مِنَّا بِفِرَارٍ وَهَرَبَ
كَلِمَا عَايَنَ مِنَّا هَجْمَةً	خَانَهُ الصَّبْرُ فَأَلْقَى بِالسَّلْبِ
يَمْلَأُ الْأَرْضَ فَخَارًا فَإِذَا	رَيَّتَنَّهُ الْحَرْبُ أَعْيَى وَاضْطَرَبَ
هُوَ سَحْبَانُ مَدَى الْأَمْنِ فَإِنْ	خَافَ أَضْحَى بِأَقْلًا خَوْفَ الْعَطَبِ
يَا خَطِيبًا فِي حِمَى حُجْرَتِهِ	وَلَدَى الْمُخْفِلِ لَا يَذْرِي الْخُطْبَ
دَعْ مَقَامًا لَسْتَ مِنْ أَكْفَائِهِ	لَا تُهْجِ لَيْثًا بَعِيصٍ مَوْتَشَبِ
هَلْ تُسَامِي الشَّمْسُ فِي رَأْدِ الضُّحَى	أَوْ يَسَاوِي الدُّرُّ سُوءَ الْمُخْشَلَبِ ³
لَسْتَ تَعْدُو قَدْرَكَ الْأَدْنَى فَتُبْ	قَبْلَ أَنْ تَغْنَمَ سُوءَ الْمُنْقَلَبِ
يَا غَيْبًا حَارَ فِي تَيْهَائِهِ	رَاوِيًا يَجْهَلُ تَفْسِيرَ الْكُتُبِ
إِنَّمَا الْعِلْمُ دَلِيلٌ قَاطِعٌ	مَعَ فَهْمٍ ثَاقِبٍ لَمْ يَضْطَرْبِ
لَيْسَ نَقْلًا مِنْ حَوَاشٍ حُشِيَتْ	مِنْ خُرَافَاتٍ وَمِنْ مُزِرِي الْكَذِبِ
وَفُصَارَاكَ رَوَايَاتٍ هَا	سَنَدٌ وَاهٍ عَلِيلٌ مَضْطَرْبِ
قَالَهَا الْقُطْبُ الْمَرْيِي الْمَجْتَبَى	قَالَهَا غَوْثٌ سَمَا أَسْنَى الرُّتَبِ
أَدْلِيلٌ ذَاكَ أَمْ سَفْسَطَةٌ	أَمْ عِمَادٌ سَاقِطٌ خَاوٍ حَرْبِ

¹ الشيخ الشاعر عبد الله بن المحمود من كبار علماء كل تموكسن، قد حاولت جمع شعره لأذكره منفردا كما عملت مع الآخرين لكن ضاق الوقت علي قبل ذلك، فكان ولا بد علي علي الأقل من تسجيل هذه القصيدة له هنا، ويبدو أنه من أكابر الشعراء في المنطقة مع غزارة العلم، وهو ينتمي طبعاً إلى المدرسة السلفية، أو قائدها في زمانه
انظر: المدارس الأدبية في صحراء الطوارق، محمد أحمد الخرجي، ص 108.

² إزب: الإزب: القصير.

³ المخشَلَب: الرديء من الدر.

لست تَدْرِي التَّقَلَّ بَلْ تَجْمَعُ مَا
 يَا "كَلَالِي" أَخَا الْبِدْعَةِ يَا
 نَحْنُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ
 لَيْسَ نَخْشَى لَوْمَةً مِنْ لَائِمٍ
 لَا نُبَالِي إِنْ بَدَا الْحَقُّ لَنَا
 وَكَلَامُ اللَّهِ حَقًّا دِينُنَا
 نَحْنُ أَهْلُ السُّنَّةِ الْغَرَاءِ لَا
 لَيْسَ نَدْعُو الْغَوْثَ وَالْأَبْدَالَ لَا
 إِنَّمَا نَدْعُو إِلَهًا وَاحِدًا
 حَسْبُنَا اللَّهُ تَعَالَى رَبُّنَا
 فِي دُجَى اللَّيْلِ حَوَاهُ الْمُحْتَطَبِ
 حَاذِلِ السُّنَّةِ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ¹
 نَحْنُ نَقْدِيهِ بِأُمِّ وَبَابٍ
 فِي جَمْعِ الْعُجَمِ أَوْ حِزْبِ الْعَرَبِ
 رَضِيَ الْمَبْطُلُ عَنَّا أَمْ غَضِبَ
 وَحَدِيثُ الْمُصْطَفَى زَاكِي النَّسَبِ
 تَبْتَغِي الْبِدْعَةَ فَالْبِدْعَةُ سَبٌّ
 لَا وَلَا الْقُطْبُ فَمَا الْقُطْبُ بِرَبِّ
 إِنَّ مَنْ يَدْعُوهُ يَخْطِئُ بِالْأَرْبِ
 حَسْبُنَا فِي رَغَبٍ أَوْ فِي رَهْبٍ

إخوانية جواباً لقصيدة الشيخ الخضر حمادو السابقة²:

سلم على مربع أقوت معاهده وغيبت عن هنود مهاده

{البسيط}

ظَبِّي عَلَى الْبُعْدِ بِالذِّكْرِ أَشَاهِدُهُ
 فَانْتَرُ عَلَيْهِ نِظَامَ الدَّمْعِ إِنْ حَيَّيْتُ
 وَحَيِّهِ سَائِلًا عَنْ حَيِّهِ فَمَتَى
 وَاسْأَلْهُ عَنْ أَحْوَرِ الْعَيْنَيْنِ كَيْفَ ثَنَى
 أَمْ كَيْفَ ضَنَّ بِلَمَّاتِ الْخَيَالِ عَلَى
 أَمْ كَيْفَ مَرَّقَ أَسْبَابَ الْوَدَادِ وَقَدْ
 قَفَّ بِي عَلَى رَنْعِهِ هَذِي مَعَاهِدُهُ
 لِلرَّبِّعِ بِالْذَّمِّ مِنْ صَبِّ قَوَاعِدُهُ
 نَاجَاكَ نَجَاكَ مِنْ لَيْلٍ تُكَابِدُهُ³
 لَيْتَا وَتَأْمُورِي فِيهَا مَقَاعِدُهُ⁴
 مَنْ جَادَ بِالرُّوحِ لَمَّا عَادَ عَائِدُهُ
 مَرَّ الْحُبُّ بِعَهْدِي يُعَاهِدُهُ

¹ جلالى: نسبة إلى قبيلة محمود محمد الصالح "كل تجللت"

² ضمن مجموعة شعرية غير مرتبة، بحوزة الباحث.

³ حبه الأولى: أمر بإلقاء التحية، والثانية: الحي الذي يعني التجمع السكني للجماعة.

⁴ الليت: العنق، التامورة: النفس، أو سويداء القلب.

أَمْ كَيْفَ جَرَّدَ سَيْفَ الصَّدِّ يُوعِدُهُ
يَاظْبِي رِفْقاً بِصَبِّ أَنْتَ حَاكِمُهُ
بَلْ مَا بَدَا لَكَ فَاَفْعَلْ إِنِّي رَجُلٌ
حَاشَى سُلُوكَ عَمَّنْ لَا سُلُوكَ لَهُ
أَلَيْسَ شَوْقاً إِلَيْهِ وَهُوَ مِنْ حَجَرٍ
جَزَعْتُ مِنْهُ وَلَمْ يَعْطِفْ عَلَى جَزْعِي
وَكُلَّمَا قُلْتُ صَحَّتْ لِي مَوَدَّتُهُ
وَلِلْعَذُولِ عَلَى إِحْفَافِهِ سَبَبٌ
أَلَيْسَ شِعْبَانُ يَذْرِي أَتْنِي رَجَبٌ
فَمَا تَصَامَمْتَ عَنْ عَذْلِ أُخَالِفُهُ
خَافَ الرَّقِيبُ فَلَمْ تَنْفَعْ وَسَائِلُنَا
يَأْيُهَا الشَّادُنُ الْمَرْهُوبُ سَادِنُهُ
إِنَّا لَفِي شُعْلِ عَمَّا تُرَوِّدُنَا
وَأَفْتُ أَنَاشِدُ مَنْ بَدَرَ الْكَمَالَ سَبَبْتُ
وَهَاجِرًا وَاصِلًا صَبًّا تُعَلِّفُهُ
أَوْشَهْدَةً أَتُحَفَّتْ (بَنَاهَا) بِهَا مُزِجَتْ
أَوْ بُرْدَةً حَاكَمَهَا لِلْغَيْدِ قَائِنُهَا
بَهَبَهْتُ مِنْهَا عَلَى حَمْدِي وَأَنْفِي
وَهَمْتُ لَمَّا شَرِيتُ مِنْ أَبَارِقِهَا
سُكْرًا فَإِنْ أَعْجَمَ التَّصْحِيفُ أَوَّلَهُ

¹ ال يواعد: من دخول ال الموصولية على الفعل المضارع.
² شعبان: هذا الشهر يسمى عاذل، وإلى اسمه الآخر يشير الشاعر، "شهر رجب" كذلك يقال له: الأصم، فينظر كتاب "الأزمنة وتلبية الجاهلية"، لأبي علي قطرب، ص 38.
³ البهبة: حكاية صوت الهدير.
⁴ النواجد: هنا جمع الناجود: الجفنة التي يجعل فيها النبيذ ثم يغرف.

وَإِذْ ضَمَمْتُ خِتَامَهَا لِمَطْلَعِهَا
هَبَّتْ قَبُولُ قَبُولٍ نَحْوَهَا فَحَكَتْ
لَمْ لَا وَمِنْ حَضْرَةِ الْحِلِّ الْوَفِيِّ سَرَتْ
كَأَنَّمَا عَنُونَتْ بِهَا عَطِيتُهُ
مَنْ لَا أَنْفِيسُهُ لَكِنْ أَوَانِيسُهُ
مَنْ لَا أُكَّاسِرُهُ لَكِنْ أُسَاكِرُهُ
مَنْ لَا أَنْظِرُهُ لَكِنْ أَذَاكِرُهُ
فَحَيْثُ جَادَ لَهُ فَكَّرِي بِنَادِرَةٍ
مَنْ لَا أُسَاجِلُهُ لَكِنْ أُجَالِيسُهُ
مَنْ لَا أُسَمِّيهِ إِجْلَالًا فَإِنْ نَسَقَتْ
الْجُودُ وَالْمَجْدُ وَالْإِنْصَافُ إِخْوَتُهُ
وَالْحِلْمُ مَذْهَبُهُ وَالْعِلْمُ مَطْلَبُهُ
وَالدَّرْسُ وَالسَّرْدُ لِلْآثَارِ صَيْدَتُهُ
وَمَنْ يَكُنْ جَمْعُهُ الْأُمُوالَ عَادَتَهُ
مَنْ ثَمَّ عَضَّ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ حَزْمٍ
وَجَادَ لَمْ يَخْلُ مِنْ جَدْوَى جَدَى يَدِهِ
وَجَادَ بَيْنَ مَنَاقِبِ الْبَسِيطَةِ مِنْ
أَغْرُ أَبْيَضُ مَطْبُوعٌ عَلَى كَرَمٍ
كَأَنَّ بَدَرَ الدُّجَى أَنْوَارَ غُرَّتِهِ
يَجْلُو الْعَوِيسَ بِتَحْقِيقٍ يُدَقِّقُهُ
فَمَنْ رَأَى هَذِهِ الدَّعْوَى مُجَرَّدَةً

وَقَامَ رَاكِعٌ تَطْرِيبِي وَسَاجِدُهُ
عِنْدِي جَوَائِزُ وَالِ لَاحِ وَافِدُهُ
يُخْدِي بَعِينَ تَلِيهَا الطَّاءُ كَاغِدُهُ¹
رَمَزًا خَفِيًّا مِنَ الْمَقْصُودِ قَاصِدُهُ
فَإِنْ أَجَاوِبُهُ لَمْ أَقُلْ أَجَاوِدُهُ
بِكُلِّ صَرْفٍ حَلَالٍ طَابَ رَاكِدُهُ
بِكُلِّ وَادٍ جَرَتْ مِنْهُ سَوَاعِدُهُ
فَلَا أَجَادِلُهُ لَكِنْ أُسَاعِدُهُ
وَلَا أَرَى خَالِيًّا أَيَّ أَجَالِدُهُ
أَوْصَافُهُ نَمَّ بِاسْمِهِ مُحَامِدُهُ
وَالْبِرُّ وَالْبَذْلُ وَالْإِحْسَانُ وَالِدُهُ
وَالْجُودُ سَائِقُهُ وَالزُّهْدُ قَائِدُهُ
إِذَا اعْتَنَى بِاصْطِيَادِ الْمَالِ صَائِدُهُ
فَالْفِرْقُ وَالْفَقْرُ لِلْمَوْلى عَوَائِدُهُ
فِي الْمُعْضِلَاتِ وَلَمْ تَنْزَحْ جَدَاجِدُهُ
وَإِذَا فَمَثَلُ أَدَانِيهِ أَبَاعِدُهُ
هَذَا لَهُذِي طَرِيقُهُ وَتَالِدُهُ
مُقَبَّلٌ فِي النَّدى وَالْبَاسِ سَاعِدُهُ
إِذَا امْتَنَى بِمَجْلِسِ التَّدْرِيسِ عَاقِدُهُ
فَكَّرَ ثُبَيْنُ دَعْوَاهُ شَوَاهِدُهُ
عَنِ الْبَيَانِ فَهَذِهِ قَصَائِدُهُ

¹ الكاغد: الورق

قَدْ عَزَبَتْ عَجَمًا وَأَعْجَمَتْ عَرَبًا
 أَفْكَارُهُ النُّحْلُ لَمَّا تَعُدُّ أَنْ جَرَسَتْ
 لِيَسْتَحِيلَ شَرَابًا طَيِّبًا غَدَقًا
 فَمَا سَقَى عَسَلًا مِنْ لَفْظِهِ عِلَلًا
 وَاهًا لَهُ بَارِدًا مِنْ نَارِ فِطْنَتِهِ
 فَاعْتَجَبَ لِصَدْرِ حَوَاهَا ثُمَّ مَا اخْتَرَقَتْ
 اللَّهُ يَعْصِمُهُ مِنْ نَارِ آخِرَةِ
 وَاعْتَجَبَ لِحَاسِدِهِ إِذْ بَاتَ جَاحِدَهُ
 بَلْ مَا لِأَهْوِيهِ السَّاعِي بِطَاعَتِهِ
 أَبْقَى الْمُهَارِقُ إِذْ أُلْقِيَ الْمِدَادَ بِهَا
 أَوْ زِيٍّ مُقْلَةٍ ظَنِّي لَا قِلَادَ لَهُ
 يُغْنِيكَ عَنْ ذَا وَذَا رَقٌّ يُرْقِشُهُ أَلْ
 فَعَنَّهُ رَقَّقَ فِي فَحْوَى تَعَزُّلِهِ
 كِنَايَةً عَذُبَتْ فِيْنَا مَوَاقِعُهَا
 مَا فِي خِيَالِ الْفَتَى هُوَ الْمَشَائِعُ
 فَمَا يُجِلِّدُ ضَحْمًا وَالْمُهَارِقُ وَالْ
 بَلَّةُ الْخَرَائِدُ لَا تُسْنِي مَبَاسِمُهَا
 بَلْ هُذَّبَ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَا فَاغْتَرَفَتْ
 دَلَّتْ فَوَائِدُهُ دَلَّتْ شَوَارِدُهُ
 بِيضٌ حَقَائِقُهُ خُضْرٌ شَقَائِقُهُ
 غُرٌّ مَنَاقِبُهُ زُهْرٌ كَوَاكِبُهُ
 بَلْ أَفْحَمَتْ فُزْهِيْرُ الشَّعْرِ حَاسِدَهُ
 أَزَاهِيْرُ الْقَوْلِ مُنْحَاشًا أَوَابِدَهُ
 مِنْ صَيِّبٍ تَشْتَفِي مِنْهُ عَصَائِدُهُ
 إِلَّا شَفَى عِلَلًا فِي الْحَالِ بَارِدَهُ
 يُحْمِي لِيَصْفُو بِالتَّدْوِيْبِ جَامِدَهُ
 لَهُ الْبَوَائِي وَلَمْ يَفْلَحْ مُقَاعِدُهُ
 كَهَذِهِ يَوْمَ يُبْدِي الْحَقُّ وَائِدَهُ
 لَا نَامَ حَاسِدُهُ لَا قَامَ جَاحِدَهُ
 فَوْقَ الطُّرُوسِ لِيُسْتَمْلَى فَرَائِدُهُ
 فِي زِيٍّ أَحْوَرٍ مَكْحُولٍ مَسَاهِدُهُ
 مِنْ أَرْضِ "جَاسِمٍ" قَدْ هَبَّتْ رَوَاكِدُهُ
 مَدْمُوحٌ شَكْلًا فَقَدْ تَمَّتْ قَلَائِدُهُ
 لَا مَا تَخَيَّلَهُ بِالْحَدْسِ حَاسِدَهُ
 كَادَتْ تَصْرَحُنَا ضَحْمٌ أَجَالِدُهُ
 تَحِيْنَ يُنْشِئُ لَا مَالًا يُعَاوِدُهُ¹
 مِسْطَارٌ وَالْحَبْرُ فِي الدُّنْيَا وَلَائِدُهُ
 وَلَا مَعَاصِمَ مَا هَذِي خَرَائِدُهُ
 أَهْلُ الْقَوَاعِدِ إِذْ لَاحَتْ قَوَاعِدُهُ
 جَلَّتْ عَوَائِدُهُ عَلَّتْ مَوَائِدُهُ
 حُمْرٌ رَقَائِقُهُ سُودٌ مَقَاصِدُهُ
 حُرٌّ مَعَاهِدُهُ غُمْرٌ مَعَانِدُهُ

¹ المشائعه: من إعمال الصفة في الضمير، أي: الذي يشيعه، تحين: لهجة في "حين"

لَقَدْ وَجَدْتُ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ
 يَا حَبَّةَ الْقَلْبِ يَا نَوْرَ الْكَرِيمَةِ يَا
 صَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْبَيْنِ الَّذِي مُرِهَتْ
 وَاحِدًا إِلَيْهِ الَّذِي أَجَدْتُ مَصَالِحَهُ
 كَمْ مِنْتَ طَوِيْتُ فِي مِحْنَةٍ وَكَذَا
 فَالْوَصْلُ أَسْعَدَ لَكِنَّ الْبِعَادَ عَلَى
 لَوْلَاهُ لَمْ تَسْطِرِ الْأَقْلَامُ مَا سَطَرْتَ
 وَلَا اكْتَسَبْتَ أَوْجُهُ الْأَوْرَاقِ مِنْ حُلِّ الـ
 وَلَا سَقَتْ مَعَهْدَ الْأَحْبَابِ سَارِيَةً
 وَلَا تَبَيَّنَتْ الْعُذَالُ مَا شَرِبْتَ
 وَلَا سَعَتْ نُجُبٌ يَحْمِلْنَ مِنْ تُخَفِ الـ
 وَلَا كُهُ الْوَصْلُ إِنْ الْفَصْلَ غَايَتُهُ
 وَأَيْضًا الْوَصْلُ مَنْفِيٌّ وَمُنْتَظَرٌ
 إِلَيْهِ اسْأَلْ لُطْفًا شَامِلًا حَكَمًا
 وَأَنْ يُتِيحَ لَنَا جَمْعًا بِمَشْرَعَةِ الـ
 هَذَا وَأَحْسَنُ تَسْلِيمِي يُؤَيِّدُهُ
 إِلَى نَدِيَّتِكَ مَنْظُومًا لَالِيَهُ
 أَهْمِي وَأَعْطُرْ مِنْ شَمْسٍ وَغَالِيَةٍ
 مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ مِنْ نَقْدِ الْبَلَاغَةِ مَا
 أَهْدَى إِلَيْنَا جُفَانًا حَوْلَهُ دُرَّرُ

لَوْ لَا كَذَا وَكَذَا شُغْلًا أَطَارِدُهُ
 دُرِّي وَدُرِّي الَّذِي قَدْ فَاضَ مَاكِدُهُ
 مِنْهُ الْجَفُونُ فَصَبْرُ الْمَرْءِ عَاضِدُهُ¹
 فِينَا وَإِنْ أُخِذْتُ مِنَّا مَقَاسِدُهُ
 عَكْسُ الْقَضِيَّةِ مَنْصُوصٌ نُشَاهِدُهُ
 آفَاتِهِ حُمِدْتُ فِينَا حَصَائِدُهُ
 مُقَيَّدًا لِمُرِيدِ الضَّبْطِ شَارِدُهُ
 آدَابِ مَا تَسْتَفِرُّهُ بَرَاغِدُهُ²
 مِنَ الشُّؤُونِ تُجْبِيهِ قَوَاعِدُهُ³
 مِنَّا الْجَوَانِحُ مِنْ شَوْقِ نُجَاهِدُهُ
 تَسْلِيمِ تَمْرًا تَحْفُنَا عَرَاغِدُهُ⁴
 سَبْحَانَ مَنْ أَحْكَمْتَ عَلَا مَوَاعِدُهُ
 عَلَى تَفَيُّتِهِ لَا مَانَ وَاعِدُهُ
 بِجَمْعِ شَمْلِي إِذَا شَطَّتْ فِدَائِدُهُ
 فِرْدَوْسِ أَهْنًا عَيْشِ الْمَرْءِ خَالِدُهُ
 تَحِيَّةٌ مَعَهَا التَّبَجِيلُ آيِدُهُ
 مِنِّي وَقَدْ فُصِّلَتْ فِيهَا عَسَاجِدُهُ
 عَرَفًا وَضُوءًا وَإِكْرَامِي يُؤَافِدُهُ
 أَهْدَى إِلَيْنَا فَلَا هُدَّتْ عَمَائِدُهُ
 أَهْلًا عَنْ غَوْتِ بَحْرِ الْبَسْطِ وَاجِدُهُ

¹ مَرَه: يقال مرهت عينه: إذا فسدت لترك الكحل.

² البراجد: جمع بُرْجِد: الكساء المخطط.

³ الشؤون: العروق التي تأتي إلى العيون، والشأن يقال عموماً لمجرى الدمع إلى العين.

⁴ العراجد: جمع عرْجود، وهو أول ما يخرج من العنب.

إِيَّاهَا فَعَمَّا قَلِيلٍ سَوْفَ تُفَحِّمُنَا
لَقَدْ بَسَطْتَ بِهِ فَيْضًا تَخَلَّلْنَا
فَهَذِهِ شَهْدَةٌ أُخْرَى تُنْخِلُهَا
شَعَشَعْتُهَا لِقَى أَهْدَى صَرَاحِدُهُ²
لَكِنَّهَا خَدَمْتَ أَمْدَاحَهُ وَخَدَتْ
وَأَوْدَعْتَ مِنْ أَعَانٍ أَنْتَ مَعْبُدُهَا
فَالآنَ إِذْ أَرْضَتْ "الرَّاعِي" سَلَفَتْهَا
صَيَّرْتُهَا مَثَلًا تَشْفِي مَضَارِبُهُ
وَكُنْتُ أَنْشُدُ مَغْلُوبًا بِقَرْفِهَا
لَكِنِّي لَمْ أَحْبَبْهَا مُعَارَضَةً
وَلَنْ يُجَرِّئَنِي مَا قَالَ يَرْفَعُنِي
وَكَيْفَ أَرْضَى لِمَنْ أَرْجُو بِحُرْمَتِهِمْ
لَا لَسْتُ بِاللَيْثِ إِنْ قَايَسْتَنِي بِكُمْ
وَلَيْسَ مِثْلِي مِمَّنْ تَسْتَقِيمُ لَهُ
وَإِنْ يَكُنْ كِبَرٌ بِالسِّنِّ أَوْجَبَ مَا
كَمْ نَاجِمٍ مُتَدَانِي السِّنِّ قَدْ رُفِعَتْ
وَإِنْ يَكُنْ سَبَبُ الْوَضْعِ التَّوَاضُعِ أَوْ
وَإِنْ يَكُنْ ذَاكَ تَوْقِيرًا لِذِي كِبَرٍ
فَهُوَ السَّبِيلُ وَلَكِنْ آدَ صَبْرِي مَا
فِي أَنْ أَمِيطَ وَإِلَّا فَهُوَ حُمَزٌ فِي

أَهْلَ الْقَرِيضِ وَإِنْ كُنَّا مُجَاحِدَهُ
كَمَا تَخَلَّلَ مَهْدَ الطُّفْلِ مَا هِدُهُ
نَخْلِي إِلَيْكَ وَإِنْ ضَاقَتْ مَقَالِدُهُ¹
إِلَيَّ صَرَفًا وَإِنْ فَاقَتْ صَرَاحِدُهُ²
فِيهَا فَأَلْبَسَهَا الْأَنْوَارَ وَافِدُهُ
رَفُوعًا لَمَّا بِقَمِي عَنَّتْ مَعَابِدُهُ
حَتَّى أَرَا ضَاقَتْ وَقد طَابَتْ أَغَارِدُهُ³
أَهْلَ النَّسِيبِ وَتَسْقِيهِمْ مَوَارِدُهُ
لِمَنْ دَرَى الشَّعْرُ أَنَّهُ فَرَاذِدُهُ⁴
لِقَارِضٍ رُفِقَتْ نَحْوِي أَنَا شِدُهُ
تَعَرَّفْتُ فَوْقَ تَعْرِيفِي مُحَامِدُهُ
مَا يَزِيحِي سَائِلٌ أَيْ أُصَاعِدُهُ
بَلْ أَنْتَ أَلَيْثُ مَنْ لَا بُحَادِلُهُ
فَوْقِيَّةٌ ثُمَّ أَوْ بُحْدِي مَوَالِدُهُ
أَبْدَيْتَ فِينَا فَأَمَرٌ لَا تُعَاضِدُهُ
أَعْلَامُهُ فَوْقَ مَنْ طَالَتْ مَوَالِدُهُ
هَضْمًا لِنَفْسٍ فَرَفَعَ أَنْتَ زَائِدُهُ
يَخْنُو عَلَيْكُمْ كَحَانٍ لَاحَ وَاحِدُهُ
يُؤْمِي إِلَى أَنَّ طَوْدِي لَا تُطَاوِدُهُ
دَوْقِي شَرَابًا لَكُمْ قَدْ تَمَّ فَارِدُهُ⁵

¹ شَهْدَةٌ: مِنَ الشَّهَدَةِ: النِّحْلُ.

² صَرَاحِدُ: جَمْعُ صَرَاحِدٍ، الْخَمْرُ.

³ الرَّاعِي: يَقْصِدُ بِهِ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِي الْمَشْهُورَ.

⁴ فَرَاذِدُ: جَمْعُ فَرَزْدَقٍ.

⁵ حُمَزٌ: الْحَامِزُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ شَدِيدِهِ.

لا زالَ فائِضُ بحرِ النورِ توصلُكمُ
مُقَدِّسِينَ بِهِ سرّاً وأُفَيْدَةً
وحيثُ أَدَنَ باسمِ المصطفى بشرَ
فَلا تَزَلْ صَلَواتُ اللهِ عاكِفَةً
تَتَلُو عَلَيْهِ مِنْ آياتِ السَّلامِ عَلَى
فِي الآلِ والصَّحْبِ والأزواجِ ما عُمِّرَتْ
إلى رَضَى اللهُ في رُوحِ مَدائِدُهُ
في ظِلِّ أَمْنٍ تَسُرُّكُمْ وَسائِدُهُ
أو أُحْدِثَ في رَوايَها مَحامِدُهُ
حيثُ الذي عُمِّرَتْ بِهِ مَساجِدُهُ
مَنابِرِ العِزِّ ما تَبْقَى مَعاهِدُهُ
مَساجِدُ اللهِ أو نَاجاهُ عابِدُهُ

إخوانية رقم 2 جوابا لقصيدة الشيخ الخضر حماد السالفة أيضا بمطلع¹:

أشوقا ولما تظعن أم مالك ولم تقو دوران الحسان الفوالك

{الطويل}

أَسالِ أَنّا، والدَّهرُ ثَنى مَسالِكي
فَلا تَحسِبِني هَكَذا إِنَّ مَذْهَبِي
وكيفَ التَّسلي في التَّدايِ وَلَمْ يَدُرْ
بَلَى هِمْتُ في وَجدي هَياماً تَحالِي
وَأَمسى عَذابُ الحُبِّ إلْفِي فَلَمْ أَرْلُ
وَأَبديتِ مِنْ شَكوى الهوى ما رَعَمَتِهِ
صَدَقْتُكَ في الدَّعوى وهذي مَدامِعي
ولما رَأيتِ الجِدَّ مِنّي شائِكاً
فَكُنّا كَما أَبْداهُ مِثْلِي سالِفاً
تَعالَّتْ؛ كَيّ أَشجى وَمَا بِكَ عِلَّةُ
إلى بِنْتِ مالِكٍ وَكانَ مُدالِكي²
على أَنَّهُ بَادٍ حَفِيّ المَدارِكِ
على خَلْدي حَالِ التَّنائِي كَحالِكِ
بِهِ تارِكا لا كَنْتُهُ أو كَتارِكِ
بِإِيلافِهِ مَسْتَعْدِبا دَوَكِ دائِكِ³
على أَنَّ ما بي مِنْهُ أَضْعافُ ما بِكَ
وَسُقْمِي شُهُودي أَنّني غَيْرُ آفِكِ
تَعاطَيْتِ هَزْلاً شَوْكُهُ غَيْرُ شائِكِ
لأُخْرى إِخالُ خالِها دَوَنَ خالِكِ
تُرِيدِينَ فَتْلِي قَدْ ظَفِرَتْ بِذلِكَ

¹ ضمن مجموعة شعرية غير مرتبة، بحوزة الباحث.

² مدالك: من ذلك الدهر: حنكه، وعلمه. إلا أن صياغة "المدالك" تدل على معنى لا يقصده وهو "الحقير من الناس، الذي لا يرفع عن دنياه" !

³ الدوك: من معانيه دق الشيء، وسحقه، ولعله هو المقصود هنا.

فَلَا، وَاللَّيَالِي الْبَيْضِ مَا بَرَّ خَالِفٌ
وَإِنِّي عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ سَلَوْتُكُمْ
فَمَا سَالَ وَادٍ إِذْ تَسْلَسَلُ رَافِعٌ
فَأَذْكُرْنِي إِلَّا سَيُولَا سَفَحْتُهَا
وَلَا كَحَلْتُ عَيْنِي مِنَ الْبَدْرِ جَمَلَةٌ
فَأَغْفَلْتُ عِنْدَهَا خُدُودًا تَنَاوَلَتْ
وَلَا سَبَّحَ الْإِصْبَاحُ فِي طُرَّةِ الدُّجَى
وَمَا أُنْسَ لَا أُنْسَى حَيْنَ جَمَاهَا
لَدُنْ قَالَ خَرَيْتُ الْمَطَايَا مَسِيرُهَا
فَقَطَّعْنَ بِيضَاتِ السَّرَابِ جَلَايَا
فَأَهْلَبَ نَارَ الْحَزَنِ هَتَفُ خُدَاتِهَا
هُنَالِكَ جَدَّ الشَّدُّ وَاشْتَدَّ وَجَدُنَا
وَهَمْنَا وَكَأَمْنَا الْعَوَازِلَ مَا بَنَا
وَمِتْنَا غَرَامًا مَيْتَةً عَاجِلِيَّةً
فَلَوْ مَاتَتْ الْأَرْوَاحُ قَبْلَ انْقِضَائِهَا
لَمِتْنَا جَمِيعًا حِينَ مَاتَتْ وَرَاءَنَا
لَحَى كُلُّ لَاحٍ عَيْشَةَ الصَّبِّ نَازِحًا
وَقَدْ رَانَهَا أَيِّي عَلَى قُرْبِ دَارِهَا

على أَنِّي فِي حُبِّكُمْ غَيْرُ آفِكِ
سَلَوْتُ إِذَا عَنْ شِمْتِي وَعَرَائِكِي
يُضَاحِكُ أَزْهَارَ الْكُدَى غَيْرَ ضَاحِكِ
سِرَاعًا يَبْرِقُ مِنْ ثَنَائَا الْعَوَاتِكِ¹
خِلَالَ السَّحَابِ فِي غَيَاطِ حَالِكِ²
بِهَا الْعَيْسُ أَعْلَامُ النَّقَا وَالسَّنَابِكِ³
فَأَوْهَمَنِي إِلَّا صَبَاحَ التَّرَائِكِ
غَدَاةً انْطَوَى فِيهَا جِمَالُ الرُّوَادِكِ⁴
عَلَى الْفَرْقَدَيْنِ أَوْ حِذَاءِ السَّمَائِكِ⁵
عَلَيْهَا وَلَمْ تُحْمَدْ بِهَا كَفُّ حَائِكِ
وَمَزَّقَ ثَوْبَ الْوَصْلِ أَيْدِي الْبَرَائِكِ⁶
وَجَدْنَا بِأَيْنَاءِ الْجَفُونِ السَّوَافِكِ⁷
فَمَا كَانَ لَوْلَا الدَّمْعُ يَبْدُو لِدَارِكِ
تَعَجَّلَهَا الْأَجْسَامُ قَبْلَ الْمَهَالِكِ
قَضَاهُ مِنَ الْأَنْفَاسِ رَبُّ الْمَلَائِكِ
أَنَاسِي رَدَّتْهَا رَوَاسِي الدَّكَادِكِ⁸
فَمَرَبَعُهَا قَيْظٌ شَدِيدُ الْعَكَائِكِ⁹
أَطَالِعُ فَصْلَ الْبُعْدِ فِعْلَ الْمُتَارِكِ

¹ جمع عاتكة: التي تكثر من الطيب حتى تحمر بشرتها.

² الحالك: الشديد السواد.

³ السنابك: جمع سنبك، طرف الحافر.

⁴ الروادك: جمع مروذكة: الجارية الحسنة.

⁵ الخريت: الدال على الطريق، الفرقدان: نجم قطبي، وآخر مماثله أصغر منه، ويضرب بهما المثل في البعد، والعلو، حذاء السمائك: جانب أو وجهة السماكين.

⁶ البرائك: جمع باركة، من برك الجمل: ناخ.

⁷ أيناء الجفون: دموعها، السوافك: الشديدة السيلان.

⁸ الدكادك: جمع دكادك: أرض صخرية، غليظة.

⁹ العكائك: جمع عكاك: شدة الحر مع سكون الريح.

فَقُلْتُ ذَرِي أَمَرَ الْجُفُونِ وَمَارِسِي
فَمَا كُلُّ مَنْ حَلَّ الدِّيَارَ بِعَاشِقٍ
نَعَمْ أَنْ أَنْ تُطَوِّى الْمَسَافَاتُ بَيْنَنَا
وَتُجَذَّبُ شَقَّاتِ الْفَلَاةِ مَقِيسَةً
لِيَايِي لِيَلِي نَسْتَعِيدُ وَصَالَهَا
بُقْبِ الْكُلَى تُذْنِيكَ قَبْلَ كَلَالِهَا
عَوَالِكَ لَمْ تُحْمَلْ عَوَالِيكَ نَاجِيًا
يَعُودُونَنَا صَيْدَ الْهُوَادِي وَلَمْ يَطْفُفْ
وَالَا فَبِالنُّجْبِ الْعِتَاقِ تَخَالُهَا
رَوَاتِكَ مَا أَبْصُرْتَ شَخْصًا أَمَامَهَا
مِنْ الطَّيْرِ إِلَّا أَقْتَا بِشَبْرِقٍ
مِنْ النَّوْقِ إِلَّا أَنْ أَقْصَى رَوَاحِهَا
تَحَوَّهَا الْإِسَادُ حَتَّى أَصَارَهَا
حَنَايَا تَرَى بِحَرِّ السَّرَابِ شَرَابَهَا
وَقَدْ أَخَذَتْ مِنَّا وَمِنْهَا السُّرَى فَمَا
بِهَا تَتَقَاضَى الدَّهْرُ دَيْنَ اجْتِمَاعِنَا
فَنَجْمَعُ أَشْتَاتَ الْأَمَانِ بِمَنْطِقٍ
وَنُحْيِي بِرِيحَانٍ نُحْيِي بَعْرَفَهُ

قُلُوبًا تَرَوْتُ مِنْ بَهَاءِ جَمَالِكَ
وَلَا كُلُّ مَنْ حَلَّ الدِّيَارَ بِفَارِكٍ
وَبَيْنَ اللَّالِي الْغَرِّ طَيِّ الدَّرَانِكِ¹
بِأُلُوحِ عَوْجٍ حَاشِعَاتٍ الْعَرَائِكِ²
بِأَخْفَافٍ مُهْرِيَاتِهَا وَالسَّنَائِكِ
إِلَى مَا تَرَى مِنْ مَلْعَبٍ أَوْ مَعَارِكِ
عَلَى مِثْلِهَا وَاهَاً لَهَا مِنْ عَوَالِكَ³
بِأَعْطَافِهَا أَدْنَى إِذَابَةِ صَائِكِ
إِذَا جُلْنَ شَوْطًا مِنْ ذَوَاتِ الْوَكَائِكِ⁴
فَسَلَعَمْتُ إِلَّا وَهَوَ حَلْفَ الرُّوَاتِكِ⁵
لَهْنِ بَنِي مِنْ فَوْقِهَا كُلِّ تَامِكِ⁶
مَسَافَةِ شَهْرِ وَالْفَى غَيْرُ نَاهِكِ
حَنَايَا لَهَا مِنَّا سِهَامُ الْفَوَاتِكِ
وَتَحْسَبُ سَوْفَ الْبِيدِ سَفَّ الْأَرَائِكِ
تَرَى غَيْرَ نِضْوٍ فَوْقَ نِضْوِ الْحَوَارِكِ⁷
إِذَا اسْتُنْهَضَتْ وَهَنْ الدُّجَى فِي الْمُبَارِكِ⁸
رَفِيقَ الْحَوَاشِي مِنْ وَرَاءِ الْأَرَائِكِ
مُلُوكًا عَلَى أَنَّا هَا كَالْمَمَالِكِ

¹ الدرانك: جمع درنوك: ضرب من الثياب له خمل قصير، وبه يشبه فروة البعير، والأسد.

² شفات: جمع شف: ستر رقيق يستشف ما وراءه، ألواح عوج: يقصد بها النوق، العرائك: جمع عريكة: السنام المرتفع، لكن هنا يصف عرائك النوق بالخشوع من شدة السير، لقد أنهكها السفر.

³ عوالك: من العلك، علكت الدابة الحبل: لآكته، وحركته في فمها.

⁴ الوكاوك: جمع وكوكة: هدير الحمام.

⁵ رواتك: جمع راتكة، ورتك البعير: عدا، سلعم: نحت من "السلام عليكم"، من شدة سرعتهم لن تبصر أمامك شخصا وسلمت عليه، إلا وتدركه في نفسه الوقت وهو خلف!

⁶ شبرق: نبات بري، تامك: السنام المرتفع، أو ناقة عظيمة السنام.

⁷ الحوارك: جمع حارك: الرجل، نضو: نحيل.

⁸ وهن الدجى: وقت الظلمات.

وَنَعْمُ عَيْنًا بِالنَّعِيمِ وَنَنْطَوِي
وَنَعْصِي هَوَى الْوَاشِينَ فِي نَفْضِ مُبَرِّمٍ
وَنَرَعُمُ أَنْفَ الْعَاذِلَاتِ بِسَلْسَلٍ
فَنُبْطِلُ دَعْوَى مَنْ يُرَى كَانَ دَائِبًا
كَمَا أَبْطَلَ "الْحَمُودُ" دَعْوَى ثَمَاتِنِ
بِتَحْقِيقِ أُسْلُوبٍ وَتَدْقِيقِ مَنَزَعٍ
فِيَا رَبِّ بَارِكْ فِيهِ مِنْ مُتَأَيِّدٍ
فَتَى بَوَّاتَهُ الْأَرْجِيَّةُ مَنْزِلًا
وَأَلْقَتْ مَطَايَا الْمُشْكِلَاتِ زِمَامَهَا
فَمَا خَطَّ عَنْهُ الرَّحْلُ إِلَّا وَهَيْفُهُ
فَتَى شَرُفَتْ أَحْلَافُهُ فَتَشَرَّفَتْ
وَبَتْ لَنَا مِنْ جَرِيِ الْغُلُوِّ وَالنَّدَى
فَمِنْ غَارِفٍ مِنْ سَيْلِهِ فَوْقَ سُؤْلِهِ
قَلَائِدُ مَا تَنْفَكُ فِينَا مُضِيَّةً
فَمِنْهَا الَّتِي أَهْدَيْتَهَا مُجْتَرَّةً
تَنْحَلُّهَا حَدَاءً صُلْتُ وَرَاءَهَا
فَسَلَّمُ مَنْ سَامَاكَ أَنْكَ سَابِقُ
أَتَيْتُ بِهَا عَفْوًا مِنَ الْخُلَلِ الَّتِي
بِمَعْنَاتِهَا وَافَيْتُ مِنْ زُكْنِ ضَاكِ
فَلَا غَرَوُ إِنَّ جَلَّتْ بَوَادِي قُطَيْعِ

عَلَى طَرَبٍ حَيٍّ وَآخَرَ دَالِكٍ
مَنْ الْوُدِّ لَمْ يُعْزَلْ بِمِعْزَلٍ¹ قَالِكٍ¹
مَنْ الْوَصْلِ صِرْفٍ هَانِيٍّ مُتَدَارِكٍ
يُزْلِزُ شَيْئًا مِنْ هَوَى مُتَمَالِكٍ
يُسَاجِلُهُ نَظْمُ الْقَوَائِي السَّوَالِكِ
بَيَانُ مَعَانِيهِ بَدِيعُ الْمَدَارِكِ
وَفِي كُلِّ مَا يُنْمَى لَهُ رَبِّ بَارِكِ
مِنْ الْمَجْدِ لَا يَرْجُوهُ "يَحْيَى" الْبَرَامِكِ
إِلَى بَابِهِ مِنْ شَافِعِيٍّ وَمَالِكِي
لِخِطِّ الْجَوَابِ رَاحِلَاتِ الْمَمَالِكِ
بِهَا شَيْمُ الرَّاظِي بِهِ وَالْمَضَاحِكِ
قَلَائِدُ مِنْ آدَابِهِ وَالنَّسَائِكِ
وَمُسْتَبَحِرُ عَنْهُ وَرَاوٍ وَنَاسِكِ
كَنَارٍ قِرَاءُ لِلضُّيُوفِ الطَّوَارِكِ²
تَبَخَّرُ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْحُسْنِ عَاتِكِ
قَوَائِي زُهَيْرٍ فَهْيَ إِحْدَى السَّبَائِكِ
بِمَنْسَرَحٍ دَاعَاكَ أَوْ مُتَدَارِكِ
لِعَبْقَرٍ أَوْ صَنْعَاءَ ذَاتِ الْمَحَاوِكِ
وَجَوْهَرِهَا مِنْ مَاءٍ رَوَّتْ ضَاكِ
مِنْ الْغَيْدِ حُدَلِ السُّوقِ عَذْبِ الْمَضَاحِكِ³

¹ الفالك: فلكت الفتاة: استدار ثديها، فهي فالك.

² الطوارك: أي الطوارق، أبدل القاف كافا، وهو من الإبدال النادر، ويقصد بهم الضيوف الطارقين ليلا، وليس شعب الطوارق.

³ خدل السوق: ممتلئة السوق.

تَأْتَتْ فِيهِ مَطْلَعاً وَخُلُصاً
وخلت شغاف القلب من كل ذائق
ونمت على بحر من العلم زاهر
وصدّر سليم القلب رباه ناسكاً
فبشره داعي الفلاح بنيزك
وأغناه عن تنهيض مثلي وكيف لي
فنى لم أرل بهمة بهم قلبه
وأستكشف الغمّاء من دعواته
وما يزيحي من خلتي ومودّتي
فأرجو بنصب في جناني شخصه
وأبصر في مرآة ذكر يدره
ومن أين للبين اتبدال بيزجد
أرائك تبجيل بذكر مسلسل
على كيميها البين يقلب وصلة
فحيث انتضى نوء السماك سحيقة
تذكرت منه بارقات سيوفه
وكم شخّشت يئس البساتين خرّجف
وإن همهم الهمهم فلنا زيره
وإن قام قوم لابن مزن حسبتهم
وقاه وقاية الوليد محبباً

وختماً فجئت بين بكر ومالك
وخلت لسان التقد من كل لائك
وفهم دقيق في الفنون مشارك
ورقاه محدوب لهمة سالك
وغضب أراحا مخزمي ونيازك
بتنهيض سباح وإني كبارك
على كل قلب في الميامن فاتك
وأهرم بالأنوار جيش الحوالمك
فعندي له ضد به قام حاركي
جناناً بها رفعي لرضوان مالك
بمنزل قلب لا فراق مفارك
من الوصل قد كنا به في أرائك
بشوق مقيم مقعد متهايك
ألا إن بعض البين وصل لِماسك
تصافح أعماد السحاب اللكائك¹
تشام لإزهاق الدواهي الدواهي²
فتوهماً تفتيشه فقه مالك
همهم صدر من بعد المناسك
عوافي عيث منه غير مدارك
إلى أهله ذو العرش خير مبارك

¹ اللكائك: جمع لكك: في الأصل اللغوي: الصلب من اللحم، ولعله استعاره هنا للسحاب القوية.

² الدواهي: من صفات الدواهي: المصائب.

وبارك فيه قارئاً ومُدَرِّساً
 وبارك في أقواله وفعاله
 فهل أنت آخذٌ سبيكة عَسَجِدِ
 أداعي بفحواها سواكم مُمَاتِنَا
 ودَقَّ عليهم سلكها فَعَذَرْتُهُمْ
 فَعَبَّرَهَا الرَّأُؤُونَ أَنِي أَصُوعُهَا
 فأخذُ معناها مُلِمّاً وَمَاسِخاً
 فَعُفِّلْنَا شَكَاةَ ظَاهِرٍ عَنْكَ عَارِهَا
 وهل يُنَكِّرُ النَّاسَ انْقِوَاءَ حُودِيدِمْ
 لِيَشْرَبَ مِمَّا أَسَارَتْهُ عِيَالُهُ
 فيبي بملحها يرى أن أخذه
 وإلا فهكذا تَجَاوَبَ قَبْلَنَا
 فَيَا سَيِّدِي خُذْهَا وَإِنْ قَالَ قَائِلٌ
 فَإِنْ وَقَعْتُ فِي ذِقِّ آلَاكَ مَوْقِعاً
 وَأَتَيْتُ صَلَاةَ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
 إلى الآلِ والأَصْحَابِ والجُنْدِ كلهم

وشيخاً وطالِباً مُفِيدَ المسَاهِكِ¹
 مُعَاًفَاً مَصُوناً عَنْ مَسَاسِ التَّهَالِكِ
 تَنَاعَى عَلَى قَدْرِي جُمَانِ مَسَابِكِ
 فَكَانَتْ لَدَيْهِمْ مِنْ لَالِ الْمَحَارِكِ
 لِأَنَّكَ عَوْنِي لَا رَمَيْتَ بِسَاهِكِ
 مِنْ الذَّهَبِ الْمُهْدَى لَنَا مِنْ مَسَالِكِ
 وَآخِذُ مِنْ وَكُوكِهَا وَالبَوَاضِكِ²
 وَكَيْفَ عَنِ الْأَنْهَارِ نَهْرُ الصَّعَالِكِ
 إِلَى سَيِّدِ نَدْبٍ عَزِيزِ الضَّنَائِكِ
 وَرَفِدِ ضِيُوفِهِ وَرَهْطِ التَّرَائِكِ
 لَمَا يَتَعَاطَى دُونَهُ أَخَذَ مَاتِكِ
 أَوْلَيْكَ وَافَتْ مِنْ أَدِيبِ مُعَارِكِ
 حُلَى أُمِّ مَالِكٍ عَلَى بِنْتِ مَالِكِ
 فَحَسْبِي وَحَسْبُهَا وَإِلَّا فَدَارِكِ
 عَلَى رَوْضَةٍ كَانَتْ مَطَافَ الْمَلَائِكِ
 وَأَتْبَاعِهِمْ وَالْأُمَّهَاتِ النَّوَاسِكِ

¹ المساهك: في مقاييس اللغة: السين والهاء والكاف أصلاً، أحدهما يدل على قشر ودق، والثاني على الرائحة، مقاييس اللغة، أبو فارس، مادة (سهك).

² البواضك: جمع بضوك، السيف القاطع

16 . المَحْمُودُ يَحْيَى السُّوكِي

الشيخ، الفقيه الشاعر المحمود بن يحيى، من العلماء الكبار في قبيلة "كلّ تبورق"، وأسرتة هي التي أنجبت العلامة، الفقيه المحدث، الشيخ اسماعيل الأنصاري المشهور في المملكة العربية السعودية، توفي 1406 هـ¹.

وشعره متنوع الأغراض، متوسط بين وعورة اللفظ، ولينه، وكثير منه في الإخوانيات، والمدح.

قال يمدح السيد/ أتوت من سادة كل اسوك في النيجر منطقة بنكلاري²:

{الكامل}

لا زِلْتُ في كُلِّ الجَوَانِبِ تُوتَى	مِنْ رَغْبَةٍ الْآتِينَ فِيكَ "أَتُونَا"
أَيْضاً وَلَا زَالَتْ إِلَيْكَ رِكَائِبُ	مِنْ هَاهُنَا تَجْرِي إِلَى "تَزِينَا" ³
أُخْرَى، وَلَا بَرِحَتْ وَجُوهٌ لِلْعِدَى	تُبْدِي الْكَابَةَ كُلَّمَا سُمِّيْنَا
عَطَسَ النَّدَى فَلْيَفْرَحَنَّ بِرَحْمَةٍ	تَأْتِيهِ إِذْ سَمَّيْتَهُ تَشْمِيْنَا
حَسِبَ النَّدَى وَالْجُودُ أَنَّكَ مُوَلَّعٌ	بِهِمَا وَأَمْرُهُمَا مَعاً وَوَلِيْنَا
لِلْمَالِ وَالسُّؤَالِ كُنْتَ كِلَيْهِمَا	فَجَمَعْتَهُمَا وَأَنْلَيْتَهُ تَشْتِيْنَا
لَوْ لَمْ تَكُنْ لَتَنَاسَلَتْ مِنْ أَرْضِكَ أَلْ	أَمْوَالُ لَكِنْ لَا وَأَنْتَ حُيِّيْنَا
طَلَبْتَ يَمِينُكَ أَنْ يَكُونَ مُؤَقَّتاً	إِنْفَاقُهَا فَحَلَفْتَ لَا تَوْقِيْنَا
لَكِنَّهَا ظَفِرَتْ بِإِلَاكِ وَإِنَّمَا	لَقَلِيلَةً مِنْ أَنْ يُقَالَ وَقِيْنَا
مَنْ رَامَ يَجْمَعُ كَيْتَ كَيْتَ شَمَائِلًا	لَكَ فِي النَّدَى سَكَّتَهُ تَسْكِيْنَا
أَوْ لَمْ تَكُنْ سَكَّتَهُ بَكَّتَهُ	بِدَلَالٍ مَشْهُودَةٍ تَبْكِيْنَا

¹ انظر: الإمتاع والإبهاج، أحمد محمد الحاج، ص 178

² ترغيب المشوق، زين الدين، 213

³ تزييت: منطقة.

أَوَّلَا فَلَا أَرْجُو لِسَانَ الْحَالِ عَنْ تَكْذِيبِهِ أَبَدًا يَرَى سَكَيْتَا
 لَا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ مَسِيرِكَ خَوْفَ أَنْ تُوتَى فَلَمْ تَحْضُرْ فِسْرَ إِنَّ شَيْتَا
 قَامَتْ بِأَمْرِ السَّائِلِينَ بَرِيرَةً لَمَّا إِلَى الْجَنَّاتِ سَارَتْ كُوتَا
 وَاسْتَحْلَفَتْهَا عَنْ حَسَنِ خِصَالِهَا تَاللهِ جَلَّ لَمَّا ضَاعَتْ تِي تَا
 شَمْسًا نَدَى وَسَمَاحَةً بِكِلَيْهِمَا وَهُمَا بِهِ خَصَّ الإِلَهُ "أَتُوتَا"
 سُبْحَانَ خَالِقِ مَا يَشَاءُ لِمَا يَشَاءُ مِنْ عِنْدِهِ لَا غَيْرُ نِلَتْ الصِّيتَا
 اللهُ بَارَكَ فِيكَ ثُمَّ وَفِيهِمَا وَأَنَالَكُمْ يَوْمَ الْجَزَا تَشِيَّتَا
 فَمِنْ الثَّنَاءِ قَدِي قَدِي فَقَلِيلُهُ كَكَثِيرِهِ مِنْ ذِكْرِ مَا أُوتِيَّتَا
 لَوْلَا النُّفُوسُ سَمِيَتْ كُلَّ قَصِيدَةٍ فِي الْمَدْحِ لَمْ تُنْسَجْ عَلَيْكَ "تَفُوتَا"¹
 فَمُحَمَّدٌ مِنْ فَوْقِ فَوْقِكَ فَهُوَ لَا أَنْسَاهُ لَا أَنْسَى وَلَا أُنْسِيَّتَا
 يَا صَوْرَتَكَ الْحُورُ قَبْلَ الْمَوْتِ فِي جَنَّاتِهِنَّ وَخَاطَبَتَكَ بَهِيَّتَا
 وَعَلَيْكَ أَلْفَى اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ سِتْرًا بِهِ مِمَّا تَخَافُ وَقِيَّتَا

في تقرير من كتبوا كتاب أبي داود وشرحه بذل المجهود، وكتاب الشيخ الحمود بالخط
 السوكي المغربي²:

{الكامل}

قِفْ نَسْتَمِعْ نَجْوَى "أَبِي دَاوُدَا" وَتَعَنَّ لِي بِحَدِيثِهِ مَسْرُودَا
 شَيْفَ بِمَرْوِيَّاتِهِ وَخَلِيلِهِ سَمَاعَتِي وَحَلَّ عَنْكَ الْعُودَا
 وَانْظُرْ إِلَى الْمَشْرُوحِ وَانْظُرْ شَرْحَهُ وَاجْمَعْهُمَا تَسْتَكْمِلِ الْمَقْصُودَا
 اللهُ مِنْ تَنْصِيصِ ذَاكَ وَحَلَّ ذَا فَكِلَاهُمَا قَدْ بَادَلَا الْمَجْهُودَا

¹ تفوتا: كلمة طارقة تعني: "خاسرة وفاشلة".

² المرجع السابق، ص 116، وتمت مقارنتها بنسخة أخرى ضمن مجموعة شعرية مبعثرة لدى الباحث.

إِنَّ كَانَ أَسَسَ أَوَّلَ فَلَقَدْ بَنَى
 أَوْ قِيلَ أَصْلُ فَاْلْمُفْرَعُ رُبَّمَا
 صَدَّقَ بِأَنَّ حَدِيثَ أَحْمَدَ لَمْ يُحِطْ
 قَسَمًا لَعْنِ لَمْ يُخْصِهِ بِتَمَامِهِ
 جَازَى الْمَلِكُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَأَطَالَ مُدَّتَهُ مُعَافَى رَاقِبًا
 وَأَقَرَّ عَيْنِي رَأْسِهِ فِي آلِهِ
 لَمَّا رَأَى صُنْعَيْهِمَا مُتَكَامِلًا
 أَخَذَتْهُ إِمَّا غَيْرَةً أَوْ رَغْبَةً
 نَاجَتْهُ فِكْرُهُ بِأَنَّ شَارِكُهُمَا
 فَاسْتَنْهَضَ الْكِتَابَ مِنْ أَتْبَاعِهِ
 وَاسْتَحْضَرَ الْآلَاتِ غَيْرَ رَخِيسَةٍ
 وَاقَى بِرَقٍّ رَائِقٍ وَأَمَدَةٍ
 نَادَى هَلُمُّوا اسْتَنْهَضُوا هِمَاتِكُمْ
 فَتَسَابَقَ الْفُرْسَانُ يَقْدُمُ جَمْعُهُمْ
 الْفَاضِلُ ابْنُ الْأَفْضَلِينَ السَّابِقُ ابْنُ
 تَشْكُو الدَّوَاهُ قِلَامُهُ وَقِلَامُهُ
 وَمِيمَنُهُ بِالْقُرْبِ "آمُ الْمُرْتَضَى"
 وَتَرَى "أَتَوْ" قُدَّامَ يَوْمًا يُمْنَةً
 وَوَرَاءَ لَا تَلْقَاهُ يَوْمًا مَا وَلَا

ثَانٍ، وَأَحْكَمَ مَا بَنَاهُ مَشِيدًا
 حَازَ الْأُصُولَ وَكَمْ أُنِيلَ مَزِيدًا
 أَحَدٌ بِهِ فَاعْذُرْ أَبَا دَاوُدَا
 فَلَكُمْ رَوَى وَلَكُمْ أَفَادَ مُجِيدًا
 خَيْرَ الْجَزَاءِ السَّيِّدَ "الْمَحْمُودَا"
 وَمُرْقِيًا وَمُجَدِّدًا تَجْدِيدًا
 ذُرِّيَّةً أَوْ أَهْلًا أَوْ مَوْدُودَا
 مُتَنَاسِبًا مُسْتَحْسَنًا مُحْمُودَا
 يَعْتَادُهَا أَيَّامَ كَانَ وَلِيدَا
 فِي خِدْمَةٍ فَكُتِبَتْهُمَا تَقْيِيدَا
 مُرَدًّا وَشَيْبًا سَيِّدًا وَمَسُودَا
 لَوْلَاهُ كَانَ كَثِيرُهَا مَقْفُودَا
 يَا رَبِّ فَاجْعَلْ عُمْرُهُ مَمْدُودَا
 خَطُوهُ خَطًّا رَائِقًا مَمْدُودَا
 "رَيْنُ الدِّيَانَةِ" شَاهِدًا مَشْهُودًا¹
 نِ السَّابِقِينَ أُبُوَّةُ وَجُدُودَا
 سِكِينُهُ وَلَكُمْ شَكْتُ تَحْدِيدَا
 وَيَسَارُهُ "عَنْ" فَارِسًا مَعْهُودًا²
 أُخْرَى وَكَمْ تُلْفِيهِ ثُمَّ فَرِيدًا³
 تُلْفِيهِ إِلَّا قَائِدًا وَمَقُودَا

¹ زين الديانة يقصد به الشيخ زين الدين بن المنير، ويبدو أنه رئيس الفريق الذي شكله الشيخ الخضر لكتابة سنن أبي داود.

² أمو المرتضى: الشاعر الشيخ المرتضى، وهو من الشعراء الواردين في الدراسة، "عن" أيضا من علماء القبيلة الخطاطين.

³ "أتو" مجد بن مجد أحمد، من المشايخ، معلمي القرآن المشهورين، ومن كبار الخطاطين في قبيلة "كلُّ تَجَلَّتْ".

فُرْسَانُ سَبَقِ سَبَقُهُمْ مُتَقَادِمٌ بَاقٍ بَقَاءَ الدَّهْرِ لَا مَحْدُودًا
تَدْرِي الْقَرَاطِسُ أَتَنَّهُمْ أَرْبَابُهَا وَالْحَطُّ يَعْرِفُ مِنْهُمْ التَّجْوِيدَا
وَكَذَلِكَ الشَّيْخُ "الْعَتِيقُ" فَسَائِلًا عَنْهُ الْكِتَابَةُ حُمْرَهَا وَالسُّودَا¹
تُخْبِرُكَ تَقْوِيمَاتِهِ كَلِمَاتِهِ وَحُدُودَهَا هَلْ جَاوَزَ الْمَحْدُودَا
هَيْهَاتَ بَلْ وَفَى السُّطُورَ حُقُوقَهَا تَوْسِيطًا أَوْ تَقْوِيمًا أَوْ تَجْوِيدَا
لَمَّا رَأَتْ نَهَضَاتِهِ وَزَرَائِهِ صَارُوا قِيَامًا عِنْدَهُ وَقُعودَا
سَمِعُوا نِدَاءَاتِهِ فَطَارُوا نَحْوَهَا وَتَكَتَّبُوا مُتَلَاحِقِينَ وَفُودَا
فَنِيَانُ حَطَّ يَعْرِفُونَ صُنُوفَهُ وَجُومَهُ وَخُوسَهُ وَسُعودَا
فَنَاهَبُوا وَتَنَاهَبُوا مَخْصُوصَهُمْ وَتَنَارَعُوا التَّوْرِيدَ وَالتَّسْوِيدَا
وَكَيْبَةُ الْأَنْصَارِ بُورِكَ فِيهِمْ وَافُوا حُضُوعًا رُكْعًا وَسُجُودَا
لَكِنْ لَهُمْ تَحْتَ السَّكِينَةِ حَمَلَةٌ إِرْثِيَّةٌ فَتُلَيْنُ الْجُلُودَا
يَقْتَادُهُمْ "زَدٌ" الَّذِي اِزْدَانَتْ بِهِ حَتَّى اتَّخَذَنَ الْعِيدَا²
قَالُوا غَدَاةَ تَجَمَّعُوا مُرَّ نَأْتَمِرُ وَاقْسِمَ لَنَا وَنَزِيدُكَ التَّجْلِيدَا
وَلَسَوْفَ تُبْصِرُ مَا يَسُرُّكَ كُلَّمَا نَادَيْتَنَا وَسَتَبْلُغُ الْمَقْصُودَا
حَبَسُوا نُفُوسَهُمْ وَكُرُوا كَرَّةً مَا فَاقَ مِنْهَا الْوَالِدُ الْمَوْلُودَا
حَتَّى أَتَوْا بِمُجَلَّدٍ مُسْتَكْمَلٍ وَأُشْبِعَ أَنْ قَدْ أَنْجَزُوا الْمَوْعُودَا
فَعَلَى الْجَمِيعِ اللَّهُ أَسْبَلُ سَاتِرًا مِنْ عَفْوِهِ وَمِنْ الْأَمَانِ بُرُودَا
وَأَمَدٌ مِنْ أَمَادِهِمْ وَوَفَاهُمْ وَجِنًّا عَائِنًا وَحَسُودَا
فِي خِدْمَةِ الْحَمُودِ طَالَ بَقَاؤُهُ شَيْخًا مُرَادًا مَوْرِدًا مَوْرُودَا

¹ هو الشيخ العتيق المتردد معنا أثناء البحث.

² "زدًا" محمد حميدي، من كبار مشايخ وعلماء كل تيكريت.

في المديح النبوي والتشوق إلى الحرم¹:

{السيط}

مَا ذِكْرُ لَيْلَى وَلَا سُعْدَى اعْتَرَى خَلْدِي
بَلْ حُبُّ مَكَّةَ أَضْنَانِي وَبِي شَعْفُ
فَإِنْ أُمْتُ بِهِمَا شَوْقًا فَلَا تِرَّةَ
أَوْ خُضْتُ مِنْ أَسْفِ لِحَاتٍ تَهْلِكَةَ
لَا صِدْقَ فِي الْحُبِّ مَا لَمْ يُدْعَ صَاحِبُهُ
لَا تَعْتَبُونِي فَلَا سَمْعَ فَأَسْمَعُكُمْ
لِي بَيْنَ تَيْلِكَ قَلْبُ ضَاعَ مُذْ حَجَجِ
مَا بَيْنَ ذَاكَ وَذَا يَخْتَارُ مُنْفَرِدًا
يَأْوِي إِلَى الثُّبَّةِ الْخَضْرَاءِ آوِنَةً
الْيَوْمَ تَلْقَاهُ فِي الْمَسْعَى وَتُدْرِكُهُ
فِي رَوْضَةٍ مِنْ جَنَانٍ ثُمَّ مَرَّتُهُ
يَطُوفُ بِالْحِجْرِ لَكِنْ فِي مُوَاجَهَةٍ
أَنْ يَغِيبُ وَحُبُّ "المصطفى" صِفَةٌ
أَنْ أَحِيدُ وَأَخْلُو مِنْ تَذْكِرِهِ
بِي جُنَّةٌ ثُمَّ خَلَّاهَا وَوَدَّعَهَا
بِي وَالْبَنِينَ وَأَبَائِي وَمَا جَمَعْتُ
مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الرَّحْمَنِ رَحْمَتُهُ
أَبْهَى جَبِينًا أَعْرُ الْوَجْهِ أَبْيَضُهُ

وَلَا تَذْكُرُ أَحْبَابِي وَلَا بَلَدِي
إِلَى الْمَدِينَةِ مُتَدًّا إِلَى الْأَبَدِ
وَمَا لِقَتَلَى الْهَوَى مِنْ طَالِبِ الْقَوْدِ²
فَهَكَذَا فَعَلْتُ الْوَالِهَ الْوَجْدِ
يَا نَاحِلَ الْجِسْمِ أَوْ يَا دَائِمَ السَّهْدِ
وَمَا عَلِمْتُمْ بِمَا يَعْلِي بِهِ كَبْدِي
إِنَّمَا بَغَارِ حِرَاءٍ أَوْ لَدَى أُحْدِ
حَتَّى اسْتَقَلَّ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى جَسَدِي
وَالْبَيْتُ مَأْوَاهُ أَحْيَانًا عَلَى عَدَدِ
فِي زِيٍّ مُعْتَكِفٍ بَيْنَ الْكُوى بَعْدِ
وَمَاءٍ زَمَزَمَ مَسْقَاهُ مَتَى يَرِدِ
حَتَّى كَانَ لَمْ يَغِبْ عَنْهَا وَلَمْ يَجِدِ
كَانَتْ تُلَازِمُهُ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ
إِذَنْ فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي
رُوحٌ إِلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فِي صُعْدِ
كَفَّايَ مِنْ طَارِفٍ أَوْ تَالِدٍ لَبْدِ
مَنْ لَمْ تَلِدْ مِثْلَهُ أَنْتَى وَلَمْ تَكْدِ
أَقْنَى أَرْجُ كَحِيلٍ نَاعِمِ الْجَسَدِ

¹ من مجموعة شعرية سوكية غير مرتبة، بحوزة الباحث.

² الترة: الثار، ومثله القود.

مُطَهَّرَ يَدَيَّ جَبْرِيلَ بَاطِنُهُ
خَيْرَ النَّبِيِّينَ مِنْ خَيْرِ الْقَبَائِلِ فِي
زُهْرِيَّةٍ أُمُّهُ أَصْلًا، أَبُ قُرَشِيٍّ
عَلَى امْتِصَاصٍ لِنُدَى السَّعْدِ مُكْتَسِبًا
يَا سَيِّدَ الرُّسُلِ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ يَا
يَا شَافِعًا يَوْمَ لَا مَالَ وَلَا وَلَدَ
يَا خَاتِمَ الرُّسُلِ يَا مَنْ لَسْتُ اعْبُدُهُ
مُسْتَشْفَعًا مُسْتَعِينًا غَيْرَ مُلْتَفِتٍ
حُذِنِي وَصَحْبِي إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ إِلَى
إِلَى الْمَدِينَةِ حَيْثُ النُّورُ أَنْتَ إِلَى
فِيكَ الرَّجَاءُ، وَإِلَيْكَ الْإِلْتِجَاءُ، وَبِكُمْ
وَبِالْبَتُولِ وَبِابْنَيْهَا وَحَيْدَرَةٍ
أَنْ لَا نَضِلَّ وَلَا نَخْزَى وَإِنْ كَثُرَتْ
وَلَا نُصَدِّ عَنْ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَلَا
وَلَا تُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا أَبَدًا
وَفِي ضَوَافٍ صَوَافٍ وَسَطَ عَافِيَةٍ
بَيْنَ الْمَشَايِخِ وَالْأَحْبَابِ نَائِمَةٌ
مُزْحَزِحًا سَيِّءِ الْأَمْرَاضِ مُبْتَعِدًا
مِنْ كُلِّ ذِي سَطْوَةٍ بَاغٍ وَذِي أَشَرٍ
أَوْ رَأْسٍ جَائِرٍ يُلْقِي الرَّعِيَّةَ فِي
يَا رَبِّ عَوْنًا عَلَى حَجِّ فَمُعْتَمِدِي

فَالْقَلْبُ مُتَمَلِّئٌ مِنْ حِكْمَةِ الصَّمَدِ
خَيْرِ الْمَسَاقِطِ قُلْ فِي أَمَنِ الْبَلَدِ
صِرْفًا فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا جَوْدَةُ الْوَلَدِ
مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ حِلْمًا عَلَى رَشْدِ
عَبْدِ الْإِلَهِ بَنَ عَبْدِ اللَّهِ يَا سَنَدِي
يُجْدِي وَلَا أَحَدٌ يُلَوِّي عَلَى أَحَدٍ
وَإِنْ دَعَوْتُ التِّدَاذَ شَاكِيًا أَوْ دِي
إِلَى أَبَاطِلِ غَاوٍ دَائِمِ اللَّدَدِ¹
مَهَابِطِ الْوَحْيِ حَيْثُ الْاهْتِدَاءُ بُدِي
مُوَاجَهَاتٍ وَإِنْ قَلَّتْ ذَوَاتُ يَدِي
تَوَسَّلِي، وَبَثَانِي اثْنَيْنِ وَالْعَمَدِ
الْفَارِسِ الْبَطَلِ الدَّرِيَّةِ الْأَسَدِ
مِنَّا الْخَطَايَا، وَلَا نَشْقَى غَدَاةَ غَدٍ
عَنِ الْمَدِينَةِ، وَالْآثَارِ بِالْبَلَدِ
فِي طَوْلِ عُمْرٍ وَفِي أَمْنٍ وَفِي رَعْدٍ
لَيْسَتْ بِعَافِيَةٍ مَمْدُودَةٍ الْمُدِّ
عَنَّا الْعُيُوثُ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالْحَسَدِ
عَنَّا وَاعْدَاءَنَا فِي الْكَدِّ وَالْكَبَدِ
سَاغٍ، وَمُسْتَعْلٍ بِالنَّفْسِ فِي الْعُقْدِ
بَحْرِ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الدَّائِمِ الصَّعْدِ²
عَلَيْكَ وَحَدَاكَ لَا مَالَ وَلَا عَدَدِ

¹ اللدد: الخصومة، واللجاج

² رائس: يقصد به الرئيس.

يا رَبِّ يا رَبِّ حَجًّا بَيْنَ طَائِفَةٍ مِنْ الْأَحِبَّةِ نُوتَاهُ بِلَا نَكْدِ
 فِي جَوْفِ طَائِرَةٍ فِي الْجَوِّ مُسْرِعَةً لَا نَشْتَكِي مِنْ أَدَاةِ الْأَيْنِ وَالتَّجْدِ
 جَوِّيَّةٍ مِنْ بَنَاتِ الرُّومِ مُحْكَمَةً حَمِيَّةٍ مِنْ خِيَانَاتٍ مِنْ الْجَدِّ
 سَوَّافُهَا بِأَكْفِ الرِّفْقِ يَصْرِفُهَا أَنِّي يَشَاءُ بِإِذْنِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ
 وَلَا يُكَلِّفُنَا مَا فَوْقَ طَاقَتِنَا حَتَّى يُؤُوبَ بِنَا فِي أَقْصَرِ الْمُدِّ
 مِنْ غَيْرِ مَيْدٍ وَلَا قَيْءٍ وَلَا ضَرَرٍ عَوْدًا عَلَى الْبَدءِ مِنْ قُرْبٍ إِلَى الْبُعْدِ
 يَا رَبِّ عَفْوَاً عَنِ الزَّلَّاتِ مَا بَلَغَتْ أَنْتَ الْعَلِيمُ بِهَا بِالنَّوْعِ وَالْعَدِّ
 هَذَا وَصَلَ عَلَى الْمُخْتَارِ أَكْمَلَهَا فِي الْآلِ وَالصَّحْبِ يُؤْتَاهَا إِلَى الْأَبَدِ
 مَقْرُونَةً بِسَلَامٍ فِي أَتَمِّ رِضَى عَلَى الدَّوَامِ بِلَا حَصْرِ وَلَا أَمَدِ

قال يفتخر، ويجب لقصيدة الشيخ إغلس اليماني التي يحض فيها شباب كل
 اسوك على التعلم¹:

(حيثما كنت باريا لليراعة)

{الخفيف}

فَاجَأْتُكُمْ إِحْدَى بَنَاتِ قُضَاعَةَ فَاقْبَلُوهَا وَجَنَّبُوهَا الْإِضَاعَةَ²
 وَارْفَعُوهَا فَوْقَ الرُّؤُوسِ ارْتِفَاعاً إِنَّهَا رِفْعَةٌ أَبُوهَا رِفَاعَةٌ³
 أَسْكِنُوهَا بَنَاتِ أَلْبُي كُلِّ مِنْكُمْ وَلَيْفُمْ بِهَا مُسْتَطَاعَةٌ⁴
 إِنَّهَا دُرَّةٌ وَزَادَتْ عَلَيْهَا فِي الرَّوَّاجِ إِضَاعَةٌ وَنَصَاعَةٌ

¹ ترغيب المشوق، زين الدين، ص 112

² قضاعة: اسم جد من أجداد القبائل العربية اليمنية، انظر: نسب معد واليمن الكبير لأبي منذر الكلبي، ص 552 ج 2، وإحدى بنات قضاعة إشارة إلى قصيدة إغلس التي يجيب عنها، ووجه الشبه بينها وبين بنت قضاعة "العروبة".

³ رفاعه: إشارة كذلك إلى رفاعه والد المنذر، والد عبد الله، ينظر: جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، ص 142، والمقصود ب رفاعه هنا صاحب القصيدة المجاب عنها الشيخ إغلس اليماني، سماه بذلك الاسم لرفعته.

⁴ بنات ألب: عروق في القلب يكون بها الرقة، والعطف .

بِرَهْمَانِيَّةٌ تَعُوقُ اللَّغَالِي إِحَا تَنْتَمِي لِأَهْلِ الْبِرَاعَةِ¹
 كَلِمَةٌ بُخْرِيَّةٌ تَتَابَى أَنْ تَكُونَ حَكِيمَةً فِي الصِّنَاعَةِ
 مِنْ أَدِيبٍ مُبَرَّرٍ عَرَبِيٍّ عَلَوِيٍّ، مَنْ دَا يُطِيقُ نِزَاعَهُ؟
 عَبْقَرِيٍّ رَاضٍ الشَّنَاخِبَ مَعْنَى كُلِّ لَفْظٍ مَا رَامَ إِلَّا نُحَاعَةً²
 أَتَيْنَ مِنْهُ زَهْرٌ فَكَيْفَ زُهَيْرٌ مَا كَثِيرٌ وَمَا حَمِيدٌ بُنْ طَاعَةً
 وَعَوَعِيٍّ مِنْ الْوَعَاوِعِ لَيْسُوا ثَنِيَّةٌ لَيْسَ فِيهِمْ لِعَاعَةً³
 فِي النَّزَالِ مُجَرَّبٌ لَمْ تُسَيَّرْ مُدُّ عَرَفْنَاهُ فَرَّةٌ مِنْهُ سَاعَةً
 لَا يُبَالِي مَهْمَا انْتَضَى السَّيْفَ يَوْمًا مَنْ يُسَافِرُ مُفْرَدًا أَوْ جَمَاعَةً
 فِي الْفُنُونِ مُقَدَّمٌ فُلَيْفَاخِرٌ مَنْ تَصَدَّى مَنْ دَا يُطِيقُ قِرَاعَهُ
 مُنْذُ مَصَّتْ ثَدْيِي اللَّغَى شَفَقَتَاهُ لَمْ يَدَعُهُ وَلَمْ يَمَلَّ ارْتِضَاعَهُ
 مَا امْتَطَى كَاهِلَ الصَّفَاصِفِ إِلَّا لِيُذِيعَ الْعُلُومَ أَيَّ إِدَاعَةً
 يَعْتَلِي تَارَةً رَبِّي أَدْمَى أَوْ أَدْبَى أَوْ عَلَى تِلَاحٍ يِرَاعَةً
 فَيَبُثُّ الْعُلُومَ بَيْنَ الْبَرََايَا وَيَقِي كُلَّ مَنْ أَطَاعَ بَعَاعَةً⁴
 ثَقَّقَتْهُ آبَاءُ صِدْقٍ نَمَتْهُ نُجَبَاءُ بِلَاعَةً وَشَجَاعَةً
 شَرَّقُوا غَرْبُوا وَلَمْ يَكُ مِنْهُمْ مُتَبَعٍ مَا سَوَى الْعُلُومِ بِيَاعَةً
 أَيُّهَا النَّاصِحُ الْمَأْمُورُ إِلَيْهِ عِظْ، وَمُرْ، وَأَنْهُ آمِنًا مِنْ ضِرَاعَةٍ
 أَيُّهَا السَّلَامُ ارْزُقْ وَاسْلَمْ مُعَافٍ لَا عَدِمْنَاكَ لَا عَدِمْنَاكَ سَاعَةً
 هَكَذَا الدِّينُ إِنَّمَا هُوَ نُصْحٌ ثَابِتٌ نَفْعُهُ رُزْقَنَا اتِّبَاعَةً
 لَاهِ دُرُكٌ مِنْ فَتَى غَيْرِ لَاهِ آثَرُ الْعِلْمِ بَلْ أَرَادَ ارْتِفَاعَةً

¹ برهمانية: نسبة إلى أحد ملوك الفرس.

² الشناخب: جمع شنخوب: قطعة عالية من الجبل، النخاع: عمق الشيء، وخلصته.

³ وعوعي: الشهم الظريف، اللعاع واللعاة: تتوارد في المعاجم بين معاني المرأة الجميلة، والنبت أول بداته وخاصة البهي، وفي تاج العروس يقال للدنيا: لعاعة: لأنها كالنبات الأخضر قليل البقاء. انظر (مادة ل ع ع/ تاج العروس للزبيدي)، ولعل الشاعر يقصد المعنى الأخير.

⁴ البعاع: شدة المطر، مع أن المعنى في البيت ليس واضحاً كثيراً.

صَدَقَتْ كَلِمَةُ أَتَتْ مِنْكَ حَضِيٍّ
 قَدْ لَعَمْرِي نَبَّهْتَ شَيْباً وَمُرْداً
 غَيْرَ أَنَا فَأَفْرَحُ وَأُبَشِّرُ عَلَى مَا
 وَالشَّبَابُ يُقَرِّطُ الْكُتُبَ سِفْراً
 نَقْرُؤُ الْمُنْزَلَ الْحَكِيمَ صَبَاحاً
 جَمَّةً كُتُبَ التَّفَاسِيرِ فِينَا
 وَالصِّحَاحُ بُشْرَاكَ تُتْلَى قَدِيماً
 نَقَرِيهَا تَقْفُهَا وَاقْتَبِاساً
 بَيْنَ كَفِّي كُلِّ ابْنِ حَمْسٍ مِنَ الْأَطْ
 فَحُطُّ الْحُرُوفِ حُطّاً أُنِيقاً
 وَمُدُّ الْمُدُودِ مِنْهَا وَنُوبِي
 سَائِلِ الرَّقِّ حِينَ نَسْطُو عَلَيْهِ
 لَا تَرَى الْأَلْفَاتِ تَشْكُو اغْوِجَاجاً
 أَسْطُرٌ تَسْتَوِي كَأَسْنَانٍ مُشْطٍ
 هَذَّبْنَا وَثَقَّفْنَا صِعَاراً
 نَتَعَاطَى مَا بَيْنَنَا بِأَكْفٍ
 نَتَبَاخَثُ فِي الْفُنُونِ لِسَاناً
 أَيَّ آنٍ نَسْتَبْدِلُ الْعِلْمَ جَهْلاً
 أَبَتْ الْأَنْفُسُ الْأَبْيَّةُ مِنَّا
 حَسْبُنَا اللَّهُ رَازِقاً وَوَكَيْلاً
 وَسَعِ اللَّهُ أَرْضَهُ فَاَنْتَشَرْنَا
 ضَى لَشَعْبٍ أَصْبَحَتْ تَحْشَى ضِيَاعَهُ¹
 وَصِعَاراً مِنَّا فَسَمِعاً وَطَاعَةً
 قَدْ عَهِدَتْ وَلَا تُرِيدُ ضِيَاعَهُ
 بَعْدَ سِفْرِ وَكُلُّهُمْ مَدَّ بَاعَهُ
 وَمَسَاءً وَلَا تَمَلُّ سَمَاعَهُ
 مَا وَرَثْنَا وَمَا نَرَى عِنْدَ بَاعَهُ
 وَحَدِيثاً أَنَّى تَكُونُ مُضَاعَةً
 وَاحْتِسَاباً نَرْجُو بِذَلِكَ الشَّفَاعَةَ
 قَالِ لَوْحُ كَمْ تَعْنِيهِ الْيَرَاعَةُ
 لَمْ يُقَرِّمْطُ مُجَوِّدِينَ ارْتِصَاعَهُ
 كُلَّ حَرْفٍ حُفُوفَهُ وَطِبَاعَهُ
 بِالْمَزَابِرِ هَلْ نُجِيدُ اصْطِنَاعَهُ
 لَا وَلَا الْمِيمَ تَشْتَكِي الطَّمَسَ سَاعَةً
 قَوْمَتْ أَشْهَاءُ تَمَامِ الصِّنَاعَةِ
 شَيْخَةٌ قَادَةٌ أَبَاةُ اللَّكَاعَةِ
 بُورِكَتْ مِنْهُمْ كُؤُوسَ الْبِرَاعَةِ
 ثُمَّ نَحْوًا وَنَسْتَمِدُّ شُعَاعَهُ
 لَا وَلَا الْعِزَّ ذِلَّةً وَوَضَاعَهُ
 أَنْ تَذِلَّ مَخَافَةً مِنْ مَجَاعَةِ
 وَكَفَيْلًا طُوبَى لِمَنْ قَدْ أَطَاعَهُ
 نَبْتَغِي الْفَضْلَ شَاكِرِينَ اتِّسَاعَهُ

¹ حضيضي: خالصة إلى الشعب.

لا بِمَلْهُى نَافَى الدِّيَانَةِ نَلْهُو لا كَوْتَشٍ وَلَا أَغَانِي الإِدَاعَةِ
 لا نَرَى نَاجِراً وَلَا أَنْكَرِيّاً نَابِذاً لِلدَّوَاةِ أَوْ لِلْيِرَاعَةِ
 هَاكُهَا هَاكُهَا هَدِيَّةَ حَبِّ كَانَ حُبُّكَ مُذْ رَاكَ طِبَاعَهُ
 هَاكُهَا هَاكُهَا وَلَيْسَتْ عِرَاضاً لَكَ حَاشَا مِنْ أَنْ تَكُونَ رِفَاعَهُ
 هَاكُهَا وَرَعْنَهَا لَكَ بُشْرَى بِالْقُبُولِ وَبِاسْتِطَاعِ طَاعَهُ
 حَاضَ بَحْراً مِنْ السَّلَامِينَ طَه بِالْأَهَالِي، وَمَنْ أُنِيلَ اتِّبَاعَهُ

في قصيدة إخوانية إلى الشاعر / محمد بن تان¹:

{ البسيط }

مَهْمِمْ فَمِنْ أَيْنَ أَوْ عَنْ مَنْ تَبَاكِيكَ فَفِي الْبُكَاءِ قَلِيلٌ مَنْ يُحَاكِيكَا
 اذُنْ اذُنْ مِئِي جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً فَالْعِشْقُ يَشْمَلُنَا لَوْلَا تَنَائِيكََا
 صَدَدْتُ يَا ظَبِّي لَكِنْ لَا لِتُحْزِنِي بَلْ أَنْ تُحَرِّكَ فِي الْحُبِّ تَحْرِيكََا
 إِنْ كَانَ قَبْلُ جَنِيناً لَا حِرَاكَ لَهُ فَقَدْ تَحَرَّكَ يَأْساً مَنْ تَلَايِكََا
 فَلْتَسْتَرْخِ فَشُهُورُ الْحَمْلِ قَدْ كَمَلَتْ وَالْوَضْعُ مِنْ أَحَدٍ ثَارٍ فِي يَكْفِيكََا
 فَاللَّهُ اللَّهُ فِي صَبِّ تُعَذِّبُهُ بِالصَّدِّ تَحْسَبُهُ أَعْدَى أَعَادِيكََا
 إِنْ كَانَ حُبُّكَ حَقّاً لَا أُضِيعُهُ عَلَيَّ مَا عِشْتُ لَكِنْ لَا أُلَايِكََا
 مَا هَكَذَا الرَّأْيُ إِلَّا أَنْ تُخَالِفَ مَا تَعْتَادُ أَهْلُ الْهَوَى فِيمَنْ يُوَاخِيكََا
 يَا أَيُّهَا الظَّبِّي عَدْلاً فِي قَضَائِكَ فِي هَذَا الْمُحِبِّ وَرَاعٍ مَنْ يُرَاعِيكََا
 إِلَى مَتَى وَعَلَى مَ لَا عَلَى سَبَبٍ وَلَا إِلَى أَجَلٍ دَانَ يُدَانِيكََا

¹ المرجع السابق، ص 116

يا عاذِلِي فِي الْهَوَى لَوْ كُنْتُ عَاذِلُهُ
 هُوَ الْجَدِيرُ بِهِ دُونِي وَأَنْتَ بِهِ
 أَمَّا فَإِذَا لُئِمْنِي مِنْ قَبْلِ لَوْمِكُهُ
 مَا فِي شَرِيعَةِ أَهْلِ الْحُبِّ قَاطِبَةٌ
 أَتَدْعِي أَنِّي أَرْضَى تَدْلُلُهُ
 مِنْ أَيِّ شَيْءٍ نَشْتُ مِنْ عَقْلَةٍ بِكَ أَوْ
 مَا زِلْتُ مُذْ كُنْتُ هَاءَ اللَّهِ حَاضِرَ مَا
 عِلْمًا بِأَنَّكَ عَنْ مِثْلِي لَدَاهِيَّةٌ
 فَيَا "مُحَمَّدُ" إِنَّ الظُّبِّيَّ تَعْمِيَّةٌ
 مَا سَارَ فِكْرِي قَطُّ مُنْذُ فَاجَأَنِي
 كَلَّا وَلَا دَارَ سُلُوَانٍ عَلَى حَلْدِي
 كُنْ حَيْثُ شِئْتَ أَكُنْ مِنْ حَيْثُ قَدَّرَ لِي
 بِهِ تَمَسَّكَ وَحَاذِرْ قُوَّتَهُ فَعَسَى
 فَمُنِّي وَنِيَالُ الْمَرْءِ مُنِيَّةٌ
 أَرَوِي الْعُلُومَ جَمِيعًا عَنْكَ لَا تَرِ مَا
 قَصَائِدُ الْبُحْثَرِيِّ الْيَوْمَ قَدْ تُرِكَتْ
 مِنْ مُمَكِّنٍ أَنْ يَكُونَ مَوْنُهُ زَمَنًا
 إِلَى الْقَرِيبِ تَسَابَقْنَا فَأَوَّلُ شَيْءٍ
 فَأَيُّ مُسْتَحْسَنِ إِلَّا وَجِئْتُ بِهِ
 أَلَى يُنَازِعُكَ الْأَشْعَارَ ذُو سَفَهٍ
 وَهَكَذَا الْجُودُ خِفْنَا أَنْ يَضِيعَ إِلَى

قَبْلِي وَجَدْتُ إِلَى عَذْلِي مَسَالِيكَ
 أَحَقُّ مِنْهُ فَحَاذِرْ أَنْ يُؤَافِكَ
 فَإِنَّ لَوْمِي عَنْهُ الْحَالُ نَاهِيكَ¹
 إِلَّا اقْتِحَامُ كَثِيرٍ مِنْ نَوَاهِيكَ
 إِنْ كَانَ ذَاكَ فَمِنْ أَوْهَى دَعَاوِيكَ
 مِنْ عَقْلَةٍ بِي أَوْ أَنِّي أَصَافِيكَ
 قَدْ كَانَ مِنْ صَدِّهِ عَنِّي أَعَادِيكَ²
 بِاللَّهِ جَلَّ عِيَاذًا مِنْ دَوَاهِيكَ
 أُكْنِي بِهِ فَأُسَمِّيهِ وَأَعْنِيكَ
 ذِيَالِكَ الْبَيْنُ إِلَّا فِي مَعَانِيكَ
 فَمِنْ رِعَايَتِهِ لِلْعَهْدِ نَاهِيكَ
 فَالْقَلْبُ لَا شَكَّ مَحْبُوسٌ بِوَادِيكَ
 جِسْمِي إِذَا أُطْلِقْتُ فِي الْأَسْرِ تَأْتِيكَ
 أَنْ لَا يَكُونَ فَمِي إِلَّا إِلَى فَيْكَ
 فَنُ الْقَرِيبِ فَمِنْهُ مَنْ يُسَاوِيكَ
 وَأَعْرَضَ النَّاسُ عَنْهَا مِنْ قَوَافِيكَ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ خَوْفًا أَنْ يُجَارِيكَ
 سَبَقْتَنَا وَقَلِيلٌ مَنْ يُدَانِيكَ
 مِنْهُ فَكُلُّ أَمْرٍ مِنْهُ فَقَافِيكَ
 مِثْلِي وَيَزْعُمُ جَهْلًا أَنْ يُضَاهِيكَ
 أَنْ كُنْتُ مِنَّا فَأَنْجِئُهُ أَيَادِيكَ

¹ "لومكه": من باب وصل الضمير المنفصل، ففي هذه الحالة القياس: لومك إياه، انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ص 45.

² هاء الله: قسم.

مُسَلِّمٌ لَكَ مِنْهُ السَّبْقُ مُفْتَقِدٌ
 فَالسُّحْبُ مِنْ زَمَنِ تَهْمِي وَجُودِكَ لَا
 أُمُّ لِفَاقِدِ أُمِّ إِنْ أَتَاكَ، أَبٌ
 فَأَوَّلُ الْأَوَّلِ الْمِيمُ الَّتِي تُرَكَّتْ
 فَإِنْ إِلَى أَصْلِهَا تَشْدِيدُهَا رَجَعَتْ
 وَالْهَمْزُ أَوَّلُ ثَانِيهَا وَثَالِثُهَا
 عَلَيْكَ كُلُّ لِسَانٍ كُلُّ آوَنَةٍ
 فِي النَّاسِ مِنْهُ بِلَا إِلَّا مُبَارِكًا
 تَرَى انْقِطَاعًا لَهُ أَنِّي تُحَايِكًا
 لِفَاقِدِ الْأَبِ، أَخَذًا مِنْ أَسَامِيكَ
 وَلَمْ تُشَدِّدْ لِأُخْرَى شُدِّدْتَ فِيكَ
 تَوَلَّدَ الْهَمْزُ فَلْتَفْهَمَ مَعَانِيكَ
 بِالْبَاءِ صُدِّرَ لَا سُرَّتْ أَعَادِيكَ
 صَلَّى وَسَلَّم طَه فِي أَهَالِيكَ

وله هذه القصيدة الآتية في آخر عمره، جعلها خاتمة لشعره وتوبة عن أعماله، ويشرح فيها عقيدتهم، وطريقتهم¹:

{البسيط}:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا قُلْتُهُ بِفَمِي	مِنْ كُلِّ مَا لَمْ يَلِقْ شَرْعاً مِنَ الْكَلِمِ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا قَدْ رَأَتْ مُقَلِّي	مِنْ كُلِّ مُسْتَنْكَرٍ عُقْبَاهُ وَأَنْدَمِ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا صُبَّ فِي أُذُنِي	لَعَوّاً وَفُحْشاً وَمَا يُفْضِي إِلَى التُّهْمِ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا قَدْ جَنَّتُهُ يَدِي	أَخْذاً وَغَيْراً فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ وَكَمْ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ سَعْيِي بِلا غَرَضٍ	دُنْيَا وَآخِرَةٍ كَلَّفْتُهِ قَدَمِي
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَفَّارَ الْكِبَائِرِ مِنْ	كُلِّ الْمَآثِمِ بِأَدْيِهَا وَمُكْتَمِ
يَا رَبِّ عَفِّوْا عَنِ الزَّلَّاتِ إِنَّكَ ذُو	عَفْوٍ وَإِنَّكَ بَرٌّ وَاسِعُ الْكَرَمِ
يَا رَبِّ يَا رَبِّ أَنْتَ الرَّبُّ لَيْسَ لَنَا	رَبٌّ سِوَاكَ فَلَمْ تَرْتَبْ وَلَمْ تَهْمِ
نَبِيُّنَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ سَيِّدُنَا	مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
وَالدِّينِ الْإِسْلَامُ دِينِي لَا يُبَدِّلُهُ	هَيْهَاتَ دِيناً مَعَادَ اللَّهِ لَا وَلَمْ
خَمْسٌ دَعَائِمُهُ التَّوْحِيدُ أَوَّلُهَا	وَحْدٌ إِهْلَاكٌ، صَلِّ، ثُمَّ زَكِّ، صُمْ
وَالْحَجُّ إِنْ تَسْتَطِيعَهُ وَهُوَ خَامِسُهَا	فَرَضٌ عَلَيْكَ فَأَدِّ الْكُلَّ وَاسْتَقِمِ
وَالنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ رُسُلُ اللَّهِ قَبْلَتُنَا	أَبِي أَبُو الْمُسْلِمِينَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ
أَبُو الدَّيَّحِ خَلِيلُ اللَّهِ مُرْسَلُهُ	وَالْأُمُّ عَائِشَةُ بُشْرَايَ بِالرَّحِمِ
أَفْوَى أَدَلَّتْنَا الْقُرْآنُ وَهُوَ لَنَا	مِنْ كُلِّ مُؤَذِّ شِفَاءٍ جَهْلٍ أَوْ سَقَمِ
هَذَا عَقِيدَتُنَا، أَمَّا وَسِيلَتُنَا	فَالْمُصْطَفَى الْمُنْحَمَّنَا مَلْجَأُ الْأُمَمِ

¹ المرجع السابق، ص 118

لَوْلَاكَ لَا شَكَّ دَامَ الْكُلُّ فِي الْعَدَمِ	الْمُجْتَبَى الْمُتَرْضَى الْهَادِي الْمَشْفَعُ مَنْ
تُمَحَّى الْخَطِيئَاتُ رَغَمَ الْجَاهِدِ الْخَصِمِ	مُحَمَّدٌ مَنْ بِهِ حَمْدًا لِخَالِقِهِ
مَقْرُونَةٌ بِالسَّلَامِ بَارِئُ النَّسَمِ	صَلَّى عَلَيْهِ صَلَاةً لَا انْقِطَاعَ لَهَا
وَالزَّوْجُ كُلًّا مَعَ الْأَتْبَاعِ وَالْحَشَمِ	فِي آلِهِ الْعُرِّ وَالْأَصْحَابِ قَاطِبَةً

17. الْمُرتَضَى مُحَمَّدُ السُّوكِي

فقيه، ولكنه من أحد فحول الشعر العربي لدى السوكيين عموماً، وفي "كلّ تبورق" خصوصاً، ومن غرائب الاتفاق أنه كما كان آخرهم في القائمة بحكم الترتيب الأبجدي، ليس الترتيب الإبداعي، فكذلك هو آخرهم في الالتحاق بالرفيق الأعلى، إذ توفي عام 2010م¹.

شعره من الشعر الناضج، ومتأثر كثيراً مثل منافسه مُحَمَّدُ يوسف بمدرسة أبي تمام، مع ميل عام إلى الشعر المطبوع، وإقلال في المقدمات الطللية، وكأنه يحس بأنها مستهلكة كثيراً، ويتمحور شعره حول موضوعين أساسيين: الإخوانيات، والمدح، ولم يبحث أحد في شعره قبل بشكل مستقل، ولذا جمعت فيه هنا كل ما عثرت عليه:

في مدح آل سعود²:

{الكامل}

يا طَيْفُ أَرَقَ مُقْلَتِي أَتَدُوْدُ	عنها الكَرَى وتَسُوْءُها وتَعُوْدُ؟!
ذَهَبَتْ شَبِيهَةٌ مِنْ تَوَرَّقُ عَيْنُهُ	وَأَتَى الْمَشِيْبُ وِراءَها الموعودُ
لا أُلْفِيَنَّكَ ثَانِيًا لِي ثَانِيًا	عن رَقْدِي حَتَّى يَلُوْحَ عَمُوْدُ ³
دَعْ عَنْكَ مُضْطَجِعِي وَذَرْنِي نَائِمًا	فَمُدَامُ جَفْنِي مُقْلَتِي رُقُوْدُ
مَاذَا تُرِيدُ، وَإِنِّي لَمُبِيَّتٌ	مَدَحَ الْكِرَامِ وما لَدَيَّ جُحُوْدُ
فَلَا تُشَرَّنْ مَدَائِحًا يَسْعَى بها	فَوْقَ السَّحَابِ إِلَى "الرِّيَاضِ" بَرِيدُ ⁴
وَلَدَيَّ إِنْ كَانَ الْقَرِيضُ يَسُوْفُها	مِمَّا يَرْوِجُ مِنْ الشَّنَاءِ مَزِيدُ

¹ مقابلة مع ابن الشيخ الشاعر / محمد يحيى في نيامي، بتاريخ 2017/06/10م.

² ضمن المجموعة الشعرية المبعثرة بحوزة الباحث.

³ ثانياً الأولى: صارفاً، والثانية: المرة الأخرى.

⁴ الرياض: عاصمة السعودية

إِذْ كَانَ يَعْلَمُ مَنْ يَعُدُّ مَنَازِلًا لِلشَّمْسِ أَنَّ "بَنِي سُعُودَ" سُعُودُ
 مِنْهُمْ نُجُومٌ هُدًى، وَثَمَّ كَوَاكِبُ لِلرَّجَمِ مَوْقِعُهَا الْقَرِيبُ بَعِيدُ
 صَدَأُ الْحَدِيدِ عَلَى مَنَاقِبِ جُنْدِهِمْ يَوْمَ الْوَعَى، وَصَدَى الْجِبَالِ رُعُودُ
 أَمَّا "بَنُو عَبْدِ الْعَزِيزِ" فَأَنَّهُمْ بَيْتُ الْقَصِيدِ إِذَا أَتَاكَ قَصِيدُ
 يَبِضُّ الْوُجُوهَ مَعَ الْعَقَافِ، صَغِيرُهُمْ مِنْ قَبْلِ عَشْرِ سِنِينَ كَانَ يَسُودُ
 وَكِبَارُهُمْ غُرُرُ الزَّمَانِ حُجُولُهُ وَبُدُورُهُ وَشُمُوسُهُ وَأُسُودُ
 الصَّابِرِينَ الضَّارِبِينَ الْهَامَ مِنْ نَحْتِ الْعَجَاجَةِ وَالْقَتَامِ بُرُودُ
 آبَاؤُهُمْ وَإِبَاؤُهُمْ عَلَوَا بِهِمْ قُنْنَ الْعُلَا، وَجُدُودُهُمْ وَجُدُودُ
 قُلْنَ لِلَّذِي يَسْعَى لِيُذْرِكَ شَأُوهُمْ بَلَّغُوا الْمَدَى وَأَبُوكَ أَنْتَ طَرِيدُ
 وَالْمَلِكُ "فَهْدٌ" سَيِّدٌ وَثَبَاتُهُ وَثَبَاتُهُ مَثَلٌ يَدُومُ شُرُودُ¹
 هُوَ عِزُّهُمْ سَقَاخُهُمْ مَنْصُورُهُمْ مَهْدِيُّهُمْ هَادِيَهُمْ وَرَشِيدُ²
 يَزْعَى الْعَدُوَّ بِمِقْلَةٍ، وَبِمِقْلَةٍ أُخْرَى الْفَقِيرَ فَيَتَّقِي وَيَجُودُ
 لِلَّهِ مَوْقِفُهُ تَجَاهَ عَدُوِّهِ وَرُسُوحُهُ تِلْقَاءُهُ وَصُمُودُ
 هَلَّا سَأَلْتَ بَعِزِّهِ وَبَحِزِّهِ "آلَ الصَّبَاحِ" بُعِيدَ آنَ أُعِيدُوا³
 أَوْجَدْتُمْ فَهْدًا مَعَارَةً لَا جِي يُفْنِي الْعِدَى وَيُيِّرُهُمْ وَيُيِيدُ
 لَجُّوْا فَأَمَّنَ سِرْبُهُمْ فَتَلَا حَقُّوْا فَهُمْ وَمَا وَلَدُوا لَدَيْهِ رُقُودُ
 مَاذَا تَرَى أَوْلَيْسَ حَزَرَ أَرْضَهُمْ رَجَعَ الثَّرَاءُ كَحَالِهِ وَخُدُودُ
 فَلَهُ بِذَلِكَ نِعْمَةٌ عُمَى عَلَى تِلْكَ الدِّيَارِ وَجُدِّعَ الرَّعْدِيدُ⁴
 فَلِمَنْ شَكَى وَلَمْ يَجِ وَلَمْ رَجَا وَلِمَنْ أَرَادَ طَرِيفُهُمْ وَتَلِيدُ
 هُمْ مَا هُمْ؟ هُمْ هَامٌ أَهْلُ الْجُودِ، بَلْ إِكْلِيلُهُمْ، بَلْ بَحْرُهُ الْمُؤْرُودُ

¹ فهد : بن عبد العزيز، العاهل السعودي، وثناته الأولى: جمع وثبة، وثناته الثانية: الواو للعطف، والكلمة الباقية "الثنات" المعروف، عكس الاضطراب.

² البيت كلهم عبارة عن تشبيه الملك بالأمراء السابقين في الدولة العباسية من السفاح إلى هارون الرشيد.

³ آل الصباح: الأسرة الحاكمة في الكويت.

⁴ الرعيد: الحبان

اللَّهُ أَكْرَمَهُمْ بِخِدْمَةِ بَيْتِهِ وَسِوَى قَضَاءِ الْخَالِقِ الْمَرْدُودُ
 حُرِّمُوا سِوَى الْحَرَمَيْنِ مِنْ مَعْمُورَةٍ وَلِمِثْلِ ذَلِكَ يُحْسَدُ الْمَحْسُودُ
 قَامُوا بِخِدْمَةِ ذَيْنِ أَحْسَنَ خِدْمَةِ سَلِّ مَنْ تَشَاءُ فَالْعَالَمُونَ شُهُودُ
 سُكَّانُ مَكَّةَ أَيْنَعَتْ ثَمَرَاتُهُمْ فَالتَّبَرُّ أَجْوَدُ الْجَنَى الْمَحْصُودُ
 بَلُّهُ الشَّعِيرِ فَلَاتَ حِينَ مَجَاعَةٍ فَالْمُتَرَفُونَ زُبُودُهُمْ وَهَنُودُ
 بَثُّوا الدُّعَاةَ فَبَيَّنُوا سُنَنَ الْهَدَى وَأَبَتْ مَجُوسُ فَمَا هُدُوا، وَيَهُودُ
 وَبَنَوْا مَعَاهِدَ لِلْعُلُومِ فَمَا يَشَا اللَّهُ تَلْمِذُ فَالتَّفْسِيرُ وَالتَّجْوِيدُ
 وَالتَّحْوُ وَالتَّصْرِيفُ وَالتَّوْحِيدُ بَلْ كُلُّ الْفُنُونِ لِمَنْ دَرَى وَيُرِيدُ
 فَلْيَشْكُرِ التَّلْمِذُ سَعْيَ وَلَا تِهِمْ فَخِلَالَ ذَلِكَ رِزْقُهُ الْمَمْدُودُ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ يَرْضَى بِمَا أَوْلَاكُمْ وَعَبِيدُ مَوْلَاكُمْ فَشِرَارُكُمْ وَغَبِيدُ
 وَسُمِّيَ الَّذِي أَهْدَى الثَّنَاءَ "الْمُرْتَضَى" وَ"مُحَمَّدٌ" هُوَ وَالِدِي وَوَدِيدُ
 شَرْقِيٍّ "غَاو" عَشِيرَتِي، وَدِيَارُنَا وَمُسَوَّدُ مَنَا مَعَاً وَمَسُودُ¹
 صَلَّى عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ مُحَمَّدٍ ذُو الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ الْمَعْبُودُ

¹ غاو: المدينة التي يقطنها الشاعر وقومه، وهي من أهم المدن بشمال مالي/ أزواد.

القصيدة الخالدة، في ندبة اليوم المأساوي الذي شهدته أحياء الشاعر، يوم تم الهجوم الغاشم على قريتهم العاملة حينها "وادي الشرف"، فتم تصفية العلماء، وتهجير البقية، إلى آخر ما تصوره القصيدة بالمستوى الدرامي العالي¹:

{الوافر}

لَأَمْرٍ ما بَكَى الشَّيْخُ الدِّيَارَا	لَخَطْبٍ صَيَّرَ الْعُقَلَا حَيَارَى
رَثَيْنَاهَا مَنَازِلَ دَارِسَاتٍ	لَنَا سَحَتْ الْعَدُوُّ بِهَا الْخِيَارَا
تَرَى الْعُقَلَا وَتَحْسِبُهُمْ سُكَارَى	لِمَا بِهِمْ، وَهُمْ لَيْسُوا سُكَارَى
وَلَكِنْ حَلَّ سَاحَتَهُمْ لَيْثَامٌ	عُصَاةٌ فَسَقَ بَلَهَ "التَّتَارَى" ²
كَذَلِكَ نَاشِئٌ مِنْ مَاءٍ سُوءٍ	كَهْمٌ، يُلْقَى حِمَاراً أَوْ قَدَارَا
أَلَا بُعْدًا أَلَا سُخْقًا وَتَعْسًا	لِحَيْشٍ مِنْ عَلَى الْعُلَمَا أَغَارَا
جُمُوعًا شَوْهَ الْجَبَّازِ مِنْهُمْ	وُجُوهًا، هَلْ رَأَيْتَ الدَّهْرَ قَارَا ³
فَكَمْ مِنْ عَالِمٍ تَرَكُوا صَرِيحًا	يُخَالِطُ وَجْهَهُ ثُمَّ الْعُبَارَا
وَمَا تَرَكُوا لِيَتِ اللَّهُ بَابًا	وَلَا لِلنَّاسِ دَارًا أَوْ حِدَارَا
وَلَا فَتْحًا وَلَا فُرْطًا تَزَيَّ	بِهَا مِنَّا الْفَتَاةُ وَلَا خِمَارَا
إِلَى مَا لَا أَقْصُ عَلَيْكَ مِمَّا	بِقُلُوبِنَا مَعًا يُورِي أُوَارَا ⁴
تَبَصَّرَ هَلْ تَرَى تِلْقَاءَ شَيْئًا	أَشْبَهَهُ الْحَرِيقَ الْمُسْتَطَارَا
نَعَمْ، أَنْقَاضُ جَامِعِنَا وَكُنْتُ	بِهَا النَّيْرَانُ تَسْتَعِرُّ اسْتِعَارَا
فَإِنْ تَعَجَّبَ فَمِنْ عَجَبٍ وَلَكِنْ	أَنَا - وَأَبِيكَ - لَا أَنْسَى الْحِصَارَا
شُهُورًا سَبْعَةً نُرْعَى وَنُؤَذَى	وَمُنْعُ أَنْ نَزُورَ وَأَنْ نُزَارَا

¹ المجموعة الشعرية المذكورة.

² إشارة إلى التتار الذين عاثوا في الأرض فسادا أواخر الدولة العباسية.

³ مادة سوداء يطلّى بها الجمل الأجر، وكذلك السفن، ويتخيل الشاعر أن وجوه هؤلاء مشوهة، ومطلية بهذا الفار.

⁴ الأوار: حر النار، ووجهها.

عَلَيْكَ يَعُودُ لَوْمْ لَا عَلَيْهِمْ
 جَدِيرٌ أَوْلَوِيٌّ حِينَ بَنَّا
 أَضَاعُونَا وَعِزَّهُمْ أَضَاعُوا
 فَيَا رَبِّي اسْحَقِ النَّازِينَ عَنَّا
 فَمِنْ جَرَّاءٍ صَنِيعِهِمْ قَدْ أَمْسَى
 وَكَمْ مِنْ حُرَّةٍ نَسِيتَ دُهُولًا
 وَكَمْ نَجْمٍ يُضِيءُ إِذَا تَرَاءَى
 شَبَابٌ مَا رَأَتْ عَيْنَاكَ ضَوْءًا
 جَمَالٌ بَارِزٌ لِلنَّاسِ بَادٍ
 جِبَالٌ فِي السَّمَاءِ شُمٌّ أُزِيلَتْ
 قَضُوا وَمَضُوا وَأَنْفُسُنَا قُبُورٌ
 سَلَامٌ لِلَّهِ يَشْمَلُهُمْ جَمِيعًا
 فَلَا تُنْكِرْ عَلَيَّ حُرَّ أَيْيٍ
 عَسَى أَنْ لَا يَمُوتَ قُبَيْلَ يَوْمٍ
 وَلَا يَفْرَحَ بِعَسْرَتِنَا حَسُودٌ
 إِلَيْهِ أَكُفَّ فَاقَتِنَا مَدَدْنَا
 وَلَكِنْ كُلُّ مَنْ نَبْكِي وَنَنْعَى
 فَيَا لَكَ مِنْ أَبٍ بَرٍّ تَقِيٍّ
 رَحِيبِ الْبَاعِ رَحْبِ الدَّارِ سَمَحٍ
 هُوَ الْقَمَرُ الْمَنِيرُ وَمَنْ إِذَا مَا

إِذَا جَاوَزْتَ جَارَ السُّوءِ جَارًا¹
 بَنَّا أَنْ لَا تُجَاوِرَهُ خِيَارًا²
 أَوَانَ رَمَوْا وَرَاءَهُمُ النَّصَارَا
 وَلَا تَزِدْنَهُمْ إِلَّا تَبَارَا
 وَأَصْبَحَ سُوقُ عِلْمِ الشَّعْبِ بَارَا
 بِمَنْزِلِهَا خِمَارًا أَوْ إِزَارَا
 خِلَالَ دِيَارِنَا وَبَهَا تَوَارَى
 كَضُوءٍ وَجُوهِهِمْ حَاشَا النَّهَارَا
 وَمَعْنَى فِيهِمْ اسْتَتَرَ اسْتِتَارَا
 فَمَرَسَاهَا سَيْنَهَا أُهُيَارَا
 لِأَرْوَاحٍ هُنَالِكَ لَا الصَّحَارَى
 وَيَشْمَلُنَا، وَنَسْأَلُهُ اصْطِبَارَا
 أَصِيلَ الرَّأْيِ يَوْمَئِذٍ فِرَارَا
 قَرِيبٍ فِيهِ يَنْتَصِرُ انْتِصَارَا
 يَرَى مَا سَاءَنَا الْعَسَلُ الْمُشَارَا
 لِيَجْبُرَ عَظْمًا انْكَسَرَ انْكِسَارَا
 يُنْسِيْنَاهُ وَالِدُنَا "أَنَارَا"³
 وَضِيءِ الْوَجْهِ إِنْ سُئِلَ اسْتِنَارَا
 بِهِ أَزْدَهَرَتْ عَشَائِرُنَا ازْدَهَارَا
 كَسَى الْغَيْمِ السَّمَاءَ الظَّلْمَا أَنَارَا

¹ جَارَ: من الجور، الاعتداء.

² حِينَ بَنَّا: حين ابتعدنا.

³ أَنَارَا" لقب الشيخ المنير بن الشيخ حمادو، وهو والد الشيخ زين الدين المذكور في مواضع أخرى بالبحث.

وَمَنْ يُعْطِيَ الْجَزِيلَ وَلَا يُبَالِي وَيَحْسَبُ حَبْسَهُ الدِّينَارَ نَارًا
 فَسَلَنْ ضَيْفًا أَتَوْا وَهَنَا فِنَاهُ: أَلَمْ يُشْبِعْهُمْ شَحْمًا بِدَارًا؟
 بَلَى، وَأَضَافَ مَنْ يَنْوِي سَوَاءً شَهْرًا حِينَ مُخِّ الْعَظِمِ زَارًا¹
 وَمَا شَأْنُ الضُّيُوفِ وَإِنْ تَوَالَى لِيَمْنَعُهُ الْعِبَادَةَ وَإِدْكَارًا
 فَفِكْرًا تَارَةً وَدُرُوسًا أُخْرَى وَلَا تَسْأَلُ عَنِ الصَّلَوَاتِ تَارًا
 وَأَنْ يَدَعَ الْيَتِيمَ بِدُونِ رِيٍّ وَلَا شَبِعَ أَرَاهُ يَرَاهُ عَارًا
 فَدَعِ "هَرِمًا" وَ"ذَا طَيِّ" وَ"مَعْنًا" وَدَعِ عَنْكَ "ابْنَ مَامَةَ" وَالْبَحَارًا²
 فَمَا ذَاكَ الشَّهيدُ سَوَى رِبْعٍ قَدْ أَنْبَتَ مَا تَرَى فَاجْنُوا النَّمَارًا
 فَحَيًّا رَوْحَهُ الْمُؤَلَّى وَبَيًّا وَنَعْمَهُ وَقَرْنَهُ وَأَذَى
 فَمَا آبَاؤُنَا بِأَمْرٍ مِنْهُ وَجَلَّلَهُ بِالْطَّافِ مِرَارًا
 فَلَوْلَا أَنْ "زَيْنَ الدِّينِ" حَيٌّ وَبَوَّاهُ مِنَ الْفِرْدَوْسِ دَارًا
 وَلَكِنْ لَا أَقُولُ قَرَبٌ فَرَعٍ عَلَيْنَا اللَّاءِ رَبُّونَا صِغَارًا
 لَعَلَّ اللَّهَ يَحْفَظُهُ وَيُعْلِي مَرَاتِبَهُ وَبِجَعْلُهُ إِطَارًا
 وَيُورِثُهُ الْخِلَافَةَ رَغَمَ أَنْفٍ لِمَنْ يَأْبَى وَيَرْفَعُهُ جِهَارًا
 فَلَا تَعَجَّبْ مِنْ أَمْرِهِمَا فَكُلُّ بَسِيرَةٍ شَيْخِنَا "حَمَادٌ" سَارًا
 فَإِنْ يَكُ بَرٌّ ذَا مِنَّا صِغَارًا فَقَدْ مَاءَ بَرٍّ وَالِدُهُ الْكِبَارًا
 كَأْتِيهِمَا أَبُو صَخْرٍ وَصَخْرٌ وَقَدْ غَطَّاهُمَا فَتَمَّ أَثَارًا
 يَقُولُ النَّاسُ: أَيُّهُمَا؟ فَقُلْنَا: كِلَا الشَّيْخَيْنِ يَأْنَفُ أَنْ يُبَارَى
 فَأَحْيَا اللَّهُ ذِكْرَهُمَا بِنَسْلِ كَهَمَّهِمَا يَكُونُ لَنَا مَنَارًا

¹ رار: رار المخ: رققه، وأذابه، ويقال: مخ رارٌ بالتنوين: ذائب، رقيق.

² ذا طيب: يقصد به حاتما الطائي، والبقية أسماء معروفة: هرم، ومعن، وابن مامة، يريد أن يقول: إن الممدوح يفوق كل هؤلاء.

صلاةُ الله يَشْفَعُهَا سَلامٌ على التَّورِ الَّذِي بَيْنَ الْوَرَى رَأً¹
 محمدٍ الشَّفيعِ وخيرِ آلِ ظُرُوفٍ سُيُوفِهِمْ هَامُ النَّصَارَى
 وأصحابٍ وأنصارٍ أبَادُوا يَهُودَ وَهَدَّدُوا كِسْرَى بَنَ دَارَا
 تَرَى مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ فِي مَنَازِلِهِمْ حَيَاتُهُمْ الْأُسَارَى

من إخوانياته² التي تكاد تصل درجة النقائض مع ابن عمه الشاعر مُحَمَّدو يوسف، ردا
 على قصيدة مُحَمَّدو التي مطلعها:

وقفاً على طَلَلِ الهنودِ عواسفاً تَدَعُ العواصفَ إِنْ عَسَفْنَ رواسفاً

{الكامل}

حَجَبُوكَ عَنِّي حِينَ أَمَّوَا الطَّائِفَا
 أَنِّي اهْتَدَيْتِ لِسَاحَتِي وَهَنًا وَلَمْ
 وَلَقَدْ شَفَعْتَ أَوَانَ إِذْ نَبَّهْتَنِي
 بَلْ كَانَهُ الرِّشَاءُ الْأَعْرُ وَإِنَّهُ
 فَارِبَعٍ لَعَلَّكَ أَنْ تُبَرِّدَ غُلَّةً
 مِثْلَ الْأَوَانِسِ وَالْخِيَالِ دَلَالَةً
 إِنْ الْغَوَانِي طَرَفُوهِنَّ مُتَرَجِّمٌ
 لَا رِقْتُ إِذْ فَارَقْتَنِي أَمَرِقْتُ لَا
 أَلَّا أَرَاكَ خَلَا الْخِيَالَ الطَّائِفَا
 مَا تَلَقَّ دُونِي مَا يَصُدُّكَ صَارِفًا³
 وَتَرًّا أَخَا شَعَفٍ وَكُنْتَ الشَّاعِفَا
 لِمَتَّيَّمِي حُبًّا فَكُنْتُ الْوَاصِفَا⁴
 حُمِّ الْفِرَاقِ وَلَمْ تُصَادِفْ كَاشِفًا⁵
 مِثْلَ الصَّدَى الْجَبَلِيِّ يَحْكِي الْهَاتِفَا
 عَنْهُمْ يُبْلِي الْعَاشِقِينَ سَوَالِفَا
 نَوْمًا أَلَدَّ وَلَا أُنَيْسًا أَلِفَا

¹ رَأ: قصر ل "راء" بمعنى رأى.

² ترغيب المشوق، زين الدين، ص 205

3 - وهنا: الْوَهْنُ وَالْمَوْهِنُ: نحو من نصف الليل، وقيل: هو بعد ساعة منه. وأَوْهَنَ الرجل: صار في ذلك الوقت. والخطاب في هذا البيت والذي بعده للخيال الطائف، وعليه فتاء الفاعل مفتوحة في (اهتديت، وشغفت، وكنت)، وكذلك كاف الخطاب في (يصدق).

4 - الرشاء: ولد الطيبة إذا قوي وتحرك ومشى مع أمه.. الأغن: الذي يخرج كلامه في لهاته وقال غيره من خياشيمه.

5- أربع: انتظر. حم: حُمَّ هذا الأمرُ وأجَمَّ: مَضَى قَضَاؤُهُ.

إِنِّي أَتَمْتُ مُسَلِّمًا مُتَلَتِّمًا مُتَنَبِّيًا أَن لَّا يَكُونُ مُسَاعِفًا
غَيْثُ السَّمَاءِ وَشَمْسُهَا، وَإِذَا انْتَمَى لِلأَرْضِ كَانَ رَبِيعَهَا وَزَحَارِفًا
ضَحْمُ الدَّسِيعَةِ، كَابِنِ مَامَةٍ إِنْ يَجْدُ يَوْمًا تَجْدُ إِيلًا مَعًا وَوَصَائِفًا¹
مَا وَاصِفُوهُ بِكَادِيِ اللِّهْجَاتِ فِي إِيْثَارِهِ، فَاسْأَلْ تُصَدِّقْ وَاصِفًا
مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي حُزِنَتْهُ أَرْبَى عَلَيْهِ مَعَارِفًا وَعَوَارِفًا²
مَاذَا يَكُونُ لِحَبْرٍ مَنْ لَادُوا بِهِ يَخْدُو بِهِمْ فَقَرَّ يَكُونُ سَقَائِفًا³
سَائِلُ بِهِ جَارَاتِهِ وَأَرَامِلًا مِنْ قَوْمِهِ، وَمَشَاتِيًا وَمَصَائِفًا
وَحَوَائِجًا تُقْضَى، وَطَيْرًا عُكْفًا قَيْدَ الرَّمِيَّةِ مِنْ فَنَاهُ أَوَالِفًا
نَبْهَهُ بِالضَّيْفَانِ إِنْ عَاجُوا بِهِ فَإِذَا فَعَلَتْ فَشَأْنَهُ وَالشَّارِفًا⁴
كَرَّمَ عَلَى كَرَمٍ، وَحَسْبُكَ بَامْرِي أَنْ لَّا يُجَمِّمَ تَالِدًا أَوْ طَارِفًا⁵
آرَاؤُهُ بَصُرَ الْعُقُولِ وَسَعِيهِ يَذُرُ الرَّجَا الْمَأْمُولَ نَيْلًا آرِفًا
وَإِذَا اخْتَبَى بَيْنَ الْأَمَائِلِ خِلْتَهُ بَدْرًا سَوَى أَنْ لَا يَكُونُ الْكَاسِفًا⁶
وَإِذَا دَكَّتْ نَارُ الْمِرَا أَلْفَيْتَهُ طَلَقَ الْحَيَّا سَاكِتًا لَا خَالِفًا
سِنْ الْعُلَامِ وَسِيرَةُ الرُّهَادِ فِي ضَبْطِ يُنَازِعُهُ الْكَبِيرُ الدَّالِفًا⁷
فَهُوَ الَّذِي أَحْيَا اللَّيَالِي سَاهِرًا مِنْ حَشِيَّةِ الْمُؤَلَى فَأَصْبَحَ وَاقِفًا
أَوْ رَاكِعًا، أَوْ سَاجِدًا، أَوْ دَاعِيًا وَخِلَالَ ذَاكَ الدَّمْعِ يَجْرِي ذَارِفًا
اللَّهُ يَعْلَمُ لِلْسَيَادَةِ وَالنُّهَى وَالْحَزْمِ وَالْفَهْمِ السَّلِيمِ مَصَارِفًا
أُنْبِئْتُهُ فَهَمًّا فَلَمَّا جِئْتُهُ صَادَفْتُهُ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ الرَّاحِفًا

1 - ضخم الدسيعة: يُقَالُ لِلْجَوَادِ: هُوَ ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ أَيْ كَثِيرُ الْعَطِيَّةِ سُمِّيَتْ دَسِيعَةً لِدَفْعِ الْمُعْطِي إِيَّاهَا بَمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا يَدْفَعُ الْبَعِيرُ جَرَّتَهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً. وَصَائِفًا: جَمْعُ وَصِيفَةٍ وَهِيَ الْأَمَةُ.

2 - أَرَبَى عَلَيْهِ: زَادَ.

3 - سَقَائِفًا: السَّقَائِفُ: عِيدَانُ الْمُجَبَّرِ كُلُّ جُبَارَةٍ مِنْهَا سَقِيفَةٌ.

4 - الشَّرَفُ: الشَّرَافُ مِنَ الثُّوقِ: الْمُسَيَّنَةُ الْهَرَمَةُ وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: هِيَ النَّاقَةُ الْهَمَّةُ فِي الْأَسَاسِ: هِيَ الْعَالِيَةُ السِّنِّ.

5 - يَجْمَعُ: يَجْمَعُهُ حَتَّى يَكْثُرَ. التَّالِدُ: الْمَالُ الْقَدِيمُ الْأَصْلِيُّ الَّذِي وَلَدَ عِنْدَكَ، وَهُوَ نَقِيضُ الطَّارِفِ.

6 - احْتَبَى: احْتَبَى الرَّجُلُ إِذَا جَمَعَ ظَهْرَهُ وَسَاقِيَهُ بِعِمَامَتِهِ

7 - الدَّالِفُ: الدَّالِفُ أَيْضًا: مِثْلُ الدَّالِجِ وَهُوَ الْمَاشِي بِالْجَمَلِ النَّقِيلِ مُقَارِبًا لِلْخَطْوِ،

الْعَالَمُ الْفَطْنُ الذَّكِيُّ الْعَابِدُ الـ
 فَهُوَ الَّذِي حَسْبِي بِهِ خَلًّا، وَلَا
 اللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُمَتِّعَنَا بِهِ
 بَلْ رُبَّ لَيْلَةٍ سَاهِرٍ كَلَّفْتُهَا
 مُتَسَنِّمًا سِيسَاءَهَا، مُتَدَرِّعًا
 تَوًّا أُحَدِّثُ بِالْمُنَى نَفْسِي عَلَى
 تَعْدُو بِمِثْرَتِي وَيِي وَبِرَحْلَيْهَا
 تَرْمِي بِرِجْلَيْهَا وَكَفَّيْهَا الْحَصَى
 فِي كُلِّ ذَلِكَ صَاحِي وَخَلِيفَتِي
 لَا غَالِي نَوْمٌ وَلَا قَرٌّ وَلَا
 أَرْتَادُ حَظِّي ذَا عَقَافٍ مُجْمَلًا
 شَمُّ الْأُنُوفِ وَسَاطِعِي الْأَلْوَانِ لَا
 لَا أَتَّقِي لِصًّا وَلَا صِلًّا وَلَا
 حَاشَا الْمَنِيَّةَ إِذَا إِن تَنَحَّيْتُمْ
 أُمَهْدِدِي وَمُحَدِّرِي أَوْلَسْتَ قَدْ
 أَيَّانَ تَرْفُلُ إِذْ أَتَتْكَ الْيَاءُ فِي
 فَصَدَدْتَ، لَا أَدْرِي أَعَيَّ ذَاكَ أَمْ

وَرِعَ التَّقِيَّ الْفَاطِمِيَّ الْعَارِفَا
 أَنْبَغِي بِهِ بَدَلًا وَدُودًا عَاطِفَا
 وَيَكُونُ لِلْعَافِينَ ظِلًّا وَارِفَا
 عَنَسِي، وَلَا أَحْشَى لِحِنِّ عَارِفَا¹
 دِيْجُورَهَا، مُتَلَاطِمًا مُتَرَادِفًا²
 أَنِّي أَنْسِي نَاقَتِي بِمَتَالِفَا³
 طَيِّ الظَّلِيمِ سَبَاسِبًا وَصَفَاصِفَا⁴
 حَلْفِي وَقُدَّامِي تُضَاهِي الْخَازِفَا⁵
 رَبِّي، وَلَا أَنِّي بِشَأْنِي الْعَائِفَا⁶
 حَرٌّ يَمُوجُ أَوَارُهُ بِصَفَاصِفَا
 وَإِذَا أَنْحْتُ فِي ظِلَالٍ خَازِفَا
 سُودٌ ... جَامِدِينَ زَعَانِفَا
 أَسْدًا بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ عَوَاكِفَا⁷
 يَوْمًا فَحَيَّهَلَنْ بِرَاقٍ لَا شِفَا
 أَشْبَهْتَ أَحْرَسَ عَنْ جَوَائِي أَنْفَا!⁸
 حُلِّلْ تَجَرُّ مِنْ الْبَيَانِ مَلَا حِفَا⁸
 جُبْنُ فَأَيُّهُمَا خَلَا بِكَ صَارِفَا

1 - عَنَسِي: الْعَنَسُ: النَّاقَةُ الْقَوِيَّةُ الْعَازِفُ: الْعَازِفُ: وَ الْعَزِيفُ صَوْتُ الْجَنِّ تَعَزَفَ بِالْكَسْرِ عَزِيفًا.

2 - سِيسَاءَهَا: الْبَيْسَاءُ مُنْتَظَمٌ فَقَارُ الظَّهْرِ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْبَيْسَاءُ: فُرْدُودَةُ الظَّهْرِ وَهِيَ مَا ارْتَفَعَ مِنْ نَبْجِ الظَّهْرِ، وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: الْبَيْسَاءُ: الْمُنْقَادَةُ مِنَ

الْأَرْضِ الْمُسْتَبَدَّةُ. دِيْجُورَهَا: ظِلَامُهَا،

3 - مَتَالِفَا: الْمَتْلَفُ كَمَقْعَدٍ: الْمَهْلُكُ وَالْمَفَازَةُ وَالْجَمْعُ مَتَالِفٌ.

4 - جِمِثْرَتِي: (فِرَاشٌ وَثِيرٌ) أَيُّ وَطِيءٍ وَمِنْهُ (الْمِثْرَةُ) وَهِيَ شِبْهُ مِرْقَةٍ تُتَّخَذُ كَصَفَةِ السَّرِّجِ.

4- السَّبَاسِبُ: الْقِفَارُ، الظَّلِيمُ: الذَّكَرُ مِنَ النِّعَامِ، صَفَاصِفَا: الصَّفُوفُ مِنَ الْمُسْتَوِيَةِ .

5 -الْخَازِفُ: الْخَذْفُ رُمُوكٌ بِخَصَاةٍ أَوْ نَوَاةٍ تَأْخُذُهَا بَيْنَ سَبَابَتَيْكَ أَوْ تُجْعَلُ مَخْذَفَةً مِنْ خَشَبٍ تَرْمِي بِهَا بَيْنَ الْإِبْهَامِ وَالسَّبَابَةِ ،

6 -الْعَائِفَا: الْمُنْكَرُ لِلشَّيْءِ الْمُتَقَدِّرُ لَهُ،

7 - صِلَا: الصَّلَ الْأَفْعَى الَّتِي لَا تَنْفَعُ مَعَهَا رَقِيَّةٌ.

8 - تَرْفُلُ: رَفَلَ فِي ثِيَابِهِ يَرْفُلُ، إِذَا أَطَالَهَا وَجَرَّهَا مُتَبَخَّرًا، فَهُوَ رَافِلٌ. الْيَاءُ: قَصِيدَةٌ رَوِيَهَا حَرْفُ الْيَاءِ.

يا مُوقِظِي مِنْ رَفْدِي أَوَّلَمْ أَكُنْ
أَوْجَدْتُ حِينَ أَجَلْتُ كَفْكَ لَامِسًا
ثَهْلَانُ ذُو الهَضْبَاتِ وَيَحْكُ فَلْعُهُ
فَقَعِقَ وَرَا غَيْرِي بِشَنِّكَ إِنِّي
أَنَا ذُو عَجَمَتٍ وَذُو بَلَوْتٍ ثَبَاتُهُ
مُتَقَلِّدًا عَضْبًا صَقِيلًا، رَاكِبًا
مَا إِنْ تَكَادُ تَرَى بَرِيقَ سَنَوْرِي
وُجْدَانُ قَرْنِي غَرَّتِي صَعْبٌ كَمَا
هَذَا، وَإِنْ أَكُ لَا مَحَالَةَ خَائِفًا
فَالْخَطُ حِرْفَتِي الْقَدِيمَةُ مَكْسِي
وَالشَّعْرُ مُذْ عَقَدْتُ يَمِينِي حُجَزَتِي
لَمْ لَا وَمَكَّةُ مَنْشِي وَقَطِينُهَا
دَانَتْ لِهَيْبَتِنَا الْمَلُوكُ، وَلَا نَرَى
أَوْطَانَنَا حَرَمٌ وَأَمْنٌ، فَلْيَكُنْ
إِنَّا كَذَلِكَ لَا يُطَارُ غُرَابُنَا
أَنْظُرْ ذَا قَوْسِي وَقَدْ أَهْدَفْتُ لِي
هَذَا سَوَادِي فَارَمِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ
لَا أَعْرِفَنَّكَ إِنْ رَمَيْتَ وَلَمْ تُطِقْ
فَلَيْنَ فَعَلْتَ لَأَقْدِفَنَّكَ بَاطِشًا
وَلَيْنَ تَعَيَّنَ أَنْ تَسَابِقَ حَيْلُنَا

مَنْ صَحِبْتَ؟ أَلَمْ تَكُنْ بِي عَارِفًا؟!
صَدْرِي فُؤَادِي رَاعِشًا أَوْ وَاجِفًا؟!
أَعْيَى الرِّيحَ عَوَاصِفًا وَقَوَاصِفًا¹
يُزْرِي بِعَرْضِي أَنْ أَكُونَ الْخَائِفًا²
يَوْمَ الْوَعَى مُتَتَرِّسًا وَمُسَائِفًا
نَهْدًا خَفِيفًا، دَارِعًا مُتَجَانِفًا
تَحْتَ الْعَجَاجَةِ رَاكِدًا بِمَوَاقِفَا
جَرَنْتَ ذَاكَ مُصَارِعًا وَمُثَاقِفَا
فَالْعَوْلُ أَرْهَبُ لَا الْيَرَاعَ الرَّاعِفَا
تَجْوِيدُهُ، وَأَضْمُهُ بَوَاطِنَا
قِنْ يُطَاوَعُنِي وَلَيْسَ مُحَالِفَا
أُولَى الْوَرَى بِصَفَائِحٍ وَصَحَائِفَا
نَحْتَلُ مُذْ كُنَّا بَعِيرَ مَشَارِفَا
مَنْ شَاءَ ذَاكَ مُعَانِدًا وَمُخَالِفَا
شَتَانَ بَيْنَ غُرَابِنَا وَمُخَاوِفَا
تَدْعُو نَزَالِ نَزَالِ دُونَكَ زَاحِفَا
بَاقِي سِهَامِكَ فِي الْكِنَانَةِ عَاطِفَا
إِدْرَاكَ سَهْمِكَ دُونَ تَرْسِي آسِفَا
فِي لُجِّ بَحْرِ الشَّعْرِ، فَاحْشَ الْقَادِفَا
لَأَتَى جَوَادُكَ تَالِيًا أَوْ عَاطِفَا

¹ ثَهْلَانُ: جبل .

2 - فلان لا يقع له بالشنان: الشنان جمع شن، وهو القرية الخلق إذا قعقع نفرت منه الإبل؛ يضرب للرجل الشرس الصعب، لا يُهْدَد ولا يفرع. وقال

الحجاج على منبر الكوفة: ما يقعق لي بالشنان.

سَبَقْتُ إِلَيْكَ عَجَاجَتِي التَّهْدِيدُ فَإِذَا
أَقْطَاةُ عَشْكَ لَا يَكُنْ بِكَ أَجْدَلُ
هَآكَ الْفَصِيدَ دَوَانِيَا ثَمَرَانُهُ
خُذْهَا إِلَيْكَ مُحِبَّةً لِمُسَوِّدِ
خُذْهَا إِلَيْكَ غَرِيَّةً غَرِيَّةً
رَصَعْتُهَا بِجَوَاهِرِي وَكَسَوْتُهَا
خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً مِسْكِيَّةً
خُذْهَا إِلَيْكَ هَدِيَّةً أَنْشَأْتُهَا
نُهِيْ إِلَيْكَ مِنَ السَّلَامِ أَلَذَّةُ
وَتَلُمُ مَا كَفَا الْفِرَاقِ تَوَلَّاتَا
فَاعْذُرْ أَخَاكَ وَابْنَهُ هَيْهَاتَ هَا
حَيَّا إِلَٰهَهُ مُحَمَّدًا بِصَلَاتِهِ
مِنْ صَحْبِهِ وَعَشِيرَةٍ فِي جَنَّةِ
ظُرْ، هَلْ تَرَى لَكَ مَكْمَنًا مُتَكَاسِفًا
دُونَ الْمَجَرَّةِ طَائِرًا لَكَ حَاطِفًا¹
مِنْ قَاعِدٍ، كُنْ لَاقِطًا أَوْ قَاطِفًا
عَهْدِي بِهِ فِي حِينَا يَعْيِي بِفَا
أَوْدَعْتُهَا نُكْتًا مَعًا وَلَطَائِفًا
نَسَجَ الْبَدِيعِ مُنَمَّقًا مُتَضَاعِفًا
نَحْلِيَّةً، كُنْ نَاشِقًا أَوْ رَاشِقًا
جَبْرًا لِقَافِيَتِي الْوَيْدَةِ سَالِفًا
وَمِنْ التَّحَايَا أَلْفًا وَنِيَّافًا
تَشْتِيَتُهُ، تَطْوِي إِلَيْكَ نَفَائِفًا
اللَّهُ آفَ أَنْ تَكُونَ لَهَا كِفَا
وَسَلَامِهِ فِي آلِهِ وَطَوَائِفًا
أَهْلًا لَهُمْ مَفْرُوشَةً بِرِفَافًا²

1 - قطاة: طائر معروف ، سمي بذلك لثقل مشيه، عَشْكَ: العش: موضع الطائر يَجْمَعُهُ من دُفَاقِ الخُطْبِ في أَفْئَانِ الشَّجَرِ. أَجْدَل: صقر.
المجرة: مجموعة كبيرة من النجوم تركزت حتى تراءت من الأرض كوشاح أبيض يعترض في السماء.
2 الرفارف: الفرش المزينة.

قال لصدام حسين أثناء الغزو الأمريكي الأول للعراق¹:

{ البسيط }

سَمَّوْهُ "فَهْدًا" وفي "بغداد" ضِرْعَامُ
يَمْشِي رُوَيْدًا وليس الالتِحاقُ بهِ
جاءتْ تُعَارِضُهُ "أمريكا" زاعمةً
فَاسْتَنْهَضُوا نَكَرَاتٍ لا تُعْرِفُهَا
فَلْيُضْرِبُوهُ فَإِنْ جَوًّا ففيه وإنِ
اللهُ يَنْصُرُ صَدَّامًا وشيعتهِ
إِنَّ العراقَ تَهْدُ مَنْ يُهْدِيهَا
فَقِي يُشارُ إليه بالبنانِ ولا
كَأَنَّ آراءَهُ إِبَّانَ فِكْرَتِهِ
يقودُ ما شاءَ مِنْ أُسْدٍ مُدْرِيَةٍ
إِنْ ضَمَرْتُهُمْ حروبُ يَصْطَلُونَ بها
فالطَّاعِنُونَ هُمْ والضَّارِبُونَ هُمْ
أما اليهودُ فهذا العامُ عَظَلْتُهُمْ
وَ"تَلَّابِيْبُ" وَ"حَيْفًا" صارتا هدفاً
تَنْقُضُ صَاعِقَةً بِأَثَرٍ صَاعِقَةٍ
فلا تَرى غيرَ أَنْقَاضٍ على جُثَّتِ
أقولُ بعدَ انفِجاراتٍ تَمَزَّقَتْهُمْ
هذا وَإِنَّ "الكُوَيْتَ" لا تُحْرِزُهَا

تَمَشِي الفهودُ وَرَاهُ وَهُوَ قُدَّامُ
هَيْنًا فَاسْبُوعُهُ فِي السَّيْرِ أَعْوَامُ
أَنْ لَيْسَ بِالْعَازِمِ اليَقْظَانِ "صَدَّامُ"
إِضَافَةٌ وَالْحُسَيْنِيُّونَ أَعْلَامُ
بَرًّا فَفِيهِ وَإِنْ بَحْرًا فَأَلْعَامُ
فَنَصَرْتُهُمْ لِمُشِمِّ الشَّرِكِ إِرْعَامُ
هَدًّا وَلِلْعَرَبِ قَبْلَ الْيَوْمِ أَيَّامُ
يُخْفِي إِذَا رُفِعَتْ لِلْمَجْدِ أَعْلَامُ
تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْهَامُ
سَيِّمَاهُمْ فِي مَثَارِ النَّفْعِ إِقْدَامُ
فَالْغَمْدُ يَصْدَأُ وَالصَّمْصَامُ صَمْصَامُ²
وَالنَّاسُ فِي أَزْمَاتِ الْحَرْبِ أَقْسَامُ
مَاتَ الْمُقَاتِلُ وَالْبَاقُونَ أَيَّامُ
بَلْ صَارَتَا حُمَمًا وَالْجُؤُ أَضْرَامُ
عَلَيْهِمَا حَيْثُ لَا غَازُ وَلَا خَامُ
مَحْرُوقَةٌ ضَدَّ مَا ظَنُّوا وَمَا رَامُوا
رُضَّتْ عِظَامُ الْعِدَى وَقُلِقَ الْهَامُ
حَتَّى تَدُوسَ جَحِيمَ النَّارِ أَقْدَامُ

¹ ضمن المجموعة الشعرية المبعثرة، المذكورة.
² السيف القوي القويم.

لا تُسْتَرَدُّ وَإِنْ طَالَ النَّزاعُ وَإِنْ
 أُمُّ المَعاركِ رَدْعٌ لـ "لِكويت" وَزُلُّ لـ
 تَحْزَبُوا حَوْلَهَا نَوايِنَ مَفْحَرَةً
 ما دَمَرْتَ حُلَفَاءَ السَّوءِ ما دَكَّرُوا
 وما سِوى ذاكِ مِنْ جُنْدٍ وَمِنْ عُدَدٍ
 قالوا ثلاثةُ أَيَّامٍ وَنَسَحَبُهم
 فسوف يَنْقَلِبُونَ شَرَّ مُنْقَلَبٍ
 إِلَّا تُذِيعُوا الَّذِي أَصابَ قوَّتَكُمْ
 فَأَيُّنَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ ذُوو
 ما ساهموا قَطُّ إِلَّا أَخْطَأُوا هَدَفًا
 قالوا بِإِعْلَاءِ دِينِ اللَّهِ فَابْتَدَرُوا
 يا لِلْجَزيرةِ يا لِلْمَسْلَمينَ لِمَا
 ذاكِ الصَّغارُ معادَ اللَّهِ مِنْ نُوبٍ
 وهذه مِنْ قَنابِلِ العِراقِ وَقَدْ
 فَهَأَكُمُوهَا وَعِنْدِي المَزِيدُ فلا
 السَّعْبُ "مالي" وَإِنِّي "المُرْتَضَى" وَأَبِي
 وَجَدِّي السَّادِسُ المَرْحُومُ حِرْفَتُهُ
 وَهَنْجَتِي طَارِقِيَّةٌ وَفِي المَغْرِبِ الـ
 وبِالسَّلامِ على جَدِّ الحَسينِ وَمَنْ

قامت بِنُصْرَتِها "مِصْرُ" وَأَهْرَامُ
 يَهُودٍ وَلِلنَّجْدِيِّيِ آلامُ
 فَراعَهُم دُومًا يَنْوُونَهُ السَّامُ
 قَدْ دَمَرُوا فُنْدُقًا وَكُيِّرَ الجامُ
 وَمِنْ طَوائِرَ فِي المَرْسى فَأَوْهامُ¹
 مِنْ الكُوَيْتِ وَذاكِ القَوْلُ إِيْهاهُمُ
 أَمامَهُم وَوراءَ النّارِ والذَّامُ
 مِنْ الدَّمارِ أَدَاعَتُهُ "فَيْتَنَامُ"
 نَجْدٍ فَلَيْسَ لَهُمْ فِي الحَرْبِ إِسْهامُ
 مِنْ أَجْلِ ذاكِ ضاعَ الزَّيْتُ والخامُ
 "أَمريكا" والديْنُ عِنْدَ اللَّهِ إِسلامُ
 نَحْشَى أَتَنْصِبُ بَيْنَ العَرَبِ أَصْنامُ؟
 تَعْشى الحَرامينَ والأقوامُ أَقوامُ
 قِيلَتْ وَلِلشَّعْرِ إِنجادُ وإِتْهامُ
 جُفِّتْ ولا طُوِيَتْ صُحُفٌ وَأَقلامُ
 "مُحمَّدٌ" وَبنو الأعمامِ حُكَّامُ
 عِلْمٌ وَتَعْلِيمٌ عِلْمٌ وَهُوَ لَثَّامُ
 أَقْصى وَ"بَعْدادُ" وَ"الأُرْدُنُّ" أعمامُ
 أَوْصى بِإِجْلاءِ أَهْلِ الشَّرِكِ إِيْتمامُ

¹ طوائِر: جمع طائِرة.

قال يمدح آل سعود مرة أخرى، ويشيد بجهودهم في خدمة الدين، ومساعدة المسلمين
بإفريقيا، ويبدو أن الشاعر بعد مدحه لصدام حسين، أراد أن يسجل مدحه أيضا لآل
سعود كيلا يتوهم متوهم أنه مع صدام ضد كل الخليجيين¹:

{الكامل}

يا ظبية كُجِلَتْ لها الأَجْفَانُ	وابْيَضَّ منه الوجه والأسنانُ
السَّحَرُ كُلَّ السَّحَرِ لا مِنْ بَابِلٍ	بَلْ مَا حَوَتْ مِنْ وَجْهِكَ الْعَيْنَانُ
لَوْلَا اسْوِداؤُ الْحَاجِبَيْنِ وَفَاحِمٌ	مِنْ فَوْقُ أَبْصَرَ ضَوْءُكَ الْعُمَيَّانُ
إِنْ كَانَ ذَا الإِعْرَاضِ عَنِّي رَغْبَةً	عَنِّي، وَأَنْتِ هُمُكَ الْغُلَمَانُ
فَلَأَنْتِ فِي وَادٍ، وَفِي وَادٍ أَنَا	فَلَتَنْطَلِقَ لِسِيلِهَا الْغَزْلَانُ
أَتَرَيْنِي مِمَّنْ يَمُدُّ إِلَى الدَّمَى	طَرَفًا يُرِيْنُهُنَّ لَنَا الشَّيْطَانُ
كَلَّا لَعَمْرُكَ فَاهْجَعِي وَتَفْضَلِي	وَلَيْسَتْ رِجْلِي مِنَ رِجْلِي الْعَيْرَانُ
يَأْبَى التَّعَرُّضَ لِلنِّسَاءِ سَيِّ، وَمَا	حَدَّثْتُ عَمَّنْ هُمُّهُ النِّسْوَانُ
وَالضُّعْفُ وَالِإِفْتَارُ وَالتَّفَكِيرُ فِي	أَمْرِ الْمَعَاشِ وَهَوْلَا الصَّبِيَّانُ
دُو شَيْبَةٍ دُو صَلْعَةٍ أَوْ دَى بِهِ	مَرُّ الدُّهُورِ وَهَذِهِ الْأَزْمَانُ
بَلْ عَدَّ عَمَّا تَشْتَكِي فَسَيَنْجَلِي	إِنْ سَاعَدَ الْإِمْكَانُ وَالسُّلْطَانُ
هُوَ إِنْ سَأَلْتَ فَتَى السُّعُودِ وَسَعْدُهُمْ	رَضِيَتْ بِذَاكَ الْبَيْضُ وَالسُّودَانُ
لَوْ كَانَ حَيًّا "حَاتِمٌ" فِي عَصْرِهِ	لَمْ يُدْعَ وَ"ابْنُ الْمَنْدَرِ" النُّعْمَانُ
كَلَّا، وَلَا "كِسْرَى" أَنْوَشِرَوَانُ" فِي	إِيَوَانِهِ الْمَنْعُوتِ أَوْ "سَاسَانُ"
فَكَمَا تَحْجُجُ الْبَيْتَ يُقْصَدُ بَابُهُ	مُسْتَرْفِدِينَ الرُّومِ وَالْيُونَانُ

¹ المجموعة السابقة، وتمت مقارنة القصيدة مع نسخة أخرى قدمها لي نجل الشيخ الشاعر، مكتوبة على الحاسوب.

لم لا؟ ومُنَاهُ الرِّبِيعُ إِذَا هَمَى
 والبحرُ كَالْيُسْرِى بَلْ أَيْنَ البحرُ فِي
 إِنَّ الجَوَادَ هُوَ الَّذِي لِيَمِينِهِ
 أَهْلًا بِهِ وَبِنِعْمَةٍ عُمَى أَنْتَ
 شِمَلْتَ شُمُولَ الْعَيْثِ أَهْلَ بِلَادِنَا
 فَعَلَى جَمِيعِ شُعوبِنَا وَشِعَابِنَا
 أَخِي سَبِيلَ جُدُودِهِ وَسَبِيلُهُمْ
 تَفْسِيرُهُ مَكِّيَّهِ مَدَنِيَّهِ
 بَنُوا الدُّعَاةَ فَجَدَّدُوا دِينَ الْهَدَى
 هَذِي الْمَسَاجِدُ وَالْمَدَارِسُ كُلُّهَا
 كَمْ قَائِلٍ هَذَا الرِّيَا، قُلْنَا لَهُ:
 مَا ضَرُّهُمْ إِنْ نَلَتْ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ
 لَا تَعْدَمِ الْحَسَنَاءُ دَامًا قَبْلَهُمْ
 فَالصَّيْرُ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ، وَالْعَرَبُ مِنْ
 اللَّهُ يَشْكُرُ سَعْيَهُمْ وَيُثِيبُهُمْ
 هَذِي هَدِيَّةُ نَازِحٍ تُثَلَّى عَلَى
 لِكِنِّي أُذِلِّي بِهَا مُسْتَحْقِرًا
 صَلَّى عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ مُحَمَّدٍ
 وَسَقَاهُ فِي دَارِ السَّلَامِ مُدَامَةً

نَحْيَا بِهِ الْقِيَعَانُ وَالْأَوْطَانُ
 جَرِيَا هَا؟ مَا الدُّرُّ؟ مَا الْمَرْجَانُ؟
 وَشِمَالِهِ كِلْتَيْهِمَا التَّهْتَانُ¹
 تَلْقَاءُ قَدْ سَاقَهَا الرَّحْمَنُ
 فَاسْتَبَشَرُوا وَاحْضَرَّتِ الْعِيدَانُ
 لَوْ أَنْصَفُوا الشُّكْرَانُ لَا الْكُفْرَانُ
 إِعْلَاءُ دِينِ اللَّهِ وَالْفُرْقَانُ
 مِنْ شَمِّ يُتَقَرُّ عِلْمُهُ الْوِلْدَانُ
 أَيَّانَ بَارَ وَرَاجَتِ الْأَذْيَانُ
 مِنْ رِفْدِهِمْ وَاللَّحْمُ وَالْأَلْبَانُ
 كَلَّا بَلِ الْإِخْلَاصُ يَا فَتَّانُ
 أَوْ نَبَّ تَيْسٌ، أَوْ عَوَى السِّرْحَانُ²
 هُمْ هَامُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَالتَّيْجَانُ
 خُدَّامِهِمْ، وَالتُّرْكُ وَالشَّيْشَانُ
 خَيْرًا، فَأَمِنْ أَئِيهَا الْإِنْسَانُ
 "أَهْلِ الرِّيَاضِ" وَكُلُّهُمْ سُحْبَانُ
 وَلَعَلَّهَا تُصْنَعِي لَهَا الْأَذَانُ
 عَدَدَ الرِّمَالِ وَضِعْفَهَا الْمَنَانُ
 فِي آلِهِ يَسْعَى بِهَا رِضْوَانُ

¹ التهتان: الانهمار، والسيلان
² السرحان: الذئب.

في شبابه، أرسل هذه الإخوانية إلى زملائه من أهل حيه¹:

{الرملة}

وَاحْصُصْنَ بِالذِّكْرِ تَاجَ الدِّينِ "زَيْ" ²	حَيِّ صَحِيٍّ فِي رُبَى (إِنِّغَوِيَّ)
ذِكْرُهُ فِي خَلْدِي فِي طَيِّ طَيِّ	أُنْسَ عَيْنِي عَيْنَ أَنْسِي خَالِدًا
إِيحَةً مُذْ دَبَّ وَقْفًا مِنْ عَلَيَّ هُ	قَمَرِيَّ الْوَجْهِ سِيمَا الْفَضْلِ لَ
كَفُّهُ بَحْرٌ فَدَعَّ حَاتَمَ طَيِّ	عَالَمٌ فَهَامَةٌ نَقَادَةٌ
بِسَلَامٍ شَامِلٍ أَحْدَاثَ حَيِّ ³	وَأَنْشُرْنَ مَطْوِيَّ شَوْقِي بَيْنَهُمْ
لَا تَغَادِرْ مِنْ فَتَاةٍ أَوْ فَتَيَّ	وَتَحَايَا مِثْلَ أَضْعَافِ الْحَصَى
فَرَطٍ وَجَدٍ وَغَرَامٍ مَالَدِيَّ	لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَدَى صَحِيٍّ مِنْ
فَعَلُوا حَاشَا لَهُمْ إِذْ ذَاكَ غَيَّ	أَوْ تَنَاسَوْنِي وَلَا أَحْسِبُهُمْ
حُرْقٌ تَعْرُو فَوَادِي أَوْ كَكِّي	فَأَنَا نَعْتُ الَّذِي كَابَدْتُهُ
بُعْدُكُمْ سَمَاءُ عِنْدِي غَيْرَ شَيْ	كُلُّ شَيْءٍ حَسَنٍ بَعْدَكُمْ
فَسَلُّوا الْمَرْءَ لِلْإِقْرَانِ "لَيَّ"	لَا تَطْنُونِي أَسْلُو ذِكْرَكُمْ
حُجْبٍ عَيْبٍ كَيْفَ؟ مَنْ؟ مَا؟ أَيْنَ؟ أَيْ؟ مُقْلَتِي	لَمْ أَزَلْ أَسْأَلُ عَنْكُمْ مِنْ وَرَا
رُؤْيُهُمْ شَكْوَى الْقُدَيْ ⁴	كَيْفَ حَالُ الصَّحْبِ مَنْ تَدْرَأُ عَنْ
رَحْمَةٍ مِنْهُ عَلَيْكُمْ وَعَلَيَّ	فَسَلَامٌ اللَّهُ يَنْضُمُ إِلَى
خَيْرٍ مَبْعُوثٍ مِنْ أَعْوَانِ لُؤْيٍ	وَالْقَرِينَانِ مِنَ الْمُؤَلَّى عَلَى
آلِ مَا حَنَّتْ قَطَاةٌ لِقُطَيَّ	وَعَلَى الْأَصْحَابِ وَالْأَزْوَاجِ وَالِ

¹ المجموعة السابقة الذكر.

² إِنِّغَوِيَّ: من قرى الشاعر، "زي" لقب للشيخ زين الدين المنير، وقد سبق ذكره في أكثر من مكان.

³ أَحْدَاثَ حَيَّ: شباب الحي،

⁴ الْقُدَيْ: تصغير القذى

الخاتمة

وإلى هنا انتهت الرحلة المضنية التي نقصد معناها الحقيقي والمجازي، إشارة إلى الرحلات العلمية بين القرى الصحراوية التي تفرضها طبيعة البحث، إضافة إلى الرحلة المعنوية التي قطعناها بين رياض البحث، ومنتاهاته، وأنحاءه، وهي جولة علمية أثمرت العديد من النتائج على مدار المحطات التي مرّت بها:

أ. المقدمة :

لقد أوضحت المقدمة موضوع البحث: (الشعر العربي عند الطوارق . كل اسوك نموذجاً . جمعا ودراسة)، فبيّنت حدوده الزمانية ب (1100 هـ - 1438 هـ الموافق 1679 - 2017م)، والمكانية ب "شمال مالي/ إقليم أزواد . غاو بالتحديد"، وكذا تحديد "الشعراء" الذين هم من ينتمون حصراً إلى قبائل "كُلْ اسُوك"، كما عرضت المقدمة (الدراسات السابقة)، بعد تقديم "الخطّة العامة" للأطروحة، ووقفت على ما لتلك الأعمال، وما عليها، لتبيّن كم كان الموضوع بحاجة ماسّة جداً للتناول من كل الجوانب، لأن المحاولات التي تطرّقت إلى "الشعر العربي السوكي" بالذات لا تتعدى "عملين اثنين"، لا تهمّهما الدراسة الفنية بقدر ما يهتمهما الجمع، وتقديم نماذج تدلّ على أن في المنطقة كبار الشعراء الذين أبدعوا دواوين بالفصحى، ثم انتهت المقدمة بذكر المنهج الذي سار عليه الباحث، لتؤكد أنه "منهج تكاملي" يستند إلى عدة مناهج لسانية، ونقدية، وتاريخية، واجتماعية.

ب. المدخل:

اختار الباحث قبل الوصول إلي لب الأطروحة أن يضع مدخلاً، يقدم نبذة سريعة عن الطوارق، وعلاقتهم بالثقافة العربية الإسلامية، ويشير إلى الاختلافات العديدة حول "أصل التسمية" (الطوارق)، و(الأصل العرقي) للقوم، مرجحاً في الأخير أن الكلمة مأخوذة من

"تَارَقَة" بليبيا، أو "تَارَقَا" التي تعني بالأمازيغية "الواحة"، أي "سكان الواحات"، وأن (الطوارق) هويّة مشتركة، ضمّت مؤخرا عدة أجناس وأعراق، وألوان، فمنهم من ينتمي للعرب، وللأمازيغ، والزنوج، ومن ترجع أصولهم إلى المصريين القدماء، والهنود، والهكسوس، والأوروبيين، كما أشار المدخل إلى الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية لهم، فيلخص القول بما يلي:

- **اجتماعيا:** للطوارق تركيبة اجتماعية قبلية، مؤسسة تأسيسا وظيفيا، طبقيا، فهناك طبقة السلاطين، والعلماء، والتجار، والرعاة، والحدادين، والعبيد، وشرح المدخل بإيجاز المكانة المرموقة التي تتمتع بها المرأة في المجتمع الطارقي، مفسرا ذلك بأنها بقايا للمعتقدات الأسطورية القديمة، التي تُؤلّهُ المرأة، وأن اللغة الطارقية نفسها تحتفظ بذلك الماضي، إذ يلحظ الباحث شَبَهَا كبيرا بين كلمة "تِيَمَات" البابلية الأشورية التي تعني "الإلهة الأم"، وبين كلمة "تَامَتْ" الطارقية التي تدعى بها "المرأة".

- **اقتصاديا:** أشرنا إلى المفارقة الكبيرة، إذ يعيش الطوارق معاناة اقتصادية تصل درجة المأساة، في الوقت الذي تتربع أراضيهم على آبار نفطية، ومناجم ذهبية، ومصادر اقتصادهم إلى الآن لا تتعدى "الرعي"، و"الحرف اليدوية"، و"التجارة التقليدية"، وذلك كله نتيجة حتمية لعدم الاستقرار السياسي.

- **سياسيا:** لا يحظى الطوارق منذ قرون باستقرار سياسي، منذ أن بدأوا حياة المقاومة مع فرنسا، والتمرد، والنزوح مع الحكومات المالية، والنيجرية، وطوارق النيجر أوقفوا النزاع مع حكومتهم، بينما طوارق مالي لم يزالوا في نزاع مستمر حتى وصلوا عام 2012م إلى درجة طرد الجيش المالي، وإعلان دولة "أزواد"، تلك الدولة التي تسابق العالم إلى إعلان رفض الاعتراف بها، وجاءت القاعدة في المغرب الإسلامي لتطرد الانفصاليين، والتي بدورها طردتها

فرنسا، فأصبح الصراع الطارقي المالي معقداً مركباً، بين عدة صراعات قبلية، وطائفية، دينية، وإقليمية، ودولية.

- **علاقة الطوارق بالثقافة العربية الإسلامية:** ختم المدخل كلامه بالعلاقة الوثيقة بين الطوارق والثقافة العربية الإسلامية، إذ وصلهم الإسلام في وقتٍ مبكرٍ، وقبلوه بسرعة، وجاهدوا في سبيله، وشاركوا في إنشاء الممالك الإسلامية التي قامت بإفريقيا، فهم الوصلة بين شمال إفريقيا، وجنوبها عبر وطنهم الصحراء الكبرى، وأهم إماراتهم الإسلامية التي حظيت برقعة كبيرة جدا من "غانا" إلى الأندلس هي "دولة المرابطين"، بقيادة يوسف تاشفين، كما أن لهم "إسهامات" معتبرة في التراث العربي الإسلامي بالمنطقة، وتدل على ذلك، المؤلفات، ومؤلفوها الذين أوردتهم البرتلي من خلال كتابه "فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور"، إضافة الى المئات من الآثار الذين ذكرتها للسوكيين وحدهم في الفصل الأول من البحث، ولم يفتنا في المدخل أن ننهي الكلام بالإشارة إلى الطابع الثقافي المغربي على المنتج المغربي، والأدبي عموما لدى الطوارق، وأنهم يستمدون فكرهم، وعلومهم، ومذهبهم، بل وخطهم، وأسانيدهم من المغرب، وبعضهم كالسوكيين يصرحون بأنهم أصلا من المغرب، وبالتحديد مدينة فاس، إذ يرى بعضه أنهم أحفاد إدريس الأكبر.

ج. لبُّ الأطروحة:

وموضوع الأطروحة كما في المقدمة تمت معالجته ب"الجمع"، و"الدراسة، وعالجت العمل عبر ثلاثة أبواب، حقق كلُّ باب - بفضل الله - أهم الأهداف التي خطَّط لها:

1. الباب الأول: الشعري العربي وكلُّ أسوك:

- استهلَّ الحديث بتقديم نبذة عن المجتمع السوكي، فعرف بكلمة "كلُّ أسوك" أولا، وأنها تعني "أهل اسوك"، و"أسوك" تلك الحاضرة الثقافية المزدهرة اقتصاديا التي يطلق عليها في

بعض الدراسات "تادَمَكْتُ"، والقوم يرون أنهم ينحدرون من أصول عربية، وإن أصبحوا "طوارق" لغة، وثقافة، وهم ما بين منتِمٍ لـ "الأشراف"، و منتِمٍ لـ "الأنصار"، وتوجد بينهم "فئة فهرية" تنتسب لعقبة بن نافع الفهري، وأُشِرْتُ إلى بعض التساؤلات المطروحة على ذلك الانتماء، دون أن أنكر أنسابهم.

- تحدّثتُ عن حياتهم العلمية، من حيث التعلم، والتأليف، وهم بيداغوجيا يعتمدون نظاما محضريا يشدد على حفظ المتون من القرآن الكريم، إلى مختلف المتون اللغوية، والشرعية، وسردنا لهم مؤلفات تتجاوز العشرات في علوم القرآن، والحديث، والفقه، واللغة والأدب، والآداب، ويلاحظ غلبة الجانب الفقهي، واللغوي عليها.

- تناول الفصل الثاني الشعر العربي لدى السوكيين من الجانب التاريخي، ويكتشف الباحث أنَّ أول نموذجٍ شعري قاله سوكيٌّ وصل إلينا هي أرجوزة إنَّلبُشْ، ويعود تاريخها إلى 1113هـ، مع الاعتراف بأنها ليست أولى شعرهم، فلا بدَّ أن تسبقها محاولات كثيرة جدا، لم تصلنا، وبعد رصد مسيرة هذا الشعر يتوصّل الباحث إلى أنه مرَّ بثلاث مراحل، لكل مرحلة مؤثراتها الاجتماعية، وفترتها الزمنية، ولأية مرحلة سماتٌ تميز الاتجاه الفني الخاص بها وصنّفَتُها تاريخيا بما يلي:

(4) مرحلة ما قبل الاستعمار الفرنسي لدولة مالي، والإرهاصات الأولى للتغيرات العظمى: (1100 هـ 1679 م إلى 1314 هـ الموافق 1893 م).

(5) مرحلة الاستعمار الفرنسي، وبداية الاستقلال المالي، وانفجار الثورات الطارقية، (1314 هـ الموافق 1893 م إلى 1400 هـ الموافق 1979 م).

(6) مرحلة ما بعد توقيع اتفاقية تامنراست بالجزائر بين الطوارق، ومالي¹، (1991م إلى اليوم).

- ومن الجانب الفني يلاحظ الباحث أن المرحلة الأولى تتميز بقلّة الشعراء، إذ لم نعثر إلا على "أربعة"، وأن شعرهم أقرب إلى "الاتجاه الواقعي، وشبه الطبع"، فهو لا يكاد يخرج من الملبسات الواقعية للمجتمع، ومشاكله، ومحاولة إيجاد حلول لها بالتدخل المباشر كقصيدة هارون محمد إلى الأمير الفلاقي الحاج بللو، وهي قصيدة بمثابة رسالة دبلوماسية أنقذت إمارة "إولمّدن" من غزو الفلانيين، أو بتدخل غير مباشر كقصيدة أحمد الإمام محمد إكنن التي يندب فيها زمانه، ويصوّر التحولات المحزنة التي طرأت، إلى اللجوء إلى الله عز وجل من أجل حفظ إمارة "إولمّدن" والأمير "الإنصار" كأدعية دانيال محمد، ولم يكن شعر المرحلة الأولى معنيّاً كثيراً بالمحسنات باللفظية، والبيانية، على الحد الذي نراه في شعر المرحلة التالية، وإن كانت المحسنات موجودة قليلاً خصوصاً في شعر هارون، وأحمد الإمام.

- أما المرحلة الثانية فتتسم بغزارة الإنتاج الشعري، وتنوع الأغراض، وكثرة الشعراء إذ تعدى عددهم (23)، واخترت منهم (18)، تتوفّر فيها المعايير التي وضعناها في المقدمة، ويطغى عليها الاتجاه الذي يمكن أن يسمى "الشكلائي" أو "البديعي"، وأصبح الشعر يقال "لذاته"، ومن أجل ذاته، أي (الفنّ للفنّ)، ويظهر اهتمام حادّ بالبديع، والبيان، واستعادة مباشرة للشعر العباسي، أو الأندلسي، مع تقليد الجاهليين في المقدمات الطللية، والنسيب، ويطغى غرض "الإخوانيات" بشكل لافت للنظر.

- وفسر الباحث الغياب الملحوظ لشعر هذه المرحلة عن السياسة، وشئون الدولة، والمجتمع مع حضوره في المرحلة الأولى بتغيّر أوضاع المنطقة رأساً على عقب، خاصة على المجتمع السوكي، إذ كانوا في المرحلة الأولى على سلم الدولة، موجّهين، وفاعلين، ومسموعي الكلمة،

¹ لتفصيل أكثر حول هذه الاتفاقية، وتاريخها يرجع إلى كتاب: الطوارق الشعب والقضية، همام هاشم الألوسي، ص 303

ولهم منصب مرموق في هرم السلطة هو "القضاء والتعليم"، بينما صاروا فعلاً بعد قيام الدولة المالية على "الهامش" غائبين أو مغيبين، فلم يبق لهم سوى أن يغنّوا بالوطن العربي الذي يرون أنهم نَزحوا منه، ويسترجعوا الماضي المجيد، هو الماضي الحجازي!

- وفي المرحلة الثالثة: **مرحلة الشباب المعاصر**، يلاحظ الباحث تراجعاً كبيراً في الإنتاج الشعري، مقارنة بمن سبقوهم، وعدم الإتيان بجديد، وغياب أية إضافة تناسب العصر، وقد ظلَّ شعر "المناسبات" هو السائد مع "الإخوانيات"، ولم يتغيَّر الأسلوب، إلا أن هناك محاولات تحديث نسبي لا يعدو أن يكون كسراً للروتين على غرار القصائد "الهندسية" التي قاد صناعتها بعض شباب "كَلَّ اسْوَك" مؤخراً، وقلة قليلة من النماذج التي قد يعثر فيها الناظر على كلمات حديثة، تنتمي للعصر الحديث.

- تساءل الباحث تاريخياً عن "نقد الشعر" عند السوكيين، ووجد أن النقد غائب، ولم يواكب الشعر، مفسِّراً ذلك الغياب بعدة عوامل أهمها البعد عن مراكز الإشعاع الحضاري، وفقدان التواصل الثقافي بين القوم والعالم العربي، وبقوا على ذلك الجمود النقدي الذي عرفه الأدب العربي بعد عصور الانحطاط، فالنهضة الأدبية التي انطلقت من مصر لم يسمعوا بها، لانعزالهم بين رمال تلك الصحراء الكبرى.

- وهذا جعلَ شعرهم نفسه غير مواكب للمستجدات على الساحة الفنية، والنقدية، لأنه **مبتور العلاقة** نهائياً مع حركة الشعر في **الوطن العربي الحديث**، ومع ذلك توجد نماذج تفاعل مع بعض القضايا العربية كالحرب العراقية الخليجية، والحرب الأمريكية الجديدة على العراق، ونلقى قصيدة للشاعر المرتضى مُجْدُو لبطل العروبة عند السوكيين صَدَّام حسين.

2. الباب الثاني: الدراسة التحليلية للشعر العربي السوكي:

رامَ هذا الباب استخلاص السمات العامة للشعر العربي لدى السوكيين، على مستويين: القيم الفنية، والمضامين الشعرية، ليستنتج بعد الدراسة ما يلي:

أ. مستوى القيم الفنية:

- **المعجم:** يتحدد المعجم الشعري السوكي بتوزيعه بين ألفاظ جاهلية، توضع تارة في استعمالات نادرة، مع غلبة الحيز العربي القديم مقارنة بالمعيش، وبين ألفاظ إسلامية كانت من القرآن، أو الحديث، أو كتب الفقه، تصريحاً أو تلميحاً، فيكون معجمهم بذلك عربياً، جاهلياً، إسلامياً بامتياز.

- **حضور التراث العربي الإسلامي (التناص):** هذا الشعر يصدر برمته من التراث العربي الإسلامي عبر عصوره الأولى، وذلك التراث هو الملهم الأول لشعراء السوك، ومنبعهم الإبداعي الغني، مما يعني أن شعرهم ابن شرعي لتلك الثقافة الأصيلة، وما يزخر به من اقتباسات للقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وتضمنين لأبيات شعرية قديمة، وأمثال تصريحاً أو تلميحاً هو دليل على ذلك التفاعل الحي بين شعر القوم والتراث العربي القديم، من جهة، وبينهم كمجتمع يحنُّ إلى العالم الإسلامي، وبين ماضيهم العتيق.

- **الصورة الشعرية:** يهتمُّ السوكيون في شعرهم بـ"التصوير الفني"، ويعتمدون في التصوير على "أدوات التصوير" المعروفة في البلاغة العربية القديمة: (التشبيه/ الاستعارة الكناية)، ويلحظ الباحث كثرة استخدام التشبيه، لوجود سائر أقسامه من التشبيه العادي بأنواعه إلى التمثيلي، والدائري، وقد أسميت الصور المعتمدة على هذه الأدوات بـ"الصور المفردة"، ثم أردفتها بـ"الصور المركبة"، ممثلاً بأربع نماذج مختلفة: صورة طبيعية "الروضة"، وأخرى بدوية

"صورة الناقة"، وثالثة "صورة المرأة" لدى السوكيين، وختمنا التحليل بصورة حضارية باهتة مقارنة بالصور الأخرى، ويتعلق الأمر بـ "صورة الطائفة".

- **الموسيقى الشعرية:** الشعر العربي عند الطوارق عموماً، وكل أسوئك خصوصاً ما زال يحترم بكل خضوع تقاليد **الموسيقى الشعرية القديمة**، وبذلك فإن شعرهم تراثي الانتماء، ومحاكاة للشعر القديم لدرجة مطابقة الأصل، والطريف أن "السوكيين" لا يدرسون العروض في أغلب حلقاتهم التعليمية، بل ينسجون القصائد على منوال الدواوين المتوفرة لديهم بشكل أشبه ما يكون بالسليقة!، ولم يسمعوا بثورة نازك الملائكة، وبدر شاكر السياب.

وبنظرة سريعة في أوزان الشعر العربي السوكي نرى أن شعر المرحلة الأولى لا يتجاوز (4) بتفاوت كبير: (الكامل درجة أولى، والطويل في المرتبة الثانية، والبسيط في الثالثة بثلاث قصائد بينما يتأخر الرجز بقصيدة واحدة)، وهذه الأوزان الكبرى هي التي نقابلها في المرحلة الأولى بأغلبية ساحقة، إلا أن الشاعر أحمد الإمام وحده توجد في ديوانه قصيدة قصيدة في كل من "الوافر، والخفيف، والمتقارب".

أما **القوافي** في هذه المرحلة فكلها **مطلقة**، ولم نعثر على قافية مقيدة ولو واحدة!، يبدو أنهم لا يستملحون إسكان الروي، فكأن إسكانه يوقف المد الغنائي، كما أنهم لا يعتبرون "الهاء" روياء، بل يرونها مجرد "وصل"، والعبرة بالحرف الذي قبلها، وذلك أمر اتفق عليه سائر شعراء كل أسوئك، كما أنهم يختارون "أحرفاً" معينة ذات الانتشار لـ "الروي"، فلا يوجد استخدام لـ "السين" - إلا في نص واحد حسب اطلاعي - و"الطاء"، و"الضاد"، و"الصاد"، و"الحاء"، و"الغين"، بينما توجد البقية بتفاوت كبير، وأغلب الحروف التي اختاروها روياء في المرحلتين معاً هي: (الباء/ الميم/ اللام/ الدال/ الراء/ الكاف/ الفاء/ القاف/ العين/ الحاء/ الجيم/ التاء/ السين/ الياء).

وبعد إحصاء شامل لأوزان وقوافي شعر المرحلة الثانية نلاحظ أن "البسيط" يحتل الصدارة بـ 18 قصيدة، ويليه الطويل (16) ثم "الكامل"، (14)، بينما يتعادل بعد الثلاثة الأولى، "الوافر" و "الرمل" (6/6)، ومن الصدف الطريفة التي كشفها الإحصاء تعادل "المتقارب والخفيف" كذلك على الرتبة الرابعة بـ (4/4)، ويأتي "مجزوء الرمل" في ذيل القائمة بنموذجين اثنين، في ظل غياب مطلق لبقية البحور الخليلية، باستثناء الرجز الذي قصره شعراء المرحلة الثانية على "نظم المتن".

أما القوافي فنجد أن "شكل القافية المطلقة المردوفة" أكبر تواجدا من "المقيدة، والمطلقة المجردة، والمطلقة المؤسسة" وأن المطلقة "المجردة" أكثر من "المؤسسة"، و يعتنون بشروطها عناية خاصة جدا، ولا يجذون الالتجاء إلى الضرورات الشعرية المباحة، فضلا عن العيوب الظاهرة، فلا وجود للإقواء في قصائدهم، كما أن حركات القافية لديهم يتبعونها بصرامة، حتى لو طالت القصيدة، كمثال عنايتهم الكبيرة بجمالية الإيقاع الداخلي للقصيدة، فيزخرفون قصائدهم بأشكال الجناس، وألوان الطباق، والمقابلة، والتصريع، والتشطير، مع الحرص على الأصوات الرنانة غير الخشنة.

ب. مستوى المضامين الشعرية:

- لم يتجاوز شعر السوكيين الموضوعات التقليدية للشعر العربي القديم عبر مرحلتيه كالحال في شقيقه الشعر الموريتاني قبل فترة التحديث الشعري التي مرت بها البيئة الثقافية الموريتانية وما زالت البيئة الطارقية تعيش ما قبل النهضة "ثقافيا"، ولم تكن لهم دولة ترعى أدهم الأصلي، ولا العربي!

- أرى أن في حرصهم الشديد على المقدمات الطللية، والوقوف على الديار العربية أمرا أكبر من مجرد التقليد، فهو ارتحال شعري إلى الوطن الأصلي، أو هروب من الواقع المنكوب إلى بديل أفضل في نظرهم.

- لم يتجاوز المتن الشعري المجموع للمرحلة الأولى سبعة أغراض، واللافت للنظر تَرَبُّع "الدعاء" على المرتبة الأولى، ويتعادل كل من "الإخوانيات"، و "المدح" والثناء" في الدرجة الثانية، بنموذجين لكل، ولا ننسى أن المدح الوارد هنا ليس مدحا عاديا بقدر ما هو "خطاب سياسي دبلوماسي"، ثم تتوزع الأغراض الثلاثة المتبقية خمس ثلاث قصائد (3/3).

- وفي المرحلة الثانية نقابل (17) غرضا شعريا، وهي بترتيبها من حيث الكثرة: (الإخوانيات/ المدح/ الشعر الصوفي/ الرثاء/ الأدعياء والابتهالات/ المديح/ الشوق والحنين/ الفخر/ التقاريط/ التهاني/ النقاش الفقهي/ المعارضات/ الهجاء/ الشعر السياسي/ الاعتذار)، وهذه توضع لها قصائد مستقلة، وهناك غرضان يردان في مقاطع داخل قصيدة طويلة، وهما (الغزل/ الوصف).

- واختتم الباب بالحديث عن "الشعر التعليمي" لدى السوكيين، فالمنظومات التعليمية شغلت حيزاً كبيراً عندهم، ومنهجهم التعليمي المعتمد على الحفظ من أهمّ البواعث إلى نظم المتن، ونظمهم يتميز بالسلاسة، وبيعض المحسنات اللفظية في الفترة المتأخرة، وتنوعت المجالات بين "الآداب العامة"، و "نظم المتن" في مختلف العلوم، و"الشوارد"، وقد ذكرت لهم زهاء (163) منظومة في هذه المجالات.

3. الباب الثالث: سرُّ المتن المختار:

- جمعت الأطروحة في المرحلة الأولى أربعة شعراء، ولهم (13) قصيدة، تحتوي على (444) بيتا.

- وللمرحلة الثانية (18) شاعراً، أبدعوا (67) قصيدة، يصل إجمالي أبياتها قرابة (7902) بيتا شعريا.

- وكان مجمل خدمتي لهذا المتن ما يلي: ضبط الأبيات بالشكل، وشرح الغريب، وذكر المناسبة، وتوضيح البحور الشعرية، وتصحيح الكلمات التي أجدها تارة مكتوبة إما بطريقة خاطئة، أو غير واضحة، وأحيانا أجد الحلّ من نسخة أخرى، وتارة لا أجد فأصحح من السياق.

خلاصة النتائج

(1) الطوارق أنتجوا تراثاً عربياً غزيراً، لكن هذا التراث لم يزل مهملاً ينادي الغيورين لنفض الغبار عنه.

(2) المحاولات السابقة لأطروحتي تحتاج بحدّ ذاتها إلى مراجعة وتدقيق كبير.

(3) مفهوم "الطوارق" ليس مغلقاً، بل هوية مفتوحة تتحدد باللغة، والأعراف، والجغرافيا، فالمتحدث باللغة الأمازيغية، القاطن بالصحراء الكبرى يطلق عليه "الطارقي"، وإن كان أصله من عرق آخر كالعرب، والزنوج، والهنود، وممن ينطبق عليهم ذلك "كلّ اسوك".

(4) "كلّ اسوك" من أهم القبائل الطارقية التي خلّفت تراثاً عربياً كبيراً، وإن كان مغموراً في الصحراء الكبرى، وأروع نماذجه الشعر.

(5) هذا الشعر مرّ بثلاث مراحل، إذ كانت نماذجه الأولى التي وصلت إلينا قليلة، تعنى ببعض المشاكل الاجتماعية، ثم ازدهر كمّاً وكيفاً بعد جلاء المستعمر الفرنسي، إلا أنه مع ذلك لم يستطع مواكبة العصر لانقطاع أهله عن الإشعاع الثقافي العربي، ولأنهم يعيشون منطقة نزاع منذ قرن من الزمن، لم تتحدّد وجهتها السياسية والثقافية بعد.

(6) يتميزُّ هذا الشعر فنياً بجملة من السمات التي تجعله بشكل عام "عبارة عن استعادة ناجحةٍ للشعر العباسي القديم"، من معجمه، وتناسُّه مع التراث العربي الإسلامي، وأوزانه، وقوافيه، إلى طريقة الصورة الشعرية المعتمدة على التشبيهات التقليدية، وأساليب المجاز المعهودة لدى القدامى.

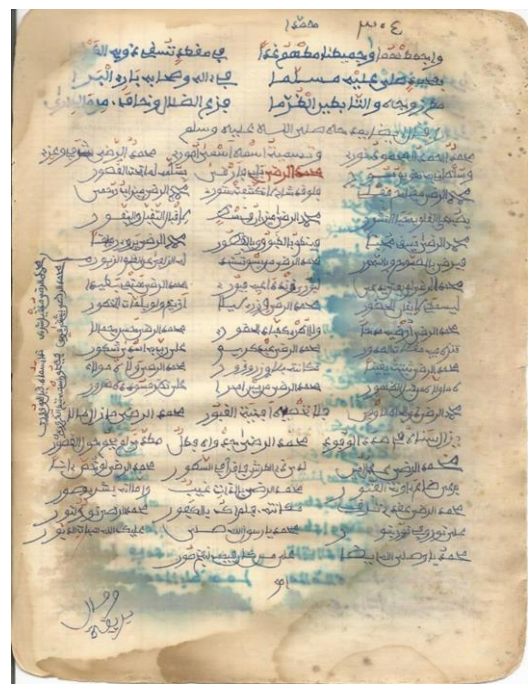
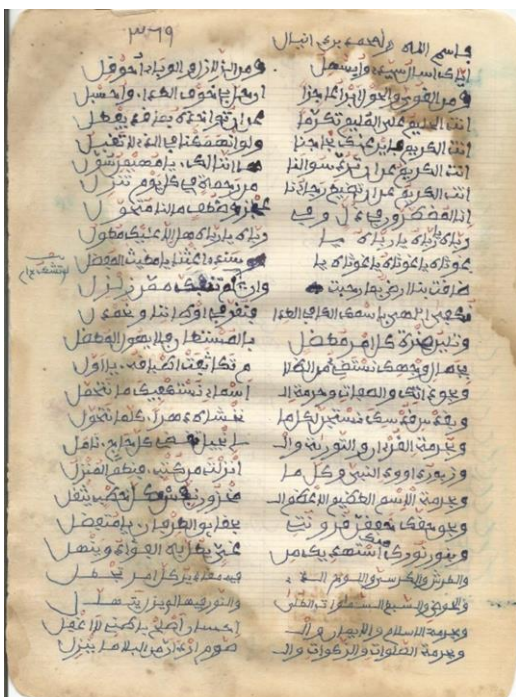
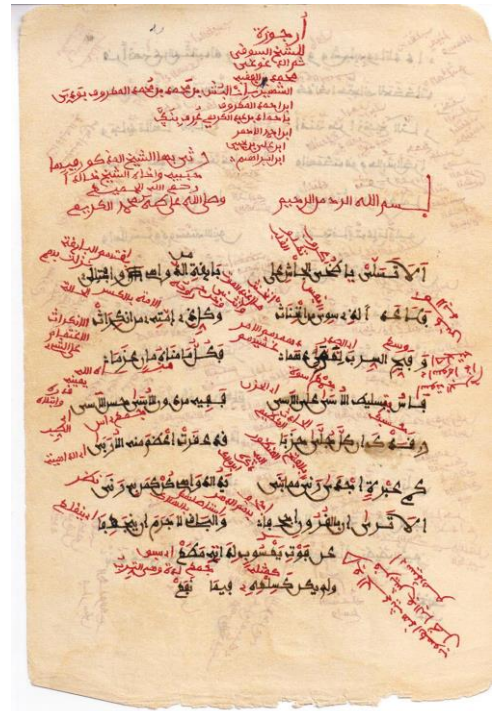
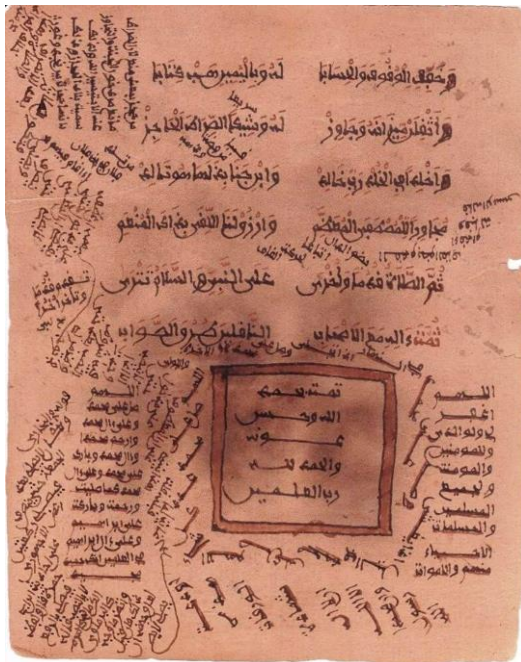
(7) كما أنه على المستوى المضموني كان شعرهم محافظاً على الموضوعات التقليدية القديمة، من فخر، وراث، وإخوانيات، ومدائح نبوية، ولما يفتخ على الموضوعات الوجدانية، والإنسانية التي أُنْتُ بها الحداثة الشعرية، ويشفع له ارتباطه بنوع خاص من المتلقي، فلم يَكُنْ بإمكانه غير ذلك، وأنه كانَ بُلْغَةً فصيحة بليغة، يستغرب القارئ أن تصدر ممن لم يرضعها في تلك البيداء القاحلة!

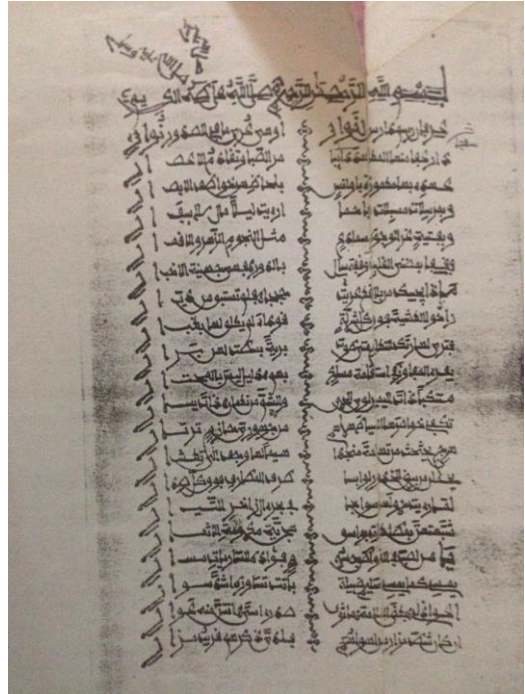
(8) فازتِ الأطروحة بجمع واختيار أشعار (22) شاعرا، ووصل مجمل قصائدهم (90) قصيدة، تحتوي على قرابة (7902) بيتاً شعرياً.

التوصيات والمقترحات:

- (1) المنطقة الصحراوية التي يقطنها الطوارق بشكل عامّ بيئة تحتاج إلى أبحاث متنوعة في مختلف الميادين الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والفكرية، والأدبية.
- (2) ينبغي تشجيع البحث العلمي في "مجال الطوارق"، على مستوى اختيار المواضيع المتعلقة به في رسائل جامعية، بل وفي الندوات الدولية، وإيجاد منح للباحثين فيه.
- (3) يستحق موضوع "الطوارق تاريخياً، وثقافياً" وبشكل ملحّ أن تؤسس له مراكز البحث العلمي، وتنشأ الجمعيات الثقافية المعنية به، بل وأن تخلق مسابقات دراسية في المؤسسات التعليمية تقوم بتدريس الموضوع.
- (4) الثقافة العربية الإسلامية لدى الطوارق مهدّدة بالضياع تحت عدة عوامل داخلية، وخارجية فيجب التصدي لذلك عن طريق برامج، ومؤسسات تنقذها، وتحافظ عليها، وتنمّيها.

ملحق صور



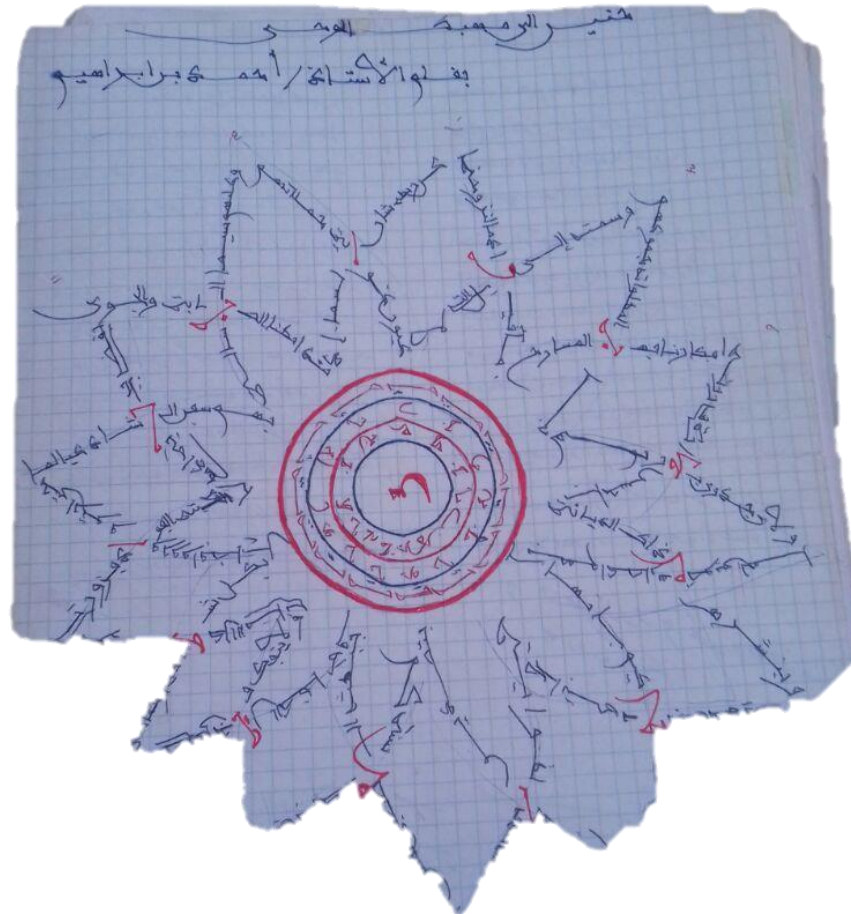


أثرت ثياب الشرب والنجس وانجست ديك النجس ان خالكي السهم والدم
واللاك يبيض قبل ان تلزم والكم دتف يفي وادفع بصر انما
اي الشفر امانات ملصقة فويح دتفت بعجو من السوء السوء الشم
مضيق وجدة زمايه اله من طخت وند شفاو السخ ويك علمه
وما الحرب الاله ولت مرا عيل د يمشوا مراتب به ناله الفخ
ويوشكان غصبي بالخر وفتنوا دة اة يكي هار حشفة لغو تراو
اثره وصحبه فتنة جاشو عا د عليكو ولا يفي بلو الرسم
ولك لا يفي علم مراب الفخ د مرابو قال
الافلوا واستطبتوا افقتوا ولا د يفر كما نالنا الخيف والخر
تخوف اولاه ويتصب الصرم د اماله عتو والتجارب خللات
وما فلان استيسله كم ترغور داره تو رشاء الوجود بنال الفخ
وترجو اراكله السهم والرم د اراكله اية الحمار بمنزما
فيما لكو والي را سبتهم د مر العسليم مالكو بهم رخو
كثيرا وما فيكو لالك يفتو د مالكو وللتوار مالكو
ولسقم لهما يمت ترغو نهم د ليسوا لكو رجمة بكو اتموا
يجسقا اترج برملت تفتو د فيق قوله منكو بيه اول الامر
ولو كرا في مر تراب وسنكر د مر اصله لو يستاق بعهم لوم د فارتهم فة نالهم مر هل تدا
كثير واكرن بكيفوا افا هموا د اتعوبه بلو ولها يوجو د مر البيخ اشعار ولانلكو تلم
وصاتعوا مر حشفة فليتي اس دتبه بكو شراو بيخ اولو صرد فخلوا اناوالة اتوار انهم
متوا استعملوا انوبه والسبل يلموا انا في رعو اليكو بكتايب د فيشها اتمو يشار به فم
مر العشر والاعلى لهما ايج بفو هم د بنو كرا السبا متوا لماروا د يستاصلوا ما بركا وشتر

[illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
 هذه آيات من القرآن الكريم
 لا تحمقوا به انكم تعلمون ان الله لا يهدي القوم الضالين
 يا ايها الذين آمنوا اذكروا ان الله قد خلق لكم من انفسكم اخوانا
 ما انزل الله الفكيوة
 وبستة من جملة الايام
 اربع مرات مرتبات
 تفرا ابدا لا تظلم به الوافيه
 بالكاهن ووربه ما مثله
 وفي العنيم للثت ترا
 وسورة الانعام عشر اثار
 بانيته الكرسي مثلث الامة
 في يوم عاشوراء ويوم التروية
 وبكة من رمضان قاليه
 ونكه او صيت موسوما
 محسني الله فيضها تشرما
 يرضنا وما سناك الانصا
 واوفا عن نعمها ما لا يسع
 نكمتها ولم يشتمها الش
 في صلاة الله والسام



أولاً: فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أ. المخطوطات¹:

- (1) التبر التالد، للشيخ المحمود بن حماد السوكي.
- (2) ترجمة الشيخ إنلبش، للشيخ المبارك مُجَّد السوكي.
- (3) ترغيب المشوق في التعريف بشعراء آل السوق، مُجَّد زين الدين السوكي.
- (4) الجوهر الثمين، للشيخ العتيق سعد الدين السوكي،
- (5) ديوان الشاعر مُجَّد يوسف السوكي.
- (6) اللؤلؤ المنسوق في كيفية تعليم آل السوق. للشيخ الحاج مُجَّد أحمد السوكي.
- (7) مجموعة شعرية بدون مؤلف.
- (8) قصائد في أوراق مبعثرة، مكتوبة بخط سوكي مغربي.

ب. الكتب المطبوعة.

- (1) ابن رشد سيرة وفكر، د. مُجَّد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 1998م. بيروت لبنان.
- (2) الأحرار المثلثون الطوارق بين الإرهاب والثورة، والحب، مصطفى الأنصاري، دار مدارك للنشر، ط 1، 2011م

¹ كل هذه المخطوطات عندي، إما مكتوبة باليد، أو مطبوعة على الحاسوب.

(3) أخطاء ابن خلدون في كتابه المقدمة، خالد بن علال، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 2005م.

(4) الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما، عفيف عبد الرحمن، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1987م.

(5) أدب الكاتب، لأبي عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، 1981م.

(6) أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر مقاربات نقدية، وسجالية، علي حرب، دار الطليعة للنشر والتوزيع، ط1، 1994م

(7) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، لأبي الحجاج الشنتمري الأعم، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، 1963م دار الجيل، بيروت، لبنان.

(8) الأعلام لخير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، ط5، 2002م.

(9) ألفية العراقي "التبصرة والتذكرة في علوم الحديث"، للحافظ زين الدين عبد الرحمن بن الحسين العراقي، تحقيق ودراسة العربي الدائر الفرياطي، مكتبة دار المنهاج - الرياض - ط2، 1428هـ

(10) الأمثال والعصر الجاهلي دراسة تحليلية، محمد توفيق أبو علي، ط1، دار النفائس، 1988م.

(11) أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام، لأبي المنذر بن بشر الكلبي، ط1، دار البشائر، دمشق، 2003م.

(12) الإيضاح في علوم البلاغة، عبد الرحمن محمد أبو المعالي القزويني، تحقيق عبد المنعم حفاجي، ط3،

- (13) الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، مُجَدِّ المتقن، مطبعة أميمة، فاس، ط1، 2012م.
- (14) البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ.
- (15) البئر (رواية) - رباعية الخسوف - ابراهيم الكوني، تاسيلي للنشر والإعلام، ط2، 1991م
- (16) تاج العروس، مُجَدِّ بن عبد الرزاق مرتض الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- (17) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ط1، مكتبة الإيمان، 1997م.
- (18) تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة، بدون ط
- (19) تاريخ الآداب العربية، الأب لويس شيخ، منشورات دار المشرق، 1991م، بيروت لبنان.
- (20) تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، شوقي ضيف ط16، دار المعارف القاهرة، 2004م.
- (21) تاريخ النقائض، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، 1954م
- (22) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، ط4، دار الثقافة بيروت، 1983م.

- (23) تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، د بوفيل، ص 100، منشورات جامعة قاري يونس، - بنغازي - ليبيا.
- (24) تحرير التحرير، عبد العظيم بن عبد الواحد، ابن أبي الإصبع، تحقيق حفي محمد شرف، ط الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- (25) تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث د. الصادق عبد الرحمن الغرياني، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، 1989م.
- (26) تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص"، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط4، 2005م.
- (27) تطور الصورة الشعرية في الشعر الجاهلي، خالد الزواوي، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، ط1، 2005م.
- (28) تكوّن العقل العربي "نقد العقل العربي"، د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 10، 2009، بيروت لبنان.
- (29) التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات، د. مصطفى السعدني، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1991م.
- (30) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، 2000م.
- (31) جمالية القصيدة الهندسية بين الواقع والطموح دراسة استقرائية تطبيقية، فاضل يونس، ص 6، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد السادس، العدد 12، عام 2012م.
- (32) جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، دار الفكر، بيروت.

- (33) جمهرة اللغة، لابي بكر مُحمَّد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تحقيق رمزي منير، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987
- (34) جواهر البلاغة العربية، السيد أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، القاهرة، 1999م.
- (35) الحيوان، عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ، ط2 دار الكتب العلمية، 2017م
- (36) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، ط 4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.
- (37) دراسات في النص والتناصية، محمد خير السباعي، مركز الإنماء الحضاري حلب، ط1، 1998م.
- (38) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، ط 5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004م.
- (39) الدولة العثمانية، يلمازا أوزتونا، ترجمة عدنان محمود سلمان، منشورات فيصل للتمويل، تركيا، 1988م.
- (40) ديوان أبي نواس، "ديوان العرب" دار صارد بيروت، د ط، ت.
- (41) ديوان الأساطير، الآلهة والبشر، قاسم شواف، وأدونيس دار الساقى، بيروت،
- (42) ديوان البوصيري، تحقيق مُحمَّد سيد كيلاي، ط1، 1955م
- (43) ديوان الشيخ أحمد الإمام دراسة وتحقيق، الطالب الباحث/ علي سليمان، بحث لنيل درجة الماجستير في الجامعة الإسلامية بالنيجر عام 2016م

- (44) ديوان الصحراء الكبرى المدرسة الكتبية، يحيى سيدي أحمد، دار المعرفة، 2009م.
- (45) ديوان النابغة، عناية وشرح حمدو طماس، دار المعارف بيروت، ط2، 2005.
- (46) ديوان امرئ القيس، مع شرح الوزير أبي بكر عاصم بن أيوب، مطبعة هندية، 1906م.
- (47) ديوان ذي الرمة، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط 1، 1995م.
- (48) السبع المعلقة، دراسة سيمائية أنثروبولوجية، د. عبد الملك مرتاض، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998م. قاموس الأنثروبولوجيا، جامعة الكويت سليم شاكر، 1987م.
- (49) سر الفصاحة، اين سنان الخفاجي، تحقيق عبد المعالي الصعيدي، المكتبة العنصرية، 1980م.
- (50) سفر العرب الأمازيغ، علي فهمي خشيم، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي ليبيا، 1956م.
- (51) الشاعر النسقي، قراءة وتحقيق لديوان الشاعر مُجْدُو يوسف، للباحث/ مُجْدُ أ غ مُجْد، رسالة لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي مُجْد بن عبد الله ، ظهر المهرارز - فاس، 2012م.
- (52) الشافية شرح الكافية لمحمد بن عبد الله بن مالك، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، ط 1

- (53) شرح التسهيل، مُجَّد بن عبد الله بن مالك، تحقيق عبد الرحمن السيد، دار هجر، بدون ت ط
- (54) شرح لألفية ابن مالك، لقاضي القضاة عبد الله بن عقيل الهمداني، تحقيق مُجَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، 2009.
- (55) شطحات الصوفية أبو يزيد البسطامي الجزء الأول، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، د، ط ت.
- (56) الشعر الأنصاري، أحمد الأنصاري، وصديق الأنصاري بدون ناشر، الرياض، 2009م.
- (57) الشعر الموريتاني الحديث، مباركه بنت البراء، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998م.
- (58) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، دار الفيحاء، عمان، ط 2 1997م.
- (59) الشيخ والمريد النسق الثقافي في المجتمعات العربية الحديثة، د. عبد الله حمودي، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار تبوقال للنشر، ط 4، 2010م.
- (60) الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفار عطار، دار العلم للملايين، ط 3، 1984م.
- (61) الصناعتين لأبي هلال الحسن العسكري، تحقيق مُجَّد البجاوي، ومُجَّد ابراهيم، المكتبة العنصرية 1998م.
- (62) الصورة الشعرية عند العميان في العصر العباسي، مُجَّد أحمد الدوغان (رسالة لنيل الدرجة الماجستير في الأدب العربي - جامعة أم القرى، 1988م.

- (63) الطوارق الشعب والقضية"، السفير هاشم الألوسي، ط1، دار أبي قراقر، الرابط، 2010م.
- (64) الطوارق عرب الصحراء الكبرى د سعيد القشاط مركز أبحاث وشؤون الصحراء، 1987م.
- (65) الطوارق عرب الصحراء الكبرى، د سعيد القشاط، مؤسسة ذي قار، ط3، 1999م.
- (66) العروض الواضح وعلم القافية، مُجَدَّ علي الهاشمي، دار القلم دمشق، ط1، 1991م.
- (67) العصر الإسلامي، شوقي ضيف، ط20، دار المعارف، القاهرة، 2002م
- (68) عصر الدول والأمارات، شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1990م.
- (69) العلم والتصوف بأزواد الشيخ الكبير الكنتي، أحمد الحمدي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2009م
- (70) العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي علي الحسن بن رشيق، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981م.
- (71) عيار الشعر، ابن طباطبا، تحقيق مُجَدَّ زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1980م.
- (72) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، لأبي عبد الله الطالب بن مُجَدَّ البرتلي الولاقي، تحقيق مُجَدَّ ابراهم الكتاني، و مُجَدَّ حجي، منشورات المغربية للتأليف والترجمة، ط1، 1981م

- (73) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، ط 11، دار المعارف، القاهرة، 1960م.
- (74) القاموس المحيط، مجد الدين مُحمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط 8، 2005م.
- (75) قضية اللفظ والمعنى في التفكير النقدي، الأخضر جمعي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004م.
- (76) قواعد تحقيق المخطوط لصالح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط 7، 1987م.
- (77) الكامل في التاريخ، لأبي الحسن عز الدين بن الأثير، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، ط 1، 1997م.
- (78) الكامل في اللغة والأدب، مُحمَّد بن يزيد المبرد، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م.
- (79) كتاب الأمثال، لأبي عبيد بن القاسم بن سلام، تحقيق عبد المجيد قطامش، دار الأمون للتراث، السعودية، 1980م.
- (80) كتاب التوحيد الذ هو حق لله على العبيد، لمحمد بن عبد الوهاب، مراجعة مجموعة من الأساتذة، جامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلامية، د، ط.
- (81) كشاف اصطلاحات الفنون، مُحمَّد علي التهانوي، ، تحقيق علي دحروج، ومراجعة "آخرون"، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 1996م.
- (82) اللغة، والهوية قومية . إثنية . دينية، جوزيف جون، ترجمة د. عبد النور خراقي، عالم المعرفة الكويت، أغسطس 2007م.

- (83) مجمع الأمثال، أبو الفضل مُجَّد بن أحمد الميداني، دار المعرفة، بيروت بدون ت
ط
- (84) المجموعة الصوفية الكاملة، أبو يزيد البسطامي، (تقديم قاسم مُجَّد عباس)،
دار المدى، ط1، 2004م.
- (85) المختار الكبير التصوف والعلم بأزواد، أحمد الحمدي، منشورات وزارة
الثقافة الجزائرية، 2008م.
- (86) المدارس الأدبية في صحراء الطوارق، مُجَّد أحمد السوقي، دار أسامة للنشر
والتوزيع، ط1، 2010م.
- (87) المدون في إخبار الموريتانيين ومن جاورهم من النواحي المحيطة بهم، هارون
باب بن سيدي مُجَّد بن الشيخ سيدي الكبير،
- (88) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى فضل الله العمري، المجمع
الثقافي - أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2002م.
- (89) المسالك والممالك، أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري، دار الغرب
الإسلامي، 1992م.
- (90) المعارضات الشعرية أنماط وتجارب، د عبد الله التطاوي، دار قبا للنشر
والتوزيع، القاهرة، 1998م. 983م.
- (91) المعارك الأدبية، أحمد أنور الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1،

- (92) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد بن علي التميمي، محيي الدين، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية . صيدا . لبنان . ط1، 2006م.
- (93) معجز أحمد، أبو العلاء المعري، تحقيق د. عبد المجيد دياب، دار المعارف، مصر، ط 1، 1984م
- (94) المعجم المفصل في اللغة والأدب لإميل يعقوب، وميشال عاصي أروع ما قيل في الإخوانيات، إميل ناصيف، دار الجيل بيروت لبنان، 1996م.
- (95) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط4، ط 2004م. اصطلاحات الصوفية، سيدي عبد الرزاق القاشاني، تحقيق وتقديم عبد العال شاهين، دار المنار، ط1، 1992م.
- (96) مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م
- (97) مفهوم التاريخ عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، ط4، 2005م.
- (98) المقاربة النقدية الموضوعاتية ، جميل حمداوي، ط1 2015م.
- (99) مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دمشق، 1978م.
- (100) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام مُجّد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، د ط، 1979م.
- (101) مقدمة ابن خلدون، لجنة البيان العربي، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط1، 1985م، القاهرة.

- (102) ملحمة المفاهيم - بيان لغة اللاهوت، ابراهيم الكوني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2006م.
- (103) الممتع الكبير في التصريف، علي بن مؤمن الحضرمي، ابن عصفور، مكتبة لبنان، ط1، 1996م.
- (104) من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، د. حميد حمداني، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990م.
- (105) من عناصر نظرية الشعر عند الجاحظ، د عبد الرحيم الرحموني، منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس - المغرب، 2008م.
- (106) النظرية الأدبية الحديثة والنقد الأسطوري، د. حبا عبود، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م.
- (107) نعت البدايات وتوصيف النهايات للشيخ العارف محمد فاضل بن مامن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، ت.
- (108) النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية د. عبد الله الغدامي الثقافة التفسير الأنثروبولوجي، آدم كوبر، ترجمة فتحي تراجي، عالم المعرفة، مارس 2008م.
- (109) النقد الثقافي، الغدامي، سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط 1، 2010.
- (110) نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، 1881م
- (111) النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، نهضة مصر للطباعة والنشر، 1996م.

(112) نقد وحقيقة، رولان بارت، ترجمة د. منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 1994م.

(113) همع الهوامع شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الحميد هنداي، المكتبة التوفيقية بمصر، 1988م

(114) واو الصغرى، (رواية) ابراهيم الكوني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1997م

(115) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق علي البجاوي، ومُجد ابراهيم، دار القلم بيروت، بدون ت ط

ج . أجنبية:

1. TOUAREG la Tragedie, Mano Dayak, Edition jean cloud, 1992 p

2. Les Touaregs Kel Adagh, Biley, Pierre. Paris, 1999, p.

ثانيا: فهرس أعلام الشعراء

(المدرّوس شعرهم والمترجم لهم)

الصفحة	الشاعر	م
319	الإمام مُحمَّد إككن	1
326	إنلبش مُحمَّد	2
332	مُحمَّد دانيال	3
342	هارون مُحمَّد	4
353	أعالي اليماني	5
357	إغلس اليماني	6
360	الحاج مُحمَّد احمد	7
369	حماد مُحمَّدو	8
380	حمدا حادي	9
389	الخضر حماد	10
411	ذو الكفل مفلح	11
419	سيدي مُحمَّد إنباكوا	12
425	ظلعا عبد الرحمن	13
430	عبد القادر متالي	14
438	الفتي مُحمَّد أحمد	15
442	مُحمَّد احمد عبد الرحمن	16

447	مُحَمَّدُ أَحْنَى	17
454	مُحَمَّدُ تَانَا	18
468	مُحَمَّدُ يَوْسُفَ	19
484	مُحَمَّدُ الصَّالِحِ	20
500	المُحَمَّدُ يَحْيَى	21
514	الْمُرْتَضَى مُحَمَّدُ	22

ثالثاً: فهرس القصائد

(مرتبة حسب ترتيبها في البحث)

م	مطلع القصيدة	الشاعر	الصفحة
1	كِتَابَانِ شَوْشَا بِمَا اشْتَمَلَا جَلْدَا	أحمد الإمام	317
2	خَلُّوا لِحْنَسَاءِ الزَّمَانِ وَصَحْرِهِ	=	319
3	لَبَّيْكَ تَلْبِيَةَ التَّقِيلِ الْكَاهِلِ	=	322
4	أَلَا تَسْلِيَّ يَا طُحَا الْجَأَشِ عَلَيَّ	إنلبش مُجَدِّ	325
5	بِاسْمِ الْإِلَهِ عَلَى (الْإِنْصَارِ) إِنْ طَلَبْنَا	دانيال مُجَدِّ	331
6	أَبْلُغْ لَدَيْكَ مُحَمَّدَ بْنَ الْهَادِي	=	332
7	يَا رَبِّ يَا ذَا الْبَطْشِ يَا قَهَّارُ	=	334
8	مَا شَاءَ رَبِّي لَا حَوْلَ وَلَا حِيلُ	=	337
9	يَا رَبِّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا	هارون مُجَدِّ	338
10	إِلَى سَيِّدِ سَادَتِ جُدُودُهُ قَبْلُ	=	341
11	أَلِمَّا عَلَى رَنْعِ تَعَاوَرِهِ الْوَبْلُ	=	342
12	عَلَى أَهْلِهَا بَنَحْنِي بَرَاقِشُ، فَالْحَزْمُ	=	345
13	إِلَى الْأَمِيرِ الْعَظِيمِ الشَّانِ فِي الدِّينِ	=	347
14	صَارَتْ لِأَظْبِ وَالْوَحُوشِ مَنَازِلًا	أعالي اليماني	351
15	كَلَامُ الْإِلَهِ لَا سَبِيلَ إِلَى الْهَدَى	=	353
16	بَانَتْ بُنَاةُ بُنَاةِ الْمَجْدِ وَالِدَيْنِ	=	353
17	وَأَنِيَّةٍ شَرَنْتُ عَلَى كُؤُوسِ	إغلس اليماني	357

355	=	طَوَيْنَا جَبَابِيرَ الْهُوَ طَرْفَ طَارِفٍ	18
356	=	أَفِيكَ حُقُوقًا كُنْتُ أَزُقُّبُ إِهْمَا	19
357	=	مَا لِلْمَرِيءِ يُسِيغُ الْمَاءَ بَلْ مَا لِي	20
358	الحاجُّ مُحَمَّدُ أَحْمَدُ	لَمَعْنَاكَ فِي فِكْرِي، وَمَعْنَاكَ فِي صَدْرِي	21
362	=	سَائِلًا عَنَّا أَصْلَنَا وَهُوَ جَهْلٌ	22
364	=	أَرِقْتُ؛ صَبَابَةً، أَنِّي يُلَامُ	23
365	=	أَمِنْ طَرْبٍ سَكِرْتُ غَدَاةَ قِيَلَا	24
368	حمّادو محمد	فَطِنْتُ وَأُلْهِمْتُ الْحَامِدَ كُلَّهُ	25
369	=	يَا رَفِيعَ الصَّيْتِ عِنْدَ الْمَشُورَةِ	26
370	=	ذَهَبْتُ وَغُودِرَ فِي الْقِفَارِ جِدَارُهَا	27
373	=	سَكِرَ الْقَوْمُ بِصَحْنٍ	28
375	=	لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَدَا لَكَ دَائِي	29
375	=	حَلَّ عَنِّي وَحَلَّ حَلِّ سَيْلِي	30
377	حمّاد مُحَمَّدُ حَادِي	لَا بُأْسَ بِالطَّائِرِ الْجَوِّيِّ لَا وَلَيْسَ	31
378	=	مَرَرْتُ عَلَى الْأَجْدَاثِ تِلْكَ الذَّاتِ	32
379	=	خَافَ الضَّلَالِ وَحَقُّهُ أَنْ يَجَارَا	33
381	=	إِيَّايَ وَالسَّعْيَ فِي صَدِّي فَتَطْوِيلُ	34
384	=	أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ فَتَى كَانَ نَائِيَا	35
391	الحَضِرُ حمّادو	ضُعْفِي شَفِيعِي وَفَقْرِي عَيْنُ مُفْتَحَرِي	36
386	=	عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالْخَمْسِ أَذْهَا	37
387	=	سَلِّمْ عَلَى مَرْبَعٍ أَفْعَتْ قَوَاعِدُهُ	38

394	=	حَقًّا أَقُولُ وَنُورُ الذِّكْرِ مِقْبَاسِي	39
395	=	شَجَايَ النَّوَى فَهِيَ أُمُّ الْحَرْقِ	40
397	=	أَشَوْفًا وَلَمَّا تَظَعْنِ أُمُّ مَالِكِ	41
403	=	مَهْ مَا خِطَابُكَ مَهْمَا لُئِمْتَ مَقْبُولُ	42
401	=	هُوَ الْفِرَاقُ بِحَدِّ سَيْفِهِ جَزَمَا	43
405	=	مَتَى يَا جَمَلُ وَيَحْكُ بُحْمِلِينَا	44
408	ذو الكِفْلِ مُحَمَّد	أَعْيَنِي مَا هَذَا التَّسَاهُلُ وَالْعَدْرُ	45
410	=	وَشِيكَاً قُبَيْلُ أَقُولِ الْهَلَالُ	46
412	=	مَاذَا الْهَيَاءُ امْضُوا بِنَا قُدَّامُ	47
413	=	يَا رُوحُ لَا تَزْهَقِي وَجَدًّا إِلَى حِينِ	48
416	سَيِّدِي مُحَمَّدُ إِنْبَاكُوا	الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنَّ الْحَمْدَ مَلْبُوسِي	49
418	=	أَمِنْ تَذَكُّرِ رَنْعِ عَدْمَلٍ عَافِ	50
420	=	جَرَى مِنْ بِنْتِ أَحْمَدَ (دُوشَ) صُنْعُ	51
421	ظَلْعَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ	حَيَالُ تَوَالَى عَلَى خَاطِرِي	52
422	=	لَمَنَازِلُ أَقْوَيْنَ مِنْ أَهْلِيهَا	53
425	عَبْدُ الْقَادِرِ مَتَال	ظَبِّي أَقَامَ الْحُسْنَ فِي أَمَاتِهِ	54
4328	=	هَلَكَ النَّوَى إِنْ لَمْ أَكُنْ مُتَهَالِكَا	55
430	=	ظَبِّي عَلَى حُسْنِهِ فِي طَرْفِهِ سَقَمُ	56
433	الْفَتَى مُحَمَّد	رَبِّي اللَّهُ عَزَّ جَلَّ الْمَوْحَدُ	57
434		أَفَاقَ الْقَلْبِ؟ لَا، مَا إِنْ أَفَاقَا	58
437	مُحَمَّدُ أَحْمَدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ	يَا حُسْنَ وَجْهِ بَدَا لِي غَفْوَةٌ فَسَبَا	59

439	=	إِنَّ جِسْمِي وَأَضْلُعِي وَفُؤَادِي	60
440	=	أَسْرَبَ الظُّبَا لَمْ لَا تَزُدْ سَلَامَا	61
442	مُحَمَّدُ اخْنَى	عفا الرسم من أطلال مية وانحما	62
443	=	أَيَا أَهْلَ ذَاتِ الْخَيْرِ مَا لَكُمْ بَعْدِي	63
444	=	يَا رَبِّ سَلِّمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْجُدْرِي	64
446	=	سَبَقَ الرِّعِيلُ إِلَى الْمَدِيحِ الْأَوَّلِ	65
447	=	هَلْ مِنْ مَمْدٍ مُسْعِدٍ بِرَسَائِلِ	66
452	مُحَمَّدُ تَنَا	هِيَ الَّتِي سَلَكَتْ بِالذَّهْرِ أُسْلُوبًا	67
456	=	عُوجًا بِعُوجٍ مِنَ الْأَلْوَحِ تَأْمِيلًا	68
454	=	قِيلَ لِي عَنْ أُمِّ رُومَانَ وَمَا	69
456	=	يَا حَلِيلِي دَعَانِي	70
458	=	دُؤَيْنَكَ هَاتِ بِالْقَمِ وَالْيَدَيْنِ	71
461	مُحَمَّدُ يَوْسُوفُ	أَمَّا وَاخْوَارِ الْبَيْضِ بَيْضِ الْقَرَاتِ	72
466	=	حَسَرَ الشَّبَابُ قِنَاعَهُ عَنْ رَاسِي	73
471	=	بُدُورٌ بِدُورٍ أَمْ رِثَاءٌ تَوَالِغُ	74
477	مُحَمَّدُ مُحَمَّدُ الصَّالِحُ	سَائِلِنَ عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا	75
480	=	ظَنِّي عَلَى الْبُعْدِ بِالذِّكْرِ أَشَاهِدُهُ	76
486	=	أَسَالِ أَنَا وَالْدهْرُ غَيْرَ مُدَالِكِ	78
492	المحمود يُحْيِي	لَا زِلْتُ فِي كُلِّ الْجَوَانِبِ تُوتِي	79
493	=	قِفْ نَسْتَمِعْ نَجْوَى "أَبِي دَاوُدَا	80
496	=	مَا ذِكْرُ لَيْلَى وَلَا سَعْدَى اعْتَرَى خُلْدِي	81

498	=	فَاجَأْتُكُمْ إِحْدَى بَنَاتِ قُضَاعَةَ	82
501	=	مَهْمِمٌ فَمِنْ أَيْنَ أَوْ عَنْ مَنْ تَبَاكِيكَا	83
504	=	أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا قُلْتُهُ بِقَمِي	84
406	المرتضى محمد	يَا طَيْفُ أَرْقَ مُقْلَتِي أَتَدُوْ	85
509	=	لِأَمْرِ مَا بَكَى الشَّيْخُ الدِّيَارَا	86
512	=	حَجَبُوكَ عَنِّي حِينَ أَمَوَا الطَّائِفَا	87
517	=	سَمَّوْهُ "فَهْدَا" وَفِي "بَغْدَادَ" ضِرْغَام	89
519	=	يَا ظَبِيَّةَ كُحِلَتْ لَهَا الْأَجْفَانُ	90
521	=	حَيِّ صَحِيٍّ فِي رُبِّي (إِنْعَوِيْ)	100

رابعاً: فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
1	مقدمة
6	دراسات سابقة
مدخل: نبذة عن الطوارق وعلاقتهم بالثقافة العربية الإسلامية	
26	التسمية وأصل "الطوارق"
30	الوضع الاجتماعي للطوارق
33	الوضع السياسي
43	الوضع الاقتصادي
45	علاقة الطوارق بالثقافة العربية الإسلامية
51	الطابع المغربي على التراث العربي عند الطوارق
الباب الأول: كل أسوك والشعر العربي	
الفصل الأول: قبائل كل اسوك	
55	التعريف بالكلمة
57	التنوع القبلي وعلاقتهم بالمحيط
60	عن عاة السوكيين السياسية
62	أصل السوكيين
65	الحياة العلمية: البرنامج البيداغوجي والتأليف
65	البرنامج البيداغوجي "المحضرة"
69	عن التأليف والمؤلفات لدى السوكيين
الفصل الثاني: نشأة الشعر العربي، والمراحل التي مر بها عند كل أسوك:	
81	رصد المراحل التاريخية التي مر بها الشعر السوكي، وأهم الاتجاهات والمؤثرات.
81	أولية الشعر العربي لدى السوكيين

82	عرض المراحل
83	اتجاه الطبع والصنع
93	اتجاه التصنع "الشكلانية"
99	الصراع الصوفي السلفي كمحرك للشعر في المرحلة الثانية
104	مرحلة الشباب السوكي المعاصر
119	تدوين الشعر، وسؤال النقد.
121	محاولات تدوين الشعر: مصادر الشعر السوكي
126	سؤال نقد الشعر عند السوكيين
129	مفهوم الشعر والشاعر لدى السوكيين
131	علاقة الشعر السوكي بحركة الشعر العربي
135	معنى الزمن الثقافي
136	نماذج للتفاعل مع الواقع العربي الحديث
الباب الثاني: الشعر السوكي دراسة تحليلية	
الفصل الأول: القيم الفنية	
143	المبحث الأول: المعجم الشعري:
144	الغريب اللغوي
152	الحيز الجاهلي
158	الألفاظ الدينية
160	المبحث الثاني: حضور التراث العربي الإسلامي
161	الاقتراس من القرآن الكريم، والحديث الشريف
163	التفاعل مع الشعر العربي
170	استخدام الأمثال
173	المبحث الثالث: الصورة الشعرية
176	آليات التصوير مع النماذج
187	نماذج من الصور المركبة

187	صورة الروضة
190	صورة الناقة
191	صورة المرأة
196	صورة الطائفة
197	المبحث الرابع: الإيقاع والقافية
199	إحصاء الأوزان والقوافي للمرحلة الأولى
202	إحصاء الأوزان والقوافي للمرحلة الثانية
207	الإيقاع الداخلي
الفصل الثاني: القيم الموضوعية	
214	توطئة
219	المبحث الأول: المضمون الشعري للمرحلة الأولى
220	الدعاء
222	المدح
224	الرثاء
226	المديح النبوي
227	إخوانيات
230	الهجاء
المبحث الثاني: المضمون الشعري للمرحلة الثانية	
234	إحصاء الأغراض المركزية
240	الإخوانيات
245	المدح
248	الرثاء
251	الدعاء
253	المديح النبوي

255	الشوق والحنين
258	الشعر الصوفي
265	من شعر الواردات
269	الفخر
272	التقاريط
275	النقاش الفقهي
280	المعارضات
281	الهجاء
283	الشعر السياسي
285	المقدمات الطللية
292	العزل والنسيب
296	الوصف
302	المبحث الثالث: نظم المتون
303	أسلوب النظم
307	مجالات النظم
308	نظم المتون
311	نظم الشوارد
الباب الثالث: سرد المتن المختار	
348 - 316	الفصل الأول: شعراء المرحلة الأولى
521 - 349	الفصل الثاني: شعراء المرحلة الثانية
522	الخاتمة
534	التوصيات والمقترحات
535	ملحق صور
الفهارس	

539	فهرس المصادر والمراجع
552	فهرس أعلام الشعراء
554	فهرس القصائد
559	فهرس الموضوعات